مجلد ثاني من تفسير خازن من سورة الكهف إلى آخر التفسير
الثالث
١٥٠
٢٩

الجزء الثالث (الثاني) من تفسير القرآن العظيم تأليف
الإمام العلامة المفسر المحدث علي بن محمد بن إبراهيم
ابن خليل الشيحي البغدادي الصوفي علاء الدين
خازن الكتب بالسميساطية الشهير بالخازن ولد سنة
ثلاث وسبعين وستمائة ببغداد وسمع بها من ابن الدواليبي
وقدم دمشق فسمع من القاسم بن المظفر ووزيرة
بنت عمر وجمع هذا التفسير وسماه
لباب التأويل في معاني التنزيل رحمة
الله عليه وعلى مشايخه
ونفعنا الله بعلومه في الدنيا
والآخرة وصلى الله
على محمد وآله
وصحبه
وسلم
دائما

ألم يرضك الرحمن في سورة الضحى
فحاشاك أن ترضى وفينا معذب
من كتب العبد الراجي شفاعة
سيد الكونين حاجي بشير ناظر
الحرمين الشريفين
سنة ١١٤٣

١١
الملك لله دخل في خط عبده
الحاجي بشير آغاي دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان
وخمسين ومائة

هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
صاحب ذيل الجود والإحسان منور مصابيح المقاصد بأنوار الغاية مفتح مغالق
المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر الأكمل
الآ وهو آغاء دار السعادة الحاج بشير وفقه للخير المزيد والبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره الفقير الله سبحانه وتعالى
محمد أمين المفتش بأوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنه





٢٨

تفسير سورة الكهف وهي مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلماتها الف وخمسمائة
وسبعة وسبعون كلمة وحروفها ستة الاف وثلثمائة وستون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اثنى الله على نفسه بانعامه
على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي الاسلام
وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص
رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى ساير الناس
على العموم ولم يجعل له عوجا اي لم يجعل له شيا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج
في الاعيان والمراد هي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روي
عن ابن عباس في قوله قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق قيما اي مستقيما وقال ابن عباس
عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرايعها لينذر باسا شديدا من لدنه
معناه لينذر الذين كفروا باسا وهو قوله بعذاب بيس من لدنه اي من عنده ويبشر المومنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا يعني الجنة ماكثين فيه اي مقيمين فيه ابدا
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم اي بالولد وباتخاذه يعني ان قولهم
لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل
ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون
في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به ولا لآبائهم اي ولا لاسلافهم من قبل كبرت
اي عظمت كلمة تخرج من افواههم اي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة
لكونه في غاية الفساد والبطلان فكانه يجري على لسانهم على سبيل التقليد ان يقولون
الا كذبا اي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه
وزاد بعضهم مع علم قايله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله وصف قولهم
باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا
ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف
عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب قوله عز وجل فلعلك
باخع نفسك اي قاتل نفسك على آثارهم اي من بعدهم ان لم يومنوا بهذا الحديث
يعني القرآن اسفا اي حزنا وقيل غيظا انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي ما يصلح
ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر
والانهار وقيل اراد به الرجال الخاصة فهم زينة الارض وقيل اراد بها العلما والصلحا
وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت اي زينة في الحيات والعقارب والشياطين
قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض

ثلاثة معدن ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان لا يدخل
في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى لنبلوهم فمن يبلوهم يجب ان لا يدخل فيه
ومعنى لنبلوهم نختبرهم ايهم احسن عملا اي اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا
وازهد فيها وانا لجاعلون ما عليها اي من الزينة صعيدا جرزا يعني مثل الارض لا نبات
فيها بعد ان كانت خضرا معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز
الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شي قوله تعالى ام حسبت اي اظننت يا محمد ان اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا
باعجب آياتنا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من العجايب اعجب
منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه اسما اصحاب الكهف

وقصتهم ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة
وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه اصحاب الكهف قال كعب الاحبار هو
اسم للقرية التي خرج منها اصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم ذكر
الله عز وجل قصة اصحاب الكهف فقال عز من قايل اذ اوى الفتية الى الكهف اي صاروا
اليه وجعلوه ماواهم والفتية جمع فتى وهو الطري من الشبان فقالوا ربنا آتنا من
لدنك رحمة اي رحمة من خزاين رحمتك وجلايل فضلك واحسانك وهب لنا
الهداية والنصر والامن من الاعدا وهيئ لنا اي اصلح لنا من امرنا رشدا اي حتى نكون بسببه
راشدين مهتدين وقيل معناه واجعل امرنا رشدا كله ذكر قصة اصحاب الكهف
وسبب خروجهم اليه قال محمد بن اسحاق بن يسار مرج امر اهل الانجيل وعظمت فيهم
اهل الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا
على دين المسيح مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم من الروم
يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى
الروم فلا يترك في قرية ينزلها احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او
يقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منها اهل الايمان
وهربوا في كل وجه اتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم فجعل اولئك الشرط
يتبع اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة
الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما راى
ذلك اهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون
ويجعل ما قطع من اجسادهم على سوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت
وراى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة

والتسبيح والدعا وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله
عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا اكشف عن عبادك المومنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلا حتى يعلنوا
عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم اذ ادركهم الشرط فوجدوهم سجودا
يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا
الى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فاتي بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة
وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التي تعبد في الارض
وتجعلوا انفسكم اسوة اهل مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لالهتنا واما ان
اقتلكم فقال مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعوا
من دونه الها ابدا له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسال
النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها ابدا اصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه
مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع لباسهم وحلية كانت عليهم من الذهب
والفضة وقال سافرغ لكم وانجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل ذلك لكم
الا اني اراكم شبانا حديثة اسنانكم فلا احب اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه
وترجعون الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى
قريبة منهم لبعض اموره فلما راى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكرهم
فاشتوروا بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا
منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له بنجلوس
فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا جاء دقيانوس اتوه فيصنع بهم ما يشا فلما اتفقوا
على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه اخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي
معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار
مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون
مني لا تخشوا جانبي اني احب احباء الله عز وجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس
هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم
الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن اسحاق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة
والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء وجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم
اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا
دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم ياخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشتري
لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو واصحابه بشي ثم يرجع الى اصحابه

فلبثوا

فلبثوا

بذلك ما شا الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظما اهلها ان يذبحوا
للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه
طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم ان الجبار قد دخل
المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظما المدينة ففزعوا ووقعوا يدعون الله
ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رووسكم
واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رووسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند
غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك
اذ ضرب الله على اذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه
ما اصابهم وهم مومنون موقنون ونفقتهم عند رووسهم فلما كان من الغد فقدهم
دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظما المدينة لقد ساني شان هولا
الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا اني غضبت عليهم لجهلهم ما جهلوا من امري
ما كنت لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا الهي فقال عظما المدينة ما انت
بحقيق ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت اجلت لهم اجلا ولو شاوا لرجعوا
في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل
الى ابايهم فاتي بهم فقال اخبروني عن ابنايكم المردة الذين عصوني فقالوا اما نحن
فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة ذهبوا باموالنا واهلكوها في اسواق المدينة
ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدري
ما يصنع بالفتية فالقى الله تعالى في نفسه ان يامر بسد باب الكهف عليهم
واراد الله عز وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين
لهم ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس
بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون
كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع وقد توفى الله
عز وجل ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم
يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مومنين في بيت الملك دقيانوس
يكتمان ايمانهما اسم احدهما بيدروس واسم الاخر روناس استمرا ان يكتبا شان الفتية
واسماءهم وانسابهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس
ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هولا الفتية قوما مومنين
قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرا الكتاب ففعلا ذلك
وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة

وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين
مسورين ذوي ذوايب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي
وموكب واخرجوا معهم الهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم
وكان احدهم وزير الملك فقذف الله الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد
ايمانه وقال في نفسه اخرج من بين اظهر هولاء القوم لا يصيبني عقاب بجرمهم
فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج اخر فراه جالسا وحده
فرجا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير ان يظهره على امره ثم خرج اخر فخرجوا جميعا
فاجتمعوا فقال بعضهم ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه
ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفشي كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم
جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلثماية سنين وازدادوا
تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم فكتبوا اسماهم
وانسابهم في لوح فلان وفلان ابنا ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة
فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهولاء شان ومات
ذلك الملك وجا قرن بعد قرن قال محمد بن اسحاق ثم ملك اهل تلك البلاد رجل صالح
يقال له تندروسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه
فكانوا احزابا منهم من يومن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر
ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما راى اهل الباطل يزيدون
ويظهرون على اهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون
الاجساد وجعل تندروسيس الملك يرسل الى من يظن فيه خيرا وانهم ايمة في الخلق فلم
يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجوا الناس عن الحق وملة
الحواريين فلما راى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس مسحا
وجعل تحته رمادا فجلس عليه ودأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويقول رب
قد ترى اختلاف هولاء فابعث لهم اية تبين لهم ثم ان الله الرحمن الرحيم الذي يكره
هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شانهم ويجعلهم
اية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح تندروسيس
ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المومنين فالقى الله تعالى في نفس رجل
من اهل ذلك البلد الذي فيه الكهف وكان اسمه اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذي على
فم الكهف ويبني به حظيرة لغنمه فاستاجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان

بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس
بالرعب فلما فتحا باب الكهف اذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية
ان يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم
على بعض كانما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها اذا اصبحوا من ليلتهم
ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شي ينكرونه
ولكنهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون ان دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا
صاحب نفقتهم انبينا ما الذي قال الناس في شاننا عشية امس عند هذا الجبار وهم يظنون
انهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا
ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم في المدينة
وهو يريد ان يوتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت او يقتلكم فما شا الله بعد ذلك فعل
فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو
الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر عند دقيانوس
وتلطف ولا يشعرن بك احد وابتع لنا طعاما فاتنا به وزدنا على الطعام الذي جيتنا
به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التي
كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت
كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف راى الحجارة منزوعة
عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى اتى باب المدينة مستخفيا يصد عن
الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرفه ولا يشعر ان دقيانوس واهله هلكوا قبل ذلك
بثلثماية سنة فلما اتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فراى فوق ظهر الباب علامة كانت
لاهل الايمان اذا كان امر الايمان ظاهرا فيها فلما راها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا
ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب اخر فراى مثل ذلك فخيل اليه ان
المدينة ليست بالتي كان يعرف وراى ناسا كثيرا محدثين لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشي
ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين
نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا اما عشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه
المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي حالم ليس بنايم فاخذ كساه فجعله على راسه ثم دخل
المدينة يمشي في اسواقها فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا وراى
انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدر المدينة ويقول في نفسه والله ما ادري ما هذا
اما عشية امس فليس على الارض من يذكر عيسى لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست

بالمدينة التي اعرف والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال
له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي نفسا او امرا
اذهب عقلي واستحق لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فاهلك فقدنا الى الذين
يبتاعون الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه
الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فنا ولها رجلا اخر
من اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون
بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما راهم تمليخا
يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد وبظن انهم قد فطنوا به وعرفوه
وانهم يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فقال
لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا علي فقد اخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا
حاجة لي به فقالوا له يا فتى من انت وما شانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز
الاولين وانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه نخفف عليك
ما وجدت وانك ان لا تفعل نحملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع
قولهم قال قد وقعت في كل شي كنت احذر منه فقالوا يا فتى انك والله لا تستطيع ان
تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يجد اليهم شيئا
فلما راوه لا يتكلم اخذ واكساه وطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة
حتى سمع به من فيها وقيل قد اخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه اهل المدينة وجعلوا
ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل هذه المدينة وما رايناه فيها قط
وما نعرفه وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقنا ان اباه واخوته بالمدينة
وانه من عظما اهلها وانهم سياتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى
ياتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى راسي المدينة
ومدبريها الذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس واسم الاخر
اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل
يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع راسه الى
السما وقال اللهم اله السما واله الارض افرغ علي اليوم صبرا واولج معي روحا منك تؤيدني
بها عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرق ما بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون
ما لقيت ويا ليتهم ياتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد تواثقنا على الايمان
بالله ولا نشرك به ابدا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهي الى الرجلين الصالحين اريوس
واسطيوس وراى انه لم يذهب الى دقيانوس افاق وسكن عنه البكا واخذ اريوس واسطيوس

الورق

الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت
كنزا ولكن هذا ورق ابائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري ما شاني وما
اقول لكم فقال له احدهما ممن انت فقال تمليخا اما انا فكنت ارى اني من اهل هذه
المدينة فقيل له فمن ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم باسم ابيه فلم يوجد من يعرفه
ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبينا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول
غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس
بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا
شديدا اتظن انا نرسلك ونصدقك ان هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها
وله اكثر من ثلثماية سنة وانت غلام شاب اتظن انك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ
شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزائن هذه المدينة بايدينا وليس
عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني لاظنني ساامر بك فتعذب عذابا شديدا
ثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال تمليخا اخبروني عما اسالكم
عنه فان انتم فعلتم صدقتكم ما عندي فقالوا سل لا نكتمك شيا قال لهم ما فعل
الملك دقيانوس فقالا لا ما نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك
في الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذا الحيران
وما هو مصدقي احد من الناس فيما اقول لقد كنا فتية وان الملك اكرهنا على عبادة
الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فاتينا الى الكهف الذي في جبل
بنجلوس فبتنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما واتجسس الاخبار فاذا
انا معكم كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف اريكم اصحابي فلما سمع اريوس قول تمليخا قال
يا قوم لعل هذه اية من ايات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا
معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس واسطيوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم
وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم ولما راى الفتية اصحاب الكهف تمليخا قد
احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان ياتي فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب
به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل
مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليوتي بهم فقاموا الى الصلاة
وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نات اخانا تمليخا
فانه الان بين يدي الجبار وهو ينتظر نا متى ناتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس
على هذه الحال اذ هم باريوس واصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل
وهو يبكي فلما راوه يبكي بكوا معه ثم سالوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم

كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكونوا اية للناس وتصديقا
للبعث وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا اريوس فراى تابوتا
من نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعى جماعة من عظماء اهل المدينة
وامر بفتح التابوت بحضرتهم فوجد وا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلمينا
ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيونس وقالوش
كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا
هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم
وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي
اراهم اية تدل على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية
الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه
سجودا لله وحمدوا الله الذي اراهم اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم
الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا بريدا الى
ملكهم الصالح تندوريس ان عجل لعلك تنظر الى اية من ايات الله جعلها الله على
ملكك وللناس اية وليكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية
بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثماية سنة واكثر فلما اتى الملك الخبر رجع عقله
اليه وذهب همه وقال احمدك الله رب السموات والارض واعبدك واسبح لك
تطولت علي ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لابائي وللعبد الصالح قسطنطينوس
الملك ثم اخبر بذلك اهل مدينته فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس
فتلقاهم اهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل وراى الفتية تندوريس
فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام تندوريس الملك قدامهم واعتنقهم
وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية
لتندوريس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله
وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا الى
مضاجعهم فناموا وتوفاهم الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم
عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه في
منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب
نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك عند ذلك
بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم
يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلى فيه

وجعل

وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح
فقال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ
ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمان الاول
وان اسماهم مكتوبة في لوح في خزانته فدعا باللوح ونظر في اسمائهم فاذا اسمه مكتوب
وذكر اسما الاخرين فقال تمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم
فلما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني حتى ادخل على اصحابي فابشرهم فانهم اذا راوكم
معي رعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه
اثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ اوى الفتية الى الكهف اي صاروا الى الكهف
واسمه جيرم فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اي هداية في الدين وهيئ لنا اي يسر لنا
من امرنا رشدا اي ما نلتمس من رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس مخرجا من الغار
في سلامة قوله تعالى فضربنا على اذانهم اي القينا عليهم النوم وقيل معناه منعنا نفوذ
الاصوات الى مسامعهم فان النايم اذا سمع الصوت ينتبه في الكهف سنين عددا اي انمناهم
سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة ثم بعثناهم اي من نومهم لنعلم اي علم المشاهدة
وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر اليهم
ليزدادوا ايمانا واعتبارا اي الحزبين اي الطايفتين احصى لما لبثوا امدا اي احفظ لما مكثوا
في كهفهم قياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف نحن نقص عليك
نباهم بالحق اي نقرا عليك خبر اصحاب الكهف بالحق اي بالصدق انهم فتية اي شبان امنوا
بربهم وزدناهم هدى اي ايمانا وبصيرة وربطنا على قلوبهم اي شددنا على قلوبهم بالصبر
والتثبت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا
عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف اذ قاموا يعني بين يدي دقيانوس الجبار
حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فقالوا اي الفتية ربنا رب السموات والارض لن ندعوا
من دونه الها اي قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام لقد قلنا اذا شططا قال
ابن عباس يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله هولاء قومنا يعني اهل بلدهم اتخذوا
من دونه اي من دون الله الهة يعني اصناما يعبدونها لولا اي هلا ياتون عليهم اي على
عبادة الاصنام بسلطان بين اي بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة
الاصنام محال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي وزعم ان له شريكا وولدا ثم قال بعضهم
لبعض واذ اعتزلتموهم يعني قومكم وما يعبدون الا الله وذلك انهم كانوا يعبدون الله
ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم
تعتزلوا عبادته فاووا الى الكهف اي الجئوا اليه ينشر لكم اي يبسط لكم ربكم من رحمته ويهيئ

اي يسهل لكم من امركم مرفقا اي ما يعود اليه بركم و رفقكم قوله عز وجل وترى الشمس
اذا طلعت تزاور اي تميل و تعدل عن كهفهم ذات اليمين اي جانب اليمين واذا
غربت تقرضهم اي تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم في فجوة منه اي متسع
من الكهف ذلك من آيات الله اي من عجايب صنعه ودلالات قدرته وذلك انه ما كان
في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصًا لهم بالكرامة وقيل ان باب
الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدًا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع
ولا عند الغروب ولا عند الاستوا فتوذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعًا في متسع
ينالهم فيه برد الريح ونسيمها وترفع عنهم كدر الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى
ذلك من آيات الله ان شانهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتدي يعني مثل
اصحاب الكهف وفيه ثنا عليهم ومن يضلل اي ومن يضلله الله ولم يرشده فلن تجد
له وليا اي معينا مرشدا قوله تعالى وتحسبهم خطاب لكل احد ايقاظا اي منتبهين اعينهم
مفتحة وهم رقود اي نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس كانوا يتقلبون
في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تاكل الارض لحومهم قيل كانوا يتقلبون في يوم عاشورا
وقيل كان لهم في السنة تقليبتان وكلبهم باسط ذراعيه قال ابن عباس كان كلبًا انمر
وعنه انه كان فوق القلطي ودون الكردي والقلطي كلب صيني وقيل كان اصفر وقيل كان
شديد الصفرة يضرب الى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبا
وقيل ليس في الجنة من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم بالوصيد يعني فنا
الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم
وقيل كان يتقلب مع اصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليها
واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها لو اطلعت عليهم يا محمد
لوليت منهم فرارا وذلك لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ
الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم ولملئت منهم رعبا اي خوفا من وحشة المكان
وقيل لان اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم
وطول اظفارهم ولتقليبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب
لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه
اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هولا فنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع
ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال
اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم قوله عز وجل
وكذلك بعثناهم يعني كما انمناهم في الكهف وحفظنا اجسامهم من البلا على طول

الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم اي ليسال بعضهم بعضا
قال قائل منهم كم لبثتم اي في نومكم وذلك انهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم
راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك قالوا لبثنا يوما ثم نظروا فوجدوا الشمس
قد بقي منها بقية فقالوا او بعض يوم فلما نظروا الى طول شعورهم واظفارهم علموا
انهم لبثوا اكثر من يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم
قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم يعني تمليخا بورقكم هذه
يعني هذه الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة الى المدينة قيل هي طرسوس وكان اسمها
في الزمن الاول قبل الاسلام افسوس فلينظر ايها ازكى طعاما اي احل طعاما وقيل امروه
ان يطلب ذبيحة مومن ولا يكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مومنون يخفون
ايمانهم وقيل الطيب طعاما واجوده وقيل اكثر طعاما وارخصه فليأتكم برزق منه
اي قوت وطعام تاكلوه وليتلطف وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر
وكتمان ولا يشعرن اي ولا يعلمن بكم احدا اي من الناس انهم ان يظهروا عليكم اي يعلمون
بمكانكم يرجموكم قيل معناه يشتموكم ويوذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من
عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يضربوكم او يعيدوكم في ملتهم اي الكفر
ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان عدتم اليه قوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا
عليهم ليعلموا ان وعد الله حق يعني قوم تندروسيس الذين انكروا البعث وان الساعة
لا ريب فيها اي لا شك فيها انها آتية اذ يتنازعون بينهم امرهم قال ابن عباس في البنيان
فقال المسلمون يبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون
نبني عليهم بنيانا لانهم من اهل سنتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون يبعث
الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح
والاجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم
اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم يعني تندروسيس واصحابه لنتخذن عليهم مسجدا قوله
تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم روي ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران
كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان
يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا
خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون وقال المسلمون سبعة وثامنهم كلبهم
فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل
صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى ولاثر اتبعه بقوله تعالى رجما بالغيب
اي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل في السبعة وتخصيص الشي بالوصف يدل على انه

الحاق في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول
المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله تعالى قل ربي اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل هذا هو الحق لان العالم بتفاصيل كائنات العوالم والكائنات
فيه في الماضي والمستقبل لا يحصل الا لله تعالى ومن اخبره الله تعالى بذلك قال
ابن عباس انا من اولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس
وساريونس ودونواس وكفيشطيطيونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير فلا تمار فيهم
اي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشانهم الا مراء ظاهرا اي الا بظاهر ما قصصنا عليك
فقف عنده ولا تزد عليه ولا تستفت فيهم اي في اصحاب الكهف منهم يعني من اهل
الكتاب احدا اي ترجع الى قول احد منهم بعد ان اخبرناك قصتهم قوله عز وجل ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله يعني اذا عزمت على فعل شيء غدا فقل ان شاء الله
ولا تقله بغير استثناء وذلك ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح
وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما
ثم نزلت الاية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل واذكر ربك اذا نسيت قال ابن
عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع
وان كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان
بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الاية
واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب في الانجيل ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك
حين اغضب وقيل الاية في الصلاة يدل عليه ما روي عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها اقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم او نام
عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي يثبتني
على طريق هو اقرب اليه رشدا وقيل ان الله امره ان يذكره اذا نسي شيئا ويساله ان يذكره
ويهديه لما هو خير له من تذكر ما نسي وقيل ان القوم سالوه عن قصة اصحاب الكهف
على وجه العناد فامره الله تعالى ان يخبرهم ان الله تعالى يؤتيه من الحجج على صحة نبوته
ما هو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف وقد فعل حيث اتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم
ما هو اوضح واقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل هذا شيء امر ان يقوله مع قوله ان
شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسي الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك
ان يقول عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين
وازدادوا تسعا قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن
لقوله قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم بما لبثوا والاصح

ان

انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا ان نازعوك
في مدة لبثهم في الكهف فقل انت الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل
ان اهل الكتاب قالوا ان للمدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى
الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم ذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا يعني
بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت
لما نزل قوله ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة قالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين على وفق
قولهم وقيل هو تفسير لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا وازدادوا
تسعا قيل قالت نصارى نجران اما الثلاث مائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها
فنزلت قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله
تعالى ذكر ثلاث مائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة
ثلاث سنين فتكون الثلاث مائة الشمسية ثلاث مائة وتسع سنين قمرية له غيب السموات والارض
والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا
ان نازعوك في مدة لبثهم يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوال اهلها وانه العالم وحده به
فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف ابصر به واسمع معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه
لكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر لا يخفى عليه خافية
ما لهم اي ما لاهل السموات والارض من دونه اي من دون الله من ولي اي ناصر ولا يشرك في
حكمه احدا قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه احدا وقيل في قضائه قوله عز وجل واتل اي واقرأ
يا محمد ما اوحي اليك من كتاب ربك يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به لا مبدل لكلماته اي
لا مغير للقرآن ولا يقدر احد على التطرق اليه بتغيير او تبديل فان قلت موجب هذا ان
لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته
الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما اوعد
الله بكلماته اهل معاصيه ولن تجد من دونه اي من دون الله ان لم تتبع القرآن ملتحدا اي ملجأ
وحرزا تعدل اليه قوله عز وجل واصبر نفسك الاية نزلت في عيينة بن حصين الفزاري اتى
النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف
قد عرق بها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك
ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء
فنحهم حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك اي احبس يا محمد
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني طرفي النهار يريدون وجهه اي يريدون
الله لا يريدون به عرض الدنيا وقيل نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون
صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي
جعل من امتي من امرت ان اصبر معهم ولا تعد اي لا تصرف عيناك عنهم الى غيرهم تريد زينة
الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاغنيا والاشراف وصحبة اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا اي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصين وقيل امية بن خلف
واتبع هواه اي في طلب الشهوات وكان امره فرطا ضياعا ضيع امره وعطل ايامه وقيل ندما
وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق وقل الحق من ربكم اي قل يا محمد لهولا الذين اغفلنا
قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الي من
ذلك شي فمن شا فليومن ومن شا فليكفر هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شيتم
وقيل معنى الاية وقل الحق من ربكم اي لست بطارد المومنين لهواكم فان شيتم فامنوا وان
شيتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وان امنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته
وعن ابن عباس في معنى الاية من شا الله له الايمان امن ومن شا له الكفر كفر انا اعتدنا اي
هيانا من العتاد وهو العدة للظالمين اي الكافرين نارا احاط بهم سرادقها السرادق الحجرة
التي تطيف بالفساطيط عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار
اربعة جدر كثف كل جدار اربعين سنة اخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حايط من نار
وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار وان يستغيثوا
اي من شدة العطش يغاثوا بما كالمهل قال ابن عباس هو ما غليظ مثل دردي الزيت عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله بما كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه
سقط فروة وجهه منه اخرجه الترمذي وقال رشدين احد رواة الحديث قد تكلم
فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر
المذاب يشوي الوجوه اي ينضج الوجوه من حره بيس الشراب اي ذلك الذي يغاثون به وساءت
اي النار مرتفقا قال ابن عباس منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق المتكا وانما جا كذلك لمشاكلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكا قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اي لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم
باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض وتقديره
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك لهم جنات عدن اي دار اقامة سميت عدنا لخلود
المومنين فيها تجري من تحتهم الانهار وذلك لان افضل المساكن ما كان يجري فيه الما
يحلون فيها من اساور من ذهب قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه
الاية وسوار من فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وسوار من لولو لقوله ولولوا ولباسهم

فيها

فيها حرير ويلبسون ثيابا خضرا من سندس هو الديباج الرقيق واستبرق هو الديباج الصفيق
الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب متكين خص الاتكا وهو هيية المتنعمين والملوك
فيها اي في الجنة على الارايك جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولما وصف الله تعالى هذه الاشيا
قال نعم الثواب اي نعم الجزا وحسنت اي الجنات مرتفقا اي مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت
مرتفقا مقابلة لما تقدم من قوله تعالى وساءت مرتفقا قوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين
قيل نزلت في اخوين من اهل مكة من بني مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد
ياليل وكان مومنا واخوه الاسود بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصين
واصحابه وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بني اسرايل اخوين احدهما مومن واسمه
يهوذا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والاخر كافر واسمه قرطوس وهما اللذان وصفهما الله
في سورة الصافات وكانت قصتهما على ما ذكر عطا الخراساني قال كان رجلان شريكان
لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فاقتسماها
فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار
واني اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف
دينار فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت منك دارا في الجنة
بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة فانفق عليها الف دينار فقال هذا
اللهم اني اخطب اليك امراة من نسا الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى
خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم اني اشتريت منك خدما ومتاعا في الجنة بالف
دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبي لعله ينالني منه
بمعروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه
فقال فلان قال نعم قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك فاتيتك لتصيبني
بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا واخذت شطره فقص عليه قصته فقال
وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيا فقضي لهما فتوفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم
على بعض يتسالون قال قايل منهم اني كان لي قرين وروي انه لما اتاه اخذ بيده وجعل
يطوف به ويريه امواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين اي
بستانين من اعناب وحففناهما اي طفناهما من جوانبهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا اي وجعلنا
بين النخل والاعناب الزرع وقيل بينهما اي بين الجنتين يعني لم يكن بين الجنتين خراب بغير
زرع كلتا الجنتين اتت اي اعطت كل واحدة من الجنتين اكلها اي ثمرها تماما ولم تظلم منه
شيا اي ولم تنقص منه شيا وفجرنا خلالهما يعني شققنا وسطهما نهرا وكان له اي لصاحب
البستان ثمر قرى بالفتح جمع ثمرة وقرى بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف

الذهب والفضة وغيرهما فقال يعني صاحب البستان لصاحبه يعني المؤمن
وهو يحاوره اي يخاطبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي عشيرة ورهطا وقيل خدما
وحشما ودخل جنته يعني الكافر اخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها
وهو ظالم لنفسه اي بكفره قال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه يعني جنته ابدا
وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى ابدا وانكر البعث
فقال وما اظن الساعة قائمة اي كائنة ولئن رددت الى ربي فان قلت كيف قال
ولئن رددت الى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربي على ما
تزعم من ان الساعة آتية لاجدن خيرا منها منقلبا اي يعطيني هنالك خيرا منها
لانه لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الاخرة افضل منها قال له صاحبه
يعني المؤمن وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب يعني خلق اصلك من تراب لان خلق
اصله سبب في خلقه فكان خلقا له ثم من نطفة ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك
انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال لكنا هو الله ربي مجازه لكن انا هو الله ربي ولا اشرك بربي
احدا ولولا اي هلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله والمعنى هلا قلت عند دخولها
والنظر الى ما رزقك منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة
الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها قائمة وان شاء خربها لا قوة الا بالله
اي وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونة
الله وتاييده ولا اقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه الا بالله روي عن عروة بن
الزبير انه كان اذا راى من ماله شيئا يعجبه او دخل حائطا من حيطانه قال ما شاء
الله لا قوة الا بالله الحائط البستان ان ترن انا اقل منك مالا وولدا اي لاجل ذلك
تكبرت علي وتعظمت فعسى ربي فلعل ربي ان يؤتيني اي يعطيني في الاخرة خيرا من
جنتك ويرسل عليها اي على جنتك حسبانا قال ابن عباس نارا وقيل مرامي من السماء وهي
الصواعق فتهلكها فتصبح صعيدا زلقا اي ارضا جردا ملسا لا نبات فيها وقيل تزلق
فيها الاقدام وقيل رملا هايلا او يصبح ماؤها غورا اي غائرا ذاهبا لا تناله الايدي
ولا الدلا فلن تستطيع له طلبا يعني ان طلبته لم تجده واحيط بثمره اي احاط العذاب
بثمر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل عليها نارا فاهلكها وغار ماؤها فاصبح يعني
صاحبها الكافر يقلب كفيه اي يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تاسفا
وتلهفا على ما انفق فيها المعنى فاصبح يندم على ما انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها
اي ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعروشة سقطت عروشها على الارض ويقول
يا ليتني لم اشرك بربي احدا يعني انه تذكر موعظة اخيه المؤمن فعلم انه اتي من جهة

شركه

شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا ولم تكن له فئة اي جماعة ينصرونه من دون الله اي
يمنعونه من عذاب الله وما كان منتصرا اي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل
معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله تعالى هنالك الولاية قرئ بكسر الواو يعني
السلطان في القيامة لله الحق وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ
ويتبرءون مما كانوا يعبدون في الدنيا هو خير ثوابا اي افضل جزاء لاهل طاعته لو
كان غيره يثيبه وخير عقبا يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير
اثابة وعاقبة قوله عز وجل واضرب لهم يا محمد اضرب لقومك مثل الحياة الدنيا
كماء انزلناه من السماء يعني المطر فاختلط به نبات الارض اي خرج من كل لون وزهرة
فاصبح اي عن قريب هشيما قال ابن عباس يابسا تذروه الرياح قال ابن عباس
تذريه وقيل تفرقه وتنسفه وكان الله على كل شيء مقتدرا اي قادرا قوله تعالى
المال والبنون يعني التي يفتخر بها عيينة واصحابه الاغنياء زينة الحياة الدنيا يعني
ليست من زاد الاخرة قال علي بن ابي طالب المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة
حرث الاخرة وقد يجمعها الله لاقوام والباقيات الصالحات قال ابن عباس هي قول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت
عليه الشمس عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا
من قول الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله
قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما
رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن المسيب
ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه انها الاعمال الصالحة خير عند ربك
ثوابا اي جزاء وخير املا اي ما يامله الانسان قوله تعالى ويوم نسير الجبال اي يذهب بها
وذلك بان تجعل هباء منثورا كما يسير السحاب وترى الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها
شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرها فيصير باطن الارض
ظاهرا وحشرناهم يعني جميعا الى موقف الحساب فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك
منهم احدا وعرضوا على ربك صفا اي صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد
وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة
يعني احياء وقيل حفاة وعراة غرلا بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا يعني القيامة يقول ذلك

لمنكري البعث ق عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال
ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا
علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلايق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الا وانه
سيجا برجال من امتي فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري
ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله
العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية
فاقول سحقا قوله غرلا اي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلدة الذكر وهو موضع
الختان وقوله سحقا اي بعدا قال بعض العلما ان المراد بهولا اصحاب الردة الذين
ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده ق عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عايشة فقلت الرجال والنسا جميعا
ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك زاد النسايي في رواية له لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه قوله عز وجل ووضع الكتاب يعني صحايف اعمال العباد توضع
في ايدي الناس في ايمانهم وشمايلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى فترى المجرمين مشفقين
مما فيه اي خايفين مما فيه من اعمال السيية ويقولون يعني اذا راوها يا ويلتنا اي يا هلاكنا
وكل من وقع في هلكة دعا بالويل مال هذا الكتاب لا يغادر اي لا يترك صغيرة ولا كبيرة
اي من ذنوبنا الا احصاها اي عدها وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس
الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمسيس
والقبل والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم
ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجا هذا بعود
وهذا بعود وجا هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشي
الصغير التافه وقوله لموبقات اي مهلكات ووجدوا ما عملوا حاضرا اي مكتوبا مثبتا
في كتابهم ولا يظلم ربك احدا اي لا ينقص ثواب احد عمل خيرا ولا يواخذ احدا بجرم
لم يعمله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة
ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير
الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث
من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى قوله تعالى
واذ قلنا اي واذكر يا محمد اذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن
قال ابن عباس كان من حي من الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان
من الجن ولم يكن من الملايكة فهو اصل الجن كما ان ادم اصل الانس وجه كونه من الملايكة

لا ينافي

لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا
قالت الملايكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة
لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملايكة فيه فكل
ملايكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملايكة ووجه كونه من الملايكة ان الله تعالى
استثناه من الملايكة والاستثنا يفيد ما لولاه لدخل وصح دخوله وذلك يوجب
كونه من الملايكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملايكة قوله كان من الجن
والجن جنس مخالف للملايكة وقوله افتتخذونه وذريته اوليا فاثبت له ذرية والملايكة
لا ذرية لهم واجيب عن الاستثنا انه استثنا منقطع وهو مشهور في كلام العرب
قال الله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني
وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملايكة فلما خالف مسخ
وغير وطرد ولعن وقوله ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعة ربه افتتخذونه يعني
يا بني ادم افتتخذون ابليس وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو يعني اعدا روي مجاهد
عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذ اقبل جمال فقال اخبرني هل لابليس زوجة قلت
ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل افتتخذونه وذريته اوليا من
دوني فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقيل يتوالدون كما يتوالد
بنو ادم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين
قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس والولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف
ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح
السلع وثبر وهو صاحب المصايب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب
والاعور وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم
وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع
او يحسن موضعه واذا اكل ولم يسم الله اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم
الله ولم اسلم فرايت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكرتها فقلت داسم داسم روي ابي
ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للوضو شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس
الما اخرجه الترمذي م عن عثمان بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد
حال بيني وبين صلاتي وبين قراتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا
قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابليس يضع عرشه على الما ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة

يجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيا ثم يجي احدهم فيقول
ما تركته حتى فرقت بينه وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش
اراه قال فيلتزمه وقوله بيس للظالمين بدلا يعني بيس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته
بعبادة ربهم وطاعته قوله تعالى ما اشهدتهم اي ما احضرتهم يعني ابليس وذريته
وقيل الكفار وقيل الملايكة خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم والمعنى
ما اشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها واشاورهم فيها وما كنت متخذ المضلين
يعني الشياطين الذين يضلون الناس عضدا يعني انصارا واعوانا قوله عز وجل ويوم
يقول نادوا يعني يقول الله يوم القيامة نادوا شركاي يعني الاصنام الذين زعمتم انهم
شركاي فدعوهم اي فاستغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم
وجعلنا بينهم يعني بين الاصنام وعبدتها وقيل بين اهل الهدى واهل الضلالة
موبقا مهلكا وقال ابن عباس هو واد في النار وقيل نهر يسيل نارا على حافتيه حيات
مثل البغال الدهم وقيل حاجزا بينهم فهو موبق واصله الهلاك وراى المجرمون اي
المشركون النار فظنوا اي ايقنوا انهم مواقعوها اي داخلوها وواقعون فيها ولم يجدوا
عنها مصرفا اي معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملايكة تسوقهم اليها
قوله تعالى ولقد صرفنا اي بينا في هذا القران للناس من كل مثل اي ليتذكروا ويتعظوا
وكان الانسان اكثر شي جدلا اي خصومة في الباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحارث وجداله
في القران وقيل اراد به ابي بن خلف وقيل اراد الكفار وقيل الاية على العموم وهو الاصح
ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله
تعالى فاذا شا ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع
الي شيا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان اكثر شي جدلا قوله عز
وجل وما منع الناس ان يومنوا اذ جاهم الهدى يعني القران والاسلام والبيان من الله
تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ربهم المعنى ان لا مانع لهم من
الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زايلة فلم لم يقوموا
على الايمان والاستغفار الا ان تاتيهم سنة الاولين يعني سنتنا في اهلاك الاولين
ان لم يومنوا وهذا عذاب الاستيصال او ياتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس عيانا من المقابلة
وقيل فجاة قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالثواب على الطاعة ومنذرين
بالعقاب لمن عصى ويجادل الذين كفروا بالباطل اي هو قولهم ابعث وقولهم للرسل
ما انتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك ليدحضوا به اي ليبطلوا به الحق ويزيلوه واتخذوا اياتي

وما

وما انذروا هزوا فيه اضمار يعني اتخذوا ما انذروا به وهو القران استهزاء قوله عز وجل
ومن اظلم ممن ذكر باي وعظ بايات ربه فاعرض عنها اي تولى عنها وتركها ولم يومن بها
ونسي ما قدمت يداه اي ما عمل من المعاصي من قبل انا جعلنا على قلوبهم اكنة اي
اغطية ان يفقهوه يريد لئلا يفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا وصمما وان تدعهم
يا محمد الى الهدى اي الى الدين فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا في اقوام علم الله منهم انهم
لا يومنون وربك الغفور اي البليغ المغفرة ذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة لو يواخذهم
اي يعاقب الكفار بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب اي في الدنيا بل لهم موعد يعني
البعث والحساب لن يجدوا من دونه موىلا اي ملجا وتلك القرى يعني قرى قوم نوح وعاد
وثمود وقوم لوط وغيرهم اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي اجلا
لاهلاكهم قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه الايات اكثر العلما على ان موسى المذكور في هذه
الاية هو موسى بن عمران من سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب
التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبا قبل موسى
ابن عمران والقول الاول اصح بدليل ان الله لم يذكر في كتابه موسى الا اراد به صاحب التوراة
فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا اخر لوجب تعريفه بصفة
توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب
التوراة واما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرائم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي
عهده بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس
ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرايل فقال ابن عباس كذب عدو
الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في
بني اسرايل فسيل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه ان
لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله
في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه
فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رووسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج
معه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الما فصار عليه
مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما
حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد
موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة
فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال

فكان للحوت سربا ولموسي ولفتاه عجبًا فقال موسي ذلك ما كنا نبغي فارتدا علي اثارهما قصصًا
قال رجعا يقصان اثارهما حتى انتهيا الي الصخرة فاذا رجلا مسجي ثوبا فسلم عليه
موسي فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسي قال موسي بني اسرايل قال نعم اتيتك
تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسي اني علي علم من علم الله علمنيه
ما تعلمه وانت علي علم من علم الله لا اعلمه فقال موسي ستجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي
لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا
يمشيان علي ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول
فلما ركبا السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقادوم فقال له
موسي قوم حملونا بغير نول عمدت الي سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جيت شيا امرا
قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري
عسرا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الاولي من موسي نسيانا قال وجا عصفور
فوقف علي حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله
الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما يمشيان علي الساحل
اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسي
اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جيت شيا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
قال وهذه اشد من الاولي قال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض قال مايل فقال الخضر بيده هكذا فاقامه قال موسي قوم اتيناهم فلم يطعمونا
ولم يضيفونا لو شيت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسي لوددت انه صبر حتى
يقص علينا من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرا وكان امامهم ملك ياخذ كل
سفينة صالحة غصبا وكان يقرا واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين وفي رواية
عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسي ذكر الناس يوما حتى اذا
فاضت العيون ورقت القلوب ولي فادركه رجل فقال اي رسول الله هل في الارض احد
اعلم منك قال لا فعتب عليه اذ لم يرد العلم الا الي الله تعالي قيل بلي قال اي رب واين
قال بمجمع البحرين قال خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا
فانه حيث يفقد الحوت وزاد في رواية وفي اصل الصخرة عين يقال لها الحيا لا يصيب
من مايها شي الا حيي فاصاب الحوت من ما تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل
ورجعنا الي التفسير قوله لا ابرح اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين فقيل اراد بحر فارس

والروم

والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية او امضي حقبا يعني واسير دهرا
طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة من المكتل وهو الزنبيل الذي
يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الي الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها
عين تسمي ما الحياة لا تصيب شيا الا حيي فلما اصاب السمكة روح الما وبرده
اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت في البحر فلما بلغا يعني موسي وفتاه مجمع بينهما
اي بين البحرين نسيا اي تركا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه
وانما اضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اي
نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة علي الوصول المطلوب فاتخذ اي الحوت
سبيله في البحر سربا اي مسلكا روي ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
انجاب الما عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتيم فدخل موسي الكوة علي اثر الحوت فاذا هو
بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيا من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا
انهما لما انتهيا الي الصخرة وضعا روسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في
البحر فاتخذ سبيله سربا فامسك الله عن الحوت جرية الما فصار عليه مثل الطاق فلما
استيقظ موسي نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد وهو قوله تعالي
فلما جاوزا يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين قال يعني موسي لفتاه اتنا غداءنا
اي طعامنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا وشدة وذلك انه القي علي موسي
الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه قال يعني يوشع ارايت اذ اوينا
الي الصخرة وهي صخرة كانت بالموضع الموعود فاني نسيت الحوت اي تركته وفقدته وذلك ان
يوشع حين راي من الحوت ذلك قام ليدرك موسي فيخبره فنسي ان يخبره فمكثا يومهما حتى صليا
الظهر من الغد ثم قال وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ان اذكر لك امر
الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي
من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالي واتخذ سبيله
في البحر عجبا قيل هذا من قول يوشع يعني طفر الحوت الي البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروي
في الخبر كان للحوت ولموسي ولفتاه عجبا وقيل اي شي اعجب من حوت يوكل منه دهرا ثم صار
حيا بعد ما اكل بعضه قوله عز وجل قال يعني موسي ذلك ما كنا نبغي نطلب فارتدا علي
اثارهما قصصا اي رجعا يقصان الذي جا امته ويتبعا نه فوجدا عبدا من عبادنا قيل كان
ملكا من الملايكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجا في التواريخ انه
الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل من بني اسرايل وقيل كان من ابنا الملوك
الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي بذلك عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم انما سمي خضرا لانه جلس علي فروة بيضا فاذا هي تهتز تحته خضرا الفروة قطعة نبات
مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسي راي الخضر
مسجا ثوبا فسلم عليه فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسي اتيتك لتعلمني مما علمت
رشدا ومعني مسجا ثوبا اي مغطى بثوب وقوله واني بارضك السلام معناه ومن اين بارضك
التي انت فيها الان السلام وروي انه لقيه علي طنفسة خضرا علي كبد البحر فذلك قوله فوجدا
عبدا من عبادنا اتيناه رحمة اي نعمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما اي علم الباطن الهاما
ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم فان قلت ظاهر هذه الايات يدل علي ان الخضر
كان اعلا شانا من موسي وكان موسي يظهر التواضع له والتادب معه قلت لا يخلوا ان يكون
الخضر من بني اسرايل او من غيرهم فان كان من بني اسرايل فهو من امة موسي ولا جايز ان يكون احد
الامة افضل من نبيها واعلى شانا منه وان كان من غير بني اسرايل فقد قال الله لبني اسرايل
واني فضلتكم علي العالمين اي علي عالمي زمانكم قال له موسي هل اتبعك معناه جيت لاصحبك
واتبعك علي ان تعلمني مما علمت رشدا اي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار قال
الخضر لموسي كفي بالتوراة علما وببني اسرايل شغلا قال له موسي ان الله امرني بهذا قال الخضر
لموسي انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يري امورا منكرة ولا يجوز للانبيا
الصبر علي المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر علي ما لم تحط به خبرا
اي علما قال موسي ستجدني ان شا الله صابرا انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ولا اعصي
لك امرا اي لا اخالفك فيما تامرني به قال فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن
جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال فلا تسالني عن شي اي مما اعمله مما تنكره ولا تعترض
عليه حتى احدث لك منه ذكرا معناه حتى ابتدي بذكره فابين لك شانه قوله تعالى فانطلقا اي يمشيان
علي الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة يركبانها فركباها فقال اهل السفينة هولا
لصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكني ارى وجوه الانبيا
وروينا عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا
الخضر فحملوهم بغير نول اي بغير عوض ولا عطا فلما لججوا في البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا
من الواح السفينة فذلك قوله حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال يعني موسى له اخرقتها لتغرق
اهلها لقد جيت شيا امرا اي اتيت شيا عظيما منكرا وروي ان الخضر لما خرق السفينة لم
يدخلها الما وروي ان موسي لما راي ذلك اخذ ثوبه فحشى به الخرق قال العالم وهو الخضر الم اقل
انك لن تستطيع معي صبرا قال يعني موسي لا تواخذني بما نسيت قال ابن عباس لم ينس ولكنه
من معاريض الكلام فكانه نسي شيا اخر وقيل معناه بما تركت والنسيان الترك وقال ابي بن
كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسي والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا

ترهقني

ترهقني اي لا تغشني من امري عسرا والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسرها بالاغضا وترك
المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق امري فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله
في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضي الوجه
كان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه اخذ براسه فاقتلعه بيده
وروي عبد الرزاق هذا الخبر وفيه واشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى
وقلع راسه وروي انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب راسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما
لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسي يقول اقتلت نفسا زاكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث
وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق وياخذ المتاع
ويلجا الى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتاذى منه ابواه ق عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه
طغيانا وكفرا قال يعني موسي اقتلت نفسا زاكية اي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي
اذنبت ثم تابت بغير نفس اي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل لقد جيت شيا نكرا
اي منكرا عظيما وقيل النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة
خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جيت شيا
انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه قال يعني
الخضر الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قيل زاد في هذه الاية قوله لك لانه نقض
العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ فعند هذا قال موسي ان سالتك
عن شي بعدها فلا تصاحبني وقيل ان يوشع كان يقول لموسي يا نبي الله اذكر العهد
الذي انت عليه قال موسي ان سالتك عن شي بعد هذه المرة فلا تصاحبني اي فارقني ولا
تصحبني قد بلغت من لدني عذرا قال ابن عباس قد اعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه
اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين
اولا وثانيا مع قرب المدة ق عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة
الله علينا وعلي موسي وكان اذا ذكر احدا من الانبيا بدا بنفسه لولا انه عجل لراي العجب
ولكنه اخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت
من لدني عذرا فلو صبر لراي العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة اي حيا واشفاق من الذم
واللوم يقال اذممته ذمامة يعني لحقته ملامة ويشبه له قول الخضر هذا فراق بيني
وبينك قوله تعالى فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل
الايلة وهي ابعد الارض من السما وقيل هي بلدة بالاندلس استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما قال ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتيا اهل قرية لياما فطافا في المجالس

فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وروي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما
واستضافاهما فلم يضيفوهما وعن ابي هريرة قال اطعمتهما امراة من اهل بربر بعد ان طلبا
من الرجال فلم يطعموهما فدعا للنسا بهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف
الضيف فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يسقط وهذا مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له
وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما يقول داري تنظر الي دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير
لها النظر كما استعير للجدار الارادة فاقامه اي سواه وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم فقال الخضر بيده فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه قال يعني موسى
لو شيت لتخذت عليه اجرا يعني على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت انا جياع
وان اهل القرية لم يطعمونا فلو اخذت على عملك اجرا قال يعني الخضر هذا فراق بيني وبينك
يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك اخذ الاجر هو المفرق
بيننا سانبيك بتاويل اي سوف اخبرك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا وقيل ان موسى
اخذ بثوب الخضر وقال اخبرني بمعنى ما عملت قبل ان تفارقني فقال الخضر اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر
اي يواجرون ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيا لا يزول عنه اسم
المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة اشد من حال المسكين
لان الله تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة فاردت ان اعيبها اي اجعلها
ذات عيب وكان ورايهم ملك اي امامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول
اصح ياخذ كل سفينة غصبا اي كل سفينة صالحة فخرقتها وعيبتها حتى لا ياخذها الملك
الغاصب وكان اسمه الجلندي الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي ان
الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شان الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون خبره وقال اردت
اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوه اصلحوها وانتفعوا بها قوله عز وجل واما الغلام
فكان ابواه مومنين فخشينا خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما
يخشى منه وقيل معناه فعلمنا ان يرهقهما اي يغشيهما وقيل يكلفهما طغيانا وكفرا قيل معناه
فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتبعاه على دينه فاردنا ان يبدلهما ربهما الابدال رفع الشي ووضع
اخر مكانه خيرا منه زكاة اي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله اقتلت نفسا زاكية
فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة واقرب رحما اي ويكون الميدل منه اقرب
عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل ابدلهما جارية فتزوجها نبي من
الانبيا فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا
وقيل ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذي قتله فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين

قتل ولو بقي لكان منه هلاكهما فليرض العبد بقضا الله تعالى فان قضا الله للمومن
فيما يكره خير له من قضايه فيما يحب قوله تعالى واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في
المدينة قيل كان اسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما روى ابو الدردا عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذي وقيل كان الكنز
صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن يوقن بالموت
كيف يفرح عجبا لمن يوقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب
عجبا لمن يوقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمين اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الاخر مكتوب انا الله
لا اله الا انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته
على يديه والويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد
به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا
لهما وكان ابوهما صالحا قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقيا قال ابن عباس حفظا بصلاح
ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة ابا قال محمد بن المنكدر ان الله تعالى
يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته واهل دويرات حوله فما يزالون
في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لاصلي فاذكر ولدي فازيد في صلاتي
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي يعقلا ويدركا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة
فان قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك
وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما ذكر العيب اضافه الى نفسه
على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه
بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلما العظما في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم
على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح
ابيهما اضافه الى الله تعالى لان حفظ الابنا وصلاح احوالهم لرعاية حق الابا ليس ذلك
الا الى الله تعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى ويستخرجا كنزهما يعني اذا بلغا وعقلا
وقويا رحمة من ربك اي نعمة من ربك وما فعلته عن امري اي باختياري ورايي بل فعلته
بامر الله والهامه اياي لان تنقيص اموال الناس واراقة دمايهم وتغيير احوالهم لا يكون
ذلك الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله وما فعلته عن امري ان الخضر كان
نبيا لان هذا يدل على الوحي وذلك للانبيا والصحيح انه ولي وليس بنبي واجيب
عن قوله وما فعلته عن امري انه الهام من الله تعالى له بذلك وهذه درجة الاوليا
وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان يظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى

واحد وهو تحمل الضرر الادني لدفع الضرر الاعلي ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرًا
اي لم تطق ان تصبر عليه روي ان موسي عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني
قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلف العلما في ان الخضر حي ام ميت
فقيل انه حي وهو قول الاكثرين من العلما وتتفق عليه عند مشايخ الصوفية واهل
الصلاح والمعرفة والحكايات في رويته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة
ومواطن الخير اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه هو حي عند جماهير
العلما والصالحين والعامة في ذلك هذا اخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان
كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيما حكي انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا
القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر علي مقدمته فوقع الخضر علي العين فاغتسل
وشرب منها وصلي شكرا لله تعالي واخطاه ذو القرنين الطريق فرجع وذهب اخرون الي انه
ميت لقوله تعالي وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلي الله عليه وسلم بعد ما صلي
العشا ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان راس ماية سنة لا يبقي ممن هو اليوم علي ظهر الارض احد
ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده قوله عز وجل ويسلونك عن ذي القرنين قيل اسمه
مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس كذا
صحح الرومي وكان من ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي في تفسيره عن ابي
الريحان السروري المنجم في كتابه المسمي بالاثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه ابو كرب
ابن سمي بن عمرو بن افريقيس الحميري وهو الذي افتخر به احد شعرا حمير حيث قال

قد كان ذو القرنين عمرو مسلما ... ملكا علا في الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... اسباب ملك من كريم مرشد
فراى ماب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثاط حرمد

قوله فراي ماب اي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب اي حماة والثاطة الحماة ايضا والجمع
ثاط والحرمد الطين الاسود وقيل سمي ذو القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل
لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه راي في المنام كانه اخذ
بقرني الشمس وقيل لانه كان له ذوابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروي عن
علي انه امر قومه بتقوي فضربوه علي قرنه الايمن فمات فاحياه الله واختلفوا في نبوته فقيل كان
نبيا بدليل قوله تعالي قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله لا يكون الا مع الانبيا وقيل لم يكن
نبيا قال ابو الطفيل سيل علي عن ذي القرنين اكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا
احب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروي ان عمر سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين
فقال تسميتم باسما الانبيا فلم ترضوا حتي تسموا باسما الملايكة والاصح الذي عليه

الاكثرون

الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصي المغرب والمشرق والشمال وهذا
هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوايف
ثم مضي الي ملوك العرب وقهرهم وامعن حتي انتهي الي البحر الاخضر ثم رجع الي مصر
وبني الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه
القربان ثم انعطف الي ارمينية وباب الابواب وبني السد ودانت له ملوك العراق
والقبط والبربر واستولي علي ممالك الفرس ثم مضي الي الهند والصين وغزا الامم البعيدة
ثم رجع الي العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الي حيث هو مدفون وقيل ان عمره
كان نيفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي علي خلاف العادات وجب ان
يبقي ذكره مخلدا علي وجه الارض فذلك قوله تعالي ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلوا
عليكم منه ذكرا اي خبرا يتضمن حاله قوله تعالي انا مكنا له في الارض اي وطانا والتمكين
تمهيد الاسباب قال علي سخر له السحاب فحمل عليه ومد له في الاسباب وبسط له النور
فكان الليل والنهار عليه سوا وسهل عليه السير في الارض وذلل له طرقها واتيناه من كل
شي يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك علي فتح المدن ومحاربة الاعدا سببا
اي علما يتسبب به الي كل ما يريد ويسير به الي اقطار الارض وقيل بلاغا الي حيث اراد وقيل
قربنا له اقطار الارض فاتبع سببا اي سلك طريقا حتي اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمية اي حارة وقرئ حمئة اي ذات حماة الطينة السودا وسال معاوية كعبا
كيف في التوراة تغرب الشمس واين تغرب قال نجد في التوراة انها تغرب في ما وطين وقيل
يجوز ان يكون معني في عين حمئة اي عندها عين حمئة او في راي العين وذلك انه بلغ موضعا
في المغرب لم يبق بعده شي من العمران وجد الشمس كانها تغرب في وهدة مظلمة كما ان راكب
البحر يري ان الشمس كانها تغيب في البحر ووجد عندها قوما اي عند العين امة قال ابن جريج
مدينة لها اثني عشر الف باب يقال لها جابوس واسمها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم
من نسل ثمود الذين امنوا بصالح لولا ضجيج اهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب اي
تغيب قلنا يا ذا القرنين يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه
لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب علي لسان غيره اما ان تعذب
يعني تقتل ان لم يدخلوا في الاسلام واما ان تتخذ فيهم حسنا يعني تعفو وتصفح وقيل
تاسرهم فتعلمهم الهدي خيره الله بين الامرين قال اما من ظلم اي كفر فسوف نعذبه اي نقتله
ثم يرد الي ربه اي في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا اي منكرا يعني بالنار لانها انكر من القتل واما
من امن وعمل صالحا فله جزا الحسني اي جزا اعماله الصالحة وسنقول له من امرنا يسرا
اي نلين له القول ونعامله باليسر من امرنا ثم اتبع سببا اي سلك طريقا ومنازل حتي اذا بلغ

مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قيل انهم في مكان ليس
بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بنا فاذا اطلعت الشمس دخلوا
في اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل
انهم كانوا اذا اطلعت الشمس نزلوا في الما فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهايم
وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من
نسل مومني قوم هود واسم مدينتهم جابلقا واسمها بالسريانية مرقيشيا وهم مجاورون
ياجوج وماجوج قوله كذلك اي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه
حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الاصح
وقد احطنا بما لديه خبرا اي علما بما عنده ومعه من الجند والعدة والالات للحرب
وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به
والقيام بامره قوله عز وجل ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين هما ها هنا جبلان في
ناحية الشمال في منقطع ارض الترك حكي ان الواثق بعث من يثق به من اتباعه اليه ليعاينوه
فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بنا من حديد لبن مسدود
بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل وجد من دونهما قوما يعني امام السدين قيل هم الترك
لا يكادون يفقهون قولا قال ابن عباس لا يفقهون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم قالوا
يا ذا القرنين فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم لا يفقهون قلت تكلم عنهم
مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون الا بجهد ومشقة
من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس ان ياجوج وماجوج اصلهما من اجيج النار وهو ضوها
وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان
طايفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك بذلك
لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو
العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر
والصقالبة وياجوج وماجوج قال ابن عباس هم عشرة اجزا وولد ادم كلهم جز وروي
حذيفة مرفوعا ان ياجوج امة وماجوج امة كل امة اربعة الاف امة لا يموت الرجل
منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد ادم يسيرون الى خراب
الدنيا وقال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طوله عشرون
ومايه ذراع في السما وصنف منهم عرضه وطوله سوا عشرون ومايه ذراع وهولا لا يقوم
لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون
بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان

يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط
في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد ادم وذلك ان ادم احتلم ذات يوم وامتزجت
نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الما ياجوج وماجوج فهم يتصلون بنا من جهة
الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ
كان عبدا صالحا قال الله له اني باعثك الى امم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول
الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها
منسك وامتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في
قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وامم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج
وماجوج فقال ذو القرنين باي قوة اكابرهم وباي جمع اكاثرهم وباي لسان اناطقهم
قال الله تعالى اني ساطوقك وابسط لسانك واشد عضدك فلا يهولنك شي والبسك
الهيبة فلا يروعك شي واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك فالنور يهديك
من امامك والظلمة تحوطك من ورايك فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا
لا يحصيه الا الله فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله وعبادته
فمنهم من امن ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت
اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم
والظلمة تسوقهم حتى اتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى اتى منسك ففعل
فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جندا ثم اخذ ناحية الارض اليسرى فاتى تاويل ففعل
فيهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التي في وسط الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك
مما يلي المشرق قالت له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا اشباه
البهايم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع وياكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق
في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك انهم سيملون الارض ويظهرون عليها ويفسدون
فيها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير وقال
اعدوا الي الصخور والحديد والنحاس حتى اعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم
على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب واضراس
كالسباع ولهم هلب شعر توارى اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد اذنان
عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف في واحدة ويشتو في اخرى يتسافدون
تسافد البهايم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما
وحفر له الاساس حتى بلغ الما فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج
مفسدون في الارض قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى ارضهم فلا يدعون فيها

شيا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احملوه وادخلوه ارضهم فلقوا منهم اذا شديدًا
وقيل فسادهم انهم كانوا ياكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم
فهل نجعل لك خرجا اي جعلا واجرا من الاموال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي حاجزا
فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي خير اي ما قواني به ربي خير
من جعلكم فاعينوني بقوة يعني لا اريد المال بل اعينوني بابدانكم وقوتكم اجعل بينكم
وبينهم ردما اي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البنا والالة
قالوا وما تلك الالة قال اتوني اي اعطوني وقيل جيئوني زبر الحديد اي قطع الحديد
فاتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى اذا ساوى بين
الصدفين اي بين طرفي الجبلين قال انفخوا يعني في النار حتى اذا جعله نارا اي صار
نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اصب عليه قطرا اي نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل
الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد قيل ان السد كالبرد المحبر طريقه
سودا وطريقه حمرا وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله
فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها
حتى صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب فكانه
تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اوليك النافخين حتى تمكنوا من العمل
فيه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوا عليه لعلوه وملاسته وما استطاعوا له
نقبا اي من اسفله لشدته وصلابته قال يعني ذا القرنين هذا اي السد رحمة من ربي
اي نعمة فاذا جاء وعد ربي قيل يعني القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي ارضا
ملسا وقيل مدكوكا مستويا مع الارض وكان وعد ربي حقا ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد
بيده تسعين قوله عقد تسعين هذا من موضوعات الحساب وهو ان توضع راس
اصبعك السبابة في وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الا خلل
يسير وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا
يخرقونه قال ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله تعالى كاشد ما كان حتى اذا
بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا
ان شا الله واستثنى قال فيرجعون فيجدونه هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون
على الناس فيستقون المياه ويفر منهم وفي رواية مخضبة بالدما فيقولون قهرنا
من في الارض وعلونا من في السما قسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم
فيهلكون قال فوالذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا

اخرجه

اخرجه الترمذي قوله قسوة وعلوا اي غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود
يكون في انوف الابل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلا
ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلي اجسادها لحما وتسمن خ عن ابي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج قوله
عز وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قيل هذا عند فتح السد ويقول تركنا
ياجوج وماجوج يموج اي يدخل بعضهم في بعض كموج الما ويختلط بعضهم ببعض
لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط انسهم
بجنهم حيارى ونفخ في الصور فيه دليل على ان خروج ياجوج وماجوج من علامات
قرب الساعة فجمعناهم جمعا اي في صعيد واحد وعرضنا اي ابرزنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا حتى يشاهدوها عيانا الذين كانت اعينهم في غطا اي في غشاء وستر
عن ذكري اي عن الايمان والقران والهدى والبيان وقيل عن روية الدلايل والتبصر بها وكانوا
لا يستطيعون سمعا اي سمع القبول والايمان لغلبة الشقا عليهم وقيل معناه لا يستطيعون
ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له قوله تعالى افحسب الذين
كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا يعني اربابا يريد عيسى والملايكة بل هم لهم اعدا
ويتبرون منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين اطاعوهم من دون الله والمعنى افظن
الذين كفروا ان يتخذوا غيري اوليا واني لا اغضب لنفسي فلا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا
انهم ينفعهم ان يتخذوا من دوني اوليا انا اعتدنا اي هيانا جهنم للكافرين نزلا اي منزلا قال
ابن عباس هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف قوله عز وجل قل هل ننبيكم
بالاخسرين اعمالا يعني الذين اتعبوا انفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا
وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم
في الصوامع وقال علي بن ابي طالب هم اهل حرورا يعني الخوارج الذين ضل سعيهم اي
بطل عملهم واجتهادهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون اي يظنون انهم يحسنون صنعا
اي عملا ثم وصفهم فقال تعالى اوليك الذين كفروا بايات ربهم ولقايه يعني انهم
جحدوا دلايل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم
كفروا بالنبي والقران فصاروا كافرين بهذه الجنة فحبطت اعمالهم اي بطلت فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات
والسيات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار الحسنات قال ابو سعيد الخدري
ياتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم
تزن شيا لذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدري بهم فليس

لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن ق عن ابي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال
اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك اشارة الي ما ذكر من حبوط اعمالهم
وخسة قدرهم ثم ابتدا فقال تعالي جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي
هزوا اي سخرية واستهزا قوله تعالي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فاسالوه
الفردوس فانه اوسط الجنة واعلي الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة
قال كعب ليس في الجنان جنة اعلي من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها وارفعها وقيل
الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي
تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الي
العربية نزلا ما يهيا للنازل علي معني كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا
وقيل في معني كانت لهم اي في علم الله قبل ان يخلقوا خالدين فيها لا يبغون اي لا يطلبون
عنها حولا اي تحولا الي غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل
من دار اذا لم توافقه الي دار اخري قوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالي
هذه الاية قالت اليهود اوتينا التوراة فيها علم كل شي فانزل الله قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي مدادا يعني مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به واصله من
الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا للعلم والقلم يكتب قيل والخلايق يكتبون
لنفد البحر اي لفني ماؤه قبل ان تنفد كلمات ربي اي علمه وحكمه ولو جينا بمثله مددا
المعني ولو كان الخلايق يكتبون والبحر يمدهم لفني ما البحر ولم تنفد كلمات الله ولو جينا
بمثل ما البحر في كثرته مددا وزيادة قوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم قال ابن عباس
علم الله تعالي رسوله صلي الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهي علي خلقه فامره ان يقر فيقول
اني ادمي مثلكم الا انني خصصت بالوحي واكرمني الله به وهو قوله يوحي الي انما الهكم
اله واحد لا شريك له في ملكه فمن كان يرجو لقا ربه اي يخاف المصير اليه وقيل تا ويل
رويته ربه فليعمل عملا صالحا اي من حصل له رجا لقا الله والمصير اليه فليستعمل
نفسه بالعمل الصالح ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله ولما كان العمل
الصالح قد يراد به وجه الله وقد يراد به الريا والسمعة اعتبر فيه ان احدهما ان

يراد به الله والثاني ان يكون مبرا من جهات الشرك جميعا ق عن جندب بن عبد الله
البجلي قال قال النبي صلي الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به قوله
من سمع سمع الله به اي من عمل عملا مرايا للناس ليشتهر به لك شهره الله به يوم القيامة
وقيل معني سمع الله به اي اسمعه المكروه م عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالي يقول انا اغني الشركا عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه
غيري تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه بري هو للذي عمله عن سعيد بن ابي فضالة
قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادي منادي
من كان يشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله اغني الشركا عن الشرك اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلي الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا م عن ابي الدردا عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من اخرها
تفسير سورة مريم عليها السلام وهي مكية وهي ثمان وتسعون اية وسبعماية واثنتان
وثمانون كلمة وثلاثة الاف وثمانماية حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
كهيعص قال ابن عباس هو اسم من اسما الله وقيل اسم للقران وقيل للسورة وقيل هو
قسم اقسم الله به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والها من هاد والياء من رحيم
والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق
ايديهم عالم ببريته صادق في وعده ذكر اي هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمت ربك عبده
زكريا قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته اذ نادي اي دعا ربه في المحراب ندا خفيا
اي دعا سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعي سنة الله في اخفا دعايه لان الجهر والاسرار
عند الله تعالي سيان فكان الاخفا اولي لانه ابعد عن الريا وادخل في الاخلاص وقيل
اخفاه لئلا يلام علي طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه
يدل عليه قوله قال رب اني وهن اي رق وضعف العظم مني اي من الكبر وقيل اشتكي سقوط
الاضراس واشتعل الراس اي ابيض الشعر شيبا اي شمط ولم اكن بدعايك رب شقيا اي عودتني
بالاجابة فيما مضي ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الي الايمان امنت ولم اشق بترك
الايمان واني خفت الموالي من وراي يعني من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة
وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد فهب لي من لدنك وليا
اي اعطني من عندك وليا مرضيا يرثني ويرث من ال يعقوب اي وليا وارثا وقيل اراد يرثني
مالي ويرث من ال يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الحبورة
لان زكريا كان راس الاحبار والاولي ان يحمل علي ميراث غير المال لان الانبيا لم يورثوا المال

انما ورثوا العلم ويبعد من زكريا وهو نبي من الانبيا ان يشفق على ماله ان يرثه بنو اعمه وانما خاف ان يضيع بنو اعمه دين الله ويغيروا احكامه وذلك لما شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل الانبيا فسال ربه ولدا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس واجعله رب رضيا اي برا تقيا مرضيا قوله تعالى يا زكريا المعنى فاستجاب الله دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اي بولد ذكر اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا اي لم نسم احدا قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك انه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله بذلك اجتماع الفضايل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه قال رب انى يكون اي من اين يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا اي وامراتي عاقر وقد بلغت من الكبر عتيا اي يبسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد قال كذلك قال ربك هو علي هين اي يسير وقد خلقتك من قبل اي من قبل يحيى ولم تك شيئا قال رب اجعل لي اية اي دلالة على حمل امراتي قال ايتك اي علامتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا اي صحيحا سليما من غير ما باس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه قوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب اي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم زكريا متغيرا اللون فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اي فاومى واشار اليهم وقيل كتب لهم في الارض ان سبحوا اي صلوا لله بكرة وعشيا المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امراته منع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة قوله تعالى يا يحيى فيه اضمار معناه ووهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة بقوة اي بجد واجتهاد واتيناه الحكم قال ابن عباس يعني النبوة صبيا وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى احكم عقله واوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبي قلت لان اصل النبوة مبني على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا يمتنع صيرورة الصبي نبيا وقيل اراد بالحكم فهم الكتاب فقرا التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرا القران قبل ان يبلغ فهو ممن اوتي الحكم صبيا وحنانا من لدنا اي رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تحنن علي هداك المليك * فان لكل مقام مقالا *

اي ترحم علي وزكاة قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح ومعنى الاية واتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا في اخلاص وكان تقيا اي مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة قط ولا هم بها

وبرا بوالديه اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الاية ولم يكن جبارا الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه من لا يلزمه قضا لاحد عصيا هو ابلغ من العاصي والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المومنين وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا معناه وامان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بني ادم ويوم يموت امان له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اي من عذاب القيامة وقيل اوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن فخصه بالسلامة فيها قوله عز وجل واذكر في الكتاب اي في القران مريم اذ انتبذت اي تنحت واعتزلت من اهلها اي قومها مكانا شرقيا اي مكانا في الدار مما يلي الشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست في مشربة تفلي راسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت اي فضربت من دونهم حجابا قال ابن عباس سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب امرد وضي الوجه سوي الخلق فذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل فتمثل لها بشرا سويا اي سوي الخلق لم ينقص من الصورة الادمية شيا وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملايكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جا في صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رات مريم جبريل يقصد نحوها بادرته من بعيد قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي مومنا مطيعا دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول السايل ان كنت مومنا فلا تظلمني ينبغي ان يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ها هنا معناه ينبغي ان يكون تقواك مانعا لك من الفجور قال لها جبريل انما انا رسول ربك ليهب لك اسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله لانه ارسل به غلاما زكيا اي ولدا صالحا طاهرا من الذنوب قالت مريم انى يكون اي من اين يكون لي غلام ولم يمسسني بشر اي لم يقربني زوج ولم اك بغيا اي فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح او سفاح ولم يكن ها هنا واحد منهما قال جبريل كذلك قال ربك اي هكذا قال ربك هو علي هين اي خلق ولد بلا اب ولنجعله اية للناس

اي علامة لهم ودلالة على قدرتنا ورحمة منا اي نعمة لمن يتبعه على دينه على بعثة محمد
صلى الله عليه وسلم وكان امرا مقضيا اي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل فحملته
قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه
ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل
النفخ اليها فحملت بعيسى في الحال فانتبذت به اي فلما حملت تنحت بالحمل وانفردت مكانا قصيا
اي بعيدا من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها
بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة
وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كان مدة حملها تسعة اشهر
كحمل ساير النسا وقيل كان مدة حملها ثمانية اشهر وذلك اية اخرى له لانه لا يعيش من ولد
لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة اشهر وهي بنت عشر سنين
وقيل ثلاث عشرة وقيل ستة عشرة سنة وكانت قد حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى
وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين
الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل
زمانهما احدا اشد عبادة واجتهادا منهما واول من عرف بحمل مريم يوسف فبقي متحيرا في امرها
كلما اراد يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا اراد ان يبريها راى الذي
ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال قد وقع في نفسي من امرك شي وقد حرصت على كتمانه
فغلبني ذلك فرايت ان اتكلم به اشفي صدري فقالت قل قولا جميلا قال اخبريني يا مريم
هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر فقالت نعم
الم تر ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تعلم ان الله تعالى انبت الشجرة بالقدرة
من غير غيث او تقول ان الله لا يقدر على ان ينبت الشجرة حتى استعان بالما ولولا ذلك لم
يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله يقدر على ما يشا يقول له كن
فيكون قالت له مريم الم تعلم ان الله تعالى خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك
زال ما في نفسه من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلا الضعف عليها بسبب الحمل
فلما دنا ولادها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فذلك قوله فانتبذت به مكانا قصيا
قوله عز وجل فاجاها المخاض اي الجاها واجابها وجع الولادة الى جذع النخلة وكانت
نخلة يابسة في الصحرا من شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجات اليها لتستند اليها
وتتمسك بها من شدة الطلق ووضع الولادة قالت يا ليتني مت قبل هذا تمنت الموت
استحيا من الناس وخوف الفضيحة وكنت نسيا منسيا اي شيا حقيرا متروكا لم يذكر
ولا يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت انها لم تخلق فناداها من

تحتها

تحتها قيل ان مريم كانت على اكمة وجبريل ورا الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل
وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناداها الا تحزني قد جعل ربك تحتك
سريا اي نهرا قال ابن عباس ضرب جبريل وقيل عيسى برجله في الارض فظهرت عين ما
عذبة وجرى وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله فيه الما وحييت النخلة اليابسة
فاورقت واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اي بامرك اي ان امرتيه ان يجري جرى
وان امرتيه بالامساك امسك وقيل معنى سريا اي عيسى وكان عبدا سريا رفيعا وهزي
اليك اي حركي بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قيل الجني الذي بلغ الغاية وجا
اوان اجتنايه قال الربيع بن خيثم ما للنفسا عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل
فكلي واشربي اي يا مريم كلي من الرطب واشربي من النهر وقري عينا اي طيبي نفسا وقيل قري
عينك بولدك عيسى يقال اقر الله عينك اي صادف فوادك ما يرضيك فتقر عينك من النظر الى
غيره فاما ترين من البشر احدا معناه فسالك عن ولدك فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي
صمتا وقيل كان في بني اسرايل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم
حتى يمسي وقيل ان الله امرها ان تقول هذا اشارة وقيل امرها ان تقول هذا القول نطقا ثم تمسك
عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين احدهما ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم
عنها ليكون اقوى لحجتها في ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل اولى
الثاني كراهة مجادلة السفها وفيه ان السكوت عن السفيه واجب فلن اكلم اليوم انسيا يقال انها
كانت تكلم الملايكة ولا تكلم الانس قوله تعالى فاتت به قومها تحمله قيل انها لما ولدت عيسى
حملته في الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه
اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه
ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا اهل
بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جيت شيا فريا اي عظيما منكرا وقيل معناه جيت بامر
عجيب بديع يا اخت هارون اي يا شبيهة هارون قيل كان رجلا صالحا في بني اسرايل شبهت
به في عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة في النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا
من بني اسرايل كلهم سمي هارون سوى ساير الناس م عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران
سالوني فقالوا انكم تقرون يا اخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بانبيايهم والصالحين
قبلهم وقيل كان هارون اخا مريم لابيها وكان من امثل رجل في بني اسرايل وقيل انما عنوا
هارون اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا اخا تميم وقيل كان هارون فاسقا
من بني اسرايل اعظم الفسق فشبهوها به ما كان ابوك يعني عمران امرا سو قال ابن عباس زانيا

وما كانت امك بغيا يعني حتى بغيا اي زانية فمن اين لك هذا الولد فاشارت اليه
اي اشارت مريم الي عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون
كلامه حجة لها وقيل لما اشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخر بنا ثم قالوا
كيف نكلم من كان في المهد صبيا قيل اراد بالمهد حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان يعني
هو قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واتكى على يساره واقبل عليهم وجعل يشير
بيمينه وقال اني عبد الله قال وهب اتاها زكريا عندما ظ[ا]ه[ر]ها اليهود فقال لعيسى
انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل
يوم ولد اني عبد الله اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم لئلا يتخذ الها
فان قلت ان الذي اشتدت اليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن امه وان عيسى لم
ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته نفسه لله تعالى قلت كانه جعل ازالة التهمة
عن الله تعالى اولى من ازالة التهمة عن امه فلهذا اول ما تكلم انما تكلم باعترافه على نفسه
بالعبودية وفي ذلك تحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة
العظيمة من ولد في زنا والتكلم بازالة التهمة عن امه لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى
فكان الاشتغال بذلك اولى اتاني الكتاب وجعلني نبيا قيل معناه سيجعلني نبيا ويؤتيني
الكتاب وهذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت
نبيا قال كنت نبيا وادم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه اوتي الانجيل وهو
صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه قال الهم التوراة وهو في بطن امه
وجعلني مباركا اين ما كنت اي نفاعا حيث ما توجهت وقيل معلما للخير ادعو الي الله والي
توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعني واوصاني بالصلاة والزكاة اي امرني بهما
وكلفني فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة وبالزكاة في حال طفوليته وقد قال عليه السلام
رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله واوصاني بالصلاة والزكاة
لا يدل على انه تعالى اوصاه بادائهما في الحال بل المراد اوصاه بادائهما في الوقت المعتبر بهما
وهو البلوغ وقيل يحتمل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن امه بالغا عاقلا وهذا القول اظهر
لقوله في سياق الاية ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان
حياته حين كان في الارض وحين رفع الي السما وحين ينزل الي الارض بعد رفعه وبرا بوالدتي
اي وجعلني برا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا اي عصيا لربه متكبرا على الخلق بل انا
خاضع متواضع وروي انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي وقال بعض العلما لا تجد العاق
الا جبارا شقيا وتلى هذه الاية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب والسلام علي
يوم ولدت اي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ويوم اموت اي عند الموت من الشرك

ويوم ابعث

ويوم ابعث حيا اي من اهوال القيامة فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم
سكت عيسى فلم يتكلم بعد حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال ذلك عيسى ابن مريم
اي الذي قال اني عبد الله هو عيسى بن مريم قول الحق اي هذا الكلام هو القول الحق
اضاف القول الي الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني ذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق
والحق هو الله الذي فيه يمترون اي يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل
يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه
عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان من
صفته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك سبحانه اذا قضى امرا اي اذا اراد ان يحدث امرا
فانما يقول له كن فيكون اي لا يتعذر عليه ايجاده على الوجه الذي اراده وان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعني ولان الله ربي وربكم لا رب
للمخلوقات سواه هذا صراط مستقيم اي هذا الذي اخبرتكم به ان الله امرني به هو
الصراط المستقيم الذي يودي الي الجنة فاختلف الاحزاب من بينهم يعني النصارى
سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر عيسى النسطورية والملكانية والمار
يعقوبية فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيامة اسمع بهم وابصر
اي ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون
ويبصرون ما يسوءهم ويصدع قلوبهم يوم ياتوننا اي يوم القيامة لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين قيل اراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطا بين وفي الاخرة
يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الاخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف
المومنين قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة بذلك
لان المسي يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان يدل عليه ما روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت الا ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله
قال ان كان محسنا ندم الا ان يكون ازداد وان كان مسيا ندم ان لا يكون نزع اخرجه
الترمذي قوله الا يكون نزع النزع عن الشي الكف عنه وقال اكثر المفسرين يعني يوم الحسرة
حين يذبح الموت ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت
كهيئة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون
هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه ثم ينادي مناد يا اهل النار فيشرئبون
وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه فيذبح بين
الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرا
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون واشار بيده الي الدنيا

زاد الترمذي فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات
اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح المختلط بالبياض والسواد وقوله فيشرئبون
يقال اشرأب الى الشيء اذا انطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة
والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش او غيره فعلى هذا يتأول الحديث
على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا
وجود وكذلك حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال
ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل
النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل
الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم واهل النار
حزنا الى حزنهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد
الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار احد الا اري مقعده
من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة اخرجه البخاري قوله تعالى اذ قضي الامر اي فرغ من
الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة اي عما يراد
بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون اي لا يصدقون انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت
سكان الارض جميعا ويبقى الرب سبحانه وتعالى وحده فيرثهم والينا يرجعون فنجزيهم
باعمالهم قوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا اي كثير الصدق وهو
مبالغة في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق وكل من صدق الله في وحدانيته
وصدق انبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق
ولما قرب رتبة الصديق من رتبة النبي صلى الله عليه وسلم انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر
كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة بارسال الله اياه واي رتبة اعلى من رتبة من جعله الله
تعالى واسطة بينه وبين عباده اذ قال لابيه يعني آزر وهو يعبد الاصنام يا ابت لم
تعبد ما لا يسمع يعني صوتا ولا يبصر شيئا ولا يغني عنك اي يكفيك شيئا وصف الاصنام
بثلاثة اشياء كل واحد منها قادح في الالهية وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود
فلا يستحقها الا من له غاية الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق
العبادة الا اياه يا ابت اني قد جاءني من العلم بالله والمعرفة ما لم يأتك فاتبعني اي على
ديني اهدك صراطا سويا اي مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه
فيما يزين لك من الكفر والشرك ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي عاصيا يا ابت اني
اخاف اي اعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن ان يؤمن فيكون من اهل الجنة او يصر على الكفر
فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام

في غاية

في غاية الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كل كلام يا ابت دليل على
شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا
على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم نبه على ان طاعة
الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر على الاقدام على ما لا ينبغي
بقوله اني اخاف ان يمسك اي يصيبك عذاب من الرحمن اي ان اقمت على الكفر فتكون للشيطان
وليا اي قرينا في النار وقيل تاليا له في النار وانما فعل ابراهيم عليه السلام هذا مع ابيه
لامور احدها لشدة تعلق قلبه بصلاح ابيه واداء حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبي
صلى الله عليه وسلم الهادي الى الحق لا بد ان يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها
النصح لكل احد فالاب بالاولى قال يعني اباه مجيبا له اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم
اي تاركها انت وتارك عبادتها لئن لم تنته اي تسكت وترجع عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها
لارجمنك قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك ولابعدنك
عني بالقول القبيح واهجرني اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرة
مليا اي دهرا طويلا قال يعني ابراهيم سلام عليك اي سلمت مني لا اصيبك بمكروه وذلك انه
لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب
الحليم للسفيه ساستغفر لك ربي قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله
ان يرزقه التوحيد ويغفر له معناه سأسأل ربي لك توبة تنال بها المغفرة انه كان بي
حفيا اي برا لطيفا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي
واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي فارقكم وافارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم
وهاجر منكوثا الى الارض المقدسة وادعو ربي اي اعبد ربي الذي خلقني وانعم علي عسى الا اكون
بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا اشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون انتم بعبادة الاصنام
ففيه من التواضع له مع التعريض بشقاوتهم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله اي ذهب
مهاجرا وهبنا له اي بعد الهجرة اسحاق ويعقوب اي آنسنا وحشته من فراقهم باولاد كرام على
الله وكلا جعلنا نبيا اي انعمنا عليهما بالنبوة ووهبنا لهم من رحمتنا اي مع ما وهبنا لهم من
النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد
وجعلنا لهم لسان صدق عليا يعني ثناء حسنا رفيعا في كل اهل دين حتى ادعاهم اهل
الاديان كلهم فهم يتولون بهم ويثنون عليهم قوله عز وجل واذكر في الكتاب موسى انه كان
مخلصا قرئ بكسر اللام اي اخلص العبادة والطاعة لله عز وجل ولم يراء وقرئ بالفتح
اي مختارا اختاره الله تعالى واستخلصه واصطفاه وكان رسولا نبيا فهذان وصفان
مختلفان فكل رسول نبي ولا ينعكس وناديناه من جانب الطور الايمن اي من ناحية يمين موسى

والطور جبل بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين وراي
الغار فنودي يا موسي انني انا الله رب العالمين **وقربناه** قال ابن عباس قربه فكلمه ومعني
التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه علي الحجب حتي سمع صرير الاقلام وقيل معناه
رفع قدره ومنزلته وشرفناه بالمناجاة وهو قوله وقربناه **نجيا** اي مناجيا **ووهبنا له من
رحمتنا اخاه هارون نبيا** وذلك لان موسي دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون
اخي فاجاب الله دعوته وارسل الي هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون اكبر
من موسي قوله تعالي **واذكر في الكتاب اسماعيل** هو اسماعيل بن ابراهيم وهو جد النبي
صلي الله عليه وسلم **انه كان صادق الوعد** قيل انه لم يعد شيا الا وفي به وقيل انه وعد رجلا
ان يقيم مكانه حتي يرجع الرجل فاقام اسماعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتي رجع اليه
الرجل وقيل انه وعد من نفسه الصبر علي الذبح فوفي به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن
الشريف سيل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الي اي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل
النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسيل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة
ينتظره الي وقت صلاة اخري **وكان رسولا** اي الي جرهم وهي قبيلة من عرب اليمن نزلوا علي
هاجر ام اسماعيل بوادي مكة حين خلفهم ابراهيم وهو جرهم بن يقطن وهو قحطان بن
عابر بن شالخ وقحطان ابو قبايل اليمن **نبيا** اي مخبرا عن الله تعالي **وكان يامر اهله** اي قومه
وقيل جميع امته **بالصلاة والزكاة** قال ابن عباس يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفية
التي افترضت علينا وقيل كان يبدا باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن
سواهم **وكان عند ربه مرضيا** اي قايما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا
نهاية في المدح لان المرضي عند الله تعالي هو الفايز في كل طاعته باعلا الدرجات قوله عز وجل
واذكر في الكتاب ادريس هو جد ابي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب
وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبله
يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب **انه
كان صديقا نبيا** وذلك ان الله تعالي شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة **ورفعناه مكانا
عليا** قيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الي السما وهو الاصح يدل عليه
ما روي انس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه راي ادريس في
السما الرابعة علي ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج
الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها خمسماية عام في يوم واحد اللهم
خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان خفف

عنك

عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن
لي حتي اتي ادريس فكان مما يساله ان قال اني اخبرت انك اكرم الملايكة
وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليوخر اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يوخر
نفسا اذا جا اجلها وانا مكلمه فرفعه الي السما ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتي ملك الموت
فقال لي اليك حاجة صديق لي من بني ادم تشفع بي اليك لتوخر اجله فقال ملك الموت
ليس ذلك الي ولكن ان احببت اعلمته اجله فيتقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه
فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك قال لا اجده يموت
الا عند مطلع الشمس قال اني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقد
مات فوالله ما بقي من اجل ادريس شي فرجع الملك فوجده ميتا قال وهب كان يرفع لادريس
كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل الارض في زمانه فعجب منه الملايكة واشتاق
اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته فاذن له فاتاه في صورة بني ادم وكان ادريس يصوم
الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الي طعامه فابي ان ياكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال
فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت
ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فاوحي الله اليه ان اقبض
روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفايدة في
سوالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمته فاكون اشد استعدادا له ثم قال له
ادريس ان لي اليك حاجة اخري قال وما هي قال ترفعني الي السما لانظر اليها والي الجنة
والنار فاذن الله فرفعه فلما قرب من النار قال له حاجة قال وما تريد قال تسال مالكا
حتي يفتح ابوابها فاردها ففعل ثم قال فكما اريتني النار فارني الجنة فذهب به الي الجنة
فاستفتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الي مقرك فتعلق بشجرة
وقال ما اخرج منها فبعث الله تعالي ملكا حكما بينهما قال له الملك ما لك لا تخرج قال لان الله
تعالي قال كل نفس ذايقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما
هم منها بمخرجين فلست اخرج فاوحي الله الي ملك الموت باذني دخل الجنة وبامري يخرج فهو
حي هناك فذلك قوله ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السما ام ميت فقال
قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا اربعة من الانبيا في الاحيا اثنان في الارض وهما
الخضر والياس واثنان في السما وهما عيسي وادريس قوله عز وجل **اوليك الذين انعم الله
عليهم من النبيين** اوليك اشارة الي المذكورين في هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة
وغيرها مما تقدم وصفه **من ذرية ادم** يعني ادريس ونوحا **وممن حملنا مع نوح** اي من ذرية
من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح **ومن ذرية ابراهيم**

يعني اسماعيل واسحاق ويعقوب واسرايل اي ومن ذرية اسرايل وهو يعقوب وهم موسى
وهارون وزكريا ويحيى وعيسى فرتب الله تعالى احوال الانبيا الذين ذكرهم على هذا
الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى وممن هدينا
الى الاسلام واجتبينا على الانام اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا جمع ساجد وبكيا
جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبيا عليهم السلام كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا
خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الايات ما خصهم به من الكتب المنزلة
عليهم وقيل المراد بالايات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكا
وخشوع القلب عند سماع القران فصل وسجدة سورة مريم من عزايم سجود
القران فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب
لمن قرا اية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرا سجدة سبحان
قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرا سجدة مريم قال اللهم
اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وان سجدة
سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك
ان اكون من المستكبرين عن امرك قوله تعالى فخلف من بعدهم اي من بعد النبيين المذكورين
خلف اي قوم سوء اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة
اضاعوا الصلاة اي تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهو ان لا يصلي
الظهر حتى ياتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس واتبعوا الشهوات اي اثروا
شهوات انفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور وقيل هؤلا قوم
يظهرون في اخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة فسوف يلقون غيا
قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد للزاني المصر عليه
والشارب المدمن عليه ولاكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور
وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم
ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بير تسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البير فتسعر
بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه
الاجتماع والملابسة مع الروية الا من تاب وامن وعمل صالحا يعني الا من تاب من التقصير
في الصلاة والمعاصي وامن اي من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيا اي لا ينقصون ثوابا ثم وصف الجنة فقال تعالى جنات عدن اي بساتين
اقامة وصفها بالدوام بخلاف حال جنات الدنيا فانها لا تدوم التي وعد الرحمن عباده
بالغيب اي انهم لم يروها فهي غايبة عنهم وهم غايبون عنها انه كان وعده ماتيا اي اتيا وقيل

معنى وعده موعوده وهو الجنة ماتيا اي ياتيه اولياوه واهل طاعته لا يسمعون
فيها لغوا اي باطلا وفحشا وفضولا من الكلام الا سلاما اي بل يسمعون فيها سلاما والسلام
اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لا يسمعون فيها ما يوثمهم
انما يسمعوا تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملايكة عليهم وقيل هو تسليم
الله عليهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال اهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى
يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور ابدا ولكنهم يوتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار
كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخا الحجب
وقيل المراد منه رفاهة العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت
العرب لا تعرف افضل من الرزق الذي يوتى به بالبكرة والعشي فوصف الله الجنة بذلك
تلك الجنة التي نورث من عبادنا اي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المومنين المساكن التي
كانت لاهل النار لو امنوا من كان تقيا اي المتقين من عباده قوله عز وجل وما نتنزل الا
بامر ربك خ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر
مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا الاية قال فكان هذا
جواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله
قوم عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شا الله حتى
شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور
اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله وما نتنزل الا بامر ربك وانزل والضحى
والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا اي له علم ما بين
ايدينا وما خلفنا وقيل اكد ذلك بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا اي هو المدبر لنا في كل
الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين ايدينا من امر الاخرة والثواب والعقاب
وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اي من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين
ذلك هو ما بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا
وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وما كان ربك نسيا اي ناسيا
اي ما نسيك ربك وما تركك رب السموات والارض وما بينهما اي من يكون كذلك لا يجوز
عليه النسيان لانه لا بد ان يدبر احوالها كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله
لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته اي اصبر
على نهيه وامره هل تعلم له سميا قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا يسمى الله غيره
قوله تعالى ويقول الانسان اي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو

ابي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث أئذا ما مت لسوف اخرج حيا قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى اولا يذكر الانسان اي يتذكر ويتفكر يعني يتذكر البعث انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلايق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه فقال اذ لاشك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ثم اقسم بنفسه فقال تعالى فوربك وفيه تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم لنحشرنهم اي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث والشياطين اي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل لان البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله وترى كل امة جاثية قلت وصفوا بالجثي على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما كان فيه من التملق لما يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا ثم لننزعن اي لنخرجن من كل شيعة اي من كل امة واهل دين من الكفار ايهم اشد على الرحمن عتيا قال ابن عباس يعني جراة وقيل فجورا وتمردا وقيل قايدهم وراسهم في الشر والمعنى انه يقدم في دخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان اشدهم تمردا في كفره خص بعذاب اعظم واشد لان عذاب الضال المضل وجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال فقايدة هذا التمييز التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا فلا يقال اولى الا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الاية انهم احق بدخول النار قوله عز وجل وان منكم الا واردها اي وما منكم الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود هاهنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين منها يدل عليه ما روي ان نافع بن الازرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فتلا ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها هولاء ام لا ثم قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله وما ارى الله يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المومن النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور ولان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يندفع عن المومن حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فيعبرها المومنون ويحتمل ان الله

وقيل ... الا واردها

يجعل

يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المومنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملايكة الموكلين بها لا يجدون المها فان قلت اذا لم يكن على المومنين عذاب فما فايدة دخولهم النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون المومنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مومن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولايك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والروية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الاية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه اهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي الشرك وهم المومنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم اخرجاه في الصحيحين اراد بالقسم قوله وان منكم الا واردها م عن ام مبشر الانصارية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحتها قالت يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي وروي عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المومن من النار ق عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قوله فيح جهنم اي وهجها وحرها وقوله تعالى كان ذلك على ربك حتما مقضيا اي كان ورود جهنم لازما قضاه الله عليكم واوجبه ثم ننجي الذين اتقوا اي الشرك ونذر الظالمين فيها جثيا اي جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل ان الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى في النار ابدا واجيب عنه بان المتقي هو الذي يتقي الشرك بقول لا اله الا الله ويشهد بصحة ذلك ان من امن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق عن الشرك ومن صدق عليه انه

ثبت

منتق عن الشرك صدق عليه انه منتق لان المتقي جزء من المتقي عن الشرك ومتى صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة منتق واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من النار لعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الاية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلايل على فساد قولهم هذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث تدل على اخراج الموحدين من النار عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان ق عن ابي هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جا ربنا عرفناه فياتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يوميذ الا الرسل وكلام الرسل يوميذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجوا حتى اذا اراد الله رحمة من اراد من اهل النار امر الله الملايكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم باثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اثار السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ما الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضا من العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو اخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها واحرقني ذكاوها فيقول هل عسيت ان فعل ذلك بك ان تسال غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شا من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة راى بهجتها سكت ما شا الله ان يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله اليس قد اعطيت العهود والميثاق ان لا تسال غير الذي كنت سالت فيقول يا رب لا اكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت ان اعطيت ذلك ان لا تسال غيره فيقول وعزتك لا اسال غير ذلك فيعطي ربه ما شا من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها راى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شا الله ان يسكت فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن ادم ما اغدرك اليس قد اعطيت العهد والميثاق ان لا تسال

غير

٢٧

غير الذي اعطيت فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم ياذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطع امنيته قال الله تمن من كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لك ذلك وعشرة امثاله قال ابو هريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد سمعته يقول ذلك لك وعشرة امثاله وفي رواية للبخاري قال فياتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا اتانا عرفناه فياتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قلت اما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الروية فياتي في تفسير سورة ن والقيامة ونتكلم ها هنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من اجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يعني اوبقته الذنوب اي اهلكته والمخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا اي احترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحا هو البزور جمعها وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الما على شاطيه قوله قشبني ريحها اي اذاني والقشب السم فكانه قال قد سمني ريحها واحرقني ذكاها اي اشتعالها ولهبها قوله زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فياتيها فيخيل اليه انها ملاى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملاى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة قال فياتيها فيخيل اليه انها ملاى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملاى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها او ان لك مثل عشرة امثال الدنيا فيقول اتسخر بي وانت الملك فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك ادنى اهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه وقيل هو اخر الاسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة الما فينبتون كما ينبت الغثا في حميل السيل اخرجه الترمذي الحمم الفحم والغثا كلما جا به السيل فدلت الاية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الاية الثانية والاحاديث ان الله تعالى اخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى واذا تتلى

عليهم اياتنا بينات اي دلايلنا واضحات قال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث وذويه
من كفار قريش للذين امنوا يعني فقرا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة
وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون
رؤسهم ويلبسون افخر ثيابهم اي الفريقين خير مقاما اي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة
واحسن نديا اي مجلسا فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا
اي متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا ولباسا ورءيا اي منظرا من الروية قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى اذا
راوا ما يوعدون اما العذاب اي الاسر والقتل في الدنيا واما الساعة يعني القيامة
فيدخلون النار فسيعلمون اي عند ذلك من هو شر مكانا اي منزلا واضعف جندا
اي اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون انهم خير وهم في النار ام المومنون وهم في الجنة
وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قوله عز وجل ويزيد
الله الذين اهتدوا هدى اي ايمانا وايقانا على يقينهم والباقيات الصالحات اي الاذكار
والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها خير عند ربك ثوابا وخير مردا اي عاقبة ومرجعا
قوله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا الاية ق عن خباب بن الارت قال كنت قينا في الجاهلية
وكان لي على العاص بن وايل سيفا فجيته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت له لا اكفر
حتى يميتك الله ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى اموت وابعث
فساوتي مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا
الى قوله فردا القين الحداد ثم رد الله عليه بقوله اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في اللوح
المحفوظ وقيل اعلم علم الغيب حتى يعلم افي الجنة هو ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا
يعني قال لا اله الا الله وقيل عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه ان يدخله
الجنة كلا يعني رد عليه يعني لم يفعل ذلك سنكتب ما يقول اي سنحفظ عليه ما يقول
فنجازيه به في الاخرة وقيل نامر الملايكة حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب
مدا اي نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ونرثه ما يقول اي ما عنده
من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل نزول عنه ما عنده من مال وولد
فلا يعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله وياتينا اي يوم
القيامة فردا بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يتعذر في الاخرة بمال وولد قوله تعالى واتخذوا
من دون الله الهة يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا
اي منعة يعني يكونون شفعا يمنعونهم من العذاب كلا اي ليس الامر كما زعموا سيكفرون
بعبادتهم يعني تجحد الاصنام والالهة التي كانوا يعبدون لها عبادة المشركين ويتبرون

منهم

منهم ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل اعداهم وكانوا
اوليائهم في الدنيا قوله عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم
عليهم تؤزهم ازا اي تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحركهم على
المعاصي تحريكا شديدا وفي الاية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكاينات فلا تعجل
عليهم اي لا تعجل بطلب عقوبتهم انما نعد لهم عدا يعني الليالي والايام والشهور والاعوام
وقيل الانفاس التي يتنفسون بها في الدنيا الى الاجل الذي اجل لعذابهم قوله عز وجل يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا
بطاعته الى جنته جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة على الابل وقال علي
ابن ابي طالب ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجايب سروجها
يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت ونسوق المجرمين اي الكافرين الى جهنم
وردا اي مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الما
ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم
عطاش تساق الى الما ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة على ثلاث طرايق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلثة على بعير
وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا
وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من
القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر الناس يوم القيامة ثلاثة
اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون
بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا يعني لا اله الا الله اي لا يشفع الا المومن وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني
اليهود والنصارى ومن زعم ان الملايكة بنات الله من العرب لقد جيتم شيا ادا قال ابن
عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم شيا عظيما تكاد السموات يتفطرن منه من الانفطار
وهو التشقق وتنشق الارض اي تخسف بهم وتخر الجبال هدا اي تسقط وتنطبق عليهم
ان دعوا اي من اجل ان جعلوا للرحمن ولدا فان قلت ما معنى انفطار السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات قلت
فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال
عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة
الثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها

لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلايق الا الثقلين
وكادت ان تزول وغضبت الملايكة واستعرت جهنم حيث قالوا لله ولد ثم نزه الله نفسه
عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما يليق به اتخاذ الولد
ولا يوصف به لان الولد لا بد ان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ
الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من سروره به واستعانته وذكر جميل بعده وكل ذلك
لا يليق بالله تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا اي اتيه يوم القيمة عبدا
ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلايق كلهم عبيده لقد احصاهم وعدهم عدا اي عد انفاسهم
وايامهم واثارهم فلا يخفى عليه شي من امورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته
وكلهم اتيه يوم القيامة فردا اي وحيدا ليس معه من احوال الدنيا شي قوله عز وجل
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي محبة قيل يحبهم الله ويحببهم
الى عباده المومنين ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله سبحانه وتعالى
العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي في اهل السما
ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية
لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا
جبريل فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السما فيقول ان الله
يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض عبدا
دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل
السما ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضا في الارض قال هرم بن حيان
ما اقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المومنين اليه حتى يرزقه مودتهم
وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداوها من الله ينزلها
على اهل السما ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القران سيجعل لهم الرحمن ودا
قوله تعالى فانما يسرناه اي سهلنا القران بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني المومنين
وتنذر به اي بالقران قوما لدا اي شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد
الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل وكم اهلكنا قبلهم من قرن
ختم الله هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وايقنوا انه لا بد من زوال
الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سو العاقبة في الاخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي
اقرب ثم اكد ذلك فقال تعالى هل تحس منهم اي هل ترى وقيل هل تجد منهم اي
القرون من احد او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم
عين ولا اثر والله اعلم تفسير سورة طه وهي مكية وهي مائة واربع وقيل

خمس وثلاثون اية والف وثلثماية واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف ومايتان
واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة
التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت
فواتح القران وخواتم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل
نافلة النافلة الزيادة بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طه قيل هو قسم اقسم الله
بطوله وهدايته وقيل هو اسم من اسما الله تعالى فالطا افتتاح طاهر والها افتتاح
اسمه هادي وقيل معناه يا رجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان
قيل هو بالسريانية وقيل بالنبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه
اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبايل العرب وقيل
معناه طا الارض بقدميك يريد به في التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه من الصلاة لطول قيامه وكان
يصلي الليل كله فانزل الله هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه فقال طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى وقيل لما راى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما انزل عليك القران يا محمد
الا لشقايك فنزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعنى وتتعب الا تذكرة لمن يخشى
اي لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون بها تنزيلا ممن
خلق الارض والسموات العلى اي من الله الذي خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التي
لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها غير الله تعالى الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام
عليه في سورة الاعراف مستوفى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما يعني الهوى وما تحت
الثرى اي انه مالك لجميع ما في الاربعة الاقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه
ما ورا الثرى من شي وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر وراسه وذنبه
يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضرا خضرة السما منها وهي الصخرة التي ذكر الله في
قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى
وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا
وقعت في جوفه يبست قوله تعالى وان تجهر بالقول اي تعلن به فانه يعلم السر واخفى
قال ابن عباس السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم
انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما
اسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما اسره ابن ادم في نفسه واخفى ما غيبه
مما هو فاعله قبل ان يعمله وقيل السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسره الى نفسه
وقيل السر هو العمل الذي يسره في الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان تعلم ان الله تعالى

يعلم اسرار العباد واخفى هو سره من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الاية
زجر المكلف عن القبايح ظاهرة كانت او باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت
او باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر والاخفى على ما فيه ثواب وعقاب فالسر
هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفى هو الذي لم يبلغ حد
العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى تانيث الحسن
والذي فضلت به اسماوه في الحسن ساير الاسماء لانها على معاني التقديس والتحميد
والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله عز وجل وهل اتاك حديث
موسى اي وقد اتاك لما تقدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه السلام
ليتاسى به في تحمل اعبا النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدايد حتى ينال
عند الله الفوز والمقام المحمود اذ راى نارا وذلك ان موسى استاذن شعيبا في الرجوع من
مدين الى مصر ليزور والدته واخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت ايام الشتا فاخذ
على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل في شهرها لا يدري اليلا تضع ام نهارا
فسار في البرية غير عارف بطرقها فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك
في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته واخذ امراته الطلق
فاخذ زنده وجعل يقدح فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب
الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا اني انست نارا اي ابصرت نارا لعلي اتيكم منها بقبس
اي شعلة من نار في طرف عود او اجد على النار هدى اي اجد على النار من يدلني على الطريق
فلما اتاها اي اتى النار راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها اطافت بها نار بيضا تتقد كاضوء
ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت شجرة
سمر خضرا وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة العناب روي ذلك
عن ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي راه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى
عليه السلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب تبارك وتعالى وقيل هي النار بعينها
وهي احدى حجب الله تعالى يدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
حجابه النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم
قيل ان موسى اخذ شيا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نات منه واذا نای
دنت فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملايكة والقيت عليه السكينة نودي يا موسى اني انا
ربك قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما يدري من دعاه فقال اني
اسمع صوتك ولا ادري مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب
اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل اجزايه حتى ان كل

جارحة منه كانت اذنا وقوله فاخلع نعليك كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا
في قوله اخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وانما امر بخلعهما صيانة
للوادي المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة فتناله بركتها لانها قدست
مرتين لانها قد تخلعها موسى فالقاهما من وراء الوادي انك بالواد المقدس اي المطهر طوى اسم
للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل الطوي في استدارته وانا اخترتك
اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي فاستمع لما يوحى فيه نهاية الهيبة والجلالة كانه قال
لقد جاءك امر عظيم فتاهب له انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري واقم الصلاة
لذكري اي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب
وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضا اخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها
ق عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكر لا كفارة لها الا ذلك
وتلا قتادة اقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها
اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال
اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك
على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشي يقولون كتمت سرك في نفسي اي اخفيته غاية
الاخفا والله تعالى لا يخفى عليه شي والمعنى في اخفايها التهويل والتخويف لانهم اذا لم
يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفا وقت الموت
على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضا اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك
الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف
وقت موته لا يزال على قدم الخوف والرجا فيترك المعاصي او يتوب منها في كل وقت خوف معاجلة الاجل
وقوله لتجزى كل نفس بما تسعى اي بما تعمل من خير وشر فلا يصدنك عنها من لا يومن بها اي فلا يصرفنك
عن الايمان بالساعة ومجيها من لا يومن بها واتبع هواه اي مراده وخالف امر الله فتردى اي فتهلك
قوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى سوال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها
عصى حتى اذا قلبها حية علم انه معجز عظيم قال هي عصاي قيل كان لها شعبتان وفي اسفلها
سنان ولها محجن واسمها نبعه اتوكا عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا اعييت وعند
الوثبة واهش بها على غنمي اي اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ولي فيها
مارب اخرى اي حاجات ومنافع اخرى واراد بالمارب ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل
بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي بها الما من البير ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل
بها اذا قعد وروي عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدثه
وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما ياكل يومه ويركزها فيخرج الما فاذا رفعها ذهب الما

وكان اذا اشتهي ثمرة وركزها فتغصنت غصن تلك الشجرة واورقت واثمرت واذا اراد الاستقا
من البير ادلاها فطالت علي طول البير وصارت شعبتاها كالدلو حتي يستقي وكانت تضي بالليل
كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه قال الله تعالى القها يا موسى اي ابذها واطرحها
قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها فالقاها اي فطرحها علي وجه الارض ثم حانت منه نظرة فاذا
هي حية صفرا من اعظم ما يكون من الحيات تسعى اي تمشي بسرعة علي بطنها وقال في موضع اخر كانها
جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر كانها ثعبان وهو اكبر ما يكون من
الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبيرة والصغيرة والذكر والانثي فالجان عبارة عن ابتدا
حالها فانها كانت حية علي قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتي صارت ثعبانا وهو عبارة
عن انتها حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحاق نظر موسى
فاذا العصي حية من اعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا
تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلقة من الابل فتلقمها
وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها وتسمع لاسنانها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولي مدبرا
وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحيا منه ثم نودي يا موسى اقبل ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد
الخوف قال خذها اي بيمينك ولا تخف قيل كان خوفه لما عرف ما لقي ادم من الحية وقيل لما
قال له ربه لا تخف بلغ من طمانينة نفسه وذهاب الخوف ان ادخل يده في فمها واخذ بلحيها
سنعيدها سيرتها الاولى اي الي هيئتها فنردها عصي كما كانت وقيل كان علي موسى مدرعة
صوف قد خلها بغير اذن فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة علي يده فقال له ملك
ارايت لو اذن الله بما تحاذره اكانت المدرعة تغني عنك شيا قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت
فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع
الذي كان يضعها اذا توكا قال المفسرون اراد الله تعالى ان يري موسى ما اعطاه من الاية التي لا يقدر
عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى واضمم يدك الي جناحك اي الي
ابطك وقيل تحت عضدك تخرج بيضا نيرة مشرقة من غير سوء اي من غير عيب والسوء ها هنا
بمعني البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضي بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر
اية اخرى اي دلالة اخري علي صدقك سوي العصي لنريك من اياتنا الكبرى قال ابن عباس كانت يد
موسى اكبر اياته قوله عز وجل اذهب الي فرعون انه طغى اي جاوز الحد في العصيان والتمرد
وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الي الكل لانه ادعي الالهية وتكبر وكان
متبوعا فكان ذكره الاولي قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق
برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني تستكمل
بها القوة في امري بعثتك الي خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري حتي جحد حقي وانكر ربوبيتي
واني اقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة

جبار

جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الي عبادتي وحذره نقمتي
وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي
قال فسكت موسى فجاه ملك فقال اجب ربك قال يعني موسى رب اشرح لي صدري
اي وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتي لا اخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون
خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وقد كان يضيق بما كان من مقاومة فرعون
وحده فسال الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتي يعلم ان احدا لا يقدر علي مضرته الا باذن
الله واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي امري اي سهل
علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الي فرعون واحلل عقدة من لساني وذلك ان موسى
كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامراته
اسية ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت له اسية انه صبي لا يعقل وقيل ان ام موسى
لما فطمته ردته الي فرعون فنشا في حجره وحجر امراته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو
يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب راس فرعون فغضب فرعون
وتطير به حتي هم بقتله فقالت اسية ايها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان شيت
فجات بطشتين في احدهما جمر وفي الاخر جوهر فوضعتهما بين يدي موسى فاراد ان ياخذ
الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها علي الجمر فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق
لسانه وصارت فيه عقدة يفقهوا قولي اي احلل العقدة كي يفقهوا كلامي واجعل لي وزيرا
من اهلي اي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو
فقال هارون اخي وكان هارون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم كان ابيض اللون وكان
موسى ادم اقني جعدا اشدد به ازري اي قوي به ظهري واشركه في امري اي في امر النبوة وتبليغ
الرسالة كي نسبحك كثيرا اي نصلي لك كثيرا ونذكرك كثيرا اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا
من جميل نعمك انك كنت بنا بصيرا اي خبيرا عليما قال الله تعالى قد اوتيت سولك اي اعطيت
يا موسى جميع ما سالته ولقد مننا عليك مرة اخرى اي قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله اذ اوحينا
الي امك وحي الهام ما يوحى اي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال ان اقذفيه
في التابوت اي الهمناها ان اجعليه في التابوت فاقذفيه في اليم يعني نهر النيل فليلقه اليم
بالساحل يعني شاطي البحر ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه
قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه
نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس علي البركة مع امراته اسية اذا بتابوت يجي به الما
فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي من اصبح الناس
وجها فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله والقيت عليك محبة مني

قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه فيل ما راه احد الا احبه للاخة كانت
في عيني موسي ولتصنع علي عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي
الرجل ابنه بعينيه اذا اعتني به ونظر اليه اذ تمشي اختك واسمها مريم متعرفة خبره
فتقول هل ادلكم علي من يكفله اي علي امراة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي
امراة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك
الي امك كي تقر عينها اي بلقايك ورويتك ولا تحزن اي وليذهب عنها الحزن وقتلت نفسا
قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثني عشر سنة فنجيناك من
الغم اي من غم القتل وكربه وفتناك فتونا قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل
ابتليناك ابتلا قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى
منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاه في البحر
في التابوت ثم منعه الرضاع الامن ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله
ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الي مدين خايفا فلبثت
اي فمكثت سنين في اهل مدين هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسي
قال وهب لبث موسي عند شعيب ثمان وعشرين سنة عشر سنين منها يرعي الغنم مهر زوجته
صفيرا ابنت شعيب وثمان عشرة سنة اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له ثم جيت علي قدر يا موسي
اي جيت علي القدر الذي قدرت ان تجي فيه قيل علي راس اربعين سنة وهو القدر الذي
يوحي الي الانبيا فيه واصطنعتك لنفسي اي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي
لتتصرف علي ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامه باداء الرسالة تصرف علي ارادة الله تعالي
ومحبته وقيل معناه اخترتك لامري وجعلتك القايم بحجتي والمخاطب بيني وبين
خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم اذهب انت واخوك باياتي اي بدلايلي
وقال ابن عباس يعني الايات التسع التي بعث بها موسي ولا تنيا اي لا تضعفا وقيل لا تفترا
ولا تقصرا عن ذكري اي لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة
شكرها اذهبا الي فرعون انه طغي فقولا له قولا لينا اي داراياه وارفقا به قال ابن عباس
لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا له يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل المراد بالقول
اللين هل لك الي ان تزكي الاية وقيل امرهما باللطافة لما له من حق تربية موسي وقيل
عداه علي قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقي عليه لذة المطعم
والمشرب والمنكح الي حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسي وعده بذلك اعجبه
وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غايبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسي وقال
اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت اري ان لك عقلا وراييا وانت رب تريد ان تكون مربوبا
وانت

وانت تعبد تريد ان تعبد فقلبه علي رايه وكان هامان بمصر فامر الله موسي ان ياتي
هارون واوحي الله الي هارون وهو بمصر ان يتلقي موسي فتلقاه الي مرحلة واخبره بما
اوحي اليه وقوله تعالي لعله يتذكر او يخشي اي يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال
لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا علي رجا
منكما وطمع وقضا الله ورا امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقيل هو
ينصرف الي غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر ويخشي خاش اذا راي بري والطافي
بمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعي الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر
فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكري والخشية وذلك حين الجمه الغرق وقرا رجل عند يحيي
ابن معاذ الرازي فقولا له قولا لينا الاية فبكا يحيي وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله
فكيف رفقك بمن يقول انت الاله قالا يعني موسي وهارون ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة او ان يطغي اي يجاوز الحد في الاساءة
الينا قال لا تخافا انني معكما اسمع واري قال ابن عباس اسمع دعاكما فاجيبه واري ما يراد بكما
فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما فاتياه فقولا انا رسولا ربك اي ارسلنا اليك ربك
فارسل معنا بني اسرايل اي خل عنهم واطلقهم عن اعمالك ولا تعذبهم اي لا تتعبهم في العمل
وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبنا وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير
ذلك قد جيناك باية من ربك قال فرعون وما هي فاخرج موسي يده لها شعاع كشعاع
الشمس وقيل معناه قد جيناك بمعجزة وبرهان يدل علي صدقنا علي ما ادعينا من الرسالة
والسلام علي من اتبع الهدي ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب
من سلم انا قد اوحي الينا ان العذاب علي من كذب وتولي اي انما يعذب الله من كذب بما جينا
به واعرض عنه قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسي اي من الهكما الذي ارسلكما قال ربنا
الذي اعطي كل شي خلقه ثم هدي اي كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطي كل شي
صلاحه وهداه وقيل اعطي كل شي صورته تخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان
للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الي منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل
يعني جعل زوجة الرجل المراة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرة وللحمار الاتان
ثم هدي اي الهمه كيف ياتي الذكر الانثي قال يعني فرعون فما بال القرون الاولي يعني فما حال
القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان
وتنكر البعث وانما قال ذلك فرعون لموسي حين خوفهم مصارع الامم الخالية فتحير فقال
فرعون فما بال القرون الاولي قال يعني موسي علمها عند ربي اي اعمالهم محفوظة عند الله يجازي

بها وقيل انما رد موسي علم ذلك الي الله تعالي لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما انزلت
بعد هلاك فرعون وقومه في كتاب يعني اللوح المحفوظ لا يضل ربي اي لا يخطي وقيل
لا يغيب عنه شي ولا ينسي اي فيتذكر وقيل لا ينسي ما كان من اعمالهم حتي يجازيهم بها
الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا وقيل مهدها لكم وسلك لكم فيها سبلا اي ادخل
في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها وانزل من السما ما يعني المطر تم الاخبار عن
موسي ثم قال الله تعالي فاخرجنا به اي بذلك الما ازواجا اي اصنافا من نبات شتي
اي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما للناس ومنها ما للدواب كلوا وارعوا انعامكم
اي اخرجنا اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي ان في ذلك اي الذي ذكرت لايات
لاولي النهي اي لذوي العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم منها خلقناكم
اي من الارض خلقنا ادم وقيل ان الملك ينطلق فياخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره
علي النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن ومنها
نخرجكم تارة اخري اي يوم القيمة للبعث والحساب قوله عز وجل ولقد اريناه يعني فرعون
اياتنا كلها يعني الايات التسع التي اعطاها الله موسي فكذب وابي يعني فرعون وزعم
انها سحر وابا ان يسلم قال يعني فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا يعني مصر بسحرك يا موسي
اي تريد ان تغلب علي ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها فلناتينك بسحر مثله فاجعل
بيننا وبينك موعدا اي اضرب اجلا وميقاتا لا نخلفه اي لا نجاوزه نحن ولا انت مكانا
سوي اي مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا يستوي مسافة الفريقين اليه وقيل معناه
سوي هذا المكان قال يعني موسي موعدكم يوم الزينة قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه
ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشورا وان يحشر الناس
ضحي اي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة فتولي فرعون فجمع يعني فرعون
كيده اي مكره وحيلته وسحرته ثم اتي الميعاد قال لهم موسي يعني للسحرة الذين جمعهم
فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصي وقيل كانوا اربعمائة
وقيل كانوا اثني عشر الفا ويلكم لا تفتروا علي الله كذبا فيسحتكم بعذاب اي فيهلككم
ويستاصلكم وقد خاب من افتري اي خسر من ادعي مع الله الها اخر وقيل معناه خسر من كذب
علي الله قوله عز وجل فتنازعوا امرهم بينهم اي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في امر
موسي سرا من فرعون فقالوا ان غلبنا موسي اتبعناه وقيل لما قال لهم لا تفتروا علي الله
كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسروا النجوي اي المناجاة قالوا قال
بعضهم لبعض سرا ان هذان لساحران يعني موسي وهارون يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
يعني مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلي قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافهم وقيل

معناه

معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل ارادا اهل طريقتكم المثلي وهم بنو اسرايل يعني
يريدان يذهبا بهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بسنتكم ودينكم الذي انتم عليه فاجمعوا
كيدكم اي لا تدعوا شيا من كيدكم الا جيتم به وقيل معناه اعزموا كلكم علي كيده مجتمعين
له ولا تختلفوا فيختل امركم ثم ايتوا صفا يعني جميعا مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل
معناه ثم ايتوا المكان الموعود وقد افلح اليوم من استعلي يعني فاز من غلب قالوا يعني السحرة
يا موسي اما ان تلقي اي عصاك واما ان نكون اول من القي اي عصاه قال يعني موسي بل القوا يعني
انتم اولا فاذا حبالهم فيه اضمار اي فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها
تسعي قيل انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا اعين الناس فراي موسي كان الارض مملات
حيات وكانت قد اخذت ميلا في ميل من كل جانب وراها انها تسعي فاوجس اي اضمر وقيل
وجد في نفسه خيفة موسي قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه
خاف علي القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في امره فلا يتبعوه قلنا لا تخف اي قال الله لموسي
لا تخف انك انت الاعلي اي الغالب عليهم ولك الغلبة والظفر والق ما في يمينك اي عصاك
والمعني لا تحتفل بكثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيا اعظم منها كلها تلقف اي تلقم
وتبتلع ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر اي حيلة ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتي
اي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون
وموسي قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر
والجحود ثم القوا رووسهم للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقايين وقيل انهم لم
يرفعوا رووسهم حتي راوا الجنة والنار وقيل لما سجدوا اراهم الله تعالي في سجودهم منازلهم
التي يصيرون اليها في الجنة قال يعني فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم اي لرييسكم
وعظيمكم يعني انه اسحركم واعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف اي اقطع اليد اليمني والرجل اليسري ولاصلبنكم في جذوع النخل
اي علي جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا اي علي ايمانكم به انا او رب موسي علي ترك الايمان به
وابقي اي ادوم قالوا يعني السحرة لن نوثرك اي لن نختارك علي ما جانا من البينات يعني الدلالات
الواضحات قيل هي اليد والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا
وعصينا وقيل انهم لما سجدوا راوا الجنة والنار وراوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا
لن نوثرك علي ما جانا من البينات والذي فطرنا قيل هو قسم وقيل معناه لن نوثرك علي الله
الذي فطرنا فاقض ما انت قاض اي فاصنع ما انت صانع انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي انما
امرك وسلطانك في الدنيا وتزول عن قريب انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه من السحر فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاوا مختارين غير مكرهين قلت كان

فرعون اكرههم في الابتدا على تعلم السحر لكيلا يذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين
اثنان من القبط وسبعون من بني اسرايل كان فرعون اكره الذين هم من بني اسرايل على تعلم السحر
وقيل قال السحرة لفرعون ارنا موسى اذا هو نام فاراهم موسى نايما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون
هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم واكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم
وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى اي خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك
ان اطيع وابقى عذابا منك ان عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه
من يات ربه مجرما قيل هذا ابتدا كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من
مات على الشرك فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة ينتفع بها ومن ياته مومنا
اي مات على الايمان قد عمل الصالحات فاوليك لهم الدرجات العلى اي الرفيعة العلية ثم فسر
الدرجات فقال تعالى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا من تزكى
اي تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون
النجم الطالع في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم وانعما اخرجه الترمذي قوله وانعما
يقال احسن فلان الي وانعم اي وافضل وزاد في الاحسان والمعنى انهما منهم وزادا وتناهيا
الى الغاية قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي اسر بهم ليلا من ارض مصر فاضرب
لهم طريقا اي اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا يبسا اي يابسا ليس فيه ما ولا طين
وذلك ان الله تعالى ايبس لهم الطريق في البحر لا تخاف دركا ولا تخشى قيل معناه لا تخاف
ان يدركك فرعون من ورايك ولا تخشى ان يغرقك البحر امامك فاتبعهم اي فلحقهم فرعون
بجنوده فغشيهم اي اصابهم من اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم
ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه واضل فرعون
قومه وما هدى اي وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون في قوله وما اهديكم الا
سبيل الرشاد قوله عز وجل يا بني اسرايل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور
الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله تعالى النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما
واعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما قال وواعدناكم
لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم
وشريعتهم وفيما افاض عليهم من سابغ نعمه وارزاقه كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا
فيه قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تنفقوا ولا تتقووا
بنعمتي على معاصي وقيل لا تدخروا فيحل عليكم غضبي اي يجب عليكم غضبي ومن يحلل
عليه غضبي فقد هوى اي هلك وسقط في النار واني لغفار لمن تاب قال ابن عباس

تاب من الشرك وامن اي وحد الله وصدقه وعمل صالحا اي ادى الفرايض ثم اهتدى قال ابن
عباس اي علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا
وقيل اقام على السنة قوله تعالى وما اعجلك اي وما حملك على العجلة عن قومك يا موسى
وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه الى الطور لياخذوا
التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان
يتبعوه الى الجبل فقال الله وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه فقال
هم اولا على اثري اي هم بالقرب مني ياتون على اثري من بعدي فان قلت لم يطابق
السوال الجواب فانه سال عن سبب العجلة فعدل عن الجواب وقال هم اولا على اثري
قلت كان همّ موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل
بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم عقبه بجواب السوال فقال وعجلت اليك رب لترضى
اي لتزداد رضى قال فانا قد فتنا قومك اي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا
ستمايه الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا من بعدك اي من بعد انطلاقك الى الجبل
واضلهم السامري اي دعاهم وصرفهم الى الضلالة وهو عبادة العجل واضاف الضلال
الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المسببات تضاف الى مسببها في الظاهر
وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هاهنا قيل كان السامري من
عظما بني اسرايل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جار موسى وامن به
قيل كان علجا من علوج كرمان دفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى
قومه غضبان اسفا اي حزينا جزعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا
انه يعطيكم التوراة افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يوجب عليكم الغضب من ربكم
فاخلفتم موعدي يعني ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا اي ونحن نملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة
لم يملك نفسه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي حملنا مع انفسنا ما كنا قد
استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا لكثرتها وثقلها وقيل
الاوزار الاثام اي حملنا اثاما وذلك ان بني اسرايل استعاروا حليا من القبط
ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما اغرق فرعون
نبذ البحر حليهم فاخذها بنو اسرايل فكانت غنيمة ولم تكن الغنايم تحل لهم
فقذفناها اي القيناها قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها
حتى يرجع موسى فيرى رايه فيها وقيل ان هارون امرهم بذلك ففعلوا فكذلك

النقي السامري اي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس اوقد هارون نارا وقال
اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هارون مر علي السامري وهو يصوغ العجل فقال
له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هارون اللهم اعطه ما سالك
علي ما في نفسه فالقي السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل
وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هارون فذلك قوله تعالى فاخرج لهم عجلا
جسدا له خوار اختلفوا هل كان الجسد حيا ام لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز
اظهار خرق العادة علي يد ضال بل السامري صور صورة علي شكل العجل وجعل
فيها منافذ ومخارق بحيث اذا دخل فيها الرياح صوت كصوت العجل الثاني انه
صار حيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا الهكم واله موسى يعني قال ذلك السامري
ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيا قط مثله
فنسي قيل هو اخبار عن قول السامري ان موسى نسي الهه وتركه ها هنا وذهب
يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق اخر
فاخطا الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى كانه اخبر عن السامري انه نسي
الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شي ولا يحل فيه شي ثم بين
سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال افلا يرون الا يرجع اليهم قولا
اي ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا هذا توبيخ
لهم اذ عبدوا من لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة
من الله تعالى ابتلي به بني اسرايل قوله عز وجل ولقد قال لهم هارون من قبل اي من قبل
رجوع موسى يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن فاتبعوني اي علي ديني
في عبادة الله واطيعوا امري اي في ترك عبادة العجل اعلم ان هارون عليه السلام
سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم
به ثم دعا الي معرفة الله بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الي معرفة النبوة بقوله
فاتبعوني ثم دعاهم الي الشرايع بقوله واطيعوا امري فهذا هو الترتيب الجيد
لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي
الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا
الاسم لانه نبههم على انه متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن الرحيم فقابلوا
هذا القول بالاصرار والجحود و قالوا لن نبرح اي لن نزال عليه اي على عبادة العجل
عاكفين اي مقيمين حتى يرجع الينا موسى فانهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل الا
قول موسى فاعتزلهم هارون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى

سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا
صوت الفتنة فلما راي هارون تاخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله وقال له يا هارون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا اي اشركوا الا تتبعن اي تتبع امري ووصيتي وهلا قاتلتهم
وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم علي كفرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي
واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما اتوه افعصيت امري اي خالفت
امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي وكان قد اخذ ذوابته اني خشيت
اي لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا ان تقول فرقت بين بني اسرايل
اي خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا يتقاتلون فتقول فرقت بين بني
اسرايل ولم ترقب قولي اي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح وارفق
بهم ثم اقبل موسى علي السامري ثم قال فما خطبك اي ما امرك وشانك وما الذي حملك علي
ما صنعته يا سامري قال يعني السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر
الرسول اي من تراب اثر حافر فرس جبريل فنبذتها اي فقذفتها في فم العجل فخار فان قلت
كيف عرف السامري جبريل وراه من بين ساير الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان
امه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذرا عليه من القتل فبعث
الله جبريل اليه ليربيه لما قضى الله علي يده به من الفتنة والوجه الثاني انه لما نزل جبريل
الي موسى ليذهب به الي الطور فراه السامري من بين ساير الناس فلما راه قال ان لهذا شانا
فقبض القبضة من تربة موطيه فلما ساله موسى قال قبضت قبضة
من اثر الرسول اليك يوم جاك للميعاد وقيل راه يوم فلق البحر فاخذ القبضة
وجعلها في عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة علي يديه وهو قوله وكذلك
سولت لي نفسي اي زينت لي نفسي وقيل هو من السول والمعنى انه لم يدعني اليه
فعله غيري واتبعت فيه هواي قال فاذهب يعني قال موسى للسامري اذهب
فان لك في الحياة اي ما دمت حيا ان تقول لا مساس اي لا تخالط احدا ولا يخالطك
احد فعوقب في الدنيا بعقوبة لا شي اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر
بني اسرايل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته
ومواجهته وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع
الوحوش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد وقيل كان اذا مس احدا او مسه احد
حما جميعا فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون
ذلك وان لك اي يا سامري موعدا اي لعذابك في الاخرة لن تخلفه قري بكسر اللام ومعناه
لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيمة وقري بالفتح اي لن تكذبه

ولن نخلفك لله بل يوافيك على فعلك وانظر الى الهك اي الذي تزعم الذي ظلت عليه
عاكفا اي دمت عليه مقيما تعبده لنحرقنه اي بالنار ثم لننسفنه اي لنذرينه في اليم
اي البحر نسفا روي ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه بالنار ثم ذراه
في البحر وقيل معناه لنحرقنه اي لنبردنه فعلى هذا التاويل لم ينقلب لحما ودما فان
ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد
حتى صارت بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب
اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرايل انما الهكم الله اي المستحق
للعبادة والتعظيم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما اي وسع علمه كل شي وقيل
يعلم من يعبده ومن لا يعبده قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء يعني من اخبار ما قد
سبق يعني الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور وقد اتيناك من لدنا ذكرا وهو القران
من اعرض عنه اي عن القران ولم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا اي حملا
ثقيلا من الاثم خالدين فيه اي مقيمين في عذاب الوزر وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس
ما حملوا على انفسهم من الاثم يوم ينفخ في الصور قيل هو قرن ينفخ فيه يدعا به الناس للحشر
والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
اي نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا يتخافتون اي
يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية ان لبثتم اي مكثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال
وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم
بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا وقال الله تعالى نحن اعلم بما يقولون
اي يتشاورون بينهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اوفاهم عقلا واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما
قصر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم من اهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم
لشدة ما دهمهم قوله عز وجل ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال ابن عباس
سال رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيمة
فانزل الله عز وجل الاية والنسف هو القلع اي يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا
فيذرها قاعا اي يدع اماكن الجبال من الارض قاعا صفصفا اي ارضا ملسا مستوية
لا نبات فيها لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا انخفاضا ولا ارتفاعا اي لا ترى واديا ولا
رابية يومئذ يتبعون الداعي اي صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف القيامة وهو اسرافيل
وذلك انه يضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام
البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن لا عوج له اي لا عوج لهم
عن دعايه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا وخشعت الاصوات للرحمن

اي

اي سكنت وذلت وضعفت والمراد بها اصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات
من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه
من غير نطق وقيل اراد بالهمس صوت وطي الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ
لا تنفع الشفاعة اي لا احد من الناس الا من اذن له الرحمن اي الا من اذن له ان يشفع ورضي له
قولا قال ابن عباس قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المومن وقيل ان
درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن اذن الله فيها وكان عند الله مرضيا
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم الله
ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع
والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ان يشفع ثم قال يعلم ما بين ايديهم الشافعين
وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل الكناية ترجع الى ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم وما خلفهم علما
وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اي ولا يحيطون بالله علما وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت
في ذلك اليوم وصيرا الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه واراد به
المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر
لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وقوله للحي القيوم تقدم تفسيره وقد خاب من حمل
ظلما قال ابن عباس خسر من اشرك بالله ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف
ظلما ولا هضما قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سياته ولا ينقص من حسناته
وقيل لا يواخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها قوله تعالى وكذلك انزلناه اي كما
بينا في هذه السورة او هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله كذلك وقوله قرانا
عربيا اي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر
وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان
الاحكام فلذلك قال تعالى لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات او يحدث
لهم ذكرا اي انما انزلنا القران لاجل ان يصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي او يحدث لهم القران
ذكرا يرغبهم في فعل الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يحدث لهم القران عبرة وعظة
فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله الامم السالفة قوله عز وجل فتعالى الله الملك الحق
اي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما
يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول
ولا يتغير وليس مستفادا من قبل الغير ولا غيره اولى به منه ولا تعجل بالقران اراد ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقران يبادره فيقراه معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريد

من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال ولا تعجل بالقرآن
اي لا تعجل بقراته من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل
معناه لا تقريه اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه وقل رب زدني علما
فيه التواضع لله والشكر له والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شي علما وحكمة
وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شي الا في العلم وقيل كان ابن
مسعود اذا قرا هذه الاية قال اللهم زدني ايمانا ويقينا قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم
اي امرناه واوصيناه ان لا ياكل من الشجرة من قبل اي من قبل هولاء الذين نقضوا عهدي
وتركوا الايمان وهم الذين ذكرهم في قوله لعلهم يتقون فنسي اي فترك ما عهدنا اليه
من الاحتراز عن اكل الشجرة واكل منها وقيل ان المراد النسيان الذي هو ضد الذكر ولم نجد
له عزما اي صبرا عما نهي عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رايا معزوما
حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما
على المقام على المعصية فيكون الى المدح اقرب قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد فقلنا يا ادم ان هذا اي ابليس عدو لك ولزوجك
اي حوا فسبب العداوة ما راى من انعام الله على ادم فحسده فصار عدوا له فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى اسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته
وفعل ادم ما يترتب عليه الخروج ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك
من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط
الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاه فان قلت
لم اسند الشقا الى ادم دون حوا قلت فيه وجهان ان في ضمن شقا الرجل
شقا اهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني اريد بالشقا
التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة لان الرجل هو الساعي على زوجته
ان لك الا تجوع فيها اي الجنة ولا تعرى وانك لا تظما اي لا تعطش فيها ولا تضحى
اي لا تبرز للشمس فيوذيك حرها لانه ليس في الجنة شمس واهلها في ظل ممدود
والمعنى ان الشبع والري والكسوة والكن هي الذي الامور يدور عليها كفاف الانسان
فذكر انه حصول هذه الاشيا في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى
كسب كاسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة
واسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اي
على الشجرة التي اذا اكلت منها بقيت مخلدا وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى رغبه في
دوام الراحة فكان الشي الذي رغب الله فيه ادم رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف

ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وادم مع كمال
علمه بان الله هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله
تعالى ولم يرد المخالفة ومن تامل هذا السر عرف انه لا دافع لقضا الله ولا مانع منه
وقوله تعالى فاكلا منها يعني اكل ادم وحوا من الشجرة فبدت لهما سواتهما اي عريا من
النور الذي كان عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة اي يلزقان ليستترا بها من ورق التين وعصى ادم ربه اي باكل الشجرة فغوى
اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطا طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي عنه
فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز
ان يقال عصى ادم ولا يجوز ان يقال ادم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية
كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج ادم وموسى فقال
موسى يا ادم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال له ادم انت يا موسى اصطفاك الله
بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين
سنة فحج ادم موسى وفي رواية لمسلم قال ادم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق
قال موسى باربعين عاما قال فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني
على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحج ادم موسى الكلام على معنى هذا الحديث وشرحه قوله احتج ادم وموسى
المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اي جادلته فغلبته قال ابو
سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضا من الله على معنى الاجبار
والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج ادم موسى من هذا الوجه وليس كذلك
وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن
تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضا
في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم افعالهم
واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقديم ارادة واختيار
فالحجة انما تلزمهم بها والملامة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما امران لا ينفك
احدهما عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البنا فمن رام الفصل بينهما
فقد رام هدم البنا ونقضه وانما موضع الحجة لادم على موسى ان الله تعالى كان قد
علم من ادم انه يتناول الشجرة وياكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد
ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما ادلى ادم بالحجة على

هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومني علي امر قدره الله علي
من قبل ان يخلقني **فصل** في بيان عصمة الانبيا وما قيل في ذلك قال الامام فخر
الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبيا وضبط القول فيه يرجع الى اقسام اربعة
احدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جايز عليهم
الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الامة علي كونهم معصومين عن الكذب والتحريف
والا لارتفع الوثوق بالادا واتفقوا علي ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن
الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا
فاجمعوا علي انه لا يجوز خطاوهم فيه علي سبيل العمد واجازه بعضهم علي سبيل
السهو الرابع ما يقع في افعالهم فقد اختلفت الامة فيه علي خمسة اقوال احدها
قول من جوز عليهم الكباير الثاني قول من منع من الكباير وجوز الصغاير علي جهة
العمد وهو قول اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل علي
جهة التاويل وهو قول الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا علي جهة السهو
والخطا الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا علي سبيل العمد ولا علي سبيل
السهو ولا علي سبيل التاويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة
علي ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة
وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهم اكثر المعتزلة
الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابي
الهذيل وابي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انهم لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة
ولا كبيرة من حين جاتهم النبوة ويدل عليه وجوه احدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا
اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جايز لان درجة الانبيا في غاية الرفعة والشرف
الثاني لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان اقل حالا من عدول الامة وذلك
غير جايز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو انه يشهد علي الله انه شرع هذا الحكم
وايضا فانه ياتي يوم القيامة شاهدا علي الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب
الاقتدا به فيه وذلك محال الرابع ثبت ببديهة العقل انه لا شي اقبح ممن رفع الله
درجته وائتمنه علي وحيه وجعله خليفته في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل
كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجمعت الامة علي ان الانبيا كانوا يامرون
الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل

ويدل

ويدل عليه فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت ان الانبيا كانوا فاعلين
لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله
يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم
وال عمران علي العالمين وقال في حق موسى اني اصطفيتك علي الناس برسالاتي وبكلامي
وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا
اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من
الايات التي تدل علي كونهم موصوفين بالاصطفا والاختيار وذلك ينافي صدور
الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما المخالف فقد تمسك بايات منها
قصة ادم هذه والجواب عنها ان نقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان
ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان ادم حال ما صدرت عنه هذه
الاشيا ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل نبوته وشرفه بالنبوة والرسالة
وقال القاضي عياض واما قصة ادم وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا وقد
اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اي
نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه
اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي
ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة وقيل بل اكل من
الشجرة متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة
مخصوصة لا علي الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي
فما معنى قوله وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث من اعتراف الانبيا
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكاهم علي ما سلف منهم وهل يتوب
ويستغفر من لا شي عليه **قلت** ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم علي الخوف منه
جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم
ينهوا عنها ولا امروا بها واتوها علي وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة
فاوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المواخذة بها فهم خايفون وجلون
وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب
كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذه ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم كما قيل
حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيات وسنذكر

في كل موضع ما يليق به ومما قيل فيه ان شا الله تعالى قوله عز وجل ثم اجتباه ربه اي
اختاره واصطفاه فتاب عليه اي عاد عليه بالعفو والمغفرة وهدي اي هداه لرشده
حتى رجع الى الندم والاستغفار قال اهبطا منها جميعا قيل الخطاب لادم ومعه ذريته
ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب
لادم وحوا لانهما اصل البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع بعضكم لبعض عدو
وقيل في توفيق هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين اعدا الناس ويحتمل ان يكون
بعض الفريقين لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدي اي كتاب ورسول فمن اتبع هداي اي الكتاب
والرسول فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة
ووقاه يوم القيامة سو الحساب وذلك بان الله يقول فمن اتبع هداي فلا يضل اي في الدنيا
ولا يشقى اي في الاخرة ومن اعرض عن ذكري يعني القران فلم يومن به ولم يتبعه فان له معيشة
ضنكا روي عن ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد الخدري انهم قالوا هو عذاب القبر قال
ابو سعيد هو يضغط في القبر حتى تختلف اضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتام عليه
القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين
في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقا وعنه قال كلما اعطي العبد قل ام كثر
فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولي
سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم
فاشتدت عليهم معايشهم من سو ظنهم بالله تعالى وقيل بسلب القناعة حتى لا يشبع ونحشره
يوم القيامة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن الحجة قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا اي بصير العين وبصيرا بالحجة قال كذلك اي كما اتتك اياتنا فنسيتها
اي فتركتها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة
ولم ينسوا من العذاب وكذلك نجزي من اسرف اي كما جزينا من اعرض عن القران كذلك نجزي
من اسرف اي اشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد اي مما نعذبهم به في الدنيا
والقبر وابقى اي وادوم قوله تعالى افلم يهد لهم اي افلم يبين القران لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم
من القرون يمشون في مساكنهم يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا
يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ان في ذلك
لايات لاولي النهى اي لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك اي ولولا حكم سابق بتاخير
العذاب عنهم لكان لزاما واجل مسمى تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو
يوم القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما
يقولون نسختها اية السيف وسبح بحمد ربك اي فصل بامر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة

الفجر

الفجر وقبل غروبها اي صلاة العصر ومن انا الليل اي ومن ساعاته فسبح يعني فصل
المغرب والعشا قال ابن عباس يريد اول الليل واطراف النهار يعني صلاة الظهر سمي وقت
الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتها وطرف النصف
الاخر ابتدا لعلك ترضى اي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ
ترضى بضم التا اي تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك في عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم ترون ربكم عيانا كما ترون هذا
القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف الميم
من الضيم الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رويته وروي بتشديد
الميم من الانضمام والازدحام اي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض في رويته والكاف في قوله
كما ترون القمر كاف التشبيه للروية لا للمري وهو فعل الراي ومعناه ترون ربكم روية ينزاح معها
الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل ولا تمدن عينيك
قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك
فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله
لئن باعني او اسلفني لقضيته واني لامين في السما امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت
هذه الاية ولا تمدن عينيك اي لا تنظر نظرا لا تكاد ترده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له
الى ما متعنا به اي اعطينا ازواجا اي اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وبهجتها لنفتنهم
فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم بان نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ورزق ربك اي في المعاد
في الجنة خير وابقى اي ادوم وقال ابي بن كعب من لم يتعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات
ومن اتبع بصره ما في ايدي الناس يطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه
فقد قل عمله وحضر عذابه قوله تعالى وامر اهلك اي قومك وقيل من كان على دينك بالصلاة
اي بالمحافظة عليها واصطبر عليها اي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشا والمنكر وقيل
اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول لا نسالك رزقا اي لا نكلفك ان
ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن نرزقك اي نحن نرزقك ونرزقهم فلا تهتم لذلك
والعاقبة للتقوى اي العاقبة الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك
وفي بعض المسانيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا
هذه الاية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا ياتينا باية من ربه اي بالاية المقترحة فانه كان
قد اتاهم بايات كثيرة اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران لانه اقوى

دلالة واوضح اية وقيل معنيه ما في الصحف التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم
اقترحوا الايات فلما اتتهم لم يومنوا بها فجعلنا ها لهم العذاب والهلاك فما يومنهم
ان اتتهم الاية ان تكون حالهم كحال اوليك وقيل بينة ما في الصحف الاولى من البشارة بمحمد
صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل ارسال
الرسل وانزال القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي لقالوا يوم القيامة لولا ارسلت
الينا رسولا يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب والهوان والافتضاح
قل كل متربص اي منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر
فاذا مات تخلصنا قال الله فتربصوا اي فانتظروا فستعلمون اي اذا جاء امر الله
وقامت القيامة من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم ومن اهتدى اي من الضلالة نحن ام
انتم والله اعلم نفسير سورة الانبيا عليهم السلام وهي مكية وعددها مائة
واثنتا عشرة اية والف ومائة وثمان وستون كلمة واربعة الاف وثمانمائة وتسعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم اي وقت
محاسبة الله اياهم على اعمالهم يوم القيمة نزلت في منكري البعث وانما ذكر الله هذا
الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب الى التاهب له والمراد بالناس
المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس
على بعضه وهم في غفلة معرضون اي عن التاهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم
ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا
نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا عنه ما ياتيهم من ذكر من
ربهم محدث يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القران يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه
ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة
لبيان الاحكام وغيره من الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه
وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القران واضافه اليه لان الله تعالى قال وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى الا استمعوه وهم يلعبون اي لاعبين لا يعتبرون
ولا يتعظون لاهية قلوبهم اي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله واسروا النجوى الذين ظلموا
اي بالغوا في اخفاء التناجي وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبرا
عنهم هل هذا الا بشر مثلكم يعني انهم انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملايكة والاولى
ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من اشكاله اقرب افتاتون السحر اي تحضرون السحر
وتقبلونه وانتم تبصرون اي تعلمون انه سحر قل لهم يا محمد ربي يعلم القول في السماء والارض
اي لا يخفى عليه شيء وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم قوله عز وجل بل قالوا اضغاث

احلام

احلام يعني اباطيل وتهاويل راها في النوم بل افتراه اي اختلقه بل هو شاعر وذلك
ان المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث
احلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم بل هو شاعر وما جاءكم به شعر فلياتنا يعني
النبي صلى الله عليه وسلم باية اي ان كان صادقا كما ارسل الاولون اي من الرسل بالايات قال الله تعالى
مجيبا لهم ما امنت قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي من اهل قرية اتتهم الايات اهلكناها اي
بالتكذيب افهم يومنون اي ان جاءتهم اية والمعنى اوليك لم يومنوا بالايات لما جاءتهم افيومن هولاء
قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم
والمعنى لم نرسل الملايكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك فاسالوا اهل الذكر
يعني اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا
وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر المشركين بمسالة اهل الكتاب لان المشركين اقرب
الى تصديقهم من تصديق من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القران اي فاسالوا
المومنين العالمين من اهل القران ان كنتم لا تعلمون قوله عز وجل وما جعلناهم اي الرسل
جسدا لا ياكلون الطعام هذا رد لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام والمعنى لم نجعلهم
ملايكة بل بشرا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين اي في الدنيا بل يموتون كغيرهم ثم صدقناهم
الوعد اي الذي وعدناهم باهلاك اعدايهم فانجيناهم ومن نشاء اي المومنين الذين صدقوهم
واهلكنا المسرفين اي المشركين لان المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل لقد انزلنا اليكم
اي يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وفخركم وهو شرف لمن امن به وقيل معناه
فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم
لتحذروا فتكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد افلا تعقلون فيه بعث على التدبر لان الخوف
من لوازم العقل قوله تعالى وكم قصمنا اي اهلكنا من قرية كانت ظالمة اي كافرة
والمراد اهل القرية وانشانا بعدها اي احدثنا بعد هلاك اهلها قوما اخرين فلما
احسوا باسنا اي عذابنا بحاسة البصر اذا هم منها يركضون اي يسرعون هاربين من قريتهم
لما راوا مقدمة العذاب لا تركضوا اي قيل لهم لا تهربوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اي
نعمتم فيه من العيش ومساكنكم لعلكم تسالون قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه
الاية في اهل حضور قرية باليمن وكان اهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم اليه
فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فقتلهم وسباهم فلما استحر فيهم القتل
هربوا فقالت الملايكة استهزاء لا تركضوا اي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم
لعلكم تسالون شيا من دنياكم فتعطون من شيتم وتمنعون من شيتم فانكم اهل ثروة
ونعمة فاتبعهم بخت نصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الانبياء فلما راوا

بل جعلناهم

ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اي لانفسنا حين
كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك علي
سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم فما زالت تلك دعواهم اي تلك الكلمة وهي قولهم
يا ويلنا حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين اي ميتين
قوله عز وجل وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين معناه ما سوينا هذا السقف
المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجايب للعب واللهو وانما سويناهما
لفوايد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجايب والمنافع التي لا تعد ولا تحصي
لو اردنا ان نتخذ لهوا قال ابن عباس المراة وعنه انه الولد لاتخذناه من لدنا اي من عندنا
من الحور العين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جايزا في صفتنا لم نتخذه
بحيث يظهر لكم ونستتر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا في
المسيح وامه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل
وزوجته يكون عنده لا عند غيره ان كنا فاعلين اي ما كنا فاعلين وقيل وما كنا ممن يفعل
ذلك لانه لا يليق بالربوبية بل اي دع ذلك الذي قالوه فانه كذب وباطل نقذف اي نرمي
ونسلط بالحق اي بالايمان على الباطل اي على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل
قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه اي فيهلكه فاذا هو زاهق اي ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم
بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر
الكفار مما تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وله من في السموات والارض
اي عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم ومن عنده يعني الملايكة
وانما خص الملايكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتنا بهم
لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتانفون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون اي لا يعيون
ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون اي لا يضعفون ولا يسامون وذلك ان تسبيحهم متصل دايم في جميع
اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او شغل اخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني ادم
ام اتخذوا الهة من الارض يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهو من
الارض هم ينشرون اي يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحيا والايجاد
من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل لو كان فيهما اي في السما والارض
الهة الا الله اي غير الله لفسدتا اي لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الالهية
لان كل امر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي
قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب ان يكون القول بوجود الهين

محالا

محالا انما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وان يكون
كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا
على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه واراد الاخر تسكينه
فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين ولا يقع واحد منهما
وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا
عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا او وجدا معا فذلك محال او يقع مراد
احدهما دون الثاني فذلك ايضا محال لوجهين احدهما انه لو كان كل واحد منهما قادرا
على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الاخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا
استويا في القدرة والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد احدهما
دون الاخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو
على الله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي
الى وقوع قادرين مقدورين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل
انما كان لامكانه فاذا كان واحد منهما مستقلا بالايجاد بالفعل لكونه مع هذا واجب
الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناوه عنهما
واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسيلة التوحيد فنقول القول
بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور باحدهما واذا كان كذلك وجب
ان لا يقع البتة وحينيذ يلزم وقوع الفساد قطعا او نقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا
او يختلفا فان اتفقا على الشي الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه
بهما وهو محال او اختلفا فاما ان يقع المرادان ولا يقع واحد منهما دون الثاني والكل محال
فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة
عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية
الله تعالى واما الدلايل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القران واعلم ان كلام من طعن
في دلالة التمانع فسر الاية بان المراد لو كان في السما والارض الهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام
لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا
اولى لانه تعالى يحكي عنهم ام لهم الهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا
فوجب ان يختص الدليل به واما قوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون فمعناه تنزيه
الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشرك والولد لا يسال عما يفعل اي لا يسال الله
عما يفعله ويقضيه في خلقه وهم يسالون اي والناس يسالون عن اعمالهم والمعنى انه لا يسال
عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدي وضلال واسعاد واشقا لانه الرب مالك الاعيان

والخلق يسالون سوال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم
امتثال امر مولاهم والله تعالي ليس فوقه احد يقول له لشي فعله لم فعلته قوله عز وجل
ام اتخذوا من دونه الهة لما ابطل الله تعالي ان الهة سواه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الالهة فقال ام اتخذوا من دونه الهة وهو استفهام
انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اي حجتكم علي ذلك ثم قال تعالي مستانفا هذا يعني
القران ذكر من معي اي فيه خبر من معي علي ديني ومن يتبعني الي يوم القيامة بما لهم من الثواب
علي الطاعة والعقاب علي المعصية وذكر اي خبر من قبلي اي من الامم السالفة وما فعل بهم
في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقال ابن عباس ذكر من معي القران وذكر من قبلي التورية
والانجيل والمعني راجعوا القران والانجيل والتورية وساير الكتب هل تجدون فيها
ان الله اتخذ ولدا او كان معه الهة بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون قوله عز وجل
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اي فوحدون
وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم علي جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون اي عن التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو
قوله تعالي وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله
سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد اي هم عباد يعني الملايكة مكرمون اي اكرمهم الله
واصطفاهم لا يسبقونه اي لا يتقدمونه بالقول اي لا يتكلمون الا بما يامرهم به وهم
بامره يعملون والمعني انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما
عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا
لمن ارتضي قال ابن عباس اي لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله عنه وهم من خشيته
مشفقون اي خايفون وجلون لا يامنون مكره ومن يقل منهم اني اله من دونه قيل عني به
ابليس حين دعا الي عبادة نفسه فان احدا من الملايكة لم يقل اني اله من دون الله فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها قوله عز
وجل اولم ير الذين كفروا اي الم يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال ابن عباس
كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهوي قال كعب خلق الله السموات
بعضها علي بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتحها بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة
واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السما رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت
ففتق السما بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الما كل شي حي اي واحيينا بالما الذي ينزل
من السما كل شي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك انه سبب لحياة كل شي وقال
المفسرون يعني ان كل شي حي فهو مخلوق من الما وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله

بعض

بعض ما هو حي من غير الما كادم وعيسي والملايكة والجان قلت خرج هذا اللفظ
مخرج الاغلب والاكثر يعني ان اكثر ما علي وجه الارض مخلوق من الما او بقاوه بالما
افلا يومنون اي افلا يصدقون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم
اي لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت علي الما فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الما
فارساها الله واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اي في الرواسي فجاجا اي طرقا وهي المسالك والفج
الطريق الواسع بين الجبلين سبلا هو تفسير الفجاج لعلهم يهتدون اي الي مقاصدهم
وجعلنا السما سقفا محفوظا اي من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين
والشهب وهم يعني الكفار عن اياتها معرضون اي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم
وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال علي الحكمة
البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر كل في فلك يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الما وانما قال
يسبحون ولم يقل يسبح علي ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلا وهو السباحة
والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شي مستدير وجمعه افلاك
وقيل الفلك طاحونة كهيية فلكة المغزل يريد ان الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة
الرحي وقيل الفلك السما الذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السما الذي قدر
فيه وقيل الفلك استدارة السما وقيل الفلك موج مكفوف دون السما تجري فيه الشمس
والقمر والنجوم وقال اصحاب الهيية الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة
للخرق والالتيام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل لمعرفة صفة السموات الا باخبار الصادق
فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية قوله عز وجل وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقا في الدنيا افان مت فهم الخالدون نزلت هذه
الاية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فيشمتون بموته فنفي الله الشماتة عنه بهذا والمعني
ان الله تعالي قضي ان لا يخلد في الدنيا بشرا لا انت ولا هم فان مت افيبقي هولا وفي
معناه قول القايل • فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقي الشامتون كما لقينا كل نفس ذايقة الموت
هذا العموم مخصوص تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فان الله حي لا يموت ولا يجوز
عليه الموت والذوق ها هنا عبارة عن مقدمات الموت والالام العظيمة قبل حلوله ونبلوكم
اي نختبركم بالشر والخير اي بالشدة والرخا والصحة والسقم والغني والفقر وقيل بما تحبون
وما تكرهون فتنة اي ابتلا لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا
ترجعون اي للحساب والجزا قوله عز وجل واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
اي سخريا قيل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلي الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي عبد مناف

أمنذا الذي يذكر آلهتكم أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آلهتكم والذكر يطلق
علي المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف
الرحمن الا رحمان اليمامة وهو مسيلمة وقوله تعالي خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته
وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في راس آدم وعينيه نظر الي
ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهي الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الي رجليه عجلان
الي ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق
الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شي في اخر النهار يوم الجمعة
فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيا الروح راسه قال يا رب تعجل بخلقي قبل غروب
الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل علي غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة اطوارا طورا بعد طور وقيل معني الانسان من عجل اي من طين قال
الشاعر • والنبع في الصخرة الصماء منبته • والنخل ينبت بين الماء والعجل • اي بين
الما والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانساني بدليل قوله ساوريكم اياتي فلا
تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن
الحارث ومعني ساريكم اياتي اي مواعدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم
بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالي ويقولون يعني المشركين متي
هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور علي سبيل الاستهزا
فبين تعالي انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهولا المستهزئين فقال تعالي
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون اي لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
قيل السياط ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب والمعني لو علموا لما اقاموا علي كفرهم
ولما استعجلوا بالعذاب ولا قالوا متي هذا الوعد ان كنتم صادقين بل تاتيهم يعني
الساعة بغتة اي فجاة فتبهتهم اي تحيرهم فلا يستطيعون ردها اي صرفها ودفعها
عنهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزئ برسل من قبلك
اي يا محمد كما استهزا بك قومك فحاق اي نزل واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
اي عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم اي فكذلك يحيق بهولاء وبال
استهزائهم قوله تعالي قل من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل اي اذا نمتم والنهار اي اذا انصرفتم
من معايشكم بل هم عن ذكر ربهم اي عن القران ومواعظه معرضون اي لا يتاملون في شي منه
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا معناه الهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم
بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم اي لا يقدرون علي نفعهم فكيف ينصرون
من عبدهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون

وقيل

وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير بل متعنا هولا اي الكفار وآباءهم اي في الدنيا بل
انعمنا عليهم وامهلناهم حتي طال عليهم العمر اي امتد بهم الزمان فاغتروا افلا يرون
يعني هولاء المشركين انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ما ينقص من اطراف
المشركين ونزيد في اطراف المومنين يريد بذلك النبي صلي الله عليه وسلم وفتحه ديار
الشرك ارضا فارضا وقرية فقرية والمعني افلا يري هولاء المشركون بالله المستعجلون
بالعذاب آثار قدرتنا في اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد
والقري مما حول مكة وندخلها في ملك محمد صلي الله عليه وسلم ونميت روسا المشركين
المتنعمين بالدنيا اما كان لهم عبرة في ذلك فيومنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم ويعلموا
انهم لا يقدرون علي الامتناع منا واراد تنا فيهم ثم قال افهم الغالبون استفهام بمعني
التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون قل يا محمد انما انذركم بالوحي اي
اخوفكم بالقران ولا يسمع الصم الدعا اذا ما ينذرون اي يخوفون ولئن مستهم اي اصابتهم
نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف وقيل شي قليل ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
دعوا علي انفسهم بالويل بعد ما اقروا بالظلم والشرك قوله عز وجل ونضع الموازين
القسط اي ذوات العدل ووصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه
فبين ان تلك الموازين تجري علي حد العدل ومعني وضعها احضارها ليوم القيامة اي لاهل
القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته بسياته
فاز ونجا وبالعكس والصحيح الذي عليه ايمة السلف ان الله سبحانه وتعالي يضع الموازين
الحقيقية ويزن بها اعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داوود
عليه السلام سال ربه عز وجل ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما راه
غشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات قال يا داوود اني اذا رضيت عن
عبدي ملاتها بتمرة فعلي هذا في كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض طريقان احدهما
ان توزن صحايف الاعمال فتوضع صحايف الحسنات في كفة وصحايف السيات في كفة
والثاني ان يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود
مظلمة فان قلت كيف يصنع بقوله ولا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه
في حق الكفار لانهم ليس لهم اعمال توزن مع الكفر وقوله فلا تظلم نفس شيا وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها معناه انه لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة
مسي واراد بالحبة الجزء اليسير من الخردلة ومعني اتينا بها اي احضرناها للمجازي بها عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من امتي
علي روس الخلايق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر

من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقال لا يا رب فيقول الله
تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير واصله من
السجل لانه يجمع احكاما والبطاقة رقعة صغيرة وهي ما يجعل في طي الثوب يكتب فيها
ثمنه والطيش الخفة قلت ـــ في الحديث دليل على ان صحايف الاعمال توزن لا ان الاعمال
تتجسد جواهر فتوزن والله اعلم قوله تعالى وكفى بنا حاسبين قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين
حافظين لان من حسب شيا فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم
بحيث يمكن ان يشتبه عليه شي في القدرة بحيث لا يعجز عن شي فحقيق بالعاقل ان يكون باشد
الخوف منه ويروى عن الشبلي انه رأى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا وكذا اكل مالك بالمماليك يرفق قوله عز وجل
ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة
وقيل الفرقان النصر على الاعدا فعلى هذا يكون وضيا يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة
جعل الواو زايدة في وضيا والمعنى اتينا موسى التوراة ضيا وذكرا للمتقين يعني يتذكرون
بمواعظه ويعملون بما فيه الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه
في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس وهم من الساعة مشفقون اي خايفون وهذا ذكر مبارك انزلناه
اي كما اتينا موسى الفرقان فكذلك انزلنا القران ذكرا مباركا اي هو ذكر لمن امن به مبارك يتبرك به ويطلب
منه الخير افانتم يا اهل مكة له منكرون اي جاحدون قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده
اي صلاحه وهداه من قبل اي من قبل موسى وهارون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من
السرب وهو صغير وكنا به عالمين اي انه من اهل الهداية والنبوة اذ قال لابيه وقومه
ما هذه التماثيل يعني الصور والاصنام التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين اي فاقتدينا بهم قال يعني ابراهيم لقد كنتم انتم واباوكم
في ضلال مبين اي في خطا بين بعبادتكم اياها قالوا اجيتنا بالحق اي بالصدق ام انت من
اللاعبين يعنون اجاد انت فيما تقول ام انت لاعب قال بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن اي خلقهن وانا على ذلكم من الشاهدين اي على انه الاله الذي يستحق العبادة وقيل
على انه خالق السموات والارض وتالله لاكيدن اصنامكم اي لامكرن بها بعد ان تولوا مدبرين
اي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل
واحد من قومه فافشاه عليه وهو القايل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد

فكانوا

فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فيسجدون لها ثم يرجعون الى منازلهم
فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا
فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتركوه
ومضوا ونادى في اخرهم وقد بقي ضعفا الناس تالله لاكيدن اصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم
الى بيت الالهة وهي في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه اصغر منه
والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه اصغر منه كذلك الى باب البهو
واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الالهة عليه اكلنا
منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزا الا تاكلون
فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم بفاس في يده
حتى اذا لم يبق الا الصنم الاعظم علق الفاس في عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا
اي كسرا وقطعا الا كبيرا لهم اي تركه ولم يكسره ووضع الفاس في عنقه وقيل ربطه على يديه
وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد
وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر
في عينيه ياقوتتان متقدتان وقوله لعلهم اليه يرجعون قيل معناه يرجعون الى ابراهيم
والى دينه وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون
الى الصنم فيسالونه ما لهولا مكسرين وانت صحيح والفاس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم
الى بيت الهتهم راوا اصنامهم مكسرة قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي في تكسيرها
والافترا عليها قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم اي هو الذي
يظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه قالوا فاتوا به على اعين الناس
اي جيئوا به ظاهرا بمراى من الناس قاله نمرود لعلهم يشهدون اي عليه بانه الذي فعل ذلك
كرهوا ان ياخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما
اتوا به قالوا له اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال يعني ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا
غضب ان تعبد وزعمه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم بذلك
اقامة الحجة عليهم فذلك قوله تعالى فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي حتى يخبروا من فعل
ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفي
ضمنه انا فعلت ذلك ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل كبيرهم هذا وقوله لسارة
هذه اختي لفظ الترمذي قيل في قوله اني سقيم اي سا سقم وقيل سقيم القلب مغتم
بضلالتكم وقوله بل كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو

فضل علي طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه اختي اي في الدين والايمان قال الله انما
المومنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد
سماها النبي صلي الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال
في حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وانما كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق ابراهيم عليه السلام بمواخذته بها قال البغوي وهذه التاويلات لنفي الكذب
من ابراهيم والاولي هو الاول للحديث فيه ويجوز ان يكون الله اذن له في ذلك لقصد الصلاح
وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتي امر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون
ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع انه جاز ان
يكذب لمصلحة وياذن الله تعالي فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبر الانبيا عنه وذلك يبطل
الوثوق بالشرايع ويطرق التهمة الي كلها والحديث محمول علي المعاريض فان فيها مندوحة عن
الكذب وقوله **فرجعوا الي انفسهم** اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الي عقولهم **فقالوا** ما نراه الا
كما قال **انكم انتم الظالمون** يعني بعبادتكم من لا يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل
في سوالكم اياه وهذه الهتكم حاضرة فاسلوها **ثم نكسوا علي روسهم** قال اهل التفسير
اجري الله الحق علي السنتهم في القول الاول وهو اقرارهم علي انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة
فرجعوا الي حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا علي روسهم اي ردوا الي الكفر فقالوا **لقد علمت ما هولا
ينطقون** اي فكيف نسلهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم **قال** لهم **افتعبدون من دون الله ما
لا ينفعكم شيا** اي ان عبدتموه **ولا يضركم** اي ان تركتم عبادته **اف لكم** اي تبا لكم **ولما تعبدون
من دون الله** والمعني انه حقرهم وحقر معبودهم **افلا تعقلون** اي ليس لكم عقل تعلمون به ان
هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب **قالوا حرقوه وانصروا
الهتكم** يعني انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن عليها **ان كنتم فاعلين**
اي ناصرين الهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به
الارض فهو يتجلجل فيها الي يوم القيامة وقيل قاله نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن نمروذ
ابن كوش بن حام بن نوح ذكر القصة في ذلك فلما اجتمع نمروذ وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه
في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة يقال لها كوثي ثم جمعوا له صلاب الحطب واصناف الخشب
مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لين عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المراة تنذر
في بعض ما تطلب لين اصابته لتحطبن في نار ابراهيم وكانت المراة تغزل وتشتري الحطب بغزلها
احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشرا الحطب والقايه فيه فلما جمعوا ما ارادوا اشعلوا
في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق

من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا
كيف يلقونه فقيل ان ابليس جا وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الي ابراهيم فقيدوه
ورفعوه علي راس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السما والارض
ومن فيهما من الملايكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا ابراهيم خليلك يلقي في
النار وليس في ارضك احد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي
ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيري فان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره
فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينه وبيني فلما ارادوا
القاه في النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهوي وقال ان
شيت طيرت النار في الهوي فقال ابراهيم لا حاجة اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروي
عن ابي بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك
الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الي النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الك حاجة
قال اما اليك فلا قال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم حسبي من سوالي علمه بحالي خ عن ابن
عباس في قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها
محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب لا احار حجر كل
حي يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار ق عن ام شريك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ زاد البخاري وكان ينفخ علي ابراهيم **قلنا** اي قال الله عز وجل
يا نار كوني بردا وسلاما علي ابراهيم قال ابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها
وفي الاثار لم يبق نار في الارض الا طفيت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل
علي ابراهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملايكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه علي الارض
فاذا عين ما عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا
وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت اياما
قط انعم مني من الايام التي كنت في النار قال وبعث الله تعالي ملك الظل في صورة ابراهيم
فقعد الي جنب ابراهيم يونسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة
وطنفسة فالبسه القميص واقعده علي الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل
يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمروذ واشرف علي ابراهيم
من صرح له فراه جالسا في روضة والملك قاعد الي جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه
يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما اري يا ابراهيم هل تستطيع
ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشي ان اقمت ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام
ابراهيم يمشي فيها حتي خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رايته معك

مثلك في صورتك تقاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الى ربي ليونسني فيها فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رايته من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له اربعة الاف بقرة قال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه السلام ومنعه الله عز وجل منه قوله عز وجل **وارادوا به كيدا** اي ارادوا ان يكيدوه **فجعلناهم الاخسرين** قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى ارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته قوله تعالى **ونجيناه ولوطا** يعني من نمرود وقومه **الى الارض التي باركنا فيها للعالمين** يعني الى ارض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار قال ابي بن كعب بارك الله فيها سماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل ان اكثر الانبياء منها عن ابي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم اخرجه ابو داود اراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين تامرني قال ها هنا ونحا بيده نحو الشام اخرجه الترمذي قال محمد بن اسحاق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملايهم وامنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناحور فثلاثتهم اولاد تارخ وهو ازر فخرج ابراهيم من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شا الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتفكة على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا

الى

الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى **ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة** اي عطية من عطا الله وقال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى اعطى ابراهيم اسحاق بدعايه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد **وكلا جعلنا صالحين** يعني ابراهيم واسحاق ويعقوب **وجعلناهم ايمة** اي يقتدى بهم في الخير **يهدون بامرنا** اي يدعون الناس الى ديننا بامرنا **واوحينا اليهم فعل الخيرات** اي العمل بالشرايع **واقام الصلاة** يعني المحافظة عليها **وايتاء الزكاة** فيه ان الصلاة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله **وكانوا لنا عابدين** اي موحدين قوله عز وجل **ولوطا اتيناه حكما** اي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد الحكمة والنبوة **وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث** يعني قرية سدوم واراد اهلها واراد بالخبايث اتيان الذكور في ادبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع اشيا اخر كانوا يعملون من المنكرات **انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا** قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل انه الثواب **انه من الصالحين** يعني الانبيا قوله تعالى **ونوحا اذ نادى من قبل** اي من قبل ابراهيم ولوط **فاستجبنا له** اي اجبنا نداه **ونجيناه واهله من الكرب العظيم** قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل انه كان اطول الانبيا عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم **ونصرناه** اي منعناه **من القوم الذين كذبوا باياتنا** من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على **انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين** قوله عز وجل **وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث** قال ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو اشبه بالعرف **اذ نفشت فيه غنم القوم** اي رعته ليلا فافسدته وكانت بلا راع **وكنا لحكمهم شاهدين** اي كان ذلك بعلمنا وبراينا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان اقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم تبق منه شيا فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي وروي انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضا ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان سليمان يوم حكم بذلك ابن احد عشر سنة وحكم الاسلام في هذه المسلة ان ما افسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما افسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس

ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه
المسئلة ما روي حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حايطا لرجل من الانصار
فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي
حفظها بالليل زاد في رواية وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل اخرجه ابو داود
مرسلا وذهب اصحاب الراى الى ان المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان
او نهارا قوله تعالى **ففهمناها سليمان** اي علمناه والهمناه حكم القضية **وكلا** يعني داود وسليمان
اتينا حكما وعلما اي بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الاية لرايت الحكام
قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلما في ان حكم داود
كان باجتهاد ام بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد
للانبيا ليدركوا ثواب المجتهدين والعلما لهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب
او سنة واذا اخطاوا فلا اثم عليهم ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر وقال
قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول
لا يجوز للانبيا الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحي واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب
بظاهر هذه الاية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطا وهو قول اصحاب الراي
وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان
الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتفهيم معنى وقوله عليه السلام اذا
اجتهد فاخطا فله اجر لم يرد به ان يوجر على الخطا بل يوجر على اجتهاده في طلب الحق لان
اجتهاده في طلب الحق عبادة والاثم في الخطا عنه موضوع اذا لم يال جهده ووجه الاجتهاد
في هذا الحكم ان داود قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب
في ذلك الضرر قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه واما سليمان فادى اجتهاده الى انه يجب
مقابلة الاصول بالاصول والزوايد بالزوايد فاما مقابلة الاصول بالزوايد فغير جايز ولعل
منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن احكام داود وسليمان
عليهما السلام ما روي عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت امراتان
معهما ابناهما جا الذيب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك فتحاكما
الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين
اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه
في الصحيحين قوله تعالى **وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير** اي يسبحن مع داود اذا سبح
قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير

وقيل

وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال
والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه **وكنا فاعلين** يعني ما ذكر من التفهيم وايتا
الحكم والتسخير **وعلمناه صنعة لبوس لكم** اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل
اول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفايح قالوا ان الله
الان الحديد لداود فكان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة
وهو قوله **ليحصنكم** اي يمنعكم **من باسكم** اي ضرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل
ليحصنكم الله به **فهل انتم شاكرون** اي يقول لداود واهل بيته قوله عز وجل **ولسليمان
الريح** اي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه
يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه **عاصفة** اي شديدة الهبوب فان قلت
قد وصفها بالرخاوة وهي الريح اللينة قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد
اشتدت وان اراد ان تلين لانت **تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها** يعني الشام وذلك انها
كانت تجري بسليمان واصحابه الى حيث يشا سليمان ثم يعود الى منزله بالشام **وكنا بكل
شي عالمين** اي بصحة التدبير فيه وعلمنا ان ما نعطي سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه
الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه
الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرا غزا قلما كان يقعد عن
الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا اتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا اراد
الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس
والدواب والة الحرب فاذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك
الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخا فمر به شهرا في روحته وشهرا في غدوته
الى حيث اراد وكان يمر بعسكره الريح الرخا والمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا
توذي طايرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة
سليمان اما من الانس او من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر
فقلناه ونحن رايحون منه ان شا الله فبايتون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان
بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط
فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الانبيا على كراسي
الذهب والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله
الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح
الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب
لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف شا فكانوا

يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم تروح منها فيكون رواحها بكابل وروي ان سليمان سار
من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدو على
مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى
ارض القندهار وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى الى ارض فارس فنزلها اياما
وغدا منها فقال بتسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين
قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك
يقول النابغة • الا سليمان اذ قال المليك له • قم في البرية فاحددها عن الفند •
• وجيش الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد •
قوله عز وجل ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له اي يدخلون
تحت الما فيخرجون من قعر البحر الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص
وهو اختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الابنية
ويتجاوزون في ذلك الى عمال المدن والقصور ومن الصناعات كاتخاذ النورة والقوارير
والصابون وغير ذلك وكنا لهم حافظين اي حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان
يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل افسدوه
وخربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ
من عمله قبل الليل اشغله بعمل اخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه
اي دعا ربه ذكر قصة ايوب عليه السلام قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من
الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وكانت امه من
ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونباه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية
من ارض البلقا من اعمال حوران من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال
كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة كان له
خمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد لكل عبد امراة وولد ومال ويحمل الة كل فدان لكل
اتان من الولد اثنين وثلاث او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا
وولدا من رجال ونسا وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل
ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو
الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنا من الغرة والغفلة والتشاغل عن
امر الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به وصدقوه رجل من
اهل اليمن يقال له اليفن وقيل نفير ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد والاخر
صافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شي من السموات وكان يقف فيهن حيثما اراد

حتى رفع الله موسى فحجب عن اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات
كلها الا استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملايكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره
واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف من السما حيث كان يقف
وقال الهي نظرت في امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك
ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك
قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع الى الارض
فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على
مال ايوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت
من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شيت تحولت اعصارا من النار فاحرق كل شي اتي عليه
قال ابليس اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت روسها ورعت فلم يشعر
الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على اخرها
ثم جا عدو الله ابليس في صورة قيمه عليها على قعود الى ايوب فوجده قايما يصلي
فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب
الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها وانها مال الله اعطانيها وهو اولى بها اذا شاء
تركها واذا شا نزعها وقديما كنت وطنت نفسي ومالي على الفنا قال ابليس فان ربك
ارسل عليها نارا من السما فاحرقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منهم من يقول ما
كان ايوب يعبد شيا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على
ان يمنع شيا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع
صديقه قال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي
وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك ان تفرح حين
اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد
خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع
ابليس الى اصحابه خاسيا ذليلا فقال لهم ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه قال عفريت
عندي من القوة ما اذا شيت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال
ابليس فات الغنم ورعاها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فجثمت امواتا
من عند اخرها وماتت رعاوها فجا ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب
فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس
الى اصحابه فقال ما ذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت عندي من
القوة ما اذا شيت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شي تاتي عليه قال فات الفدادين

والحرث فانطلق يومهم وذلك حين يشرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا
حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شي من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جا ابليس متمثلا
بقهرمان الحرث الى ايوب وهو قايم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه ايوب مثل
رده الاول وجعل ابليس يصيف ماله مالا مالا حتى مر على اخره كلما انتهى الى هلاك
مال من امواله حمد الله واحسن الثنا عليه ورضي عنه بالقضا ووطن نفسه بالصبر
على البلا حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس انه قد افنى ماله ولم ينجح منه بشي صعد
سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهي ان ايوب يرى انك ما متعته
بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا يقوم
لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو
الله حتى اتى بني نبي الله ايوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى
من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة
فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه فصاروا منكسين وانطلق الى ايوب
متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه
فاخبره وقال لو رايت بنيك كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكسين على رووسهم
تسيل دماوهم وادمغتهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاوهم
لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة
من التراب فوضعها على راسه وقال يا ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس ذلك
فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا به ولم يلبث ايوب ان فا
وابصر واستغفر فصعد قرناوه من الملايكة بتوبته فسبقت توبته الى الله
وهو اعلم فوقف ابليس خاسيا ذليلا وقال الهي انما هون على ايوب المال والولد
انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي
على جسده فقال الله عز وجل انطلق سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان
على لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم بذلك ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم
له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتاسوا به
في الصبر ورجا الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا اليه فوجد ايوب ساجدا
فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه نفخة اشتعل
منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه
حكة فحك باظافره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها
ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكه حتى قرح لحمه وفعل ونغل وتقطع

وتغير

وتغير وانتن واخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا
ورفضه خلق الله كلهم غير امراته وهي رحمة بنت افرايم بن يوسف
ابن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه ولما راى الثلاثة من اصحابه
وهم نفير وبلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه
فلما طال به انطلقوا اليه فسلقوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي عوقبت
به قال وحضره معهم فتى حديث السن قد امن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم
ايها الكهول وانتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو احسن من الذي
قلتم ومن الراي اصوب من الذي رايتم ومن الامر اجمل من الذي اتيتم وقد كان لايوب
عليكم من الحق والذمام افضل من الذي وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من
انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم الم تعلموا ان ايوب
نبي الله وصفوته وخيرته من اهل الارض يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله
على انه سخط شيا من امره منذ اتاه الله ما اتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه
شيا من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق في طول
ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلا هو الذي زرى به عندكم ووضعه في
انفسكم فقد علمتم ان الله يبتلي المومنين والصديقين والشهدا والصالحين وليس بلاوه
لاوليايه دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان
ايوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه اخ اجنبيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل
بالحكيم ان يعذل اخاه عند البلا ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب
حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس
بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله
وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم الخشية
من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحا البلغا النبلا الاوليا العالمون بالله ولكنهم
اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم
وطاشت عقولهم اعظاما لله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله
بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطيين وانهم لابرار بريون ومع المقصرين
المفرطين وانهم لاكياس اقويا قال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب
الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة
من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبى لم تسقط
منزلته عند الحكما وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم اقبل ايوب

على الثلاثة وقال انبيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا
كيف بي لو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله ان يخلصني او قربوا عني قربانا
لعل الله ان يتقبله ويرضى عني وانكم قد اعجبتكم انفسكم وظننتم انكم عوفيتم
باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد سترها
الله بالعافية التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقرونني وانا مسموع كلامي معروف
حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي راي ولا كلام معكم فانتم كنتم اشد
علي من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال
يا رب لاي شي خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت
والعمل الذي عملت فصرف وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالحقتني باباي فالموت كان
اجمل بي الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبدك
ان احسنت فالمن لك وان اسات فبيدك عقوبتي جعلتني للبلا غرضا وللفتنة نصبا
وقد وقع علي من البلا ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي
فان قضاك هو الذي اذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي
نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم بملي فمي فادلي بعذري واتكلم ببراتي
واخاصم عن نفسي لرجوت ان يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني
ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن
اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك
قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراتك وخاصم عن نفسك واشدد ازرك وقم مقام
جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك
نفسك يا ايوب امرا ما تبلغ مثله قوتك اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على
اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها ام على اي شي وضعت
اكنافها ابطاعتك حمل الما الارض ام بحكمتك كانت الارض للما غطا اين كنت مني
يوم رفعت السما سقفا في الهوى لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها
هل يبلغ من حكمتك ان تجري نورها وتسير نجومها ويختلف بامرك ليلها ونهارها
اين كنت مني يوم انبعث الانهار وسكرت البحار سلطانك حبس امواج البحار على حدودها
ام بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الما على التراب
ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على اي شي ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل
لك من ذراع يطيق حملها ام هل تدري من اين الما الذي انزلت من السما ام هل تدري
من اي شي انشات السحاب ام هل تدري اين خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين خزانة

الليل

الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة الريح وباي لغة تتكلم الاشجار
ومن جعل العقول في اجواف الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلت الملايكة
لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على اثار قدرته
ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شاني وكل لساني وعقلي ورايي وضعفت قوتي
عند هذا الامر الذي تعرض علي الهي قد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير
حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شيت عملت فلا يعجزك شي ولا
يخفى عليك خافية الهي وتحتني البلايا فتكلمت ولم املك فكان البلا هو الذي
انطقني ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشي يسخطك ربي وليتني
مت بغمي في اشد بلايي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكتت
لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني
والصقت بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلا فاجرني
واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك على امرك فاعني واتوكل عليك
فاكفني واعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشي تكرهه مني
قال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك
ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك اية وتكون عبرة
لاهل البلا وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاوك
وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن انس رفعه
ان ايوب لبث ببلايه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين ولم تزد يوما وقال
كعب سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة على كناسة لبني اسرايل
سبع سنين واشهر يختلف فيه الدواب لا يقربه احد غير رحمة صبرت معه تتصدق
وتاتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد ايوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله تعالى والصبر
على بلايه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه
قالوا ما حزنك قال اعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزد الا صبرا
ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه الا امراته فاستغثت
بكم لتعينوني عليه فقالوا له فاين مكرك الذي اهلكت به من مضى قال بطل ذلك
كله في ايوب فاشيروا علي قالوا من اين اتيت ادم حين اخرجته من الجنة قال من
قبل امراته قالوا فشانك بايوب من قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس
يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امراة ايوب وهي
تتصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك

فروحه ويرد الدم الي جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس
اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما فيه
من الضر وان ذلك لا ينقطع عنهم ابدا فصرخت فعلم ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال
ليذبح لي هذا ايوب ويبرا فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد
اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح فقال ايوب
اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك ارايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه
قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فكم ابتلانا قالت منذ سبع سنين
واشهر قال ويلك ما انصفت لنصبر في البلا ثمانين سنة كما كنا في الرخا ثمانين سنة
والله لان شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك
الذي تاتيني به علي حرام ان اذوق شيا مما تاتيني به اذ قلت لي هذا اعزبي عني فلا اراك
فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا
لله وقال يا رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجبت
لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودابه
شي ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن مما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى
فشرب منها فلم يبق في جوفه دا الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا
يري شيا مما كان من اهل ومال الا وقد اضعفه الله حتى والله ذكر لنا ان الما الذي اغتسل
منه تطاير من علي صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحي الله اليه يا ايوب الم اغنك
قال بلي ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس علي مكان مشرف ثم ان امراته قالت
ارايت ان كان طردني الي من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لارجعن اليه
فرجعت اليه فلا الكناسة رات ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت
فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة
ان تاتيه فتسال عن ايوب فدعاها وقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك
المبتلي الذي كان منبوذا علي الكناسة لا ادري اضاع ام قاعد فقال ايوب ما كان منك
فبكت وقالت بعلي فقال فهل تعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى علي احد راه ثم جعلت
تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني انا
ايوب الذي امرتيني ان اذبح لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت
الله فرد علي ما ترين قال وهب لبث ايوب في البلا ثلاث سنين فلما غلب ايوب
ابليس ولم يستطع منه شيا اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم
والجسم والجمال علي مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبها فقال لها انت صاحبة

ايوب

ايوب هذا الرجل المبتلي قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض
وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السما وتركني فاغضبني
ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كلما كان لكما من مال وولد فانه
عندي ثم اراها اياه ببطن الوادي الذي لقيتها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها
اسجدي لي سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الي
ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك
ثم اقسم ان الله عافاه ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس
في سجودها له ودعايه اياها واياي الي الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة امراة ايوب
بصبرها معه علي البلا وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان ياخذ ضغثا
يشتمل علي مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر
حين قصد الدود الي قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف
عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشيا احدها ما قيل في حقه لو كان لك عند الله منزلة
ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها
واتت بطعام والثالث قول ابليس اني اداويه علي ان يقول انت شفيتني وقيل مسني
الضر من شماتة الاعدا حتى روي انه قيل له بعد ما عوفي ما كان اشد عليك
في بلايك قال شماتة الاعدا فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر
الشكوي والجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت
ليس هذا بشكاية وانما هو دعا بدليل قوله فاستجبنا له والشكوي انما تكون الي
الخلق لا الي الخالق بدليل قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الي الله وقال سفيان
ابن عيينة من اظهر الشكوي الي الناس وهو راض بقضا الله تعالى لا يكون ذلك
جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال
كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا وقالت عايشة حين قالت واراساه
قال بل انا واراساه وقوله تعالى فاستجبنا له اي اجبنا دعاه فكشفنا ما به من ضر
وذلك انه قال اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل
فذهب كل دا كان بظاهره ثم مشي اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض
مرة اخرى ففعل فنبع عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل دا كان
بباطنه فصار كاصح ما كان واتيناه اهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود وابن عباس
واكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم الله واعطاه مثلهم
معهم وهو ظاهر القران وعن ابن عباس رواية اخرى ان الله رد الي المراة شبابها

فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه
انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما
علي اندر القمح الذهب وافرغت الاخري علي اندر الشعير الورق حتي فاضا وروي
ان الله بعث اليه ملكا وقال ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الي اندرك فخرج
اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الي اندره
فقال له الملك اما يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع
من بركته خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل
عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن
اغنيتك عما تري قال بلي يا رب ولكن لا غني لي عن بركتك وقيل اتي الله ايوب مثل اهله
الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان اهلك في الاخرة فان شيت عجلناهم لك في الدنيا
وان شيت كانوا لك في الاخرة واتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونون لي في الاخرة
واوتي مثلهم في الدنيا فعلي هذا يكون معني الاية واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم
معهم في الدنيا واراد بالاهل الاولاد رحمة من عندنا اي نعمة وذكري للعابدين اي عظة
وعبرة لهم قوله عز وجل واسماعيل هو ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وادريس هو اخنوخ
وذا الكفل كل من الصابرين اي علي ما امر الله لما ذكر الله ايوب وصبره علي البلا اتبعه
بذكر هولاء الانبيا لانهم صبروا علي المحن والشدايد والعبادة ايضا اما اسماعيل
صلى الله عليه وسلم صبر علي الانقياد للذبح واما ادريس فقد تقدم قصته واما ذو الكفل
فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من انبيا بني اسرايل وكان ملكا اوحي الله اليه اني اريد
قبض روحك فاعرض ملكك علي بني اسرايل فمن تكفل انه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم
بالنهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك
فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفي فشكر الله له ونباه فسمي ذا الكفل
وقيل لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت رجلا علي الناس يعمل عليهم في حياتي انظر
كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل مني ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم
الليل ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها
في الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة
شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة
فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني
وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وجعل يطول حتي ذهبت القايلة فقال
اذا رحت فاتني حتي اخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يري الشيخ

فلم

فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما كان من الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره
فلم يره فلما رجع الي القايلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ
المظلوم ففتح له وقال الم اقل اذا قعدت فاتني قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك
قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست فاتني
وفاتته القايلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم
الثالث قال لبعض اهله لا تدع احدا يقرب هذا الباب حتي انام فانه قد شق
علي النعاس فلما كان تلك الساعة نام جا فلم ياذن له الرجل فلما اعياه نظر فراي كوة
في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان
الم امرك قال اما من قبلي فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الي الباب فاذا هو مغلق
كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه
فقال اعدو الله قال نعم اعييتني وفعلت ما فعلت لاغضبك فعصمه الله فسمي
ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفي به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس
وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وادخلناهم في رحمتنا يعني
ما انعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب انهم من الصالحين
قوله عز وجل وذا النون اي واذكر صاحب الحوت اضيف الي الحوت لابتلاعه اياه
وهو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قال ابن عباس في رواية كان يونس وقومه
يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي منهم
سبطان ونصف فاوحي الله الي شعيا النبي ان سر الي حزقيل الملك وقل له حتي
يوجه نبيا قويا فاني القي في قلوب اوليك حتي يرسلوا معه بني اسرايل فقال له فمن تري
وكان في مملكته خمسة انبيا قال يونس فانه قوي امين فدعا الملك يونس وامره ان
يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فها هنا
غيري انبيا اقويا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك ولقومه فاتي بحر الروم فركبه
وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم وكره
ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب
الذي رفع العذاب عنهم فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى
كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من
جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم ياتهم العذاب للميعاد فغضب وقال
ابن عباس اتي جبريل يونس فقال انطلق الي اهل نينوى فانذرهم فقال التمس
دابة فقال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الي السفينة وقال وهب ان يونس

كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها
تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك
اخرجه الله من اولي العزم فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله **فظن ان لن نقدر عليه** اي لن نقضي
عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن ان لن نضيق عليه
الحبس وقيل معناه او ظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس
مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة
فابى الله ان يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه اربعين ما بين يوم
وليلة وقيل سبعة ايام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب حتى بلغ تخوم الارض
السابعة فتاب الى ربه وارجع نفسه في بطن الحوت **فنادى في الظلمات ان لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين** اي حيث عصيتك وما صنعت من شي فلم اعبد غيرك
فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى
الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه
في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله
اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا
يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا في مكان مجهول فقال
ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد
اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه
في الساحل فذلك قوله تعالى **فاستجبنا له ونجيناه من الغم** اي من تلك الظلمات **وكذلك
ننجي المومنين** اي من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك بمواضع
من هذه القصة من اجاز وقوع الذنب من الانبيا منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن
ان لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت ما الجواب الكلي فقد اختلف
في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا فقال تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد
اجاز بعضهم عليهم الصغاير قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح واما الجواب
التفصيلي فقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله انه لقومه او للملك او لي الا ان الانبيا
واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم ان معناه ان لن نضيق عليه وذلك
ان يونس ظن انه مخير ان شا قام وان شا خرج وان شا الله تعالى لا يضيق عليه
في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم

وضع الشي في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه اما ان يكون
لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعايه بالعذاب
على قومه وهو في هذه الاشيا ترك الافضل مع القدرة على تحصيله فكان ذلك ظلما
وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله تعالى وان يونس لمن
المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة
ما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله عز وجل **وزكريا اذ نادى ربه** اي دعا ربه
فقال **رب لا تذرني فردا** اي وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثا **وانت
خير الوارثين** هذا ثنا على الله بانه الباقي بعد فنا الخلق وانه الوارث لهم وهذا على
سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الرازقين **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى**
اي ولدا **واصلحنا له زوجه** اي جعلناها ولودا بعد ما كانت عقيما وقيل كانت
سيية الخلق فاصلحها الله بان رزقها حسن الخلق **انهم كانوا يسارعون في الخيرات**
يعني الانبيا المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة في الخير
من اكبر ما يمدح به المرء لانه يدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل **ويدعوننا رغبا
ورهبا** يعني انهم ضموا الى اهل الطاعات امرين احدهما الفزع الى الله تعالى لمكان
الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى **وكانوا لنا خاشعين**
وهو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الامور خوفا
من الوقوع في الاثم قوله تعالى **والتي احصنت فرجها** اي احصنا تاكليا من الحلال والحرام
جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم اك بغيا وهي مريم بنت عمران **فنفخنا فيها من روحنا**
اي امرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها واضاف
الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله **وجعلناها وابنها اية** اي دلالة
للعالمين على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير اب فان قلت هما ايتان فكيف قال
اية قلت معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما اية واحدة لان ولادتها اياه
من غير اب اية قوله تعالى **ان هذه امتكم** اي ملتكم دينكم **امة واحدة** اي دينا واحدا وهو الاسلام
فابطل ما سوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التي هي على مقصد واحد **وانا ربكم
فاعبدون** اي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدون **وتقطعوا امرهم بينهم**
اي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرا بعضهم من
بعض **كل الينا راجعون** فنجزيهم باعمالهم **فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران
لسعيه** اي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه **وانا له كاتبون** اي لعمله
حافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة قوله عز وجل

وصنع

وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون قال ابن عباس معناه وحرام على اهل
قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه انه واجب على قرية اهلكناهم
انهم لا يرجعون الى الدنيا وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان تتقبل
اعمالهم لانهم لا يتوبون قوله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج يريد فتح السد
وذلك ان الله يفتحه ابتداعن ياجوج وماجوج وهما قبيلتان يقال انهم تسعة اعشار
بني ادم وهم من كل حدب ينسلون اي يسرعون النزول من الاكام والقلاع وفي هذه الكناية
وجهان احدهما ان المراد بهم ياجوج وماجوج وهو الاصح بدليل ما روي عن النواس
ابن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع
حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول
الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال
غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست
فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كاني
اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف انه خارج
خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله
وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه
كايامكم قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي
على القوم فيدعوهم فيومنوا به ويستجيبون له فيامر السما فتمطر والارض فتنبت
فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم ياتي
على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم
شي من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب
النحل ثم يدعو رجلا ممتليا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض
ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح
ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه
على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا
يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه
حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله منه
فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذا وحى الله الى عيسى
ابن مريم اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث
الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوايلهم على بحيرة طبرية فيشربون

ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ما ويحصر نبي الله عيسى واصحابه
حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله واصحابه
الى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة
ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملاه
زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق
البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شا الله ثم يرسل الله مطرا لا يكون منه بيت مدر
ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي
بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل
حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفيام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من
الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا
طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مومن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون
فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم شرح غريب الفاظه
قوله حتى ظنناه في طائفة النخل اي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة
من الشي وقوله فخفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في امره
وقيل ان خفض من امره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره قوله انه شاب
قطط يعني شديد جعودة الشعر وقوله طافية اي خارجة عن حدها قوله انه خارج
خلة اي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول في الشي قوله فعاث
اي افسد قوله فاقدروا له اي قدروا له قدر يوم من ايامكم المعهودة وصلوا فيه كل يوم
بقدر ساعاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم اي مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين
اي مقحطين قد اجدبت ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب
وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض اي قطعتين والغرض
الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين روي بالدال المهملة وبالمعجمة
اي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان
لاحد بقتالهم اي لا قدرة ولا قوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون في انوف
الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل زهمهم اي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة
اي كالمراة وجمعها زلف ويروى بالقاف واراد به استواها ونظافتها قوله ياكل العصابة
اي الجماعة قيل يبلغون اربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الرا اللبن
واللقحة الناقة ذات اللبن والفيام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله
يتهارجون اي يختلفون والتهارج الاختلاف واصله القتل الوجه الثاني في تفسير

قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلايق يعني انهم يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم قوله عز وجل واقترب الوعد الحق اي القيامة قال حذيفة لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا قيل معنى القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كاين بل كنا ظالمين اي في وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل انكم الخطاب للمشركين وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم اي حطبها ووقودها وقيل يرمون به في النار كما يرمى بالحصباء واصل الحصب الرمي انتم لها واردون اي فيها داخلون لو كان هؤلاء يعني الاصنام آلهة اي على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل الاصنام النار وعابدوها وكل فيها خالدون يعني العابدين والمعبودين لهم فيها زفير قيل الزفير هو ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى ثم تلك التوابيت في توابيت اخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال العلماء ان هنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة اولئك عنها اي عن النار مبعدون قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال اكثر المفسرين عني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طايع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثماية وستون صنما فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له

ابن الزبعرى انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنوا مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو اراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل لا يسمعون حسيسها يعني صوتها وحركتها اذا نزلوا منازلهم في الجنة وهم في ما اشتهت انفسهم اي من النعيم والكرامة خالدون مقيمون قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا اهل النار خلود فلا موت وقيل هو ان تطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنونهم ويقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي في الدنيا قوله عز وجل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى طي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوي السماء كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب فيه والمقصود انه لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم كما بدانا اول خلق نعيده اي كما بداناهم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة ق عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين قوله غرلا اي قلفا وقوله تعالى انا كنا فاعلين يعني الاعادة والبعث بعد الموت قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو ام الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب ينسخ جميع الكتب ومعنى من بعد اي ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل ان الارض يرثها عبادي الصالحون يعني ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان ارض الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد

في القاموس الطومار الصحيفة

المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها إن في هذا اي القران لبلاغا اي وصولا
الى البغية يعني من اتبع القران وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل
البلاغ الكفاية اي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة
والقران زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى لقوم عابدين اي مومنين يعبدون الله
تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس وشهر رمضان
والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العاملون قوله عز وجل وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتاب بين
كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف
في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز
والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز
الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعني المومنين
خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من امن ومن لم يومن فمن امن
فهو رحمة له في الدنيا والاخرة ومن لم يومن فهو رحمة له في الدنيا بتاخير العذاب عنه
ورفع المسخ والخسف والاستيصال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا
رحمة مهداة قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون اي منقادون
لما يوحى الي من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر اي
اسلموا فان تولوا اي اعرضوا ولم يسلموا فقل اذنتكم اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح
بيننا على سواء اي انذارا بينا نستوي في علمه لا استبدادا دونكم لتتاهبوا لما
يراد بكم والمعنى اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به وقيل معناه
لتستووا في الايمان به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره وان
ادري اي وما اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون يعني القيامة لا يعلمها الا الله
انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي لا يغيب عن علمه شيء منكم في علانيتكم
وسركم وان ادري لعله فتنة لكم اي لعل تاخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف
صنيعكم وهو اعلم ومتاع الى حين اي تتمتعون الى انقضاء اجالكم قل رب احكم
اي افصل بيني وبين من كذبني بالحق اي بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه
فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو
وهو ان ينصرني عليهم والله يحكم بالحق طلب ولم يطلب ومعنى الطلب ظهور
الرغبة من الطالب وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي من الشرك والكفر
والكذب والاباطيل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل

متوعدا

متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم بسر كتابه
تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست ايات من قوله عز وجل هذان خصمان
الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية والف ومايتان واحدى وتسعون
كلمة وخمسة الاف وخمسة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ان زلزلة الساعة شيء عظيم
الزلزلة شدة الحركة على الحال الهايلة ووصفها بالعظم ولا شيء اعظم مما عظمه الله تعالى
قيل هي من اشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها
يوم ترونها يعني الساعة وقيل الزلزلة تذهل قال ابن عباس تشتغل وقيل تنسى كل مرضعة
عما ارضعت اي كل امراة معها ولد ترضعه وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط من هول
ذلك اليوم قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها
لغير تمام فعلى هذا القول الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال
تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما يقال
اصابنا امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته وترى الناس سكارى اي على التشبيه
وما هم بسكارى اي على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب هو الذي اذهب
بعقولهم وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ولكن عذاب
الله شديد ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
يوم القيامة يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادي
بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال رب وما بعث النار
قال من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى
تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعماية وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم
في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود
وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال
شطر اهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن الحصين وغيره ان هاتين
الايتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي
حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة
فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس
بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يوم ذلك

قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم قم فابعث بعث النار وذكر نحو حديث
ابي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون
الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا قوله عز وجل ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدل وكان يقول الملايكة بنات الله والقران
اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحيا من صار ترابا ويتبع اي في جداله في الله بغير علم
كل شيطان مريد اي المتمرد المستمر في الشي وفيه وجهان احدهما انهم شياطين الانس وهم روسا
الكفر الذين يدعون من دونهم الي الكفر والثاني انه ابليس وجنوده كتب عليه اي قضي علي الشيطان
انه من تولاه اي اتبعه فانه يعني الشيطان يضله اي يضل من تولاه عن طريق الجنة ويهديه
الي عذاب السعير وفي الاية زجر عن اتباعه والمعني كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال
ثم الزم الحجة منكري البعث فقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب اي شك من البعث اي بعد
الموت فانا خلقناكم من تراب يعني اباكم ادم الذي هو اصل النسل ثم من نطفة يعني ذريته
من المني واصلها الما القليل ثم من علقة اي من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير
دما غليظا ثم من مضغة وهي لحمة قليل قدرها بمضغ مخلقة وغير مخلقة قال ابن
عباس اي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط
وقيل المخلقة الولد التي تاتي به المراة لوقته وغير مخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالي
قسم المضغة الي قسمين احدهما تامة الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني هو الناقص
من هذه الاحوال كلها روي عن علقمة بن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت
في الرحم اخذها ملك بكفه وقال اي رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها
الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثي شقي ام سعيد
ما الاجل ما العمل ما الرزق باي ارض تموت فيقال له اذهب الي ام الكتاب فانك تجد فيها
كل ذلك فيذهب فيجد ما في ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتي ياتي علي اخر صفته
والذي اخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم
يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد
ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل عمل اهل الجنة حتي ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم
ليعمل بعمل اهل النار حتي ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل الجنة فيدخلها وقوله تعالي لنبين لكم اعمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم
ولتستدلوا بقدرته في ابتدا الخلق علي قدرته علي الاعادة وقيل لنبين لكم ما تاتون وما

تذرون

تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم ان تغيير الخلقة هو اختيار الفاعل
المختار فان القادر علي هذه الاشيا كيف يكون عاجزا عن الاعادة ونقر في الارحام ما نشاء
اي لا تسقطه ولا تمجه الي اجل مسمي اي وقت خروجها من الرحم تام الخلق ثم نخرجكم اي وقت
الولادة من بطون امهاتكم طفلا اي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة علي الجنس
ثم لتبلغوا اشدكم اي كمال القوة والعقل والتمييز ومنكم من يتوفي اي من قبل بلوغ الكبر ومنكم
من يرد الي ارذل العمر اي الهرم والخرف لكي لا يعلم من بعد علم شيئا اي يبلغ من السن ما يتغير عقله
فلا يعقل شيا فيصير كما كان في اول الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر
دليلا اخر علي البعث فقال تعالي وتري الارض هامدة اي يابسة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها
الما يعني المطر اهتزت اي تحركت بالنبات وربت اي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات
وانبتت من كل زوج بهيج اي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو البهج وهو الشي المشرق
الجميل ثم ان الله تعالي لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالي ذلك اي لتعلموا
بان الله هو الحق اي وان حدوث هذه الاشيا دالة علي وجود الصانع وانه يحيي الموتي اي انه اذا
لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشيا فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وانه علي كل شي قدير
اي من كان كذلك كان قادرا علي جميع الممكنات وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من
في القبور اي ذكر ما ذكر من الدلايل لتعلموا ان الساعة كاينة لا شك والها حق وان البعث بعد الموت
حق قوله تعالي ومن الناس من يجادل في الله بغير علم يعني النضر بن الحارث ولا هدي اي ليس معه
من الله بيان ولا رشاد ولا كتاب منير اي ولا كتاب من الله له نور ثاني عطفه اي لاوي جنبه
وعنقه متبختر التكبر معرضا عما يدعي اليه من الحق تكبرا ليضل عن سبيل الله اي عن دين
الله له في الدنيا خزي اي عذاب وهوان فقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق ذلك اي يقال له ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد
اي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالي علي اي وجه تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم
قوله عز وجل ومن الناس من يعبد الله علي حرف الاية نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون
المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت لها
فرسه مهرا وولدت امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن فقد اصبت فيه خيرا واطمان
له وان اصابه مرض وولدت امراته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله فقال ما اصبت
منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله ومن
الناس من يعبد الله علي حرف اي علي شك واصله من حرف البنا وهو طرفه الذي هو قايم
عليه وحرف الجبل والحايط الذي غير مستقر فقيل للشاك في الدين انه يعبد الله
علي حرف لانه لم يدخل فيه علي الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم علي قلق واضطراب

في دينهم لا على سكينة وطمانينة ولو عبدوا الله بالشكر على السرا والصبر على الضرا لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير اي صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان به اي رضي به وسكن اليه وان اصابته فتنة اي بلاء في جسده وضيق في المعيشة انقلب على وجهه اي ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا والاخرة اي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يومله والاخرة بذهاب الدين والخلود في النار ذلك هو الخسران المبين اي الظاهر يدعوا من دون الله ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه ان اطاعه وعبده ذلك هو الضلال البعيد اي عن الحق والرشد يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه فان قلت قد قال في الاية الاولى يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في الاية الثانية لمن ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الاولى ما لا يضره اي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اي ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضر اليها وقيل ان الله سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه سينتفع به حين يستشفع به وقيل الاية في الرؤسا وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا وحجة هذا القول ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الاية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الرؤسا بدليل قوله لبيس المولى ولبيس العشير اي الناصر والصاحب المعاشر قوله عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد اي باوليايه واهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الدنيا اي باعلا كلمته واظهار دينه والاخرة اي وفي الاخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه فليمدد بسبب اي بحبل الى السما اي سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد حبلا من سقف بيته فليختنق به حتى يموت ثم ليقطع اي الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده اي صنيعه وحيلته ما يغيظ اي فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسما السما المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصره الله بسببه ويكيد في امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله في السما فليطلب سببا يصل به الى السما ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر هل يذهبا

له الوصول الى السما بحيلة وهو يقدر على ذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفايدة وفي الاية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فايدة فيه روي ان الاية نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف قالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف الا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يوونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من يعطني اعطاه الله وكذلك انزلناه يعني القران ايات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين امنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يعني عبدة الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهو ما عدا الاسلام ان الله يفصل بينهم اي يحكم بينهم يوم القيمة وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزا واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد ان الله على كل شي شهيد اي انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفعل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الاية في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل الم تر اي الم تعلم وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس قيل سجود هذه الاشجار تحول ظلالها وقيل ما في السما نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يوذن له فياخذ ذات اليمين حتى يرجع اي مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ويسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهو مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت بمطاوعتها افعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت هذا التاويل يبطله قوله وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فايدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره واما المومن فانه ساجد بذاته وبظاهره ايضا فلاجل الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الاية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموم فيدخل

فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس
يسجدون فبين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعه دون بعض وهم الذين قال فيهم وكثير
حق عليه العذاب وهم الكفار اي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود وهم كفرهم وامتناعهم
من السجود تسجد ظلالهم لله عز وجل ومن يهن الله فما له من مكرم اي من يذله الله فلا يكرمه احد
ان الله يفعل ما يشا اي يكرم الله بالسعادة من يشا ويهين بالشقاوة من يشا وقيل معناه
الله يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب فصل هذه السجدة من
عزايم سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوتها وسماع تلاوتها قوله عز وجل
هذان خصمان اختصموا في ربهم اي جادلوا في دينه وامره واختلفوا في هذين الخصمين
فروي عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية هذان خصمان اختصموا
في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابني ربيعة
والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين خ عن علي بن ابي طالب قال انا اول من يجثو للخصومة
بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عباد فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم
قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن
ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن اسحاق وخرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة
ابن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار
ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحارث وامهما عفرا وعبد الله بن رواحه فقالوا من انتم فقالوا
رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفا كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفانا
من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب
ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفا كرام فبارز
عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم
يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه
فكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فدففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله
ومخها يسيل فلما اتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست شهيدا يا رسول الله قال بلى
قال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابنائنا والحلايل وقال ابن عباس نزلت الاية في المسلمين واهل الكتاب فقال اهل
الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن احق بالله
امنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم
حسدا فهذا خصومتهم في ربهم وقيل هم المومنون والكافرون من اي ملة كانوا فالمومنون
خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم

تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لي لا يدخلني
الا ضعفا الناس وسقطهم زاد في رواية وعزتهم فقال الله عز وجل للجنة انت رحمتي
ارحم بك من اشا من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشا من عبادي ولكل
واحدة منكما ملوها فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تعالى رجله فيقول قط قط فهنالك
تمتلي ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم ربك من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشي لها خلقا
وللبخاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاوله اولى بالصحة لان
حمل الكلام على ظاهره اولى وقوله هذان كالاشارة الى شيء تقدم ذكره وهم اهل الاديان
الستة وايضا فانه ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته وذكرهما الخصمين فقال تعالى
فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قاله سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الانية
شي اذا احمي اشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس
اهل النار مقطعات من نار يصب من فوق روسهم الحميم اي الما الحار الذي انتهت حرارته
يصهر به اي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق روسهم ما في بطونهم من الشحوم والاحشا
والجلود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على روسهم فينفذ
حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ولهم مقامع من حديد اي سياط من حديد وهي الجرز من
الحديد وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الارض
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي
ياخذ بانفاسهم اعيدوا فيها اي ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى اعلاها
فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا وذوقوا
عذاب الحريق اي تقول لهم الملايكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال احد الخصمين
وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الاخر وهم المومنون ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو ولباسهم فيها
حرير وهو الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية بن حيدة والد بهز بن حكيم عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة بحر الما وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار
بعد اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ق عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
الى ربهم الا ردا الكبريا على وجهه في جنة عدن عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان عليهم التيجان ادنى لولوة منها لتضي ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة

قوله تعالى **وهدوا** أي من الهداية اي ارشدوا **الى الطيب من القول** قال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل اي القران وقيل هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده **وهدوا الى صراط الحميد** اي الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في افعاله قوله عز وجل **ان الذين كفروا** اي بما جا به محمد صلى الله عليه وسلم **ويصدون عن سبيل الله** اي بالمنع من الهجرة والجهاد **والمسجد الحرام** اي ويصدون عن المسجد الحرام **الذي جعلناه للناس** اي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا **سوا العاكف** اي المقيم **فيه** قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاوروا واقام به ولزم التعبد فيه **والبادي** اي الطاري المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الاية فقيل سوا العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضا النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هي التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة شا من ليل او نهار اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادي سوا في النزول به ليس احدهما احق بالمنزل من الاخر غير انه لا يزعج احدا اذا كان قد سبق الى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سوا في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان ارض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي احتج الشافعي بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اضاف الديار الى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن باربعة الاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى **ومن يرد فيه** اي في المسجد الحرام **بالحاد بظلم** اي بميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شي كان منهيا عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام او ارتكاب شي من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه ما لا يقتل او تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيات بمكة كما تضاعف فيه الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه

اخرجه ابو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم **نذقه من عذاب اليم** قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن ابين او ببلد اخر اذاقه الله من عذاب اليم قال السدي الا ان يتوب وروي عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسيل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى **واذ بوانا لابراهيم مكان البيت** قال ابن عباس جعلنا وقيل وطانا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السما زمن الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببنا البيت لم يدر اين يبني فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها راس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنى عليه **ان لا تشرك بي شيا** اي عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيا **وطهر بيتي** اي من الشرك والاوثان والاقذار **للطايفين** اي الذين يطوفون بالبيت **والقايمين** اي المقيمين به **والركع السجود** اي المصلين قوله عز وجل **واذن** اي اعلم وناد والاذان في اللغة الاعلام **في الناس** قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة **بالحج** فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الاذان وعلي الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من حج من اصلاب الابا وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وروي ان ابراهيم صعد ابا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المامور بالتاذين هو محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا **ياتوك رجالا** اي مشاة على ارجلهم جمع راجل **وعلى كل ضامر** اي ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدا بذكر المشاة تشريفا لهم **ياتين** اي جماعة الابل **من كل فج عميق** اي من كل طريق بعيد فتاتي مكة حاجا فكانه قد اتى ابراهيم لانه مجيب نداه قوله تعالى **ليشهدوا منافع لهم** قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من امر الدنيا والاخرة **ويذكروا اسم الله في ايام معلومات** يعني عشر ذي الحجة في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص على علمها من اجل وقت الحج في اخرها وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وايام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام

فكلوا منها امر اباحة ليس بواجب وذلك ان الجاهليين كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم
شيئا فامر الله بمخالفتهم اتفق العلما علي ان الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل
منه وكذلك اضحية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم
علي ببدن من اليمن وساق رسول الله صلي الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله
صلي الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر علي ما غبر واشركه في بدنه ثم امر من كل بدنة
ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها اخرجه مسلم قوله ما غبر
اي ما بقي قوله ببضعة اي بقطعة واختلف العلما في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع
والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزا الصيد هل يجوز للمهدي ان ياكل منه
شيا قال الشافعي لا ياكل منه شيئا وكذلك ما اوجبه علي نفسه بالنذر وقال ابن عمر
لا ياكل من جزا الصيد والنذر وياكل مما سوي ذلك وبه قال احمد واسحاق
وقال مالك ياكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذي وجزا
الصيد والمنذور وعند اصحاب الراي انه ياكل من دم التمتع والقران ولا ياكل من واجب
سواهما وقوله تعالي **واطعموا البايس الفقير** يعني الزمن الذي لا شي له قوله تعالي **ثم
ليقضوا تفثهم** اي ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق
وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث
اغبر اذا لم تزل عنه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضا التفث مناسك الحج كلها
وليوفوا نذورهم اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شي يكون في الحج اي
ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفا بما نذر وهو علي ظاهره وقيل اراد به الخروج
عما وجب عليه نذره او لم ينذره **وليطوفوا بالبيت العتيق** اراد به طواف الواجب
وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة
طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر
الاسود الي ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لا شي علي تاركه **ق** عن عايشة
ان اول شي بدا به حين قدم النبي صلي الله عليه وسلم مكة انه توضا ثم طاف ثم لم تكن
عمرة ثم حج ابو بكر وعمر مثله **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان اذا طاف
الطواف الاول خبب ثلاثا ومشي اربعا زاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف
بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ ابي داود ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان
اذا طاف بالحج او العمرة اول ما يقدم فانه يسعي ثلاثة اطواف ويمشي اربعا ثم يصلي
سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق
ق عن عايشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما اراني الا حابستكم قال النبي

صلي

صلي الله عليه وسلم عقري حلقي اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري
قوله عقري حلقي معناه عقرها الله اي اصابها بالعقر وبوجع في حلقها
وقيل معناه مشومة موذية ولم يرد به الدعا عليها وانما هو شي يجري علي
السنة العرب كقولهم لا ام لك وتربت يمينك وفيه دليل علي ان من لم يطف يوم
النحر طواف الافاضة لا يجوز له ان ينفر الطواف الثالث طواف الوداع لا رخصة
لمن اراد مفارقة مكة الي مسافة القصر في ان يفارقها حتي يطوف سبعا فمن تركه
فعليه دم الا المراة الحايض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روي عن ابن
عباس قال امر الناس ان يكون اخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمراة الحايض
متفق عليه والرمل سنة مختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع
وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان الله اعتقه من ايدي الجبابرة
ان يصلوا الي تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه اول بيت وضع للناس
وقيل لان الله اعتقه من الغرق فانه رفع ايام الطوفان وقيل لانه لم يملك قوله عز وجل
ذلك اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج **ومن يعظم حرمات الله** اي ما نهي الله عنه من
معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمات
هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام
والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعني التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها
فهو خير له عند ربه اي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند ربه في الاخرة **واحلت لكم الانعام**
اي ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم **الا ما يتلي عليكم** اي تحريمه وهو قوله في
سورة المايدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية **فاجتنبوا الرجس من الاوثان** اي اتركوا
عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم من
التلوث بالنجاسات **واجتنبوا قول الزور** اي الكذب والبهتان وقال ابن مسعود شهادة الزور
وروي عن ايمن بن خريم قال ان النبي صلي الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت
شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان
واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لايمن سماعا
من النبي صلي الله عليه وسلم واخرجه ابو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك قوله تعالي **حنفاء لله غير
مشركين به** فدل علي ذلك ان المكلف ينوي بما ياتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا لغيره وقيل
كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفا فنزلت حنفا لله
غير مشركين به اي حجاجا لله مسلمين موحدين ومن اشرك بالله لا يكون حنيفا **ومن يشرك**

بالله وكانما خر اي سقط من السما الى الارض فتخطفه الطير اي تستلبه وتذهب
به او تهوي به الريح اي تميل وتذهب به في مكان سحيق اي بعيد ومعنى الاية ان بعد
من اشرك بالله عن الحق والايمان كبعد من سقط من السما فذهبت به الطير وهوت به
الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السما لانه لا يملك
لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير
لحمه او بسقوطه في المكان السحيق وقيل معنى الاية من اشرك بالله فقد اهلك نفسه
اهلاكا ليس وراه هلاك فان تصوره حاله بصورة حال من خر من السما فاختطفته
الطير فتفرقت اجزاه في حواصلها اي عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك
البعيدة وقيل شبه الايمان بالسما في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السماء
والاهوا التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي
الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة قوله عز وجل ذلك
يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى
القلوب قال ابن عباس شعاير الله البدن والهدي واصلها من الاشعار وهو العلامة
التي يعرف بها انها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعاير الله
اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب لكم فيها اي في البدن منافع قبل ان تسمنها
للهدي وفي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهورها الى اجل مسمى اي الى ان تسميها وتوجبها
هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شي من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية
عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد اتخاذها وتسميتها هديا بان تركبوها
وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعني الى ان تنحروها وهو قول عطا واختلف
العلما في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي واحمد واسحاق يجوز ركوبها والحمل عليها من
غير ضرر بها لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة
فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك في الثانية او الثالثة اخرجاه
في الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها وقال اصحاب الراي
لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل اراد بالشعاير المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع
اي بالاجر والثواب في قضا المناسك الى انقضا ايام الحج ثم محلها الى البيت العتيق اي منحرها
عند البيت العتيق ويريد جميع ارض الحرم روي عن جابر في حديث حجة الوداع ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال
الشعاير المناسك قال معنى ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون
به طواف الزيارة قوله تعالى ولكل امة اي جماعة مومنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا قرئ

يكسر

بكسر السين اي مذبحا وهو موضع القربان ومنسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح
القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي عند ذبحها ونحرها سماها
بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز
اكله قوله عز وجل فالهكم اله واحد اي سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله
واحد فله اسلموا اي اخلصوا وانقادوا واطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس المتواضعين
وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين المرققة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون
واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى والصابرين على ما
اصابهم اي من البلا والمرض والمصايب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى واما كان من غير الله
فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه والمقيمي الصلاة اي في اوقاتها والمحافظة
عليها ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون قوله والبدن جمع بدنة سميت بدنة لعظمها
وضخامتها ويريد الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها جعلنا
لكم من شعاير الله اي من اعلام دينه وقيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة في سنامها
فيعلم بذلك انها هدي لكم فيها خير اي نفع في الدنيا وثواب في العقبي فاذكروا اسم الله عليها
اي عند ذبحها صواف اي قياما على ثلاث قوايم قد صفت رجليها ويدها اليمنى واخرى
معقولة فينحرها كذلك ق عن زياد بن جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنته
ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وجبت جنوبها اي
سقطت بعد النحر فوقع جنبها على الارض فكلوا منها امر اباحة واطعموا القانع والمعتر
قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر هو الذي يسال وعن
ابن عباس القانع الذي لا يتعرض ولا يسال والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسال
وقيل القانع هو الذي يسال والمعتر هو الذي يتعرض ولا يسال وقيل القانع المسكين
والمعتر هو الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجي الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم
كذلك اي مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم اي لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون
اي انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها ولا دماوها وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا
البدن لطخوا الكعبة بدما يها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله
لحومها ولا دماوها اي لن ترفع الى الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم اي
ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما اريد به وجه الله كذلك سخرها لكم
اي البدن لتكبروا الله على ما هداكم وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله
اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا وبشر المحسنين قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى

ان الله يدفع عن الذين امنوا اي يدفع غايلة المشركين عن المومنين ويمنعهم منهم وينصرهم
عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور اي خوان في امانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس
خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمي غير
الله عليها فهو خوان كفور قوله عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اي اذن الله لهم
بالجهاد يقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركوا اهل مكة يوذون اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله هذه الاية وهي اول اية اذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الاية في قوم
باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة فاذن الله لهم في قتال
الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا اي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذا
وان الله على نصرهم لقدير فيه وعد من الله بنصر المومنين ثم وصفهم فقال تعالى الذين
اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يعني انهم اخرجوا بغير موجب
سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب
الاخراج ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود لهدمت
صوامع اي معابد الرهبان المتخذة في الصحرا وبيع وهي معابد النصارى
في البلد وقيل الصوامع للصابين والبيع للنصارى وصلوات يعني كنايس اليهود
ويسمونها بالعبرانية صلوتا ومساجد يعني مساجد المسلمين يذكر فيها اسم
الله كثيرا يعني في المساجد ومعنى الاية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن
عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ولينصرن الله
من ينصره اي ينصر دينه ونبيه ان الله لقوي اي على نصر من ينصر دينه عزيز اي لا يضام
ولا يمتنع مما يريد وقوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اي نصرناهم على عدوهم
حتى تمكنوا من البلاد اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون
وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين
اخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق مصيرها
اليه وذلك انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير اليه بلا منازع قوله تعالى وان يكذبوك
فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فان

قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت فيه وجهان احدهما
ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرايل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني
كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى ايضا مع وضوح
اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين اي امهلتهم واخرت العقوبة
عنهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم ما فعلوا من التكذيب
بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل
فكاين من قرية اهلكتها وقرئ اهلكناها على التعظيم وهي ظالمة اي واهلها ظالمون
فهي خاوية اي ساقطة على عروشها اي على سقوفها وبير معطلة اي وكم من بير معطلة
اي متروكة مخلاة عن اهلها وقصر مشيد اي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل
البير المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر فعلى قلة جبل والبير في سفحه ولكل
واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البير والقصر خاليين
وقيل ان هذا البير كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان اربعة
الاف نفر ممن امن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب اتوا الى حضرموت ومعهم صالح
فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضورا
وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم رجلا فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا
وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان
وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بيرهم وخرب قصرهم
قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم
الخالية فتكون لهم قلوب يعقلون بها اي يعلمون بها او اذان يسمعون بها يعني ما يذكر
لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور المعنى ان عمى القلب هو الضار في امر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر بلغة
ومنفعة وبصر القلب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحارث
ولن يخلف الله وعده يعني انه انجز ذلك يوم بدر وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
قال ابن عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما
من ايام الاخرة يدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة
قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسماية سنة اخرجه ابو داود بزيادة
فيه واخرج الترمذي نحوه ومعنى الاية انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام
عذابهم في الاخرة كالف سنة وقيل ان يوما من ايام العذاب في الثقل والاستطالة

كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه أن يوماً عنده وألف سنة
في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في
قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس
وكأين من قرية أمليت لها أي أمهلتها وهي ظالمة أي مستمراً أهلها على الظلم ثم أخذتها
أي أنزلت بهم العذاب وإلي المصير يعني مصيرهم إلى الآخرة ففيه وعيد وتهديد
قوله عز وجل قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
أن يديم لهم التخويف والإنذار وأن يقول لهم إنما بعثت منذراً فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول إنما أنا
نذير مبين أردف ذلك بأن أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر
أيضاً مع التوبة ورزق كريم أي لا ينقطع أبداً وقيل هو الجنة والذين سعوا في آياتنا
أي عملوا في إبطال آياتنا معاجزين أي مثبطين الناس عن الإيمان وقرئ معاجزين
أي معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا
نقدر عليهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار أولئك أصحاب الجحيم
قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته
قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه
وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من
الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوماً في مجلس لقريش
فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث
به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك
فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها
وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد
مؤمن ولا كافر إلا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا
حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين
فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون
قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويرزق ولكن
آلهتنا تشفع لنا عنده إذ جعل لها محمد نصيباً فنحن معه فلما أمسى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس

ما لم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وخاف
من الله تعالى خوفاً كثيراً فأنزل الله هذه الآية تعزية وكان به رحيماً وسمع بذلك من
كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل أسلمت
قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من
مكة بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد
منهم إلا بجوار أو مستخفياً فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من
منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه وشدة على
من أسلم قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول هو الذي يأتيه جبريل
بالوحي عياناً ولا نبي وهو الذي تكون نبوته إلهاماً ومناماً فكل رسول نبي وليس
كل نبي رسولاً إلا إذا تمنى أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه ما لم يؤمر به ألقى
الشيطان في أمنيته أي في مراده وقال ابن عباس إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه
ووجد إليه سبيلاً والمعنى ما من نبي إلا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى
الشيطان عليه ما يرضي قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقال أكثر المفسرين
معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته وقال حسان
في عثمان حين قتل • تمنى كتاب الله أول ليلة • وآخرها لاقى حمام المقادر • فإن قلت
قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه
من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً قال الله تعالى
وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه
قلت ذكر العلماء على هذا الإشكال أجوبة أحدها توهين أصل هذه القصة
وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل
وإنما رواه المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم
والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف
ألفاظها فقائل يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر يقول قرأها وهو في
نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فجرى
ذلك على لسانه وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وأن النبي
لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك إلى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في
الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من

كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله
فلقد رايته بعد قتل كافرا اخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه
البخاري فهذا الذي جا في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ
ولا قراها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي
وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى وهو
ان الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته
عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه ان ينزل عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينهاه
جبريل عن ذلك وهذا كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الجواب الثالث
في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا قرا يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا كما صح عنه في قراته فيحتمل ان الشيطان
ترصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبي صلى الله
عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا
معه لسجوده فاما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم
ذم الاصنام وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها الله عز وجل الجواب الرابع
في تحقيق تفسير الاية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى
الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى اي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا
قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير
التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى اي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من
السهو في اسقاط اية او ايات او كلمة او نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه
عليه ويذكره به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها من
سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الاية ان الانبيا والرسل وان عصمهم الله
عن الخطا في العلم فلم يعصمهم في جواز السهو عليهم بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر
البشر والله اعلم وقوله عز وجل فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه ثم
يحكم الله اياته اي يثبتها والله عليم حكيم قوله عز وجل ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة
اي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشا للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والقاسية
قلوبهم اي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي في
خلاف شديد وليعلم الذين اوتوا العلم اي التوحيد والقران والتصديق بنسخ الله ما يشا

انه الحق

انه الحق من ربك اي الذي احكم الله من ايات القران هو الحق من ربك فيؤمنوا به اي يعتقدوا
انه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم اي تسكن اليه وان الله لهادي الذين امنوا الى
صراط مستقيم اي الى طريق قويم وهو الاسلام قوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه اي في شك من القران وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم حتى تاتيهم الساعة بغتة
اي فجاة وقيل اراد بالساعة الموت او ياتيهم عذاب يوم عقيم اي عذاب يوم لا ليلة له
وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير
كالريح العقيم لا ياتي بخير وقيل لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملايكة فيه الملك
يوميذ يعني يوم القيمة لله وحده من غير منازع ولا مشارك يحكم اي يفصل بينهم
ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا فاوليك لهم عذاب مهين قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله
اي فارقوا اوطانهم وعشايرهم في طاعة الله وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم
الله رزقا حسنا اي لا ينقطع ابدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وان الله لهو خير الرازقين فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل
لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى
غير الله رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجند اي اعطاهم ارزاقهم وان
الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره
ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه وان الله لعليم
اي بنياتهم حليم عنهم قوله عز وجل ذلك اي الامر ذلك الذي قصصنا عليهم ومن
عاقب بمثل ما عوقب به اي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه
ثم بغي عليه اي ظلم باخراجه من منزله يعني ما اتاه المشركون من البغي على المسلمين في
اخراجهم الى مفارقة اوطانهم نزلت في قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين لليلتين
بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسالوهم ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى
المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصرهم الله عليهم فذلك قوله
لينصرنه الله ان الله لعفو عنهم اي عن مساوي المسلمين غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك بان الله
اي ذلك النصر بانه القادر على ما يشا فمن قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل في معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضيا النهار وذلك
بغيبوبة الشمس ويجعل ضيا النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يزيد
من احدهما ينقص من الاخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى وان الله سميع
بصير ذلك بان الله هو الحق اي ذو الحق فقوله وفعله ودينه حق وعبادته حق

وانما يدعون يعني المشركين من دونه هو الباطل يعني الاصنام التي ليس عندها ضر
ولا نفع وان الله هو العلي اي العالي علي كل شئ الكبير اي العظيم في قدرته وسلطانه
قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة اي بالنبات ان الله
لطيف اي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان خبير اي بما في قلوب العباد
اذا تاخر المطر عنهم له ما في السموات وما في الارض اي عبيدا وملكا وان الله لهو الغني
الحميد يعني الغني عن عباده الحميد في فعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي
الدواب التي تركب والفلك اي وسخر لكم السفن تجري في البحر بامره يعني سخر لها الما والرياح
ولولا ذلك لما جرت ويمسك السما ان تقع اي كيلا تسقط علي الارض الا باذنه ان الله بالناس
لرءوف رحيم اي انه انعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام
والاحسان فهو اذن رءوف رحيم بكم وهو الذي احياكم ثم يميتكم اي انشاكم ولم تكونوا شيا
ثم يميتكم اي عند انقضا اجالكم ثم يحييكم اي يوم البعث للثواب والعقاب ان الانسان لكفور
اي لجحود لنعم الله عز وجل قوله عز وجل لكل امة جعلنا منسكا قال ابن عباس شريعة هم
ناسكوه اي عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع
عبادة فلا ينازعنك في الامر اي في امر الذبايح نزلت في بديل بن ورقا وبشر بن سفيان ويزيد
ابن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ما لكم تاكلون مما تقتلون بايديكم ولا تاكلون مما
قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم انت وادع الي ربك اي الي الايمان به والي دينه انك لعلي هدي
مستقيم اي علي دين واضح مستقيم وان جادلوك اي خاصموك في امر الذبح وغيره فقل
الله اعلم بما تعملون اي من التكذيب الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون
اي فتعلمون حينيذ الحق من الباطل وقيل حكمه يوم القيامة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل
وبين نار وعقاب لمن رد وابي قوله عز وجل الم تعلم الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم ويدخل
فيه الامة ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب اي في اللوح المحفوظ ان ذلك
اي علمه بجميعه علي الله يسير وقيل ان كتبة الحوادث مع انها من الغيب علي الله يسير ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة ظاهرة من دليل سمعي وما ليس لهم به علم اي انهم
فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي وما للظالمين اي المشركين من نصير اي مانع يمنعهم
من العذاب واذا تتلي عليهم اياتنا بينات يعني القران وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل
بين الحلال والحرام تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار والكراهة تتبين ذلك في وجوههم
يكادون يسطون اي يقعون ويبسطون اليهم ايديهم بالسو وقيل يبطشون بالذين يتلون عليهم
اياتنا اي بمحمد واصحابه من شدة الغيظ قل لهم يا محمد افانبيكم بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم
من اهل القران الذي تسمعون النار اي هي النار وعدها الله الذين كفروا وبيس المصير قوله تعالي يا ايها

الناس

الناس ضرب مثل فان قلت الذي جا به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل
في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمي كل كلام كان كذلك مثلا وقال صاحب الكشاف
قد سميت الصفة او القصة الرايقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها
ببعض الامثال المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة فاستمعوا له اي تدبروه حق
تدبره فان الاستماع بلا تفقه وتدبر لا ينفع ومعني الاية جعل لي شبه وشبه بي
الاوثان اي جعل المشركون الاصنام شركاي يعبد ولها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالي
ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا اي واحدا في صغره
وضعفه وقلته لانها لا تقدر علي ذلك ولو اجتمعوا له اي لخلقته والمعني ان هذه
الاصنام ولو اجتمعت لم يقدروا علي خلق ذبابة علي ضعفها وصغرها فكيف يليق
بالعاقل جعلها معبودا وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس
كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جفت جا الذباب فاستلبت منه وقيل
كانوا يضعون الطعام بين ايدي الاصنام فيقع الذباب عليه وياكل منه ضعف
الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي
علي الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب اي لو طلب
الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم
ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه
حق صفته حيث اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ان الله لقوي لا يقهر
عزيز لا يغلب قوله عز وجل الله يصطفي من الملايكة رسلا اي يختار من الملايكة
كجبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل وغيرهم ومن الناس اي ويختار الله من الناس
رسلا مثل ابراهيم وموسي وعيسي ومحمد وغيرهم من الانبيا والرسل صلي الله وسلم
عليهم اجمعين نزلت حين قال المشركون اانزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله ان الاختيار
اليه يختار من يشا من عباده لرسالته ان الله سميع اي لاقوالهم بصير اي لافعالهم
لا يخفي عليه خافية وهو قوله تعالي يعلم ما بين ايديهم قال ابن عباس لما قدموا وما خلفهم
اي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين يدي ملايكته ورسله
قبل ان يخلقهم ويعلم ما هو كاين بعد فنايهم والي الله ترجع الامور قوله تعالي يا ايها الذين
امنوا اركعوا واسجدوا اي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود واعبدوا ربكم
اي وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم
الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الي خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لامر
الله والي الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة علي خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف

والصدقة وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا
وتفوزوا بالجنة فصل في احكام سجود التلاوة لم يختلف العلما في السجدة
الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانيه فروى عن عمر وعلي وابن عمر
وابن مسعود وابن عباس وابي الدردا وابي موسى انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال
ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق ويدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت
يا رسول الله في الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما اخرجه الترمذي
وابو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرا سورة الحج فسجد فيها سجدتين قال ان هذه السورة
فضلت بسجدتين اخرجه مالك في الموطا وذهب قوم الى ان في الحج سجدة واحدة
وهي الاولى وليست الثانية سجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير
وسفيان الثوري وابو حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك
انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلما في عدد سجود التلاوة فذهب الشافعي
واحمد واكثر اهل العلم الى انها اربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان
واسقط سجدة صاد وقال ابو حنيفة في الحج سجدة واثبت سجدة ص وبه قال احمد
في احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان
المفصل ليس فيه سجود يروي ذلك عن ابي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا
يكون سجود القران احدى عشرة سجدة يدل عليه ما روي عن ابي الدردا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال في القران احدى عشرة سجدة اخرجه ابو داود وقال الاسناد واه ودليل
من قال في القران خمس عشرة ما روى عن عمرو بن العاص قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمس عشرة سجدة في القران منها ثلاث في المفصل وفي سجدة الحج سجدتان اخرجه ابو داود
وصح من حديث ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا واذا السما انشقت
اخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقاري والمستمع وبه قال الشافعي وقال
ابو حنيفة هو واجب قوله عز وجل وجاهدوا في الله حق جهاده اي جاهدوا
في سبيل الله اعدا الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة قال ابن عباس وعنه
انه قال لا تخافوا في الله لومة لايم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون
لومة لايم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال اكثر المفسرين حق الجهاد ان تكون بنية صادقة
خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي موسى الاشعري
وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر وروى ان النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره
البغوي تبعا للثعلبي بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس
هو اجتباكم اي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاي رتبة
اعلى من هذه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وشدة وهو ان المومن لا يبتلى
بشي من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم
والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصايب وغير ذلك فليس
في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق
وقيل معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت
الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات
كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الما واكل الميتة عند الضرورة
والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله
على عباده قيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما احدا غيرهم جعلهم شهدا
على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرايل
من الاصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة ملة ابيكم ابراهيم لانه
داخل في امة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم ابا للامة كلها فكيف سماه
ابا في قوله ملة ابيكم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان
الخطاب لكل المسلمين فمعناه ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب
فهو كقوله وازواجه امهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد
وفي قوله هو سماكم المسلمين من قبل قولان احدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان
الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة من قبل نزول القران الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم
يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب دعاه فينا وفي هذا اي وفي القران
سماكم المسلمين ليكون الرسول شهيدا عليكم يعني يوم القيامة ان قد بلغكم وتكونوا
انتم شهدا على الناس يعني تشهدوا يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم
فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله اي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل
تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه
ادعوا الله ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة
هو مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير اي الناصر لكم
والله اعلم تفسير سورة المومنين وهي مكية وهي مائة وثمان عشرة اية

والف وثمانماية واربعون كلمة وثلثماية وحرفان بسم الله الرحمن الرحيم
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل
عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة
ثم سري عنه فقرا قد افلح المومنون الى عشر ايات من اولها وقال من اقام هذه العشر
ايات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا اللهم ارضنا وارض
عنا اخرجه الترمذي قوله عز وجل قد افلح المومنون قال ابن عباس قد سعد
المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقا والنجاة الذين هم في
صلاتهم خاشعون قال ابن عباس مخبتون اذلا وقيل خايفون وقيل متواضعون
وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح
كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين افعال القلب
والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له الخشوع في جميع جوارحه
فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فغاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت
الخاطر الى شي سوى ذلك التعظيم ومما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكنا مطرقا
ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله
وعن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة
فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس الاختطاف وعن ابي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم
يلتفت فاذا التفت انصرف وفي رواية اعرض عنه اخرجه ابو داود والنسايي
وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السما عن انس بن مالك قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم الى السما في صلاتهم فاشتد قوله
في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السما في الصلاة فلما نزل
الذين هم في صلاتهم خاشعون رموا بابصارهم الى مواضع السجود وقيل الخشوع
هو ان لا يعبث بشي من جسده في الصلاة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ابصر رجلا
يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره
البغوي بسنده عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة
فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنسايي وقيل
الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه

من القراة والذكر قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون قال ابن عباس عن الشرك
وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو
معارضة الكفار بالشتم والسب والذين هم للزكاة فاعلون اي للزكاة الواجبة
مودون فعبر عن التادية بالفعل لانه فعل وقيل الزكاة ههنا هو العمل الصالح
والاول اولى والذين هم لفروجهم حافظون الفرج اسم لسوأة الرجل والمراة وحفظه
التعفف عن الحرام الا على ازواجهم على بمعنى من او ما ملكت ايمانهم يعني الاما والجواري
خاصة لان المراة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها فانهم غير ملومين يعني يحفظ
فرجه الا من امراته او امته فانه لا يلام على ذلك وانما يلام فيما اذا كان على وجه
اذن فيه الشرع دون الاتيان في غير الماتى وفي حالة الحيض والنفاس فانه محظور ولا يجوز
ومن فعله فهو ملوم فمن ابتغى ورا ذلك اي التمس وطلب سوى الازواج والولايد وهن
الجواري المملوكة فاوليك هم العادون الظالمون المجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه
دليل على ان الاستمنا باليد حرام وهو قول العلما سيل عطا عنه فقال مكروه سمعت
ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فاظن انهم هولا وقال سعيد بن جبير عذب الله امة
كانوا يعبثون بمذاكيرهم قوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اي حافظون
يحفظون لما ايتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفا بها
والامانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل
الجنابة وساير العبادات التي اوجبها الله على العباد فيجب الوفا بجميعها ومنها
ما يكون بين العباد كالودايع والصنايع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفا بها ايضا
والذين هم على صلواتهم يحافظون اي يداومون ويراعون اوقاتها واتمام ركوعها
وسجودها وساير شروطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة اولا واخرا
قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفهم اولا بالخشوع في الصلاة واخرا
بالمحافظة عليها قوله تعالى اوليك يعني اهل هذه الصفة هم الوارثون يعني يرثون
منازل اهل النار من الجنة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من
احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة
منزله وذلك قوله اوليك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة
هو ان يوول امرهم الى الجنة وينالونها كما يوول امر الميراث الى الوارث الذين يرثون
الفردوس هو اعلا الجنة عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في الجنة ماية درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السما والارض والفردوس اعلاها
درجة منها تتفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتم الله فاسلوه

الفردوس الاعلى اخرجه الترمذي هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون
قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان يعني ولد ادم لان الانسان اسم جنس من سلالة
من طين قال ابن عباس السلالة صفوة الما وقيل هو المني لان النطفة تسل من الظهر
من طين يعني طين ادم لان السلالة تولدت من طين خلق منه ادم وقيل المراد من الانسان
هو ادم وقوله من سلالة اي سلت من كل تربته ثم جعلناه نطفة يعني الذي هو الانسان
جعلناه نطفة في قرار مكين اي حريز وهو الرحم مكن وهيئ لاستقرار النطفة فيه الى
وقت الولادة ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرنا النطفة قطعة دم جامد فخلقنا
العلقة مضغة اي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له وقيل بين كل خلق
وخلق مدة اربعين يوما ثم انشاناه خلقا اخر اي مباينا للخلق الاول قال ابن عباس
هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا
وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره عجايب صنعه وغرايب
فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع
والى القعود والقيام الى المشي الى الفطام الى ان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب
في البلاد الى ما بعدها فتبارك الله اي استحق التعظيم والثنا بانه لم يزل ولا يزال
احسن الخالقين اي المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الاية
وبين قوله الله خالق كل شي وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الايجاد
والابداع ولا موجد ومبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر ولانت تفري
ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري معناه انت تقدر الامور وتقطعها
وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الاية الله احسن المقدرين وجواب
اخر هو ان عيسى عليه السلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله اني اخلق لكم
من الطين كهيئة الطير فقال فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك اي بعد
ما ذكر من تمام الخلق لميتون اي عند انقضا اجالكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون
الى الحساب والجزا قوله عز وجل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق اي سبع سموات
طرايق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرايق الملايكة في الصعود والهبوط وما
كنا عن الخلق غافلين اي بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السما عليهم فتهلكهم وقيل
معناه بنينا فوقهم سما اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم سدى
بغير امر ونهي وقيل معناه انا خلقنا السما فوقهم لننزل عليهم الارزاق والبركات
منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين اي عن اعمالهم واقوالهم وضمايرهم لا يخفى

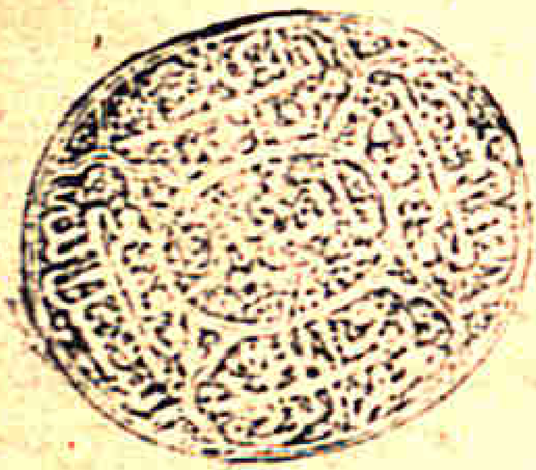
علينا خافية وانزلنا من السما ما بقدر اي يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل
بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعة فاسكناه
في الارض يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف
عند انقطاع المطر وقيل اسكناه في الارض ثم اخرجناه منها ينابيع كالعيون
والابار فكل ما في الارض من السما وانا على ذهاب به لقادرون وصح من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة
اخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله انزل من الجنة خمسة
انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها من عين واحدة من عيون
الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها
في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض
فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القران
والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه
وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السما فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون
فاذا رفعت هذه الاشيا كلها من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا روى هذا الحديث
البغوي في تفسيره قال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان عن عثمان بن
سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان
عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما انبت بالما فقال تعالى فانشانا اي بالما جنات لكم به
اي بساتين من نخيل واعناب انما افردهما لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام
الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا ولكم فيها اي في الجنات فواكه كثيرة ومنها
تاكلون اي شتا وصيفا وشجرة اي وانشانا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سينا
اي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل هو بالحبشية وقيل هو
بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينا
وسينين وقيل هو من السنا وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين
مصر وايلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سينا اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها
لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل تنبت بالدهن اي تنبت
وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت وصبغ للاكلين الصبغ
الادام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة ادما
وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشا
وقيل ان اول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتونة وقيل ان شجرة الزيتون تبقى في

الارض ثلاثة الاف سنة قوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة اي اية تعتبرون بها
نسقيكم مما في بطونها اي من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع
من بين فرث ودم باذن الله ليس فيه منهما شي فيستحيل الى الطهارة والى طعم
يوافق الشهوة والطبع ويصير غذا وقد تقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في تفسير
سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون يعني كما تنتفعون بها في حياتها
تكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل وعليها اي وعلى الانعام وهي الابل وعلى
الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي ما لكم معبود سواه افلا تتقون
اي افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا
الا بشر مثلكم اي ادمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور يريد ان يتفضل عليكم اي انه
يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وانتم له تبع ولو شا الله لانزل ملايكة يعني
بابلاغ الوحي ما سمعنا بهذا اي الذي يدعونا اليه نوح في ابائنا الاولين ان هو الا رجل
به جنة اي جنون فتربصوا به حتى حين اي الى الموت فتستريحوا منه قال رب
انصرني بما كذبون اي اعني باهلاكهم بتكذيبهم اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا اي بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له ولا يفسد
عليه عمله ووحينا قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها
فاذا جا امرنا اي عذابنا وفار التنور قيل هو التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة
وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رايت الما يفور من التنور فاسلك
فيها اي فادخل في السفينة من كل زوجين اثنين اي من كل حيوان ذكرا وانثى واهلك
اي ومن امن بك الا من سبق عليه القول اي وجب عليه العذاب منهم يعني الكفار
وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون قوله عز وجل فاذا استويت اي اعتدلت
انت ومن معك على الفلك اي في السفينة فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
اي الكافرين وقل رب انزلني منزلا مباركا قيل موضع النزول وهو السفينة عند
الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة فاراد بالبركة النجاة
من الغرق وكثرة النسل بعد الانجا وانت خير المنزلين معناه انه قد يكون الانزال
من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وانت خير المنزلين لانه يحفظ من
انزله ويكلاوه في ساير احواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف
فانه لا يقدر على ذلك ان في ذلك اي الذي ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعدا

الله لايات اي دلالات على قدرتنا وان كنا اي وما كنا لمبتلين اي لمختبرين
اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب
بهم قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا اخرين يعني عادا
فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا قاله اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول
صالح والاول اصح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي هذه الطريقة
التي انتم عليها مخافة العذاب وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الاخرة اي بالمصير اليها واترفناهم اي نعمناهم ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون اي من مشربكم ولين
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اي لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون اي من قبوركم احيا هيهات هيهات قال ابن عباس اي بعيد
بعيد لما توعدون استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر في بدو
امرهم وقدرة الله على ايجادهم وارادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون ابدا
ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا قيل معناه نحيى ونميت لانهم كانوا ينكرون
البعث وقيل يموت الابا ويحيى الابنا وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم وما
نحن بمبعوثين اي بعد الموت ان هو يعنون رسولهم الا رجل افترى على الله كذبا وما
نحن له بمومنين اي بمصدقين بالبعث بعد الموت قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل
ليصبحن اي ليصيرن نادمين اي على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق يعني
صيحة العذاب قيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك
فجعلناهم غثا هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر والمعنى صيرناهم
هلكى فيبسوا يبس الغثا من نبات الارض فبعدا اي الزمناهم بعدا من الرحمة
للقوم الظالمين قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي اقواما اخرين
ما تسبق من امة اجلها اي وقت هلاكها وما يستاخرون اي عن وقت هلاكهم
ثم ارسلنا رسلنا تترا اي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين
كل رسولين زمنا طويلا كلما جا امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا اي
بالهلاك فاهلكنا بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اي سيرا وقصصا
يتحدث من بعدهم بامرهم وشانهم فبعدا لقوم لا يومنون قوله تعالى ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين اي بحجة بينة كالعصى واليد وغيرهما
الى فرعون وملايه فاستكبروا اي تعظموا عن الايمان وكانوا قوما عالين اي متكبرين
قاهرين غيرهم بالظلم فقالوا يعني فرعون وقومه انومن لبشرين مثلنا يعنون موسى

وهارون وقومهما لنا عابدون اي مطيعون متذللون فكذبوهما فكانوا من المهلكين اي بالغرق
ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة لعلهم يهتدون اي لكي يهتدي به قومه قوله عز وجل
وجعلنا ابن مريم وامه اية اي دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وانطقه في
المهد فان قلت لم قال اية ولم يقل ايتين قلت معناه جعلنا شانهما اية
لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا في هذه الاية
فكانت اية واحدة واويناهما الى ربوة اي الى مكان مرتفع قيل دمشق وقيل هي الرملة
وقيل ارض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بيت المقدس اقرب الارض
الى السما بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب الايوا انها فرت بابنها اليه وقوله
ذات قرار اي منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ومعين اي الما الجاري الذي تراه
العيون قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قيل اراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم
وحده وقيل اراد به عيسى عليه السلام وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات الحلال
واعملوا صالحا استقيموا على ما يوجبه الشرع اني بما تعملون عليم فيه تحذير من
مخالفة ما امرهم به واذا كانت الرسل مع علو شانهم كذلك فبان يكون تحذيرا لغيرهم
اولى لما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب
لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك اخرجه مسلم قوله عز وجل
وان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها امة واحدة اي ملة واحدة وهي
الاسلام وانا ربكم فاتقون اي فاحذرون وقيل معناه امرتكم بما امرت به المرسلين
قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون فتقطعوا اي تفرقوا فصاروا فرقا يهود
ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة امرهم اي دينهم بينهم زبرا اي فرقا
وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا اي كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فامنوا
به وكفروا بما سواه من الكتب كل حزب بما لديهم فرحون اي هم مسرورون معجبون بما
عندهم من الدين فذرهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في غمرتهم قال ابن عباس في
كفرهم وضلالتهم وقيل في عمايتهم وغفلتهم حتى حين اي الى ان يموتوا ايحسبون انما
نمدهم به من مال وبنين اي نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين في الدنيا
نسارع لهم في الخيرات اي نجعل لهم ذلك في الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا
عنهم بل لا يشعرون اي ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى

ان



ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اي خايفون والمعنى ان المومنين بما هم عليه من
خشية الله خايفون من عقابه قال الحسن البصري المومن جمع احسانا وخشية والمنافق
جمع اساة وامنا والذين هم بايات ربهم يومنون اي يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون
والذين يوتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكوات والصدقات وقيل معناه يعملون
ما عملوا من اعمال البر وقلوبهم وجلة اي خايفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم
لا تقبل منهم انهم الى ربهم راجعون اي انهم يوقنون انهم الى ربهم صايرون قال الحسن عملوا لله
بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عايشة قالت قلت يا رسول
الله والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا
يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ان لا يقبل منهم اوليك
يسارعون في الاخرة اخرجه الترمذي وقوله اوليك يسارعون في الخيرات اي يبادرون
الى الاعمال الصالحة وهم لها سابقون اي اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة
وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله عز وجل ولا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها
من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر
وليقض ولدينا كتاب اي هو اللوح المحفوظ ينطق بالحق اي يبين الصدق والمعنى قد اثبتنا
عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب اعمال العباد التي
تكتبها الحفظة وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ثم ذكر
الكفار فقال تعالى بل قلوبهم في غمرة اي غفلة وجهالة من هذا اي القران ولهم اعمال اي للكفار
اعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم هم يعني الكفار لها اي لتلك الاعمال الخبيثة
عاملون اي لا بد لهم ان يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبقت لهم في الازل من الشقوة حتى
اذا اخذنا مترفيهم اي رؤساهم واغنياهم بالعذاب قال ابن عباس هو السيف يوم بدر
وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب
والجيف اذا هم يجارون اي يضجون ويستغيثون ويجزعون لا تجاروا اليوم اي لا تضجوا
انكم منا لا تنصرون اي لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني
القران فكنتم على اعقابكم تنكصون اي ترجعون القهقرى وتتاخرون عن الايمان مستكبرين
به قال ابن عباس اي بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور اي متعظمين بالبيت وذلك انهم
كانوا يقولون نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا احد ولا نخاف
احدا فيامنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به اي بالقران فلم يومنوا
به والقول الاول اظهر سامرا يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم

ذم القران وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو
قوله تهجرون من الاهجار وهو الافحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى
الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقران وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح اي تهذون
وتقولون ما لا تعلمون افلم يدبروا القول يعني يتدبروا ما جاءهم من القران فيعتبروا بما فيه
من الدلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين يعني فانكروا
يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم ام لم
يعرفوا رسولهم فهم له منكرون قال ابن عباس اليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم
يعني صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا
على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة ام يقولون
به جنة اي جنون وليس هو كذلك بل جاءهم بالحق اي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته
وحسنه على عاقل واكثرهم للحق كارهون قوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم قيل الحق
هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا وولدا
كما يقولون وقيل الحق هو القران اي لو نزل بما يحبون وما يعتقدون لفسدت السموات
والارض ومن فيهن اي لفسد العالم بل اتيناهم بذكرهم قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم
وهو القران فهم عن ذكرهم معرضون اي عن شرفهم معرضون ام تسالهم اي على ما جئتهم
به خرجا اي اجرا وجعلا فخراج ربك خير اي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير
وهو خير الرازقين تقدم تفسيره وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اي الى دين الاسلام
وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط اي دين الحق لناكبون اي لعادلون عنه ومائلون
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدوبة للجوا اي لتمادوا في طغيانهم يعمهون
اي لم ينزعوا عنه ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش
ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فجا ابو سفيان الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال
انهم اكلوا القد والعظام وامسك الله الضرع فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط
فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الاية فما استكانوا لربهم اي ما خضعوا وما ذلوا
لربهم وما يتضرعون اي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو
قيام الساعة اذا هم فيه مبلسون اي ايسون من كل خير قوله عز وجل وهو الذي انشا لكم
السمع والابصار والافئدة اي لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون اي ما تشكروا
هذه النعم وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم واليه تحشرون اي تبعثون وهو الذي يحيي

ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان
وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض افلا تعقلون اي
ما ترون من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال الاولون اي كذبوا كما كذب الاولون وقيل
معناه بل انكروا البعث مثل ما انكر الاولون مع وضوح الادلة قالوا ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اي لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب
لقد وعدنا هذا الوعد نحن واباؤنا من قبل اي وعد ابانا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم
نر له حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله تعالى قل اي يا محمد لاهل
مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون اي خالقها ومالكها سيقولون لله اي لا بد
لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله قل لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون اي فتعلمون
ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون اي عبادة غيره وقيل معناه
افلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت كل شيء اي ملك كل شيء وهو يجير اي يؤمن من
شاء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمتنع منه
من اراده بسوء ان كنتم تعلمون اي فاجيبوا سيقولون لله قل فانى تسحرون اي فانى
تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم بالحق
اي بالصدق وانهم لكاذبون اي فيما يدعون من الشرك والولد ما اتخذ الله من ولد وما كان
معه من اله يعني من شريك اذا لذهب كل اله بما خلق اي لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه
الذي خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الاخر عن الاستيلا
على ما خلقه هو ولعلا بعضهم على بعض اي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك
الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء وهو قادر على
كل شيء ثم نزه نفسه تعالى فقال سبحان الله عما يصفون اي من اثبات الولد والشريك
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون اي تعظم من ان يوصف بما لا يليق قوله عز وجل
قل رب اما اي ان تريني ما يوعدون اي ما وعدتهم من العذاب رب اي يا رب فلا تجعلني بالحصله
في القوم الظالمين اي لا تهلكني وانا على ان نريك ما نعدهم اي من العذاب لقادرون
ادفع بالتي هي احسن اي بالكلمة التي هي احسن وهي الصفح والاعراض والصبر السيئة
يعني اذاهم امر بالصبر على اذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها باية السيف
نحن اعلم بما يصفون اي يكذبون ويقولون من الشرك قوله عز وجل وقل رب اعوذ بك اي امتنع
واعتصم بك من همزات الشياطين قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم
ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شيء من اموري

وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له عن جبير بن مطعم انه راي
النبي صلي الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرًا
ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان
من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزته الموتة اخرجه ابو داود
قد جا تفسير هذه الالفاظ من متن الحديث وتزيده ايضاحا قوله نفثه الشعر لان الشعر
يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان
المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الي ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة والموتة
الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم اخبر الله عز وجل ان هولا الكفار الذين
ينكرون البعث يسالون الرجعة الي الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالي حتي اذا جا
احدهم الموت قال رب ارجعون قيل المراد به الله وهو علي عادة العرب فانهم يخاطبون
الواحد بلفظ الجمع علي وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملايكة الذين يقبضون
روحه فعلي هذا يكون معناه انه استغاث بالله اولا ثم رجع الي مسيلة الملايكة
الرجوع الي الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكانه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت وقيل تركت وخلفت من التركة والمعني اقول
لا اله الا الله واعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة
ما تمني ان يرجع الي اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمني ان
يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرا عمل فيما تمناه الكافر اذا راي العذاب
كلا كلمة ردع وزجر اي لا يرجع اليها انها يعني سوال الرجعة كلمة هو قايلها اي
لا ينالها ومن ورايهم اي امامهم ومن بين ايديهم برزخ حاجز الي يوم يبعثون
معناه انه بينهم وبين الرجعة حجاب ومانع عن الرجوع وهو الموت وليس المعني
انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الي
الاخرة قوله تعالي فاذا نفخ في الصور قال ابن عباس النفخة الاولي نفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسالون ثم نفخ فيه اخري
فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم علي بعض يتسالون وعن ابن مسعود انها
النفخة الثانية قال يوخذ العبد والامة يوم القيمة فينصب علي روس الاولين
والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان من كان له قبله حق فلياتي الي حقه
فيفرح المرا ان يكون له الحق علي والده او زوجته واخيه فياخذ منه ثم قرا ابن مسعود
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسالون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية
فلا انساب بينهم اي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما يتفاخرون في الدنيا ولا يتسالون

سوال تواصل كما كانوا يتسالون في الدنيا من انت ومن اي قبيلة انت ولم يرد
ان الانساب تنقطع فان قلت قد قال ها هنا ولا يتسالون وقال قلت قال ابن عباس
ان للقيامة احوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر
عن التساول فلا يتسالون وفي موطن يفيقون افاقة فيتسالون قوله عز وجل فمن
ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا
اي غبنوا انفسهم في جهنم خالدون تلفح اي تسفع وقيل تحرق وجوههم النار وهم
فيها كالحون اي عابسون وقيل قد بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم كالراس
المشوط علي النار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلي الله عليه وسلم وهم فيها كالحون
قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتي تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته
السفلي حتي تضرب سرته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالي
الم تكن اياتي تتلي عليكم يعني قوارع القران وزواجره وتخوفون بها فكنتم بها تكذبون
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد وكنا قوما ضالين اي من النار
ربنا اخرجنا منها اي من النار فان عدنا اي لما تكره فانا ظالمون قال اخسوا فيها اي ابعدوا
فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسا ولا تكلمون اي في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم
فعند ذلك ايس المساكين من الفرج قال الحسن هو اخر كلام يتكلم به اهل النار ثم
لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعوا كعوا الكلاب لا يفهمون ولا
يفهمون وروي عن عبد الله بن عمران اهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم اربعين
عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم
اخسوا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق
ذكره البغوي بغير سند واخرج الترمذي بمعناه عن ابي الدردا قوله فما ينبس القوم
بعد ذلك بكلمة اي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون
انقطع رجاوهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم انه كان فريق من
عبادي يعني المومنين يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا اي تسخرون منهم وتستهزون بهم حتي انسوكم ذكري اي انساكم اشتغالكم بالاستهزا
بهم ذكري وكنتم منهم تضحكون نزلت في كفار قريش كانوا يستهزون بالفقرا من اصحاب
رسول الله صلي الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله تعالي اني
جزيتهم اليوم بما صبروا اي علي اذاكم واستهزايكم في الدنيا انهم هم الفايزون اي اني
جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال يعني الله قال للكفار كم لبثتم في الارض اي في الدنيا

وفي القبور عدد سنين قالوا لبثنا يومًا او بعض يوم معناه انهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا
لعظم ما هم بصدده من العذاب فاسئل العادين يعني الملايكة الذين يحفظون اعمال
بني ادم ويحصونها عليهم قال ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا قليلا سماه قليلا لان
الواحد وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الاخرة لو انكم كنتم
تعلمون اي قدر لبثكم في الدنيا قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي لعبًا وباطلا
لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقنا البهايم لا ثواب لها ولا عقاب
وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله عز وجل وانكم الينا لا ترجعون اي في
دار الاخرة للجزا روى البغوي بسنده عن حنش ان رجلا مصابا مر به على ابن
مسعود فرقاه في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
حتى ختم السورة فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في اذنه
فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا
قراها على جبل لزال ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل
فتعالى الله الملك الحق اي هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات لا اله الا هو
رب العرش الكريم اي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه
اعظم المخلوقات ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اي لا حجة ولا بينة له به
اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك فانما
حسابه اي جزاوه عند ربه اي يجازيه بعمله انه لا يفلح الكافرون اي لا يسعد من
جحد وكذب وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل اربع وستون اية بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل سورة انزلناها وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام
والزمناكم العمل بها وقيل معناه وقدرنا ما فيها من الحدود وقيل اوجبناها عليكم
وعلى من بعدكم الى قيام الساعة وانزلنا فيها ايات بينات اي واضحات لعلكم تذكرون
اي تتعظون قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة الزنا
هو من الكباير وموجب للحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعًا محرمًا شرعًا
والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم
ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف قوله
فاجلدوا اي فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم
كل واحد منهما اي الزانية والزاني ماية جلدة وقد وردت السنة بجلد ماية وتغريب
عام وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة التغريب الى راي الامام وقال مالك يجلد ويغرب

وتجلد المراة ولا تغرب وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم ولا تاخذكم بهما رافة
اي رحمة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهو قول مجاهد وعكرمة وعطا وسعيد
ابن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرافة ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما
ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية
ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد
الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب في دين الله اي في حكم الله روي ان عبد
الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه
ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت
ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر معناه ان المومن لا تاخذه الرافة اذا جا امر الله
هو من باب التهييج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تومنون
فلا تتركوا اقامة الحدود وليشهد اي وليحضر عذابهما اي حدهما اذا اقيم عليهما
طايفة اي نفر من المومنين قيل اقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة
وقيل اربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين اختلف العلما في معنى
الاية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقرا لا مال لهم ولا عشاير
وبالمدينة نسا بغايا يامنا اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقرا المسلمين في نكاحهن
لينفقن عليهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية
تحرم على المومنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد
وعطا وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نسا
كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السايب بن ابي السايب
المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن
على تلك الحالة فاستاذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول
واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية وروى عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد الغنوي كان يحمل الاسارى من مكة
حتى ياتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية
فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني
فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيا فنزلت
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعاني فقراها

علي وقال لا تنكحها اخرجه الترمذي والنساي وابوداود بالفاظ متقاربة المعني
فعلي قول هولا كان التحريم خاصا في حق اوليك دون ساير الناس وقال قوم المراد من
النكاح هو الجماع ومعني الاية الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا تزني الا
بزان او مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن
هارون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن
مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان قال سعيد
ابن المسيب وجماعة ان حكم الاية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الاية
ثم نسخت بقوله تعالي وانكحوا الايامي منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج
من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر ان رجلا اتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان امراتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع
بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروي هذا الحديث ابوداود والنساي عن ابن عباس
قال النساي رفعه احد الرواة الي ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث
ليس بثابت وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب رجلا وامراة في زنا وحرص
علي ان يجمع بينهما فابي الغلام وقيل في معني الاية ان الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح
الصوالح من النسا وانما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله او مشركة والفاسقة
الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحا من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها
او مشرك وحرم ذلك علي المومنين اي صرف الرغبة بالكلية الي نكاح الزواني وترك
الرغبة في الصالحات العفايف فهذا محرم علي المومنين ولا يلزم من هذا حرمة
التزوج بالزانية قوله تعالي والذين يرمون اي يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات
الحراير العفايف ثم لم ياتوا باربعة شهدا اي يشهدون علي الزنا فاجلدوهم ثمانين
جلدة بيان حكم الاية وذلك ان من قذف محصنا او محصنة بالزنا فقال له يا زاني
او يا زانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد اربعين
وان كان المقذوف غير محصن فعلي القاذف التعزير وشرايط الاحصان خمسة الاسلام
والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتي لو زني في عمره مرة واحدة ثم تاب
وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف علي نفسه
بالزنا او اقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد
انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكنايات مثل ان يقول يا فاسق
او يا فاجر او يا خبيث او يا مواجر او قال امراتي لا ترد يد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا
الا ان يريد ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما انت فما زنيت او ليس امراتي بزانية

فليس

فليس بقذف عند الشافعي وابي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد
هو قذف في حال الغضب دون حال الرضي وقوله تعالي ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا
واوليك هم الفاسقون فيه دليل علي ان القذف من الكباير لان اسم الفسق لا يقع الا
علي صاحب كبيرة الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اختلف
العلما في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثنا فذهب قوم
الي ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف فاذا تاب وندم علي ما قال وحسنت
حالته بعد التوبة قبلت شهادته سوا تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله
تعالي الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثنا يرجع الي رد الشهادة والي الفسق
فاذا تاب قبلت شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروي ذلك عن عمر وابن عباس
وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن
يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب
قوم الي ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثنا يرجع
الي قوله واوليك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي قالوا بنفس
القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان
الحدود كفارات فكيف تردونها في احسن حاليه وتقبلونها في شر حاليه وذهب
الشافعي الي ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثنا يرجع الي الكل وعامة
العلما علي انه لا يسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص
يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معني
قوله ابدا قلت معني ابدا ما دام مصرا علي القذف لان ابد كل انسان مدته
علي ما يليق به كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد بذلك ما دام علي كفره فاذا اسلم
قبلت شهادته قوله عز وجل والذين يرمون ازواجهم اي يقذفون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا
اي يشهدون علي صحة ما قالوا الا انفسهم اي غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله
انه لمن الصادقين سبب نزول هذه الاية ما روي سهل بن سعد الساعدي ان عويمر العجلاني
جا الي عاصم بن عدي فقال له يا عاصم ارايت لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله
فتقتلونه ام كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فسال عاصم
رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلي الله عليه وسلم المسايل وعابها حتي
كبر علي عاصم ما سمع من رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الي اهله جاه عويمر
فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تاتني
بخير قد كره رسول الله صلي الله عليه وسلم المسيلة التي سالته عنها فقال عويمر والله

لا انتهي حتى اسال عنها فجا عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال
يا رسول الله ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فات
بها قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من
تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يامره
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين
اخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان
جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا احسب عويمرا الا قد
صدق عليها وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت
به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد
ينسب الى امه قوله اسحم اي اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج
الساقين اي ممتلي الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظا
تلصق بالارض وداربها في الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف
امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة
او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال بن امية
والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه
السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجا فقام هلال بن امية فشهد والنبي صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب ثم قامت فشهدت فلما
كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة فقال ابن عباس فتلكات ونكصت
حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي ساير اليوم فمضت فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انظروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو
لشريك بن سحما فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله
لكان لي ولها شان وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون
المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي
ان اهيجه حتى اتي باربعة شهدا فوالله ما كنت لاتي باربعة شهدا حتى يفرغ حاجته
ويذهب وان قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور

ما تزوج

ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له واجترا رجل منا ان يتزوجها
فقال سعد يا رسول الله بابي انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن
عجبت من ذلك لما اخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذلك فقال
صدق الله ورسوله فقال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جا ابن عم له يقال له هلال بن امية
من حديقة له فراى رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح غدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جيت الى اهلي عشا فوجدت
مع امراتي رجلا رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتاه
به وثقل ذلك عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله
اني لارى الكراهة في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا
واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت
الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فبينما هم كذلك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك اصحابه
عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون ازواجهم
الى اخر الايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل
لك فرجا فقال قد كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب فقال يا رسول الله فقد صدقت وما قلت الا
حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد اربع
شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان
عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه
الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني
الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد والخامسة ان لعنت
الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله
انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتق الله تعالى فان الخامسة موجبة
ان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله
لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها لا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا
فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلام كانه جمل اورق على الشبه المكروه وكان اميرا بمصر
لا يدري من ابوه وروى ابن عباس ان عويمرا لاعن زوجته خولة امر رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام
فقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد
بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما
قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر
يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود وقال لخولة قومي فقالت
اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمر لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله
انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني
حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني قط على
فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني
نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا
هذه الايمان لكان لي في امرها راي ثم قال تحسسوا الولادة فان جاءت به اصيهب
اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحما وان جاءت به اورق جعدا جماليا مدملج
الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت به اورق كاشبه خلق بشريك
بيان حكم الاية وذلك ان الرجل اذا قذف امراته فموجبه موجب قذف الاجنبية
في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التعزير ان كانت غير محصنة غير ان
المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا او اجنبية يقام عليه الحد الا ان ياتي
باربعة يشهدون بالزنا او يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة
اذا وجد احد هذين او لاعن سقط الحد عنه فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة
البينة لان الرجل اذا راى مع امراته رجلا ربما لا تمكنه اقامة البينة ولا يمكنه
الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة على زناها او اعترفت
هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن
لنفيه واذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان
فيقول قل اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا وان كان قذفها
برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولدا وحمل يريد
نفيه فيقول وان هذا الولد او هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة
علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات
اللعن من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة
بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التابيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه

الحد ووجب على المراة حد الزنا فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج
وقوله عز وجل ويدرؤا اي يدفع عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله
انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وحكم الاية
ان الزوج اذا لاعن وجب على المراة حد الزنا فان ارادت اسقاطه عن نفسها فانها
تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماني به وتقول في الخامسة علي غضب الله ان كان زوجي من الصادقين
فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها
ولو اقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند اصحاب الراي لا حد
على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن
الزوج وامتنعت المراة عن اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين اللعان حجة
صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف
الاجنبي اذا قعد عن اقامة البينة وعند ابي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة
ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان
فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متابدة حتى لو كذب
الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع
تابيد التحريم وعند ابي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا كذب نفسه
جاز له ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات اللعان لا يقام مقام الكل وكل من صح يمينه
صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان
ابن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي واكثر اهل العلم
وقال الزهري والاوزاعي واصحاب الراي لا يجوز اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين
فان كان احد الزوجين رقيقا او ذميا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر
القران حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم ولم
يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او نائبه
ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بحضر
جماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشيء منها واما المكان
فهو ان يلاعن في اشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة
فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي ساير البلاد في الجامع عند المنبر واما الزمان فهو
ان يكون بعد العصر واما الجمع فاقله اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن
الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان قوله تعالى ولولا فضل

الله عليكم ورحمته اي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد
باللعان وان الله تواب اي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم اي فيما فرض
من الحدود وقوله تعالى ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم الآيات سبب نزولها ما روي
عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد
الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طايفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها
من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني
عن عايشة وبعضهم حديثهم يصدق بعضه بعضا قالوا قالت عايشة رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه فايتهن
خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فاقرع بيننا في غزوة
غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما انزل الحجاب
فكنت احمل في هودج وانزل فيه فسرنا حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته
تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل
فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد
لي من جزع اظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاوه قالت واقبل
الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب
عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم
انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت
جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش
فجيت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم
سيفقدوني فيرجعون الي فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان
ابن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فراى سواد
انسان نايم فاتاني فعرفني حين راني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه
حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه
وهوى حتى اناخ راحلته فوطي على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى
اتينا الجيش بعدما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك
من هلك في شاني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول فقدمنا المدينة
فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشي من ذلك
وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه

حين

حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك الذي يريبني منه
ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج
الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول
في التبرز قبل الغايط وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فاقبلت انا
وام مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر
خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا
من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس ما قلت
اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني
بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسلم وقال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي قالت وانا
اريد ان استيقن من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي
فقلت لامي يا اماه ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله
لقلما كانت امراة قط وضيية عند رجل يحبها ولها ضراير الا اكثرن عليها قالت
فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت
لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بريرة فقال اي بريرة هل رايت فيها شيا يريبك فقالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق
ان رايت منها امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين
اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه
فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي وفي رواية في اهل بيتي
فوالله ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام
سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل فقال يا رسول الله انا والله اعذرك منه
ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا
فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه
من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت
لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد
يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق
تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخفضهم حتى سكتوا او سكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم
فاصبح عندي ابواي وقد بكيت ليلتين حتى اظن ان البكا فالق كبدي قالت فبينما هما
جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي
معي فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس ولم يجلس عندي
من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني شي قالت فتشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه قد
بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبريك الله وان كنت الممت بذنب
فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة
وقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال والله ما ادري
ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي اجيبي عني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما قال قالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت اني والله لقد علمت
انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلين قلت
لكم اني بريئة والله يعلم اني منه بريئة لا تصدقوني بذلك ولين اعترفت لكم
بامر والله يعلم اني منه لبريئة لتصدقنني فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا
يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت
على فراشي وانا والله حينيذ اعلم اني بريئة وان الله سيبريني ببراتي ولكن والله
ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله
في بامر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رويا يبريني
الله بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه
صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان ياخذه من البرحا حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من
العرق في يوم شات من ثقل القول الذي انزل عليه فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال يا عايشة احمدي الله وفي رواية قال
ابشري يا عايشة اما الله فقد براك فقالت لي امي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل براتي فانزل الله ان
الذين جاوا بالافك عصبة منكم العشر ايات فلما انزل الله هذا في براتي قال ابو بكر
الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق على
مسطح شيا ابدا بعد ما قال لعايشة فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم

والسعة

والسعة الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر الصديق بلى والله احب ان يغفر
الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا
قالت عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال زينب بنت جحش عن امري
فقال يا زينب ما علمت ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله
ما علمت عليها الا خيرا قالت عايشة وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت
فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هولاء
الرهط زاد في رواية فقالت عايشة والله ان الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان
الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قالت ثم قتل بعد في سبيل الله هذا
حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن
عايشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي وقال عروة اخبرت انه كان يشاع
ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لي من اهل
الافك ايضا الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس
اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة وكانت عايشة تكره
ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد
منكم وقا اخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عايشة وعندها حسان
ينشدها شعرا يشبب من ابيات فقال حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى
من لحوم الغوافل فقالت له عايشة فقالت له عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق
فقلت لها اتاذنين له يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح او يهاجي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم شرح غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طايفة
اي قطعة من حديثها قوله وكان اوعى اي احفظ له قوله اذن اي اعلم بالرحيل قولها
فقدت عقدا لي من جزع اظفار وهو نوع من الخرز وهو الجزع اليماني المعروف قولها لم
يهبلن اي يكثر لحمهن من السمن فيثقلن قولها انما العلقة من الطعام هو بضم العين
اي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق قولها ليس بها منهم داع ولا مجيب
اي ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قولها فتيممت اي قصدت قولها فقد
عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في اخر الليل للراحة والادلاج
بالتشديد سير اخر النهار وبالتخفيف سير الليل كله قوله باسترجاعه هو قول
القايل انا لله وانا اليه راجعون قولها خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري قولها

موعرين في نحر الظهيرة الوعرة شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة اي وله قولها
والناس يفيضون اي يخوضون ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشي
يريبني اي شككت فيه قولها ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف اي الرفق
لها واللطف في الافعال الرفق وفي الاقوال لين الكلام قولها حتى نقهت اي افقت
من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غايط وبول واصله
المكان الواسع الخالي والمرط كسا من صوف او خز قولها تعس مسطح اي عثر وفي الدعا
على الانسان اي سقط على وجهه قولها يا هنتاه اي يا بلهاء كانها تنسبها الى البله
وقلة المعرفة قولها لا يرقى اي لا ينقطع وقول بريرة ان رايت بمعنى النفي اي ما رايت
منها امرا اغمصه عليها بالصاد المهملة اي اعيبها والداجن الشاة التي تالف البيت
ونقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني اي من يقوم بعذري اذا انا كافاته
على سوء صنيعه ان عاقبت او عاقبت فلا تلوموني على ذلك قولها وكانت ام حسان
بنت عمه من فخذه اي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية اي حمله الغضب
والانفة والتعصب على الجهل للقرابة قولها فثار الحيان اي ثاروا ونهضوا
للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم اي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه
وسلم ان كنت المممت قيل هو من اللمم وهو صغاير الذنوب وقيل معناه مقارفة
الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي اي انقطع جريانه قولها ما رام اي ما برح من
مكانه والبرحا الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسري عنه اي كشف
عنه وقول زينب احمي سمعي وبصري اي امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع ولم ابصر قولها
وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله اي منعها
من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف اي ستر انثى قوله ويستوشيه
اي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصا فيه وقول حسان في عايشة حصان
يفتح الحا يقال امراة حصان اي متعففة حيية رزان ثابتة ما تزن اي ما ترمى
ولا تتهم بريبة اي بما يريب الناس وتصبح غرثى اي جايعة والغرث الجوع من لحوم
الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا
الفعل وقول عايشة في حسان انه كان ينافح اي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله
واما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاوا بالافك اي بالكذب والافك اسوا
الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عايشة كانت تستحق الثنا والمدح بما
كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسو فقد
قلب الحق بالباطل وجا بالافك عصبة اي جماعة منكم اي عبد الله بن ابي ابن سلول

ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله
فان قلت عبد الله بن ابي ابن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم قلت
كان ينتسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الغالب فان حسان
ابن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا من المومنين المخلصين لا تحسبوه شرا لكم
يعني الافك الخطاب لعايشة وصفوان وقيل لعايشة ولابويها وللنبي صلى الله
عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني ان الله يوجركم على ذلك ويظهر براتكم ويشهد
بكذب العصبة واوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لهم لكل امرء
منهم اي من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الاثم اي جزا ما اجترح من الذنب على قدر
ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم اي تحمل معظمه وبدا بالخوض فيه وقام باشاعته
وهو عبد الله بن ابي بن سلول من العصبة له عذاب عظيم يعني عذاب النار في
الاخرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا
ثمانين قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه اي الحديث بالكذب وقول اهل الافك ظن المومنون
والمومنات بانفسهم اي باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المومنين
اذا سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور
فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة المومنين وقالوا هذا افك مبين اي كذب
بين لا حقيقة له لولا اي هلا جاوا عليه اي على ما زعموا باربعة شهدا اي يشهدون
بذلك فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله اي في حكم الله هم الكاذبون وهذا من
باب الزواجر فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا
بالشهدا ومن كذب فهو عند الله كاذب سوا اتى بالشهدا ام لم يات قلت
قيل هذا في حق الذين رموا عايشة خاصة ومعناه اولئك هم الكاذبون
في غيبي وعلمي وقيل معناه عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره
عن الكذب والقاذف اذا لم يات بالشهود يجب زجره قوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا اني
قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة
وان ارحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم
به من حديث الافك والخطاب للقاذف وهذا الفضل هو تاخير العذاب
وقبول التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان
الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى
بعض وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم من غير ان تعلموا انه حق وتحسبونه

هينا اي وتظنون انه سهل لا اثم فيه وهو عند الله عظيم اي في الوزر ولولا
اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك قيل هو للتعجب وقيل هو
للتنزيه هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه روي ان ام ايوب
قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول الناس في عايشة فقال سبحانك هذا
بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله يعظكم الله قال ابن عباس يحرم الله عليكم
وقيل ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات اي في
الامر والنهي والله عليم اي بامر عايشة وصفوان حكيم اي حكم ببراءتهما قوله عز وجل
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي يظهر الزنا ويذيع في الذين امنوا قيل الاية
مخصوصة بمن قذف عايشة والمراد بالذين امنوا عايشة وصفوان وقيل الاية
على العموم فكل من احب ان تشيع فاحشة او تظهر على احد فهو داخل في حكم
هذه الاية والمراد بالذين امنوا جميع المومنين لهم عذاب اليم في الدنيا يعني الحد
والذم على فعله والاخرة اي في الاخرة لهم النار والله يعلم اي كذبهم وبراة عايشة
وما خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون وقيل معناه يعلم ما في قلب من
يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل
الله عليكم ورحمته اي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد
مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة وان الله رءوف رحيم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي اثاره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان
فانه يامر بالفحشاء والمنكر اي بالقبايح من الافعال والاقوال وكلما يكرهه الله عز وجل
والاية عامة في حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اي ما طهر ولا صلح والاية عند بعض المفسرين
على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم
من احد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب
ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة من احد
منكم ابدا ولكن الله يزكي يطهر من يشاء من الذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع
لاقوالهم عليم بما في قلوبهم قوله عز وجل ولا ياتل اي ولا يحلف من الالية وهو
القسم اولوا الفضل منكم والسعة يعني الغنى يعني ابا بكر الصديق ان يوتوا
اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا
بدريا ابن خالة ابي بكر الصديق حلف ابو بكر انه لا ينفق عليه فانزل الله هذه
الاية وليعفوا وليصفحوا اي عن خوض مسطح في امر عايشة الا تحبون يخاطب

ابا بكر

ابا بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فلما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ابي بكر قال بلى انا احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفق
عليه وقال والله لا انزعها عنه ابدا وفي الاية دليل على فضل ابي بكر الصديق
رضي الله عنه لان الفضل المذكور في الاية ذكره الله تعالى في معرض المدح وذكره
بلفظ الجمع في قوله اولوا الفضل وفي قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على
علو شانه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوي القربى ورجع اليه بما كان ينفقه
عليه وهذا من اشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها ان الله تعالى قال في حق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل
على ان ابا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي
الاية دليل على ان من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فلياتِ الذي هو خير
وليكفر عن يمينه قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات اي العفايف الغافلات
اي عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة انه لا يقع في قلبها فعل الفاحشة
وكذلك كانت عايشة رضي الله عنها ثم وصفها بقوله المومنات لعنوا اي عذبوا
في الدنيا يعني بالحد والاخرة اي وفي الاخرة بالنار ولهم عذاب عظيم وهذا في حق
عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وروي عن خصيف قال قلت لسعيد بن
جبير من قذف مومنة يلعنه الله في الدنيا والاخرة قال ذلك لعايشة خاصة
وقال ابن عباس هذه الاية في شان عايشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
دون ساير المومنات ليس فيها توبة ومن قذف امراة مومنة فقد جعل الله له توبة
ثم قرا والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهولاء توبة ولم يجعل لاولئك
توبة وقيل كل لهم توبة ايضا الاية يوم تشهد عليهم السنتهم هذا قبل ان يختم
على افواههم وايديهم وارجلهم يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما
عملت في الدنيا وهو قوله بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم
الواجب وقيل حسابهم العدل ويعلمون ان الله هو الحق المبين اي الموجود الظاهر
الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم به في
الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم
يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين قال اكثر
المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله والخبيثون
اي من الناس للخبيثات من القول والطيبات اي من القول ومعنى الاية ان الخبيث من
القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس

وعايشة رضي الله عنها لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها
طيب القول من الثنا والمدح ومما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث
من الرجال والنسا وهذا ذم للذين قذفوا عايشة رضي الله عنها ولا يتكلم بالطيب
من القول الا الطيب من الرجال والنسا وهذا مدح للذين بروها بالطهارة والمدح لها
وقيل معنى الاية الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال
للخبيثات من النسا امثال عبد الله بن ابي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من
النسا للطيبين والطيبون للطيبات يريد عايشة رضي الله عنها طيبها الله لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اوليك مبرون يعني عايشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع منزهون
مما يقولون يعني اصحاب الافك لهم مغفرة يعني عفو لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة
وروي ان عايشة رضي الله عنها كانت تفتخر باشيا اعطيتها لم تعطها امراة غيرها
منها ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروي انه
اتى بصورتها في الجنة ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي نوبتها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه
في اللحاف ونزلت براتها من السما وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عايشة
يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة
من السما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا اي
تستاذنوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستاذنوا ويقول تستانسوا خطا من الكاتب
وفي هذه الرواية نظر لان القران ثبت بالتواتر والاستيناس في اللغة الاستيذان
وقيل الاستيناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيوذنه اني داخل
وقيل هو من انست اي ابصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او يتنحنح حتى يعرف اهل
البيت وتسلموا على اهلها بيان حكم الاية انه لا يدخل بيتا لغيره الا بعد الاستيذان
والسلام واختلفوا في ايهما يقدم فقيل يقدم الاستيذان فيقول ادخل سلام عليكم
كما في الاية من تقديم الاستيذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول
السلام عليكم ادخل وتقدير الاية حتى تسلموا وتسلموا على اهلها وتستاذنوا
وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى
الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام
عليكم اادخل اخرجه ابو داود والترمذي وعن ربعي بن حراش قال جا رجل
من بني عامر فاستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال الج فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقل له قل السلام
عليكم ادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم
اادخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود ق عن ابي سعيد وابي
ابن كعب وابي موسى قال ابو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جا ابو موسى
كانه مذعور فقال استاذنت على عمر ثلاثا فلم يوذن لي فرجعت فقال ما منعك قلت
استاذنت ثلاثا فلم يوذن لي فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذن
احدكم ثلاثا فلم يوذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة امنكم احد سمعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا اصغر القوم
فكنت اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن
الاول اعلام والثاني موامرة والثالث استيذان بالرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقا وجهه ولكن من ركنه الايمن
او الايسر ويقول السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يوميذ ستور اخرجه ابو داود
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجا مع
الرسول فان ذلك له اذن اخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام
والا قدم الاستيذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة يستاذن على ذوات
المحارم يدل عليه ما روي عن عطا بن يسار ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال استاذن على امي فقال نعم فقال الرجل اني خادمها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
استاذن عليها اتحب ان تراها عريانة قال لا قال استاذن عليها اخرجه مالك في الموطا
مرسلا وقوله تعالى ذلكم خير لكم اي فعل الاستيذان خير لكم واولى بكم من التهجم بغير اذن
لعلكم تذكرون اي هذه الاداب فتعملوا بها قوله عز وجل فان لم تجدوا فيها اي في البيوت احدا
اي ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى يوذن لكم اي في الدخول وان قيل لكم ارجعوا يعني اذا
كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا له ارجع فليرجع ولا يقف على الباب
ملازما هو ازكى لكم اي الرجوع هو اطهر واصلح لكم فان للناس احوالا وحاجات يكرهون
الدخول عليهم في تلك الاحوال فاذا حضر الى الباب فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا
جاز كان ابن عباس ياتي دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستاذن
حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج وراه قال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخبرتني
بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا
كان الباب مردودا ق عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر في باب النبي صلى الله عليه وسلم
ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل به وفي رواية يحك به راسه فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت به عينك انما جعل الاذن من اجل البصر
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من اطلع في
بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو
ان امرا اطلع عليك بغير اذن فخذفته ففقات عينه ما كان عليك حرج
وقال مرة اخرى جناح والله بما تعملون عليم اي من الدخول بالاذن ولما نزلت اية
الاستيذان قالوا كيف بالبيوت الذي بين مكة والمدينة والشام علي ظهر
الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح اي اثم ان تدخلوا بيوتا
غير مسكونة اي بغير استيذان فيها متاع لكم اي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت
هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة لياووا اليها ويأووا امتعتهم فيها
فيجوز دخولها بغير استيذان والمنفعة النزول بها واتقا الحر والبرد وايوا
الامتعة بها وقيل بيوت التجارة وحوانيتهم في الاسواق يدخلها للبيع والشرا
وهو منفعتها فليس فيها استيذان وقيل هو جميع البيوت التي لا ساكن بها لان
الاستيذان انما جعل لئلا يطلع علي عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول
بغير استيذان والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قوله تعالى قل للمومنين يغضوا
من ابصارهم اي عما لا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا ابصارهم وقيل من هنا
للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل النظر اليه وانما امروا ان يغضوا ابصارهم
عما لا يحل النظر اليه م عن جرير رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلي
الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة قال اصرف بصرك د عن بريدة قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك
الثانية اخرجه ابو داود والترمذي م عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الي عورة الرجل ولا المراة الي عورة
المراة ولا يفضي الرجل الي الرجل في ثوب واحد وقوله تعالى ويحفظوا فروجهم
اي عما لا يحل قال ابو العالية كلما في القران من حفظ الفرج فهو من الزنا الا
ما في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت
كيف ادخل من علي غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة علي ان امر
النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الي شعورهن وثديهن واعضائهن
واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والاجنبية يجوز النظر الى
وجهها وكفيها للحاجة الي غير ذلك واما امر الفروج فمضيق وكفاك ان ابيح النظر
الا ما استثني منه فان قلت كيف قدم غض البصر علي حفظ الفرج قلت

لان النظر بريد الزنا ورايد الفجور والبلوي فيه اشد ولا يكاد احد يقدر علي الاحتراز
منه ذلك ازكى لهم اي خير لهم واطهر اي غض البصر وحفظ الفرج ان الله خبير بما يصنعون
اي انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون
بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن
ويحفظن فروجهن اي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند
رسول الله صلي الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذ اقبل ابن ام مكتوم
فدخل عليه وذلك بعدما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتجبا منه فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم افعمياوان انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذي
وابو داود وقوله تعالى ولا يبدين اي لا يظهرن زينتهن الا ما ظهر منها اي لغير محرم
واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط
في الاذن والقلايد في العنق فلا يجوز للمراة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها
والمراد من الزينة مواضعها من البدن الا ما ظهر منها اي من الزينة قال سعيد بن جبير
والضحاك والاوزاعي الوجه والكفين وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس
هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل
الاجنبي النظر اليها للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف
فتنة وشهوة فان خاف شيا من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر للمراة
ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتومر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة
وليضربن بخمرهن اي ليلقين بمقانعهن علي جيوبهن اي موضع الجيب وهو النحر والصدر
اي ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن واقرطتهن وصدورهن خ عن عايشة
رضي الله عنها قالت يرحم الله نسا المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن
علي جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كسا من صوف وخز وكتان وقيل
هو الازار وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها
في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن قال ابن
عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن فيجوز لهولاء
ان ينظروا الي الصورة الباطنة ولا ينظرون الي ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج
ان ينظر الي جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الي فرجها او نسائهن اي المومنات
من اهل دينهن اراد به انه يجوز للمراة ان تنظر الي بدن المراة الا ما بين السرة والركبة

ولا يجوز للمراة المومنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية او الكافرة لان الله تعالى
قال او نسايهن والذمية والكافرة ليست من نسايها ولانها اجنبية في الدين فكانت ابعد
من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نسا اهل
الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تنكشف للمراة المسلمة
لانها من جملة النسا او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد المراة فيجوز له الدخول عليها
اذا كان عفيفا وان ينظر اليها لانه لا يباين الستر والركبة كالمحارم وهو
ظاهر القران يروى ذلك عن عايشة رضي الله عنها وام سلمة وروى انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وقد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت
به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو
كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الاية الاما دون العبيد
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرى غير بالنصب للرا وقيل هو بمعنى
الاستثنا ومعناه يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرا غير بالجر على نعت
التابعين غير اولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم
لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النسا وقال ابن عباس هو الاحمق العنين
وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النسا ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب
والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث م عن عايشة
رضي الله عنها قالت كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه
من غير اولي الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسايه
وهو ينعت امراة قال اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا ارى هذا يعرف ما ها هنا لا يدخل عليكن فحجبوه زاد
ابو داود في رواية واخرجوه الى البيدا يدخل في كل جمعة فيستطعم قوله
اقبلت باربع ان لها في بطنها اربع عكن فهي تقبل اذا اقبلت بها واراد بالثمان
اطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن او الطفل الذين لم
يظهروا على عورات النسا اي لم يكشفوا على عورات النسا للجماع فيطلعوا عليها
وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصور وقيل لم يطيقوا امر النسا وقيل
لم يبلغوا حد الشهوة وقيل ان الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قيل كانت المراة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع
صوت خلخالها او يتبين خلخالها فنهيت عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النسا

اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زايدة في مشاهدتهن وقد علل
ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله
نهي عنه ان يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره وتوبوا الى الله جميعا اي من التقصير
الواقع في امره ونهيه وارجعوا الى طاعته فيما امركم ونهاكم من الاداب المذكورة
في هذه السورة وقيل ان اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف
على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك
وصى المومنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا
فذلك قوله ايها المومنون لعلكم تفلحون م عن الاغر عن مزينة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي تبارك
وتعالى مائة مرة في اليوم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان كنا لنعد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم
مائة مرة اخرجه عبد الرزاق بن حميد الكعبي عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم
سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب من ذنوبه قبل طلوع الشمس من مغربها
تاب الله عليه قوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم جمع الايم يطلق على الذكر والانثى الايامى
وهو من لا زوج له من احرار رجالكم ونسايكم والصالحين من عبادكم اي من عبيدكم
وامايكم بيان حكم الاية الامر المذكور في الاية امر ندب واستحباب لاجماع السلف
عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد مونته ان يتزوج وان لم
يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباة فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجا الباة النكاح
ويكنى به عن الجماع ايضا والوجا بكسر الواو وهو رض الانثيين نوع من الخصا
شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجا الذي يقطع النسل عن معقل
ابن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر
بكم الامم اخرجه ابو داود والنساي م عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة اما من لا تتوق
نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة افضل له من النكاح عند الشافعي
وعند اصحاب الراي النكاح افضل قال قد ذكر الله عبدا اكرمه فقال وسيدا

وحصورا وهو الذي لا ياتي النسا وذكر القواعد من النسا ولم يندبهن الى النكاح
وفي الاية دليل على ان تزويج الايامى الى الاوليا لان الله خاطبهم به كما ان تزويج
العبيد والاما الى السادات وهو قول اكثر اهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روي عن
عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابي هريرة وعايشة وبه قال
سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب
الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وجوز اصحاب الراي
للمراة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المراة دنية يجوز لها تزويج نفسها وان كانت
شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روي عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي اخرجه ابو داود
والترمذي ولهما عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما
امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما استحل
من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له قوله تعالى ان يكونوا فقرا يغنهم
الله من فضله قيل الغنى هاهنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج
والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول
ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق
فقال تعالى يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته والله
واسع اي انه ذو الافضال والجود عليم اي بما يصلح خلقه من الرزق قوله تعالى
وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون
ما ينكحون به من الصداق والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله اي يوسع عليهم من رزقه
والذين يبتغون الكتاب اي يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيرا سبب نزول هذه الاية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سال مولاه ان
يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكاتبه حويطب على ماية دينار ووهب
له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الاية وكيفية
المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما
يودي ذلك في نجمين ونجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا اديته فانت حر ويقبل
العبد ذلك المال عتق ويصير العبد احق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء
المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه اولاده الذين حصلوا في الكتابة في
العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده
من المال فهو لسيده لما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم المكاتب عبد ما دام عليه درهم اخرجه ابو داود وذهب بعض اهل
العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذي
علم فيه خيرا اذا سال العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته وان سال على اقل
من قيمته لا يجب وهو قول عطا وعمرو بن دينار لما روي ان ابن سيرين سال انس بن
مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فانطلق ابن سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له
عمر كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فكاتبه وذهب اكثر
اهل العلم الى انه امر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند
الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال
عليه الى اجل حتى يودي على مهل فيحصل المقصود وجوز ابو حنيفة الكتابة
الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال
ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روي ان عبدا لسلمان
الفارسي قال له كاتبني قال الك مال قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس
ولم يكاتبه قيل لو اراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة
وقال الشافعي اظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمتنع
من المكاتبة اذا كان هكذا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الادا والناكح يريد العفاف
والمجاهد في سبيل الله اخرجه الترمذي والنساي وقيل معنى الخير ان يكون
العبد عاقلا بالغا واما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغا منهما
لا يصح وجوز ابو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى واتوهم من مال الله
الذي اتاكم قيل خطاب للموالي فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة
شيا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر
ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط
الثلث وقال الاخرون ليس له حد بل عليه ان يحط ما شا وبه قال الشافعي
قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع
من اخر كتابته خمسة الاف درهم اخرجه مالك في الموطا وقال سعيد بن جبير
كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيا من اول نجومه مخافة ان يعجز فترجع
اليه صدقته ويضع عنه من اخر كتابته ما احب وقال بعضهم هو امر استحباب
والوجوب اظهر وقيل اراد بقوله واتوهم من مال الله اي سهمهم الذي جعله الله لهم
من الصدقات المفروضات وهو قوله تعالى وفي الرقاب اراد به المكاتب وهو قول الحسن

وزيد بن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على مونتهم واختلف العلما فيما اذا مات
المكاتب قبل ادا النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة
سوا ترك مالا ولم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد
العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب الشافعي واحمد وقال قوم ان ترك وفا ما بقي
عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول
عطا وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي ولو كاتب
عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالادا وقد وجد وتتبعه
اولاده واكتسابه كما في الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها
ما لم يعجز المكاتب عن ادا النجوم قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم اي امايكم على البغا
اي الزنا ان اردن تحصنا م عن جابر رضي الله عنه قال كان عبد الله بن ابي بن سلول
يقول لجارية اذهبي فابغينا شيا قال فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان
اردن تحصنا وفي رواية اخرى ان جارية اخرى لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى يقال
لها اميمة كان يريدهما على الزنا فشكيا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
ولا تكرهوا فتياتكم على البغا الى قوله غفور رحيم قال المفسرون نزلت في عبد الله بن
ابي بن سلول المنافق كانت له جاريتان مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا
لضريبة ياخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يواجرون اماهم فلما جا
الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك
خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد ان لنا ان ندعه فانزل الله هذه الاية وروي ان
احدى الجاريتين جات ببرد وجات الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله
لا نفعل قد جا الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه
فانزل الله هذه الاية واختلف العلما في معنى قوله ان اردن تحصنا على اقوال احدها
ان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الاية فخرج النهي على صفة
السبب وان لم يكن شرطا فيه الثاني انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا
عند ارادة التحصن واما اذا لم ترد المراة التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا
الثالث ان بمعنى اذا اي اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا
ان لم يردن تحصنا كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مومنين القول الرابع ان في الاية تقديما
وتاخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغا
لتبتغوا اي لتطلبوا عرض الحياة الدنيا اي من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن
ومن يكرههن يعني على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعني للمكرهات والوزر

علي

٦٥

على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه قال لهن والله لهن والله قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم
ايات مبينات اي من الحلال والحرام ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي شبها من حالكم بحالهم
ايها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين وموعظة للمتقين
اي المومنين الذين يتقون الشرك والكباير قوله عز وجل الله نور السموات والارض قال ابن عباس
معناه الله هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة
ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السما بالملايكة ونور الارض بالانبيا
وقيل معناه مزين السموات والارض زين السما بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض
بالانبيا والعلما والمومنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار
كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مرو ليلة ❊ فقد سار عنها نورها وجمالها

مثل نوره اي مثل نور الله عز وجل في قلب المومن وهو النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس
مثل نوره الذي اعطى المومن وقيل الكناية عايدة الى المومن اي مثل نور قلب المومن
وقيل اراد بالنور القران وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمي طاعة الله
نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا كمشكاة هي الكوة التي لا منفذ لها
قيل هي بلغة الحبشة فيها مصباح اي سراج واصله من الضو المصباح في زجاجة يعني
القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضو النار فيها ابين من كل شي وضوه يزيد في
الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى الزجاجة كانها كوكب دري من درا الكوكب اذا
اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال والوقت وقيل هو من درا النجم اذا طلع
وارتفع وقيل دري اي شديد الانارة نسب الى الدر في صفايه وحسنه وان كان الكوكب
اضوا من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفايه كما يفضل الدر على ساير اللولو وقيل الكوكب
الدري احد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد
وقيل شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكوكب
توقد اي اتقد المصباح من شجرة مباركة زيتونة اي من شجرة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة
لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو اصفا الادهان واضواها وقيل لانها
اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشام لانها هي الارض المباركة
وهي شجرة لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت وابي اسيد الانصاري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة اخرجه الترمذي
وقوله لا شرقية ولا غربية اي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت
ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت الشمس بل هي ضاحية للشمس

طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ
حظها من الامرين فيكون زيتها اضوا وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها
ليست في مضحاة لا تصيبها الشمس ولا في مصحاة لا يصيبها الظل فهي لا يضرها شمس
ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد
وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الارض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست
هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية
وانما هو مثل ضربه الله لنوره يكاد زيتها يضي اي من صفايه ولو لم تمسسه نار اي قبل
ان تمسسه النار نور على نور اي نور المصباح على نور الزجاجة فصل في بيان
التمثيل المذكور في الاية اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل ان المراد به
الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلا الى اقصى الغايات
وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت
بلغ النهاية في الصفا والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفايه صلح ان
يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل
ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة
توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وامره يتبين للناس
ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضي ولو لم تمسسه نار وروي عن ابن عمر
في هذه الاية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور
الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة
ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب
القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام
لان اكثر الانبيا من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها
يضي ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه
نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد صلى الله عليه وسلم على نور ابراهيم وقيل وقع هذا
التمثيل لنور قلب المومن قال ابي بن كعب هذا مثل المومن فالمشكاة نفسه والزجاجة
قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقران توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص
لله وحده فمثله مثل الشجرة التفت بها الشجر فهي خضرة ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس

اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المومن قد احترس ان يصيبه شي من الفتن
فهو بين اربع خلال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد
زيتها يضي اي يكاد قلب المومن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته اياه نور على
نور قال ابي فهو يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور
ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب
المومن كما يكاد الزيت الصافي يضي قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا
على ضوئه كذلك يكاد المومن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد
هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المومن وعمله وقيل
نور الايمان ونور القران وقيل هذا مثل القران فالمصباح هو القران فكما يستضا بالمصباح
كذلك يهتدى بالقران والزجاجة قلب المومن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة
شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضي اي نور المعرفة يشرق في قلب المومن ولو لم تمسسه
النار وقيل يكاد حجة القران تتضح وان لم يقرا نور على نور يعني القران نور من الله لخلقه
مع ما اقام لهم من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازداد وا بذلك نورا وقوله
تعالى يهدي الله لنوره من يشا قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ويضرب الله
الامثال للناس اي يبين الله الاشيا للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك
والله بكل شي عليم قوله عز وجل في بيوت اذن الله ان ترفع اي ذلك المصباح توقد في بيوت
والمراد بالبيوت جميع المساجد وقال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضي لاهل
السما كما تضي النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا
نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان
ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا اسس على التقوى بناه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا اذن الله ان ترفع اي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها
الخنا من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه
يسبح له فيها بالغدو والاصال اي بالغداة والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلاة
المفروضة فالتي تودى بالغداة صلاة الفجر والتي تودى بالاصال صلاة الظهر والعصر
والعشاين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر ق عن
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة
اراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو وصلاة
الضحى عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا
الى صلاة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى

لا ينقصه الا ذلك كان اجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما
كتاب في عليين اخرجه ابو داود رجال قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد
لان النسا ليس عليهن حضور المساجد بجمعة ولا جماعة لا تلهيهم اي لا تشغلهم
تجارة قيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل الانسان به عن الصلوات
والطاعات واراد بالتجارة الشرا وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشرا
جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل
على يده ولا بيع اي ولا يشغلهم بيع عن ذكر الله اي حضور المساجد لاقامة
الصلوات واقام الصلاة يعني اقامة الصلاة في وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة
روى سالم عن ابن عمر انه كان في السوق واقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا
حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الاية رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة يعني المفروضة
قال ابن عباس اذا حضر وقت ادا الزكاة لم يحبسوها يخافون يوما تتقلب فيه
القلوب والابصار يعني ان هولا الرجال وان بالغوا في ذكر الله والطاعات
فانهم مع ذلك وجلون خايفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته وقيل
ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب
عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغطية
وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجا فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة
وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اي ناحية يوخذ بهم امن ذات اليمين
ام ذات الشمال ومن اين يوتون كتبهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل
تتقلب القلوب في الجوف فترتفع الى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج وتتقلب
البصر فيشخص من هول الامر وشدته ليجزيهم الله احسن ما عملوا يعني انهم اشتغلوا
بذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة ليجزيهم الله احسن ما عملوا والمراد
بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها
على انه لا يجازيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى
يجازيهم جزا احسن من اعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعماية ضعف
ويزيدهم من فضله يعني انه سبحانه وتعالى يجزيهم باحسن اعمالهم ولا يقتصر
على ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق من يشا بغير حساب لما ضرب الله مثلا
لحال المومن وانه في الدنيا والاخرة في نور وانه فايز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب
مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبيه ما يرى نصف النهار عند شدة

الحر

الحر في البراري يظنه من يراه ما فاذا اقترب منه انفش فلم ير شيا والقيعة
القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب يحسبه يتوهمه الظمان
اي العطشان ما حتى اذا جاه اي جا ما قدر انه ما وقيل جا الى موضع السراب
لم يجده شيا اي لم يجد على ما قدره وظنه ووجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر
من اعمال البر وهو يعتقد ان لها ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصة
القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب
الاليم عظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمان الذي اشتدت حاجته
الى الما فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاه لم يجده شيا فكذلك
حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى عنه شيا ولا
نفعه ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه
اي جزا عمله والله سريع الحساب معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله
محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا اخر فقال تعالى او كظلمات علم الله
سبحانه وتعالى ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت
قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها
كظلمات في بحر لجي اي عميق كثير الما ولجة البحر معظمه يغشاه اي يعلوه موج من فوقه
موج اي متراكم من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض معناه ان البحر اللجي يكون قعره
مظلما جدا بسبب غمورة الما فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق
الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقرب
ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يراها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد
من اقرب شي يراه الانسان فقال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة
انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له
ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي
قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة والسحاب الختم والطبع على
قلبه قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله
ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم
يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الاية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس
الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جا الاسلام كفر وعاند والاصح ان الاية عامة في حق
جميع الكفار وقوله عز وجل الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات

اي باسطات اجنحتهن في الهوي قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين
السما والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض كل قد علم صلاته وتسبيحه
قيل الصلاة لبني ادم والتسبيح لساير الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه
وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل
ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض اي جميع الموجودات هي ملكه وفي تصرفه وعنه نشات ومنه بدات فهو واجد
الوجود وقيل معناه ان خزاين المطر والرزق بيده لا يملكها احد سواه والى الله المصير
اي والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى الم تر ان الله يزجي اي يسوق سحابا بامره الى
حيث شا من ارضه وبلاده ثم يولف بينه اي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى
بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله
اي من وسطه وهو مخارج القطر وينزل من السما من جبال فيها من برد قيل معناه وينزل من
جبال من السما تلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر الله ان في السما جبالا من برد وقيل معناه
وينزل من السما مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية
والثالثة قلت من الاولى لابتدا الغاية لان ابتدا الانزال من السما والثانية
للتبعيض لان ما نزله الله بعض تلك الجبال التي في السما والثالثة للتجنيس لان
تلك الجبال من جنس البرد فيصيب به اي بالبرد من يشا فيهلكه واموال ويصرفه عن
من يشا اي فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب يذهب بالابصار اي من شدة
ضوءه وبرقه يقلب الله الليل والنهار اي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فياتي بالليل
ويذهب بالنهار ويذهب بالنهار وياتي بالليل ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر
بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند
النوازل والشدايد اصابنا الدهر وتذمه في اشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر
فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف يقع به التاثيرات كما يقع بكم وقوله تعالى
ان في ذلك اي الذي ذكرت من هذه الاشيا لعبرة لاولي الابصار اي دلالة لاهل العقول
والبصاير على قدرة الله تعالى وتوحيده قوله عز وجل والله خلق كل دابة من ما اي من
نطفة واراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملايكة والجن لانا لا نشاهدهم
وقيل ان اصل جميع الخلق من الما وذلك ان الله خلق ما جعل بعضه ريحا ونورا فخلق
منه الملايكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه ادم فمنهم
من يمشي على بطنه اي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك ومنهم من يمشي على رجلين

يعني مثل بني ادم والطير ومنهم من يمشي على اربع يعني كالبهايم والسباع فان قلت
كيف قال خلق كل دابة من ما مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت
ذلك المخلوق من غير نطفة لا بد ان يكون من شي وذلك الشي اصله من الما فكان من
الما فان قلت فمنهم من يمشي ضمير العقلا فلم استعمل في غير العقلا قلت ذكر الله
تعالى فيها لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللايق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا
والخسيس تبعا اولى فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات
قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهي الارجل والقوايم
ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على اربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفي
الحيوانات ما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وما له اربع واربعون
رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه
الحيوانات اعتمادها على اربع في المشي والباقي تبع لها يخلق الله ما يشا اي مما لا يعقل ولا
يعلم ان الله على كل شي قدير اي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشا
كما يشا لا يمنعه مانع ولا دافع لقد انزلنا ايات مبينات يعني القران هو المبين للهدى وللاحكام
وللحلال والحرام والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم يعني الى دين الاسلام الذي هو دين
الله وطريقه الى رضاه وجنته قوله تعالى ويقولون يعني المنافقين امنا بالله وبالرسول
واطعنا اي يقولون بالسنتهم من غير اعتقاد ثم يتولى فريق منهم اي يعرض عن طاعة الله
ورسوله من بعد ذلك اي يعرض عن طاعة الله ورسوله من بعد قولهم امنا ويدعوا الى غير
حكم الله قال الله تعالى وما اوليك بالمومنين نزلت هذه الاية في بشر المنافق كان بينه وبين
يهودي خصومة في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد وقال المنافق نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل
الله هذه الاية واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي الرسول يحكم بحكم الله بينهم
اذا فريق منهم معرضون يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين
اي مطيعين منقادين لحكمه اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما
يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا افي قلوبهم مرض اي كفر ونفاق ام ارتابوا اي شكوا وهذا
استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يظلم
بل اوليك هم الظالمون اي لانفسهم باعراضهم عن الحق قوله عز وجل انما كان قول المومنين
اذا دعوا الى الله اي الى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم هذا تعليم ادب الشرع على معنى
كذا ينبغي ان يكونوا وهو ان يقولوا سمعنا اي الدعا واطعنا اي بالاجابة واوليك اي من
هذه صفتهم هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس فيما ساه وسره ويخش الله
اي على ما عمل من الذنوب ويتقه اي فيما بعد فاوليك هم الفايزون اي الناجون قوله تعالى

واقسموا بالله جهد ايمانهم قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزد على ذلك شيئا لئن امرتهم
ليخرجن وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك
لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان
كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو امرتنا ان نخرج من ديارنا
واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى قل لهم لا تقسموا اي لا تحلفوا
فتم الكلام ثم ابتدا فقال طاعة معروفة اي هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد
بالقلب وهي معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه
طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل ان الله
خبير بما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
يعني بقلوبكم وصدق مقالتكم فان تولوا اي تعرضوا عن طاعة الله ورسوله فانما عليه اي على
الرسول ما حمل اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي ما كلفتم من
الاجابة والطاعة وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا الحق والرشد في طاعته وما على
الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الواضح البين قوله عز وجل وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد
الوحي عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار يصبحون ويمسون خايفين
ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه
فقال رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية
ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها
وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم اي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما
من الانبيا وكما استخلف بني اسرايل واهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم اي اختاره قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها
ويظهر دينهم على ساير الاديان وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا
فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياءه وابدلهم بعد الخوف امنا وبسطا في الارض
خ عن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكا اليه الفاقة
ثم اتاه اخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رايت الحيرة قلت لم ارها وقد
انبيت عنها فقال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة
لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعار طي الذين قد سعروا البلاد
ولين طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولين طالت
بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا

يقبله

يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له
فليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب فيقول الم اعطك مالا
وافضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى
الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة
فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرايت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف
بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولين طالت بكم حياة
لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا وفي الاية دليل
على صحة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه والخلفا الراشدين بعده لان في ايامهم
كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن
والتمكين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة
عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلي ستة قال علي قلت لحماد
القايل لسعيد امسك سفينة قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ
قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة ابي بكر
كانت سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان
اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وعلي كذا ولم يبين تحقيق مدته فعلى هذا التفصيل
تكون مدة خلافة الايمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة اشهر وكملت ثلاثين
بخلافة الحسن فكانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله اعلم وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك اراد
به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله فاوليك هم الفاسقون اي العاصون قال اهل التفسير
اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم
وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن اخي عبد الله بن
سلام قال لما اريد قتل عثمان جا عبد الله بن سلام فقال له عثمان ما جا بك قال جيت
في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك خارج خير لي منك داخل فخرج عبد الله
الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملايكة قد جاورتكم في بلدكم هذا
الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان
قتلتموه لتطردن جيرانكم الملايكة وليسلن سيف الله المغمود عليكم فلا يغمد الى يوم القيامة
قالوا اقتلوا اليهودي فقتلوا عثمان اخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فما قتل
نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قوله تعالى
واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي افعلوا هذه الاشيا

على رجا الرحمة لا تحسبن الذين كفروا معجزين اي فايتين عنا في الارض وماويهم النار ولبيس
المصير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ابن عباس وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب
وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رويته ذلك فانزل الله هذه الاية
وقيل نزلت في اسما بنت مرشد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرهها فانزل الله
يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم اللام لام الامر وفيه قولان احدهما على الندب والاستحباب
والثاني انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد والاما والذين لم يبلغوا
الحلم منكم يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النسا بل المراد
الذين عرفوا امر النسا ولكن لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل واتفق العلما على
ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم قال ابو حنيفة
لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال
الشافعي وابو يوسف ومحمد واحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة يصير مكلفا
وتجري عليه الاحكام وان لم يحتلم ثلاث مرات اي يستاذنوا في ثلاثة اوقات من قبل صلاة
الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اي وقت القيلولة ومن بعد صلاة العشا وانما خص
هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان
ما لا يحب ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان في هذه الاوقات
وغير العبيد والصبيان يستاذن في جميع الاوقات ثلاث عورات لكم سميت هذه الاوقات
عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ليس عليكم ولا عليهم يعني العبيد
والخدم والصبيان جناح اي حرج في الدخول عليكم بغير استيذان بعدهن اي بعد هذه
الاوقات الثلاثة طوافون عليكم اي العبيد والخدم يترددون والصبيان يترددون
ويدخلون ويخرجون في اشغالكم بغير اذن بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم على
بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم اختلف العلما في حكم هذه الاية
فقيل انها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى عكرمة ان نفرا من اهل
العراق قالوا يا ابن عباس كيف ترى في هذه الاية التي امرنا بها ولا يعمل بها احد
قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية فقال
ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمومنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا
حجاب فربما دخل الخادم او الولد او يتيمة الرجل والرجل على اهله فامرهم الله بالاستيذان
في تلك العورات فجاهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك بعد اخرجه ابو داود

وفي

وفي رواية عنده نحوه وزاد فراى ان ذلك اغنى من الاستيذان وذهب قوم الى انها غير
منسوخة روى سفيان عن موسى بن ابي عايشة قال سالت الشعبي عن هذه الاية
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها
قال الله المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت
والله ما نسخت ولكنها مما يتهاون بها الناس وقيل ثلاث ايات ترك العمل بهن هذه
الاية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والناس يقولون اعظمكم بيتا واذا حضر
القسمة اولوا القربى الاية وقوله عز وجل واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي الاحتلام
يريد الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا اي يستاذنون في جميع الاوقات في الدخول
عليكم كما استاذن الذين من قبلهم اي الاحرار الكبار كذلك يبين الله لكم اياته اي دلالاته
وقيل احكامه والله عليم اي بامور خلقه حكيم اي بما دبر لهم وشرع قال سعيد بن
المسيب يستاذن الرجل على امه فانما انزلت الاية في ذلك وسيل حذيفة ايستاذن
الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره قوله تعالى والقواعد من النسا
يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يحضن اللاتي لا يرجون نكاحا
اي لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجز اللواتي اذا راهن الرجال استقذروهن
فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الاية فليس
عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب
والردا الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه
غير متبرجات بزينة اي من غير ان يردن بوضع الجلباب والردا اظهار زينتهن والتبرج
هو ان تظهر المراة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره وان يستعففن اي فلا يلقين
الجلباب والردا خير لهن والله سميع عليم قوله عز وجل ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج اختلف العلما في هذه الاية فقال ابن عباس لما انزل الله يا ايها
الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمي
والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله تعالى عن اكل الاموال بالباطل
والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع
المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله
هذه الاية فعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في اي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم
في مواكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون
عن مواكلة الاصحا لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقال للاعمى ربما اكلت اكثر
ويقال للاعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت ترخيصا لهولا في

الاكل من بيوت من سمى الله في باقي الاية وذلك انهم كانوا يدخلون على الرجل
لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده شي ذهب بهم الى بيت ابيه وبيت امه او بعض
من سمى الله فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته
فانزل الله هذه الاية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى
ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تاكلوا في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون
لا ندخلها واصحابها غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة
لهولاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند ولا على المريض حرج وقوله عز وجل
ولا على انفسكم كلام مستانف قيل لما نزل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل
لاحدنا ان ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي
لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم قيل اراد من اموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت
المراة كبيت الزوج وقيل اراد من بيوت اولادكم نسب بيوت الاولاد الى الاباء كما جاء
في الحديث انت ومالك لابيك او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم
مفاتحه قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه
ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعني بيوت
عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده ومفاتيح الخزائن ويجوز ان يكون
المفتاح الذي يفتح واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان ياكل الشي اليسير
وقيل وما ملكتم مفاتحه اي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه او صديقكم الصديق
هو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمرو خرج غازيا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فساله
عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك من غير اذنك فانزل الله هذه الاية والمعنى
ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هولاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان
تتزودوا او تحملوا ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نزلت في بني ليث
ابن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده حتى يجد ضيفا ياكل معه
فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل
الحفل فلا يشرب من لبنها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقال
ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه
فيقول والله اني لا اجنح اي لا اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية
وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص

لهم ان ياكلوا كيف شاوا جميعا اي مجتمعين او اشتاتا اي متفرقين فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه
يسلم على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتا فسلم على اهله فهم
احق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا من ربنا
وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس ان لم
يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله
في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله مباركة طيبة قال
ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ها هنا لما فيه من الثواب والاجر
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون اي عن الله امره ونهيه وادبه قوله
عز وجل انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه اي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر جامع اي يجمعهم من حرب حضرت او صلاة
او جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل لم يذهبوا اي لم يتفرقوا عنه
ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له حتى يستاذنوه قال المفسرون كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة
او عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه
فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام
يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون
مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن فاذا استاذن فالامام
ان شاء اذن له وان شاء لم ياذن وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام
بان يكون في المسجد نسوة فتحيض امراة منهن او يجنب رجل منهم او يعرض له
مرض فلا يحتاج الى الاستيذان ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون
بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم اي امرهم فاذن لمن شئت منهم
اي في الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله
ان رايت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة ان الله غفور رحيم قوله عز وجل لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال ابن عباس يقول احذروا دعاء الرسول
اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه
باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه

فقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع قد يعلم الله الذين يتسللون منكم اي يخرجون منكم لواذا اي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفيين وقال ابن عباس لواذا اي يلوذ بعضهم لبعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم القيام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد يعلم فيه التهديد بالمجازاة فليحذر الذين يخالفون عن امره اي يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه ان تصيبهم اي لئلا تصيبهم فتنة اي بلا في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي وجيع في الاخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى الا ان لله ما في السموات والارض اي ملكا وعبيدا قد يعلم ما انتم عليه اي من الايمان والنفاق ويوم يرجعون اليه يعني يوم البعث فينبيهم بما عملوا اي من الخير والشر والله بكل شي عليم عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النسا الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبد الله بن الربيع في صحيحه والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الفرقان وهي مكية وهي سبع وسبعون اية وثمانماية واثنان وتسعون كلمة وثلاثة الاف وسبعماية وثلاثة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك تفاعل من البركة كان معناه جا بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم الذي نزل الفرقان اي القران سمي فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا في اوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين اي للانس والجن نذيرا قيل هو القران وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي له ملك السموات والارض اي هو المتصرف فيها كيف يشا ولم يتخذ ولدا اي هو المتفرد بالالهية وقيل فيه رد على الثنوية وعبدة الاصنام وخلق كل شي اي مما يطلق عليه صفة المخلوق فقدره تقديرا اي سواه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شي تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق قوله تعالى واتخذوا يعني عبدة الاوثان من دونه الهة يعني الاصنام لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اي دفع ضر ولا جر نفع ولا يملكون موتا يعني اماتة ولا حياة اي احيا ولا نشورا اي بعثا بعد الموت وقال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث واصحابه ان هذا اي ما هذا القران الا افك اي كذب افتراه اي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم واعانه عليه قوم اخرون قيل يعني اليهود

وقيل عبيد بن الحضر الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا ياخذ منهم قال الله تعالى فقد جاوا يعني قايلي هذه المقالة ظلما وزورا اي بظلم وزور وهو نسبتهم كلام الله الى الافك والافترا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها يعني النضر بن الحارث كان يقول ان هذا القران ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان تكتب لانه كان لا يكتب فهي تملى عليه اي تقرا عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا يعني غدوا وعشيا قال الله تعالى ردا عليهم قل يا محمد انزله يعني القران انزله الذي يعلم السر اي الغيب في السموات والارض انه كان غفورا رحيما اي لولا ذلك لعاجلكم بعذابه وقالوا مال هذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ياكل الطعام اي كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق اي يلتمس المعاش كما نمشي نحن واذا كان كذلك فمن اين له الفضل علينا انه يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لا ياكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لان اكله للطعام لكونه ادميا ولم يدع انه ملك ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن سخابا في الاسواق وليس شي من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك لولا انزل اليه ملك اي يصدقه ويشهد له فيكون معه نذيرا اي داعيا او يلقى اليه كنز اي ينزل عليه كنز من السما ينفقه فلا يحتاج الى التصرف في المعاش او تكون له جنة اي بستان ياكل منها اي هو فلا اقل من ذلك ان لم يكن كنز وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق انظر اي يا محمد كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه التي لا فايدة فيها فقالوا مسحور محتاج فضلوا اي عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى ومخرجا عن الضلالة قوله عز وجل تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك اي مما الذي قالوا وافضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا اي بيوتا مشيدة عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شيت لسارت معي جبال مكة ذهبا جاني ملك ان حجزته لتساوي الكعبة فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول ان شيت نبيا عبدا وان شيت نبيا ملكا فنظرت الى

جبريل فاشار الي ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا يقول انا اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ذكر
هذه الاحاديث الشيخ البغوي باسناده قوله تعالى بل كذبوا بالساعة اي القيامة واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا اي نارا مسعرة اذا رأتهم من مكان بعيد اي من مسيرة عام
وقيل مسيرة مائة عام فان قلت كيف يتصور الرؤيا من النار قلت ان يخلق الله
لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها سمعوا لها تغيظا اي غليانا
كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب وزفيرا اي صوتا فان قلت كيف يسمع
التغيظ قلت معناه راوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر
ورأيت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا وقيل
سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد قال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة
زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه واذا القوا منها مكانا ضيقا
قال ابن عباس يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين اي مصفدين قد قرنت
ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل دعوا
هنالك ثبورا قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث اول ما يكسى حلة من
النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول
يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوراه وينادون
يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا هكذا ذكره البغوي
بغير سند وقيل معناه هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة
قوله عز وجل قل اذلك خير اي الذي ذكرت من صفة النار واهلها خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون كانت لهم جزاء اي ثوابا ومصيرا اي مرجعا لهم فيها ما يشاؤن
اي ان جميع المرادات لا تحصل الا في الجنة لا غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان
شيئا ولا يحصل في الجنة كما انه يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله
يزيل ذلك الخاطر عن اهل الجنة بل كل واحد من اهل الجنة مشتغل بما هو فيه من
اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره خالدين اي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم
ان يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وانشدوا في المعنى

اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

كان على ربك وعدا مسؤلا اي مطلوبا وذلك ان المؤمنين سالوا ربهم في الدنيا حين قالوا
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم
على طاعتهم اياه في الدنيا ومسالتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين

وذلك

وذلك قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله عز وجل ويوم يحشرهم
وما يعبدون من دون الله يعني من الملائكة والجن والانس مثل عيسى والعزير
وقيل يعني الاصنام ثم يخاطبهم فيقول أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم
ضلوا السبيل اي اخطأوا الطريق قالوا يعني المعبودين سبحانك نزهوا الله ان
يكون معه آلهة ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يعني ما كان ينبغي لنا
ان نوالي اعداءك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان نأمرهم
بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ولكن متعتهم واباءهم اي بطول العمر
والصحة والنعمة في الدنيا حتى نسوا الذكر اي تركوا المواعظ والايمان بالقرآن
وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اي كذبكم
المعبودون بما تقولون اي انهم آلهة فما يستطيعون يعني الآلهة صرفا اي صرف
العذاب عن انفسهم ولا نصرا ولا نصر انفسهم اي ولا ينصركم ايها العابدون بدفع
العذاب عنكم ومن يظلم منكم اي من يشرك نذقه عذابا كبيرا قوله تعالى وما ارسلنا
قبلك اي يا محمد من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق قال ابن
عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول ياكل
الطعام ويمشي في الاسواق انزل الله هذه الاية والمعنى ان هذه عادة مستمرة
من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن وما انا الا رسول وما كنت بدعا
من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة اي بلية قال ابن عباس اي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا
على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعون انتم الهدى وقيل نزلت في ابتلاء
الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان يسلم راى الوضيع قد اسلم قبله
انف وقال اسلم بعده فتكون له السابقة والفضل علي فيقيم على كفره ويمتنع
من الاسلام فذلك افتتان بعضكم ببعض وقيل نزلت في ابي جهل والوليد بن عقبة
والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث وذلك انهم راوا ابا ذر وابن مسعود
وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة ودونهم قد اسلموا قبلهم فقالوا
انسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء المسلمين بالمستهزئين من قريش
كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا واراذلنا
فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين اتصبرون اي على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى
وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول ما لي لم اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف
فتنة الوضيع وكان ربك بصيرا اي بمن يصبر وبمن يجزع ق عن ابي هريرة يبلغ به

النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والجسم
فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم انظروا الى من هو
اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله
عليكم قوله عز وجل وقال الذين لا يرجون لقانا اي لا يخافون البعث والرجا بمعنى
الخوف لغة تهامة لولا انزل علينا الملايكة اي فتخبرنا ان محمدا صادق او نرى ربنا
اي فيخبرنا بذلك لقد استكبروا اي تعظموا في انفسهم بهذه المقالة وعتوا عتوا
اي طغوا وقيل علوا في الارض وهو اشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى
يومنوا به كبيرا يوم يرون الملايكة اي عند الموت وقيل يوم القيامة لا بشرى يومئذ
للمجرمين وذلك ان الملايكة يبشرون المومنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى
لكم وقيل لا بشارة لهم في الجنة كما يبشر المومنون ويقولون حجرا محجورا قال ابن عباس
تقول الملايكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله وقيل اذا خرج الكفار
من قبورهم تقول لهم الملايكة حرام محرم عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول
الكفار للملايكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا
فهم يقولون ذلك اذا عاينوا ذلك وقدمنا الى ما عملوا من عمل يعني من اعمال البر التي عملوها
في حال الكفر فجعلناه هبا منثورا اي باطلا لا ثواب لهم لانهم لم يعملوه لله عز وجل
ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد والهبا هو ما يرى في الكوى كالغبار
اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس
هو ما تسفيه الرياح وتذروه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يستطير
من حوافر الدواب عند السير من الغبار قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ اي يوم القيامة
خير مستقرا اي من هولا المشركين المستكبرين واحسن مقيلا اي موضع القايلة
وذلك ان اهل الجنة لا يمسي بهم يوم القيامة الا قدر من اول النهار الى وقت
القايلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم
القيامة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقيلولة الاستراحة
نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة
لا نوم فيها وقال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في اوله وروي ان يوم القيامة
يقصر على المومنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس قوله عز وجل
ويوم تشقق السما بالغمام اي عن الغمام وهو غمام ابيض مثل الضبابة
ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم ونزل الملايكة تنزيلا قال ابن عباس تشقق
الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تنشق الثانية

فينزل

فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السما الدنيا ومن الانس والجن ثم كذلك
حتى تنشق السما السابعة واهل كل سما يزيدون على اهل السما التي تليها
ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش الملك يومئذ الحق للرحمن اي الملك الذي هو
الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد ان يوم القيامة
لا ملك يقضي غيره وكان يوما على الكافرين عسيرا وفيه دليل على انه لا يكون على
المومنين عسيرا وجا في الحديث انه يهون يوم القيامة على المومن حتى يكون اخف
عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قوله تعالى ويوم يعض الظالم اراد بالظالم
عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه
اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر
فصنع طعاما ودعا الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاكل من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اخبر ابي بن
خلف قال له يا عقبة صبات قال لا والله ما صبات ولكن دخل علي رجل فابى
ان ياكل طعامي حتى اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له
فطعم فقال ما انا بالذي رضي عنك ابدا الا ان تاتيه فتبزق في وجهه ففعل
ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم
بيده يوم احد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في
وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك فيهما حتى قتل وقيل كان عقبة بن ابي
معيط خليل امية بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية وجهي من وجهك حرام ان
تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعني عقبة بن ابي معيط
ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه يعني ندما واسفا على ما فرط في جنب
الله واوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه
قال عطا ياكل يديه حتى تبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم ياكلهما هكذا كلما نبتت
يده اكلها تحسرا على ما فعل يقول يا ليتني اتخذت اي في الدنيا مع الرسول سبيلا
اي ليتني اتبعت محمدا واتخذت معه طريقا الى الهداية يا ويلتى دعا على نفسه بالويل
ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني ابي بن خلف لقد اضلني عن الذكر اي عن الايمان والقران
بعد اذ جاني يعني الذكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان وهو كل متمرد

عاقه صده عن سبيل الله من الجن للانسان خذولا اي كثير الخذل لانه يتركه ويتبرا
منه عند نزول البلاء والعذاب وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا
على معصية الله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس
الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما
ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد
منه ريحا خبيثة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابو داود والترمذي ولهما عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مومنا ولا ياكل طعامك الا تقي
قوله عز وجل وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب ان قومي اتخذوا
هذا القران مهجورا اي متروكا فاعرضوا عنه ولم يومنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل
جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه شعر وسحر والمعنى ان محمدا
صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا
فعزاه الله عز وجل فقال وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا لك اعداء من مشركي قومك
كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك فان الانبيا
قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر انت كما صبروا واني ناصرك وهاديك
قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اي كما انزلت التوراة على
موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود عليهم الصلاة والسلام قال الله عز وجل
كذلك لنثبت به فوادك اي انزلناه متفرقا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب
المتقدمة نزلت على انبيا يكتبون ويقرون وانزلنا القران على نبي امي لا يكتب ولا
يقرا ولان من القران الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سال عن امور حدثت
في اوقات مختلفة ففرقناه ليكون اوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل
ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت
وقيل فرقناه تفريقا اية بعد اية ولا ياتونك يا محمد هولا المشركين بمثل اي يضربونه
في ابطال امرك الا جيناك بالحق اي بما يرد ما جاوا من المثل ويبطله فسمى ما يوردون
من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا واحسن تفسيرا اي واحسن بيانا
وتفصيلا ثم ذكر ما لهولا المشركين فقال تعالى الذين اي هم الذين يحشرون على وجوههم
اي يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا اي منزلا ومصيرا
واضل سبيلا اي اخطا طريقا قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه
اخاه هارون وزيرا اي معينا وظهيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا

يعني

يعني القبط فدمرناهم فيه اضمار فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا
وقوم نوح لما كذبوا الرسل اي رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع
الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناهم للناس اية اي عبرة لمن بعدهم
واعتدنا للظالمين اي في الاخرة عذابا اليما اي سوى ما حل بهم من عاجل العقاب
في الدنيا وعادا وثمودا اي واهلكنا عادا وثمودا واصحاب الرس قال وهب بن منبه
كانوا اهل بير نزولا عليها وكانوا اصحاب مواشي يعبدون الاصنام فبعث الله
اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم واذى شعيب فبينما هم
حول البير في منازلهم انهارت البير وخسفت بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس
بير بفلج اليمامة قتلوا نبيهم واهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبي يقال له
حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيب
النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود
وقرونا بين ذلك كثيرا اي واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس وكلا ضربنا له
الامثال اي الاشباه في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وكلا تبرنا
تتبيرا اي اهلكناهم اهلاكا ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء يعني الحجارة
وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى اهلك الله منها اربعا ونجت واحدة وهي صغر
وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث افلم يكونوا يرونها يعني اذا مروا بهم في اسفارهم
فيعتبروا ويتعظوا لان مداين قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم الى الشام بل
كانوا لا يرجون نشورا اي لا يخافون بعثا قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا
نزلت في ابي جهل كان اذا مر مع اصحابه يقال مستهزيا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد
ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن عبادة الهتنا لولا ان صبرنا عليها اي على عبادتها
والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب اي في الاخرة
عيانا من اضل سبيلا اي اخطا طريقا ارايت من اتخذ الهه هواه وذلك ان الرجل
من المشركين كان يعبد حجرا فاذا راى حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن وعبده قال
ابن عباس ارايت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي
وقيل الهوى اله يعبد افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه من اتباع هواه وعبادة
ما يهوى من دون الله والمعنى ليست كذلك وقال الكلبي نسختها اية القتال ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون اي ما تقول سماع طالب الافهام او يعقلون اي ما يعاينون من
الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون
القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكانهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك

شبههم بالانعام فقال تعالى ان هم اي ما هم الا كالانعام اي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى بل هم اضل سبيلا لان البهايم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها التي يتعاهدها وهولا الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك قوله عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه ولو شا لجعله ساكنا اي دايما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه دليلا معناه لدلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشيا تعرف باضدادها ثم قبضناه يعني الظل الينا قبضا يسيرا اي بالشمس التي تاتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءا جزءا قبضا خفيا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا اي سترا يستتر به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شي كاللباس الذي يشتمل على لابسه والنوم سباتا اي راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم وجعل النهار نشورا اي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغا الرزق وطلبا للاشغال وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته يعني المطر وانزلنا من السما ما طهورا الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماوه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنساي واراد به المطهر والما مطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالما وذهب اصحاب الراي ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمايعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوهما ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان الطهور ما يتكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوزوا الوضو بالما الذي توضا به مرة وان وقع في الما شي لا يمكن صون الما عنه كالطين والتراب واوراق الاشجار فيجوز الطهارة به وان تغير لونه بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن وهو يصب فيه فتروح الما برايحته يجوز الطهارة به لان تغيره بالمجاورة لا للمخالطة وان كان شيا يمكن صون الما عنه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضو به فان لم يتغير احد اوصافه نظر ان كان الواقع شيا طاهرا لا تزول طهوريته يجوز الوضو به سوا كان الما قليلا او كثيرا وان كان الواقع شيا نجسا نظر فيه فان كان الما اقل من قلتين تنجس الما وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضو به والقلتان خمسماية رطل بالبغدادي ويدل عليه ما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن الما

يكون

يكون في الفلاة وتردده السباع والدواب فقال اذا كان الما قلتين لم يحمل الخبث اخرجه ابو داود والترمذي وهذا قول الشافعي واحمد واسحاق وجماعة من اهل الحديث ان الما اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير احد اوصافه وذهب جماعة الى ان الما القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه او لونه او ريحه وهو قول الحسن وعطا والنخعي والزهري واحتجوا بما روي عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقى لك من بير بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الما طهور لا ينجسه شي وفي رواية قال قلت يا رسول الله انتوضا من بير بضاعة وهي بير تطرح الحيض ولحم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الما طهور لا ينجسه شي اخرجه ابو داود وقوله تعالى لنحيي به اي بالمطر بلدة ميتا قيل اراد به موضع البلدة ونسقيه مما خلقنا انعاما اي نسقي من ذلك الما انعاما واناسي كثيرا اي بشرا كثيرا والاناسي جمع انسي وقيل جمع انسان قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم اي المطر مرة ببلدة ومرة ببلد اخر وقال ابن عباس ما عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرا هذه الاية وهذا كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسما تمطر فيها يصرفه الله حيث يشا وروي عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بامطر من اخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها في السما الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح ليذكروا اي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا وكفرهم هو انهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا ق عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر بي مومن بالكوكب قوله عز وجل ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما اعتدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة فلا تطع الكافرين اي فيما يدعونك اليه

من موافقتهم ومداهنتهم وجاهدهم به اي بالقران جهادا كبيرا اي شديدا
وهو الذي مرج البحرين اي خلطهما وافاض احدهما على الاخر وقيل ارسلهما في مجاريهما
وخلاهما هذا عذب فرات اي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة وهذا ملح اجاج اي
شديد الملوحة وقيل مر وجعل بينهما برزخا اي حاجزا فلا يختلط العذب بالملح
ولا الملح بالعذب وحجرا محجورا اي سترا ممنوعا فلا يبغي احدهما على الاخر ولا يفسد
الملح العذب قوله عز وجل وهو الذي خلق من الما اي من النطفة بشرا فجعله نسبا
وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر قيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه
فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر
الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا
وبالسبب سبعا وجمعها في قوله حرمت عليكم امهاتكم وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه
في تفسير سورة النسا وكان ربك قديرا اي على ما اراد حيث خلق من النطفة الواحدة
نوعين من البشر الذكر والانثى ويعبدون من دون الله يعني هولا المشركين ما لا ينفعهم
اي ان عبدوه ولا يضرهم اي ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا للشيطان
على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام معاونة الشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا
ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه وقيل اراد بالكافر
ابا جهل والاصح انه عام في كل كافر قوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا اي بالثواب
على الايمان والطاعة ونذيرا اي منذرا اي بالعقاب على الكفر والمعصية قل ما اسالكم
عليه اي على تبليغ الوحي من اجر اي فيقولون انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه
الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا معناه لكن من شا ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه
فعلى هذا يكون المعنى لا اسالكم لنفسي اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال في طلب
مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته وتوكل على الحي الذي لا يموت معناه انه سبحانه
وتعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب منهم اجرا البتة امره ان
يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت
انقطع توكل من توكل عليه بموته واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع
توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة وسبح بحمده اي صل له شكرا على نعمه وقيل معناه
قل سبحان الله والحمد لله وكفى به بذنوب عباده خبيرا يعني انه تعالى عالم بجميع
ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير
عالم قادر على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال ان اقدمتم على مخالفة امره
كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة قوله عز وجل الذي خلق السموات

والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا
اي فاسال الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والارض والاستوا على العرش
وقيل معناه ايها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فاسال
عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن اي ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة
الكذاب كانوا يسمونه رحمن اليمامة انسجد لما تامرنا اي لما تامرنا انت يا محمد وزادهم اي
قول القايل اسجدوا للرحمن نفورا اي عن الايمان والسجود فصل هذه السجدة
من عزايم السجدات فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراتها قوله
تعالى تبارك الذي جعل في السما بروجا قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا
لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثني
عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت
بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها وجعل فيها سراجا
يعني الشمس وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال ابن عباس خلفا وعوضا
يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاه في الاخر قال شقيق
جا رجل الى عمر بن الخطاب فقال فاتتني الصلاة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك
في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقيل جعل لكل واحد
منهما مخالفة لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف احدهما
صاحبه اذا ذهب هذا جا هذا فهما يتعاقبان في الضيا والظلمة والزيادة والنقصان
لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ويتعظ او اراد شكورا يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما قوله
عز وجل وعباد الرحمن قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق
كلهم عباد الله الذين يمشون على الارض هونا اي بالسكينة والوقار متواضعين
غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل علما حلما اصحاب وقار وعفة واذا خاطبهم
الجاهلون يعني السفها بما يكرهونه قالوا سلاما اي سدادا من القول يسلمون فيه
لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف
وقيل هذا قبل ان يومروا بالقتال ثم نسختها اية القتال وروي عن الحسن البصري
انه كان اذا قرا هذه الاية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرا والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم سجدا على وجوههم
وقياما على اقدامهم وقال ابن عباس من صلى بعد العشا الاخيرة ركعتين او اكثر فقد

بات لله ساجدا وقايما م عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة
كان كقيام ليلة قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
اي ملحا دايما لازما غير مفارق من عذاب الكفار قال محمد بن كعب القرظي يسال الله الكفار
ثمن نعمه فلم يودوها فاغرمهم فبقوا في النار وقيل كل غريم مفارق غريمه الا جهنم
وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدايم انها يعني جهنم سات اي بيست مستقرا
ومقاما اي موضع قرار واقامة والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قيل الاسراف
مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه
وهو ان لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وكان بين
ذلك قواما اي قسطا وسطا بين الاسراف والاقتار حسنة بين السيئتين قيل هذه
الاية في صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة
ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم
على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر العورة ويقيهم من الحر والبرد قال عمر بن
الخطاب كفى سرفا الا يشتهي شيا الا اشتراه فاكله قوله عز وجل والذين لا يدعون
مع الله الها اخر الاية ق عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا
وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه لحسن
لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ومعنى الاية ومن يفعل شيا
من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس انه يريد جزا الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام
واد في جهنم وفي الحديث ان الغي والاثام بيران يسيل فيهما صديد اهل النار يضاعف
له العذاب يوم القيامة قيل سبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي
مع الشرك يضاعف له العقوبة على شركه وعلى معاصيه ويخلد فيه مهانا اي ذليلا قوله
تعالى الا من تاب اي من ذنبه وامن بربه وعمل صالحا اي فيما بينه وبين ربه روي عن
ابن عباس قال قراناها على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها
اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما رايت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشي قط فرحه بها
وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما قال ابن عباس
يبدلهم بقبايح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل
المومنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سياتهم التي عملوها في الاسلام

حسنات

حسنات يوم القيامة م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر
رجل يخرج من النار يوتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا
عنه كبارها فيعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا
وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه
فيقال له ان لك مكان كل سيية حسنة فيقول رب عملت اشيا لا اراها هنا قال فلقد رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل يمحو بالندم جميع السيات ثم
يثبت مكان كل سيية حسنة ومن تاب وعمل صالحا قيل هذا في التوبة من غير ما سبق
ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني
ادى الفرايض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله متابا اي حسنا يفضل على غيره ممن
قتل وزنا فالاية الاولى وهو قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثاني رجوع الى الله
للجزا والمكافاة وقيل هذه الاية ايضا في التوبة عن جميع السيات ومعناه من اراد
التوبة وعزم عليها فلينيب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر اي تب الى الله
وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور يعني
الشرك وقيل شهادة الزور ق عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم
باكبر الكباير قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فجلس فقال
الا وقول الزور وشهادة الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق
وقيل لا يشهدون الزور يعني اعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا تساعد
اهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغنا قال ابن مسعود الغنا ينبت
النفاق في القلب كما ينبت الما الزرع واصل الزور تحسين الشي ووصفه
بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق واذا مروا باللغو وهو كلما يجب ان
يلغى ويترك مروا كراما يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا
فعلى هذا التفسير تكون الاية منسوخة باية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها
والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما اي مسرعين معرضين عنه وهو ان
ينزه نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيية والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها
صما وعميانا قيل انه ليس فيه نفي الخرور انما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى والمعنى انهم
اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها باذان واعية واقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة واعية
وقيل معنى لم يخروا اي لم يسقطوا عليها صما وعميانا كانهم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به
فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه قوله عز وجل والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين اي ابرارا اتقيا صالحين تقر اعيننا بذلك قيل ليس شي اقر لعين المومن

من ان يري زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يجعلوا معه في الجنة فيتم
سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة
العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار
وقيل معني قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه عن النظر الي غيره واجعلنا
للمتقين اماما اي ايمة يقتدي بنا في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا
المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هداة وقيل معناه انهم سالوا ان يبلغهم في الطاعات
المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدي بهم قال بعضهم فيه دليل علي ان الرياسة في الدين مطلوبة
مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين
موتمين بهم اوليك يجزون اي يثابون الغرفة اي الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد
غرف الدر والزبرجد واللولو والياقوت في الجنة بما صبروا اي علي طاعة الله واوامره
وعلي اذي المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية اي ملكا وقيل بقاء دايما
وسلاما اي يسلم بعضهم علي بعض ويرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما
اي سلامة من الافات خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة قوله
تعالي قل ما يعبا بكم ربي اي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سوا وقيل معناه
اي وزن ومقدار لكم عنده لولا دعاوكم اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا
ايمانكم وقيل معناه لولا دعاوه اياكم الي الاسلام فاذا امنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل
معناه ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعني انه خلقكم لعبادته وطاعته
وهذا قول ابن عباس وقيل معناه ما يعبا اي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاوكم معه الهة
وقيل معناه ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر
لكم فقد كذبتم يعني بها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعاكم الي توحيده وعبادته
علي لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه الي الايمان فسوف
يكون لزاما هذا تهديد لهم اي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا
وقيل قتالا والمعني يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطي التوبة حتي يجازي بعمله
وقيل معناه عذابا دايما وهلاكا لازما مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر
قتل منهم سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وابي بن كعب يعني انهم
قتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الاخرة لازما لهم ق عن عبد الله بن مسعود قال
خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان
والقمر والروم والبطشة واللزام تفسير سورة الشعرا وهي مكية
الا اربع ايات من اخر السورة من قوله تعالي والشعرا يتبعهم الغاوون وهي مايتان

وسبع وعشرون اية والف ومايتان وتسع وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسماية
واربعون حرفا روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين
من الواح موسي عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم قال ابن عباس
طسم اعجزت العلما عن علم تفسيرها وفي رواية اخري عنه انه قسم وهو من اسما
الله تعالي وقيل اسم من اسما القران وقيل اسم السورة وقيل اقسم بطوله وسناه
وملكه تلك ايات اي هذه الايات ايات الكتاب المبين قيل لما كان القران فيه دلايل التوحيد
والاعجاز الدال علي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل الاحكام اجمع فثبت بذلك
ان ايات القران كافية مبينة بجميع الاحكام لعلك باخع اي قاتل نفسك الا يكونوا
مومنين اي لان لم يومنوا وذلك حين كذب به اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص علي
ايمانهم فانزل الله هذه الاية ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
اي لو شا الله لانزل عليهم اية يذلون لها فلا يلوي احد منهم عنقه الي معصية الله وقيل
معناه ولو شا الله لاراهم امرا من امره ولا يعمل احد منهم بعده معصية فان قلت
كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام علي اصله ولما وصفت بالخضوع
الذي هو للعقلا قيل خاضعين وقيل اعناق الناس روساوهم ومقدموهم اي فظلت
كبراوهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس اي جماعة
وما ياتيهم من ذكر من الرحمن اي وعظ وتذكير محدث اي محدث انزاله فهو محدث التنزيل
وكلما نزل شي من القران بعد شي فهو احدث من الاول الا كانوا عنه معرضين اي عن الايمان
به فقد كذبوا فسياتيهم اي فسوف ياتيهم انبا اي اخبار وعواقب ما كانوا به يستهزون
اولم يروا الي الارض يعني المشركين كم انبتنا فيها اي بعد ان لم يكن فيها نبات من كل زوج كريم
اي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما ياكل الناس والانعام قال الشعبي الناس نبات
الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو ليم ان في ذلك اي الذي ذكرت لاية اي دلالة
علي كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل وفي كل شي له اية تدل علي انه واحد وما كان اكثرهم
مومنين اي سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يومنون ولا يصدقون وان ربك لهو العزيز اي المنتقم
من اعدايه الرحيم اي ذو الرحمة لاوليايه قوله تعالي واذ نادي اي واذكر يا محمد اذ نادي
ربك موسي اي حين راي الشجرة والنار ان ايت القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرايل باستعبادهم وسومهم سو العذاب قوم فرعون
يعني القبط الا يتقون اي يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به قال
يعني موسي رب اي يا رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري اي بتكذيبهم اياي ولا ينطلق

لساني للعقدة التي كانت على لسانه فارسل الى هارون اي ليوازرني ويعينني على تبليغ
الرسالة ولهم علي ذنب اي دعوى ذنب وهو قتله القبطي فاخاف ان يقتلون له به قال
الله عز وجل كلا اي لن يقتلوك فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون اي سامعون
ما تقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهما بلفظ الجمع بقوله معكم وهما اثنان
قلت اجراهما مجرى الجماعة وذلك جائز في لغة العرب فاتيا فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين فان قلت هلا ثنى الرسول كما في قوله فاتيا وقوله انا رسولا ربك قلت
الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن به من
تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية
والجمع والمعنى انا ذو رسالة كما في كثير . لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بشي ولا ارسلتهم
برسول . وقيل انهما لاتفاقهما في الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسول
واحد وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرايل
اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولا تستعبدهم اربعماية سنة وكانوا في
ذلك الوقت ستماية وثلاثين الفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهارون
بها فاخبره بذلك وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده
عصاه والمكتل معلق في راس العصى وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هارون
بان الله تعالى قد ارسلني الى فرعون وارسل اليك حتى تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت
امهما وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمتنع
بقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا
من بالباب فقال موسى انا رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان
مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فتركه حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما
انطلقا جميعا الى فرعون فلم يوذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون
ان هاهنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه
فدخلا على فرعون واديا رسالة رب العالمين فعرف فرعون موسى لانه نشا في بيته
فقال له الم نربك فينا وليدا اي صبيا ولبثت فينا من عمرك سنين يعني ثلاثين
سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وانت من الكافرين قال اكثر
المفسرين اي من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك فينا وكافيتنا ان
قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهذه رواية عن ابن عباس قال ان فرعون
لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبيا لا قبل النبوة ولا
بعدها وقيل انعمناه وانت من الكافرين بفرعون والهيته قال يعني موسى

فعلتها

فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين بان ذلك يودي الى قتله لانه فعل
الوكزة على وجه التاديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق
الصواب وقيل من المخطئين ففررت منكم لما خفتكم اي الى مدين فوهب لي ربي حكما
يعني النبوة وقيل العلم والفهم وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان
عبدت بني اسرايل اي اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه حيث رباه
ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرايل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرايل فيكون
معنى الاية وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل وتركتني فلم تستعبدني
وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الاية اوتلك نعمة على طريق الاستفهام
فحذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة . لم انس يوم الرحيل وقفتها
وطرفها في دموعها غرق . وقولها والركاب واقفة . تتركني هكذا وتنطلق
اي اتتركني والمعنى انك تمن علي ان ربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرايل بالاستعباد
والمعاملات القبيحة او يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن
اهين قومه فقد ذل فتعبيد بني اسرايل قد احبط احسانك الي ولو لم تستعبدهم
ولو لم تقتل اولادهم لم ادفع اليك حتى تربيني وتكلفني ولكان من اهلي من يربيني
ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين يقول اي شي رب العالمين الذي
تزعم انك رسوله الي يستوصفه الهه الذي ارسله وهو سوال عن جنس الشي والله تعالى
منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله واثار
قدرته التي تعجز الخلق عن الاتيان بمثله فقال رب السموات والارض وما بينهما ان
كنتم موقنين اي خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته فان تيقنتم بذلك لزمكم
ان تقطعوا انه لا جواب عن ذلك السوال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعاني
اي كما توقنون هذه الاشيا التي تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هو الذي تعالى
الذي خلقهما واوجدهما فلما قال ذلك موسى تحير فرعون في جواب موسى قال لمن
حوله اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسماية رجل عليهم الاسورة الا تستمعون
وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انا طلبت منه الماهية
وخصوصيته الحقيقة وهو يجيبني بافعاله واثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون
ان الهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى في البيان قال ربكم ورب ابايكم الاولين يعني ان
موسى ذكر ما هو اقرب اليهم فقال ربكم يعني خالقكم وخالق ابايكم الاولين
قال يعني فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من السوال طلب
الماهية وهو يجيب بالاثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي الرسالة

مجنون لانه بهم السوال فضلا عن ان يجيب ويتكلم بكلام لا يعقله ولا يعرف
صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فقال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق ثالث واضح من الثاني ومعنى
ان كنتم قد عرفتم انه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرت قال فرعون حين لزمته
الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه
في مكان يهوي به في الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه قال له موسى حين
توعده بالسجن اولو جيتك بشي مبين اي باية بينة والمعنى تفعل ذلك ان
جيتك بحجة بينة وانما قال ذلك لانه من اخلاق الناس السكون الى الانصاف
والاجابة الى الحق بالبيان قال يعني فرعون فات به اي فانا لن نسجنك حينيذ
ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده قيل انها لما
صارت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي
ارسلها الا اخذتها فاخذها موسى فعادت عصى كما كانت فقال وهل غيرها
قال نعم واراه يده ثم ادخلها جيبه فاذا هي بيضا من غير برص لها شعاع كشعاع
الشمس وهو قوله فاذا هي بيضا للناظرين فعند ذلك قال فرعون للملا حوله ان
هذا يعني موسى لساحر عليم وكان زمان السحرة فلهذا روج فرعون هذا القول
على قومه ثم قال تريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره قال هذا القول على سبيل
التنفير لئلا يقبلوا قول موسى فماذا تامرون يعني ما رايكم فيه وما الذي اعمل فعند
ذلك قالوا ارجه واخاه اي اخره واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل
سحار عليم قيل ان فرعون اراد قتل موسى فقالوا له لا تفعل فانك ان قتلته دخلت
الناس شبهة في امره ولكن اخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا يثبت له عليك حجة
قوله عز وجل فجمع السحرة لميقات يوم معلوم يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق
ذلك يوم السبت في اول يوم في السنة وهو يوم النيروز وقيل للناس هل انتم
مجتمعون اي لتنظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة لعلنا نتبع السحرة ان
كانوا هم الغالبين لموسى وقيل اراد بالسحرة موسى وهارون قال ذلك على طريق
الاستهزا فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين طلبوا من
فرعون الجزا وهو اما بذل المال او الجاه فبذل لهم ذلك كله واكده بقوله قال نعم وانكم
اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون اي بعظمة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف

ما يافكون

ما يافكون اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصى موسى صارت
حية وابتلعت كلما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى فاذا هي كما
كانت اول مرة فالقي السحرة ساجدين قيل انهم لما راوا ما جاوز حد السحر علموا انه
ليس بساحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم قالوا امنا برب العالمين رب
موسى وهارون وانما قالوا رب موسى وهارون لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا
عزله قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون اي لا ضرر علينا فيما
ينالنا في الدنيا لاننا ننقلب ونصير الى ربنا متقلبين في الاخرة مومّلين غفرانه وهو
قولهم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي الكفر والسحر ان اي لان كنا اول المومنين
اي من اهل زماننا وقيل اول المومنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع قوله عز وجل
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه ليحيلوا بينكم
وبين الخروج وقيل اوحى الله الى موسى اذا جمع بني اسرايل كل اهل اربعة ابيات في بيت
ثم اذبحوا اولاد الضان فاضربوا بدمايها على ابوابكم فاني سامر الملايكة تقتل ابكار
الفرعون من انفسهم واموالهم وامرهم ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبز خبزا فطيرا
فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري ففعل ذلك موسى ثم ان
قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم
ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل
موسى وقومه قتلوا ابكارنا من اموالنا وانفسنا واخذوا اموالنا فارسل فرعون في المداين
حاشرين يعني الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المداين الف مدينة واثنى عشر الف قرية
وارسل فرعون في اثر موسى وقومه الف الف وخمسماية الف وخرج فرعون في الكرسي
العظيم في ماية ملك مسومين مع كل ملك الف فلذلك قال ان هولا لشرذمة قليلون قال
اهل التفسير كانت الشرذمة الذين استقلهم فرعون ستماية الف مقاتل لم يعدوا
ابن العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانوا ستماية الف وسبعين الفا
ولا يحصى عدد اصحاب فرعون وانهم لنا لغايظون الغيظ الغضب يعني انهم اغضبونا
بمخالفتهم ديننا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم
من ارضنا بغير اذن منا وانا لجميع حذرون اي خايفون من شرهم وقرى حاذرون اي ذوو
قوة وادلة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذرك الان والحذر الذي لا تلقاه الا
خايفا فاخرجناهم من جنات وعيون قيل كانت البساتين ممتدة على حافتي النيل

فيها عيون جارية وكنوز يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا
لانه لم يود حق الله منها وكلما لم يعط ولم يود حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا
قيل كان لفرعون ثمانية الف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب
ومقام كريم اي مجلس حسن قيل اراد مجالس الامرا والروسا التي كانت لهم وقيل انه كان
اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثماية كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه
والامرا وعليهم الاقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم
التي فيها العيون واموالهم ومجالسهم الحسنة كذلك اي كما وصفنا واورثناها بني اسرايل
وذلك ان الله عز وجل رد بني اسرايل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع
ما كان لفرعون وقومه من الاموال والمساكن الحسنة فاتبعوهم مشرقين اي لحق فرعون وقومه
موسى واصحابه وقت شروق الشمس وسواضاتها فلما ترا الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل فريق
صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم قال يعني
موسى ثقة بوعد الله اياه كلا اي لن يدركونا ان معي ربي سيهدين اي يدلني على طريق النجاة
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي ضربه فانشق فكان كل فرق اي قطعة
من الما كالطود اي الجبل العظيم قيل لما انتهى ومن معه الى البحر هاجت الريح وصار البحر
يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر
امامنا قال موسى ها هنا فخاض يوشع البحر لا يواري الما حافر دابته وقال الذي يكتم ايمانه
يا كليم الله اين امرت قال ها هنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقحمه البحر
فارتسب في الما وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري
كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه
ولم يبتل سرجه ولا لبده وازلفنا ثم الاخرين اي قربنا فرعون وقومه الى البحر وقدمناهم
الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرايل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرايل ليلحق
اولكم اخركم ويقول للقبط رويدا ليلحق اخركم اولكم فكان بنو اسرايل يقولون ما راينا احسن
سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون ما راينا احسن رعة من هذا وانجينا موسى ومن
معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين يعني انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه
واغرق فرعون وقومه وذلك لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فاغرقهم ان في ذلك لاية
يعني ما حدث في البحر من انفلاقه اية من الايات العظام الدالة على قدرته ومعجزة
موسى عليه السلام وما كان اكثرهم مومنين يعني اهل مصر قيل لم يومن منهم الا اسية
امراة فرعون وحزبيل مومن ال فرعون ومريم بنت ناموسا التي دلت على قبر يوسف حين
اخرجه موسى من البحر وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابراهيم

اذ قال

اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شي تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه
بانهم عبدة الاصنام ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة بشي قالوا
نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اي يسمعون دعاكم اذ تدعون او ينفعونكم
قيل بالرزق او يضرون اي ان تركتم عبادتها واذا كانوا كذلك فكيف يستحقون العبادة
فلما الزمهم الحجة القاطعة قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون المعنى انها لا تسمع قولا
ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا لكن اقتدينا باباينا في ذلك وفي الاية دليل على ابطال
التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباوكم الاقدمون اي الاولون فانهم عدو لي اي اعداء لي وانما وحد على ارادة الجنس
فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل قلت
معناه فانهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها
ونزلوها منزلة الاحيا العقلا اطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من
المقلوب اراد فاني عدو لهم فان من عاديته فقد عاداك الا رب العالمين اي لكن رب
العالمين فانه ربي ووليي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله فقال ابراهيم
كل من تعبدون اعدا الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال
الذي خلقني فهو يهدين اي الى طريق النجاة والذي هو يطعمني ويسقين اي يرزقني
ويغذوني بالطعام والشراب واذا مرضت اضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب
وان كان المرض والشفا من الله فهو يشفين اي يبريني ويعافيني من المرض والذي يميتني
ثم يحيين اي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الاخرة والذي اطمع اي ارجو ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين اي يوم الجزا والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاثة وتقدم الكلام عليها
م عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل
الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما يا رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه لا يصلح للالهية الا
من يفعل هذه الافعال رب هب لي حكما قال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقيل
العلم والفهم والحقني بالصالحين اي بمن سلف من الانبيا في المنزلة والدرجة العالية واجعل
لي لسان صدق في الاخرين اي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجي بعدي
فاعطاه الله ذلك وجعل اهل كل الاديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني من ورثة
جنة النعيم اي ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى واغفر لابي انه كان
من الضالين قيل دعا لابيه على رجا انه يسلم فيغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ولا تخزني

اي لا تفضحني يوم يبعثون هو يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم اي خالص من الشك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها احد قال سعيد بن المسيب
القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم
هو الخالي من البدعة المطمين الى السنة وازلفت الجنة اي قربت للمتقين وبرزت اي ظهرت
الجحيم للغاوين اي للكافرين وقيل لهم يعني يوم القيمة اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل
ينصرونكم اي يمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون اي لانفسهم فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا
فقذفوا وطرح بعضهم على بعض وقيل القوا على رؤوسهم فيها اي في الجحيم هم والغاوون يعني
الالهة والعابدين وقيل الجن والكفار وجنود ابليس اجمعون يعني اتباعه ومن اطاعه من
الجن والانس وقيل ذريته قالوا وهم فيها يختصمون يعني العابدين والمعبودين والمعنى انهم
قالوا تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم نعدلكم برب العالمين فنعبدكم وما اضلنا يعني
دعانا الى الضلال الا المجرمون يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون
الذين اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن ادم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل
وانواع المعاصي فما لنا من شافعين يعني من يشفع لنا يعني كما ان للمومنين شافعين من الملايكة
والنبيين ولا صديق حميم اي قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين تشفع الملايكة والنبيون
والمومنون والصديق هو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه
في الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة من بقي فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الاصدقا المومنين فان لهم
شفاعة يوم القيامة فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المومنين اي انهم تمنوا الرجعة
حين لا رجعة لهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين اي مع هذه الدلايل والايات
وان ربك لهو العزيز الرحيم اي المنتقم الذي لا يغالب وهو في صفة عزته رحيم قوله عز وجل كذبت
قوم نوح المرسلين اي كذبت جماعة قوم نوح وقيل القوم مونثة وتصغيرها قويمة فان قلت
كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان
الاخر منهم جا بما جا به الاول فمن كذب واحدا من الانبيا فقد كذب جميعهم اذ قال لهم اخوهم
نوح اي في النسب لا في الدين الا تتقون اي الا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصي اني لكم رسول امين
اي على الوحي وكان مشهورا عندهم بالامانة فاتقوا الله اي بطاعة الله وعبادته واطيعون
اي فيما امركم به من الايمان والتوحيد وما اسالكم عليه من اجر اي جعل وجزا ان اجري اي ثوابي
الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قيل كرره ليوكده عليهم ويقرره في نفوسهم
وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الا تتقون الله في مخالفتي وانا رسول الله ومعنى الثانية الا

تتقون

تتقون الله في مخالفتي وانا لست اخذ منكم اجرا قالوا انومن لك واتبعك الارذلون اي السفلة
قال ابن عباس يعني الصاغة وقيل هم الحاكة والاساكفة قال يعني نوحا وما علمي بما كانوا يعملون
اي ما اعلم اعمالهم وصنايعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم واحوالهم شيا انما كلفت ان ادعوهم
الى الله وما لي الا ظواهر امرهم قال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه
اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون
اي لو تعلموا ذلك ما عيرتموهم بصنايعهم وما انا بطارد المومنين اي عني وقد امنوا ان انا الا نذير
مبين اي اخوف من يكذبني فمن امن فهو القريب مني ومن لم يومن فهو البعيد مني قالوا لين لم تنته
يا نوح اي عما تقول لتكونن من المرجومين اي من المقتولين بالحجارة وهو اسوا القتل وقيل من
المشتومين قال رب ان قومي كذبون فافتح اي فاحكم بيني وبينهم فتحا اي حكما ونجني ومن معي
من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي الموقر المملو من الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا
بعد الباقين اي بعد انجا نوح ومن معه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين
اي امين على الرسالة فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع قال ابن عباس بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق
وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع اية اي علامة وهو العلم تعبثون اي بمن مر
بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا
منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم هود باتخاذهم ومعنى تعبثون
اي تلعبون بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس ابنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة
وقيل ماخذ الما يعني الحياض لعلكم تخلدون كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون واذا بطشتم
اي اخذتم وسطوتم بطشتم جبارين اي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب
ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر فاتقوا الله واطيعون فيه زيادة زجر
عن حب الدنيا والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم
ذكر ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فيه التنبيه على نعم الله تعالى
عليهم اني اخاف عليكم قال ابن عباس ان عصيتموني عذاب يوم عظيم وكان جوابهم ان قالوا
سوا علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم
بما اورده والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ان هذا الا خلق الاولين بفتح الخا اي
اختلاق الاولين وكذبهم وقري خلق بضم الخا واللام اي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون
ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم
فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين

وانه ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتتركون فيما هاهنا امنين اي من العذاب في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها اي ثمرها الذي
يطلع منها هضيم قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم
يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعمة وقيل هو
المدرك وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال
ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنيعهم فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس اي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة
الذين يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي لا يطيعون الله فيما امرهم به قالوا انما انت
من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا اي من المسحورين المخدوعين قال ابن عباس اي من المخلوقين
المعللين بالطعام والشراب والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك فات باية اي على صحة
ما تقول ان كنت من الصادقين يعني انك رسول الينا قال هذه ناقة لها شرب اي حظ
من الما ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء اي بعقرها فياخذكم عذاب يوم عظيم
فعقروها فاصبحوا نادمين اي على عقرها فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين يعني
نكاح الرجال من بني ادم وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني تتركون العضو
المباح من النسا وتميلون الى ادبار الرجال بل انتم قوم عادون اي معتدون مجاوزون
الحلال الى الحرام قالوا لين لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من قريتنا قال اني لعملكم
من القالين اي من التاركين المبغضين رب نجني واهلي مما يعملون اي من العمل الخبيث قال الله تعالى
فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا اي امراته في الغابرين اي بقيت في المهلكين ثم دمرنا الاخرين
اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعني الكبريت والنار فسا مطر المنذرين ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قال تعالى كذب اصحاب
الايكة المرسلين اي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد اذ قال لهم شعيب
لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وهو مرسل اليهم الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
انما كانت دعوة هولاء الانبيا فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على
تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة

اوفوا

اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي من الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن
وزنوا بالقسطاس اي بالميزان العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعني الخليقة والامم المتقدمين
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا
كسفا اي قطعا من السما ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون اي من نقصان
الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب علي وما علي الا الدعوى
والتبليغ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة وذلك انهم اصابهم حر شديد فكانوا
يدخلون الاسراب فيجدونها احر من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها
فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة
الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله اعلم قوله عز وجل وانه يعني القران
لتنزيل رب العالمين يعني ان فيه من اخبار الامم الماضين ما يدل على انه من رب العالمين
نزل به الروح الامين يعني جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه
امينا لانه موتمن على وحيه الى انبيايه على قلبك يعني حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه
وانما خص القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار
وساير الاعضا مسخرة له يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه
في الصحيحين ومن المعقول انه موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب
فاذا فرح القلب وحزن تغير حال ساير الاعضا فكان القلب كالرييس لها ومنه
ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو
الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله لتكون
من المنذرين اي المخوفين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه
وانه يعني القران وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته لفي زبر اي كتب
الاولين اولم يكن لهم اية يعني اولم يكن لهولا المشركين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله
عليه وسلم ان يعلمه يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علما بني اسرايل قال ابن عباس
بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان
هذا لزمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك اية على صدقه صلى الله
عليه وسلم وقيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قوله
تعالى ولو نزلناه يعني القران على بعض الاعجمين جمع اعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن

العربيه وان كان عربيا في النسب ومعنى الاية لو انزلنا القران على رجل ليس بعربي
اللسان فقراه عليهم يعني القران ما كانوا به مومنين اي قالوا ما نفقه قولك وقيل
معناه لما امنوا به انفة من اتباع من ليس من العرب كذلك سلكناه قال ابن عباس ادخلنا
الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين لا يومنون به اي بالقران حتى يروا العذاب الاليم
فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون اي لنومن ونصدق يمنوا
الرجعة ولا رجعة لهم افبعذابنا يستعجلون قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى افبعذابنا
يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين اي لكفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون يعني العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لمى به في تلك السنين الكثيرة فالمعنى
انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئا
ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اي رسل ينذرونهم
ذكرى اي تذكرة وما كنا ظالمين اي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وما تنزلت
به الشياطين يعني المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القران على لسان محمد
صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك وما ينبغي لهم اي ان ينزلوا بالقران وما يستطيعون
اي ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال انهم عن السمع لمعزولون اي محجوبون بالرمي
بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس
يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق علي ولو اتخذت الها غيري لعذبتك قوله عز وجل
وانذر عشيرتك الاقربين روى محمد بن اسحاق بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين
فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها
حتى اتى جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تومر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل
لنا عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به
ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه
فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي
صنعت فجئت به فلما تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها باسنانه
ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا بسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشي حاجة
وايم الله ان كان الرجل الواحد لياكل مثل الذي قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم

بذلك

بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي ان هذا الرجل سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق
القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم
ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جيتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم
اليه وايكم يوازرني على امري هذا ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها
جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا اخي
ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد
امرك ان تسمع لعلي وتطيع ق عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى
الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل
الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجا ابو لهب وقريش فقال ارايتكم
لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا
قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت
تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري
لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه ق عن ابي
هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين قال
يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيا يا بني عبد مناف
لا اغني عنكم من الله شيا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيا ويا صفية عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من الله شيا ويا فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم سليني ما شيت من مالي لا اغني عنك من الله شيا م عن قبيصة بن مخارق وزهير بن
عمرو قالا لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين انطلق نبي الله الى رضمة جبل فعلا اعلاها حجرا
ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يربا اهله
يخشى ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ومعنى الاية ان الانسان اذا بدا بنفسه اولا
وبالاقرب فالاقرب من اهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع
واخفض اي الن جناحك لمن اتبعك من المومنين فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من
المومنين قلت معناه لمن اتبعك من المومنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المومنين
بالسنتهم وهم المنافقون فان عصوك اي فيما تامرهم به فقل اني بري مما تعملون اي من الكفر والمخالفة

وتوكل على العزيز الرحيم التوكل عبارة عن تفويض الرجل الى من يملك امره وتيمه على نفعه
وضره وهو الله تعالى العزيز الذي يقهر اعداك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته
الذي يراك حين تقوم اي الى صلاتك وقيل يراك اينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعايك
وتقلبك في الساجدين قال ابن عباس اي ويرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك
وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع
الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فانه صلى الله عليه وسلم كان يبصر من خلفه
كما يبصر من قدامه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي هاهنا
فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني اراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تقلبك
وذهابك ومجيئك في اصحابك المومنين وقيل تصرفك في احوالك كما كانت الانبياء من قبلك
وقال ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة
انه هو السميع العليم لقولك ودعايك يبثك في عملك هل انبيكم هل اخبركم على من
تنزل الشياطين هذا جواب لقولهم يتنزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين
فقال تعالى تنزل على كل افاك اي كذاب اثيم اي فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين تسترق
السمع ثم يلقوا ذلك الى اوليايهم من الانس وهو قوله يلقون السمع اي ما يسمعونه من الملايكة
فيلقونه الى الكهنة واكثرهم كاذبون لانهم يخلطونه كذبا كثيرا قوله تعالى والشعراء
يتبعهم الغاوون قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى
الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع
ابن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب
والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون
اشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله
يتبعهم الغاوون هم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين
وقيل هم السفها الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفها فنزلت هذه الاية
الم تر انهم في كل واد اي من اودية الكلام يهيمون يعني حايرين وعن طريق الحق جايرين
يخوضون وقيل يهيمون الهايم الذاهب على وجهه ولا مقصد له قال ابن عباس
في كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون
الشي ثم يذمونه لانهم لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والغوص
على المعاني في القوافي وانهم يقولون ما لا يفعلون اي انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم
يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه

ويهجون

ويهجون الناس بادنى شي صدر منهم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا ثم استثنى
شعرا المسلمين الذين كانوا يجيبون شعرا الكفار ويهجونهم وينافحون عن النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال
تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ان الله قد انزل في الشعر ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن يجاهد بسيفه
ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم نضح النبل عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم دخل مكة في عمرة القضا وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول. خلوا بني
الكفار عن سبيله. اليوم نضربكم على تنزيله. ضربا يزيل الهام عن مقيله. ويذهل
الخليل عن خليله. فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي فيهم
اسرع من نضح النبل اخرجه الترمذي والنسايي قال الترمذي وقد روي في غير هذا
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضا وكعب بن مالك بين يديه
وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم موتة وكانت
عمرة القضا بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضا سنة سبع ويوم
موتة كانت سنة ثمان والله اعلم وعن البرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك خ عن عايشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قايما يفاخر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يويد حسان
بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل الى ابن
رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض وارسل كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن
ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد انى لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه
ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي
فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق
لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عايشة فسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يويدك ما نافحت عن الله ورسوله
قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى

قال حسان ● هجوت محمدا فاجبت عنه ● وعند الله في ذاك الجزاء ●
هجوت محمدا برا تقيا ● رسول الله شيمته الوفاء ●
فان ابي ووالده وعرضي ● لعرض محمد منكم وقاء ●
ثكلت بنيتي ان لم تروها ● تثير النقع من طرفي كداء ●
يبارين الاعنة مصعدات ● على اكتافها الاسل الظماء ●
تظل جيادنا متمطرات ● فتلطمهن بالخمر النساء ●
فان اعرضتمو عنا اعتمرنا ● وكان الفتح وانكشف الغطاء ●
والا فاصبروا لضراب يوم ● يعز الله فيه من يشاء ●
وقال الله قد يسرت جندا ● هم الانصار عرضتها اللقاء ●
تلاقي كل يوم من معد ● سباب او قتال او هجاء ●
فمن يهجو رسول الله منكم ● ويمدحه وينصره سواء ●
وجبريل رسول الله فينا ● وروح القدس ليس له كفاء ●

فصل في مدح الشعر خ عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة عن ابن عباس قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما اخرجه ابو داود م عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت شي قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه فانشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته ماية بيت زاد في رواية ان كاد ليسلم في شعره عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من ماية مرة فكانوا اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشيا من امر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عايشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة وروي عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده فروي انه دعا عمر بن ابي ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها ● امن ال نعم انت غاد فمبكر ● غداة غد ام رايح فمهجر ● فانشده القصيدة الى اخرها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة وقوله تعالى **وذكروا الله كثيرا** اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى **وانتصروا من بعد ما ظلموا** اي انتصروا من المشركين لانهم بدوا بالهجا ثم

اوعد شعرا المشركين فقال تعالى **وسيعلم الذين ظلموا** اي اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجا **اي منقلب ينقلبون** اي مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير والله اعلم **تفسير** سورة النمل وهي مكية وهي ثلاث وقيل اربع وتسعون اية والف وماية وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبعماية وتسعة وتسعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **طس تلك ايات القران** اي هذه ايات القران **وكتاب مبين** اي وايات كتاب مبين **هدى وبشرى للمومنين** اي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة **الذين يقيمون الصلاة** اي الخمس بشرايطها **ويوتون الزكاة** اي اذا وجبت عليهم طيبة بها انفسهم **وهم بالاخرة هم يوقنون** يعني ان هولاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة **ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم** اي القبيحة حتى راوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله في القلب العلم بما فيه من المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه من المضار والافات **فهم يعمهون** اي يترددون فيها متحيرين **اوليك الذين لهم سوء العذاب** اي اشده وهو القتل والاسر **وهم في الاخرة هم الاخسرون** اي انهم خسروا انفسهم واهليهم وصاروا الى النار **وانك لتلقى القران** اي تونا وتلقنه وحيا **من لدن حكيم** اي حكيم **عليم** اي عليم فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هو العلم بالامور العلمية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون علما وقد يكون نظرا والعلوم النظرية اشرف قوله عز وجل **اذ قال** اي اذكر يا محمد اذ قال **موسى لاهله** اي في مصيره من مدين الى مصر **اني انست** اي ابصرت **نارا سااتيكم منها بخبر** اي امكثوا مكانكم سااتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ترك الطريق **او اتيكم بشهاب قبس** الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذي في احد طرفيه نار **لعلكم تصطلون** اي تستدفون من البرد وكان في شدة الشتا **فلما جاها نودي ان بورك من في النار** اي بورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملايكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى **ومن حولها** وهم الملايكة الذين حول النار وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملايكة وذلك ان النور الذي راه موسى كان فيه ملايكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار وقال ابن عباس معناه بوركت والمعنى بورك من في النار ومن حولها وهم الملايكة وموسى وروي عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه

على معنى انه نادى موسى سمعه من جهتها كما روى انه مكتوب في التوراة جاالله من
سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ومعنى مجيئه من سينا بعثه
موسى منه ومن ساعير بعثه المسيح منه ومن جبال فاران بعثه محمدا صلى الله عليه وسلم
وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح في
الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه عن كل سوء وعيب فقال تعالى وسبحان الله
رب العالمين ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم
قيل معناه ان موسى قال من المنادي قال انه الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على
يده من المعجزات والمعنى انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا
حية وهو قوله والق عصاك تقديره فالقاها فصارت حية فلما راها تهتز اي تتحرك
كانها جان وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها ولى مدبرا اى هرب من الخوف
ولم يعقب اى لم يرجع ولم يلتفت قال الله عز وجل يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدي
المرسلون يريد اذا امنتهم لا يخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني
غفور رحيم قيل هو ما يصدر من الانبيا من ترك الافضل والصغيرة وقيل ان يكون
المقصود منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطي وهي من التعريضات اللطيفة وسماه
ظلما لقول موسى اني ظلمت نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب قال انى ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له قال ابن جريج قال الله لموسى انما اخفتك لقتلك النفس ومعنى الاية لا يخيف
الله الانبيا الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا
الناويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسول عند قوله الا من ظلم ثم ابتدا الخبر عن
حالة من ظلم من الناس كافة وفي الاية متروك استغنى عن ذكره بدلالة الكلام
عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سو فانى غفور رحيم وقيل ليس هذا
الاستثنا من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو الاستثنا من المتروك معناه
لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهو من الاستثنا المنقطع
معناه لكن من ظلم من الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سو فاني
غفور رحيم اى اغفر له وازيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف
لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سو يعنى تاب من ظلمه فاني غفور رحيم
ثم ان الله تعالى اراه اية اخرى فقال عز وجل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا
قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها واخرجها

فاذا هى تبرق مثل شعاع الشمس او البرق من غير سوء اى غير برص في تسع
ايات اى هذه اية من تسع ايات انت مرسل بهن فعلى هذا تكون الايات احد عشر
العصا واليد والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل بمعنى من اى تسع ايات فتكون اليد
والعصا من التسع الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن الطاعة
فلما جاتهم اياتنا مبصرة اى بينة يتبصر بها قالوا هذا اى نراه سحر مبين اى ظاهر
وجحدوا بها اى انكروا الايات ولم يقروا انها من عند الله واستيقنتها انفسهم
اى علموا انها من عند الله والمعنى انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها بقلوبهم
وضمايرهم ظلما وعلوا اى شركا وتكبرا عن ان يومنوا بما جا به موسى فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين يعنى الغرق قوله عز وجل ولقد اتينا داود وسليمان علما اى علم القضا
والسياسة وعلم داود تسبيح الجبال والطير وعلم سليمان منطق الطير والدواب
وقالا الحمد لله الذى فضلنا اى بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس على كثير من
عباده المومنين اراد بالكثير الذى فضلا عليهم من لم يوت علمها وفيه انهما فضلا على كثير
وفضل عليهما كثير وفيه انهما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن
التواضع قوله تعالى وورث سليمان داود يعنى نبوته وعلمه وملكه دون ساير اولاده
وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطى سليمان ما اعطى داود وزيد له تسخير الريح
والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود
اشد تعبدا من سليمان شاكر النعم الله وقال يعنى سليمان يا ايها الناس علمنا منطق
الطير سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح
ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت
وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول
ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول
كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من
لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا
الله يا مذنبين وصاح طوطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول
كل حى ميت وكل جديد بالي وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه
يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه
يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحداة تقول كل شي هالك
الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول

سبحان ربي القدوس والباز يقول سبحان ربي وبحمده والضفدع تقول سبحان المذكور
بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال
انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة
يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله
ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وقيل ان جماعة من اليهود
قالوا لابن عباس انا سايلون عن سبعة اشيا فان اخبرتنا امنا وصدقنا قال سلوا
تفقها لا تعنتا قالوا اخبرنا ما يقول القنبر في صفيره والديك في صعيقه والضفدع
في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال
نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وال محمد والديك يقول اذكروا الله
يا غافلين واما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار واما الحمار فانه
يقول العن العشار واما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملايكة
والروح واما الزرزور فانه يقول اللهم اني اسالك قوت يوم بيوم يا رزاق واما
الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هولا اليهود وحسن اسلامهم
وروي عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
اذا صاح النسر قال ابن ادم عش ما شيت اخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد
عن الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي ال محمد واذا صاح الخطاف
قرا الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القاري وقوله **واوتينا من كل شي**
اي مما اوتي الانبيا والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقيل النبوة والملك
وتسخير الرياح والجن والشياطين **ان هذا لهو الفضل المبين** اي الزيادة الظاهرة
على ما اعطي غيرنا روي ان سليمان اعطي مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك
اربعين سنة فملك جميع الدنيا من الانس والجن والطير والدواب والسباع
واعطي مع هذا منطق كل شي وفي زمنه صنعت الصنايع العجيبة قوله تعالى **وحشر**
اي وجمع **لسليمان جنوده من الجن والانس والطير** من الاماكن المختلفة **فهم يوزعون**
اي يحبسون حتى يردوا اولهم على اخرهم قيل كان على جنوده وزعة وهم النقبا تردوا اولاها
على اخراها لئلا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان ماية
فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وفضة
وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي
من ذهب وفضة فيقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على الكراسي الفضة

والناس

الرخا وهي ريح لينة ليست بعاصف غام صح

والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظله الطير باجنحتها
حتى لا يقع عليه شمس وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثماية صريحة يعني حرة
وسبعماية سرية فيامر الريح العاصف فترفعه ثم يامر الرخا فتسير به واوحي الله اليه
وهو يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلايق بشي الا جات
الريح فاخبرتك به قوله عز وجل **حتى اذا اتوا على وادي النمل** اي اشرفوا على وادي النمل روي
عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ
ومخابز فيها تنانير الحديد وقدور عظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون
ويخبز الخبازون وهو بين السما والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح
تهوي به فسار من اصطخر بريدا اليمن فسلك على مدينة الرسول فلما وصل اليها قال
سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في اخر الزمان طوبى لمن امن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل
مكة راى حول البيت صنما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فاوحى الله اليه
ما يبكيك قال يا رب ابكاني ان هذا نبي من انبيايك ومعه قوم من اوليايك مروا علي ولم يهبطوا
ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله لا تبكي فاني سوف املاك وجوها
سجدا وانزل فيك قرانا جديدا وابعث منك نبيا في اخر الزمان احب انبيايي الي واجعل فيك
عمارا من خلقي يعبدوني وافرض عليهم فريضة يدفون اليك دفيف النسر الى وكرها ويحنون
اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان
ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطايف فاتى على وادي النمل كذا قال كعب
وقيل انه بالشام وقيل انه واد يسكنه الجن وذلك النمل مركبهم وقيل ان ذلك النمل امثال
الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير **قالت نملة** قيل كانت عرجا وقيل ذات جناحين
قيل اسمها طاحية وقيل جرمى **يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم** ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم
عقولا كالادميين فخوطبوا خطاب الادميين وهذا ليس بمستبعد ان يخلق الله فيها
عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك **لا يحطمنكم** اي يكسرنكم **سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**
قال اهل التفسير علم النمل ان سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الاية
انكم لو لم تدخلوا وطيوكم ولم يشعروا بكم فتسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال وكان لا يتكلم
احد الا حملته الريح حتى تلقيه في مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده ٥
حتى دخل النمل بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهم
فوق البساط على متن الريح قلت كانهم ارادوا النزول عند منقطع الوادي
فلذلك قالت النملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم ما دامت الريح تحملهم في
الهوى لا يخاف حطمهم **فتبسم ضاحكا من قولها** قيل اكثر ضحك الانبيا التبسم

ومعناه ضاحكا متبسما وقيل كان اوله التبسم واخره الضحك خ عن عايشة قالت
ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى لهواته انما كان يتبسم
عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيان احدهما
ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون
يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا الثاني سروره بما اتاه الله مما لم يوت احدا من ادراكه سمعه
ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا راى او سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان
حمد ربه على ما انعم به عليه وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اي ادخلني في
جملتهم واثبت اسمي مع اسمايهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك
الصالحين قوله عز وجل وتفقد الطير اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب ما فقد
من الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد وكان سبب تفقده الهدهد وسواله عنه
اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا يظله وجنده الطير من الشمس
فاصابته الشمس في موضع الهدهد فنظر فراه خاليا وروي عن ابن عباس ان الهدهد
كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في
الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر الارض فيجي الشياطين فيحفرونه ويستخرجون
الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق يا وصاف
انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجي الهدهد وهو لا يبصر
الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جا حال دون البصر
وفي رواية اذا نزل القضا والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج
الى الماء وطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدل سليمان على الما فقال ما لي لا ارى
الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه ادركه الشك فقال ام كان من
الغايبين اي اكان وقيل بل كان من الغايبين ثم اوعده على غيبته فقال لاعذبنه
عذابا شديدا قيل هو ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع
من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص وقيل لاجمعنه مع ضده وقيل لافرقن
بينه وبين الفه اولاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين اي بحجة بينة على غيبته
وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلما ان سليمان لما فرغ من بنا بيت المقدس
عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس

والطير

والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام ما شا الله ان يقيم وكان
ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة الاف ناقة ويذبح خمسة الاف ثور
وعشرين الف شاه وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي
عربي وصفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من عاداه وتبلغ هيبته مسيرة
شهر القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا تاخذه في الله لومة لايم قالوا فباي
دين يدين يا نبي الله قال يدين بالحنيفية فطوبى لمن ادركه وامن به قالوا كم بيننا
وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد الغايب فانه
سيد الانبيا وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم قضى نسكه ثم
خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة
شهر فراى ارضا حسنا تزهر خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل
قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع الى السما فانظر الى طول الدنيا وعرضها
ففعل ذلك وهو ينظر يمينا وشمالا فراى بستانا لبلقيس فنزل اليه واذا هو
بهدهد اخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن يعفير فقال
يعفير ليعفور من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن
داود فقال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح
فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان
لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها
اربعماية ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة الاف مقاتل ولها ثلثماية
وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر الف قايد مع كل قايد اثنا عشر الف مقاتل
فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت
الصلاة اذا احتاج الى الما قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه
الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه نزل على غير ما فسال
عن الما الانس والجن فلم يعلموه فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير
وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته
الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الاية ثم دعا بالعقاب وهو اسد الطير
فقال علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب في الهوى حتى نظر الى الدنيا كالقصعة
بين يدي احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فراى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض
العقاب يريده وعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسو فقال بحق الله الذي
قواك واقدرك علي الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسو فتركه العقاب وقال ويلك ثكلتك

ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك او ليذبحنك ثم طارا متوجهين نحو
سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك اين غبت في
يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد وما
وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال او ليأتيني بسلطان مبين قال نجوت اذا
فانطلق به العقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب
قد اتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه
يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين
كنت لاعذبنك عذابا شديدا قال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع
سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم ساله ما الذي ابطاك عني فقال الهدهد ما اخبر
الله عنه في قوله فمكث غير بعيد اي طويل فقال احطت بما لم تحط به اي علمت ما
لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك الهم الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان
تنبيها على ان ادنى خلقه قد احاط بما لم يحط به ليكون لطفا له في ترك الاعجاب
والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم وجئتك من سبا
قيل هو اسم للبلد وهو مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال كان
رجلا له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة بنبا اي خبر يقين
فقال سليمان وما ذاك فقال اني وجدت امراة تملكهم هي بلقيس بنت شراحيل من
نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو اخرهم
وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان
يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه امراة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن قيل سبب
وصوله الى الجن حتى خطب اليهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على
صور الظبا فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب
ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فراى جنيين يقتتلان ابيض واسود
وقد ظهر الاسود على الابيض فقتل الاسود وحمل الابيض وصب عليها الما
فافاقت فاطلقها فلما رجع الى داره جلس وحده منفردا واذا هو معه شاب جميل
فخاف منه فقال لا تخف انا الحية البيضا التي احييتني والاسود الذي قتلته هو
عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال لا حاجة لي به ولكن ان كان
لك بنت فزوجنيها فزوجه بنته فولدت له بلقيس وجا في الحديث ان احد
ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك وطلبت من قومها ان

بيايعوها

بيايعوها فاطاعها قوم وابى اخرون فملكوا عليهم رجلا اخر يقال انه ابن اخي
الملك وكان خبيثا اسا السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته
ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رات بلقيس ذلك ادركتها الغيرة
فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابتديك بالخطبة
الا الياس منك قالت لا ارغب عنك لانك كفو كريم فاجمع رجال اهلي واخطبني
منهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى انها رغبت فيّ فذكروا ذلك لها
فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت مع اناس كثير من حشمها وخدمها
ولما خلت سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وجزت راسه وانصرفت الى منزلها
من الليل فلما اصبحت ارسلت الى وزرايه واحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم
من يانف لكريمته او كرايم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه
عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها خ
عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت
كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة وقوله واوتيت من كل شي يعني ما يحتاج اليه
الملوك من الالة والعدة ولها عرش عظيم اي سرير ضخم فان قلت كيف استعظم
الهدهد عرشها مع ما راى من عظمة ملك سليمان قلت يجوز انه استعظم
ان يكون لبعض الامرا شي لا يكون للملك مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا
بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوايمه من الياقوت والزمرد وعليه
سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين
ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السما ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين
في ثمانين وعلوه ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه ثلاثين ذراعا قوله عز وجل
اخبارا عن الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك انهم كانوا
مجوسا يعبدون الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم المزين هو الله لانه الفعال لما يريد
وانما ذكر الشيطان لانه سبب لاغوا فصدهم عن السبيل اي عن طريق الحق الذي هو
دين الاسلام فهم لا يهتدون اي الى الصواب الا يسجدوا قرئ بالتخفيف ومعناه
الا يا ايها الناس اسجدوا وهو امر من الله مستانف وقرئ بالتشديد ومعناه
وزين لهم الشيطان اعمالهم لان لا يسجدوا لله الذي يخرج الخبا يعني الخفي المخبى
في السموات والارض قيل خبا السما المطر وخبا الارض النبات ويعلم ما يخفون وما
يعلنون والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله
لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع

المعلومات الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره
فصل وهذه السجدة من عزايم السجود يستحب للقاري والمستمع ان يسجد عند
قرايتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق
بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها او الى امثالها من ملوك
الدنيا واما وصف عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض
تحصل الفرق فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان سننظر اصدقت اي فيما اخبرت
ام كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الما فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب
ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن
الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين قيل لم يزد على
ما نص الله في كتابه وكذلك الانبيا كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب
سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها
يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم ثم تول عنهم اي تنح عنهم فكن قريبا
منهم فانظر ماذا يرجعون اي يردون من الجواب وقيل تقديره الاية فالقه اليهم فانظر
ماذا يرجعون ثم تول عنهم اي انصرف الى ماخذه الهدهد الكتاب ثم اتى به الى بلقيس وكانت
بارض مارب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعا فوجدها نايمة مستلقية على قفاها
وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت
فالقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى اتى المراة وحولها
القادة والوزرا والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس راسها فالقى
الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها مطلع
الشمس اذا طلعت ونظرت اليها سجدت لها فجا الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت
الشمس ولم تعلم فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت
بلقيس الكتاب وكانت قارية فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان
في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرات الكتاب وتاخر الهدهد
غير بعيد وجات حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم الاشراف قال
ابن عباس كان مع بلقيس ماية قيل مع كل قيل ماية الف والقيل الملك دون الملك
الاعظم وقيل كان اهل مشورتها ثلاثماية وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم
على عشرة الاف فلما جاوا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس يا ايها الملا اني القي الي
كتاب كريم قيل سمته كريما لانه كان مختوما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال كرامة الكتاب ختمه قال ابن عباس كريم اي شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن
الكتاب فقالت انه من سليمان وبينت المكتوب فيه وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فان قلت لم تقدم اسم سليمان على اسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدا سليمان
ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في
الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي قال ابن عباس لا تتكبروا علي
والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر واتوني مسلمين اي طايعين
مومنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد قالت يا ايها الملا افتوني في امري اي اشيروا
علي فيما عرض لي ما كنت قاطعة امرا اي قاضية وفاصلة امرا حتى تشهدون اي تحضرون قالوا
يعني الملا مجيبين لها نحن اولوا قوة اي في الجسم على القتال واولوا باس شديد اي عند
الحرب وقيل ارادوا بالقوة كثرة العدد والباس الشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال
ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة اي في القتال وتركه فانظري ماذا
تامرين اي نحن نطيعك لامرك قالت بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول
اليه امره ان الملوك اذا دخلوا قرية اي عنوة افسدوها اي خربوها وجعلوا اعزة اهلها
اذلة اي اهانوا اشرافها وكبراها كي يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم
ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها وصدق الله قولها فقال تعالى وكذلك يفعلون
اي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو كالتاكيد لما قالت ثم قالت واني مرسلة اليهم
اي الى سليمان وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكي واختبره بها املك هو ام نبي فان كان
ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على
دينه وهو قولها فناظرة بم يرجع المرسلون وذلك ان بلقيس كانت امراة لبيبة عاقلة
قد ساست الامور وجربتها فاهدت وصفا ووصايف قال ابن عباس ماية وصيف
وماية وصيفة وقال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسماية غلام وخمسماية
جارية فالبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري
وجعلت في ايديهم اساور الذهب وفي اعناقهم اطواق الذهب وفي اذانهم اقرطة وشنوفا
مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسماية رمكة والغلمان على خمسماية برذون
على كل فرس سرج من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وارسلت
بالمسك والعنبر والعود والالنجوج وعمدت الى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة
وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت
اليه رجالا من قومها اصحاب عقل وراي وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية
وقالت ان كنت نبيا ميز الوصفا والوصايف واخبرنا بما في الحقة قبل ان تفتحها وانقب الدرة

ثقبا مستويا وادخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس
الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخنيث يشبه كلام
الرجال ثم قالت للرسول انظر للرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه
ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي
فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الي سليمان
فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم
بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ وان يفرشوا فيه لبن الذهب والفضة وان يجعلوا قدر
تلك اللبنات التي معهم وان يعملوا حول الميدان حايطا مشرفا من الذهب والفضة
ففعلوا ثم قال اي دواب البر والبحر احسن فقالوا يا نبي الله ما راينا احسن من دواب
في البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي قال علي بها
الساعة فاتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن علي باولادكم فاجتمع
منهم خلق كثير فاقامهم علي يمين الميدان وعلي شماله وامر الجن والانس والشياطين
والوحوش والسباع والطير ثم قعد سليمان في مجلسه علي سريره ووضع اربعة
الاف كرسي علي يمينه وعلي شماله وامر جميع الجن والانس والشياطين والوحوش والطير
والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا
الي ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث علي لبن الذهب والفضة
تقاصرت اليهم انفسهم وخشوا ما كان معهم من الهدايا وقيل ان سليمان لما فرش
الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك علي طريقهم موضعا علي قدر ما معهم من اللبنات
فلما راى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن
في ذلك الموضع ولما نظروا الي الشياطين هالهم ما راوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين
جوزوا لا باس عليكم وكانوا يمرون علي كراديس الجن والوحش والطير حتي وقفوا بين
يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملتقا حسنا وسالهم عن حالهم
فاخبره رئيس القوم بما جاوا فيه واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق التي
بها فحركها فجاءه جبريل فاخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة
وجزعة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الجزعة
فقال سليمان من لي بثقبها وسال الجن والانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال
الشياطين فقالوا ترسل الي الارضة فلما جاءت الارضة اخذت شعرة في فمها ودخلت
فيها حتي خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تصير رزقي
في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من هذه الخرزة فقالت دودة بيضا انا لها يا نبي الله

فاخذت

فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتي خرجت من الجانب الاخر فقال
لها سليمان ما حاجتك قالت يكون رزقي في الفواكه فقال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان
والجواري ثم امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تاخذ الما بيدها
وتضرب به الاخري وتغسل وجهها والغلام ياخذ الما بيده ويضرب به وجهه
وكانت الجارية تصب الما علي باطن ساعدها والغلام علي ظاهرها فميز بذلك بين
الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما اخبر الله تعالي فقال تعالي فلما جا سليمان قال
اتمدونني بمال فما اتاني الله اي فما اعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك خير اي
افضل مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون معناه انكم اهل مفاخرة ومكاثرة
بالدنيا تفرحون باهدا بعضكم الي بعض واما انا فلا افرح بالدنيا وليست الدنيا
من حاجتي لان الله قد اعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين
والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد ارجع اليهم اي بالهدية فلناتينهم بجنود
لا قبل اي لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم منها اي من ارض سبا اذلة وهم صاغرون
اي ان لم ياتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتب لما رجع رسل بلقيس اليها
من عند سليمان وبلغوها ما قال قالت والله قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من
طاقة فبعثت الي سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتي انظر ما امرك وما
الذي تدعوا اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته في اخر سبعة ابيات بعضها
داخل بعض ثم اغلقت عليه سبعة ابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت
لمن خلفت علي ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه احد ثم امرت
مناديا ينادي في اهل مملكتها توذنهم بالرحيل وشخصت الي سليمان في اثني عشر
الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا
مهيبا لا يبتدى بشي حتي يكون هو يسال عنه فخرج يوما فجلس علي سريره فسمع
رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكان علي فرسخ
من سليمان فاقبل سليمان علي جنوده قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين
قال ابن عباس يعني طايعين وقيل مومنين وقيل غرض سليمان في احضار عرشها ليريها
قدرة الله واظهار معجزة دالة علي نبوته وقيل اراد ان ينكره ويغيره فيختبر بها
ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان
ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه سعته لما وصفه الهدهد
له وقيل اراد ان يعلم قدر ملكها لان قدر السرير علي قدر المملكة قال عفريت من الجن
وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذي وقيل ذكوان

النساء وان كان خوطب بكلام الرجال وخاطبهم
بكلام غليظ وعنف فاعلم انه ملك

وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه انا اتيك به قبل
ان تقوم من مقامك اي مجلس قضايك قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه
الى متسع النهار وقيل نصفه واني عليه اي على حمله لقوي امين اي على ما فيه من الجواهر
وغيرها قال سليمان اريد اسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك قيل هو جبريل عليه السلام وقيل هو ملك ايد الله به سليمان
وقيل هو اصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به
اجاب واذا سيل به اعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه اعلم بني اسرايل وكان
الله قد اتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فاراد سليمان
اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتاتى له من سرعة الاتيان
بالعرش ما لا يتاتى للعفريت قيل كان الدعا الذي دعا به يا ذا الجلال والاكرام
وقيل يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عايشة وروي عن الزهري قال الدعا الذي عنده
علم من الكتاب يا الهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها
قال ابن عباس ان اصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد
سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا اصف فبعث الله الملايكة فحملوا السرير
يجدون به تحت الارض حتى نبع بين يدي سليمان وقيل خر اصف ساجدا ودعا
باسم الله الاعظم فغار العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان وقيل لما قال
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال انت النبي ابن النبي وليس
احد اوجه عند الله منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك
فجي بالعرش في الوقت فلما راه يعني راى سليمان العرش مستقرا عنده اي محمولا اليه
من مارب الشام في قدر ارتداد الطرف قال هذا من فضل ربي يعني التمكن من حصول
المراد ليبلوني ااشكر اي نعمته علي ام اكفر اي فلا اشكرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه
اي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة
الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني كريم اي عن شكره ولا يضره ذلك
الكفر كريم بالافضال عليه ولا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران
النعمة قال نكروا لها عرشها يعني غيروا سريرها الى حال تنكره اذا راته قيل هو ان
يزاد فيه وينقص منه وقيل انه جعل اسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر
ومكان الاخضر احمر ننظر اتهتدي الى معرفة عرشها ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته
وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت
ان يتزوجها سليمان فتفشي اسرار الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون

عن

عن تسخير سليمان وذريته من بعده فاساوا الثنا عليها ليزهدوه فيها وقالوا
ان في عقلها شيا وان رجلها كحافر الحمار وانها شعرا الساقين فاراد سليمان
ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببنا الصرح فلما جات قيل
اهكذا عرشك قالت كانه هو قيل انها عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا
عليها وقيل انها كانت حكيمة فلم تقل نعم خوفا من الكذب ولم تقل لا خوفا من
التكذيب ايضا فقالت كانه هو فعرف سليمان بذلك كمال عقلها حيث لم تقر
ولم تنكر وقيل اشتبه عليها امر العرش لانها تركته في بيت خلف سبعة
ابواب مغلقة والمفاتيح معها فقيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق
الابواب ثم قال واوتينا العلم اي بالله وبصحة نبوة سليمان بالايات المتقدمة
من امر الهدهد والرسل من قبلها اي من قبل الاية في العرش وكنا مسلمين اي منقادين
طايعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها اي من قول سليمان
ومعناه اوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشا من قبل هذه المراة وكنا مسلمين
ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه ان خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام
واوتينا العلم باسلامها ومجيها طايعة من قبل مجيها وكنا مسلمين طايعين لله
قوله عز وجل وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي منعها عبادة الشمس عن التوحيد
وعبادة الله وقيل معناه وصدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال
بينها وبينه انها كانت من قوم كافرين اخبر الله انها كانت من قوم يعبدون
الشمس فنشات بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان
سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش اراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان
يسالها كشفها لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر حمار وهي شعرا الساقين فامر الشياطين
فعملوا لها قصرا من زجاج ابيض كالما وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الما
والقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر
المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفا والوصايف
فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جات قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة
اي ما عظيما وكشفت عن ساقيها لتخوض الما الى سليمان فنظر سليمان فاذا هي احسن
النسا ساقا وقدما الا انها كانت شعرا الساقين فلما راى سليمان ذلك صرف بصره
عنها قال انه صرح ممرد اي مملس من قوارير اي زجاج وليس ما تخشينه فسترت ساقيها
وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد
والنبوة قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين

اي اخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح فظننته لجة
قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها
خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي اي بذلك الظن واختلفوا في امر بلقيس
بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى قولها اسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء
ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم انه تزوجها وكره ما راى من
كثرة شعر ساقيها فسال الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المراة انه لم يمسني
حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندري
فسال الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون كالفضة البيضا فاتخذوا النورة
والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ ولما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا
واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة قصور لم ير الناس مثلها ارتفاعا
وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم ان كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم
عندها ثلاثة ايام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيها ولدا
ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك
حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي الملك
والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل
الله لك قالت فان كان لا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وردها الى
اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة ملك جن اليمن وقال له اعمل لذي تبع
ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول وتبينت
الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن صرخ باعلى صوته يا معاشر
الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع
وملك بلقيس مع ملك سليمان قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو
ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله اي وحدوه ولا تشركوا به شيئا فاذا هم فريقان اي مومن وكافر يختصمون
اي في الدين كل فريق يقول الحق معنا قال يعني صالحا للفريق المكذب يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة اي بالبلاء والعقوبة قبل الحسنة اي العافية والرحمة لولا اي هلا تستغفرون
الله اي بالتوبة من الكفر لعلكم ترحمون اي لا تعذبون في الدنيا قالوا اطيرنا اي تشاءمنا
بك وبمن معك قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك المطر عنهم فقالوا انما
اصابنا هذا الضر والشدة من شومك وشوم اصحابك قال طايركم عند الله اي ما
يصيبكم من الخير والشر بامر الله وهو مكتوب عليكم سمي طايرا لانه لا شي اسرع من نزول

القضا المحتوم وقال ابن عباس الشوم الذي اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طايركم اي
عملكم عند الله سمي طايرا لسرعة صعوده الى السما بل انتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون
بالخير والشر وقيل معناه تعذبون قوله تعالى وكان في المدينة يعني مدينة ثمود تسعة رهط
يعني من ابنا اشرافهم يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي لا يطيعون وهم غواة
قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة وراسهم قدار بن سالف قالوا تقاسموا بالله يعني يقول
بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم لنبيتنه اي لنقتلنه بياتا اي ليلا واهله اي قومه
الذين امنوا به ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك اهله اي لا ندري
من قتله ولا اهلاك اهله وانا لصادقون اي في قولنا ما شهدنا ذلك ومكروا مكرا اي غدروا
غدرا حين قصدوا تبييت صالح وقتله ومكرنا مكرا اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم
وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اي اهلكناهم يعني التسعة
قال ابن عباس ارسل الملايكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين
سيوفهم فرمتهم الملايكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملايكة فقتلتهم واهلك
جميع القوم بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لاية
اي لعبرة لقوم يعلمون اي قدرتنا وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون قالوا ان الناجين كانوا
اربعة الاف قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة
وانتم تبصرون اي تعلمون انها فاحشة قيل وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم
بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا بل انتم
قوم تجهلون فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده بل انتم قوم تجهلون فيكون
العلم جهلا قلت معناه يفعلون فعل الجاهلية ويعلمون بانها فاحشة وقيل تجهلون
العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يعني من ادبار الرجال فانجيناه واهله
الا امراته قدرناها من الغابرين اي قضينا عليها بان جعلناها من الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا فسا اي فبيس مطر المنذرين قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحمد الله على هلاك
كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الانبيا
والمرسلين وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وقيل هم جميع امة
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المومنون السابقين واللاحقين الله خير اما يشركون
فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى الله خير لمن عبده
ام الاصنام لمن عبدها فان الله ينجي من عبده وامن به من الهلاك والاصنام لم تغن شيئا عن

عابديها عند نزول العذاب ثم ان الله تعالى ذكر انواعًا تدل على وحدانيته وكمال قدرته
فالنوع الاول قوله تعالى امن خلق السموات والارض ذكر اعظم الاشيا المشاهدة الدالة
على عظم قدرته والمعنى الهتكم خير ام الذي خلق السموات والارض ثم ذكر نعمه فقال
وانزل لكم من السما ما يعني المطر فانبتنا به حدايق اي بساتين جمع حديقة وهو البستان
المحاط عليه فان لم يكن عليه حايط فليس بحديقة ذات بهجة اي ذات منظر حسن والبهجة
الحسن يبتهج به من يراه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها يعني ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون على
ذلك لان الانسان قد يقول انا المنبت للشجرة بان اغرسها واسقيها الما فازال الله هذه الشبهة
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدايق المختلفة الالوان الاصناف والطعوم والروايح
نسقى بما واحد لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى ولا يتاتى لاحد وانما نفى ذلك لغيره محال
االه مع الله يعني هل معه معبود اعانه على صنعه بل يعني ليس معه اله ولا له شريك بل هم قوم
يعدلون يعني كفار مكة يشركون به وقيل يعدلون عن الحق الظاهر النوع الثاني قوله عز وجل امن
جعل الارض قرارا اي دحاها وسواها للاستقرار وقيل لا تميد باهلها وجعل خلالها
انهارا اي وسطها تطرد بالمياه وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين
حاجزا يعني العذب والملح حاجزا اي مانعا لئلا يختلط احدهما بالاخر االه مع الله بل
اكثرهم لا يعلمون اي توحيد ربهم وقدرته وسلطانه النوع الثالث قوله تعالى امن يجيب
المضطر اي المكروب المجهود وقيل الضرورة الحاجة المحوجة من مرض او نازلة من نوازل
الدهر اذا نزلت باحد بادر الى الالتجا والتضرع الى الله وقيل هو المذنب اذا استغفر
اذا دعاه يعني فيكشف ضره ويكشف السو اي الضر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر
الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب
ولا ينازع ويجعلكم خلفا الارض اي سكانها وذلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا
بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفا لكم وقيل جعلكم خلفا الجن في الارض االه مع الله
قليلا ما تذكرون اي تتعظون النوع الرابع قوله عز وجل امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي
يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر ومن يرسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر االه مع الله تعالى الله عما يشركون النوع
الخامس قوله عز وجل امن يبدو الخلق اي نطفا في الارحام ثم يعيده اي بعد الموت ومن
يرزقكم من السما يعني المطر والارض يعني النبات االه مع الله قل هاتوا برهانكم اي حجتكم
على قولكم ان مع الله الها اخر ان كنتم صادقين قوله عز وجل قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله نزلت في المشركين حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت
قيام الساعة والمعنى ان الله تعالى هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة

وما يشعرون ايان يبعثون وان الله تعالى تفرد بعلم ذلك بل ادرك علمهم اي بلغ ولحق
علمهم في الاخرة وهو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل علموا في الاخرة حين
عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله بل هم في شك منها يعني هم اليوم في شك من
الساعة بل هم منها عمون جمع عم وهو اعمى القلب قيل معنى الاية ان الله اخبرهم اذا
بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الاخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت
علومهم مختلفة في الدنيا قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة ايذا كنا ترابا واباونا
اينا لمخرجون اي من قبورنا احيا لقد وعدنا هذا اي هذا البعث نحن واباونا من قبل اي
من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشي ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
اي احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين ولا تحزن عليهم اي على تكذيبهم اياك واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق مما يمكرون
نزلت في المستهزيين الذين اقتسموا اعقاب مكة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل عسى ان يكون ردف لكم اي دنا وقرب وقيل معناه ردفكم بعض الذي تستعجلون
اي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله تعالى وان ربك لذو فضل على الناس يعني على اهل
مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ذلك وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم
اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما من غايبة اي جملة غايبة من مكتوم سر وخفي وشي غايب في السما والارض الا في كتاب
مبين يعني في اللوح المحفوظ ان هذا القران يقص على بني اسرايل اي يبين لهم اكثر الذي
هم فيه يختلفون اي من امر الدين وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا
احزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القران ببيان ما اختلفوا فيه وانه يعني القران
لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي بينهم اي يفصل ويحكم بين المختلفين في الدين
يوم القيمة بحكمه اي الحق وهو العزيز الذي لا يرد له امر العليم اي باحوالهم فلا يخفى عليه
شي منها فتوكل على الله اي فثق به انك على الحق المبين اي البين انك لا تسمع الموتى يعني موتى
القلوب وهم الكفار ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين اي معرضين فان قلت ما معنى
مدبرين والاصم لا يسمع سوا اقبل او ادبر قلت هو تاكيد ومبالغة للاصم وقيل الاصم اذا
كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت او يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى
الاية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه وكالاصم الذي
لا يسمع ولا يفهم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم معناه ما انت بمرشد من اعماه
الله عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان تسمع الا من يومن باياتنا الا من يصدق بالقران انه
من الله فهم مسلمون اي مخلصون لله قوله عز وجل واذا وقع القول عليهم يعني اذا وجب عليهم

العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يامروا
بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في اخر الزمان قبل قيام
الساعة اخرجنا لهم دابة من الارض م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة
احدكم وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما
كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم
انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعوا فيقول هذا يا مومن ويقول هذا يا كافر
ويقول هذا يا كافر ويقول هذا يا مومن اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات
من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية
يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها في
البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد على الله
حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو
كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض
الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب
فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها اذا بها كالكواكب الدرية ثم ولت في الارض
لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة
فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه
فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر
من المومن فيقال للمومن يا مومن ويقال للكافر يا كافر وباسناد الثعلبي عن حذيفة
ابن اليماني ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال
من اعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه
المسلمون اذ تضطرب الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا
اول ما يبدو منها راسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب
تسم الناس مومنا وكافرا اما المومن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه
مومن واما الكافر فتخطم وجهه بالخاتم وتكتب بين عينيه كافر وروي عن ابن عباس
انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال

تخرج

تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال
تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروي عن ابن الزبير
انه وصف الدابة فقال راسها راس الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل
وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر
وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا وعن
عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب اجياد فتمس راسها السحاب ورجلاها في
الارض وروي عن علي قال ليس بدابة وليس لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها
وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران
لا يوقنون وقوله عز وجل تكلمهم اي بكلام عربي فصيح قيل انها تقول هذا مومن وتقول
هذا كافر وقيل تقول لهم ما اخبر الله به ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون تخبر الناس ان اهل
مكة لم يومنوا بالقران والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح قال
ابو الجوزاء سالت ابن عباس عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم قال كل ذلك يفعل تكلم المومن
وتكلم الكافر قوله عز وجل ويوم نحشر من كل امة فوجا اي نحشر من كل قرن جماعة ممن
يكذب باياتنا فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار
حتى اذا جاءوا يعني يوم القيامة قال الله تعالى لهم اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها
علما اي ولم تعرفوها حق معرفتها اماذا كنتم تعملون اي حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى
الاية اكذبتم باياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين ووقع
القول اي وجب العذاب عليهم بما ظلموا اي بما اشركوا فهم لا ينطقون اي بحجة وقيل
لان افواههم مختومة الم يروا انا جعلنا اي خلقنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا
اي مضيئا يبصر فيه وفي الاية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على تقليب
الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت ان في ذلك لايات لقوم
يومنون اي يصدقون فيعتبرون قوله عز وجل ويوم ينفخ في الصور وهو قرن ينفخ
فيه اسرافيل وقال الحسن الصور هو الصور ومعنى كلامه ان الارواح تجمع في القرن
ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيى بها الاجساد ففزع اي فصعق
من في السموات ومن في الارض اي ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا
وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة
القيام الى رب العالمين وقوله الا من شاء الله روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
سال جبريل عن قوله الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وقال ابن عباس

هم الشهدا لانهم احيا عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل يعني جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة الا هولا الاربعة ويروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فياخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك يا رب تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكايل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكايل فياخذ نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي من خلقي فيقول سبحانك ربي وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدايم وجبريل الميت الفاني فقال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق جناحيه فروي ان فضل خلقه على ميكايل كمثل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع هولا الاربعة حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق احد الا الله سبحانه وتعالى طوى السموات كطي السجل للكتاب ثم يقول انا الجبار لمن الملك فلا يجيبه احد فيقول تبارك وتعالى لله الواحد القهار وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى اخذ قايمة من قوايم العرش فلا ادري اكان ممن استثنى الله عز وجل ام رفع راسه قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية وهل قوله وكل اي الذين احيوا بعد الموت اتوه اي جاوه داخرين اي صاغرين وترى الجبال تحسبها جامدة اي قايمة واقفة وهي تمر مر السحاب اي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها وذلك ان كل عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين اطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو ساير كذلك سير الجبال يوم القيمة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه صنع الله الذي اتقن كل شي يعني انه تعالى لما قدر كل هذه الاشيا التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشيا التي اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصواب انه خبير بما يفعلون قوله تعالى من جا بالحسنة يعني بكلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله تعالى فله خير منها قال ابن عباس فمنها يصل الى الخير يعني ان له من تلك الحسنة خير يوم القيمة وهو الثواب والامن من العذاب اما ان يكون له شي خير من الايمان فلا لانه لا شي خير من لا اله الا الله وقيل جزا الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزا الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله اكبر وقيل معنى خير منها اعطاه الله بالواحدة عشرا فصاعدا لان الحسنة استحقاق العبد

والتضعيف من تفضيل الرب تبارك وتعالى وهم من فزع يومئذ امنون فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس لشدة تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم امنون منه واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاحوال فلا ينفك منه احد ومن جا بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون اي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك قوله عز وجل انما امرت يعني يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعني امرت ان اخص بعبادتي وتوحيدي لله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين ساير البلاد بالذكر لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لها لانها موطن نبيه ومهبط وحيه الذي حرمها اي جعلها الله حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلا خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من الاصنام وله كل شي اي خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين لله المطيعين وان اتلو القران اي وامرت ان اتلو القران ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما امره به اتم قيام على ما امره فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي نفع اهتدايه يرجع اليه ومن ضل اي عن الايمان واخطا طريق الهدى فقل انما انا من المنذرين اي من المخوفين وما علي الا البلاغ نسختها اية القتال وقل الحمد لله اي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم اياته اي الباهرة ودلايله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما اراهم من القتل والسبي وضرب الملايكة وجوههم وادبارهم وقيل اياته في السموات والارض وفي انفسكم فتعرفونها اي فتعرفون الايات والدلالات وما ربك بغافل عما يعملون فيه وعيد لهم بالجزا على اعمالهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القصص وهي مكية الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون اية وار بعماية واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف وثمان ماية حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم تلك ايات اشارة الى ايات السورة الكتاب المبين قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام

نتلوا عليك من نبا اي خبر موسى وفرعون بالحق اي بالصدق لقوم يؤمنون اي يصدقون بالقران
ان فرعون علا اي تجبر وتكبر في الارض اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا في
انواع الخدم يستضعف طايفة منهم يعني بني اسرايل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن انفسهم انه كان من المفسدين
اي بالقتل والتجبر في الارض ونريد ان نمن اي ننعم على الذين استضعفوا في الارض يعني
بني اسرايل ونجعلهم ايمة اي قادة في الخير نقتدي بهم وقيل ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين
يعني املاك فرعون وقومه بان يخلفوهم في مساكنهم ونمكن لهم في الارض اي نوطن لهم ارض
مصر والشام ونجعلها لهم سكنا ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
اي يخافون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يدي رجل من بني اسرايل وكانوا على حذر منه فاراهم
الله ما كانوا يحذرون قوله تعالى واوحينا الى ام موسى هو وحي الهام وذلك بان يقذف
في قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوي بن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر
وقيل اربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها فاذا خفت عليه
اي الذبح فالقيه في اليم اي البحر واراد به نيل مصر ولا تخافي اي عليه من الغرق وقيل الضيعة ولا تحزني
اي على فراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين قال ابن عباس ان بني اسرايل لما كثروا بمصر
استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر سلط الله عليهم
القبط فاستضعفوهم الى ان انجاهم الله على يد نبيه موسى ذكر القصة في ذلك
قال ابن عباس ان ام موسى لما قربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون
على حبالى بني اسرايل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فقالت لها قد نزل
بي ما نزل ولينفعني حبك اياي اليوم فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها
نور بين عيني موسى صلوات الله وسلامه عليه فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى
قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جيت اليك حين دعوتني الا ومرادي قتل مولودك ولكن
وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شي مثل حبه فاحفظي ابنك فاني اراه عدونا
فلما خرجت القابلة من عندها ابصرت بعض العيون فجاوا الى بابها ليدخلوا على ام
موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقة والقته في التنور
وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور
وراوا ام موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما ادخل عليك القابلة
قالت هي مصافية لي فدخلت علي زايرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت
لاخت موسى فاين الصبي فقالت لا ادري فسمعت بكا الصبي من التنور فانطلقت اليه
وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رات الحاح فرعون

في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها ان تتخذ له تابوتا في النيل
فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار
ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي اخباه في التابوت وكرهت الكذب
قال ولم قالت اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق
النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلما هم بالكلام امسك الله لسانه فلم يطق
الكلام وجعل يشير بيديه فلم يدر الامنا ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم
اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق
ايضا يريد الامنا فاتاهم ليخبرهم فاخذ لسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيا
فضربوه واخرجوه فبقي حيران فجعل لله عليه ان رد لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان
يكون معه ويحفظه حيث ما كان فعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر
لله ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدل عليه فامن به وصدقه وقال
وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها احد من
خلق الله وذلك شي ستره الله لما اراد ان يمن به على بني اسرايل فلما كانت السنة
التي ولد فيها بعث فرعون الى القوابل وتقدم اليهن فقتشن النسا تفتيشا لم يفتش
قبل ذلك مثله وحملت ام موسى فلم يتغير لونها ولم ينبو بطنها فكانت القوابل لا تتعرض
لها فلما كانت الليلة التي ولدته فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها
احد الا اختها مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فكتمته
ثلاثة اشهر فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ثم القته في اليم وهو البحر ليلا
قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يوميذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس
وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع
لها الاطبا والسحرة فنظروا الى حالها وفي امرها فقالوا ايها الملك لا تبرا الا من قبل
البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيوخذ من ريقه فليلطخ به برصها فتبرا من ذلك البرص
وذلك يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان اليوم غدا فرعون الى مجلس كان
له على شفير النيل ومعه امراته اسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها
حتى جلست على شاطي النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الما على وجوههن اذ اقبل النيل
بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشي في البحر قد تعلق بالشجرة ايتوني به
فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا
عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت اسية فرات في جوف التابوت واذا نور بين
عينيه وقد جعل رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فالقي محبته في قلب اسية واحبه فرعون

وعطف عليه واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل
من ريقه فلطخت به برصها فبرئت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم
فرعون ايها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي
به في البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله قالت اسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان
ينفعنا اي فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من
فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل لاسية سميه
قالت سميته موسى لانا وجدناه في البحر الما والشجر لان مو هو الما وشا هو الشجر فذلك
قوله تعالى فالتقطه ال فرعون الالتقاط وجود الشي من غير طلب ليكون لهم عدوا
وحزنا اي عاقبة امرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي عاصين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم
لا يشعرون انه الذي يذهب بملكهم وقالت امرات فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه
عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال وهب لما نظر اليه فرعون قال
عبراني من الاعدا فغاظه ذلك فقال كيف اخطا هذا الغلام الذبح وكانت اسية
امراة فرعون من خيار النسا ومن بنات الانبيا وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق
عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانت امرت
بذبح الولدان من هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه اتانا من ارض
اخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستحياه فرعون والقى الله محبته عليه قال ابن
عباس لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت اسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله لكنه
ابى للشقا الذي كتب الله عليه قوله عز وجل واصبح فواد ام موسى فارغا اي خاليا
من كل شي الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحي الذي اوحى الله عز وجل
اليها حين امرها ان تلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهد اليها ان يرده
اليها وان يجعله من المرسلين فجاها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون
لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فالقيتيه في البحر واغرقتيه ولما اتاها الخبر بان
فرعون اصابه في النيل قالت انه قد وقع في يد عدوه الذي فررت منه فانساها عظم
البلا ما كان من عهد الله اليها ان كادت لتبدي به لتصرح بانه ابنها من شدة وجدها
قال ابن عباس كادت تقول واابناه وقيل لما رات التابوت يرفعه الموج مرة ويضعه
اخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه
ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو

ابني

ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي اوحى الله اليها ان يرده عليها لولا ان ربطنا
على قلبها اي بالعصمة والصبر والتثبت لتكون من المؤمنين اي من المصدقين
بوعد الله اياها وقالت لاخته اي لمريم اخت موسى قصيه اي اتبعي اثره حتى
تعلمي خبره فبصرت به عن جنب اي عن بعد وقيل كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا
تري انها لا تنظره وهم لا يشعرون انها اخته وترقبه وحرمنا عليه المراضع
المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امراة
فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من يرضعه كلما اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها
وهم في طلب من يرضعه لهم من قبل اي من قبل مجي موسى وذلك لما رات اخت
موسى التي ارسلتها امه في طلبه ذلك فقالت يعني اخت موسى هل ادلكم على اهل
بيت يكفلونه لكم اي يضمونه ويرضعونه وهي امراة قتل ولدها فاحب شي
اليها ان تجد صغيرا ترضعه وهم له ناصحون اي لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته
وغذايه والنصح اخلاص العمل من شوايب الفساد وقيل لما قالت وهم له
ناصحون قالوا انك عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله قالت ما اعرفه
ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت هذا رغبة في سرور الملك
واتصالها به وقيل قالوا لها من هم قالت امي قالوا ولامك ولد قالت نعم
هارون ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت
الى امها واخبرتها بحال ابنها وجات بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه قبل
ثديها وجعل يمصه حتى امتلا جنباه ريا وقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا
فذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها اي برد موسى اليها ولا تحزن اي لئلا
تحزن ولتعلم ان وعد الله حق اي برده اليها ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها
ان يرده اليها ولما بلغ اشده قيل الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين
سنة وقيل الاشد ثلاثة وثلاثون سنة واستوى اي بلغ اربعين سنة قاله
ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل اتيناه حكما وعلما اي عقلا وفهما في
الدين فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا وكذلك نجزي المحسنين قوله عز وجل
ودخل المدينة يعني موسى المدينة قيل هي منف من اعمال مصر وقيل هي قرية
اسمها خانين على راس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين الشمس على حين غفلة
من اهلها قيل هو نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين
المغرب والعشا قيل سبب دخول المدينة في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن
فرعون فكان يركب مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى

غايبا فلما جا قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في اثره فادركه المقيل
بارض منف فدخلها وليس في طريقها احد وقيل كان لموسى شيعة من بني اسرايل
يستمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق راى فراق فرعون وقومه
فخالفهم في دينه حتى انكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية
الا خايفا مستخفيا حتى حين غفلة من اهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون
بالعصا في صغره فاراد فرعون قتله فقالت امراته هو صغير فتركه وامر
باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم الا بعد ان كبر وبلغ
اشده فدخل على حين غفلة من اهلها يعني عن ذكر موسى ونسيا نهم خبره لبعد
عهدهم به وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد
فيها رجلين يقتتلان اي يتخاصمان ويتنازعان هذا من شيعته اي من بني اسرايل
وهذا من عدوه اي من القبط وقيل هذا مومن وهذا كافر وقيل الذي كان من
شيعته هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون اسمه فليثون وكان القبطي
يريد ان يسخر الاسرايلي لحملة الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن
احد من ال فرعون يخلص الى احد من بني اسرايل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان
بنوا اسرايل قد عزوا بان موسى كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان
احدهما من بني اسرايل والاخر من القبط فاستغاثه الذي من شيعته يعني من
بني اسرايل على الذي من عدوه يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى
انه سال ان يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه اخذه
وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرايل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من
الرضاعة وقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك
فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتي بسطة في
الخلق وشدة في القوة فوكزه موسى اي ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر
وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع فقضى عليه اي قتله وفرغ من امره فندم
عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه في الرمل قال هذا من عمل الشيطان انه عدو
مضل مبين اي بين الضلالة قيل في قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل
نفسه والمعنى عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا
لله تعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول انه من جند الشيطان
وحزبه قال رب اني ظلمت نفسي اي بقتل القبطي من غير امر وقيل هو على سبيل
الاتضاع لله والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب

وقوله فاغفر لي اي ترك هذا المندوب وقيل يحتمل ان يكون المراد رب اني ظلمت
نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي اي استره
علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر له اي فستره عن الوصول الى فرعون انه هو الغفور
الرحيم قال رب بما انعمت علي اي بالمغفرة والستر فلن اكون ظهيرا للمجرمين معناه فاني
لا اكون معينا ولا لاحد من المشركين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرايلي
الذي اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني اي لم يقل
فلن اكون ان شا الله فاصبح في المدينة التي قتل فيها القبطي خايفا يترقب اي ينتظر
متى يوخذ به فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيث من بعد قال
ابن عباس اتي فرعون فقيل له ان بني اسرايل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال
اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد
فراى ذلك الاسرايلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الفرعوني وكان موسى قد ندم على
ما كان منه بالامس من قتل القبطي قال له موسى انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قاتلت
بالامس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم اخر وتستغيثني عليه فلما ان اراد ان
يبطش بالذي هو عدو لهما وذلك ان موسى ادركته الرقة للاسرايلي فمد يده ليبطش
بالفرعوني فظن الاسرايلي انه يريد يبطش به لما راى من غضب موسى وسمع قوله انك
لغوي مبين قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس حتى افشى عليه
الاسرايلي ذلك وسمعه القبطي فاتى فرعون فاخبره بذلك ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض اي بالقتل ظلما وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل
هو المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله وما تريد ان تكون من المصلحين ولما افشى ان
موسى قتل القبطي امر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع ذلك رجل من شيعة موسى قيل انه
مومن ال فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى وجاء رجل
من اقصى المدينة يسعى اي يسرع في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى واخبره وانذره
بما سمع قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك اي يتشاورون فيك ليقتلوك وقيل يامر بعضهم
بعضا بقتلك فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اي في الامر بالخروج فخرج منها
يعني موسى خايفا اي على نفسه من ال فرعون يترقب اي ينتظر الطلب هل يلحقه
فياخذه ثم لجا الى الله لعلمه انه لا ملجا الا اليه فقال رب نجني من القوم الظالمين
اي الكافرين قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين اي قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه
وقع في نفسه ان بينه وبينهم قرابة لان اهل مدين من ولد ابراهيم ومدين هو مدين
ابن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين وبين مصر ثمانية ايام قيل خرج موسى

خايفا بلا ظهر ولا زاد ولا حذا ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض
حتى يري خضرته في بطنه وما وصل مدين حتى خف قدمه قال ابن عباس وهو
اول ابتلا من الله تعالى لموسى قال يعني موسى عسى ربي ان يهديني سوا السبيل اي قصد
الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليه قيل لما دعا موسى جاه ملك
بيده عنزة فانطلق به الى مدين قوله عز وجل ولما ورد ما مدين وهو بير كانوا يسقون
منها مواشيهم وجد عليه اي على الما امة اي جماعة من الناس يسقون ووجد من دونهم
اي سوى الجماعة وقيل بعيدا عن الجماعة امراتين تذودان اي تحبسان وتمنعان اغنامهما
عن الما حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البير وقيل يكفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس
وقيل يمنعان اغنامهما عن ان تشذ وتذهب والقول الاول اولى لما بعده وهو قوله
قال موسى للمراتين ما خطبكما اي ما شانكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس قالتا
لا نسقي اي اغنامنا حتى يصدر الرعا اي حتى يرجع الرعا عن الما انا امراتان لا نستطيع
ان نزاحم الرجال فاذا صدروا اسقينا نحن مواشينا من فضل ما بقي في الحوض وابونا
شيخ كبير اي لا يقدر ان يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل ابوهما
شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل يثرون ابن اخي شعيب وكان شعيب قد مات
بعدما كف بصره وقيل هو رجل ممن امن بشعيب فلما سمع كلامهما رق لهما فاقتلع
صخرة من على راس بير اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل
زاحم القوم ونحاهم عن البير وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعا من السقي غطوا
البير بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجا موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا
فيه بالبركة وسقى الغنم فرووا فذلك قوله تعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل اي عدل الى
ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جايع فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
معناه انه طلب الطعام واحتياجه اليه قال ابن عباس سال الله فلقة خبز يقيم
بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير
وهو اكرم خلقه اليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ما سال الا الخبز فلما رجعتا
الى ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا
وجدنا رجلا صالحا فسقى لنا اغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي قال
تعالى فجاته احداهما تمشي على استحيا قيل هي الكبرى واسمها صفورا وقيل صفورا
وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفيرا وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع
من النسا خراجة ولاجة ولكن جات مستترة وقد وضعت كم درعها على وجهها استحيا
وقيل استحيت منه لانها دعته ليكافيه لانها رسول ابيها قالت ان ابي يدعوك ليجزيك

اجر ما سقيت لنا قيل لما سمع موسى ذلك كره ان يذهب معها ولكن كان جايعا
فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المراة ومشى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها
فتصف ردفيها فكره موسى ان يرى ذلك فقال امشي خلفي ودليني على الطريق اذا اخطات
ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشا مهيا فقال اجلس يا فتى
فتعش فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب ولما ذاك الست بجايع قال بلى ولكن
اخاف ان يكون عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال
الاخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكن عادتي وعادة ابايي
نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى واكل قوله عز وجل فلما جاه وقص عليه
القصص اي اخبره بامره اجمع من خبر ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعني من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن
لفرعون سلطان على مدين قالت احداهما يا ابت استاجره اي اتخذه اجيرا يرعى اغنامنا
ان خير من استاجرت القوي الامين يعني ان خير من استعملت من قوي على العمل وادى
الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر
من على راس البير ولا يرفعه الا عشرة وقيل اربعون رجلا واما امانته فانه قال لي
امشي خلفي حتى لا يصف الريح بدنك فقال شعيب عند ذلك اني اريد ان انكحك
اي ازوجك احدى ابنتي هاتين قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه
الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي ذهبت في طلب موسى على ان تاجرني ثماني حجج
اي تكون لي اجيرا ثماني سنين فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان اتممت عشر سنين
فذلك بتفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك وما اريد ان اشق عليك اي الزمك
تمام العشر الا ان تتبرع قال ستجدني ان شا الله من الصالحين اي في حسن الصحبة
والوفا بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان
شا الله للاتكال على توفيقه ومعونته قال يعني موسى ذلك بيني وبينك اي
ما شرطت علي فلك وما شرطت من تزويج احداهما فعلي والامر بيننا على ايما الاجلين
قضيت اي الاجلين اتممت وفرغت منه الثمان والعشرة فلا عدوان علي اي لا اظلم
علي بان اطالب باكثر منهما والله على ما نقول وكيل قال ابن عباس شهيد بيني وبينك
خ عن سعيد بن جبير قال سالني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى قلت
لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال
قضى اكثرهما واطيبهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن ابي ذر
مرفوعا اذا سيلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سيلت اي المراتين

تزوج فقال الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما
وقضى اوفاهما وقال وهب نكحه الكبرى وروى بسنده عن انس مرفوعا بكى شعيب النبي
صلى الله عليه وسلم حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى
حتى عمي فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكا اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار
قال لا يا رب ولكن شوقا الى لقايك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيا لك لقاي يا شعيب
لذلك اخدمتك موسى كليمي ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي
موسى عصى يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها
الانبيا وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فصارت من آدم الى نوح الى ابراهيم حتى
وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم اليه شعيب
ابنته فقال لها موسى اطلبي من ابيك ان يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من ابيها ذلك
فقال لكما كلما ولدت هذا العام على غير شبتها وقيل اراد شعيب ان يجازي موسى على
حسن رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال له اني قد وهبتك من الاغنام كل ابلق
وبلقا في هذه السنة فاوحى الله الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الما ثم اسق
الاغنام منه ففعل ذلك فما اخطات منها واحدة الا وضعت حملها ما بين ابلق
وبلقا فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل الى موسى وامراته فوفى له بشرطه
واعطاه الاغنام قوله عز وجل **فلما قضى موسى الاجل** اي اتمه وفرغ منه **وسار باهله**
اي وقيل مكث موسى بعد الاجل عشر سنين اخرى ثم استاذنه في العود الى مصر فاذن له
وسار باهله اي قصد الى مصر **آنس** اي ابصر **من جانب الطور نارا** وذلك انه كان في البرية
في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امراته الطلق **قال لاهله امكثوا اني آنست نارا**
لعلي آتيكم منها بخبر اي عن الطريق لانه كان قد اخطا الطريق **او جذوة من النار** اي
قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه **لعلكم**
تصطلون اي تدفون **فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن** يعني من جانب الوادي
الذي عن يمين موسى **في البقعة المباركة** جعلها مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه
نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة **من الشجرة** اي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود
كانت شجرة خضرا ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها
العناب **ان يا موسى اني انا الله رب العالمين** قيل ان موسى لما راى النار في الشجرة الخضرا
علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله فعلم بذلك ان المتكلم
هو الله تعالى وقيل ان الله خلق في نفس موسى علما ضروريا ان المتكلم هو الله وان الكلام
كلام الله وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه ندا الله قال اني سمعته بجميع اجزاي

فلما

فلما وجد حس السمع من جميع الاجزا علم بذلك انه لا يقدر عليه احد الا
الله تعالى **وان الق عصاك** اي فالقاها **فلما رآها تهتز** اي تتحرك **كانها جان**
هي الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة **ولى مدبرا**
اي هاربا منها **ولم يعقب** اي يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها
حتى ان موسى سمع صرير اسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحين ولى مدبرا
ولم يعقب فنودي **يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين** قوله تعالى **اسلك يدك**
اي ادخل يدك **في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** اي برص والمعنى انه ادخل يده
فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس **واضمم اليك جناحك من الرهب** اي من الخوف
والمعنى اذا هالك امر يدك وما تراه من شعاعها ادخلها في جيبك تعد الى حالتها
الاولى وقال ابن عباس امر الله موسى ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف
عند معاينة الحية وما من خايف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه
وقيل المراد من ضم الجناح السكون اي سكن روعك واخفض عليك جناحك لان
من شان الخايف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير
ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده في كمه
فذانك يعني العصا واليد البيضا **برهانان** اي بيانان **من ربك الى فرعون وملايه انهم**
كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الحق **قال رب اني قتلت منهم نفسا** يعني القبطي
فاخاف ان يقتلون واخي هارون هو افصح مني لسانا اي بيانا وانما قال ذلك
للعقدة التي كانت في لسانه من موضع الجمرة في فيه **فارسله معي ردا** اي عونا **يصدقني**
يعني فرعون وقيل تصديق هارون هو ان يلخص الدلايل ويجيب عن الشبهات
ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد **اني اخاف ان يكذبون** يعني فرعون وقومه
قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به وكان هارون بمصر **ونجعل لكما سلطانا**
اي حجة وبرهانا **فلا يصلون اليكما** اي بقتل ولا سوء **باياتنا** وقيل معناه نعطيكما
من المعجزات فلا يصلون اليكما **انتما ومن اتبعكما الغالبون** اي لكما ولاتباعكما الغلبة
على فرعون وقومه **فلما جاءهم موسى باياتنا بينات** اي واضحات **قالوا ما هذا الا سحر**
مفترى اي مختلق **وما سمعنا بهذا** اي بالذي تدعونا اليه **في آبائنا الاولين وقال موسى**
ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده اي يعلم المحق من المبطل **ومن تكون له عاقبة الدار**
اي العقبى المحمودة في الدار الآخرة **انه لا يفلح الظالمون** اي الكافرون **وقال فرعون**
يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته
فاوقد لي يا هامان على الطين اي اطبخ لي الاجر قيل انه اول من اتخذ الاجر وبنى به

فاجعل لي صرحا اي قصرًا عاليا قال اهل التفسير لما امر فرعون وزيره هامان ببنا
الصرح جمع هامان العمال والفعلا حتى اجتمع عنده خمسون الف بنا سوى
الاتباع والاجرا وطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وامر بالبنا
فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعًا لم يبلغه بنا احد من الخلق واراد الله
ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فوقه بنشابة فرمى بها نحو السما فردت اليه ملطخة
دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله
جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكره فقتلت
الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب فلم يبق احد اعمل فيه
شيا الا هلك فذلك قوله لعلي اطلع الى اله موسى اي انظر اليه واقف على حاله واني لاظنه
يعني موسى من الكاذبين اي في زعمه ان للارض وللخلق الها غيري وانه ارسله واستكبر
هو وجنوده في الارض بغير الحق اي تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بل
بالباطل والظلم وظنوا انهم الينا لا يرجعون اي للحساب والجزا فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم اي فالقيناهم في البحر وهو بحر القلزم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين يعني حين صاروا الى الهلاك وجعلناهم ائمة اي قادة ورؤسا يدعون
الى النار اي الى الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل
النار ويوم القيمة لا ينصرون اي لا يمنعون من العذاب واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة اي خزيا وبعدا وعذابا ويوم القيامة هم من المقبوحين اي المبعودين وقيل
المهلكين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون قوله عز وجل ولقد
اتينا موسى الكتاب يعني التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى يعني قوم نوح
وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى بصائر للناس اي ليبصروا بذلك فيهتدوا به
وهدى اي من الضلالة لمن عمل به ورحمة اي لمن امن به لعلهم يتذكرون اي بما فيه من
المواعظ وما كنت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي وما كنت يا محمد بجانب
الغربي اي بجانب الطور الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه اذ قضينا
الى موسى الامر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر بالرسالة الى فرعون وما كنت من الشاهدين
اي الحاضرين ذلك المقام الذي اوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك ولكنا
انشانا قرونا اي خلقنا بعد موسى امما فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم المدة
فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفا
بها وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين اي كمقام موسى وشعيب فيهم تتلوا عليهم
اياتنا اي تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم يشهد اهل مدين فتقرا على اهل

مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين يعني ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه
هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم بها وما كنت
بجانب الطور اي بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى اذ نادينا يعني موسى خذ
الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب ارني محمدا وامته قال انك لن تصل
الى ذلك ولكن ان شيت ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله
تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا امة
محمد فاجابوه من اصلاب الابا وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة
والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي
عقابي قد اعطيتكم قبل ان تسالوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت
لكم قبل ان تستغفروني ومن جاني يوم القيمة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر ولكن رحمة من ربك
اي رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغايبة لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتذكرون واعلم ان الله تعالى لما بين قصة
موسى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التي
اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة حتى تكامل دينه
واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اول امر موسى
ولما بين لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال حاضرا بين انه بعثه وعرفه هذه الاحوال
الدالة على نبوته ومعجزاته كانه قال في اخبارك عن هذه الاشيا من غير حضور
ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة
اي عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم يعني من الكفر والمعاصي فيقولوا ربنا لولا اي هلا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين ومعنى الاية ولولا انهم يحتجون
بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك
اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فلما جاءهم
الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا يعني كفار مكة لولا اي هلا اوتي
محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى يعني من الايات كالعصا واليد البيضا
وقيل اوتي كتابا جملة واحدة كما اوتي موسى التوراة قال الله تعالى اولم يكفروا بما
اوتي موسى من قبل قيل ان اليهود ارسلوا الى قريش ان يسالوا محمدا صلى الله عليه وسلم
مثل ما اوتي موسى من قبل فقال الله تعالى فلم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني اليهود
الذين استخرجوا هذا السوال قالوا سحران تظاهرا يعني التوراة والقران يقوي كل

واحد الاخر وقرئ ساحران يعني محمدا وموسى قيل ان مشركي مكة بعثوا الى رؤوس
اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم
وهو التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا
بكل كافرون يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى قل يا محمد فأتوا بكتاب من
عند الله هو اهدى منهما يعني التوراة والقرآن اتبعه يعني الكتاب الذي يأتون به
من عند الله وهذا تنبيه عن عجزهم عن الاتيان بمثله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا
لك اي ان لم يأتوك بما طلبت فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعني ان ما ركبوه من
الكفر لا حجة لهم فيه انما اثروا في اتباعهم ما هم فيه من الهوى ومن اضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله عز وجل ولقد وصلنا لهم القول
قال ابن عباس بينا وقيل انزلنا آيات القرآن تتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار
مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم
خبر الدنيا بخبر الاخرة كأنهم عاينوا الاخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون اي يتعظون
الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن
هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم
اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم اربعون
رجلا قدموا مع جعفر بن ابي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا
يا رسول الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين
فنزلت فيهم هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين
من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم
وصفهم الله تعالى فقال واذا يتلى عليهم يعني القرآن قالوا آمنا به انه الحق من ربنا
وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انا كنا
من قبله مسلمين اي من قبل القرآن مخلصين لله بالتوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه
وسلم انه نبي حق اولئك يؤتون اجرهم مرتين يعني بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب
الاخر بما صبروا اي على دينهم وعلى اذى المشركين ق عن ابي موسى الاشعري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه
وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت
عنده امة يطؤها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها
فتزوجها فله اجران ويدرؤن بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بشهادة
ان لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو

ومما رزقناهم ينفقون اي في الطاعة واذا سمعوا اللغو اي القول القبيح اعرضوا عنه
وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمني اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم
فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا ديننا ولكم
دينكم سلام عليكم ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة والمعنى سلمتم
منا لا نعارضكم بالشتم لا نبتغي الجاهلين يعني لا نحب دينكم الذي انتم عليه وقيل
لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ
ذلك بالقتال قوله تعالى انك لا تهدي من احببت هدايته وقيل احببته لقرابته
ولكن الله يهدي من يشاء وذلك ان الله تعالى يقذف في القلب نور الهداية فينشرح
الصدر للايمان وهو اعلم بالمهتدين اي بمن قدر له الهدى م عن ابي هريرة انك
لا تهدي من احببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود عمه ابا طالب
على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب عند الموت يا عم
قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون
انما حمله الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ يعني عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله
هذه الآية وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحرث
ابن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم
ان الذي تقول حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارضنا
مكة قال الله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير
بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة آمنون حيث انهم كانوا في حرمة
الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحداة يجبى اليه
اي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن ثمرات كل شيء رزقا
من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اهل مكة لا يعلمون ذلك قوله عز وجل وكم اهلكنا
من قرية اي من اهل قرية بطرت معيشتها اي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا
رزق الله وعبدوا الاصنام فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن عباس
لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها واكثرها خراب وكنا
نحن الوارثين يعني لم يخلفهم فيها احد بعد هلاكهم فصار امرها الى الله تعالى لانه
الباقي بعد فناء الخلق وما كان ربك مهلك القرى يعني الكافرة اهلها حتى يبعث في

امها رسولا يعني في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم رخص الامم ببعثة الرسول
لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في ام القرى وهي
مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبيا يتلوا عليهم اياتنا يعني
انه يودي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازلهم ان لم يومنوا وما كنا
مهلكي القرى الا واهلها ظالمون مشركون قوله تعالى وما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة
الدنيا وزينتها اي يتمتعون بها ايام حياتهم ثم يصير الى فنا وانقضا وما عند الله
خير وابقى لان منافع الاخرة خالصة من الشوايب وهي دايمة غير منقطعة ومنافع
الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم افلا يعقلون اي ان الباقي خير من الفاني وقيل
من لم يرجح الاخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من اوصى بثلث ماله لاعقل
الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله لان اعقل الناس من اعطى القليل
واخذ الكثير وما هم الا المشتغلين بطاعة الله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا
يعني الجنة فهو لاقيه اي مصيبه وصاير اليه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا اي تزول
عنه عن قريب ثم هو يوم القيامة من المحضرين اي النار قيل هذا في المومن والكافر
وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة وفي ابي جهل
وقيل في عمار بن ياسر وفي الوليد بن المغيرة قوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول اين
شركاي الذين كنتم تزعمون اي في الدنيا انهم شركاي قال الذين حق عليهم القول اي وجب
عليهم العذاب وهم روس الضلالة ربنا هولا الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغي وهم
الاتباع اغويناهم كما غوينا اي اضللناهم كما ضللنا تبرانا اليك ما كانوا ايانا
يعبدون معناه بري بعضهم من بعض فصاروا اعدا وقيل يعني للكفار ادعوا
شركاكم اي الاصنام تخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم
وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون معناه لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا لما راوا
راوا العذاب في الاخرة ويوم يناديهم اي يسال الكفار فيقول ماذا اجبتم المرسلين
اي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين فعميت عليهم اي خفيت واشتبهت
عليهم الانبا يعني الاخبار والاعذار والحجج يومئذ فلم يكن لهم عذر ولا حجة فهم
لا يتسالون اي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسال بعضهم بعضا فاما من
تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اي من السعدا الناجين وعسى من
الله واجب قوله تعالى وربك يخلق ما يشا ويختار نزلت هذه الاية جوابا للمشركين حين
قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة وعروة
ابن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله

ان

٢٠٦

ان يخص من يشا بما يشا لا اعتراض عليه البتة ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم الاختيار
او ليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كانوا الاصلح والخير لهم
فيه ثم نزه نفسه فقال سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم
اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي يظهرون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى
والاخرة اي يحمده اولياوه في الدنيا ويحمدونه في الجنة وله الحكم اي فصل القضا بين
الخلق وقال ابن عباس حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة
واليه ترجعون قوله تعالى قل يا محمد لاهل مكة ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم
الليل
سرمدا اي دايما الى يوم القيامة لا نهار فيه من اله غير الله ياتيكم بضيا اي بنهار
تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون اي سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل الله
عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة اي لا ليل معه من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون
فيه افلا تبصرون اي ما انتم عليه من الخطا وقيل انه من نعمة الله على الخلق ان جعل
الليل والنهار يتعاقبان لان المرء في الدنيا وفي حال التكليف مدفوع ليحصل ما
يحتاج اليه ولا تتم تلك الراحة والسكون له الا بالليل فلا بد منها واما الجنة
فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضيا ابدا فبين
الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اي
يتعاقبان بالظلمة والضيا لتسكنوا فيه اي الليل ولتبتغوا من فضله اي بالنهار
ولعلكم تشكرون اي نعم الله فيهما ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون
اي كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ونزعنا اي اخرجنا وقيل ميزنا
من كل امة شهيدا يعني رسولهم شهيدا عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم فقلنا
اي للامم المكذبين هاتوا برهانكم اي حجتكم بان معي شريكا فعلموا ان الحق لله اي التوحيد
لله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله قوله عز وجل
ان قارون كان من قوم موسى قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث
ابن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني
اسرايل اقرا منه للتوراة ولكن نافق كما نافق السامري فبغى عليهم قيل كان عاملا لفرعون
على بني اسرايل فظلمهم وبغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا عن
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلا
اخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو واتيناه من الكنوز ما ان
مفاتحه جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعني خزاينه لتنوء بالعصبة
اولي القوة معناه لتثقلهم وتميل عليهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة

الي الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الي العشرة وقيل ما بين الاربعين
الي السبعين وقيل كان قارون يحمل مفاتيحه اربعين رجلا اقوي ما يكون من الرجال
وقيل كان قارون اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت
وثقلت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح علي قدر الاصبع وكانت
تحمل معه اذا ركب علي اربعين بغلا اذ قال له قومه لا تفرح اي لا تبطر ولا تاشر ولا تمرح
ان الله لا يحب الفرحين اي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله علي ما اعطاهم قيل
انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن
قريب لم يفرح وقد احسن من قال اشد الغم عندي في سرور تيقن صاحبه عنه
انتقالا وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اي اطلب فيما اعطاك الله من الاموال
الجنة تشكر الله فيما انعم عليك وتنفقه في رضي الله ولا تنس نصيبك من الدنيا
اي لا تترك ان تعمل في الدنيا للاخرة حتي تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان
من الدنيا ان يعمل فيها للاخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك
وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة عن ابن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك
وهذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلي الله عليه وسلم واحسن كما احسن الله
اليك اي احسن بطاعة الله كما احسن الله اليك بنعمته وقيل احسن الي الناس ولا تبغ
اي ولا تطلب الفساد في الارض وكل من عصي الله فقد طلب الفساد في الارض ان الله
لا يحب المفسدين قال يعني قارون انما اوتيته علي علم عندي اي علي خير وفضل علمه الله
عندي واني اهل لذلك ففضلني بهذا المال كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيميا
وكان موسي يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلث
ذلك العلم وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتي اضاف علمهما الي علمه فكانت
يصنع من الرصاص الفضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب امواله وقيل كان
علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وانواع المكاسب قال الله تعالي اولم يعلم
ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي للاموال ولا يسال
عن ذنوبهم المجرمون قيل معناه ان الله اذا اراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الي
سوالهم لانه اعلم بحالهم وقيل لا يسالون سوال استعلام وانما يسالون سوال
توبيخ وتقريع وقيل لا تسال الملايكة عنهم لانهم لا يعرفونهم بسيماهم قوله
عز وجل فخرج علي قومه في زينته قيل خرج هو وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب

قال الحمو البعي الارجوان
صبغ احمر وهو فارسي معرب

الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج علي براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل
خرج علي بغلة شهبا عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه اربعة الاف فارس
عليهم الثياب الحمر وعليهم وابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضا عليهن الحلي والثياب
الحمر وهن علي البغال الشهب قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
انه لذو حظ عظيم اي من المال وقال الذين اوتوا العلم اي بما وعد الله في الاخرة وقال
ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرايل للذين تمنوا مثل ما اوتي قارون ويلكم ثواب الله
اي ما عند الله من الثواب والجزا خير لمن امن اي صدق بتوحيد الله وعمل صالحا اي ذلك خير
مما اوتي قارون في الدنيا ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يوتي الاعمال الصالحة الا الصابرون
وقيل لا يوتي هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون اي علي طاعة الله
وعن زينة الدنيا قوله تعالي فخسفنا به وبداره الارض قصة قارون قال اهل
العلم بالاخبار والسير كان قارون اعلم بني اسرايل بعد موسي وهارون واقراهم للتوراة
واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغي وطغي وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله
تعالي اوحي الي موسي ان يامر قومه ان يعلقوا في اردئتهم خيوطا اربعة في كل طرف خيطا
اخضر كلون السما يذكروني به اذا نظروا الي السما ويعلمون اني منزل منها كلامي قال موسي
يا رب افلا تامرهم ان يجعلوا اردئتهم كلها خضرا فان بني اسرايل تحقر هذه الخيوط
فقال له ربه يا موسي ان الصغير من امري ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الامر
الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسي وقال ان الله يامركم ان تعلقوا
في اردئتكم خيوطا خضرا كلون السما لكي تذكروا ربكم اذا رايتموها ففعلت بنو اسرايل
ما امرهم به موسي واستكبر قارون ولم يطعه وقال انما يفعل الاوثان بعبيدهم لكي يتميزوا
عن غيرهم فكان هذا بدو عصيانه وبغيه فلما قطع موسي ببني اسرايل البحر جعل
الحبورة لهارون وهي رياسة الذبح فكان بنو اسرايل ياتون بقربانهم الي هارون فيضعه
علي المذبح فتنزل نار من السما فتاكله فوجد قارون من ذلك في نفسه واتي الي موسي وقال
يا موسي لك الرسالة ولهارون الحبورة لست في شي من ذلك وانا اقرا التوراة لا صبر لي علي
هذا فقال موسي ما انا جعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال قارون والله لا اصدقك
حتي تريني بيانه فجمع موسي روسا بني اسرايل فقال هاتوا عصيكم فحزمها والقاها
في قبته التي كان يعبد الله فيها فجعلوا يحرسون عصيهم حتي اصبحوا فاصبح عصي هارون
قد اهتز لها ورق خضر وكانت من شجر اللوز فقال موسي يا قارون تري هذا فقال
قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون ومن معه واتباعه
وجعل موسي يداريه للقرابة التي بينهما وهو يوذيه في كل وقت ولا يزيد الا عتوا

وتجبروا معاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها
صفائح الذهب وكان الملا من بني اسرايل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام
ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى فاتاه قارون
فصالحه على كل الف دينار دينار وعن كل الف درهم درهم وعن كل الف شاة شاة
وكذلك ساير الاشيا ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك
فجمع بني اسرايل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شي فاطعتموه وهو يريد الان ياخذ
اموالكم قالوا انت كبيرنا فامرنا بما شيت قال امركم ان تجيوا بفلانة البغي فنجعل
لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنوا اسرايل
ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون الف دينار والف درهم وقيل طستا من ذهب
وقال لها قارون امولك واخلطك بنساي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر
بنوا اسرايل فلما كان من غد جمع قارون بني اسرايل ثم اتى الى موسى فقال ان بني اسرايل
ينتظرون خروجك فتامرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض
فقام فيهم فقال يا بني اسرايل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين
ومن زنا وليست له امراة جلدناه ومن زنا وله امراة رجمناه حتى يموت فقال قارون
وان كنت انت فقال وان كنت انا فقال قارون فان بني اسرايل يزعمون انك فجرت
بفلانة البغي فقال ادعوها فلما جات قال موسى لها يا فلانة انا فعلت بك ما يقول
هذا وعظم عليها وسالها بالذي فلق البحر لبني اسرايل وانزل التوراة على موسى
الا صدقت فتداركها بالتوفيق فقالت في نفسها واسلم اكن اوذي رسول الله
فقالت لا والله يا نبي الله ولكن قارون جعل لي جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى
ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه اني امرت الارض
ان تطيعك فمرها بما شيت فقال موسى يا بني اسرايل ان الله بعثني الى قارون كما
بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم
يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الارض باقدامهم
وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا ارض
خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط
ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه في ذلك يتضرعون
الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده سبعين مرة وموسى مع
ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى
الله الى موسى يا موسى ما اغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه اما وعزتي

وجلالي لو استغاث بي مرة لاغثته وفي بعض الاثار لا اجعل الارض بعدك طوعا
لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل حتى يبلغ
قعرها الى يوم القيامة واصبحت بنوا اسرايل يتحدثون فيما بينهم انما دعا موسى
على قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره
وكنوزه وامواله الارض فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له
من فية اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه من الله وما كان من المنتصرين
اي المستغيثين الممتنعين مما نزل به من الخسف واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس اي
صار اوليك الذين تمنوا ما رزق قارون من الاموال والزينة يقولون ويكان اي الم تعلم
وقيل الم تر وقيل هي كلمة تقرير معناه اما ترى الى صنع الله واحسانه وقيل ويلك
ومعناه ويل اعلم ان الله وقيل وي مفصولة من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا
وي متندمين على ما سلف منهم وكان معناها اظن ذلك واقدره ان الله يبسط الرزق
لمن يشا من عباده ويقدر اي يوسع على من يشا ويضيق على من يشا لولا ان من الله
علينا اي بالايمان لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون قوله عز وجل تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي استكبارا عن الايمان وقيل علوا
اي استطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذوي
سلطان وعن علي انها نزلت في اهل التواضع من الولاة واهل المقدرة ولا فسادا
قيل الدعا الى غير عبادة الله وقيل اخذ اموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي
والعاقبة للمتقين اي والعاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب
معاصيه وقيل عاقبة المتقين الجنة من جا بالحسنة فله خير منها ومن جا بالسيية
فلا يجزى الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله تعالى ان الذي
فرض عليك القران اي انزل عليك القران وقيل معناه ان الذي اوجب عليك العمل بالقران
لرادك الى معاد قال ابن عباس الى مكة اخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل
بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من
الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى
الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل
عليه السلام فقال اتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض
عليك القران لرادك الى معاد وهذه الاية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية
قال ابن عباس في رواية اخرى لرادك الى معاد الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة
قل ربي اعلم من جا بالهدى هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك

في ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربي اعلم من جا بالهدي يعني نفسه ومن هو في
ضلال مبين يعني المشركين ومعناه هو اعلم بالفريقين قوله عز وجل وما كنت ترجوا
ان يلقى اليك الكتاب اي يوحي اليك القران الا رحمة من ربك اي لكن رحمك ربك فاعطاك
القران فلا تكونن ظهيرا اي معينا للكافرين على دينهم وذلك حين دعوه الى دين ابايه فذكره
الله نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه ولا يصدنك عن ايات الله يعني القران
بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك اي الى معرفته وتوحيده ولا تكونن من المشركين قال ابن
عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اي لا تظاهروا
الكفار ولا توافقوهم ولا تدع مع الله الها اخر معناه انه واجب على الكل الا انه خاطبه
به خصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من ان يدع
مع الله الها اخر فما فايدة هذا النهي قلت الخطاب معه والمراد غيره وقيل
معناه لا تتخذ غيره وكيلا في امورك كلها ولا تعتمد على غيره كل شي هالك الا وجهه
لان كل عمل اريد به غير الله فهو هالك له الحكم اي فصل القضا بين الخلق واليه ترجعون
اي تردون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم والله اعلم تفسير سورة العنكبوت
وهي مكية وهي اخر ما نزل بمكة في قول ابن عباس وهي تسع وستون اية والف وتسعماية
واحدى وثمانون كلمة واربعة الاف وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل الم احسب الناس ان يتركوا اي بغير اختبار ولا ابتلا ان اي
بان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اي لا يبتلون في اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم
ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الاية في اناس
كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل
منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون
فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الايتين وقال ابن عباس اراد
بالناس الذين امنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وعمار
ابن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله
مولى عمر كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد
الشهدا مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامراته
فانزل الله فيه هذه الاية وقيل معنى لا يفتنون اي بالاوامر والنواهي وذلك ان الله عز
وجل امرهم بالابتدا بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وساير الشرايع
فشق ذلك على بعض الناس فانزل الله هذه الاية ثم عزاهم فقال تعالى ولقد فتنا
الذين من قبلهم يعني الانبيا والمومنين فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من قتل وابتلي بنو اسرايل

يزعمون فكان يسومهم سوء العذاب فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم وليعلمن
الكاذبين والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الاية فليظهرن الله الصادقين
من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل فليميزن الله وقيل ان علم الله صفة يظهر فيها
كل ما هو واقع قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيات يعني الشرك ان يسبقونا اي يعجزونا
فلا نقدر على الانتقام منهم سا ما يحكمون اي بيس ما حكموا حين ظنوا ذلك من كان يرجوا
لقا الله قال ابن عباس من يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله فان اجل
الله لات يعني ما وعد من الثواب والعقاب وقيل يوم القيمة لكاين والمعنى من يخشى
الله او يامله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم وهو السميع العليم اي يعلم ما يعمله العباد من
الطاعة والمعصية فيثيبهم او يعاقبهم او يعفوا ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي له ثوابه
وهذا الحكم الوعد لا لحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الشدة
وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ان الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم
وعباداتهم وفيه بشارة وتخويف اما البشارة لانه اذا كان غنيا عن الاشيا فلو اعطى
جميع ما خلقه لعبد من عباده لا شي عليه لاستغنايه وهذا يوجب الرجا التام
واما التخويف فان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعذابه فلا شي عليه
لاستغنايه عنهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم اي لنبطلنها
حتى تصير بمنزلة من لم يعملها والتكفير اذهاب السية بالحسنة ولنجزينهم احسن
الذي كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل اكثر مما عملوا قوله عز وجل
ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا
الانسان بوالديه ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الاية والتي في سورة لقمان
والاحقاف في سعد بن ابي وقاص وهو ابو اسحاق سعد بن مالك الزهري وامه حمنة
بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا
بامه قالت امه ما هذا الدين الذي احدثته والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الى
ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما
وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما اخر
وليلة فجاها ابنها سعد وقال يا اماه لو كانت لك ماية نفس فخرجت نفسا نفسا
ما تركت ديني فكلي ان شيت وان شيت فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت
فانزل الله هذه الاية وامره بالبر بوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك
فذلك قوله تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وجا في الحديث
لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم اوعد بالمصير اليه فقال تعالى الي مرجعكم فانبيكم

اي فاخبركم بما كنتم تعملون اي بصالح اعمالكم وسيئها فاجازيكم عليها والذين امنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الصالحين وهم الانبيا والاوليا وفي مدخل
الصالحين وهو الجنة قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اي اصابه
بلا من الناس افتتن جعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله
في الاخرة والمعنى انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف
عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر ولئن جا نصر من ربك اي فتح ودولة
للمومنين ليقولن اي هولا المنافقين للمومنين انا كنا معكم اي على عدوكم وكنا مسلمين
وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاكذبهم الله فقال تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين
اي من الايمان والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا اي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام
عند البلا وليعلمن المنافقين اي بترك الاسلام عند البلا قيل نزلت هذه الاية في اناس
كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلا من الناس او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال
ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين توفاهم
الملايكة ظالمي انفسهم وقيل هذه الايات العشر من اول السورة الى ها هنا مدنية وباقي
السورة مكية وقال الذين كفروا يعني من اهل مكة وقيل قاله ابو سفيان للذين امنوا اي من قريش
اتبعوا سبيلنا يعني ديننا وملة ابائنا ونحن الكفلا بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك
قوله ولنحمل خطاياكم اي اوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله
عز وجل فقال وما هم بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون في قولهم نحمل خطاياكم وليحملن
اثقالهم اي اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم اي اوزار من اضلوا وصدوا
عن سبيل الله مع اوزار انفسهم فان قلت قد قال اولا وما هم بحاملين من خطاياهم
من شي وقال ها هنا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت
معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورووسا
الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله
عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من
غير ان ينقص من اوزارهم شي رواه مسلم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون اي سوال
تقريع وتوبيخ لانه تعالى عالم باعمالهم وافترايهم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فلبث اي اقام فيهم يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده الف سنة الا خمسين عاما فان
قلت ما فايدة هذا الاستثنا وهلا قال تسعماية وخمسين سنة قلت فيه فايدتان
احداهما ان الاستثنا يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القايل عاش
فلان ماية سنة فقد يتوهم السامع انه يقول ماية سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال ماية

سنة الا شهرا او الا شهرين استنفذ ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفايدة
الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا او على مراتب العدد
الالف وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد الالف لانه اعظم والخمسين وهذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اعلم ان الانبيا قد ابتلوا قبله وان نوحا
لبث الف سنة الا خمسين عاما يدعو قومه فصبر في الدعا ولم يومن من قومه
الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من امن من قومك قال
ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين
عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره الفا وخمسين
سنة وقيل في عمره غير ذلك وقوله فاخذهم الطوفان اي فاغرقهم وهم
ظالمون قال ابن عباس مشركون فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق
وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة للعالمين قيل انها بقيت على الجودي
مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة قوله عز وجل وابراهيم
اي وارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي اطيعوا الله
وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم
لا تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا اي تقولون كذبا
وقيل تصنعون اصناما بايديكم وتسمونها الهة ان الذين تعبدون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون ان يرزقوكم فابتغوا اي اطلبوا عند الله
الرزق فانه القادر على ذلك واعبدوه اي وحدوه واشكروا له اي لانه المنعم
عليكم بالرزق واليه ترجعون اي في الاخرة وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم اي
مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكوا وما على الرسول الا البلاغ المبين
قوله تعالى اولم يروا قيل هذه الايات الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان
تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابراهيم
وهي في تذكير اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا يعلموا كيف يبدي الله الخلق
اي يخلقهم نطفا ثم علقة ثم مضغة ثم يعيده في الاخرة الى البعث ان ذلك
على الله يسير اي الخلق الاول والخلق الثاني قل سيروا في الارض فانظروا كيف
بدا الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا خلقهم ثم الله ينشي النشاة
الاخرة اي ثم الله الذي خلقهم ينشيهم نشاة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم
يتعذر عليه احداثهم مبدا كذلك لا يتعذر عليه انشاوهم معيدا بعد الموت
ثانيا ان الله على كل شي قدير اي من البدو والاعادة يعذب من يشا عدلا منه

ويرحم من يشا تفضلا واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما قيل معناه ولا من في السما بمعجز والمعني انه لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل السما في السما وقيل معني قوله ولا في السما اي لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولي اي يمنعكم مني ولا نصير اي ينصركم من عذابي والذين كفروا بايات الله يعني القران ولقايه اي البعث اوليك ييسوا من رحمتي يعني الجنة واوليك لهم عذاب اليم فهذا اخر الايات في تذكير اهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال عز وجل فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه اي قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الروسا للاتباع اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار اي بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان في ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار ان في ذلك لايات لقوم يومنون اي يصدقون وقال يعني ابراهيم لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي ثم ينقطع ولا ينفع في الاخرة وقيل معناه انكم تتوادون علي عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي تتبرا الاصنام من عابديها وتتبرا القادة من الاتباع وتلعن الاتباع القادة وماواكم النار يعني العابدين والمعبودين جميعا وما لكم من ناصرين اي مانعين من عذابه فامن له لوط اي صدقه برسالته لما راي معجزته وهو اول من صدق ابراهيم واما في اصل التوحيد فانه كان مومنا لان الانبيا لا يتصور منهم الكفر وقال يعني ابراهيم اني مهاجر الي ربي الي حيث امرني ربي بالتوجه من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الي الشام ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر الي الله وترك بلده وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة اليه وقيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة انه هو العزيز اي الذي يمنعني من اعداي الحكيم اي الذي لا يامرني الا بما يصلحني قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب يعني ان الله لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله واتيناه اجره في الدنيا هو الثنا الحسن فكل اهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة في نسله هذا له في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل ادم ونوح قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال اينكم لتاتون الرجال يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال وتقطعون السبيل وذلك انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل

معناه

معناه تقطعون سبيل النسل باتيانكم الرجال علي النسا وتاتون في ناديكم اي في مجلسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم المنكر عن ام هاني بنت ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الحذف هو رمي الحصا بين الاصابع وقيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به وقيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان من اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازار والصفير والحذف والرمي بالجلاهق واللوطية فما كان جواب قومه اي لما انكر عليهم لوط ما ياتونه من القبايح الا ان قالوا يعني استهزا ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال رب انصرني على القوم المفسدين اي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم قوله تعالى ولما جات رسلنا ابراهيم بالبشرى يعني من الله باسحاق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني قوم لوط والقرية سدوم ان اهلها كانوا ظالمين قال يعني ابراهيم اشفاقا علي لوط وليعلم حاله ان فيها لوطا قالت الملايكة قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين يعني من الباقين في العذاب ولما ان جات رسلنا لوطا سي بهم اي ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه وضاق بهم ذرعا اي عجز عن تدبيرامرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف من قومك ولا تحزن علينا انا منجوك واهلك اي انا مهلكوهم ومنجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا اي عذابا من السما قيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اي من قريات قوم لوط اية بينة اي عبرة ظاهرة لقوم يعقلون اي يتدبرون الايات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الاية البينة اثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها اوايل هذه الامة وقيل هي ظهور الما الاسود على وجه الارض قوله عز وجل والى مدين اي وارسلنا الى مدين ومدين هو اسم رجل وقيل هو اسم للمدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين واولاده وعلى القول الثاني يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر اي افعلوا فعل من يرجوا اليوم الاخر وقيل معناه اخشوا اليوم وخافوه

ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وذلك ان
جبريل صاح فرجفت الارض فاصبحوا في دارهم جاثمين اي باركين على الركب ميتين
وعادا وثمود اي واهلكنا عادا وثمود وقد تبين لكم يا اهل مكة من مساكنهم اي منازلهم
بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان اعمالهم اي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل اي عن
سبيل الحق وكانوا مستبصرين اي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم
وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند
انفسهم مستبصرين وقارون وفرعون وهامان اي واهلكنا هولاء ولقد جاءهم موسى
بالبينات اي بالدلايل الواضحات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين اي فايتين من
عذابنا فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصبا
وهي الحصى الصغار ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض
يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله
ليظلمهم اي بالهلاك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي بالاشراك قوله عز وجل مثل الذين
اتخذوا من دون الله اوليا يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا لنفسها تاوي اليه وان بيتها في غاية الضعف وابوابها لا يرفع عنها حرا
ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان
المشرك الذي يعبد الاوثان بالقياس الى المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا
من نسجها بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص وينحته من صخر فكما ان اوهن
البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا
ديانة بيتا لعبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
اشارة الى ضعفه فان الريح اذا مرت عليه او لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد
صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا
يعلمون اي ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شي هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذين يدعون من دونه ليس
بشي وهو العزيز الحكيم معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة العزيز الحكيم القادر
على كل شي ويشتغل بعبادة ما ليس بشي اصلا وتلك الامثال اي الاشباه يعني
امثال القران التي تشبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة
نضربها اي نبينها للناس اي لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون يعني ما يعقل الامثال
الا العلما الذين يعقلون عن الله عز وجل روي البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا

العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات
والارض بالحق اي للحق واظهار الحق ان في ذلك لاية اي دلالة للمومنين على قدرته وتوحيده
قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني القران واقم الصلاة فان قلت
لم امر بهذين الشيئين بتلاوة القران واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة
بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي
العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيا لا يمكنه ان يعتقده مرة
اخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية ممكنة التكرار فلذلك امره
بهما ان الصلاة تنهى عن الفحشا اي ما قبح من الاعمال والمنكر اي ما لا يعرف في الشرع قال
ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تامره صلاته بالمعروف
ولم تنهه عن المنكر لم يزدد من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته
عن الفحشا والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من دام على الصلاة جره ذلك الى ترك
السيات كما روي عن انس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم لا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله
فقال ان الصلاة تنهاه يوما فلم يلبث الا ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الاية
انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشا والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا
وقيل اراد بالصلاة القران وفيه ضعف لتقدم ذكر القران وعلى هذا يكون معناه
ان القران ينهاه عن الفحشا والمنكر قال وروي عن جابر قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا يقرا القران الليل كله فاذا اصبح سرق فقال ستنهاه قراته وفي رواية قيل يا رسول الله
ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعي للصلاة
لا بد ان يكون ابعد عن الفحشا والمنكر ممن لا يراعيها قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي انه افضل
الطاعات عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخير اعمالكم
وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطا الذهب والورق وخير
لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله اخرجه
الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل اي الاعمال
افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن
الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى يتكسر ويختضب
دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات
ويروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد اشهر يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا

نفقه واعتزل الناس وحده مراعيًا للامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس
يذكر الله لا يخلطون به غيره وعن ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملايكة وغشيتهم
الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله
اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله تعالى قال ابن
عباس معنى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه ويروى ذلك
مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطا ولذكر الله اكبر من
ان يبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون اي لا يخفى عليه شي من امركم فيجازيكم عليه
عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب اي لا تخاصموهم الا بالتي هي احسن اي بالقران
والدعا الى الله باياته والتنبيه على حججه واراد به من قبل الجزية منهم وقوله
الا الذين ظلموا منهم اي ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف
حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومعنى الاية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم
بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الاية منسوخة باية السيف
وقولوا اي للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم بشي مما في كتبكم امنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب
يقرون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل
الينا الاية قوله عز وجل وكذلك اي كما انزلنا اليهم الكتب انزلنا اليك الكتاب فالذين
اتيناهم الكتاب يومنون به يعني مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه
ومن هولا يعني اهل مكة من يومن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وذلك ان اليهود
عرفوا ان محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي والقران حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة
وما كنت تتلوا يا محمد من قبله من كتاب معناه من كتاب اي من قبل ما انزلنا اليك الكتاب
ولا تخطه بيمينك اي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرا ولا تكتب قبل الوحي اذا لارتاب
المبطلون معناه لو كنت تكتب وتقرا قبل الوحي لشك المشركون من اهل مكة وقالوا
انه يقراه من كتب الاولين وينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه اذًا
لشكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التوراة لا يقرا ولا يكتب وليس
هذا على ذلك النعت بل هو ايات بينات يعني القران في صدور الذين اوتوا العلم يعني
المومنين الذين حملوا القران وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو ايات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته

في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون يعني اليهود وقالوا يعني كفار مكة
لولا انزل عليه ايات من ربه اي كما انزل على الانبيا من قبل وقيل اراد بالايات
معجزات الانبيا مثل ناقة صالح ومايدة عيسى ونحو ذلك قل انما الايات عند الله
اي هو القادر على انزالها اذا شا انزلها وانما انا نذير مبين اي انما كلفت الانذار وليس
انزال الايات بيدي اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب هذا جواب لقولهم لولا
انزل عليه اية من ربه قالوا ولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم يعني ان
القران معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبيا لان معجزة القران تدوم على ممر
الازمان والدهور ثابتة لا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها ان في ذلك يعني
انزال القران لرحمة وذكرى لقوم يومنون اي تذكيرا وعظة لمن امن به وعمل به قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا ومعناه يشهد لي انى رسوله والقران كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب
وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات والارض اي هو
المطلع على امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم لا يخفى عليه خافية والذين امنوا بالباطل
قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله
باطل وكفروا بالله فان قلت من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف
فايدة غير التاكيد قلت نعم فايدته انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول
القايل اتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح اوليك هم الخاسرون المغبونون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب نزلت في
النضر بن الحارث حين قال فامطر علينا حجارة من السما ولولا اجل مسمى قال ابن عباس ما
وعدتك اني لا اعذب قومك ولا استاصلهم واخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل مدة
اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر لجاهم العذاب وليايتينهم
يعني العذاب وقيل الاجل بغتة وهم لا يشعرون يعني باتيانه يستعجلونك بالعذاب
اعاده تاكيدا وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي جامعة لهم لا يبقى منهم احد الا دخلها
يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون
اي جزا ما كنتم تعملون قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
نزلت في ضعفا مسلمي مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان بها
فاخرجوا منها ان ارضي يعني المدينة واسعة امنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا
عن الهجرة قالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الاية
ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل معناه فهاجروا فيها اي جاهدوا فيها قال سعيد
ابن جبير اذا عمل في ارض بالمعاصي فاهربوا منها فان ارضي واسعة وقيل اذا امرتم

بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه
بالمعاصي ولا يمكنه تغييره ذلك ان يهاجر الى حيث تتهيا له العبادة وقيل معنى ان
ارضي واسعة اي رزقي لكم واسع فاخرجوا كل نفس ذائقة الموت اي كل احد ميت
خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ثم الينا
ترجعون فنجزيكم باعمالكم قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوينهم من
الجنة غرفا علالي جمع غرفة وهي العلية تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر
العاملين اي لله بطاعته الذين صبروا اي على الشدايد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم
وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصايب
وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون على الله في جميع امورهم
قوله عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمومنين
الذين كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة
وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا فانزل الله هذه الاية وكاين من دابة
اي ذات حاجة الى غذا لا تحمل رزقها اي لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر
شيا لغد مثل البهايم والطير الله يرزقها واياكم اي حيث كنتم وهو السميع اي لاقوالكم
العليم بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم
تتكلوا على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول النهار جياعا ضامرة
البطون وترجع اخر النهار شباعا ممتلية البطون ولا تدخر شيا قال سفيان
ابن عيينه ليس شي من خلق الله يخبا الا الانسان والفارة والنملة عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ليس من شي يقربكم الى الجنة ويباعدكم
من النار الا وقد امرتكم به وليس شي يقربكم الى النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم
عنه الا وان الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها
فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطا الرزق ان تطلبوه بمعاصي
الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله تعالى ولين سالتهم
يعني كفار مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ذكر امرين احدهما اشارة
الى ايجاد الذوات والثاني اشارة الى ايجاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر ليقولن
الله فانى يوفكون معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع
اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده لما ذكر
الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقايه وبقا الانسان بالرزق فالله تعالى هو المتفضل

بالرزق

بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان ويقدر له اي يضيق
له اذا شا ان الله بكل شي عليم اي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق ولين
سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله ذكر سبب
الرزق وهو موجد السبب فالرزق من الله تعالى قل الحمد لله اي على ان الفاعل
لهذه الاشيا هو الله وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة لهم وعليهم
بل اكثرهم لا يعقلون اي انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشيا
قوله عز وجل وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا
وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه ولا يهمه واللعب العبث وفي هذا تصغير
الدنيا وازدرا وما ومعنى الاية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وموتهم وتقلبهم
عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحياة الدايمة
الخالدة التي لا موت فيها لو كانوا يعلمون فنا الدنيا وبقا الاخرة لما اثروا الفاني
على الباقي قوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد
فاذا ركبوا الفلك وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين اي تركوا الاصنام
ولجاوا الى الله تعالى بالدعا له فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي عادوا الى ما كانوا
عليه من الشرك والعناد وقيل كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم اصنامهم فاذا
اشتدت الريح القوها الى البحر وقالوا يا رب يا رب ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا
نعمة الله في انجايه اياهم ومعناه التهديد والوعيد وليتمتعوا معناه لا فايدة
لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الاخرة
فسوف يعلمون يعني عاقبة امرهم ففيه تهديد ووعيد قوله تعالى اولم يروا انا
جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم يعني العرب يسبي بعضهم بعضا
واهل مكة امنون افبالباطل يعني الشيطان والاصنام يومنون وبنعمة الله اي
بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي فزعم
ان له شريكا وانه منزه عن الشركا او كذب بالحق اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
لما جاه اليس في جهنم مثوى للكافرين معناه ما للكافر المكذب ماوى في جهنم
قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا
لنهدينهم سبلنا اي لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل
لنوفقنهم لاصابة الطريق المستقيمة وهي التي توصل الى رضى الله تعالى قال
سفيان بن عيينه اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى
يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات

ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل
العلم وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا في اقامة السنة لنهدينهم
سبيل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا
وان الله لمع المحسنين اي بالنصرة والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم
والله اعلم تفسير سورة الروم وهي مكية وهي ستون اية وثمانماية وتسعة
عشر كلمة وثلاثة الاف وخمسماية واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض سبب نزول هذه الاية على ما ذكره المفسرون
انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس
كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث
كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريراز وبعث قيصر جيشا
وامر عليهم رجلا يدعى يحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب
والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة
وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل
فارس على اخوانكم من اهل الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الاية
فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله
ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن
خلف الجمحي فقال كذبت فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة اي اراهنك على عشر قلايص
منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت ففعلوا وجعلوا
الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الصديق الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك
وذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين
الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال
لعلك ندمت فقال لا فقال ازيدك في الخطر وامادك في الاجل فاجعلها ماية قلوص
وماية قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين فقال قد فعلت فلما خشي ابي بن
خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا
فكفله له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه
كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه
النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على راس
سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمداين وبنوا

بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر ابو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به الى النبي صلى
الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به
وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهريراز لما غلب الروم
ولم يزل يطاهم ويخرب مداينهم حتى بلغ الخليج فبينما اخوه فرخان جالس ذات
يوم يشرب فقال لاصحابه لقد رايت كاني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته
الى كسرى فكتب الى شهريراز اذا اتاك كتابي فابعث الي براس فرخان فكتب اليه ايها
الملك انك لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب اليه
ان في رجال فارس خلفا منه فعجل الي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث
بريدا الى اهل فارس اني قد عزلت عنكم شهريراز واستعملت عليكم فرخان ثم رفع الى
البريد صحيفة صغيرة وامره فيها بقتل شهريراز وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد
له اخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهريراز واعرض عليه كتاب كسرى
فلما قراه قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه فرخان فدفع البريد
الصحيفة الى فرخان فلما قراها استدعى باخيه شهريراز وقدمه ليضرب عنقه فقال له
لا تعجل حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه واعطاه منه ثلاث صحايف وقال
كل هذا راجعت فيك كسرى وانت تريد ان تقتلني بكتاب واحد فرد فرخان الملك الى اخيه
شهريراز وكتب الى قيصر ملك الروم اما بعد فان لي اليك حاجة لا يحملها البريد ولا تبلغها
الصحف فالقني في خمسين روميا حتى القاك بخمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسماية الف
رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة ان يكون يريد ان يمكر به حتى اتاه
عيونه فاخبروه انه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت له قبة من الديباج
فدخلاها ومع كل واحد منهما سكين ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال شهريراز ان الذين
خربوا بلادك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا فاراد قتل اخي فابيت عليه ثم امر
اخي بقتلي فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك قال اصبتما ثم اشار احدهما
الى الاخر ان السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فاديلت الروم على
فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية ففرح من كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم يعني
اقرب ارض الشام الى فارس وقيل هي اذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة وهم من بعد غلبهم
اي فارس عليهم سيغلبون اي الروم لفارس في بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى السبع
وقيل ما دون العشرة لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها
فمن غلب فهو بامر الله وقضايه وقدره ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله اي للروم على فارس

وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا
بظهور اهل الكتاب على اهل الشرك ينصر من يشا اي بيده النصر ينصر من يشا وهو العزيز
اي الغالب الرحيم اي بالمومنين قوله تعالى وعد الله اي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس
لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ان الله لا يخلف وعده ثم قال يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا يعني امر معايشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون
قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطي وهو لا يحسن يصلي
وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا هم
يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون
فناها وهم عن الاخرة هم غافلون اي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها قوله عز
وجل اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق
يعني لاقامة الحق واجل مسمى اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم
القيامة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض اي يسافروا فيها
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا
كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اي حرثوها وقلبوها للزراعة وعمروها
يعني الامم الخالية اكثر مما عمروها يعني اهل مكة وجاتهم رسلهم بالبينات اي فلم يومنوا
فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم اي ينقص حقوقهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اي ببخس حقوقهم ثم كان عاقبة الذين اساوا السواى اي اساوا العمل السو يعني
الخلة التي تسوهم وهي النار وقيل السواى اسم لجهنم ومعنى الاية ان عاقبة الذين
عملوا السو النار ان كذبوا اي لان كذبوا وقيل معنى الاية ثم كان عاقبة المسيين
ان حملتهم تلك السيات على ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزون قوله تعالى
الله يبدوا الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتدا ثم يعيدهم بعد الموت احيا ثم اليه ترجعون
فيجزيهم باعمالهم ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قيل معناه ايسوا من كل خير
وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون ولم يكن لهم من شركايهم يعني اصنامهم
التي عبدوها شفعا اي لم يشفعوا لهم وكانوا بشركايهم كافرين اي جاحدين متبرين يتبرون
منها وتتبرا منهم ويوم تقوم الساعة يوميذ يتفرقون اي يتميز اهل الجنة من اهل النار
وقيل يتفرقون بعد يوم الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار فلا يجتمعون ابدا
وهو قوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة اي في جنة وقيل الروضة
البستان الذي هو في غاية النضارة يحبرون قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون
ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي

ليس

ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل
سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا اخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة
الا وردت وسال رجل ابا هريرة هل لاهل الجنة من سماع قال نعم شجرة اصلها من
ذهب واغصانها من فضة وثمرها الزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فتحا وب
بعضها بعضا فما سمع احد احسن منه واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقا الاخرة
اي البعث يوم القيمة فاوليك في العذاب محضرون قوله تعالى فسبحان الله اي فسبحوا
الله ومعناه صلوا لله حين تمسون اي تدخلون في المسا وهو صلاة المغرب والعشا
وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح وله الحمد في السموات والارض
قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له وعشيا اي وصلوا لله عشيا
يعني صلاة العصر وحين تظهرون اي تدخلون في الظهر وهي صلاة الظهر قال نافع
ابن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وقرا هاتين الايتين
وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انما خص هذه الاوقات بالتسبيح
وذلك ان افضل الاعمال ادومها لكن الانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى
التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه
العبادة في غالب الاوقات وامره بها في اول النهار ووسطه واخره واول الليل ووسطه
فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات
وهي سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في اوقاتها فكانما
سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات من جميع
الليل والنهار وهي مقدار النوم والنايم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع
اوقاته في التسبيح والعبادة فصل في فضل التسبيح عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم ماية مرة حطت خطاياه وان كانت
مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي
سبحان الله وبحمده ماية مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جا به الا احد قال مثل
ما قال او زاد عليه اخرجهما الترمذي وقال فيهما حسن صحيح ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان
الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث اخرجه في صحيح البخاري
م عن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها فرجع بعد ما تعالى النهار
فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع

كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه
ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته م عن سعد بن ابي وقاص قال كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب في كل يوم الف
حسنة فسأله سايل من جلسايه كيف يكتسب الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة
فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف خطيئة وفي رواية مسلم ويحط بغير الف
قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي يخرج النطفة من الحيوان
ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج البيضة
من الدجاجة وقيل يخرج المومن من الكافر ويخرج الكافر من المومن ويحيي الارض
بعد موتها اي بالمطر واخراج النبات منها وكذلك تخرجون اي مثل اخراج النبات
من الارض تخرجون من القبور احيا للبعث والحساب ومن اياته ان خلقكم من تراب
اي خلق اصلكم وهو ادم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي تنبسطون في
الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم من بني ادم وقيل
خلق حوا من ضلع ادم لتسكنوا اليها اي لتميلوا الى الازواج وتالفوهن وجعل
بينكم مودة ورحمة اي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان
من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شي احب الى
احدهما من الاخر من غير رحم بينهما الا الزوجان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
اي في عظمة الله وقدرته ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم
يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس النطق
واشكاله خالف بينها حتى لا يكاد يسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة
من وراء حايل لعرف كل واحد منهم بنطقه ونغمته ولا يشبه صوت احد صوت
الاخر والوانكم اي ابيض واسود واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان
وانتم بنو رجل واحد ومن اصل واحد وهو ادم والحكمة في اختلاف الاشكال
والاصوات التعارف ليعرف كل واحد بشكله وحليته فلو اتفقت الصور
والاصوات وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس لتعطل
مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقرابة
من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك دليل على
سعة القدرة وكمال العظمة ان في ذلك لايات للعالمين اي لعموم العلم فيهم
ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاوكم من فضله اي منامكم بالليل للراحة
وابتغاوكم من فضله وهو طلب اسباب المعيشة بالنهار ان في ذلك لايات لقوم

يسمعون اي سماع تدبر واعتبار ومن اياته يريكم البرق اي للمسافر ليستعد للمطر
خوفا وطمعا اي للمقيم في المطر ليستعد المحتاج اليه من اجل الزرع وتسوية طرق
المصانع وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
اي قدرة الله وانه القادر عليه ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره قال ابن
مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
قال ابن عباس من القبور اذا انتم تخرجون اي منها وقيل معنى الاية ثم اذا دعاكم
دعوة اذا انتم تخرجون من الارض وله من في السموات والارض كل له قانتون
قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقا والموت والبعث وان عصوا في
العبادة وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده اي يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت
للبعث وهو اهون عليه اي هو هين عليه وما من شي عليه بعزيز وقيل معناه وهو
ايسر عليه قال الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون اهون من الانشا وقيل
هو اهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون اهون عليهم
من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونسا وهو رواية
عن ابن عباس وله المثل الاعلى اي الصفة العليا قال ابن عباس هي ليس كمثله شي وقيل
هو انه لا اله الا هو في السموات والارض وهو العزيز اي في ملكه الحكيم اي في خلقه قوله
عز وجل ضرب لكم مثلا اي بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل من انفسكم ثم بين المثل
فقال تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم اي عبيدكم واماتكم من شركا فيما رزقناكم اي من
المال فانتم فيه سوا اي يشارككم عبيدكم في اموالكم التي اعطيناكم تخافونهم كخيفتكم
انفسكم اي تخافون ان يشاركوكم في اموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه الحر في المال
يكون بينهما ان ينفرد فيه بامر دون شريكه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب
ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا واذا لم تخافوا
هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تكون الهتكم التي
تعبدونها شركاي وهم عبيدي كذلك نفصل الايات اي الدلالات والبراهين
والامثال لقوم يعقلون اي ينظرون في هذه الدلايل والامثال بعقولهم بل اتبع الذين
ظلموا اي اشركوا بالله اهواءهم اي في الشرك بغير علم جهلا بما يجب عليهم فمن يهدي من اضل
الله اي عن طريق الهدى وما لهم من ناصرين اي مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله تعالى
فاقم وجهك للدين اي اخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه
الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده حنيفا اي مايلا اليه مستقيما اليه
فطرت الله اي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها قال ابن عباس

خلق الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام ق عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم يقول اقرؤوا فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخاري فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه كما تستنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم
يقول ابو هريرة فطرة الله الاية ولهما في رواية قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا
قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد
الذي اخذ الله عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى وكل مولود في العالم على ذلك الاقرار
وهي الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطري
في احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي الماموربه المكتسب بالارادة والفعل
الا ترى الى قوله فابواه يهودانه فهو مع وجود الايمان الفطري فيه محكوم له بحكم
ابويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث اخر يقول الله عز
وجل اني خلقت عبادي حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكي عن عبد الله
ابن المبارك انه قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اي خلقته التي خلق
عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صاير في العاقبة الى ما فطر
عليه وعمل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين
يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقايه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل
مولود في مبدا الخلقة على الفطرة اي على الجبلة السليمة والطبع المتهيي لقبول
الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول
السليمة وانما يعدل عنه من عدل عنه الى غيره لافة من افات النشو والتقليد
فلو سلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ثم تمثل باولاد اليهود والنصارى
واتباعهم لابايهم والميل الى اديانهم فيزولون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة
قوله كما تستنتج البهيمة بهيمة جمعا اي كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب
من بدنها شي وقوله هل تحسون فيها من جدعا اي هل تشعرون وتعلمون فيها من جدعا
وهي المقطوعة الاذن والانف وقوله عز وجل لا تبديل لخلق الله اي لا تبديل لدين
الله وقيل معنى الاية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل
معنى الاية لا تبديل لخلق الله وهو ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة
فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل الاية في تحريم اخصا البهايم
ذلك الدين القيم اي المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله عز وجل منيبين اليه

اي فاقم وجهك انت وامتك منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل
فيه الامة والمعنى راجعين اليه بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة واتقوه اي ومع
ذلك خافوه واقيموا الصلاة اي ادوها على ادابها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا اي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى
وقيل هم اهل البدع من هذه الامة كل حزب بما لديهم فرحون اي راضون بما عندهم
قوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط وشدة دعوا ربهم منيبين اليه اي مقبلين اليه
بالدعا ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي خصبا ونعمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا
بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله عليهم فتمتعوا فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار
فسوف تعلمون اي حالكم في الاخرة ام انزلنا عليهم سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا
وقيل كتابا فهو يتكلم اي ينطق بما كانوا به يشركون اي بشركهم ويامرهم به واذا اذقنا
الناس رحمة اي الخصب وكثرة المطر فرحوا بها اي فرح بطر وان تصبهم سيية اي
جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلا بما قدمت ايديهم اي من السيات اذا هم يقنطون
اي ييسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المومن فانه يشكر ربه عند النعمة
ويرجوه عند الشدة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك لايات
لقوم يومنون تقدم تفسيره قوله عز وجل فات ذا القربى حقه اي من البر والصلة
والمسكين حقه وهو التصدق عليه وابن السبيل اي المسافر وقيل هو الضيف
ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يطلبون ثواب الله بما يعملون واوليك هم
المفلحون قوله عز وجل وما اتيتم اي اعطيتم من ربا ليربو في اموال الناس اي في اجتلاب
اموال الناس واجتذابها قيل في معنى الاية هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه
اكثر منها فهذا جايز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهو قوله تعالى فلا يربو عند
الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه او قريبه ليكثر
ماله لا يريد وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل ويسافر معه فيجعل له ربح
ماله لالتماس عونه لا لوجه الله فلا يربو عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله
وما اتيتم من زكاة اي اعطيتم من صدقة تريدون وجه الله اي بتلك الصدقة
فاوليك هم المضعفون اي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها
فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم
يحييكم هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شي سبحانه وتعالى عما يشركون تقدم تفسيره
قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر اي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات

في البراي البوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المداين والقرى التي هي على المياه
الجارية والعرب تسمي المصر بحرًا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر
ما ظهر من الارض للابصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما يؤثر في البر يؤثر في البحر
فتخلوا اجواف الاصداف من اللولو وذلك لان الصدف اذا جا المطر ترتفع على وجه
الما وينفتح فما وقع فيه من المطر صار لولوا بما كسبت ايدي الناس اي بسبب شوم ذنوبهم
قال ابن عباس الفساد في البر قتل احد ابني ادم اخاه وفي البحر غصب الملك الجاير في
السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لا ياتي ابن ادم شجرة الا وجد عليها ثمرة
وكان ما البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل
اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ما البحر ملحا اجاجا وقصد الحيوان بعضها
بعضا وقيل ان الارض امتلات ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة ليذيقهم بعض الذي
عملوا اي عقوبة الذي عملوا من الذنوب لعلهم يرجعون اي عن الكفر واعمالهم الخبيثة
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي لتروا منازلهم ومساكنهم
خاوية كان اكثرهم مشركين اي فاهلكوا بكفرهم قوله عز وجل فاقم وجهك للدين القيم
اي الدين الاسلام من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيمة لا يقدر احد من
الخلق على رده يومئذ يصدعون اي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى من كفر
فعليه كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطون المضاجع
ويسوونها في القبور ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله قال ابن عباس
ليثيبهم الله اكثر من ثواب اعمالهم انه لا يحب الكافرين فيه وعيد وتهديد لهم قوله
تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر وليذيقكم من رحمته اي بالمطر
وهي الخصب ولتجري الفلك اي بهذه الرياح بامره ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا
رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون هذه النعم قوله عز وجل ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاوهم بالبينات اي بالدلالات الواضحات على صدقهم فانتقمنا من
الذين اجرموا اي عذبنا الذين كذبوهم وكان حقا علينا نصر المومنين اي مع انجايهم من
العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر بالعاقبة والنصر على الاعدا
عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض
اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا هذه الاية وكان
حقا علينا نصر المومنين اخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض اخيه رد الله عن
وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن قوله عز وجل الله الذي يرسل الرياح

فتثير سحابا اي تزعجه فيبسطه في السما كيف يشا يعني مسيرة يوم او يومين واكثر على ما
يشا ويجعله كسفا اي قطعا متفرقة فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي وسطه
فاذا اصاب به اي بالودق من يشا من عباده اذا هم يستبشرون اي يفرحون بالمطر وان كانوا
اي وقد كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي ايسين فانظر الى اثر رحمة الله اي
المطر والمعنى انظر الى حسن تاثيره في الارض وهو قوله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك
لمحيي الموتى يعني ان الذي احيا الارض بعد موتها قادر على احيا الموتى وهو على كل شي قدير
ولين ارسلنا ريحا فراوه مصفرا اي الزرع بعد الخضرة لظلوا من بعده اي من بعد اصفرار
الزرع يكفرون اي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو ارسلت
عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا
مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون
تقدم تفسيره قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف اي بدا كم وانشاكم على ضعف
على ضعف وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جنينا ثم
طفلا مولودا ومفطوما فهذه احوال في غاية الضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة
اي من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا اي هرما
وشيبة هو تمام النقصان يخلق ما يشا اي من الضعف والقوة والشباب والشيبة ليس
ذلك من فعل الطبيعة بل بمشية الله وقدرته وهو العليم بتدبير خلقه القدير
على ما يشا قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اي يحلف المشركون ما لبثوا
اي في الدنيا غير ساعة معناه استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقيل معناه
ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كذلك كانوا يوفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا
وذلك انهم كذبوا في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث والمعنى
ان الله اراد ان يفضحهم فحلفوا على شي تبين لاهل الجمع انهم كانوا كاذبين فيه وكان
ذلك بقضا الله وقدره ثم ذكر انكار المومنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين
اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اي فيما كتب الله لكم
في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معنى كتاب الله في حكم الله وقيل معنى الاية
فقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله والايمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للمنكرين
لقد لبثتم الى يوم البعث اي في قبوركم فهذا يوم البعث اي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا
ولكنكم كنتم لا تعلمون اي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الان يدل عليه قوله تعالى
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم ولا هم يستعتبون اي لا يطلب
منهم العتبى والرجوع في الاخرة وقيل لا يطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة

لانها لا تقبل منهم قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار ولين جيتهم باية
ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون يعني ما انتم الا على باطل وذلك على سبيل العناد
فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولين جيتهم والجمع في قوله ان انتم الا مبطلون
قلت فيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ولين جيتهم بكل اية جات بها الرسل
ويمكن ان يقال معناه انتم كلكم ايها الرسل مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون اي توحيد الله فاصبر ان وعد الله حق اي في نصرك واظهارك على عدوك
ولا يستخفنك اي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفنك رايهم وجهلهم الذين لا يوقنون
اي بالبعث والحساب والله اعلم تفسير سورة لقمان وهي مكية وهي اربع وثلاثون
اية وخمسماية وثمان واربعون كلمة والفان وماية وعشرة احرف بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين اي الذين
يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال تعالى الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم بالاخرة
هم يوقنون اوليك على هدى من ربهم واوليك هم المفلحون قوله تعالى ومن الناس من يشتري
لهو الحديث الاية قيل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر فياتي الحيرة ويشتري اخبار
العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم
بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القران فانزل الله هذه الاية وقيل هو شرى القينات والمغنين ومعنى الاية ومن الناس
من يشتري ذات لهو او ذا لهو الحديث روي البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل
هذا نزلت هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل
يرفع صوته بالغنا الا بعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا
فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت واخرجه الترمذي وهذا لفظه
عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن
ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من
يشتري لهو الحديث الاية وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب
الزمارة قال مكحول من اشترى جارية ضاربة ليمسكها لغنايها وضربها مقيما عليه حتى يموت
لم اصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية وعن ابن مسعود وابن
عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث الغنا والاية نزلت فيه
ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغنا والمزامير والمعازف على القران وقال ابو الصهبا

سالت

سالت ابن مسعود عن هذه الاية فقال هو الغنا والله الذي لا اله الا هو يرددها
ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغنا ينبت النفاق في القلب وقيل الغنا رقية
الزنا وقيل لهو الحديث هو الطبل وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك ليضل عن
سبيل الله اي دين الاسلام وسماع القران بغير علم اي يفعله عن جهل وحسبك من الضلالة
ان يختار حديث الباطل عن حديث الحق ويتخذها هزوا اي يتخذ ايات الله مزحا اوليك
يعني من هذه صفتهم لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي لم يعبا بها ولا يرفع
بها راسا كان لم يسمعها اي يشبه حاله في ذلك بحال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه
وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما فبشره بعذاب اليم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
النعيم خالدين فيها وعد الله حقا يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد
وهو العزيز الحكيم قوله تعالى خلق السموات بغير عمد قيل ان السما خلقت مبسوطة
كصحفة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضا والفضا لا نهاية له وكون السما
في بعض دون بعض ليس ذلك الا بقدرة قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد ترونها
اي ليس هي شي يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة الله
وفي قوله ترونها وجهان احدهما ان السموات ليست بعمد وانتم ترونها كذلك
بغير عمد والوجه الثاني انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرية والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم اي لئلا تتحرك بكم وبث فيها اي في الارض من كل دابة اي يسكنون فيها
وانزلنا من السما ما يعني المطر وهو من انعام الله على عباده فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي كل
صنف حسن هذا يعني الذي ذكرت مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من
دونه اي من الهتكم التي تعبدونها بل الظالمون في ضلال مبين قوله عز وجل ولقد اتينا
لقمان الحكمة قيل هو لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ وهو ازر وقيل كان ابن اخت ايوب
وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى ادرك داود وقيل انه كان قاضيا
في بني اسرايل واتفق العلما على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان
نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروي انه كان نايما نصف النهار
فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض فتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت
فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلا وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان
فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملايكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان
الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعدل فبالحري ان ينجو وان اخطا
اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الاخرة
تفته الدنيا ولم يصب الاخرة فعجبت الملايكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة

فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي باداود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان
فنودي في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود بحكمته وقيل
كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعي غنم فروي انه لقيه
رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعي قال بلى قال فبما بلغت ما بلغت
قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل كان عبدا اسود عظيم
الشفتين مشقق القدمين وقيل خيار السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع مولى عمر
ولقمان والرابع النجاشي الحكمة العقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل
حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل الحكمة شي يجعله الله
في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر وقوله ان اشكر لله وذلك ان المراد من العلم
العمل به والشكر عليه ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه
ومن كفر اي عليه يعود وبال الكفر فان الله غني غير محتاج الى شكر الشاكرين حميد اي هو
حقيق بان يحمدوا ان لم يحمده احد قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه قيل اسمه انعم وقيل مشكم
وهو يعظه وذلك لان اعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره
فقوله ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه
وهو يعظه اشارة الى تكميل غيره وبدا بالاقرب اليه وهو ابنه وبدا في وعظه
بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لان
التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة
في غير موضعها قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن قال ابن عباس
شدة بعد شدة وقيل ان المراة اذا حملت توالي عليها الضعف والمشقة وذلك
لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف وفصاله في عامين اي فطامه في
سنتين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية
الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك
ثم فرق فقال الي المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والاخرة
وقيل لما امر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء علي وقت المصير قال سفيان بن عيينة
في هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات
الخمس فقد شكر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما يعني ان طاعتهما
واجبة فان افضى ذلك الى الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا اي بالبر والصلة والعشرة الجميلة واتبع
سبيل من اناب الي اي دين من اقبل الي طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من

اناب الى ابي بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة
والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل
وامنت به قال نعم هو صادق فامنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اسلموا فهولاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر ثم الي مرجعكم فانبيكم
بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل وذلك ان ابن لقمان قال لابيه
يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد فكيف يعلمها الله فقال يا بني انها اي
الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل في الصغر فتكن اي مع صغرها في صخرة قال
ابن عباس هي صخرة تحت الارضين السبع وهي التي تكتب فيها اعمال الكفار وخضرة
السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر
صفاة والصفا على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان
ليست في الارض ولا في السماء فلذلك قال او في السموات او في الارض والصخرة على متن الريح
والريح على القدرة يات بها الله معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله
تعالى ان الله لطيف باستخراجها خبير اي بمكانها ومعنى الاية هو الاحاطة بالاشياء
صغيرها وكبيرها وقيل ان هذه الكلمة اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته
من هيبتها وعظمها فمات يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على
ما اصابك يعني من الاذى ان ذلك من عزم الامور يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي امر بها ولا تصعر وقرئ
تصاعر خدك للناس قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك
اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينكم وبينه احنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل
هو الذي اذا سلم لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحقر الفقراء ليكون الفقير والغني
عندك سواء ولا تمش في الارض مرحا اي خيلاء ان الله لا يحب كل مختال في مشيه فخور
اي على الناس واقصد في مشيك اي ليكن مشيك قصدا بين الاسراع والتاني اما الاسراع
فهو من الخيلاء واما التاني فهو ان يري بنفسه التضعف وتزهدا فكلا الطريقين
مذموم بل يكون مشيك بالسكينة والوقار واغضض من صوتك اي اخفض وقيل
انقص ان انكر اي اقبح الاصوات لصوت الحمير لان اوله زفير واخره شهيق وهما صوت
اهل النار وعن الثوري في هذه الاية قال صياح كل شي تسبيح الا الحمار وقيل في
معنى الاية هي العطسة القبيحة والمنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف
باب من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمه قيل انه كان عبدا
حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها واتني باطيب مضغتين منها فاتاه

بالليسان والقلب ثم دفع اليه اخرى فقال اذبحها واتني باخبث مضغتين
منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شي اطيب منهما اذا طابا
ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس
وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيا قوله عز وجل
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ اي اتم واكمل عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقران والباطنة ما ستر عليكم
من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضا وحسن
الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة
والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرايع والباطنة الشفاعة
وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعدا والباطنة الامداد بالملايكة
وقيل الظاهرة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والباطنة محبته ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف وامية بن
خلف واتباعهم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته
ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما
وجدنا عليه اباءنا قال الله تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم معناه فيتبعونه
وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير قوله عز وجل ومن يسلم وجهه الى الله
اي لله ويخلص دينه ويفوض امره اليه وهو محسن اي في عمله فقد استمسك بالعروة
الوثقى اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه ويرتقي بسببه الى
اعلى المقامات والى الله عاقبة الامور اي مصير جميع الاشيا اليه ومن
كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبيهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور
اي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم نمتعهم قليلا اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا
الى انقضا اجالهم ثم نضطرهم اي نلجيهم ونردهم الى عذاب غليظ اي الى النار
في الاخرة ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد تقدم تفسيره
قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسلونك
عن الروح الاية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود
وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا اتعنينا ام قومك
فقال عليه السلام كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة
فيها علم كل شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم الله ما ان

علمتم

علمتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فانزل الله هذه
الاية مدنية وقيل ان اليهود امروا وفد قريش ان يسلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القران وما
ياتي به محمد صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله ولو ان ما
في الارض من شجرة اقلام اي فبريت اقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلما والبحر يمده
اي يزيده وينصب اليه من بعده سبعة ابحر اي مدادا والخلايق يكتبون بها كلام الله
ما نفدت كلمات الله لانه لا نهاية لها ان الله عزيز حكيم قوله عز وجل ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة اي الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شي
ان الله سميع لاقوالكم بصير اي لاعمالكم الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير
ذلك بان الله هو الحق اي الذي هو قادر على هذه الاشيا الذي ذكر هو الحق المستحق
للعبادة وان الله هو العلي الكبير اي في صفاته له الصفات العليا والاسما الحسنى
الكبير في ذاته لانه اكبر من كل كبير قوله تعالى الم تر ان الفلك اي السفن والمراكب
تجري في البحر بنعمة الله اي ذلك من نعم الله عليكم ليريكم من اياته اي من عجايب
صنايعه ان في ذلك لايات لكل صبار اي على ما امر الله شكور اي لانعام الله واذا
غشيهم موج كالظلل اي كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها
وارتفاعها دعوا الله مخلصين له الدين معناه ان الانسان اذا وقع في شدة
ابتهل الى الله بالدعا وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا نجا من تلك
الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله فلما نجاهم الى البر
فمنهم مقتصد اي عدل موف في البر بما عاهد الله في البحر من التوحيد له والثبوت
على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر
فجاءهم ريح عاصفة فقال عكرمة لين نجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله
عليه وسلم ولاضعن يده في يدي فسكنت الريح فرجع الى مكة فاسلم وحسن اسلامه
ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله وما يجحد باياتنا الا كل ختار اي غدار
كفور اي جحود لانعامنا عليه قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم اي خافوا
ربكم واخشوا اي خافوا يوما لا يجزي اي لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيا وقيل معنى الاية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة
والمحبة وهو الولد والوالد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد

يجزي عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لما له عليه من حق
التربية وغيرها واذا كان يوم القيمة فكلا نسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم
بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرء مهمته نفسه ان وعد الله حق قيل
انه تحقيق لليوم معناه اخشوا يوما هذا شانه وهو كاين لوعد الله به
ووعده حق وقيل انه تحقيق لعدم الجزا يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك
اليوم والقول الاول احسن واظهر فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي لا نها فانية
ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمني
المغفرة قوله تعالي ان الله عنده علم الساعة الاية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة
ابن حفصة من اهل البادية اتي النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الساعة
ووقتها وقال اذا رضنا اجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امراتي حبلي فمتي تلد
وقد علمت اين ولدت فبأي ارض اموت فانزل الله هذه الاية خ عن ابن عمر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل
الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس
باي ارض تموت ان الله عليم خبير ومعني الاية ان الله عنده علم الساعة فلا
يدري احد من الناس متي تقوم الساعة في اي سنة او اي شهر او يوم ليلا او نهارا
وينزل الغيث فلا يعلم احد متي ينزل الغيث ليلا او نهارا الا الله ويعلم ما في
الارحام اذكر ام انثي احمر ام اسود تام الخلق ام ناقصه وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا اي من خير او شر وما تدري نفس باي ارض تموت اي ليس احد من الناس
يعلم مضجعه من الارض في بر او بحر في سهل او جبل ان الله عليم اي بهذه الاشياء
وبغيرها خبير اي ببواطن الاشيا كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل محيط
بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي
مصطفى فمن ادعي انه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقران لانه خالفه والله اعلم
تفسير سورة السجدة وهي مكية قال عطا الا ثلاث ايات من قوله افمن كان
مومنا وهي تسع وعشرون وقيل ثلاثون اية وثلثماية وثمانون كلمة والف
وخمسماية وثمانية عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تنزيل
الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين اي لا شك فيه انه من رب العالمين ام يقولون
اي يقولون يعني المشركين افتراه اي اختلقه محمد من تلقا نفسه بل هو الحق يعني
القران من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني العرب كانوا امة
امية لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ذلك في الفترة التي

كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا لم ياتهم رسول لم تقم
عليهم حجة قلت قيام الحجة بالشرايع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل
فلا واما قيام الحجة عليهم بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم ادلة
العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان لعلهم يهتدون يعني تنذرهم راجيا اهتداهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوي على العرش ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون تقدم تفسيره قوله تعالي يدبر الامر اي
يحكم الامر وينزل القضا والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السما الى الارض
ثم يعرج اليه اي يصعد اليه جبريل بالامر في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
يعني ان مسافة ما بين السما والارض خمسماية سنة والارض خمسماية سنة
فيكون مقدار نزوله الي الارض ثم صعوده الي السما في مقدار الف سنة لو ساره احد
من بني ادم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من ايام الدنيا واقل من ذلك
وكذلك الملايكة كلهم وقيل في معني الاية انه يدبر الامر من السما الي الارض
مدة ايام الدنيا ثم يعرج اليه اي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فنا الدنيا
وانقطاع امر الامرا وحكم الحكام في يوم كان مقداره الف سنة هو يوم القيمة
فان قلت قد قال في موضع اخر تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فكيف الجمع بينهما قلت قيل اراد بقوله خمسين الف
سنة مدة المسافة بين الارض الى سدرة المنتهي التي هي مقام جبريل عليه السلام
يقول يسير جبريل والملايكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة
في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل كلها في يوم القيامة فيكون على بعضهم
كالف سنة وعلى بعضهم كخمسين الف سنة وهذا في حال الكفار واما على المومنين
فدون ذلك كما جا في الحديث انه يكون على المومن كقدر صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المومن الا كما بين الظهر والعصر وقيل
يحتمل ان يكون هذا اخبار عن شدته وهوله ومشقته قال ابن ابي مليكة دخلت
انا وعبد الله بن فيروز مولي عثمان على ابن عباس فساله ابن فيروز عن هذه الاية
وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله لا ادري ما هي واكره ان اقول
في كتاب الله ما لا اعلم ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك صنع ما ذكر من خلق
السموات والارض هو عالم الغيب يعني ما غاب من خلقه لا يخفي عليه خافية والشهادة
يعني ما حضر وظهر العزيز اي المنيع المنتقم الرحيم اي باوليايه واهل طاعته قوله
عز وجل الذي احسن كل شي خلقه قال ابن عباس اتقنه واحكمه وقيل علم كيف يخلق

كل شي وقيل خالق كل حيوان على صورته لم يخلق على صورة البعض فكل حيوان كامل
في خلقه حسن في شكله وكل عضو من اعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه
وقيل معناه الهم خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه واحسنهم ذلك وقيل
معناه احسن الى كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين يعني ادم ثم جعل نسله
يعني ذريته من سلالة اي نطفة تسل من الانسان من ماء مهين اي ضعيف ثم سواه
اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه اضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله
وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال وجعل لكم اي بعد
اذ كنتم نطفا مواتا السمع والابصار والافئدة قيل قدم السمع لان الانسان
يسمع اولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم
معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام من اي جهة كان قليلا ما تشكرون
يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه قوله تعالى وقالوا يعني منكري
البعث اذا ضللنا اي هلكنا في الارض والمعنى صرنا ترابا اينا لفي خلق جديد
استفهام انكار قال الله تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون اي بالبعث بعد الموت
قل يتوفاكم اي يقبض ارواحكم حتى لا يبقى احد ممن كتب عليه الموت ملك الموت وهو
عزرائيل عليه الصلاة والسلام الذي وكل بكم اي انه لا يغفل عنكم واذا جا اجل
احدكم لا يوخره ساعة ولا شغل له الا ذلك روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا
مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض ارواح
الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال
مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشا وقيل ان ملك
الموت على معراج بين السما والارض فينزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة
نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين
المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم
في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال
له الان ينزل بك عسكر الموت وقوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون اليه
احيا فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل ولو ترى اذ المجرمون اي المشركون ناكسوا روسهم
اي مطاطوها حيا من ربهم وندما على ما فعلوا ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا
اي ما كنا به مكذبين وسمعنا يعني منك ما اتتنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا
وسمعنا ما قيل فيها فارجعنا اي فارددنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي انا

في

في الحال امنا ولكن لا ينفع ذلك الايمان ولو شينا لاتينا كل نفس هداها اي رشدها
وتوفيقها للايمان ولكن حق القول مني اي وجب القول مني لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين اي من كفار الجن والانس فذوقوا اي اذا دخلوا النار بما نسيتم لقاء
يومكم هذا اي تركتم الايمان به في الدنيا انا نسيناكم اي تركناكم بالكلية غير ملتفت
اليكم كما يفعل الناس قطعا لرجائكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي من
الكفر والتكذيب قوله عز وجل انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها
خروا سجدا اي سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا بامر ربهم
وقيل قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون اي عن الايمان به والسجود له ق عن
ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة فيسجد
ونسجد حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت الصلاة م عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فابيت فلي النار وهذه من عزايم سجود القران فيسن للقاري والمستمع
قوله تعالى تتجافى اي ترتفع وتنبو جنوبهم عن المضاجع جمع المضجع وهو الموضع
الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة
قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي
العشا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع
نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب صحيح وفي رواية ابي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشا
يصلون وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر قالا هي صلاة الاوابين روي عن ابن عباس
قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشا وهي صلاة الاوابين
وقال عطا هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشا الاخرة والفجر في جماعة بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى
الصبح في جماعة فكانما قام الليل كله اخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح
لاتوهما ولو حبوا واشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن
ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة فصل في فضل قيام الليل والحث
عليه عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت
يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني

من النار قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك
به شيا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا
ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة وصلاة الرجل
في جوف الليل ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزا بما كانوا يعملون
ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك
بملاك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا
فقلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل
يكب الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصايد السنتهم اخرجه
الترمذي عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام
الليل فانه داب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الاثام
ومطردة الداء عن الجسد اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطايه ولحافه من بين حبه واهله
الى صلاته فيقول الله لملائكته انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطايه من بين
حبه واهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي ورجل غزا في سبيل الله
فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه من الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى هريق دمه
فيقول الله لملائكته انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي حتى هريق
دمه اخرجهما الترمذي بمعناه م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة
صلاة الليل ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى
تتفطر قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن الان
الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام خ عن الهيثم
ابن سنان انه سمع ابا هريرة في قصته يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان اخا لكم
لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال شعر

وفينا رسول الله يتلو كتابه ۞ اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ۞ به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ۞ اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

اخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن ابي هريرة في الصحيحين غير هذا وقوله

يدعون

١٤٥

يدعون ربهم خوفا وطمعا قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما
رزقناهم ينفقون قيل اراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب
والتطوع فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي مما تقر به اعينهم فلا يلتفتون
الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم
جزاء بما كانوا يعملون اي من الطاعات في دار الدنيا ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن
ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شي فقال
الوليد لعلي اسكت فانك صبي وانا والله ابسط منك لسانا فقال علي اسكت
فانك فاسق فانزل الله هذه الاية وقوله لا يستوون اراد جنس المومنين وجنس
الفاسقين لم يرد مومنا واحدا ولا فاسقا واحدا اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات الماوى اي التي ياوي اليها المومنون نزلا هو ما يهيا للضيف
عند نزوله بما كانوا يعملون يعني من الطاعات في دار الدنيا واما الذين فسقوا فماويهم
النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر
اي سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصايب الدنيا واسقامها
وعنه انها الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب
سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب
جهنم لعلهم يرجعون اي الى الايمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر ومن
اظلم اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بدلايل وحدانيته وانعامه عليه
ثم اعرض عنها اي ترك الايمان بها انا من المجرمين يعني المشركين منتقمون معناه
انه لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر قوله عز
وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فلا تكن في مرية اي في شك من لقايه اي من
لقا موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس ق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى
رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر ورايت مالكا خازن النار
والدجال في ايات اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقايه م عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قايم يصلي في قبره

فان قلت قد صح في حديث المعراج انه راه في السما السادسة وراجعه في
امر الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل ان تكون رويته
في قبره عند الكثيب الاحمر كانت قبل صعوده الى السما وذلك في طريقه عند
بيت المقدس ثم لما صعد الى السما السابعة وجده هناك قد سبقه لما يريده الله
عز وجل وهو على كل شي قدير فان قلت كيف تصح الصلاة منه في قبره وهو
ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في الدار الاخرة وليست دار عمل وكذلك
راى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبيا وهم يحجون فما الجواب عن هذا
قلت عنه اجوبة احدها ان الانبيا كالشهدا بل هم افضل منهم والشهدا احيا
عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله تعالى
بما استطاعوا لانهم وان كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الاحيا في هذه الدار التي هي
دار العمل الى ان تنقضي ويفضوا الى دار الجزا التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى
الله عليه وسلم اري حالهم التي كانوا عليها في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف
كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم في الاخرة لكن
الذكر والشكر والدعا لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس فالعبد
يعبد ربه في الجنة اكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد
صار حاله مثل حال الملايكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وغاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى
الطبع والله اعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية من لقايه اي من تلقي موسى كتاب
الله بالرضى والقبول وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرايل وجعلنا منهم
اي من بني اسرايل ايمة اي قادة في الخير يقتدى بهم وهم الانبيا الذين كانوا
في بني اسرايل وهم اتباع الانبيا يهدون بامرنا اي يدعون الناس لطاعتنا لما صبروا
اي على دينهم وعلى البلا من عدوهم بمصر وكانوا باياتنا يوقنون اي انها من الله
تعالى ان ربك هو يفصل بينهم اي يقضي ويحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون قيل هم الانبيا واممهم وقيل هم المومنون والمشركون قوله تعالى اولم يهد لهم
اي يبين لهم كم اهلكنا اي كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون اي الامم الخالية يمشون
في مساكنهم يعني اهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا ان في ذلك لايات
افلا يسمعون اي ايات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله عز وجل اولم يروا انا نسوق
الما الى الارض الجرز اي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي ارض باليمن

وقيل هي ابين فنخرج به اي بذلك الما زرعا تاكل منه انعامهم اي العشب والتبن
وانفسهم اي من الحبوب والاقوات افلا يبصرون اي فيعتبرون قوله تعالى ويقولون
متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد به يوم الفتح يوم القيمة الذي فيه الحكم
والقضا بين العباد وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان لنا يوما
ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزا متى هذا
الفتح اي القضا والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو يوم بدر وذلك ان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون
متى هذا الفتح قل يوم الفتح يعني يوم القيمة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اي
لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة او القتل يوم بدر قال
معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون
اي لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا فاعرض عنهم قال ابن عباس نسختها اية السيف
وانتظر اي موعدي لك بالنصر عليهم انهم منتظرون اي بك حوادث الزمان وقيل
معناه انتظر عذابنا اياهم فانهم منتظرون ذلك ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل
اتى على الانسان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل وتبارك
الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال طاوس يفضلان على كل سورة في القران
سبعين حسنة اخرجه الترمذي تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية
وهي ثلاث وسبعون اية والف ومايتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وسبعماية
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يايها النبي اتق الله ولا
تطع الكافرين والمنافقين نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي
الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن
ابي ابن سلول راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم
الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق
فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى
ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ايذن لنا في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان فقال
عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة
فانزل الله يايها النبي اتق الله اي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض
العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به

الله ولا تطع الكافرين من اهل مكة يعني ابا سفيان وعكرمة والاعور والمنافقين
يعني من اهل المدينة عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة ان الله كان عليما
اي بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما فيما دبره لهم واتبع ما يوحى اليك من ربك من وفا العهد
وترك طاعة الكافرين والمنافقين ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله اي ثق بالله
وكل امرك اليه وكفى بالله وكيلا اي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله تعالى ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر حميد بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما
يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشيا الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين
اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر
فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر
ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو
معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وعن
ابي ظبيان قال قلنا لابن عباس ارايت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عني
بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون
الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد
الوسوسة التي تحصل للانسان في صلاته وقيل في معنى الاية انه لما قال تعالى يا ايها
النبي اتق الله فكان ذلك امرا بالتقوى فكانه قال ومن حقها ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله
فان المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى
للمظاهر من امراته وللمتبني ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما
ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فالاخر فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا
ما لا يفعل بذلك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا
شاكا في حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لا تكون امراة المظاهر امه حتى
تكون له امان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين وهو قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون
منهن امهاتكم وصورة الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يقول الله تعالى
ما جعل نساءكم اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة
نذكرها ان شا الله تعالى في سورة المجادلة وما جعل ادعياءكم اي من تتبنونه ابناءكم وفيه
نسخ التبني وذلك ان الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه
الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة بن شراحيل
الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله

عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد
امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية ونسخ بها التبني
ذلكم قولكم بافواهكم اي لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد وادعا نسب لا حقيقة له
والله يقول الحق اي قوله الحق وهو يهدي السبيل اي يرشد الى سبيل الحق ادعوهم لابائهم
اي الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة هو اقسط عند الله اي اعدل عند الله ق عن ابن عمر
ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن رسول الله حتى
نزل القران ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم
في الدين ومواليكم اي كانوا محررين وليسوا بنيكم اي فسموهم باسما اخوانكم في الدين
وقيل معنى مواليكم اولياؤكم في الدين وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اي قبل النهي
فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت قلوبكم اي من دعاهم الى غير ابائهم بعد النهي وقيل
فيما اخطاتم به ان تدعوه لغير ابيه وهو يظن انه كذلك وكان الله غفورا رحيما
ق عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير ابيه
وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام قوله عز وجل النبي اولى بالمومنين من انفسهم
اي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته قال ابن عباس يعني اذا دعاهم
النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شي كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى
بهم من طاعة انفسهم وهذا صحيح فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو اولى بهم في الحمل على الجهاد
وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب
فنستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت هذه الاية ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة اقرؤوا ان شئتم
النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن
ترك دينا او ضياعا فلياتني فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر
وقوله او ضياعا اي عيالا واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد
كان جمع ضائع قوله تعالى وازواجه امهاتهم يعني امهات المومنين في تعظيم الحرمة
وتحريم نكاحهن على التابيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام عليهن في حق الاجانب
ولا يقال لبناتهن اخوات المومنين ولا لاخوانهن واخواتهن اخوال المومنين وخالاتهم
قال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت ابي بكر وهي اخت عائشة ام المومنين ولم يقل هي خالة
المومنين وقيل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم امهات المومنين والمومنات الرجال والنسا
جميعا وقيل كن امهات الرجال دون النسا بدليل ما روي عن مسروق ان امراة قالت لعائشة

يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة
انما هو في تحريم نكاحهن واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث
قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته حتى
نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل في معنى الاية لا توارث بين المسلم
والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر في كتاب الله اي في حكم الله من المومنين
الذين اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم والمهاجرين والمعنى ذوي القرابات
بعضهم اولى بميراث بعض فنسخت هذه الاية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت
الموارثة بينهم بالقرابة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يعني الوصية للذين يتولونه
من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخا والهجرة اباح ان
يوصي لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة
بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا ان توصوا لذوي قرابتكم بشي وان كانوا من
غير اهل الايمان والهجرة كان ذلك اي الذي ذكر من ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض
في الكتاب اي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة مسطورا اي مكتوبا قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي على الوفا بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر
بعضهم ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم
ومنك يعني يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم ولا الخمسة
بالذكر من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرايع واولوا العزم من الرسل
وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين في الخلق
واخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا
شديدا على الوفا بما حملوا من تبليغ الرسالة ليسال الصادقين عن صدقهم يعني
اخذنا ميثاقهم لكي يسال الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة
في سوالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل
ليسال الصادقين عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم
عن صدقهم في قلوبهم واعد للكافرين عذابا اليما قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة ايام الخندق اذ جاتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان

ويهود قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا يعني الصبا قال عكرمة
قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا
ق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور وقيل ان الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ازالت حزنه وقوله تعالى
وجنودا لم تروها يعني الملايكة ولم تقاتل الملايكة يوميذ فبعث الله عز وجل
تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات
النيران واكفات القدور وجالت بعضها في بعض وكثر تكبير الملايكة في جوانب
عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال
النجا النجا فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما يعملون
بصيرا ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب قال البخاري قال موسى بن عقبة
كانت في شوال سنة اربع روى محمد بن اسحاق عن مشايخه قال دخل حديث
بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب
وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوايلي في نفر من بني
النضير ونفر من بني وايل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش
يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد
فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين
قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت
والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم
ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوا
على ذلك ثم خرج اوليك النفر من اليهود حتى جاوا غطفان من قيس غيلان فدعوهم
الى ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك
واجابوهم فخرجت قريش وقايدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان
وقايدهم عيينة بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحرث بن عوف بن ابي حارثة
المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن بايعه من قومه من اشجع
فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق
على المدينة وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي

وكان ولم يشهد مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال
يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق
عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار
في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار
سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف
كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين
ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت ذوباب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة
كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يامرنا
فيها بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة
بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها
قليل ولا كثير فامرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق والتسعة على شفة الخندق
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق
منها برق اضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى لكان مصباحا في جوف بيت
مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى
لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح
وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها
برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد سلمان ورقي
فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله لقد رايت شيئا ما رايت مثله
قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال ارايتم
ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق
الذي رايتم فاضاءت لي منها قصور الحيرة ومداين كسرى كانها انياب الكلاب
واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق
الذي رايتم اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب فاخبرني

جبريل

جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة
فبرق لي الذي رايتم فاضاءت لي منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب
فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر
المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون
ان تبرزوا قال فنزل القران واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله قل اللهم مالك الملك الاية وعن
انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون
والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى
ما بهم فيه من النصب والجوع فقال اللهم ان العيش عيش الاخره فاغفر للانصار
والمهاجره فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا
وعن البرا قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول
والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا والمشركون قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا
ورفع بها صوته وفي رواية ولقد وارى التراب بياض بطنه رجعنا الى
حديث ابي اسحاق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق
اقبلت قريش حتى اجتمعت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة
الاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان
ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين
فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء
فرفعوا الى الاطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب من بني النضير حتى اتى
كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى
الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي بن اخطب اغلق دونه
حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح فقال ويحك
يا حيي انك امرؤ مشؤوم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم
ار منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح اكلمك قال ما انا بفاعل قال والله
ان اغلقت دوني الا على جشيشتك ان اكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال

ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها
وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها
وسادتها حتى انزلتهم بذنب نقمى الى جانب احد قد عاهدوني وعاقدوني
ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل
الدهر وبجهام قد هراق ماوه يرعد ويبرق ليس فيه شي دعني ومحمدا وما
انا عليه فاني لم ار من محمد الا صدقا ووفا فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله
في الذروة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا لين رجعت
قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض
كعب بن اسد العهد وبرى مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل وهو يوميذ
سيد الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة وهو يوميذ سيد الخزرج
ومعهما عبد الله بن رواحة اخو بني الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير
اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا اما بلغنا عن هولا القوم احق
ام لا فان كان حقا فالحنوا الي لحنا اعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وان كانوا على
الوفا فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على
اخبث ما بلغهم عنهم وقالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا
وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال
سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل
سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل
والقاره لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب
الرجيع خبيب بن عدي واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر
ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلا واشتد الخوف واتاهم عدوهم
من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المومنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين
حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز
كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغايط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
وحتى قال اوس بن قيظي احد بني حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو
وذلك على ملا من رجال قومه فاذن لنا ان نرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة
فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة

قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلا على
الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن
عوف وهما قايدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا بمن
معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح
حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فقالا يا رسول الله اشي
امرك الله به لا بد لنا من العمل به ام امر تحبه فتصنعه ام شي تصنعه لنا قال
بل شي اصنعه لكم والله ما اصنع ذلك الا اني قد رايت العرب قد رمتكم عن
قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد
ابن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهولا القوم على شرك بالله وعبادة الاوثان
لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يستطيعون ان ياكلوا منا ثمرة واحدة الا قرى او بيعا
فحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة
والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال
ليجهدوا علينا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم
ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لوي
وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار
ابن الخطاب ومرداس اخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم
فمروا على بني كنانة فقالوا تهيوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان
ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما راوه قالوا والله هذه مكيدة كانت
العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه
فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من
المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان تعنق نحوهم
وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان
يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال يا عمرو انك كنت
تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا اخذت منه احدهما قال اجل
قال له علي فاني ادعوك الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال اني ادعوك
الى النزال قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال علي لكني والله احب ان
اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم اقبل على علي

ثنْنا ولا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق
هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار
اصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم
الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه
فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده
وثمنه فشانكم فخلى بينهم وبينه قالت عائشة ام المؤمنين كنا يوم الخندق
في حصن بني حارثة وكان من احرز حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ
في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع
مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول لبث قليلا يدرك
الهيجا حمل لا باس بالموت اذا حان الاجل فقالت له الحق يا بني فقد والله اخرت
فسألت عائشة فقلت يا ام سعد والله لوددت ان درع سعد كانت اسبغ مما هي
وخفت عليه حيث اصاب السهم منه قالت فرمي سعد يوميذ بسهم فقطع منه
الاكحل رماه حباب بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال خذها
وانا ابن العرقة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت
من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم اذوا
رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله
لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه
في الجاهلية قال محمد بن اسحاق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في
فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النسا والصبيان
قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو
قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر
عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا ات قالت فقلت
يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما امنه ان يدل على عورتنا
من ورانا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل
اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب
هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت
من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن
فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه

حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل
منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فامرني بما شيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان
الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية
فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا
صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاوا لحرب محمد وقد
ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم
واولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان
اموالهم وابناؤهم ونساؤهم بغيره ان راوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان
غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم
به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون
بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت بالراي ونصح
ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي
اياكم وفراقي محمدا فقد بلغني امر رايت حقا علي ان ابلغكم نصحا لكم فاكتموا علي قالوا
نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما صنعوا بينهم وبين محمد
وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من قريش وغطفان
رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل
اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم
رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انتم اصلي وعشيرتي
واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل
فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من
شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل ابو سفيان
ورووس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا
لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا
ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيا
وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك
بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز

محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تشمروا الى بلادكم
وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل
بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم نعيم
ابن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من
رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين
انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان
يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا
بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم
حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح
في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفا قدورهم وتطرح انيتهم فلما انتهى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه
اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا روى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن
كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال قال فتى من اهل الكوفة
لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله رايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه
قال نعم يا ابن اخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى
والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا ولخدمناه
وفعلنا معه ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتني ليلة الاحزاب
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يقوم يذهب الى هولاء القوم فياتينا
بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل
ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال ما من
رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل
من شدة الخوف ومن شدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لي يا حذيفة ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته فاخذ بيدي
ومسح راسي ووجهي ثم قال ايت هولاء القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن
شيا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت علي اسلابي ثم انطلقت
امشي نحوهم كانما امشي في حمام فذهبت ودخلت في القوم وقد ارسل الله عليهم

حين ساروا

ريحا وجنودا تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناء فاذا ابو سفيان
قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان ارميه ولو رميته
لاصبته فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت
سهمي في كنانتي فلما راى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم
قدر ولا نار ولا بناء قام فقال يا معشر قريش لياخذ كل واحد منكم بيد جليسه
فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من انت فقال سبحان الله اما تعرفني
انا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما
اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا
عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله
وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم
وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو قائم يصلي فلما سلم
اخبرته فضحك حتى بدت انيابه في سواد الليل فلما اخبرته وفرغت قررت
وذهب عني الدفا فادناني النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علي
طرف ثوبه والصق صدري ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت فلما اصبحت
قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل اذ جاوكم من فوقكم اي من فوق الوادي من قبل
المشرق وهم اسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن
الفزاري في الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد
وحيي بن اخطب في يهود قريظة ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل
المغرب وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه
وابو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق
فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم واذ زاغت
الابصار اي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شي فلم تنظر الى عدوها
وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة
جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم
جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرية
رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره وتظنون بالله الظنونا
اي اختلفت الظنون فظن المنافقون استيصال محمد واصحابه وظن المومنون النصر
والظفر لهم هنالك ابتلي المومنون اي عند ذلك اختبر المومنون بالحصر والقتال

ليتبين المخلصون من المنافقين وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا حركة
شديدة واذ يقول المنافقون يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابي
واصحابه والذين في قلوبهم مرض اي شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا اي هو قول اهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام
وفارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز رحله هذا هو الغرور وقوله تعالى واذ قالت
طايفة منهم اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني
يا اهل المدينة وقيل يثرب الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في
ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها في قديم الزمان
وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقيل هي
طابة كانه كره هذه اللفظة لما فيه من التثريب وهو التقريع والتوبيخ لا مقام
لكم اي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه فارجعوا اي الى منازلكم عن اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال ويستاذن فريق منهم النبي يعني بني حارثة وبني
سلمة يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضايعة وهي مما يلي العدو ونخشى عليها
السراق فكذبهم الله تعالى فقال وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا اي انهم
لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال ولو دخلت عليهم من اقطارها يعني
لو دخل هولا الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحي المدينة وجوانبها
ثم سيلوا الفتنة اي الشرك لاتوها اي لجاوها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام
وما تلبثوا بها اي ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيرا اي لاسرعوا الاجابة الى الشرك
طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطا الكفر الا قليلا
حتى يهلكوا قوله عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوة الخندق
لا يولون الادبار اي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا
مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقيل هم
ناس غابوا عن وقعة بدر فلما راوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة
قالوا لين اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك وكان عهد الله مسولا
اي عنه في الاخرة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يعني الذي
كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل لا بد من ذلك واذا لا تمتعون الا
قليلا اي مدة اجالكم وهي قليل قل من ذا الذي يعصمكم اي يمنعكم من الله ان
اراد بكم سوا اي هزيمة او اراد بكم رحمة اي نصرا ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا اي ناصرا يمنعهم قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين

الناس عن رسول الله صلى الله وسلم والقايلين لاخوانهم هلم الينا اي ارجعوا
الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم
الهلاك وقيل هم ناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار النبي صلى الله عليه
وسلم ويقولون لهم ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم اي
ابتلعهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين
وذلك ان اليهود ارسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان
ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق
عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد الله بن ابي بن سلول
واصحابه على المومنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا
لين قدم اليوم عليكم لم يستبق منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو الا
ان يقتلنا ها هنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المومنون
بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا وقوله تعالى ولا ياتون الباس يعني الحرب
الا قليلا اي ريا وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا
اشحة عليكم اي بخلا بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن
فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم اي في رووسهم من الخوف والجبن
كالذي يغشى عليه من الموت اي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه اسبابه
فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب الخوف اي زال سلقوكم
اي اذوكم ورموكم في حالة الامن بالسنة حداد اي ذربة تفعل كفعل الحديد
قال ابن عباس معناه عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا السنتهم
وقيل وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق
بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند الحرب اجبن قوم اشحة على
الخير اي يشاحون المومنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال
اوليك لم يومنوا اي لم يومنوا حقيقة الايمان وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط
الله اعمالهم اي التي كانوا ياتون بها مع المسلمين قيل هو الجهاد وغيره وكان ذلك
على الله يسيرا اي احباط اعمالهم مع ان كل شي على الله يسير قوله تعالى يحسبون
يعني هولا المنافقين الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا
اي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم وان يات الاحزاب اي يرجعوا
اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي يتمنون لو انهم
كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف يسالون عن انبايكم اي اخباركم وما

الا اليه امركم ولو كانوا فيكم يعني هولا المنافقين ما قاتلوا الا قليلا يعني
يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم يقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو رمي بالحجارة
وقيل رياء من غير احتساب قوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
اي قدوة صالحة اي اقتدوا به اقتدا حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتواسوا رسوله
ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته
وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه
فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته لمن كان يرجو الله يعني ان الاسوة
برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله
واليوم الاخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزا وذكر الله كثيرا اي في جميع
المواطن على السرا والضرا ثم وصف حال المومنين عند لقا الاحزاب فقال تعالى
ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله اي قالوا ذلك تسليما
لامر الله وتصديقا بوعده وصدق الله ورسوله اي فيما وعد وهو في مقابلة قول
المشركين المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله
اي اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعترفون بصدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو
اشارة الى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس
وقيل انهم وعدوا ان تلحقهم شدة وبلا فلما راوا الاحزاب وما اصابهم من الشدة
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا اي تصديقا
بالله وتسليما اي لامره قوله تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
اي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي فرغ من نذره ووفى
بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني اجله فقتل على الوفا
يعني حمزة واصحابه وقيل قضى نحبه اي بذل جهده في الوفا بالعهد وقيل قضى
نحبه استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي بعد هولا من المومنين
ينتظرون احد الامرين اما الشهادة او النصر على الاعدا وما بدلوا يعني عهدهم تبديلا
ق عن انس بن النضر غاب عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت
المشركين لين الله اشهدني قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف
المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هولا يعني اصحابه وابرا اليك مما
صنع هولا يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ
الجنة ورب النضر اني اجد ريحها من دون احد قال سعد فما استطعت يا رسول
الله ما صنع قال انس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف وطعنة برمح او

رمية

رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه احد الا اخته
ببنانه قال انس كنا نرى ونظن ان هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى اخر الاية ق عن خباب بن الارت قال هاجرنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا من مات
ولم ياكل من اجره شيا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة وكنا اذا
غطينا بها راسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت راسه فامرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان نغطي راسه ونجعل على رجليه شيا من الاذخر ومنا من اينعت
له ثمرته فهو يهدبها النمرة كسا ملون من صوف وقوله ومنا من اينعت اي ادركت
ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها اي يجنيها
ويقطفها عن ابي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث غريب خ عن قيس بن ابي حازم قال رايت يد طلحة شلا وقى بها النبي
صلى الله عليه وسلم يوم احد قوله عز وجل ليجزي الله الصادقين بصدقهم
اي جزا صدقهم وصدقهم هو الوفا بالعهد ويعذب المنافقين ان شا او يتوب عليهم
اي فيهديهم الى الايمان ويشرح له صدورهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين
كفروا بغيظهم اي من قريش وغطفان اي لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم ينالوا
خيرا اي ظفرا وكفى الله المومنين القتال اي بالملايكة والريح وكان الله قويا اي في حكمه
عزيزا اي في انتقامه قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اي عاونوا الاحزاب
من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة
من صياصيهم اي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية وقذف في قلوبهم الرعب
اي الخوف فريقا تقتلون يعني الرجال يقال كانوا ستماية وتاسرون فريقا يعني النسا
والذراري يقال كانوا سبعماية قيل وخمسين واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم تطوها يعني بعد قيل هي خيبر يقال انها كانت مكة وقيل فارس والروم
وقيل اي ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة وكان الله على كل شي قديرا ذكر
غزوة بني قريظة قيل كانت في اخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري
المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة انها في سنة اربع قال العلما بالسير
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم
انصرف صلى الله عليه وسلم والمومنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما
كان الظهر اتى جبريل عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة

بعمامة من استبرق على بغلة بيضا عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ورسول
الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه وقد غسلت
شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا
الله عنك ما وضعت الملايكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الا من طلب
القوم وروي انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يامرك بالمسير الى بني قريظة
وانا عامد الى بني قريظة فانهض اليهم فاني قد قطعت اوتارهم وفتحت ابوابهم
وتركتهم في زلزال وبلبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن من كان سامعا
مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب برايته اليهم وابتدرها الناس وسار علي حتى دنا من الحصون سمع منها
مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنوا من هولا الاخابث قال اظنك
سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد راوني لم يقولوا من ذلك شيا فلما دنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم
نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه
بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا يا رسول الله مر بنا
دحية بن خليفة على بغلة بيضا عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال صلى الله
عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف
الرعب في قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بير من
ابارها في ناحية اموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشا الاخرة
ولم يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة
فصلوا العصر بها بعد عشا الاخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال العلما وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين
ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل
على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفا لكعب بن اسد
بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى
يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ما ترون واني
عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شيتم قالوا وما هن قال نتابع هذا
الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم

فتامنوا

فتامنوا على دياركم واموالكم وابنايكم ونسايكم فقالوا لا نفارق حكم التورية
ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فهلم فلنقتل ابناينا ونسانا
ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك ورانا ثقلا يهمنا
حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك ورانا شيا نخشى عليه
وان نظهر فلعمري لنتخذن النسا والابنا قالوا نقتل هولا المساكين فما في العيش
بعدهم خير قال فان ابيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد
واصحابه قد امنوا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد
سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من
المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر
قال ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث لنا ابا لبابة بن عبد المنذر
اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفا الاوس نستشيره في امرنا فارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وجهش النسا والصبيان
يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابا لبابة اترى ننزل على حكم محمد قال نعم واشار
بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد
خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات النبي صلى الله عليه وسلم
حتى ربط في المسجد الى عمود من عمده وقال والله لا ابرح مكاني حتى يتوب الله على
مما صنعت وعاهد الله لا يطا بني قريظة ابدا ولا يراني الله في بلد خنت الله
ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطا عليه قال
اما لو قد جاني لاستغفرت له فاما اذ فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه
حتى يتوب الله عليه ثم انزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك
فقلت مم ضحكت يا رسول الله اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة فقالت
الا ابشره لك يا رسول الله قال بلى ان شيت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل
ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار
الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه قال ثم ان ثعلبة
ابن سعيد واسيد بن سعيد واسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني
قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة
التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة

عمرو بن سعد القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن سلمة الانصاري
تلك الليلة فلما راه قال من هذا قال عمرو بن سعد وكان عمرو قد ابى ان يدخل مع بني قريظة
في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا اغدر بمحمد ابدا فقال محمد بن سلمة
اللهم لا تحرمني عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من ارض
الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض
الناس يزعم انه كان اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة ولا يدري اين ذهب فقال فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج
بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني
قينقاع وكانوا حلفا الخزرج فنزلوا على حكمه فساله اياه عبد الله بن ابي بن سلول
فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يا معشر الاوس
ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امراة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت
تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كان ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى
اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة اتاه قومه
فحملوه على حمار قد وطي له وسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله
انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال لقد ان لسعد ان لا تاخذه في الله لومة
لايم فرجع بعض من كان معه الى دار بني الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان
يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك
عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم وعلى من ها هنا في الناحية التي فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال
وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت

حكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار بنت الحارث امراة من نسا بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادقا ثم بعث اليهم فضرب
اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم اعدا الله ورسوله حيي بن اخطب
وكعب بن اسد راس القوم وهم ستماية او سبعماية والمكثر لهم يقول كانوا بين
الثمانماية الى السبعماية وقد قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال افي كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي
لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم
النبي صلى الله عليه وسلم واتي بحيي بن اخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها
عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه
بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من
يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس لا باس بامر الله كتاب وقدر وملحمة
كتبت على بني اسرايل ثم جلس فضرب عنقه وروي عن عايشة قالت لم يقتل من نسا بني
قريظة الا امراة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة
قالت انا والله قلت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث احدثته قالت
فانطلق بها فضربت عنقها وكانت عايشة تقول ما انسى عجبا من طيب نفسها وكثرة ضحكها
وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي كان اسم المراة نباتة امراة الحكم القرظي وكانت
قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان اعناق بني قريظة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحاق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي
ويكنى ابا عبد الرحمن وكان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه
فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن
هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني اريد ان اجزيك بيدك عندي قال ان
الكريم يجزي الكريم قال ثم اتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله علي منة وقد احببت ان اجزيه بها
فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فقال له ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فقال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة
فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اهله وولده فقال لك
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امراتك وولدك فهم لك فقال اهل بيت

بالحجاز لا مال لهم فابقنا وهم على ذلك فاتي ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما له يا رسول الله قال مولك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اعطاني مالك فهو لك فقال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مراة صينية
تتراي فيه عذارى الحي كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا
وحاميتنا اذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب
ابن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فاني اسالك بيدي عندك يا ثابت
الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعدها ولا من خير فما انا بصابر حتى القى
الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله حتى القى
الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا قال وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال بني قريظة ونساءهم
على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال فكان للفارس ثلاثة
اسهم سهمان للفرس ولفارسه سهم وللراجل ممن لا فرس له سهم فكانت الخيل ستة
وثلاثين فرسا وكان اول من وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سعد بن زيد الانصاري اخا بني الاشهل بسبايا من نساء بني قريظة الى نجد فابتاع
له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفى لنفسه من نسائهم
ريحانة بنت عمرو بن جنافة احد نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها
ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف
علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من امرها فبينما هو بين اصحابه
اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه
فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك فلما قضي شان بني قريظة
انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم
فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسولك
شيا فابقني لها وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني
اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي ضربت
عليه في المسجد قالت عايشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي

وكانوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم خ عن سليمان بن صرد قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلا الاحزاب الان نغزوهم
ولا يغزونا نحن نسير اليهم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شي بعده
قوله عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها
فتعالين امتعكن اي متعة الطلاق واسرحكن سراحا جميلا اي من غير ضرار وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما سبب
نزول هذه الاية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سالنه من عرض الدنيا شيا وطلبن
منه زيادة في النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه
وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا
قال فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شيت فقمت على
باب المسجد وناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت
هذه الاية ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
فكنت انا استنبطت هذا الامر وانزل اية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوميذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت
عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة
بنت جمعة واربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت
الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث
المصطلقية فلما نزلت اية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعايشة
وكانت احبهن اليه فخيرها اليه وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة
فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعها على ذلك فلما اخترن الله
ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد م عن جابر
ابن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس
جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له
فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساوه واجما ساكتا قال فقال
لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رايت بنت خارجة

سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن
حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها كلاهما يقول تسالين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقام
عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده
قلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن
شهرا او تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشة فقال يا عايشة
اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي حتى تستشيري ابويك قالت
وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية قالت افيك يا رسول الله استشير ابوي
بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك الا تخبر امراة من نسايك بالذي قلت
قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن
بعثني معلما ميسرا قوله واجا اي همسا والواجم الذي اسكته الهم وعلته الكابة
وقيل الوجوم الحزن قوله فوجات عنقها اي دققته وقوله لم يبعثني معنتا
العنت المشقة والصعوبة م عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل
على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة لما مضت تسع وعشرون
ليلة اعدهن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة فقالت تراني فقلت يا رسول
الله اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت مع تسع وعشرين اعدهن قال ان
الشهر تسع وعشرون فصل في حكم الاية اختلف العلما في هذا الخيار هل كان
ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الخيار ام لا فذهب الحسن وقتادة
واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن
الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على
الفور انه قال لعايشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق
يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن انفسهن
كان طلاقا التفريع على حكم الاية اختلف اهل العلم في حكم التخيير فقال
عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شي وان
اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى
وسفيان والشافعي واصحاب الراي الا عند اصحاب الراي يقع طلقة باينة اذا
اختارت نفسها وعند الاخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج
يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك
وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها

فطلقة باينة واكثر العلما على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شي ق
عن مسروق قال ما ابالي خيرت امراتي واحدة او ماية او الفا بعد ان تختارني ولقد
سالت عايشة فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا وفي
رواية فاخترنا فلم يعدد ذلك شيا قوله تعالى يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة
مبينة اي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لين اشركت ليحبطن عملك لا ان منهن
من اتت بفاحشة فان الله تعالى صان ازواج الانبيا عن الفاحشة وقال ابن
عباس المراد بالفاحشة النشوز وسو الخلق يضاعف لها العذاب ضعفين
اي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة
وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى
العبيد لكونه اولى بالمومنين من انفسهم فكذلك ازواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة
الحرة الى الامة وكان ذلك على الله يسيرا اي عذابها ومن يقنت منكن لله ورسوله
اي تطع الله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين اي مثلي اجر غيرها قيل
الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن
اشرف نسا العالمين واعتدنا لها رزقا كريما يعني الجنة قوله عز وجل يا نساء
النبي لستن كاحد من النسا قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر
غيركن من النسا الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ان اتقيتن
يعني الله فاطعتنه فان الاكرم عند الله هو الاتقى فلا تخضعن بالقول اي
لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وشهوة
وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن
والمراة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن وقلن
قولا معروفا اي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع
وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى قوله عز وجل وقرن في بيوتكن اي الزمن بيوتكن
وقيل هو امر من الوقار اي كن اهل وقار وسكون ولا تبرجن قيل التكسر والتغنج هو
والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الاولى
قيل هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام
كانت المراة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقيل كان ذلك
زمن نمرود الجبار كانت المراة تتخذ الدرع من اللولو فتلبسه وتمشي به وسط الطريق
ليس عليها شي غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى فيما بين
نوح وادريس وكانت الف سنة وان بطنين من ولد ادم عليه الصلاة والسلام كان

فطلقة

احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبل صباحا وفي النساء
دمامة وكانت نسا السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتي رجلا من اهل
السهل واجره نفسه فكان يخدمه واتخذ شيا مثل الذي يزمر به الرعاة فجا بصوت لم يسمع
الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوه يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه
في السنة فيتبرج النسا للرجال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم
في عيدهم ذلك فراي الناس وصباحتهن فاتي اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم
فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالي ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية قوم يفعلون مثل فعلهم
في اخر الزمان وقيل قد يذكر الاولي وان لم يكن لها اخري واقمن الصلاة اي الواجبة
واتين الزكاة اي المفروضة واطعن الله ورسوله اي فيما امر وفيما نهي انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اي من الاثم الذي نهي الله النسا عنه
وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضي وقيل الرجس الشك وقيل السو
اهل البيت هم نسا النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير
عن ابن عباس وتلا قوله تعالي واذكرن ما يتلي في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهو قول
عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة
وغيرهم الي انهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل عليه ما روي عن
عايشة ام المومنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط
مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جا علي فادخله فيه ثم
جا حسن فادخله فيه ثم جا حسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه مسلم المرط الكسا والمرحل بالحا المنقوش
صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور النسا عن ام سلمة قالت ان هذه الاية نزلت
في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
قالت وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست من اهل البيت فقال انك
الي خير انت من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكسا وقال اللهم هولا اهل بيتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر
اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

وقال زيد بن ارقم اهل البيت من حرم الصدقة بعده ال علي وال عقيل وال جعفر
وال العباس قوله تعالي واذكرن ما يتلي في بيوتكن من ايات الله اي القران والحكمة قيل
السنة وقيل يعني احكام القران ومواعظه ان الله كان لطيفا اي باوليايه واهل طاعته
خبيرا اي بجميع خلقه قوله عز وجل ان المسلمين والمسلمات الاية وذلك ان ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران ولم يذكر النسا بخير فما
فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية عن ام عمارة
الانصارية قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما اري كل شي الا للرجال
وما اري النسا يذكرن بشي فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وقيل ان ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النسا في شي من كتابه ونخشي ان
لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الاية وروي ان اسما بنت عميس رجعت من الحبشة مع
زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت علي نسا النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا
شي من القران قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النسا لفي
خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله ان
المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها معهم الاولي الاسلام
وهو الانقياد لامر الله تعالي وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يرد به
امر الله تعالي وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله والمومنين
والمومنات الثالثة الطاعة وهو قوله والقانتين والقانتات الرابعة الصدق في الاقوال
والافعال وهو قوله والصادقين والصادقات الخامسة الصبر على ما امر الله وفيما
شا وسر وهو قوله والصابرين والصابرات السادسة الخشوع في الصلاة وهو ان
لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله والخاشعين والخاشعات السابعة الصدقة
مما رزق الله وهو قوله والمتصدقين والمتصدقات الثامنة المحافظة على الصوم
وهو قوله والصايمين والصايمات التاسعة العفة وهو قوله والحافظين فروجهم
يعني عما لا يحل والحافظات العاشرة كثرة الذكر وهو قوله والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات وقيل لا يكون العبد منهم حتي يذكر الله قايما وقاعدا ومضطجعا وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال
الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطا بن رباح من فوض امره الي الله فهو داخل
في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه
فهو داخل في قوله والمومنين والمومنات ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل

في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله
والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية
فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه
وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل
اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في
كل شهر ايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل
في قوله والصايمين والصايمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله
والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل
في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات **اعد الله لهم مغفرة واجرا** اي لذنوبهم
عظيما يعني الجنة قوله تعالى **وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا**
ان تكون لهم الخيرة من امرهم نزلت هذه الاية في زينب بنت جحش الاسدية واخيها
عبد الله بن جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب على مولاه زيد بن
حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ
واعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه
يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول
الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضا جميلة وفيها حدة وكذلك كره اخوها
ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمومن يعني عبد الله بن جحش ولا مومنة يعني
اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا يعني نكاح زيد لزينب ان تكون لهم
الخيرة من امرهم اي الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما اراد الله وان
يمتنع مما امر الله ورسوله به **ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**
اي اخطا طريقا ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب واخوها رضيا وسلما
وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا فدخل بها وساق
اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا
وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله عز وجل **واذ تقول**
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية نزلت في زينب بنت
جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده
حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب
في درع وخمار وكانت بيضا جميلة ذات خلق من اتم نسا قريش فوقعت في نفسه

واعجبه

واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت
ذلك له ففطن زيد والقي في نفسه كراهيتها في الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شي قال لا والله يا
رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتوذيني بلسانها
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها ثم ان زيدا
طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اي بالاعتاق
وهو زيد بن حارثة مولاه امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش **واتق**
الله اي فيها ولا تفارقها **وتخفي في نفسك** اي تسر وتضمر في نفسك **ما الله مبديه**
اي مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس حبها وقيل ود لو انه
طلقها **وتخشى الناس** قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لايمتهم ان يقولوا امر
رجلا بطلاق امراته ثم نكحها **والله احق ان تخشاه** قال عمر وابن مسعود وعايشة
ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وعن عايشة
قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا من الوحي لكتم هذه الاية واذ
تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح فصل فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الاية وسبب نزولها من
وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما اراد وارادته طلاق زيد
لها فيه اعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم ومن مد عينيه
لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قايله وقلة
معرفته بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي
بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه صلى الله عليه
وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان
يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما في هذا الباب ما روي سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان
قال سالني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي
في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قلت يقول
الناس لما جا زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اريد ان
اطلق زينب فاعجبه ذلك وقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي
ابن الحسين ليس كذلك وكان الله عز وجل قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا
سيطلقها فلما جا زيد قال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك

وقد اعلمتك

ثم انبه الله تعالى وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون
من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبيا وهو مطابق للتلاوة لان الله
تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى
زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة
طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره
فدل على انه انما عوتب على اخفا ما اعلمه الله من انها ستكون زوجته وانما اخفى
ذلك استحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول
حسن مرضي وكم من شي يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو
في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما
كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين وهو
انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة
التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا
يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم فان قلت فما الفايدة في امر
النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها قلت هو ان الله تعالى اعلم نبيه
انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها واخفى في نفسه ما اعلمه
الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله تعالى
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان في امره بامساكها قمعا للشهوة وردا
للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه
اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها زيد ومثل ذلك في حال الانبيا مع ان العبد
غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشيا وانه راها فجاة فاستحسنها
ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسانه الحسن ونظرة الفجاة
معفو عنها ما لم يقصد فيه ما ثم لان الود وميل النفس من طبع البشر والله اعلم وقوله
امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية لا اثم فيه وقوله
والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام
قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق
بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشيا قوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا
اي حاجته منها ولم يبق له فيها ارب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه
وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضا الوطر ليعلم ان زوجة المتبني تحل بعد الدخول
بها زوجناكها قال انس كانت زينب تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول

ازوجكن

ازوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت
زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من امراة
من نسايك تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السما وان
السفير جبريل عليه السلام م عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى اتاها
وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر
اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت
يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة
شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران وجا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فقد رايتنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال
يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته
فجعل يتتبع حجر نسايه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت اهلك
قال فما ادري انا اخبرته ان قد خرجوا ام غيري قال فانطلق حتى دخل البيت
وذهبت لادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ق عن انس ما اولم
النبي صلى الله عليه وسلم على شي من نسايه ما اولم على زينب اولم بشاة وفي رواية
اكثر وافضل ما اولم على زينب قال ثابت بما اولم قال اطعمهم خبزا ولحما
حتى تركوه قوله عز وجل لكي لا يكون على المومنين حرج اي اثم في ازواج ادعيايهم
جمع الدعي وهو المتبني اذا قضوا منهن وطرا يقول زوجناك زينب وهي امراة
زيد الذي كنت تبنيته لتعلم ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان قد
دخل بها المتبني بخلاف امراة ابن الصلب فانها لا تحل للاب وكان امر الله
مفعولا اي قضا الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له اي فيما احل الله له من النكاح وغيره سنة الله في الذين خلوا من قبل سن
الله سنة في الانبيا وهو انه لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع
عليهم من باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحراير والسراري فقد كان لداود
ماية امراة ولسليمان سبعماية امراة وثلاثماية سرية فكذلك سن لمحمد صلى
الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم وكان امر الله قدرا مقدورا
اي قضا مقضيا ان لا حرج على احد فيما احل له ثم اثنى الله تعالى على الانبيا

بقوله الذين يبلغون رسالات الله اي فرايض الله وسننه واوامره ونواهيه الى
من ارسلوا اليهم ويخشونه اي يخافونه ولا يخشون احدا الا الله اي لا يخافون
قالة الناس ولا ئمتهم فيما احل لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا اي حافظا
لاعمال خلقه ومحاسبهم قوله عز وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه
فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن ابا
رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده
من حرمة الصهر والنكاح فان قلت قد كان له ابنا القاسم والطيب والطاهر
وابراهيم وقال الله ان ابني هذا سيد قلت قد اخرجوا من النفي بقوله من رجالكم
وهو لا لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل اراد بالرجال الذين لم يلدهم ولكن رسول الله
اي كل رسول هو ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم ووجوب
الشفقة والنصيحة لهم عليه وخاتم النبيين ختم الله به النبوة فلا نبوة
بعده قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا
وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وكان الله
بكل شيء عليما اي دخل في علمه انه لا نبي بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه
السلام ينزل في اخر الزمان بعده وهو نبي قلت ان عيسى عليه السلام
ممن نبي قبله وحين ينزل في اخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ومصليا الى قبلته كانه بعض امته ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبيا من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله
الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له
ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن
جابر نحوه وفيه جيت فختمت الانبيا ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي
وقد سماه الله رؤفا رحيما م عن ابي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة والمقفي
هو المولى الذاهب يعني اخر الزمان المتبع فاذا قفى فلا نبي بعده قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده
فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل
له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به
في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال
الله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة
والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا وسبحوه
معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه
عن كل سوء بكرة واصيلا فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه
الوسط ايضا وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة
العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشا وقيل معنى سبحوه قولوا
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثيرا
هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحايض والمحدث هو الذي يصلي عليكم
وملائكته فالصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار للمومنين وقيل
الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده والثنا عليه قال
انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا
رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله هذه الاية ليخرجكم من الظلمات
الى النور يعني انه برحمته وهدايته ودعا الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر
الى نور الايمان وكان بالمومنين رحيما فيه بشارة لجميع المومنين واشارة الى
قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المومنين
تحيتهم يعني تحية المومنين يوم يلقونه اي يرون الله يوم القيمة سلام
اي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الافات وروي عن البرا بن عازب
قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مومن
الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن
قال ربك يقريك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم
تبشرهم واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة قوله عز وجل يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا اي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ومبشرا
اي لمن امن بالجنة ونذيرا اي لمن كذب بالنار وداعيا الى الله اي الى توحيده وطاعته
باذنه اي بامره وسراجا منيرا سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك
واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله
بنور نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من

السرج ما لا يضي فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاة
من السراج وانور قلت نور الشمس لا يمكن ان يوخذ منه شي بخلاف نور السراج
فانه يوخذ منه انوار كثيرة وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي
ما يتفضل به عليهم زيادة علي الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو
تفضيل هذه الامة علي ساير الامم ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم
قال ابن عباس اي اصبر علي اذاهم وقيل لا تجازيهم عليه وهذا منسوخ باية القتال
وتوكل علي الله وكفي بالله وكيلا اي حافظا قوله تعالي يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن ففي الاية دليل علي ان
الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق علي النكاح حتي لو قال
لامراة اجنبية اذا نكحتك فانت طالق او قال كل امراة انكحها فهي طالق
فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعايشة وبه قال
سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن
وعكرمة وعطا وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل
العلم وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول
ابراهيم النخعي واصحاب الراي وقال الربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امراة
وقع وان عم فلا يقع وروي عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا علي ابن مسعود
وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول
اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروي عن عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما
لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك اخرجه ابو داود والترمذي
بمعناه خ عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخاري
في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق
قبل النكاح فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تحصونها بالاقرا والاشهر اجمع
العلما انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الي ان الخلوة
توجب العدة والصداق فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا
اذا لم يكن سمي لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف
الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله فلها نصف
ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة لها من نصف المهر وقيل انها
تستحق المتعة بكل حال لظاهر الاية وسرحوهن سراحا جميلا اي خلوا سبيلهن

بالمعروف

بالمعروف من غير اضرار بهن قوله عز وجل يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن وما ملكت يمينك مما افا الله عليك اي من السبي
فملكتها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له
ابراهيم وبنات عمك وبنات عماتك يعني نسا قريش وبنات خالك وبنات خالاتك
يعني نسا بني زهرة اللاتي هاجرن معك اي الي المدينة فمن لم يهاجر منهن
لم يجز له نكاحها عن ام هاني بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الاية
قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقا اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل وامراة مومنة ان وهبت نفسها
للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين اي احللنا لك
امراة مومنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المومنة فلا تحل له اذا
وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب جماعة الي انها لا تحل له
لقوله وامراة مومنة فدل ذلك علي انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصايص
صلى الله عليه وسلم النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود
ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المومنين والزيادة علي اربع ووجوب تخيير
النسا واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب اكثرهم
الي انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري
ومجاهد وعطا وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي
واهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول
اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الي انه كان ينعقد في
حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالي خالصة لك من دون
المومنين وذهب اخرون الي انه لا ينعقد الا بالانكاح والتزويج كما في حق ساير
الامة لقوله تعالي ان اراد النبي ان يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر
لا في لفظ النكاح واختلف في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
وهل كانت عنده امراة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم تكن عند النبي صلى الله
عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امراة الا بعقد نكاح او
بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها علي سبيل الشرط والجزا وقال اخرون بل كانت
عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية
الهلالية ام المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين

والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي
هي خولة بنت حكيم من بني سليم وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي اوجبنا
على المومنين في ازواجهم اي من الاحكام وهو ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا
الا بولي وشهود وما ملكت ايمانهم اي ما اوجبنا من الاحكام في ملك اليمين لكيلا يكون
عليك حرج وهذا يرجع الى اول الاية معناه احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك
والموهوبة لكيلا يكون عليك ضيق وكان الله غفورا اي للواقع في الحرج رحيما اي
بالتوسعة على عباده قوله تعالى ترجي اي تؤخر من تشا منهن وتووي اليك اي تضم اليك
من تشا قيل هذا القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كان واجبا
عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار
اليه فيهن وقيل نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله
عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت اية التخيير
فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله
على انهن امهات المومنين لا ينكحهن ابدا وعلى انه يووي اليه من يشا منهن ويرجي من
يشا فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعضهن دون بعض او فضل بعضهن
في النفقة والكسوة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشا وكان ذلك من خصايصه
صلى الله عليه وسلم فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا في انه هل
اخرج احدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان صلى الله عليه
وسلم مع ما جعله الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة فانها رضيت
بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعايشة وقيل اخرج بعضهن روي عن
ابي رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من
مالك ونفسك ما شيت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى عايشة وحفصة وميمونة وسودا
وصفية وجويرية وكان يقسم بينهن سوا وارجا منهن خمسا ام حبيبة
وميمونة وكان يقسم لهن ما يشا وقال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا
وقال الحسن تترك نكاح من شيت وتنكح من شيت من نسا امتك قال وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشا من المومنات اللاتي يهبن انفسهن لك
فتوويها اليك وتترك من تشا فلا تقبلها وعن عروة قال كانت خولة بنت حكيم
من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة

انها

انها تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قالت يا رسول الله ما ارى
ربك الا يسارع في هواك ومن ابتغيت ممن عزلت اي طلبت ان تووي اليك امراة
ممن عزلتهن عن القسمة فلا جناح عليك اي لا اثم عليك فاباح الله له ترك
القسم لهن حتى انه ليوخر من يشا منهن في نوبتها ويطا من يشا منهن في غير
نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على ساير الرجال ذلك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن اي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن
واطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى ويرضين بما
اتيتهن اي اعطيتهن كلهن من تقريب في رجا وعزل وايوا والله يعلم ما في
قلوبكم اي من امر النسا والميل الى بعضهن وكان الله عليما اي بما في ضمايركم حليما
اي عنكم قوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد اي من بعد هولا التسع اللاتي اخترنك
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن
ذلك وحرم عليه النسا سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن
عباس واختلف هل ابيح له النسا بعد ذلك فروي عن عايشة انها قالت ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا اخرجه الترمذي وقال حسن
صحيح وللنساي عنها حتى احل له ان يتزوج من النسا ما شا وقال انس مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نساء
النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له
قوله لا يحل لك النسا من بعد قال انما احل له ضربا من النسا فقال تعالى يا ايها
النبي انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا يحل لك النسا من بعد وقيل
في معنى الاية لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان
تبدل بهن من ازواج اي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا يكون امهات
المومنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك اي من الكتابيات ان يتسرى
بهن وقيل في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون
بازواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله تعالى
ولا ان تبدل بهن من ازواج اي تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك
وتاخذ زوجته فحرم ذلك الا ما ملكت يمينك اي لا باس ان تبادل بجاريتك
ما شيت فاما الحراير فلا ولو اعجبك حسنهن يعني ليس لك ان تطلق احدا من
نسايك وتنكح بدلها اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس يعني اسما بنت
عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد جعفر اراد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهى عن ذلك الا ما ملكت يمينك قال ابن عباس ملك بعد هولا مارية وكان الله على كل شيء رقيبا اي حافظا وفي الاية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النسا ويدل عليه ما روي عن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيا (نسا) قال الحميدي يعني الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امراة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان يدوم بينكما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام الاية قال المفسرون نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال وكان امهاتي يواظبنني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت اعلم بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبي بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جا عتبة حجرة عايشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عايشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وانزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق ق عن عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشا وكانت امراة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع

الخالية

الخالية لقضا الحاجة من البول والغايط والصعيد وجه الارض والافيح الواسع ق عن انس وابن عمر ان عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسايك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب واجتمع نسا النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام يعني الا ان تدعوا الى الطعام فيؤذن لكم فتاكلون غير ناظرين اناه يعني منتظرين نضجه ووقت ادراكه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اي اكلتم الطعام فانتشروا اي فاخرجوا من منزله وتفرقوا ولا مستانسين لحديث اي لا تطلبوا الجلوس لياناس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اي فيستحيي من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يترك تاديبكم وبيان الحق حيا ولما كان الحيا مما يمنع الحي من بعض الافعال قال لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي وهذا ادب ادب الله به الثقلا وقيل حسبك في الثقلا ان الله لا يحتملهم واذا سالتموهن متاعا اي واذا سالتم وهن نسا النبي صلى الله عليه وسلم فاسلوهن من وراء حجاب اي من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امراة من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم منتقبة كانت وغير منتقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي من الريب وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اي ليس لكم اذاه في شي من الاشيا ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نكحن عايشة قيل هو طلحة بن عبد الله فاخبر الله ان ذلك محرم ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان من الناس من يفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده ان تبدوا شيا اي من امر نكاحهن على السنتكم او تخفوه اي في صدوركم فان الله كان بكل شي عليما اي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن اضمر نكاح عايشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من

الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا فنزلت هذه الاية ولما نزلت
اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن ايضا نكلمهن من ورا
حجاب فانزل الله عز وجل لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا
ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اي لا اثم عليهن في ترك الحجاب عن هولاء الاصناف من
الاقارب ولا نسائهن قيل اراد به النسا المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول
على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وانما قال
ولا نسائهن لانهن من اجناسهن ولا ما ملكت ايمانهن اختلفوا في عبد المراة هل يكون
محرما لها ام لا فقال قوم يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن وقال قوم العبد
كالاجانب والمراد من الاية الاما دون العبيد واتقين الله ان يراكن احد غير هولا ان
الله كان على كل شي اي من اعمال العبيد شهيدا قوله عز وجل ان الله وملايكته يصلون
على النبي قال ابن عباس اراد ان الله يرحم النبي والملايكة يدعون له وعنه ايضا هو
يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله رحمة ومن الملايكة الاستغفار فصلاة
الله ثناوه عليه عند ملايكته وصلاة الملايكة الدعا يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه اي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما اي حيوه بتحية الاسلام فصل
في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضايلها اتفق العلما على وجوب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو
الاكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب الامام الشافعي
واحدى الروايتين عن احمد وقيل تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي
من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة ق عن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه
وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله علمنا كيف نسلم عليك وكيف نصلي عليك
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد
مجيد ق عن ابي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد م عن
ابي مسعود البدري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن
عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك يا رسول الله
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم

وبارك

وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد
علمتم م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى
الله عليه بها عشرا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات
اخرجه النساي وله عن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا ذات يوم
والبشر في وجهه فقلت انا لنرى البشر في وجهك قال اتاني الملك فقال يا محمد
ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم
عليك احد الا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام عن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات
المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اخرجه ابو داود
قوله عز وجل ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا
مهينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد
الله مغلولة وقالوا ان الله فقير واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وقالوا ثالث ثلاثة
واما المشركون فقالوا الملايكة بنات الله والاصنام شركاوه خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن
له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته
واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يوذيني
ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث
انه كان من عادة العرب في الجاهلية ان يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم
ان الذي يصيبهم من افعال الدهر فقال الله تعالى انا الدهر اي انا الذي احل بهم النوازل
وانا فاعل لذلك وينسبونه الى الدهر في زعمهم وقيل معنى يوذون الله يلحدون في
اسمايه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يقول الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا

حبة او شعيرة وقيل يوذون الله اي يوذون اوليا الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وقال تعالى من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكره ذلك
على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى واما ايذا الرسول
فقال ابن عباس انه شج وجهه وكسرت رباعيته ساحر شاعر معلم مجنون والذين يوذون
المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا اي من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقعون
فيهم ويرمونهم بغير جرم فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا قيل انها نزلت في علي بن ابي
طالب كانوا يوذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شان عايشة وقيل نزلت في الزناة
الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتتبعون النسا اذا برزن بالليل لقضا حوايجهن
فيتبعون المراة فان سكتت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاما
ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة في درع
وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
والذين يوذون المومنين الاية ثم نهى الحراير ان يتشبهن بالاما فقال يا ايها النبي قل
لازواجك وبناتك ونسا المومنين يدنين اي يرخين ويغطين عليهن من جلابيبهن جمع
جلباب وهو الملاة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكلما
يستتر به من كسا وغيره قال ابن عباس امر نسا المومنين ان يغطين روسهن ووجوههن
بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حراير وهو قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن
فلا يوذين اي لا يتعرض لهن وكان الله غفورا رحيما اي لما سلف منهن قال انس مرت
بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحراير
الق القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل
مثل قولك يا خسيس قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون اي عن نفاقهم والذين في قلوبهم
مرض اي فجور وهم الزناة والمرجفون في المدينة اي بالكذب وذلك ان ناسا منهم اذا
خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا
ويقولون قد اتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا ويفشوا الاخبار لنغرينك بهم اي لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم
ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي يساكنونك في المدينة الا قليلا اي حتى يخرجوا منها
وقيل نسلطك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة ملعونين اي مطرودين اينما
ثقفوا اي وجدوا وادركوا اخذوا وقتلوا تقتيلا اي الحكم فيهم على الامر به
سنة الله اي كسنة الله في الذين خلوا من قبل اي في المنافقين والذين فعلوا مثل فعل

هولا ان يقتلوا حيث ما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل يسالك الناس
عن الساعة قيل ان المشركين كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام
الساعة استعجالا على سبيل الهزو وكان اليهود يسالونه عن الساعة امتحانا لان
الله تعالى عمى علم وقتها في التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم
بقوله قل انما علمها عند الله يعني ان الله تعالى قد استاثر به ولم يطلع عليه ملكا ولا
نبيا وما يدريك اي شي يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها لعل الساعة تكون قريبا
اي انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار
اي تتقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
اي في الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعني رؤسا الكفر الذين لقنوهم
الكفر وزينوه لهم فاضلونا السبيلا يعني على سبيل الهدى ربنا اتهم يعنون السادة
والكبرا ضعفين من العذاب يعني ضعفي عذاب غيرهم والعنهم لعنا كبيرا اي لعنا متتابعا
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا اي فطهره الله
مما قالوا فيه وكان عند الله وجيها اي كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند
الله لا يسال شيا الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا
واختلف فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه قال كانت بنو
اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل
وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر قال فذهب مرة يغتسل
فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى باثره يقول ثوبي حجر حتى نظرت
بنو اسرايل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه
قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة
من ضرب موسى بالحجر اخرجه البخاري ومسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شيا من جلده استحيا فاذاه من
اذاه من بني اسرايل فقالوا ما يتستر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما
ادرة واما افة وان الله اراد ان يبريه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه
على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ
موسى عصاه وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرايل
فراوه عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه
وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا

فذلك قوله يا يها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسي فبراه الله مما قالوا وكان
عند الله وجيها الادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله تجمع اي اسرع وقوله ثوبي حجر
اي دع ثوبي يا حجر قوله وطفق اي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا بفتح النون والدال وهو
الاصح واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولونه
ندبا بسكون الدال وقيل في معني الاية ان اذاهم اياه انه لما مات هارون في التيه ادعوا
علي موسي انه قتله فامر الله تعالي الملائكة حتي مروا به علي بني اسرايل فعرفوا انه لم
يقتله فبراه الله مما قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسي بنفسها علي راس
الملا فعصمها الله وبرا موسي من ذلك واهلك قارون ق عن عبد الله بن مسعود قال لما
كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في الغنيمة فاعطى الاقرع بن
حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب
واثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله
فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير
وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله
موسي قد اوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم قوله
تعالى يا يها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا
وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اي ظفر بالخير العظيم
قوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية قال ابن عباس اراد
بالامانة الطاعة والفرايض التي فرضها الله علي عباده عرضها علي السموات والارض
والجبال علي انهم اذا ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات
وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال
والميزان واشد من هذا كله الودايع وقيل جميع ما امروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم
وغسل الجنابة وما يخفى من الشرايع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان
الفرج وقال هذه الامانة استودعكها فالفرج امانة والاذن والعين امانة واليد امانة
والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن عباس هي امانات الناس والوفاء بالعهود
فحق علي كل مومن ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شي لا في قليل ولا كثير فعرض الله هذه الامانة
علي اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف فقال
لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن
قلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما

لدين الله تعالى الا يقيموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا
لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره
ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن
الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض علي السموات والارض
هو العرض علي اهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول العلماء فابين ان يحملنها
واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان يعني ادم
قال الله عز وجل لادم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها
فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات
عوقبت فتحملها ادم فقال بين اذني وعاتقي قال الله اما اذا تحملت فسا عينك
واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الي ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل
للسانك لحيين وغلافا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه
علي ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان خرج من الجنة الا مقدار
ما بين الظهر والعصر وقيل انما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقله محملا انه
عرض علي اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يحتمله ويستقل به فابي
حمله واشفق منه وحملها الانسان علي ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا قال ابن
عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصي ربه
جهولا اي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف
بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل في تفسير الاية قول اخر وهو ان الله تعالى ايتمن السموات
العظام والارض والجبال علي شي وايتمن ادم واولاده علي شي فالامانة في حق الاجرام
العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فابين ان يحملنها اي ادين الامانة ولم تخن
فيها واما الامانة في حق بني ادم وهو ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرايض وقوله وحملها
الانسان اي خان فيها وعلي هذا القول حكي عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق
حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى فصل في الامانة
ق عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رايت
احدهما وانا منتظر الاخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل
القران فعلموا من القران وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل
النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض
الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته علي رجلك فيسقط فتراه منتبرا
وليس فيه شي ثم اخذ حصاة فدحرجه علي رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد

احد يودي الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده
ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد اتى علي زمان وما
ابالي ايكم بايعت لين كان مسلما ليردنه علي دينه وان كان نصرانيا او يهوديا ليردنه
علي ساعيه واما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت في جذر قلوب
الرجال جذر الشي اصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة في الشي من غير لونه والمجل
غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هي النفاطات في الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر
المنتفخ وليس فيه شي خ عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس
يحدث القوم فجا اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث
فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال
اين السايل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة
قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وعنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه
ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات اي بما خانوا الامانة ونقضوا العهد ويتوب الله
على المومنين والمومنات اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة
ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان المومن فيتوب عليه اي
يعود عليه بالمغفرة والرحمة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات وكان الله غفورا
رحيما والله اعلم تفسير سورة سبا وهي مكية وهي اربع وخمسون اية وثمانماية وثلاثة
وثلاثون كلمة والف وخمسماية واثني عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق ان يحمد
ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في
الارض اي ملكا وخلقا وله الحمد في الاخرة اي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين
كلها منه فكما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الاخرة وقيل الحمد في الاخرة
هو حمد اهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس وهو الحكيم اي الذي
احكم امور الدين الخبير اي بكل ما كان وما يكون يعلم ما يلج في الارض اي من المطر والكنوز
والاموات وما يخرج منها اي من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا
وما ينزل من السما من المطر والثلج والبرد وانواع البركات والملايكة وما يعرج فيها اي في
السما من الملايكة واعمال العباد وهو الرحيم الغفور اي للمفرطين اي في ادا ما وجب
عليهم من شكر نعمه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة معناه انهم انكروا البعث

وقيل استبطوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية قل بلى وربي
لتاتينكم يعني الساعة عالم الغيب اي لا يفوت علمه شي من الخفيات واذا كان كذلك
اندرج في علمه وقت قيام الساعة والفا اتية لا يعزب عنه اي لا يغيب عنه مثقال
ذرة اي وزن ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك اي من الذرة ولا اكبر الا
في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك لهم مغفرة
اي لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة والذين سعوا في اياتنا اي في ابطال ادلتنا معجزين
اي يحسبون انهم يفوتوننا اوليك لهم عذاب من رجز اليم قيل الرجز اسوا العذاب
ويرى الذين اوتوا العلم يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي انزل اليك من ربك يعني القران هو الحق يعني
انه من عند الله ويهدي يعني القران الى صراط العزيز الحميد اي الى دين الاسلام وقال الذين كفروا
اي المنكرين للبعث المتعجبين منه هل ندلكم اي قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل ينبيكم
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب وهي انكم اذا مزقتم
اي قطعتم كل ممزق كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد اي يقول
انكم تبعثون وتنبتون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا افترى على الله كذبا اي هو
مفتري على الله كذبا فيما ينسبه اليه من ذلك ام به جنة اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه
على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد من الافترا والجنون في شي وهو مبرا منهما بل
الذين لا يومنون بالاخرة يعني منكري البعث في العذاب والضلال البعيد اي من الحق في الدنيا
افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض اي فيعلموا انهم حيث كانوا فان ارضي
وسماي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا قادر عليهم ان نشا نخسف بهم الارض
اي كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا من السما كما فعلنا باصحاب الايكة ان في ذلك
اي فيما ترون من السما والارض لاية اي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت لكل عبد منيب
اي تايب راجع الى الله تعالى بقلبه قوله عز وجل ولقد اتينا داود منا فضلا يعني النبوة
والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما اوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به يا جبال
اوبي معه اي وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح
والطير اي وامرنا الطير ان تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح او بالنياحة اجابته
الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل او فتور اسمعه
الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له والنا له الحديد يعني كان الحديد في يده كالشمع او العجين
يعمل به ما يشا من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك
بني اسرايل كان من عادته ان يخرج الى الناس متنكرا فاذا راى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وساله

عن داود فيقول ما تقولون في داود والبكم هذا فيثنون عليه ويقولون خيرا فقبض الله
له ملكا في صورة ادمي فلما راه داود تقدم اليه على عادته وسأله فقال الملك نعم
الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه السلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال
انه ياكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله تعالى ان يسبب
له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد
وعلمه صنعة الزرد وانه اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفايح وقيل انه كان
يبيع كل درع باربعة الاف فياكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقرا والمساكين
وقد صح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود لا ياكل الا من عمل يده **ان**
اعمل سابغات اي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم
درعا **وقدر في السرد** اي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل
المسامير دقاقا فتقلق ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد اي اجعله
على القصد وقدر الحاجة **واعملوا صالحا** يريد داود واله **اني بما تعملون بصير** قوله تعالى
ولسليمان الريح اي وسخر لسليمان الريح **غدوها شهر ورواحها شهر** معناه مسير غدو تلك
الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد
مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح
من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى
بالري ويتعشى بسمرقند **واسلنا له عين القطر** اي اذبنا عين النحاس قال اهل التفسير اجريت
له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن كجري الما وكان بارض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان
النحاس كما الان لداود الحديد **ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه** اي بامر ربه قال ابن عباس
سخر الله الجن لسليمان وامرهم بطاعته فيما يامرهم به **ومن يزغ** اي يعدل **منهم** اي من الجن
عن امرنا اي الذي امرنا به من طاعة سليمان **نذقه من عذاب السعير** قيل هذا في الاخرة
وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة
سليمان ضربه بذلك السوط ضربة احرقته **يعملون له ما يشا من محاريب** اي مساجد وقيل
هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا
له بيت المقدس وذلك ان داود ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه لم اقض ذلك
على يدك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اقضي تمامه على يده فلما توفي داود
واستخلف سليمان احب تمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال
فخص كل طايفة بعمل فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنه
وامر ببنا المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا

من الاسباط فلما فرغ من بنا المدينة ابتدا في بنا المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم
من يستخرج الذهب والفضة من معادنها ومنهم من يستخرج الجواهر والياقوت والدر
الصافي من اماكنها ومنهم من ياتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنه فاتي من ذلك
شي كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها
الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللالي فبنى المسجد بالرخام الابيض
والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة
ورصع سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وساير الجواهر وبسط ارضه بالواح
الفيروزج فلم يكن على تلك الارض يومئذ بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد فكان يضي
في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بني اسرايل واعلمهم انه بناه لله
تعالى وان كل شي فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل
حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال
الله عز وجل حين فرغ من بنا المسجد لا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه من
خطيئته كيوم ولدته امه اخرجه النساي ولغير النساي سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين
وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه اي لا ينهضه الا الصلاة
قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدم
المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وساير انواع الجواهر وحمله الى بلاد مملكته
بالعراق وبنا الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر قوله عز وجل
وتماثيل اي ويعملون له تماثيل اي صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع
والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملايكة والانبيا والصالحين في المساجد
ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم ومثل هذا
مما يجوز ان تختلف فيه الشرايع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب
ونحوه مما يقبح في كل الشرايع قيل عملوا له اسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان
يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس اظلته النسران باجنحتهما وقيل عملوا له
الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو
منه **وجفان** اي قصاع **كالجوابي** اي كالحياض التي يجبى فيها الما اي يجمع قيل كان يقعد
على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها **وقدور راسيات** اي ثابتات قيل كان اثافيها
منها لا تتحرك ولا تنزل عن اماكنها لعظمهن ولا يعطلن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت
باليمن **اعملوا ال داود شكرا** اي وقلنا يا ال داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل

المراد من ال داود داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيته قال ثابت البناني
كان داود نبي الله عليه السلام قد جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي
ساعة من ليل او نهار الا وانسان من ال داود قايم يصلي وقليل من عبادي الشكور اي
قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان قال
العلما كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين
واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها
وكان سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبت في محرابه ببيت المقدس شجرة
فيسالها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاي شي خلقت فتقول لكذا وكذا فيومر بها
فتقطع فان كانت تغرس امر بها فغرست وان كانت لدوا كتب ذلك حتى نبتت الخروبة
فقال لها ما انت فقالت انا الخروبة قال ولاي شي نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان
ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها
في حايط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب
وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب
يصلي على عادته متكيا على عصاه فمات قايما وكان للمحراب كوة من بين يديه ومن خلفه
فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياة سليمان وينظرون اليه
يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل
ذلك فمكثوا يدابون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصي سليمان فخر ميتا فعلموا
بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالما والطين في جوف الخشب فذلك
قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض يعني الارضة تاكل منساته قال البخاري يعني عصاه
فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين معناه علمت
الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقا مسخرين لسليمان وهم يظنون
حياته اراد الله بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم
وقيل في معنى الاية انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا
شبهوا على الانس ذلك ذكر اهل التاريخ ان سليمان ملك وهو ابن ثلاثة عشر سنة
وبقي في الملك اربعين سنة وشرع في بنا بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي
وهو ابن ثلاث وخمسين قوله عز وجل لقد كان لسبا في مساكنهم اية عن فروة بن مسيك
المرادي قال لما انزل في سبا ما انزل قال رجل يا رسول الله وما سبا ارض ام امراة قال ليس بارض
ولا امراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشام منهم اربعة
فاما الذين تشاموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعرون

وحمير

وحمير وكنده ومذحج وانمار فقال الرجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم
وبجيلة اخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبا هو ابن يشجب بن
يعرب بن قحطان في مساكنهم اي بمارب من ارض اليمن اية اي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا
ثم فسر الاية فقال تعالى جنتان اي هما بستانان عن يمين وشمال اي عن يمين الوادي وشماله
وقيل عن يمين من اتاهما وشماله قيل كان لهم واد قد احاطت به الجنتان كلوا اي قيل لهم كلوا
من رزق ربكم اي من ثمار الجنتين قيل كانت المراة تحمل مكتلها على راسها وتمر بالجنتين فيمتلي
المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيا واشكروا له اي على ما رزقكم من النعمة
واعملوا بطاعته بلدة طيبة اي بارض مارب وهي سبا بلدة طيبة فسيحة وقيل لم يكن
يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم
وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهوى ورب غفور اي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم
رب غفور لمن شكر قوله تعالى فاعرضوا قال وهب ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم
الى الله وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة
فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة علينا ان استطاع فذلك اعراضهم فارسلنا عليهم
سيل العرم اي الذي لا يطاق قيل كان ما احمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شا وقيل
العرم السكر الذي يحبس الما وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان له سد بنته
بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار
بين الجبلين وجعلت له ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت
فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الما واذا استغنوا عنها
سدوها فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماوه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى
ثم من الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الما حتى يثوب الما من السنة المقبلة
فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم
جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الما جناتهم واخرب ارضهم وقال وهب
فيما يزعمون ويجدون في علمهم ان يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا
عندها هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله تعالى بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمرا
كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت
عندها فتغلغلت في السد وحفرته حتى وهنته للسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جا السيل
وجد خللا فدخل فيه حتى اقتلع السد وفاض الما على اموالهم فغرقوا ودفن بيوتهم الرمل
ففرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهب ايدي سبا فذلك قوله
تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط قيل هو شجر

الاراك وثمر البرير وقيل كل نبت اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل
هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به **واثل** قيل هو الطرفا
وقيل شجر يشبه الطرفا الا انه اعظم منه **وشي من سدر قليل** هو شجر معروف ينتفع بورقه
في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشي
قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى **ذلك جزيناهم
بما كفروا** اي ذلك الذي فعلنا بهم جزا كفرهم **وهل يجازي الا الكفور** اي هل يكافي بعمله الا الكفور بربه
ونعمه قيل المومن يجزي ولا يجازي يجزي بحسناته ولا يكافي بسياته **وجعلنا بينهم وبين القرى
التي باركنا فيها** اي بالما والشجر وهي قرى الشام **قرى ظاهرة** اي متواصلة تظهر الثانية للاولي
لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الي الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخري وكانوا
لا يحتاجون الي حمل زاد من سبا الي الشام قيل كان قراهم اربعة الاف وسبعماية قرية
متصلة من سبا الي الشام **وقدرنا فيها السير** اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم
في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الي قرية ذات مياه
واشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك **سيروا** اي وقلنا لهم سيروا **فيها ليالي واياما** اي في
اي وقت شيتم **امنين** اي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسيموا الراحة
وطغوا ولم يصبروا علي العافية فقالوا لو كان جنا تنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه
وطلبوا الكد والتعب في الاسفار **فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا** اي اجعل بيننا وبين الشام
مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فتمنوا ذلك فعجل الله لهم الاجابة
وظلموا انفسهم اي بالبطر والطغيان **فجعلناهم احاديث** اي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم
وشانهم **ومزقناهم كل ممزق** اي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت قراهم
تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر
الاوس والخزرج الي يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج
ولحق الخزيمة بالعراق **ان في ذلك لايات** اي لعبرة ودلالات **لكل صبار** عن المعاصي **شكور**
اي لله على نعمه قيل المومن صبور علي البلا شاكر للنعما وقيل المومن اذا اعطي شكر واذا ابتلي
صبر قوله عز وجل **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه** قيل علي اهل سبا وقيل علي الناس كلهم
فاتبعوه الا فريقا من المومنين قال ابن عباس يعني المومنين كلهم لانهم لم يتبعوه في اصل
الدين وقيل هو خاص في المومنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس
لما سال النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة
انما قاله فيهم حين ظن وانما كان ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال
الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط وانما وعدهم ومناهم فاغتروا **وما كان له عليهم**

من سلطان اي ما كان تسليطنا اياه عليهم **الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك**
اي لنري ونميز المومن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب
وربك علي كل شي حفيظ اي رقيب وقيل حفيظ بمعني حافظ قوله تعالى **قل** اي قل يا محمد
لكفار مكة **ادعوا الذين زعمتم** انهم الهة من دون الله والمعني ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر
الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الالهة فقال **من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض** يعني من خير وشر ونفع وضر **وما لهم** اي الالهة **فيهما** اي في السموات
والارض **من شرك** اي شركة **وما له** اي لله **منهم** اي الالهة **من ظهير** اي عون **ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له** اي اذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هولا شفعاونا
عند الله وقيل يجوز ان يكون المعني الا لمن اذن الله في ان يشفع له **حتى اذا فزع عن قلوبهم** معناه
كشف الفزع واخرج عن قلوبهم قيل هم الملايكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند
سماع كلام الله **خ** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضي الله الامر في السما ضربت
الملايكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم **قالوا ماذا قال ربكم قالوا** اي الذي قال **الحق وهو العلي
الكبير** وللترمذي اذا قضي الله في السما امرا ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه
صلصلة عن صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد المطمين الصفوان
الحجر الاملس عن ابن مسعود قال اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السما صلصلة كجر السلسلة
علي الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل فاذا جا فزع عن قلوبهم
فيقولون يا جبريل ماذا قال ربكم فيقول الحق فيقولون الحق الحق اخرجه ابو داوود
الصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها علي بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام
الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسماية سنة او ستماية
لم تسمع الملايكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد
صلي الله عليه وسلم فلما سمعت الملايكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم
عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر
جبريل جعل يمر باهل كل سما فيكشف عنهم فيرفعون رووسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال
ربكم قالوا الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وذلك ان
كشف الفزع عن قلوبهم عند الموت قالت الملايكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة الحجة
عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير اي ذو العلو والكبريا قوله تعالى
قل من يرزقكم من السموات والارض يعني المطر والنبات **قل الله** يعني انهم لا يقولوا ان رازقنا
هو الله فقل انت ان رازقكم هو الله **وانا او اياكم لعلي هدى او في ضلال مبين** معناه ما نحن وانتم

علي امر واحد بل احد الفريقين مهتد والاخر ضال وهذا ليس هو علي طريق الشك
بل علي جهة الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول القايل احدنا كاذب وهو يعلم
انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه علي الهدي ومن خالفه
في ضلال فكذبهم من غير ان يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان اتهجوه ولست له بكفو
فشركما لخيركما الفداه وقيل او بمعني الواو ومعني الاية انا علي هدي وانكم لفي ضلال
مبين قل لا تسالون عما اجرمنا اي لا تواخذون به ولا نسل عما تعملون اي من الكفر والتكذيب
وقيل اراد بالاجرام الصغاير والزلات التي لا يخلو منها مومن وبالعمل الكفر والمعاصي
العظام قل يجمع بيننا ربنا يعني يوم القيمة ثم يفتح اي يقضي ويحكم بيننا بالحق اي
بالعدل وهو الفتاح العليم اي بما يقضي قل اروني اي اعلموني الذين الحقتم به اي بالله شركا
اي الاصنام معه في العبادة هل يخلقون او يرزقون واراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في
الحاق الشركا بالله كلا كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعني ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون
بل هو الله العزيز اي الغالب علي امره الحكيم اي في تدبير خلقه فاني يكون له شريك في ملكه
قوله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس اي للناس كلهم عامة احمرهم واسودهم عربيهم
وعجميهم وقيل ارساله عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد ق عن
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد
من الانبيا نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من
امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة
وكان النبي يبعث الي قومه خاصة وبعثت الي الناس عامة في الحديث بيان الفضايل
التي خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون ساير الانبيا وان هذه الخمسة لم تكن
لاحد ممن كان قبله من الانبيا وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس
والجن وكان النبي يبعث الي قومه والي اهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم
جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون ساير الانبيا وقيل في معني كافة اي كافا يكفهم
عما هم عليه من الكفر فتكون الها للمبالغة بشيرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا لمن كفر بالنار ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متي هذا الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيمة قل لكم
ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون معناه لا يتقدمون علي يوم القيامة
وقيل عن يوم الموت لا تتاخرون عنه بان يزاد في اجالكم او ينقص منها وقال الذين كفروا لن
نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه يعني التوراة والانجيل ولو تري اي يا محمد اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الي بعض القول معناه ولو تري في الاخرة موقفهم وهم
يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب يقول الذين استضعفوا

وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والاشراف لولا انتم لكنا مومنين اي انتم
منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله قال الذين استكبروا اي اجابوا المتبوعين في الكفر
للذين استضعفوا انحن صددناكم اي منعناكم عن الهدي اي عن الايمان بعد اذ جاكم
بل كنتم مجرمين اي بترك الايمان وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
اي مكركم بنا في الليل والنهار وهو طول السلامة وطول الامل فيهما اذ تامروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا اي هو قول القادة للاتباع ان ديننا حق وان محمدا كذاب ساحر
وهذا تنبيه للكفار اذ يصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الاخرة
واسروا الندامة اي اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد لما راوا العذاب وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في النار الاتباع والمتبوعين جميعا هل يجزون الا ما كانوا
يعملون اي من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله تعالي وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها
اي رؤساوها واغنياوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا يعني المترفين للفقرا الذين
امنوا نحن اكثر اموالا واولادا يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا
الاموال والاولاد وما نحن بمعذبين اي ان الله قد احسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا
في الاخرة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يعني انه تعالي يبسط الرزق ابتلا
وامتحانا ولا يدل البسط علي رضي الله تعالي ولا التضييق علي سخطه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون اي انها كذلك وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي اي بالتي تقربكم
عندنا تقريبا الا اي ولكن من امن وعمل صالحا قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني
فاوليك لهم جزا الضعف بما عملوا اي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة
الواحدة عشرا الي سبعماية وهم في الغرفات امنون والذين يسعون في اياتنا اي يعملون
في ابطال حججنا معاجزين اي معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا اوليك في العذاب
محضرون قوله عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له وما انفقتم
من شي فهو يخلفه اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه
لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما الثواب في
الاخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وانفقتم في الخير فهو يخلفه
علي المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم
ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقي طول عمره
في فقره ولا يتاولن وما انفقتم من شي فهو يخلفه فان هذا في الاخرة ومعني الاية ما كان من خلف
فهو منه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالي انفق ينفق
عليك ولمسلم يا ابن ادم انفق انفق عليك ق وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم

يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر
اللهم اعط ممسكا تلفا م وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة
من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وهو خير
الرازقين اي خير من يعطي ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد
يرزق مملوكه او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه الله على يدي من يشا وهو الرزاق
الحقيقي الذي لا رازق سواه قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا يعني الكفار ثم نقول للملائكة اهولا
اياكم كانوا يعبدون اي في الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتبرا منهم الملائكة
من ذلك وهو قوله تعالى قالوا سبحانك اي تنزيها لك انت ولينا من دونهم اي نحن نتولاك ولا
نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براتهم من الرضى بعبادتهم لهم بل كانوا
يعبدون الجن يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا
يعبدون الجن قلت اراد ان الشياطين زينوا عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت
طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها
وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام ليعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مومنون اي مصدقون
للشياطين قال الله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا اي شفاعة ولا ضرا اي بالعذاب
يريد انهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي
كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون
القران وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما اتيناهم يعني هولا
المشركين من كتب يدرسونها اي يقرؤونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي لم يات العرب
قبلك نبي ولا انزل عليهم كتاب وكذب الذين من قبلهم اي من الامم السالفة رسلا وما بلغوا
يعني هولا المشركين معشار اي عشر ما اتيناهم اي اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة
وطول الاعمار فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي انكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة
عذاب الامم الماضية قوله عز وجل قل انما اعظكم اي امركم واوصيكم بواحدة اي بخصلة
واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى ان تقوموا لله مثنى اي اثنين اثنين وفرادى اي واحدا
واحدا ثم تتفكروا اي تجتمعوا جميعا فتنظرون وتحاورون وتتفكرون في حال محمد صلى الله عليه
وسلم فتعلموا ان ما بصاحبكم من جنة ومعنى الاية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم
الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر
والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما
جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه فينظران فيه نظر

نظر متصادقين

نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى واما الفرد فيتفكر في نفسه ايضا
بعدل ونصفة هل راينا في هذا الرجل جنونا قط او جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا
صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واحدهم ذهنا
واصوبهم رايا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به
واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه باية اذا جاءكم بها تيقنتم انه نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم
الكلام عند قوله ثم تتفكروا اي في السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له
ثم ابتدا فقال ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سالتكم
على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل فهو لكم اي لم اسالكم شيا ان اجري اي ثوابي الا على الله وهو على
كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق اي ياتي بالحق من السما فيقذفه الى الانبيا علام الغيوب
اي خفيات الامور قل جا الحق اي القران والاسلام وما يبدي الباطل وما يعيد اي ذهب الباطل
وزهق فلم يبق منه بقية يبدي شيا او يعيده وقيل الباطل الاصنام قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين ابايك فقال الله
تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالتي على نفسي وان اهتديت
فبما يوحي الي ربي اي من القران والحكمة انه سميع قريب قوله عز وجل ولو ترى اي يا محمد اذ فزعوا
اي عند البعث اي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت فلا فوت اي لا يفوتوننا ولا نجاة لهم
واخذوا من مكان قريب قيل من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيث
ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا
وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيدا ومعنى الاية ولو ترى اذ فزعوا لرايت امرا يعتبر
به وقالوا امنا به اي حين عاينوا العذاب قيل هو عند الياس وقيل هو عند البعث وانى لهم
التناوش اي التناول والمعنى كيف لهم تناولها بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا
منهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسالون الرد الى الدنيا فيقال واني لهم الرد الى الدنيا
من مكان بعيد اي من الاخرة الى الدنيا وقد كفروا به من قبل اي بالقران وقيل بمحمد صلى الله عليه
وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب واهوال القيامة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قيل هو
الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى
الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه ساحر شاعر كاهن لا علم لهم بذلك
وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار وحيل بينهم وبين ما يشتهون يعني الايمان
والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها كما فعل باشياعهم اي بنظرايهم ومن كان على
مثل حالهم من الكفار من قبل اي لم تقبل منهم التوبة والايمان في وقت الياس انهم كانوا في شك
اي من البعث ونزول العذاب بهم مريب اي موقع الريبة والتهمة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملايكة وهي مكية وهي خمس واربعون اية وتسعماية
وسبعون كلمة وثلاثة الاف ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقها ومبتدعها على غير مثال
سبق جاعل الملايكة رسلا اي الى الانبيا اولي اجنحة اي ذوي اجنحة مثنى وثلاث ورباع
اي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة يزيد في الخلق
ما يشا اي يزيد في خلق الاجنحة ما يشا قال ابن مسعود في قوله لقد راى من ايات ربه
الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق
ما يشا هو حسن الصورة وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة في العينين
وقيل هو العقل والتمييز ان الله على كل شي قدير اي مما يريد ان يخلقه قوله تعالى
ما يفتح الله للناس من رحمة قيل المطر وقيل من خير ورزق فلا ممسك لها اي لا يستطيع
احد على مسكها وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي لا يقدر احد على فتح ما امسك وهو
العزيز اي فيما امسك الحكيم اي فيما ارسل ق عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد
منك الجد والجد الغنى والبخت لا ينفع المبخوت والمعنى حظه وغناه لانهما منك
انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم هل من
خالق غير الله اي لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ يرزقكم من السما يعني المطر
والارض اي النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون اي من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد
الله وانكار البعث وانتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم والى الله ترجع الامور اي فيجزي المكذب من
الكفار بتكذيبه قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي
لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها عن عمل الاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور
اي لا يقل لكم اعملوا ما شيتم فان الله يغفر كل ذنب وخطية ثم بين الغرور من هو
فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما
يامركم به من الكفر والمعاصي انما يدعوا حزبه اي اشياعه واولياه ليكونوا من اصحاب السعير
ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير قوله عز وجل افمن زين له سوء عمله قال ابن عباس نزلت في ابي
جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في اصحاب الاهوا والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دما المسلمين

وليس

وليس اصحاب الكباير من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم
اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله فراه حسنا وفي الاية حذف مجازه افمن
زين له سوء عمله فراى الباطل حقا كمن هداه الله فراى الحق حقا والباطل باطلا فان الله يضل
من يشا ويهدي من يشا وقيل مجاز الاية افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا والحسرة شدة الحزن على ما فات
والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يومنوا ان الله عليم بما يصنعون فيه وعيد بالعقاب
على سوء صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا اي تزعجه من مكانه وقيل تجمعه
وتجي به فسقناه اي فنسوقه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور اي مثل
احيا الموات نشور الاموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي رزين العقيلي قال قلت
يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال اما مررت بوادي اهلك ممحلا
ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه قوله تعالى
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا
وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعا الى طاعة من له العزة فليطلب
العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله ان
لا عزة الا لله ولرسوله ولاولياه المومنين اليه اي الى الله يصعد الكلم الطيب قيل هو قول
لا اله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر روى البغوي باسناده
عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انباتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم
يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن
ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملايكة الا استغفروا لقايلهن حتى يحيي
بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث
موقوف على ابن مسعود وفي اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله
تعالى وقيل معنى اليه يصعد اي يتقبل الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن
عباس اي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح ادا
الفرايض فمن ذكر الله ولم يود فرايضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي
لكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن
قال حسنا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وجا في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية وقيل الها في يرفعه
راجعة الى العمل الصالح اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون
صادرا عن توحيد وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات

من الاقوال والافعال والذين يمكرون السيات اي يعملون السيات اي الشرك وقيل يعني الذين
مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وهم اصحاب الدنيا لهم عذاب شديد ومكر
اولئك هو يبور اي يبطل ويهلك في الاخرة قوله عز وجل والله خلقكم من تراب يعني
ادم ثم من نطفة يعني ذريته ثم جعلكم ازواجا يعني اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج
بعضكم ببعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر اي لا يبطل عمر
احد ولا ينقص من عمره اي عمر اخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في ام
الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام
حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا ينقص الا في كتاب قال كعب الاحبار
حين حضر عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه ان يوخر اجله لاخر فقيل له ان الله يقول فاذا
جا اجلهم لا يستاخرون ساعة قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز ان يزاد ذلك
وقرا هذه الاية الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اي كتابة الاجال
والاعمال على الله هين قوله تعالى وما يستوي البحران يعني العذب والمالح ثم وصفهما فقال
هذا عذب فرات اي طيب يكسر العطش سائغ شرابه اي سهل في الحلق هني مري وهذا
ملح اجاج اي شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر ومن كل يعني من البحرين
تاكلون لحما طريا يعني السمك وتستخرجون اي من الملح دون العذب حلية تلبسونها يعني
اللولو والمرجان وقيل نسب اللولو اليهما لانه يكون في البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح
فيكون اللولو منهما وترى الفلك فيه مواخر اي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا
من فضله اي بالتجارة ولعلكم تشكرون اي تشكرون الله على نعمته يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين
تدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون من قطمير اي هو لفافة النواة وهي القشرة
الرقيقة التي تكون على النواة ان تدعوهم يعني الاصنام لا يسمعوا دعاكم يعني انهم جماد
ولو سمعوا اي على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم اي ما اجابوكم وقيل ما نفعوكم ويوم
القيمة يكفرون بشرككم اي يتبرون منكم ومن عبادتكم اياها ولا ينبيك مثل خبير يعني
نفسه اي لا ينبيك احد مثلي لاني عالم بالاشيا قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله
اي الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم فقرا
والله هو الغني اي عن خلقه لا يحتاج اليهم الحميد اي المحمود في احسانه اليهم المستحق
بانعامه عليهم ان يحمدوه ان يشا يذهبكم اي لاتخاذكم اندادا وكفركم باياته ويات بخلق
جديد اي بخلق من بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيا وما ذلك على الله بعزيز اي بممتنع
ولا تزر وازرة وزر اخرى اي ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تواخذ

بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم قلت هذه الاية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون اوزار من
اضلوه من الناس مع اثقال انفسهم وذلك كله من كسبهم وان تدع مثقلة الى حملها
معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى
يعني ولو كان المدعو ذا قرابة له كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى الاب
والام الابن فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي انما تنذر
الذين يخشون ربهم اي يخافون ربهم بالغيب اي لم يروه والمعنى انما ينفع انذارك الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى اي اصلح وعمل خيرا فانما يتزكى لنفسه
اي لها ثوابه والى الله المصير وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم وقيل
الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المومن ولا الظلمات ولا النور
وهو الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح
الحارة بالليل والسموم بالنهار وما يستوي الاحيا ولا الاموات يعني المومنين والكفار
وقيل العلما والجهال ان الله يسمع من يشا يعني حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في
القبور يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لم يجيبوا اذا دعوا ان انت
الا نذير اي ما انت الا منذر تخوفهم بالنار انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا
بالثواب لمن امن ونذيرا بالعقاب لمن كفر وان من امة اي من جماعة كثيرة فيما مضى الا خلا
اي سلف فيها نذير اي نبي منذر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما
الصلاة والسلام لم يخل فيها نذير قلت اذا كان اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان
تندرس وحين اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم واثار نذارته باقية الى يوم القيامة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم
رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الدالة على نبوتهم وبالزبر اي الصحف وبالكتاب المنير
اي الواضح قيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر
تاكيدا ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السما ما يعني
المطر فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها يعني اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب
والرطب ونحوها وقيل يعني الوانها الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر
ولا يعد ومن الجبال جدد بيض وحمر يعني الخطط والطرائق في الجبال مختلف الوانها
يعني منها ما هو ابيض ومنها ما هو احمر ومنها ما هو غرابيب سود اي شديد السواد
كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه اي خلق مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام هاهنا ثم

ابده افقال انما يخشى الله من عباده العلما قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم
جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد
به علما ازداد به خشية ق عن عايشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرخص
فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال
اقوام يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها
فرخص فيه اي لم يشدد فيه قولها فتنزه اي تباعد عنه وكرهه قوم ق عن انس قال
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم
خنين الخنين بالخا المعجمة هو البكا مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق
كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم
فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل اشد الناس خشية اعلمهم به
وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم ان الله عزيز اي في ملكه غفور اي لذنوب
عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو
احق ان يخشى ويتقى قوله عز وجل ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته
ويعلمون ما فيه ويعملون به واقاموا الصلاة اي ويقيمون الصلاة في اوقاتها
وانفقوا مما رزقناهم اي في سبيل الله سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور اي لن
تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله قال ابن عباس سوى الثواب مما لم ترعين ولم تسمع اذن انه غفور شكور قال ابن
عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم والذي اوحينا اليك من الكتاب
يعني القران هو الحق مصدقا لما بين يديه اي من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير
قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب اي اوحينا اليك الكتاب وهو القران ثم اورثناه بمعنى
حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه بمعنى نورثه الذين اصطفينا من عبادنا قال ابن عباس
يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اصطفاهم على ساير الامم واختصهم
بكرامته بان جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم
فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات روي عن
اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوي
بغير سند وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هولا كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة

اخرجه

اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرا هذه الاية
على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فقال ابو
قلابة احد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه اخرجه البغوي بسنده
وروي بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحشتي
وسق الي جليسا صالحا فقال ابو الدردا لان كنت صادقا لانا اسعد لك منك سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اما
السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا
يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخله الجنة
ثم قرا هذه الاية الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال
عقبة بن صهبان سالت عايشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق فمن
مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت
نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المومن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر
نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن
يدخلونها وقيل الظالم هم اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة
والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل الظالم من رجحت سياته على
حسناته والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره
وقيل الظالم التالي للقران والمقتصد التالي له العالم به والسابق القاري العالم العامل
بما فيه وقيل الظالم اصحاب الكباير والمقتصد اصحاب الصغاير والسابق الذي
لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق
العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر
الصادق بدا بالظالمين اخبارا انه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يوثر في الاصطفا
ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابقين ليلا يامن احد
مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال
العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل في حيز
الظالمين فاذا تاب دخل في عداد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظالم وغلبته

ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخّرهم
ومعنى سابق بالخيرات اي بالاعمال الصالحة الى الجنة او الى رحمة الله باذن الله اي بامر
الله وارادته ذلك هو الفضل الكبير يعني ايراثهم الكتاب ثم اصطفينا هم ثم
اخبر بثوابهم فقال تعالى جنات عدن يدخلونها يعني الاصناف الثلاثة يحلون فيها
من اساور من ذهب ولولؤا ولباسهم فيها حرير تقدم تفسيره وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنب والسيات
وخوف رد الطاعات وانهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب
القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال يوم القيامة وقيل هم الخبز والمعيشة
في الدنيا وقيل ذهب عن اهل الجنة كل حزن ما كان منها لمعاش ومعاد روى البغوي بسنده
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في
قبورهم ولا في نشورهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن روسهم يقولون
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر
القليل من الاعمال الذي احلنا اي انزلنا دار المقامة اي الاقامة من فضله اي لا باعمالنا لا يمسنا
فيها نصب لا يصيبنا فيها عنا ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب اي اعيا من التعب قوله تعالى
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا اي فيستريحوا مما هم فيه ولا يخفف عنهم
من عذابها اي من عذاب النار كذلك يجزي كل كفور وهم يصطرخون اي يستغيثون ويصيحون
فيها ربنا اخرجنا اي من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا من الشرك والسيات
فيقول الله تعالى توبيخا لهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر هو البلوغ وقيل ثماني عشر سنة
وقيل اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي اعذر الله
تعالى الى ابن ادم خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى
بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي
ما بين الستين الى السبعين وجاءكم النذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقران قاله ابن عباس وقيل
هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة
تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا العذاب فما
للظالمين من نصير اي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه ان الله عالم غيب السموات والارض
انه عليم بذات الصدور يعني انه اذا علم ذلك وهو اخفى ما يكون فقد علم غيب كل شي في العالم
قوله تعالى هو الذي جعلكم خلايف في الارض اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت
من قبلها من الامم ورات ما ينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفا في ارضه وملككم منافعها
ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر اي جحد هذه النعمة وغطّاها

فعليه

فعليه كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي غضبا وقيل المقت
اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي في الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله يعني الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم ام لهم شرك في السموات اي خلق
في السموات والارض ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه اي على حجة وبرهان من ذلك بل ان يعد الظالمون
بعضهم يعني الروسا بعضا الا غرورا يعني قولهم هولا الاصنام شفعاونا عند الله قوله عز
وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع
وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا من العظم كلمة الشرك ولئن زالتا ان امسكهما من
احد من بعده اي ليس يمسكهما احد سواه انه كان حليما غفورا اي غير معاجل بالعقوبة حيث
امسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه واقسموا بالله جهد ايمانهم
يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم وقالوا لعن الله اليهود والنصارى
اتتهم الرسل فكذبوهم فاقسموا بالله لو جانا نذير لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير اي رسول ليكونن اهدى من احدى الامم يعني اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اي مجيئه الا نفورا اي تباعدا عن الهدى استكبارا في الارض
يعني عتوا وتكبرا عن الايمان به ومكر السيء يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل
هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحل ولا يحيط
الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن اشرك فهل ينظرون اي ينتظرون
الا سنة الاولين يعني ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار فلن تجد لسنة الله تبديلا
اي تغييرا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم معناه انهم يعتبرون بمن مضى باثارهم وعلامات
هلاكهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان
عليما قديرا ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا اي من الجرايم ما ترك على ظهرها اي ظهر الارض
من دابة اي من نسمة تدب عليها يريد بني ادم وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان
الا من كان في السفينة ولكن يوخرهم الى اجل مسمى يعني يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله
كان بعباده بصيرا قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا
بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير

سورة يس وهي مكية وهي ثلاث وثمانون اية وسبعماية وتسع وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرف
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي قلبا وقلب القران يس ومن قرا يس كتب له
بقراتها قراة القران عشر مرات اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي اسناده شيخ مجهول

وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا على موتاكم يس اخرجه ابو داود
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يس قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طي
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقران والقران الحكيم اي ذي الحكمة
لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه انك لمن المرسلين اي اقسم بالقران ان محمدا لمن المرسلين
وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا على صراط مستقيم معناه وانه على صراط مستقيم وقيل
معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل العزيز الرحيم اي القران تنزيل العزيز
في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر قوما ما انذر اباؤهم يعني لم ينذر اباؤهم لانه قريش لم ياتهم نبي
قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما انذر اباؤهم من العذاب فهم غافلون
اي عن ما يراد بهم من الايمان والرشد لقد حق القول اي وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون
فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف لئن
راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى
عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم
انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه
فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت قال ما رايته ولقد سمعت صوته
وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قيل هذا وجه التمثيل ولم يكن هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال
مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع
حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف على الحقيقة وهي ما ينزل الله بهم في النار فهي
يعني الاغلال الى الاذقان جمع ذقن وهو اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق فهم مقمحون
اي رافعوا رؤوسهم مع غض البصر وقيل اراد ان الاغلال رفعت رؤوسهم فهم مرفوعوا الراس
برفع الاغلال لها وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا معناه منعناهم عن الايمان
بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد
وقيل حجبناهم بالظلمة عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله فاغشيناهم اي فاعميناهم
فهم لا يبصرون يعني سبيل الهدى وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون يعني من يرد
الله اضلاله لم ينفعه الانذار انما تنذر من اتبع الذكر يعني انما ينفع انذارك من اتبع القران
نعمل بما فيه وخشي الرحمن بالغيب اي خافه في السر والعلن فبشره بمغفرة اي لذنوبه واجر
كريم يعني الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى اي للبعث ونكتب ما قدموا اي من الاعمال من خير وشر
واثارهم اي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة او سيئة م عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من يعمل بها
بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه
وزرها ووزر من يعمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم الى
المسجد عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الى
قرب المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلا تنتقلوا اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب خ عن انس قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بني سلمة الا تحتسبون اثاركم فاقاموا قوله تعرى
يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء م عن جابر قال خلت
البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله
قد اردنا ذلك فقال يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم فقالوا ما يسرنا انا تحولنا قوله
بني سلمة اي يا بني سلمة وقوله دياركم اي الزموا دياركم ق عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم فابعدهم
ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم
ينام وقوله تعالى وكل شيء احصيناه اي حفظناه وعددناه واثبتناه في امام مبين
يعني اللوح المحفوظ قوله عز وجل واضرب لهم مثلا اي صف لهم شبها مثل حالهم من
قصة اصحاب القرية يعني انطاكية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام ذكر
القصة قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى
اهل انطاكية فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب
يس فلما سلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة
الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه
والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع
حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة
وشفى الله على يديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس
وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من انتما فقالا رسولا عيسى
قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر
فقال ولنا اله دون الهتنا قالا نعم الذي اوجدك والهتك قال لهما قوما حتى انظر
في امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى هذين الرجلين

الي انطاكية فاتياها فلم يصلا الي ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا
وذكرا الله فغضب الملك وامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مايتي جلدة فلما كذبا
وضربا بعث عيسى راس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون
البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتي انسوا به فرفعوا خبره الي الملك فدعاه وانس به
واكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما
حين دعواك الي غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك
قال فان راي الملك دعاهما حتي نطلع علي ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون
من ارسلكما الي هاهنا قالا الله الذي خلق كل شي وليس له شريك فقال لهما شمعون
فصفاه واوجزا فقالا انه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فقال شمعون وما اينتكما
قالا ما تتمنى فامر الملك حتي جاوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة
فما زالا يدعوان ربهما حتي انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما
في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك اذا انت سالت
الهك فصنع مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي سر مكتوم فان
الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك
علي الصنم ويصلي ويتضرع حتي ظنوا انه علي ملتهم فقال الملك للرسل ان قدر الهكما
الذي تعبدانه علي احيا ميت امنا به وبكما فقالا الهنا قادر علي كل شي فقال الملك ان
هاهنا ميتا قد مات منذ سبعة ايام ابن دهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتي يرجع ابوه وكان
غايبا فجاوا بالميت وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام
الميت وقال اني مت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية
من النار وانا احذركم ما انتم عليه فامنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السما فنظرت
فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهولاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة قال شمعون
وهذان واشار بيده الي صاحبيه فتعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد اثر في الملك
اخبره بالحال ودعاه فامن الملك وامن معه قوم وكفر اخرون وقيل بل كفر الملك واجمع علي
قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو علي باب المدينة فجا يسعي اليهم يذكرهم
ويدعوهم الي طاعة المرسلين فذلك قوله تعالي اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما قال
وهب اسمهما يحنا وبولس وقال كعب صادق ومصدوق فعززنا بثالث اي قوينا
برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الله الارسال اليه لان عيسي انما
بعثهم باذن الله عز وجل فقالوا يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية انا اليكم مرسلون
قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شي اي لم يرسل رسولا ان انتم الا تكذبون

اي فيما

اي فيما تزعمون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اي وان كذبتمونا وما علينا الا البلاغ
المبين اي بالايات الدالة علي صدقنا قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم وذلك ان
المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشومكم لين لم تنتهوا اي تسكتوا عنا لنرجمنكم اي
لنقتلنكم وقيل بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طايركم معكم اي شومكم معكم
بكفركم وتكذيبكم يعني اصابكم الشوم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر
اين ذكرتم معناه ما نظرتم لين ذكرتم ووعظتم بل انتم قوم مسرفون اي في ضلالتكم
وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل وجاء من اقصي المدينة رجل يسعي هو حبيب النجار
وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان
منزله عند اقصي باب من ابواب المدينة وكان مومنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسي
قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل
وقصدوا قتلهم جاءهم قال يا قوم اتبعوا المرسلين وقيل كان في غار يعبد ربه فلما
بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لهم اتسالون علي هذا اجرا قالوا لا فاقبل
علي قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي لا تخسرون
معهم شيا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والاخرة فلما قال
ذلك قالوا له وانت مخالف لديننا ومتابع دين هولاء الرسل ومومن باالههم فقال وما لي
لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون قيل اضاف الفطرة الي نفسه والرجوع اليهم لان
الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر والرجوع فيه معني الزجر فكان بهم اليق وقيل
معناه واي شي لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ااتخذ من
دونه الهة اي لا اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر اي بسو ومكروه لا تغن عني
شفاعتهم شيا اي لا شفاعة لها فتغني عني ولا ينقذون اي من ذلك
المكروه وقيل من العذاب اني اذا لفي ضلال مبين اي خطا ظاهر اني امنت بربكم
فاسمعون اي فاسمعوا مني قيل هو خطاب للرسل وقيل لقومه فلما قال للقوم ذلك
وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطيوه بارجلهم حتي خرج
قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتي قتلوه وقبره
بانطاكيه فلما لقي الله قيل ادخل الجنة فلما افضي الي الجنة وراي نعيمها قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تمني ان يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه
ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل
عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله تعالي وما انزلنا علي
قومه من بعده من جند من السما يعني الملايكة وما كنا منزلين اي ما كنا نحتاج في اهلاك الامر في

اهلا كم كان ايسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالي ان كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون اي ميتون يا حسرة علي العباد يعني يا لها حسرة وندامة وكابة علي العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتي يبقي قلبه حسيرا قيل يتحسرون علي انفسهم لما عاينوا العذاب حيث لم يومنوا بالرسل الثلاث فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم وقيل تحسر عليهم الملايكة اذ لم يومنوا بالرسل وقيل يقول الله يا حسرة علي العباد يوم القيمة حين لم يومنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالي ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزون قوله تعالى الم يروا اي لم يخبروا والخطاب لاهل مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون اي من الامم الخالية والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الي الدنيا افلا يعتبرون بهم وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني ان جميع الامم يحضرون يوم القيمة واية لهم يعني تدلهم علي كمال قدرتنا علي احيا الموتي الارض الميتة احييناها اي بالمطر واخرجنا منها اي من الارض حبا يعني الحنطة والشعير وما اشبهها فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا فيها اي في الارض جنات اي بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليا كلوا من ثمره اي من الثمر الحاصل بالما وما عملته ايديهم اي من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقري عملت بغير ها وقيل ما للنفي والمعني ولم تعمله ايديهم وليس من صنيعهم بل وجد وما معمولة وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة افلا يشكرون اي نعمة الله سبحان الذي خلق الازواج كلها يعني الاصناف كلها مما تنبت الارض اي من الثمار والحبوب ومن انفسهم اي الذكر والانثي ومما لا يعلمون يعني ما خلق الله من الاشيا في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل واية لهم يعني تدلهم علي قدرتنا الليل نسلخ اي ننزع ونكشط منه النهار فاذا هم مظلمون فيجي بالظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليه فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها اي الي مستقر لها قيل الي انتها سيرها عند انقضا الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتي تنتهي الي مستقرها التي لا تجاوزه ثم ترجع الي اول منازلها وهو انها تسير حتي تنتهي الي ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السما في الصيف ونهاية هبوطها في الشتا وعن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية ابدا الي يوم القيامة وقد صح عن النبي صلي الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر قال سالت النبي صلي الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلي الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس تدري اين تذهب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتي تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها

ويوشك

ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يوذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالي والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين النواوي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلي هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الي ان تطلع وقيل تجري الي وقت لها واجل لا تتعداه وعلي هذا مستقرها انتها سيرها عند انقضا الدنيا واما سجود الشمس فهو بتمييز وادراك يخلقه الله تعالي فيها والله اعلم ذلك اي الذي ذكر من اجرا الشمس علي ذلك التقدير والحساب الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه تقدير العزيز الغالب بقدرته علي كل مقدور العليم اي المحيط بكل شي قوله تعالي والقمر قدرناه منازل اي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الي الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان في اخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالي حتي عاد كالعرجون القديم وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الي منبته من النخلة والقديم الذي اتي عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهايه الي اخر منازله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار علي الليل قبل انقضايه ولا يدخل الليل علي النهار قبل انقضايه وهو قوله تعالي ولا الليل سابق النهار اي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجي احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الاخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضو فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل الليل بالليل لا يكون بينهما نهار فاصل وكل في فلك يسبحون اي الشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل واية لهم انا حملنا ذريتهم يعني اولادهم في الفلك المشحون اي المملو وخلقنا لهم من مثله اي من مثل الفلك ما يركبون اي من الابل وهي سفاين البر وقيل اراد بالفلك المشحون سفينة نوح ومعني الاية ان الله حمل اباهم الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وابلغ في التعجب من قدرته فعلي هذا القول يكون قوله من مثله اي من مثل ذلك الفلك ما يركبون اي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابي الا رحمة منا ومتاعا الي حين يعني الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الي انقضا اجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا

تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم يعني وقايع الله بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني
الاخرة لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجا الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل
لهم هذا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي دلالة على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما
رزقكم الله اي مما اعطاكم الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا
على المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو ما جعلوه من حروثهم وانعامهم قال الذين
كفروا للذين امنوا انطعم اي انرزق من لو يشا الله اطعمه اي رزقه قيل كان العاص بن وايل
السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى بك مني ويقول قد منعه فاطعمه انا
ومعنى الاية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشية الله فيهم
فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلا يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا
الذي يزعمون باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلا فمنع الدنيا من الفقير
لا بخلا واعطى الغني لا استحقاقا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو
الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني فلا اعتراض لاحد على مشية الله تعالى
وحكمته في خلقه والمومن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزا
ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين معناه ما انتم الا في خطا بين
باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله للكفار لما ردوا من جواب المومنين
ويقولون متى هذا الوعد يعني يوم القيمة والبعث ان كنتم صادقين قال الله تعالى
ما ينظرون اي ينتظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس يريد النفخة الاولى تاخذهم وهم
يخصمون اي في امر الدنيا من البيع والشرا ويتكلمون في الاسواق والمجالس في متصرفاتهم
فتاتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن
الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه
فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري وهو
طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا قال واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق
الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه
يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله واصله من اللصوق وقوله ليتا الليت صفحة
العنق واصغى يعني امال عنقه يسمع وقوله تعالى فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون
على الايصا اعجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون يعني لا يقدرون على الرجوع

الى

الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم لشي ونفخ في الصور هذه النفخة الثانية وهي نفخة
البعث وبين النفختين اربعون سنة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بين النفختين اربعون قيل اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا
قال ابيت قال اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل من السما ما فينبتون كما ينبت البقل وليس
من الانسان شي الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة
فاذا هم من الاجداث اي القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون منها احيا قالوا يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين
فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الثانية وعاينوا اهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا
عاين الكفار جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم قالوا من بعثنا من
مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت
لهم الملايكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المومنون هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة يعني النفخة الاخيرة فاذا هم جميع
لدينا محضرون اي للحساب فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل قال ابن عباس افتضاض الابكار وقيل في زيارة
بعضهم بعضا وقيل ضيافة الله عز وجل وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة
من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم فاكهون قال ابن عباس فرحون وقيل
ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه هم وازواجهم في ظلال يعني اكنان القصور على الارايك
يعني السرر في الحجال متكئون اي ذووا اتكاء تحت تلك الظلال لهم فيها فاكهة اي في الجنة ولهم
ما يدعون يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعو اهل الجنة ياتيهم
سلام قولا من رب رحيم يعني يسلم الله عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع
لهم نور فرفعوا روسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام
عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون
اليه فلا يلتفتون الى شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته
عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملايكة من ربهم وقيل تدخل الملايكة على اهل الجنة
من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول سلموا
السلامة الابدية وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم
من المومنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل في النار بيتا فيدخل ذلك البيت
ويردم بابه فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم من بعض

نفخة الصعق قال القرطبي وقول الربيع مرتفع بانه يثبت خطا ولا ان
الاولى انه يعنيه امتعين من بيان بعد ذلك تعينه
وعلى هذا الامر عنده علم منه سمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وراى انه لا يعنيه انا استاذ
اشتطح انه عليه ويعنيه ذلك وعلى هذا المرتكب عنده
علم منه ذلك قال الدوالظاهر وانما البتية لدهره
البدو قد ورد من طريق الحراز بين النفختين اربعين
عاما انتهى من البدور السافرة فليراجع

قوله عز وجل ألم أعهد إليكم يا بني آدم يعني ألم آمركم وأوصيكم يا بني آدم ألا تعبدوا
الشيطان يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله إنه لكم عدو مبين أي ظاهر
العداوة وأن اعبدوني أي أطيعوني ووحدوني هذا صراط مستقيم أي الصراط الأقوم منه قوله
تعالى ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أي خلقا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون يعني ما أتاكم من هلاك
الأمم الخالية بطاعة إبليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون
يعني بها في الدنيا اصلوها أي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون قوله عز وجل اليوم نختم
على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون معنى الآية أن الكفار يجحدون
وينكرون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويحلفون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على
أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت عونا لهم على المعاصي صارت
شاهدة عليهم وذلك أن إقرار الجوارح أبلغ من إقرار اللسان فإن قلت ما الحكمة في تسمية
نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر
على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل إقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبي هريرة قال سأل
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال
هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون
في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون
في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤيتهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أي فل ألم أكرمك
وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول
أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول أي فل
ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول
أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول أي فل ألم أكرمك
وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتلعب فيقول بلى يا رب فيقول
أظننت أنك ملاقي فيقول أي رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت
ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا إذا قال ثم يقال الآن نبعث شاهدنا عليك
ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق
فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط
الله عليه قوله أي فل يعني يا فلان قوله وأسودك أي جعلتك سيدا قوله وأذرك أي أتركك
قوله ترأس أي تتقدم على القوم أي تصير رئيسهم وتربع أي تأخذ المرباع وهو ما يأخذ
رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروي ترتع بتاءين أي تتنعم وتنبسط
من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقيم الحجة عليه بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس

ابن مالك

ابن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك
قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول
بلى فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا
وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم
يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قوله لا أجيز أي لا
أقبل شاهدا علي قوله بعدا لكن وسحقا أي هلاكا قوله فعنكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم
قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على أعينهم أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن
ولا شق والمعنى ولو نشاء لأعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم فاستبقوا الصراط
أي فبادروا إلى الطريق فأنى يبصرون أي كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى لو نشاء لأضللناهم
عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس معناه لو نشاء
لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى
فأبصروا رشدهم فأنى يبصرون ولم أفعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم يعني
لو نشاء جعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم حجارة لا أرواح فيها فما
استطاعوا مضيا أي لا يقدرون على أن يبرحوا ولا يرجعون أي إلى ما كانوا عليه وقيل
لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع ومن نعمره ننكسه في الخلق أي نرده إلى أرذل العمر كشبه
الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها ونقصها بعد زيادتها وذلك أن الله
تعالى خلق الإنسان في ضعف من جسده وخلو من عقله وعلم في حال صغره ثم جعله
يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته وعقله ويعلم ما له وما
عليه فإذا انتهى إلى الغاية واستكمل النهاية رجع ينتقص حتى يرد إلى ضعفه الأول فذلك
نكسه في الخلق أفلا يعقلون أي فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على نقض أحوال الإنسان
قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له قيل إن كفار مكة
قالوا إن محمدا شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له
أي ما يسهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له كما جعلناه أميا
لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن بيت
شعر وإن تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتمثل بهذا البيت كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا فقال أبو بكر يا نبي الله إنما قال
الشاعر كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا أشهد أنك رسول الله هذا حديث مرسل وروي
عن عائشة وقيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان
يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالأخبار من لم تزود أخرجه الترمذي وفي

رواية لغيره ان عايشة سُيلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشي من الشعر
قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل الا ببيت اخي بني قيس طرفه ستبدي
لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود
بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فعثر فدميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت اخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاكرم الانصار والمهاجره وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قلت هو الامر كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه
ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق في انشا الناس في
خطبهم ورسايلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا يدخل في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل
لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفي ان يكون القران من جنس الشعر قال تعالى ان هو الا ذكر
يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب
الشعر ولا يدخل في بحوره وقران مبين اي انه كتاب سماوي يقرا في المحاريب ويتلا في المتعبدات
وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه
وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين واقاويل الشعرا الكاذبين لينذر اي يا محمد وقري
بالتا اي القران من كان حيا يعني مومنا حي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر
ويحق القول اي وتجب حجة العذاب على الكافرين قوله عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا اي تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة احد في انشايه كقول القايل عملت هذا بيدي
اذا انفرد به ولم يشاركه فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدايع
الفطر التي لا يقدر عليها الا هو انعاما انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشيا كلها من خلق
الله وايجاده لان النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم
فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون
ومنه قول بعضهم اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبط راس
البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها
مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي الابل ومنها ياكلون اي الغنم
ولهم فيها منافع اي من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها ومشارب اي من
البانها افلا يشكرون اي رب هذه النعم واتخذوا من دون الله الهة يعني الاصنام
لعلهم ينصرون اي تمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط لا يستطيعون نصرهم قال ابن عباس
لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون اي الكفار جند للاصنام

يغضبون

يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل
هذا في الاخرة يوتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه في الدنيا كانهم جند
يحضرون في النار فلا يحزنك قولهم يعني قول كفار مكة في تكذيبك انا نعلم ما يسرون اي في ضمايرهم
من التكذيب وما يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل يعلنون بالسنتهم من الاذى قوله تعالى
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من نطفة قذرة خسيسة فاذا هو خصيم
مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله
ان يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث فكيف لا يتفكر في بدء خلقه فانه من
نطفة وبديع الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث
واتاه بعظم قد رم وبلي ففته بيده وقال اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الايات وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
اي بدء امره قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث
بالعظم البالي حين فته بيده وتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسي اول خلقه وانه مخلوق
من نطفة قل يحييها الذي انشاها اول مرة اي خلقها اول مرة وابتدا خلقها وهو بكل خلق اي من
الابتدا والاعادة عليم اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شي من خلق المبدا والمعاد الذي جعل
لكم من الشجر الاخضر نارا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ بالرا والخا المعجمة والاخرى
العفار بالعين المهملة فمن اراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر
منهما الما فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجرة نار
واستمجد المرخ والعفار اي استكثر وذلك انهما ابين الشجر نارا من اكثر الشجر نارا وقال
الحكما في كل شجر نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون فتوقدون النار من تلك الشجر
ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم بلى اي هو القادر على ذلك وهو الخلاق يعني يخلق خلقا بعد خلق
العليم اي بجميع ما خلق انما امره اذا اراد شيا اي احداث شي وتكوينه ان يقول له كن اي
ان يكونه من غير توقف فيكون اي فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شي اي هو مالك كل شي والمتصرف فيه واليه ترجعون اي تردون بعد الموت والله اعلم تفسير
سورة الصافات وهي مكية وهي ماية واثنان وثمانون اية وثمانماية وستون كلمة وثلاثة
الاف وثمانماية وستة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والصافات صفا قال ابن عباس هم الملايكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة عن
جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملايكة عند ربهم
قلنا وكيف تصف الملايكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف

لفظ ابي داود وقيل هم الملايكة تصف اجنحتها في الهوي واقفة حتى يامرها الله بما يريد
وقيل المراد بالصافات الطير تصف اجنحتها في الهوي **فالزاجرات زجرا** يعني الملايكة
تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القران تنهي وتزجر عن القبيح **فالتاليات ذكرا**
يعني الملايكة يتلون ذكر الله وقيل هم قرا القران وهذا كله قسم اقسم الله بهذه الاشيا
وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى
ان الهكم لواحد وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم بهذه
الاشيا للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم
وصف نفسه فقال تعالى **رب السموات والارض وما بينهما** يعني انه المالك القادر
العالم المنزه عن الشريك وقوله **ورب المشارق** وقيل اراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال
السدي المشارق ثلاثماية وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق
وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب
المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الايات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة التي
تطلع الشمس منها وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتا وبالمغربين مغرب
الصيف ومغرب الشتا وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت
عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى
انا زينا السما الدنيا يعني التي تلي الارض وهي ادنى السموات الى الارض **بزينة الكواكب** قال ابن
عباس بضو الكواكب لان الضو والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب
في السما لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة
في الشكل كشكل الجوزا وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة
الى السما وراي هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلالية على سطح ازرق فهو غاية الزينة
وحفظا من كل شيطان مارد اي وحفظنا السما من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب
لا يسمعون الى الملا الاعلى يعني الى الملايكة والكتبة لانهم سكان السما وذلك ان الشياطين
يصعدون الى قرب السما فربما سمعوا كلام الملايكة فيخبرون به اولياهم من الانس ويوهمون
بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله **ويقذفون** اي يرمون
بها **من كل جانب** من افاق السما **دحورا** اي يبعدونهم عن مجالس الملايكة **ولهم عذاب واصب**
اي دايم يخرجون ويخبلون **الا من خطف الخطفة** اي اختلس الكلمة من كلام الملايكة **فاتبعه**
اي لحقه **شهاب ثاقب** اي كوكب مضي قوي لا يخطيه بل يقتله او يحرقه او يخبله وقيل سمي النجم
الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف تذهب الشياطين الى جهة يعلمون
ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم بل يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق

السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجا نيل المقصود كراكب البحر
يغلب على ظنه حصول السلامة وهو قوله عز وجل **فاستفتهم** يعني سل اهل مكة **اهم اشد
خلقا ام من خلقنا** يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اي هذه الاشيا
اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعني من الامم الخالية والمعنى ان هولا ليسوا باحكم خلقا
من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يومن هولا من العذاب
ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى **انا خلقناهم من طين لازب** يعني ادم من طين جيد حر
لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين منتن **بل عجبت** قرئ بالضم على اسناد التعجب
الى الله وليس هو كالتعجب من الادميين لان التعجب من الناس محمول على انكار الشي وتعظيمه
والتعجب من الله محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان
كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى
الاستحسان والرضى كما جا في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث اخر
عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله من الكم الال اشد القنوط وقيل
هو رفع الصوت بالبكا وسيل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شي ولكن وافق
رسوله ولما عجب رسوله صلى الله عليه وسلم قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله وقري
بفتح التا على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون
من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القران حين انزل وضلال بني ادم
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القران يومن به فلما سمع المشركون
القران سخروا منه ولم يومنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت
ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي واذا وعظوا لا يتعظون **واذا راوا اية** قال يعني انشقاق
القمر **يستسخرون** اي يستهزءون وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخروا **وقالوا ان هذا
الا سحر مبين** اي بين **ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون او اباونا الاولون قل نعم
وانتم داخرون** اي صاغرون **فانما هي زجرة واحدة** اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث **فاذا هم
ينظرون** يعني احيا **وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين** يعني يوم الحساب والجزا **هذا يوم الفصل**
اي القضا وقيل بين المحسن والمسي **الذي كنتم به تكذبون** اي في الدنيا **احشروا** اي اجمعوا **الذين
ظلموا** اي اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم **وازواجهم** اي اشباههم وامثالهم فكل طايفة مع
مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اي قرناهم من الشياطين
يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل وازواجهم المشركات **وما كانوا يعبدون من دون
الله** اي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده **فاهدوهم الى صراط الجحيم**
قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار **وقفوهم** اي احبسوهم **انهم مسولون** لما سيقوا الى النار حبسوا

عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروي عنه عن لا اله الا الله
وروي عن ابي برزة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيمة
حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ما ذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه
وعن جسمه فيما ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا يوم القيمة لازما به لا يفارقه
وان دعا رجل رجلا ثم قرا وقفوهم انهم مسولون ما لكم لا تناصرون اي تقول لهم خزنة جهنم
توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع
منتصر قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى
هم اليوم اذلا منقادون لا حيلة لهم واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤسا والاتباع يتسالون
اي يتخاصمون قالوا يعني الرؤسا للاتباع انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتضلوننا
وترونا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤسا يحلفون لهم ان الذي يدعونهم اليه هو الحق
والمعنى انكم تحلفون لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة والقول الاول
اصح قالوا يعني الرؤسا للاتباع بل لم تكونوا مومنين اي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم
على الكفر وما كان لنا عليكم من سلطان اي من قدرة وقوة فنقهركم على متابعتنا بل كنتم قوما
طاغين اي ضالين فحق علينا اي وجب علينا جميعا قول ربنا يعني كلمة العذاب وهي قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين انا لذايقون يعني ان الضال والمضل جميعا في النار فاغويناكم اي
فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه انا كنا غاوين اي ضالين قال الله تعالى فانهم يومئذ
في العذاب مشتركون يعني الرؤسا والاتباع انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابن عباس الذين جعلوا
لله شركا ثم بين تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها
ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله ردا عليهم
بل جا بالحق وصدق المرسلين يعني انه اتى بما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك
انكم لذايقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك والتكذيب
الا اي لكن وهو استثنا منقطع عباد الله المخلصين اي الموحدين اوليك لهم رزق معلوم يعني
بكرة وعشيا وقيل حين يشتهون يوتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة
ورايحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى فواكه جمع فاكهة وهي الثمار كلها
رطبها ويابسها وكل طعام يوكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق الجنة كلها فواكه لانهم
مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسامهم خلقت للابد فكل ما ياكلونه على سبيل
التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال وهم مكرمون اي بثواب الله ثم وصف

مساكنهم

مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم
وصف شرابهم فقال يطاف عليهم بكاس من معين كل انا فيه شراب يسمى كاسا واذا لم
يكن فيه شراب فهو انا وقد تسمى الخمر نفسها كاسا قال الشاعر وكاس شربت على لذة
ومعنى معين اي من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون بيضا يعني ان خمر الجنة
اشد بياضا من اللبن لذة اي لذيذة للشاربين لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فتذهب بها
وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفا وخمر الدنيا
يحصل منها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الراس
والبول والقي والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شي من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها
ينزفون اي لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف
ازواجهم فقال وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين غاضات الجفون قصرن
اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم عين اي حسان الاعين عظامها كانهن بيض
مكنون اي مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار
فيكون لونها ابيض في صفرة ويقال هذا من احسن الوان النسا وهو ان تكون المراة بيضا
مشربة صفرة والعرب تشبه النسا ببيض النعامة وتسميهن بيضات الخدور وقوله
عز وجل فاقبل بعضهم على بعض يعني اهل الجنة في الجنة يتسالون اي يسال بعضهم
بعضا عن حاله في الدنيا قال قايل منهم اي من اهل الجنة اني كان لي قرين اي في الدنيا ينكر
البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس وقيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين
احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مومن اسمه يهودا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة
الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول اينك لمن المصدقين اي بالبعث اذا متنا
وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون اي مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكار قال الله
تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون اي الى النار وقيل يقول المومن لاخوانه من اهل الجنة
هل انتم مطلعون اي لننظر كيف منزلة اخي في النار فيقولوا اهل الجواب انت اعرف به منا فاطلع
اي المومن قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار فراه في سوا الجحيم اي فراى قرينه
في وسط النار وسمي وسط الشي سوا لاستوا الجوانب منه قال تالله ان كدت لتردين اي والله لقد
كدت ان تهلكني وقيل تغويني ومن اغوى انسانا فقد ارداه واهلكه ولولا نعمة ربي اي
رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين اي معك في النار افما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى اي في الدنيا وما نحن بمعذبين قيل يقول هذا اهل الجنة للملايكة حين يذبح الموت
فتقول الملايكة لهم لا فيقولون ان هذا لهو الفوز العظيم وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة
الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم

قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل
يقوله المومن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى لمثل هذا اي المنزل والنعيم
الذي ذكره في قوله اوليك لهم رزق معلوم فليعمل العاملون هذا ترغيب في ثواب الله وما عنده
بطاعته قوله تعالى اذلك اي الذي ذكره لاهل الجنة من النعيم خير نزلا اي رزقا ام شجرة الزقوم
اي التي هي نزل اهل النار والزقوم ثمر شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على
تناولها فهم يتزقمونه على اشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة من اخبث الشجر
انا جعلناها فتنة للظالمين اي للكافرين وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة
والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعري لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم
بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة اهل اليمن فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية
زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي في قعر النار واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها اي ثمرها
سمي طلعا لطلوعه كانه رءوس الشياطين قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم
لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشي لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه
قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكانه قيل ان قبح الاشيا في الوهم
والخيال رءوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا رات منظرا قبيحا
قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس اتقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق
كانياب اغوال شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة
قبيحة منتنة تسمى رءوس الشياطين فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات
والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا فانهم لاكلون منها اي من ثمرها فمالون منها
البطون وذلك انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلي بطونهم ثم ان لهم عليها لشوبا اي خلطا ومزاجا
من حميم اي من ما شديد الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب
الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا لهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وذلك انهم يردون الى الجحيم
بعد شراب الحميم انهم الفوا اي وجدوا اباهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون اي يسرعون وقيل
يعملون مثل عملهم ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين
اي وارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي الكافرين وكان عاقبتهم
العذاب الا عباد الله المخلصين اي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر وا كيف اهلكنا
المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل ولقد نادانا نوح اي دعا ربه على قومه
وقيل دعا ان ينجيه من الغرق فلنعم المجيبون اي نحن دعانا فاجبناه واهلكنا قومه
ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق وجعلنا ذريته هم

الباقين يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات
من كان معه من الرجال والنسا الا ولده ونساهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال حام وسام ويافث اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وفي رواية اخرى سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم
وقيل سام ابو العرب والفرس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر وياجوج
وماجوج وما هنالك وتركنا عليه في الاخرين اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده
من الانبيا والامم الى يوم القيمة سلام على نوح في العالمين اي سلام عليه منا في العالمين وقيل
تركنا في الاخرين ان يصلى عليه الى يوم القيمة انا كذلك نجزي المحسنين اي جزاه الله باحسانه
الثنا الحسن في العالمين انه من عبادنا المومنين ثم اغرقنا الاخرين يعني الكفار قوله عز وجل
وان من شيعته اي من شيعة نوح لابراهيم يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته
اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد
يحب للناس ما يحبه لنفسه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون استفهام توبيخ ايفكا الهة
دون الله تريدون اي اتافكون افكا وهو اسوا الكذب وتعبدون الهة سوى الله فما ظنكم
برب العالمين يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم فنظر نظرة في النجوم
فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا
يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم
الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فيدخلون على اصنامهم ويقربون
لها القرابين ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه
فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم
فقال اني سقيم قال ابن عباس اي مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما وقيل
مريض وقيل معناه ساسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة الانبيا
وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي
فتولوا عنه مدبرين اي الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى فراغ
اي مال الى الهتهم ميلة في خفية فقال اي للاصنام استهزا بها الا تاكلون يعني الطعام
الذي بين ايديكم ما لكم لا تنطقون فراغ اي مال عليهم ضربا باليمين اي يضربهم بيده اليمنى لانها
اقوى من الشمال في العمل وقيل اراد بالقوة والقدرة عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله
وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم يزفون اي يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنع
ابراهيم بالهتهم فاسرعوا اليه لياخذوه فقال لهم ابراهيم على وجه الحجاج اتعبدون ما تنحتون
اي بايديكم من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه بايديكم

من الاصنام وفي الاية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى **قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم** قيل انهم بنوا له حايطا من الحجر طوله في السما ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملاوه من الحطب واوقدوا فيه النار وطرحوه فيها وهو قوله **فارادوا به كيدا** اي شرا وهو ان يحرقوه **فجعلناهم الاسفلين** اي المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم **وقال** لهم يعني ابراهيم **اني ذاهب الى ربي سيهدين** اي مهاجر الى ربي واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار سيهدين اي الى حيث امرني بالمصير وهو ارض الشام فلما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد فقال **رب هب لي من الصالحين** اي هب لي ولدا صالحا **فبشرناه بغلام حليم** قيل غلام في صغره حليم في كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى **فلما بلغ معه السعي** قال ابن عباس يعني المشي معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم والمعنى انه بلغ ان ينصرف معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين **قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك** قيل لم ير في منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل راى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورويا الانبيا حق اذا راوا شيا فعلوه واختلف العلما من المسلمين في هذا الغلام الذي امر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحاق فقال قوم هو اسحاق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطا ومقاتل والزهري والسدي واختلفت الرواية عن ابن عباس فروي عنه انه اسحاق وروي عنه انه اسماعيل ومن ذهب الى انه اسحاق قال كانت هذه القصة بالشام وروي عن سعيد بن جبير قال راى ابراهيم ذبح اسحاق في المنام وهو في الشام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسماعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد ابن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواية عطا بن ابي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدي اسماعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحاق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي امر بذبح من بشر به وليس في القران انه بشر بولد سوى اسحاق كما قال تعالى في سورة هود فبشرناها باسحاق وبقوله وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين عقب البشارة بعد قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان اول الاية واخرها يدل على ان اسحاق هو الذبيح ومما ذكره ايضا من كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرايل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسماعيل

بان الله ذكر البشارة باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال في سورة هود فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فكيف يامره بذبح اسحاق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق في قوله واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه بالصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرطبي سال عمر بن عبد العزيز رجلا من علما اليهود وكان اسلم وحسن اسلامه اي ابني ابراهيم امره الله بذبحه فقال اسماعيل ثم قال يا امير المومنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على ان يكون هو الذي امر الله بذبحه ويدعون انه اسحاق ابوهم ومن الدليل ايضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسماعيل الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رايت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سالت عمرو بن العلا عن الذبيح اسحاق كان او اسماعيل فقال يا اصمعي اين يذهب عقلك متى كان اسحاق بمكة انما كان اسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه ذكر الاشارة الى قصة الذبح قال العلما بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال اذا هو لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب في امر الله اياه بالذبح فقال لاسحاق انطلق نقرب لله قربانا واخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا ابتا اين قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تومر وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته امر في المنام ان يذبحه وذلك انه راى ليلة التروية كان قايلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في نفسه اي فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى راى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي ذلك اليوم يوم عرفة وقيل راى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما استيقن ذلك اخبر ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك **فانظر ماذا ترى** اي من الراي على وجه المشاورة فان قلت لم يشاوره في امر قد علم انه حتم من الله وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به

من بلاء الله وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته وتثبيت قدمه وتبصيره
ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلا وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد
لامر الله قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك في المنام دون اليقظة وما الحكمة في ذلك
قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطية
له ثم تاكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى في
الدلالة ورويا الانبيا وحي وحق قال يا ابت افعل ما تومر اي قال الغلام لابيه افعل
ما امرت به قال ابن اسحاق وغيره لما امر ابراهيم بذلك فقال لابنه يا بني خذ الحبل
والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره
بما امر الله به قال افعل ما تومر ستجدني ان شا الله من الصابرين انما علق ذلك بمشية
الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على
طاعة الله الا بتوفيق الله فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم
عليه السلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه وتله للجبين اي صرعه على الارض قال ابن
عباس اضجعه على جنبه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا ابت اشدد رباطي
حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمي شي فينقص اجري
وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فان
الموت شديد واذا جيت امي فاقرا عليها السلام مني وان رايت ان ترد قميصي على
امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال ابراهيم صلى الله عليه وسلم نعم
العون انت يا بني على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله
وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي فلما وضع السكين على حلقه فلم تحز شيا ثم
انه اشحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا تستطيع ان تقطع شيا قيل ضرب
الله صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن
اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني لوجهي على جبيني فانك اذا نظرت
في وجهي رحمتني فادركتك رافة تحول بينك وبين امر الله وانا فلا انظر الى
الشفرة فاجزع منها ففعل ذلك ابراهيم عليه السلام ثم وضع السكين
على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرويا وروي عن كعب الاحبار
وابن اسحاق عن رجاله قالوا لما راى ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لين لم افتن عند هذا
آل ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام
فقال لها هل تدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان من هذا
الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له
من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن
ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه
فقال يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب
قال لا والله ما يريد الا ان يذبحك فقال فلم قال زعم ان ربه امره بذلك قال
فليفعل ما امره ربه به فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابراهيم فقال له
اين تريد ايها الشيخ قال اريد الشعب لحاجة لي به قال والله اني لارى الشيطان
قد جاك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال اليك
عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم
وآله شيا مما اراد ومنعوا منه بعون الله عز وجل وروي عن ابن عباس ان ابراهيم
عليه السلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه
ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه
عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب فمضى ابراهيم لامر الله عز وجل
وهو قوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ونودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت
الرويا اي حصل المقصود من تلك الرويا حيث ظهر كمال الطاعة والانقياد لامر الله
وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرويا وكان قد راى الذبح ولم يذبح
وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده
واتى بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو استسلامهما لامر الله
وانقيادهما لذلك فلذلك قال له صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين يعني جزاه
الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك
نجزي المحسنين على طاعتنا ان هذا لهو البلا المبين اي الاختبار الظاهر حيث اخبره
بذبح ابنه وفديناه بذبح عظيم قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح اقرن
فقال هذا فدا ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش
فاخذه ابراهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا
رعى في الجنة اربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه
ابن آدم قيل حوله ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه من عند الله
وقيل في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدي اسماعيل الا بتيس من الاروي
اهبط عليه من ثبير وتركنا عليه في الاخرين اي تركنا له ثنا حسنا فيمن بعده سلام على ابراهيم
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين

كذلك

اي بوجود اسحاق وهذا قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحاق
بعد هذه القصة جزا لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحاق قال معنى الاية
وبشرناه بنبوة اسحاق وكذا روي عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبي وباركنا
عليه اي على ابراهيم في اولاده وعلى اسحاق اي بكون اكثر الانبيا من نسله ومن ذريتهما محسن
اي مومن وظالم لنفسه اي كافر مبين اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من
كثرة فضايل الاب فضيلة الابن قوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهارون اي انعمنا
عليهما بالنبوة والرسالة ونجيناهما وقومهما يعني بني اسرايل من الكرب العظيم يعني الذي
كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاهم من الغرق ونصرناهم يعني موسى
وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين واتيناهما الكتاب يعني التوراة المستبين اي المستنير
وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق وتركنا عليهما في الاخرين
اي الثنا الحسن سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين
قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو
في مصحفه وقال اكثر المفسرين هو نبي من انبيا بني اسرايل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع
وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ذكر الاشارة
الى قصته قال محمد بن اسحاق وعلما السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام
عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها
من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبيا يبعثون من بعد موسى في بني
اسرايل بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرايل
وان سبطا منهم حصل في قسمه بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم
يومئذ ملك اسمه اوجب وقد اضل قومه واجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم
من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه
وجعلوا له اربعماية سادن وجعلوهم انبياه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم
بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس
يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يومنون به الا ما كان من امر الملك فانه
امن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان
يستخلفها على ملكه اذا غاب فغضبت من رجل مومن له جنينة كان يعيش منها وقتلته
فبعث الله تعالى الياس الى الملك وقومه وامره ان يخبرهم ان الله قد غضب لوليه حين قتلوه
ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول ان يهلكهما
في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان بها الا قليلا فجا الياس

فاخبر الملك بما اوحي اليه في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد
غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى الذي تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس
وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل
ولحق بشواهق الجبال فكان ياوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك
خايفا مستخفيا ياكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه
العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وملّ الكمون في الجبال وطال عصيان
قومه فضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خايف مجهود
يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي
وصفوتي من خلقي سلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب
امتني وتلحقني باباي فاني قد مللت بني اسرايل وملوني فاوحى الله اليه يا الياس
ما هذا باليوم الذي اعري منك الارض واهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك
وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطك قال الياس اذ لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرايل
قال الله عز وجل واي شي تريد ان اعطيك قال تملكني خزاين السما سبع سنين
فلا تنشي عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم
الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال
فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك
ولكن اعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل خزاين المطر بيدك قال الياس فباي شي اعيش
يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي
لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام
والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حالة مستخفيا من قومه يوضع له
الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بني اسرايل ثلاث سنين
القحط فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام قالت نعم شي من دقيق وزيت
قليل قال فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملا جرابها دقيقا وملا خوابيها
زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته
بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت
امراة من بني اسرايل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فاوته واخفت امره فدعا لابنها
فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وامن به وصدقه ولزمه وذهب معه
حيثما ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى
الى الياس انه قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهايم والدواب والطير والهوام

يحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يا رب دعني اكون انا الذي ادعو لهم واتيهم بالفرج مما
هم فيه من البلا لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجا
الياس الي بني اسرايل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهايم والدواب
والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم علي باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا
باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم علي باطل فنزعتم
ودعوت الله ففرج عنكم ما انتم فيه من البلا فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها
فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلا فقالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الياس
ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس علي ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم
وطبقت الافاق ثم ارسل الله عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله عنهم
الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا علي اخبث ما كانوا عليه فلما راي ذلك
الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج
الي موضع كذا فما جاك من شي فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتي اذا كان
بالموضع الذي امر به واقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتي وقف بين يدي الياس فوثب
عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه الياس بكساه من الجو
الاعلي فكان ذلك علامة استخلافه اياه علي بني اسرايل وكان ذلك اخر العهد به ورفع الله
الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا
ارضيا سماويا وسلط الله علي اجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا
به حتي رهقهم فقتل اجب وامراته ازبيل في الجنينة التي اغتصبتها امراة الملك من
مردك المومن فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتي بليت لحومهما ورمت عظامهما
ونبا الله اليسع وبعثه رسولا الي بني اسرايل واوحي اليه وايده فامنت بنو اسرايل
وكانوا يعظمونه وحكم الله فيهم قايم الي ان فارقهم اليسع وروي السري بن يحيي عن عبد
العزيز بن ابي داود قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم
في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالي وان الياس لمن
المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا يعني اتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه
ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن وتذرون اي وتتركون عبادة
احسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم ورب ابايكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون اي في النار
الا عباد الله المخلصين اي من قومه الذين امنوا به فانهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في الاخرين
سلام علي الياسين قري الياسين بالقطع قيل اراد ال محمد وقيل ال القران بان ياسين
من اسما القران وفيه بعد وقري الياسين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المومنين انا كذلك نجزي

المحسنين

المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالي وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله
اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب ثم دمرنا اي اهلكنا الاخرين وانكم
مصبحين
اي يا اهل مكة لتمرون عليهم اي علي اثارهم ومنازلهم اي في وقت الصباح وبالليل اي وبالليل
في اسفاركم افلا تعقلون اي فتعتبرون بهم قوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين اي من جملة
رسل الله اذ ابق اي هرب الي الفلك المشحون اي المملو قال ابن عباس وكان يونس وعد
قومه العذاب فتاخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست
السفينة فقال الملاحون ها هنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت علي يونس فاقترعوا
ثلاثا فوقعت علي يونس فقال انا الابق وزج نفسه في الما وقيل انه لما وصل الي البحر
كانت معه امراته وابنان له فجا مركب واراد ان يركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها
فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجات موجة اخري فاخذت ابنه الاكبر
وجا ذيب فاخذ ابنه الاصغر فبقي فريدا فجا مركب اخر فركبه وقعد ناحية من القوم
فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف
السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا لنخرج سهمه نغرقه فلان نغرق
واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالي فساهم اي فقارع
فكان من المدحضين يعني من المقرعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبيا
فالتقمه الحوت اي ابتلعه وهو مليم اي اتي بما يلام عليه فلولا انه كان من المسبحين اي من
الذاكرين لله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين
قال الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقيل شكر الله له طاعته
القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخا يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا
ذاكرا لله تعالي فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله له ذلك قال الله تعالي فلولا
انه كان من المسبحين للبث في بطنه الي يوم يبعثون وقيل انه كان يسبح في بطن الحوت
وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين للبث في بطنه الي يوم يبعثون
اي لصار بطن الحوت قبرا له الي يوم القيامة قوله تعالي فنبذناه اي طرحناه انما اضاف
النبذ الي نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد مخلوقة لله تعالي بالعرا
اي بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل وهو سقيم اي عليل كالفرخ الممعوط
وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل
سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وانبتنا
عليه شجرة من يقطين يعني القرع قيل كل نبت يمتد وينبسط علي وجه الارض كالقرع
والقثا والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل انبتها الله له ولم تكن قبل ذلك وكانت معرشة

ليحصل له الظل وفي شجر القرع فايدة وهي ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل
بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على وجه الارض لم يمكن ان يستظل بها قيل
وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره
وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا
وجعل يبكي فارسل الله اليه جبريل فقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على ماية الف من امتك قد
اسلموا وتابوا **وارسلناه الى ماية الف** قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه
ما اصابه والمعنى وكنا ارسلناه الى ماية الف فلما خرج من بطن الحوت امر ان يرجع اليهم
ثانيا وقيل كان ارسله بعد خروجه من بطن الحوت اليهم وقيل يجوز ان يكون ارسله الى قوم
اخرين غير القوم الاولين **او يزيدون** قال ابن عباس ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون
وقيل او على اصلها والمعنى او يزيدون في تقدير الراي اذا راهم قال هولاء ماية الف او يزيدون
على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول واما الزيادة فقال ابن
عباس كانوا عشرين الفا يعضده ما روي عن ابي بن كعب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى وارسلناه الى ماية الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا **فامنوا** يعني الذي
ارسل اليهم يونس بعد معاينتهم العذاب **فمتعناهم الى حين** اي الى انقضا اجالهم قوله عز وجل
فاستفتهم اي فسل يا محمد اهل مكة وهو سوال توبيخ **الربك البنات ولهم البنون** وذلك
ان جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملايكة بنات الله والمعنى جعلوا لله
البنات ولهم البنون وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشي الذي
يستنكف منه المخلوق فكيف ينسبونه للخالق **ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون**
اي حاضرون خلقنا اياهم **الا انهم من افكهم** اي من كذبهم **ليقولون ولد الله** اي في زعمهم
وانهم لكاذبون اي فيما زعموا **اصطفى البنات** اي في زعمكم **على البنين** وهو استفهام توبيخ
وتقريع **ما لكم كيف تحكمون** اي بالبنات لله ولكم بالبنين **افلا تذكرون** اي افلا تتعظون
ام لكم سلطان مبين اي برهان بين على ان لله ولدا **فاتوا بكتابكم** اي الذي لكم فيه حجة **ان كنتم
صادقين** اي في قولكم **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا** قيل اراد بالجنة الملايكة سموا
جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس حي من الملايكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس
قالوا هم بنات الله فقال ابو بكر الصديق فمن امهاتهم قال سروات الجنة وقيل معنى النسب
انهم اشركوا الشياطين في عبادة الله وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير من الله
والشر من الشياطين **ولقد علمت الجنة انهم** يعني قايلي هذا القول **لمحضرون** اي في النار **سبحان
الله عما يصفون** نزه نفسه عما يقولون **الا عباد الله المخلصين** هذا استثنا من المحضرين

والمعنى

والمعنى انهم لا يحضرون **فانكم** يعني يا اهل مكة **وما تعبدون** اي من الاصنام **ما انتم عليه**
اي على ما تعبدون **بفاتنين** اي بمضلين احدا **الا من هو صال الجحيم** اي الا من سبق له في علم
الله الشقاوة انه سيدخل النار قوله تعالى اخبارا عن حال الملايكة **وما منا الا له مقام
معلوم** يعني ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملايكة ملك الا له مقام
معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي
او يسبح وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطت السما وحق لها ان تيط والذي
نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي
وهو طرف من حديث قيل الاطيط اصوات الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها
ومعنى الحديث ما في السما من الملايكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملايكة
وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل يعبدون الله
على مقامات مختلفة كالخوف والرجا والمحبة والرضى **وانا لنحن الصافون** يعني الملايكة
صفوا اقدامهم في عبادة الله كصفوف الناس في الصلاة في الارض **وانا لنحن المسبحون** اي
المصلون لله وقيل المنزهون الله عن كل سو يخبر جبريل صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون
الله بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار قوله عز وجل **وان كانوا
ليقولون** يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم **لو ان عندنا ذكرا من الاولين**
يعني كتابا مثل كتاب الاولين **لكنا عباد الله المخلصين** اي لاخلصنا العبادة لله **فكفروا به**
اي فلما اتاهم الكتاب كفروا به **فسوف يعلمون** فيه تهديد لهم قوله تعالى **ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين** يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم **انهم لهم المنصورون** اي بالحجة
البالغة **وان جندنا** اي حزبنا المومنين **لهم الغالبون** اي لهم النصرة في العاقبة **فتول** اي اعرض
عنهم حتى حين قال ابن عباس يعني الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى امرك بالقتال وهذه
الاية منسوخة باية القتال وقيل الى ان ياتيهم العذاب **وابصرهم** اي اذا نزل بهم العذاب
فسوف يبصرون اي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل **افبعذابنا
يستعجلون فاذا نزل** يعني العذاب **بساحتهم** اي بحضرتهم وقيل بفنايهم ويعتبر **فسا
صباح المنذرين** اي فبيس صباح الكافرين الذين انذروا العذاب **ق** عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فسا صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تاكيدا لوعد العذاب
فقال تعالى **وتول عنهم حتى حين** وقيل المراد من الاية الاولى احوالهم في الدنيا وهذه
ذكر احوالهم في الاخرة فعلى هذا القول يزول التكرار **وابصر** اي العذاب اذا نزل بهم
فسوف يبصرون ثم نزه نفسه فقال تعالى **سبحان ربك رب العزة** اي الغلبة والقوة

وفيه اشارة الي كمال القدرة وانه القادر علي جميع الحوادث عما يصفون اي اتخاذ الشركا
والاولاد وسلام علي المرسلين اي الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرايع لانا علي مراتب
البشر ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبيا عليهم السلام فلا جرم يجب علي كل
احد الاقتدا بهم والاسترشاد بهم والحمد لله رب العالمين اي علي هلاك الاعدا ونصرة الانبيا
وقيل الغرض من ذلك تعليم المومنين ان يقولوه ولا يغفلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي
ابن ابي طالب قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفي من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا
قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين
تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود عليه السلام وهي مكية قيل ست وقيل ثمان
وثمانون اية وسبعمائة واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة الاف وسبع وستون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل ص قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح
اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد
صلى الله عليه وسلم والقران ذي الذكر قال ابن عباس اي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم
قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالي ص اقسم الله بالقران ان محمد الصادق وقيل جواب
القسم محذوف تقديره والقران ذي الذكر ما الامر كما يقول الكفار ودل علي هذا المحذوف قوله
تعالي بل الذين كفروا وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره
بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقران ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه
ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم
وهذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي الاخر ومجاز الاية
ان الله تعالي اقسم بصاد والقران ذي الذكر بل الذين كفروا من اهل مكة في عزة اي حمية
وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم كم اهلكنا
من قبلهم من قرن يعني من الامم الخالية فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول
النقمة ولات حين مناص اي ليس حين فرار وتاخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا
فاضطربوا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب
ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالي ولات حين مناص اي ليس حين هذا القول وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم يعني رسولا من انفسهم ينذرهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب قوله عز وجل اجعل
الالهة الها واحدا وذلك ان عمر بن الخطاب اسلم فشق علي قريش وفرح به المومنون فقال الوليد
ابن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا
الوليد بن المغيرة امشوا الي ابي طالب فاتوا ابا طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هولا السفها وانما اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل اليه ابو طالب فدعا به

فلما اتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي هولا قومك يسالونك السوا فلا تمل
كل الميل علي قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسالون قالوا ارفض ذكر الهتنا
وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطيكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا
كيف يسع الخلق اله واحد ان هذا الشي عجاب اي عجيب وانطلق الملا منهم ان امشوا اي
يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا علي الهتكم اي اثبتوا علي عبادة الهتكم ان هذا الشي يراد
اي الامر يراد بنا وذلك ان عمر لما اسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذي نراه
من زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم انما يراد علينا ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله محمد صلى الله عليه
وسلم من التوحيد في الملة الاخرة قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها اخر الملل وهم لا يوحدون
بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه ان هذا الا اختلاق
اي كذب وافتعال اانزل عليه الذكر اي القران من بيننا اي يقول اهل مكة ليس هو باكبرنا ولا اشرفنا
قال الله تعالي بل هم في شك من ذكري اي وحيي وما انزلت بل لما يذوقوا عذاب اي لو ذاقوه لما قالوا
هذا القول ام عندهم خزاين رحمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاوا العزيز اي في ملكه
الوهاب اي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ليس
لهم ذلك فليرتقوا في الاسباب يعني ان ادعوا شيا من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم
الي السما وليا توا منها بالوحي الي من يختاروا وقيل اراد بالاسباب ابواب السما وطرقها من سما الي سما
وهذا امر توبيخ وتعجيز جند ما هنالك اي هولا الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك مهزوم اي
مغلوب من الاحزاب يعني ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا علي الانبيا بالتكذيب
فقهروا واهلكوا اخبر الله تعالي نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين
فجاء تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الي مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه
صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال ابن عباس ذو البنا
المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد يريدون
به انه دايم شديد قال الاسود بن يعفر فلقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك
ثابت الاوتاد واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي
رواية عن ابن عباس ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون امره ويشدون ملكه كما
يقوي الوتد الشي وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها
في اسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا
غضب علي احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد وشد كل طرف ... منه الي وتد فيتركه

حتى يموت وقيل يرسل عليها العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وارسان وملاعب يلعب
عليها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب اي الذين تحزبوا على الانبيا
فاعلم الله ان مشركي قريش حزب من اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب
يعني ان اولئك الطوايف والامم الخالية لما كذبوا انبياهم وجب عليهم العذاب فكيف
حال هولا الضعفا المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الاية زجر وتخويف للسامعين
وما ينظر اي ينتظر هولا يعني كفار مكة الا صيحة واحدة ما لها من فواق اي رجوع
والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف وقالوا ربنا عجل
لنا قطنا اي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر
ابن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي
احصت كل شي قيل لما نزل في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله
قالوا استهزا عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقيل قطنا اي حسابنا يقال
لكتاب الحساب قط وقيل القط الكتاب بالجوايز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
اصبر على ما يقولون اي على ما يقول الكفار من تكذيبك واذكر عبدنا داود ذا الايد قال ابن
عباس اي القوة في العبادة ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان احب الصيام الى الله صيام داود واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر
يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة في الملك
انه اواب اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله وقيل مسبح
بلغة الحبش انا سخرنا الجبال معه يسبحن اي بتسبيحه اذا سبح بالعشي والاشراق اي غدوة
وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس وتتناهى وفسره ابن عباس بصلاة الضحى روى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت امر بهذه الاية لا ادري ما هي
حتى حدثتني ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضو فتوضا
ثم صلى الضحى فقال يا ام هاني هذه صلاة الاشراق قلت والذي اخرجاه في الصحيحين
من حديث ام هاني في صلاة الضحى قالت ام هاني ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه فقلت انا ام
هاني بنت ابي طالب فقال مرحبا بام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في
ثوب قالت ام هاني وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ما حدثنا احد انه راى
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير ام هاني فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل
بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع
والسجود قوله تعالى والطير اي وسخرنا له الطير محشورة اي مجموعة اليه تسبح معه كل له اواب

اي رجاع

اي رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه وشددنا ملكه اي قويناه بالحرس والجنود
قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل
وروي عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرايل استعدى على رجل من عظمايهم عند داود فقال
ان هذا غصبني بقرا فساله داود فجحد فسال الاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما
داود قوما حتى انظر في امركما فاوحى الى داود في منامه ان يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه
رويا ولست اعجل عليه حتى اثبت فاوحى الله اليه مرة اخرى فلم يفعل فاوحى الله اليه الثالثة
ان يقتله او تاتيه العقوبة فارسل داود اليه فقال ان الله اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني
بغير بينة فقال داود نعم والله لا نفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال
لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته
فبذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرايل عند ذلك لداود واشتد
به ملكه فذلك قوله وشددنا ملكه واتيناه الحكمة يعني النبوة والاصابة في الامور وفصل
الخطاب قال ابن عباس من بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والصبر بالقضا وقال علي
ابن ابي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل
به وقال ابن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول
الانسان بعد حمد الله والثنا عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام اخر واول من قاله داود
عليه السلام قوله عز وجل وهل اتاك اي وقد اتاك يا محمد نبؤا الخصم اي خبر الخصم فاستمع له
نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الاخبار العجيبة
والتشويق الى استماعه والخصم الخصما يقع على الواحد والجمع اذ تسوروا المحراب اي صعدوا
وعلوا المحراب اي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة والمعنى
انهم اتوا المحراب من سوره وهو اعلاه وفي الاية قصة امتحان داود عليه السلام واختلف
العلما باخبار الانبيا في سبب ذلك وسنذكر ما قاله المفسرين ثم اتبعه بفصل فيه ذكر تنزيه
داود عما لا يليق بمنصبه لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فلا ينسب اليها الا ما
يليق بها فاما ما قاله المفسرون ان داود عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة ابايه ابراهيم
واسحاق ويعقوب وذلك انه كان قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو
فيه لعبادة ربه ويوم لنسايه واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابراهيم
واسحاق ويعقوب فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب به ابايي الذين كانوا قبلي فاوحى الله
اليه انهم ابتلوا ابتلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي ابراهيم بنمروذ بالذال المعجمة وذبح
ابنه وابتلي اسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود
رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا

فاحترص فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي
ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها
من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقفت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد
يده لياخذها ويريها بني اسرايل لينظروا الي قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت
غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها لياخذها فتنحت فتبعها فطارت
حتى وقفت في كوة فذهب لياخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من
يصيدها له فابصر امراة في بستان علي شط بركة تغتسل وقيل راها تغتسل علي سطح
لها فراي امراة من اجمل النسا خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت
ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده اعجابا بها فسال عنها فقيل هي تشابع بنت شايع
امراة اوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقا مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود
الي ابن اخته ان يبعث اوريا الي موضع كذا او قدمه قبل التابوت وكان من قدم علي التابوت
لا يحل له ان يرجع وراه حتى يفتح الله علي يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الي داود
بذلك فكتب اليه ان ابعثه الي عدو كذا وكذا اشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثانية
فلما انقضت عدة المراة تزوجها داود فهي ام سليمان عليه السلام وقيل ان داود احب ان يقتل
اوريا فيتزوج امراته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل
ان ينزل له عن امراته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله لم يرض لداود ذلك لانه رغبة
في الدنيا وازديادا من النسا وقد اغناه الله عنها بما اعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان
داود انه كان قد جزا الدهر اجزا يوما للنساء ويوما للعبادة ويوما بين بني اسرايل
ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرايل ذكروا فقالوا هل
ياتي علي الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه ان ابتلي اعتصم فلما كان
يوم عبادته اغلق عليه الابواب وامر ان لا يدخل عليه احد واكب علي قراة التورية
فبينما هو يقرا اذ دخلت حمامة وذكروا نحو ما تقدم فلما دخل بالمراة لم يلبث الا يسيرا
حتى بعث الله الملكين اليه وقيل ان داود ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من
الملايكة فكانا يصليان معه فلما استانس بهما قال لهما اخبراني باي شي انتما موكلان قالا نكتب
صالح عملك ونوفقك ونصرف عنك السو فقال في نفسه ليت شعري كيف اكون لو خلوني
ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله الي الملكين ليعتزلاه ليعلم انه لا غنى
به عن الله تعالى فلما فقدهما جد واجتهد في العبادة الي ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله
تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طايرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل قال داود
لبني اسرايل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل انه اعجبه عمله فابتلي فبعث الله اليه ملكين

فصورة

في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه
المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسين وهو يصلي يقال كانا جبريل وميكايل فذلك
قوله عز وجل وهل اتاك نبو الخصم اذ تسوروا المحراب **اذ دخلوا علي داود ففزع منهم**
اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال لهما ما ادخلكما علي **قالوا لا تخف**
خصمان اي نحن خصمان **بغى بعضنا علي بعض** اي تعدي وخرج عن الحد جيناك لتقضي بيننا
فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغي منهما والملايكة لا يبغي بعضهم علي بعض
قلت هذا من معاريض الكلام لا علي تحقيق البغي من احدهما والمعنى ارايت خصمين
بغى احدهما علي الاخر **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** اي لا تجر في حكمك **واهدنا الي سواء**
الصراط اي ارشدنا الي طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال **ان هذا اخي** اي علي
ديني وطريقتي لا من جهة النسب **له تسع وتسعون نعجة** يعني امراة **ولي نعجة واحدة**
اي امراة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المراة وهذا علي سبيل التعريض للتنبيه
والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي **فقال اكفلنيها** قال ابن عباس اعطنيها وقيل معناه
انزل لي عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها **وعزني في الخطاب** يعني
وقهرني في القول لانه افصح مني في الكلام وان حارب كان ابطش مني لقوة ملكه والمعنى
ان الغلبة كانت له علي لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع
اوريا زوج المراة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امراة ولاوريا
واحدة فضمها داود الي نسايه **قال** داود **لقد ظلمك بسوال نعجتك الي نعاجه** اي ليضمها
الي نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الاخر قلت معناه
ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول **وان**
كثيرا من الخلطا اي الشركا **ليبغي بعضهم علي بعض** اي يظلم بعضهم بعضا **الا الذين امنوا**
وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون احدا **وقليل ما هم** اي وهم قليل وما مزيدة للابهام
والتعجب من قلتهم اي هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل
فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الي صاحبه وضحك وصعدا الي السما فعلم داود ان
الله ابتلاه وذلك قوله تعالى **وظن داود** اي ايقن وعلم **انما فتناه** اي ابتليناه وامتحناه
وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى علي نفسه فتحولا في صورتهما وعرجا
وهما يقولان قضى الرجل علي نفسه وعلم داود انه انما عني به وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلام حين
نظر الي المراة فاهم فقطع علي بني اسرايل فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر البعث
فقرب فلانا بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او يهزم عنه الجيش فقتل زوج المراة

ونزل الملكان يختصمان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى
نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول في سجوده رب
زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه
جعلت ذنبه حديثا في المخلوف من بعده فجاء جبريل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود
ان الله قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر لي الهم الذي
هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيمة فقال رب دمي
الذي عند داود فقال جبريل ما سالت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج
جبريل وسجد داود ما شاء الله ثم نزل جبريل فقال سالت الله يا داود عن الذي ارسلتني
فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيمة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود
فيقول هو لك يا رب فيقول فان لك في الجنة ما شئت واشتهيت عوضا فهذا ما قاويل
السلف من اهل التفسير في قصة امتحان داود **فصل** في تنزيه داود عليه
السلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم ان من خصه الله بنبوته واكرمه برسالته
وشرفه على كثير من خلقه وايتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق
ان ينسب اليه ما لو نسب الى احاد الناس لاستنكف منه وتحدث به عنه فكيف يجوز ان
ينسب الى بعض اعلام الانبيا والصفوة الامنا ذلك روي سعيد بن المسيب والحارث
الاعور عن علي بن ابي طالب انه قال من حدثكم بحديث ما يرويه القصاص جلدته ماية
وستين وهو حد الفرية على الانبيا وقال القاضي عياض لا يجب ان يلتفت الى ما نسطره
الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على
شي من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه في قصة داود وظن داود انما فتناه
وليس في قصة داود واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي قتل مسلم وهذا الذي ينبغي ان
يعول عليه من امر داود وقال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم
بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن بداود هذا
وقال غيره ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على
استحالة ما نقوله من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى
ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلا ولقالوا انت في مدح شخص كيف
تجري ذمه في اثنا مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم فان قلت في الاية
ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر
ربه وقوله واناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الالفاظ شي مما يدل على ذلك
وذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات واعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف

واسنا هافاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله على ذلك وغفره لهم كما قيل
حسنات الابرار سيات المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان
في الاية قلت ذهب المحققون من علما التفسير وغيرهم في هذه القصة الى ان
داود عليه السلام ما زاد على ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك
ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود عليه السلام تمنى ان تكون امراة
اوريا له فاتفق غزو اوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على
غيره من جنده ثم تزوج امراته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبيا وان صغرت
فهي عظيمة عند الله وقيل ان اوريا قد خطب تلك المراة ووطن نفسه عليها فلما
غاب في غزاته خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعاتبه الله على
ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امراة ويدل على صحة
هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن
قد تزوج اوريا بها فعوتب داود بشيئين احدهما خطبته على خطبة اخيه والثاني اظهار
الحرص على التزوج مع كثرة نسايه وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب
اوريا والمراة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الاخر وقيل
هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما
بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة
فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه السلام مما ينسب اليه والله اعلم قوله عز وجل
فاستغفر ربه اي سال ربه الغفران **وخر راكعا** اي ساجدا عبر بالركوع عن السجود
لان كل واحد منهما فيه انحنا وقيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا **فصل**
اختلف العلما في سجدة ص هل هي من عزايم السجود فذهب الشافعي الى انها ليست من عزايم
سجود التلاوة وقال انها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هي من
عزايم سجود التلاوة واستدل بهذه الاية على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة
وعن احمد في سجدة ص روايتان ق عن ابن عباس قال سجدة ص ليست من عزايم السجود وقد رايت النبي
صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد في ص فقرا ومن ذريته
داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر ان يقتدي بهم فسجدها داود
فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنساي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
سجد في ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن ابي سعيد الخدري قال قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه
فلما كان يوما اخر قراها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

انما هي توبة نبي ولكن رايتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا اخرجه ابو داود وقوله
تشوف الناس يعني تاهبوا او تهيئوا واستعدوا للسجود عن ابن عباس قال جا رجل الي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رايتني الليلة وانا نايم كاني اصلي خلف شجرة
فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا
واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرا سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة اخرجه
الترمذي قال المفسرون سجد داود اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلاة
مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب
حول راسه وهو ينادي ربه عز وجل ويساله التوبة وكان من دعايه في سجوده سبحان
الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشا سبحان خالق النور سبحان الحايل بين القلوب
سبحان خالق النور الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم اقم لفتنته اذ نزلت بي سبحان
خالق النور الهي انت خلقتني وكان في سابق علمك ما انا اليه صاير سبحان خالق النور الهي
الويل لداود اذا كشف عنه الغطا فيقال هذا داود الخاطي سبحان خالق النور الهي باي عين
انظر اليك يوم القيمة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي باي قدم
اقوم امامك يوم القيمة يوم تزل اقدام الخاطيين سبحان خالق النور الهي من اين يطلب
العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي انا لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق
حر نارك سبحان خالق النور الهي انا لا اطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم
سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي اصاب سبحان خالق النور الهي
كم تستر الخاطيون بخطاياهم دونك وانت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور
الهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي سبحان خالق النور الهي اعوذ بنور وجهك
الكريم من ذنوبي التي اوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيتي
فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور فيل مكث داود اربعين
يوما لا يرفع راسه حتى نبت المرعي من دموع عينيه حتى غطى راسه فنودي يا داود اجايع
انت فتطعم اظمان انت فتسقى اعار انت فتكسى امظلوم انت فتنصر فاجيب في غير ما
طلب ولم يجبه في ذكر خطيته بشي فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر
جوفه ثم انزل الله التوبة والمغفرة قال وهب ان داود اتاه ندا اني قد غفرت لك فقال
يا رب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الي قبر اوريا فناده وانا اسمعه نداك
فتحلل منه فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادي يا اوريا فقال
من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني قال انا داود فقال ما جاء بك يا نبي الله قال اسالك ان

تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني
للجنة فانت في حل فاوحي الله اليه يا داود الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي بالتعنت الا
اعلمته انك تزوجت امراته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي
قال انا داود قال يا نبي الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان
امراتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة اخري فلم يجبه وعاوده فلم يجبه
فقام عند قبره وجعل التراب علي راسه ثم نادي الويل لداود ثم الويل الطويل له
حين يوخذ بنقنه فيدفع الي المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل
الطويل له حين يسحب علي وجهه مع الخاطيين الي النار سبحان خالق النور فاتاه ندا من
السما يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاك واستجبت دعاك واقلت عثرتك
قال يا رب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود اعطيه يوم القيمة من الثواب
ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه فاقول له رضي عبدي فيقول يا رب من اين لي هذا ولم يبلغه
عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال يا رب الان قد
عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا وانا با اي رجع فغفرنا
له ذلك اي الذنب وان له عندنا اي يوم القيمة بعد المغفرة لزلفى اي لقربى ومكانة
وحسن ماب اي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليه بكي
علي خطيته ثلاثين سنة لا يرقي دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطية وهو ابن
سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطية علي اربعة ايام يوم للقضا بين بني اسرايل
ويوم لنسايه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها اربعة
الاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم علي نفسه ويساعدونه علي ذلك فاذا كان
يوم سياحته يخرج الي الفيافي ويرجع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير
والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم ينسيل من بكايهم الاودية ثم يجي الي الساحل
فيرجع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الما فاذا امسي رجع فاذا كان
يوم نوحه علي نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود علي نفسه فليحضر من
يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها
ليف فيجلس عليها ويجي اربعة الاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون الي
تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكا والنوح علي نفسه ويرفع الرهبان معه
اصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب
فيجي سليمان فيحمله وياخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر
ما ترى فلو عدل بكا داود بكا اهل الدنيا لعدلهم وعن الاوزاعي مرفوعا الي رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود كمثل القربتين تنقطران ما ولقد خدت الما في وجهه
كخديد الما في الارض قال وهب لما تاب الله على داود فقال يا رب غفرت لي فكيف لي ان
لا انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطيين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده
اليمنى فما رفع فيها طعاما وشرابا الا بكى اذ اراها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط
راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان اذا دعا استغفر للخاطيين
قبل نفسه وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطيين يقول تعالوا الى
داود الخاطي ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس
في قصعته فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فياكل
ويقول هذا اكل الخاطيين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف
الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود
اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت
وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراته
وقيل انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض اي لتدبر امر الناس بامرنا نافذ الحكم فيهم فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع
الهوى اي لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله فيضلك عن سبيل الله اي عن دين الله وطريقه
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بان تركوا الايمان
بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضا قوله تعالى وما
خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا قال ابن عباس لا لثواب ولا عقاب وقيل معناه
ما خلقناهما عبثا لا لشي ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقنا
لغير شي وانه لا بعث ولا حساب فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض قيل ان كفار قريش قالوا للمومنين انا نعطى في الاخرة
من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين كالفجار يعني الكفار والمعنى لا نجعل
الفريقين سوا في الاخرة كتاب انزلناه اليك اي هذا كتاب يعني القران انزلناه اليك مبارك
اي كثير خيره ونفعه ليدبروا اياته اي ليتدبروا في اوامره ونواهيه وليتذكر اي ليتعظ
اولوا الالباب اي ذووا العقول والبصاير قوله عز وجل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل ان سليمان غزا اهل دمشق ونصيبين
فاصاب منهما الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى
سليمان الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها
تسع ماية فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت فاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له

فاغتم

فاغتم لذلك وقال ردوها علي فاقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى
وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي
منها ماية فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال انها من نسل تلك الماية فلما عقرها ابدله
الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شا وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد قيل هي الخيل القايمة على ثلاث قوايم واقامت الرابعة على طرف الحافر من رجل
او يد وقيل الصافن القايم وجا في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوا مقعده
من النار اي قياما الجياد اي الخيار السراع في الجري واحدها جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي يعني صلاة العصر حتى توارت اي استترت الشمس بالحجاب
اي بما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف مسيرة سنة تغرب الشمس من ورايه
ردوها علي اي ردوا الجياد علي فطفق مسحا بالسوق جمع ساق والاعناق اي جعل يضرب سوقها
واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبي الله سليمان لم يكن
ليقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن
اسحاق لم يعنفه الله على عقره الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل
انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها واعناقها
بكي الصدقة وحكي عن علي يعني قوله ردوها علي يقول بامر الله للملايكة الموكلين بالشمس ردوها
علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق
لالفاظ القران ان يقال ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان
سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس فامر باحضار الخيل وامر باجرايها وذكر اني لا احبها
لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر
ربي ثم انه عليه السلام امر باعدايها وجريها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره
ثم امر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها
والغرض من ذلك المسح امور تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني انه
اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان
اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى
يعلم هل فيهما ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق عليه لفظ القران ولا يلزمنا
شي من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان
قيل فالجمهور قد فسروا الاية بهذه الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا هاهنا مقامات المقام الاول
ان ندعي ان لفظ الاية لا يدل على شي من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر
كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الاية يدل عليه الا انه كلام

ذكره الناس وان الدلايل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبيا ولم يرد دليل على صحة هذه
الحكايات قوله عز وجل **ولقد فتنا سليمان** اي اختبرناه وابتليناه بسبب ملكه وكان سبب
ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزاير البحر يقال لها صيدون
وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد اتى سليمان في ملكه
سلطانا لا يمتنع عليه شي في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح
على ظهر الما حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واسر ما فيها واصاب بنتا لذلك
الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام
واسلمت على جفا منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيا من نسايه وكانت على منزلتها
عنده لا يذهب حزنها ولا يرقى دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا
الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقى قالت اني اذكر ابي واذكر ملكه وما كان فيه وما
اصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله به ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا
هو اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكني
اذا ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا صورته في داري التي
انا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسلي عني بعض ما اجد
في نفسي فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه شيا
فمثلوه لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته
ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولايدها
فتسجد له ويسجدن له كما كان يصنع في ملكه وتروح كل عشية مثل ذلك وسليمان لا يعلم
بشي من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك اصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن
ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شي من بيوته دخل حاضرا سليمان او غايبا فاتاه
فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت
ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبيا الله واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم
الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم
خطيبا فذكر من مضى من انبيا الله واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله به حتى انتهى
الى سليمان فقال ما كان احكمك في صغرك واورعك في صغرك وافضلك في صغرك واحكم امرك
في صغرك وابعدك من كل ما يكره الله في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك
حتى ملي غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا اصف ذكرت من مضى من انبيا
الله فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت
تثني علي خيرا في صغري وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في اخر امري

فقال ان غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امراة فقال سليمان في داري قال
في دارك قال انا لله وانا اليه راجعون قد عرفت ما قلت الذي قلت الا عن شي بلغك ثم رجع
سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المراة وولايدها ثم امر بثياب الطهرة فاتي بها وهي
ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم يمسها امراة قد رات
الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش ثم اقبل تايبا الى الله تعالى
حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر
مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة
كان اذا دخل الخلا او اراد اصابة امراة من نسايه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس
خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان
اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيا فقال خاتمي يا امينة فناولته اياه فجعله في يده
ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن وخرج سليمان فاتى
الامينة وقد تغيرت حاله وهيبته عند كل من راه فقال يا امينة خاتمي قالت من انت قال انا
سليمان بن داود فقالت كذبت قد جا سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف
سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يمر على الدار من دور بني اسرايل فيقول انا سليمان
ابن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شي يقول يزعم انه سليمان
فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق ويعطونه كل يوم
سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين
صباحا عدد ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان اصف وعظما بني اسرايل انكروا حكم عدو الله
الشيطان في تلك المدة فقال اصف يا معشر بني اسرايل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود
ما رايت قالوا نعم قال امهلوني حتى ادخل على نسايه فاسالهن هل انكرن في خاصة امره ما انكرنا
في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسايه فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن
اشده ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن
ما كان الله ليسلط الشيطان على نسا نبيه عليه السلام قال ثم ان اصف خرج على بني اسرايل
فقال ما في الخاصة اشد مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر
بالبحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل سليمان نصف يومه
فلما امسى اعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة وشق الاخرى ليشويها فاستقبله
خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكف عليه الطير والجن واقبل
الناس عليه وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان قد احدث في داره ورجع الى ملكه واظهر التوبة
من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوه بصخر فطلبوه حتى اخذوه فاتي به فادخله جوف صخرة وسد عليه

بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر وقيل في سبب قصة سليمان
أن جرادة كانت أثر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يومًا إن أخي بينه وبين
فلان خصومة فأحب له أن تقضي له قال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم
وقيل إن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فأعاده إلى يده فسقط وكان فيه ملكه
فأيقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف وقال لسليمان إنك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك
في يدك ففر إلى الله تائبًا فإني أقوم مقامك وأسير بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك ففر
سليمان هاربًا وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت فأقام آصف في ملك سليمان
يسير بسيرته أربعة عشر يومًا إلى أن رد الله على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع إلى ملكه وجلس على
سريره وأعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه وروي عن سعيد بن
المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله إليه احتجبت عن الناس ثلاثة
أيام فلم تنظر في أمر عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ
الشيطان إياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبيه
الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وإن الشياطين لا يسلطون على
مثل هذا وقد عصم الله الأنبياء من مثل هذا والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته
ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له
صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعًا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا
أجمعون وفي رواية لأطوفن على مائة امرأة قال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء
والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن
لما شوقه من الحرص وغلبه من التمني وقيل نسي أن يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله
ومراده فيه وقيل إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه أنه ولد له ولد فانبعثت الشياطين
وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك
سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفًا من الشياطين فبينما هو مشتغل
في بعض مهماته إذ ألقي ذلك الولد ميتًا على كرسيه فنبه الله تعالى فاستغفر فذلك قوله عز وجل
وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب أي رجع إلى ملكه بعد الأربعين يومًا وقيل أناب بالاستغفار
وهو قوله **قال رب اغفر لي** أي يسأل ربه المغفرة **وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي** أي لا يكون
لأحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من
عمري **إنك أنت الوهاب** فإن قلت قول سليمان لا ينبغي لأحد من بعدي يشعر بالحسد والحرص

على

على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصًا على طلب الدنيا ولا نافسه بها ولكن قصده في ذلك أن لا
يتسلط عليه الشياطين مرة أخرى وهذا قول من قال إن الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك
ليكون علمًا وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه
ورد ملكه إليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكًا ولكن أحب أن يخص بخاصية كما خص
داود بإلانة الحديد وعيسى بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فسأل شيئًا يختص به كما روي
في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عفريتًا من الجن تفلت علي البارحة
ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى
تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي
فرددته خاسئًا قوله تعالى **فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء** أي لينة ليست بعاصفة **حيث
أصاب** أي حيث أراد **والشياطين** أي وسخرنا له الشياطين **كل بناء** أي يبنون له ما يشاء **وغواص**
يعني يخرجون له اللآلئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر **وآخرين** أي وسخرنا له آخرين
وهم مردة الشياطين **مقرنين في الأصفاد** أي مشدودين في القيود سخروا حتى قرنهم في الأصفاد
هذا عطاؤنا أي قلنا له هذا عطاؤنا **فامنن** أي أحسن إلى من شئت **أو أمسك** أي عمن شئت
بغير حساب أي لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله على أحد
نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فإنه إن أعطى أجر وإن أمسك لم يكن عليه تبعة وقيل هذا
في أمر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه أو أمسك
أي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه **وإن له عندنا
لزلفى وحسن مآب** لما ذكر الله ما أنعم به عليه في الدنيا أتبعه بما أنعم عليه في الآخرة قوله
عز وجل **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب** أي بمشقة **وعذاب** أي ضر
وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب **اركض** يعني أنه لما انقضت مدة الابتلاء
قيل له اركض أي اضرب **برجلك** يعني الأرض ففعل فنبعت عين ماء **هذا مغتسل بارد** فأمره الله
أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فضرب برجله الأرض
مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله **وشراب**
ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا أي إنما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة
لا على اللزوم **وذكرى لأولي الألباب** يعني سلطنا عليه البلاء فصبر ثم أزلنا عنه البلاء وكشفنا
ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر **وخذ بيدك ضغثًا** أي ملء كفك من حشيش
أو عيدان أو ريحان **فاضرب به ولا تحنث** وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله
حسن صبرها معه فأفتاه في ضربها وسهل له الأمر وأمره بأن يأخذ ضغثًا يشتمل على مائة
عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ذلك ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لأيوب

خاص ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن ابي رباح والثاني انه خاص لايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اي اذكر صبرهم فابراهيم القي في النار فصبر واسحاق ذهب بصره واضجع للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر اولي الايدي قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله والابصار اي في المعرفة بالله وقيل باليد اكثر الاعمال وبالبصر اقوى الادراكات فعبر عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية فاشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى واشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عنها بين القوتين بالايدي والابصار انا اخلصناهم اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخالصة ذكرى الدار قيل معناه اخلصناهم بذكر الاخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقيل كانوا يدعون الى الاخرة والى الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الاخرة وهو الخوف الدايم في القلب وقيل اخلصناهم بافضل ما في الاخرة وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يعني من الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل اي اذكرهم بفضلهم وخيرهم لتسلك طريقتهم وكل من الاخيار قوله عز وجل هذا ذكر اي الذي يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به وان للمتقين لحسن ماب اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الاخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب قيل يفتح لهم ابوابها بغير فتح بيد بل بالامر يقال لها انفتحي انغلقي متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب اي مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل سواحيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن هذا ما توعدون ليوم الحساب اي قل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعد به المتقون ان هذا لرزقنا ما له من نفاد وانقطاع بل هو دايم كلما اخذ منه شي عاد مثله في مكانه قوله تعالى هذا اي الامر الذي ذكرناه وان للطاغين يعني الكافرين لشر ماب يعني لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها اي يدخلونها فبئس المهاد اي الفراش هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح

والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه واخر من شكله اي مثل الحميم والغساق ازواج اي اصناف اخر من العذاب هذا فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة الاتباع مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتموها انتم وقيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قال القادة لا مرحبا بهم اي بالاتباع انهم صالوا النار اي داخلوها كما صليناها نحن قالوا اي قال الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم اي لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا واهلا وسهلا اي اتيت رحبا وسعة انتم قدمتموه لنا يعني تقول الاتباع للقادة انتم بداتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعايكم ايانا الى الكفر فبئس القرار اي فبئس دار القرار جهنم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار اي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن مسعود حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش وصناديدها وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم اي في الدنيا من الاشرار يعنون بذلك فقرا المومنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار يعني ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هولاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه ام هم في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيا ان ذلك اي الذي ذكرت لحق ثم بين ذلك فقال تعالى تخاصم اهل النار اي في النار سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل قل اي قل يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر اي مخوف وما من اله الا الله الواحد يعني الذي لا شريك له في ملكه القهار اي الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجا والترغيب فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا اشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا اشعر بانه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم قل هو نبا عظيم يعني القران قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة انتم عنه معرضون اي لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وان ما جيت به لم اعلمه الا بوحي من الله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون يعني في شان ادم حين قال الله اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها فان قلت كيف يجوز ان يقال

ان الملايكة اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما والمخاصمة
مع الله لا تليق ولا يمكن قلت لا شك انه جري هناك سوال وجواب وذلك يشبه
المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المخاصمة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة
عليه ان يوحي الي اي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالي الي الا انما انا نذير مبين
يعني الا انما انا نبي انذركم وابين لكم ما تاتونه وتجتنبونه عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اتاني ربي في احسن صورة قال احسبه قال في المنام فقال
يا محمد هل تدري فيما يختصم الملا الاعلي قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتي وجدت
بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض قال يا محمد
هل تدري فيما يختصم الملا الاعلي قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد
بعد الصلوات والمشي علي الاقدام الي الجماعات وابلاغ الوضوء في المكاره ومن فعل
ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت
فقل اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك
فتنة فاقبضني اليك غير مفتون والدرجات افشا السلام واطعام الطعام والصلاة
بالليل والناس نيام وفي رواية فقال لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق
والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فصل في الكلام علي معني
هذا الحديث وللعلما في هذا الحديث وفي امثاله من احاديث الصفات اقوال ولا تعطيل
والايمان به من غير تاويله والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد بان الله ليس كمثله شي وهو
السميع البصير المذهب الثاني وهو تاويل الحديث فقبل الكلام علي معني هذا الحديث فنتكلم
علي اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه ابن سيرين محمد عن زيد
ابن يزيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل من اصحاب رسول الله
صلي الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيي بن ابي كثير عن زيد بن سلام عن عبد
الرحمن بن عايش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلي الله عليه وسلم ورواه
موسي بن خلف العمي عن يحيي عن زيد عن جده ممطور وهو ابو سلام عن ابن السكسكي عن مالك
ابن عامر وقيل فيه غير ذلك ورواه ايوب عن ابي قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال
في المنام ورواه قتادة عن ابي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس قال البخاري
عبد الرحمن بن عايش الحضرمي له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث
الروية قال البيهقي وقد روي من وجه كلها ضعاف وفي ثبوته نظر واحسن طريق فيه
رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسي بن خلف وفيها ما يدل علي ان ذلك كان في المنام
فاما تاويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز ان يكون الباري تعالي

مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصور مختلفة والهيات متضادة ولا يجوز اضافة ذلك
اليه فاستحال ان يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله اتاني ربي في احسن
صورة يحتمل وجهين احدهما واتاني في احسن صورة كانه زاده كمالا وجلالا وحسنا عند
رويته وفايدة ذلك تعريفنا ان الله تعالي زين خلقه وحسن صورته عند رويته لربه
وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحي وثقله الوجه الثاني ان الصورة بمعني الصفة
ويرجع ذلك الي الله تعالي والمعني انه راه في احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال
والانقبال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالي
انه جميل ومعناه مجمل في افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك حسن صفة الله
تعالي وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع الي صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبريا
والعلو والعز والرفعة حتي لا منتهي ولا غاية وراه ويكون معني الحديث علي هذا تعريفنا
ما تزايد من معارفه صلي الله عليه وسلم عند روية ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته
وكبريايه وبهايه وبعده عن تشبيه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله
شي وهو السميع البصير وقوله صلي الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي حتي وجدت بردها
بين ثديي فتاويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شايع في لغة العرب
فيكون معناه علي هذا الاخبار باكرام الله اياه وانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن
فيكون اذ لا يجوز علي الله تعالي ولا علي صفات ذاته مماسة ومباشرة او نقص وهذا هو
اللايق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث علي المنام وان ذلك كان في
المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الي التاويل لان روية الباري
عز وجل في المنام علي الصفات الحسنة دليل علي البشارة والخير والرحمة للرايي وسبب
وسبب اختصام الملا الاعلي وهم الملايكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث
في لفظ فصل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب
تسمية الشي باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد السوال والجواب وذلك يشبه
المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله اعلم اذ قال
ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين يعني ادم فاذا سويته اي تممت خلقه ونفخت فيه من
روحي اضافة الروح الي نفسه اضافة ملك علي سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله
ولان الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الانسان سريان الضو في الفضا وكسريان
النار في الفحم فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر اي تعظم
وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي توليت خلقه
استكبرت اي تعظمت بنفسك عن السجود ام كنت من العالين اي من القوم الذين يتكبرون

فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله قال انا خير منه يعني لو كنت مساويا
له في الشرف لكان يصح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال خلقتني
من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين وافضل منه واخطا ابليس في القياس لان
مال النار الي الرماد الذي لا ينتفع به والطين اصل كل ما هو نام فمنابت كالانسان والشجرة
المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وقيل ان النار خير من
الطين بخاصية والطين خير منها وافضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار
من كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل
عالم فيكون افضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة قال فاخرج منها اي من الجنة وقيل من
السما وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك ان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته
فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته فانك رجيم اي مطرود وان عليك لعنتي الي يوم الدين
فان قلت اذا كان الرجيم بمعني الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق
ان يحمل الرجم علي الطرد من الجنة او السما ويحمل اللعنة علي الطرد من الرحمة فتكون ابلغ
وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الي لانتها الغاية وقوله الي يوم الدين
يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجي يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه
في الدنيا فاذا كان يوم القيمة زيد مع اللعنة انواع من العذاب ما ينسي تلك اللعنة
فكانها انقطعت عنده قال رب فانظرني الي يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الي يوم
الوقت المعلوم يعني النفخة الاولي قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قال فالحق والحق اقول اي انما اقول الحق وقيل الاول قسم بالحق وهو اقسم بنفسه
لاملان جهنم منك اي بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم اجمعين يعني من بني ادم قل
ما اسلكم عليه اي علي تبليغ الرسالة من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين يعني المتقولين
القران من تلقا نفسي فكل من قال شيا من تلقا نفسه فقد تكلف له ق عن مسروق دخلت علي
ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان
من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسلكم عليه من اجر
وما انا من المتكلفين لفظ البخاري ان هو يعني القران الا ذكر اي موعظة للعالمين اي للخلق
اجمعين ولتعلمن يعني انتم يا اهل مكة نباه اي خبر صدقه بعد حين قال ابن عباس بعد الموت
وقيل يوم القيمة وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت قال
الحسن ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين والله اعلم تفسير سورة الزمر نزلت
بمكة الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا علي انفسهم وقوله الله نزل احسن الحديث وقل
يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم عوض قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث ايات

مدنيات

مدنيات من قوله يا عبادي الذين اسرفوا الي قوله لا يشعرون وهي اثنان وقيل خمس وسبعون
اية والف ومائة واثنان وسبعون كلمة واربعة الاف وستماية وثمانية احرف بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تنزيل الكتاب اي هذا الكتاب وهو القران تنزيل من الله العزيز
الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي لم ننزله باطلا لغير شي فاعبد الله مخلصا
له الدين اي الطاعة الا لله الدين الخالص اي شهادة ان لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين
الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من الشرك وما سوي الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان
راس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من
دونه اي من دون الله اولياء يعني الاصنام ما نعبدهم اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله
زلفي يعني قربي وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم
قالوا الله فيقيل لهم فما معني عبادتكم الاصنام قالوا لتقربنا الي الله زلفي وتشفع لنا عنده
ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اي من امر الدين ان الله لا يهدي اي يرشد من هو كاذب
اي قال ان الالهة تشفع له كفار اي باتخاذه الالهة دون الله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفي
اي لاختار مما يخلق ما يشا يعني الملايكة ثم نزه نفسه فقال تعالي سبحانه اي تنزيها له عن
ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه هو الله الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد القهار
اي الغالب الكامل القدرة قوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق يكور الليل علي النهار
ويكور النهار علي الليل يعني يغشي هذا هذا وقيل يدخل احدهما علي الاخر وقيل ينقص
من احدهما ويزيد في الاخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل
ومنتهي النقصان تسع ساعات ومنتهي الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار
عسكران عظيمان يكر احدهما علي الاخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمي يعني الي يوم القيمة الا هو العزيز الغفار معناه ان خلق هذه الاشيا دل
العظيمة وان دلت علي كونه سبحانه وتعالي عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة
والفضل والاحسان خلقكم من نفس واحدة يعني ادم ثم جعل منها زوجها يعني حوا ولما ذكر
الله اثبات قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل علي النهار وتكوير النهار علي الليل
ثم اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالي وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج يعني الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثي من هذه
الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه قيل انه مسنا بمعني الاحداث والانشا وقيل ان
الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالما وهو ينزل من السما فكان التقدير
انزل الما الذي تعيش به الانعام وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت في الجنة ثم نزلت الي
الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر الله تعالي اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام

عقبه ما له تشرك بين الانسان والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون امهات
وانما قال في بطون امهاتكم لتقلبكم من بعقل ولشرف الانسان على ساير الخلق
خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في ظلمات ثلاث قال ابن عباس
ظلمة الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة
البطن ذلكم الله ربكم اي الذي خلق هذه الاشيا ربكم له الملك اي لا غيره لا اله الا
هو فانى تصرفون اي عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله ان تكفروا فان الله غني عنكم
يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضرا وذلك
انه تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان
محتاجا لكان ذلك نقصا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا ان جميع
العالمين لو كفروا واصروا عليه فان الله غني عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر
يعني انه تعالى لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن
عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله
يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر
ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف فلو كفروا لكان غير مرضي
له وان كان بارادته لان الرضى عبارة عن مدح الشيء والثنا عليه بفعله والله سبحانه
وتعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقوله لا يرضى به ولا
يمدح عليه فعلم بان الفرق بين الرضى والارادة وان تشكروا اي تؤمنوا بربكم وتطيعوه
يرضه لكم فيثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم بيانه ثم الى ربكم مرجعكم
اي في الاخرة فينبئكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب
قوله سبحانه وتعالى واذا مس الانسان ضر اي شدة وبلا دعا ربه منيبا اليه اي راجعا
اليه مستغيثا به ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة منه نسي اي ترك ما كان يدعوا اليه من قبل
والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا يعني الاصنام ليضل
عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اي في الدنيا الى انقضا
اجلك انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في ابي حذيفة المخزومي
وقيل هو عام في كل كافر امن هو قانت فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل معنى
الاية تمتع بكفرك انك من اصحاب النار يا من هو قانت انك من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت
في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان
وقيل الاية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القران

وطول

وطول القيام وقيل القانت القايم بما يجب عليه اناء الليل اي ساعات الليل اوله
واوسطه واخره ساجدا وقايما اي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار
وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد من الريا ولان ظلمة الليل تجمع الهم
وتمنع النظر الى الاشيا واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع
الى المطلوب الاعلى وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت
النوم وبغيبة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر يحذر
اي يخاف الاخرة ويرجو رحمة ربه قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فايدة وهي انه قال
في مقام الخوف يحذر الاخرة فلم يضف الحذر الى نفسه وقال في مقام الرجا ويرجو رحمة
ربه وهذا يدل على ان جانب الرجا اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا
ما روي عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال
كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه ما يرجو وامنه مما يخاف اخرجه
الترمذي قل هل يستوي الذين يعلمون اي ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون
اي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وقيل افتتح
الاية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو
النهاية فاذا حصلا للانسان دلا على كماله وفضله انما يتذكر اولوا الالباب قوله سبحانه وتعالى
قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة يعني امنوا واحسنوا العمل حسنة اي الجنة وقيل يعني الصحة والعافية في
هذه الدنيا وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من
البلد الذي تظهر فيه المعاصي وقيل من امر بالمعاصي في بلده فليهرب منه قيل نزلت في مهاجري
الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم
من البلا وصبروا وهاجروا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال علي بن ابي طالب رضي
الله تعالى عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانهم يحثى لهم حثيا
وروي انه يؤتى باهل البلا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم
الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب اهل البلا من الفضل قوله عز وجل قل يا محمد اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
اي مخلصا له التوحيد لا اشرك به شيا وامرت ان اكون من المسلمين اي من هذه الامة وقيل امر اولا
بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح ولان شعاير الله سبحانه وتعالى
لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو اول الناس شروعا فيه وانما خص

الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب
لغيره قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وذلك ان كفار قريش قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وقومك
فتاخذ بها فانزل الله هذه الاية ومعنى الاية زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره
وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خايفا حذرا من المعاصي فغيره اولى بذلك
قل الله اعبد مخلصا له ديني فان قلت ما معنى التكرار في قوله سبحانه وتعالى قل اني امرت ان
اعبد الله مخلصا له الدين وقوله سبحانه وتعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني قلت ليس
هذا بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثاني
اخبار بانه امر ان يخص الله وحده بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا له دينه لان قوله
امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد الحصر والمعنى الله اعبد ولا اعبد احدا
سواه ثم اتبعه بقوله فاعبدوا ما شيتم من دونه ليس امر بل المراد منه الزجر والتهديد
والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله سبحانه وتعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يعني ازواجهم وخدمهم يوم القيامة قال ابن عباس وذلك ان الله سبحانه وتعالى
جعل لكل انسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له
ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله
فخسر نفسه واهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق
بينه وبين اهله الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار اي اطباق وسرادقات
ومن تحتهم ظلل اي فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت
الظلة ما فوق الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب
اطلاق اسم احد الضدين على الاخر الثاني ان الذي تحته من النار يكون ظلة لاخرى
تحتها في النار لانها دركات الثالث ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة
الفوقانية في الايذا والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة ذلك يخوف الله
به عباده اي المومنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار في الاخرة خافوا فاخلصوا
التوحيد والطاعة لله وهو قوله يا عباد فاتقون اي فخافون قوله سبحانه وتعالى والذين
اجتنبوا الطاغوت اي الاوثان ان يعبدوها وانابوا الى الله اي رجعوا الى عبادة الله
بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره لهم البشرى اي في الدنيا وفي الاخرة اما في
الدنيا فالثنا عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في
الاخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند
دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع

من الخير والراحة والروح والريحان فبشر عبادي الذين يستمعون القول يعني القران
فيتبعون احسنه اي احسن ما يومرون به فيعملوا به وهو ان الله سبحانه وتعالى ذكر في
القران الانتصار من الظلم والعفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزايم
والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزايم وقيل يستمعون القران وغيره من الكلام
فيتبعون القران لانه كله حسن وقال ابن عباس لما اسلم ابو بكر الصديق جاء عثمان
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه
فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
وقيل نزلت هذه الاية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو
وابو ذر وسلمان الفارسي اولئك الذين هداهم الله اي لعبادته وتوحيده واولئك هم
اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب قال ابن عباس سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة
العذاب لاملان جهنم وقيل هولاء في النار ولا ابالي افانت تنقذ من في النار اي لا تقدر
عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية
اي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف
الله الميعاد وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه ق عن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون
الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله
تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين
قوله الغابر اي الباقي في الافق اي ناحية المشرق والمغرب قوله سبحانه وتعالى الم تر ان الله انزل
من السما ما فسلكه اي ادخل ذلك الما ينابيع في الارض اي عيونا وركايا ومسالك ومجاري
في الارض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ما في الارض فمن السما نزل ثم يخرج به اي بالما
زرعا مختلفا الوانه اي من احمر واصفر واخضر وابيض وقيل اصنافه مثل البر
والشعير وساير انواع الحبوب ثم يهيج اي ييبس فتراه اي بعد خضرته ونضرته
مصفرا ثم يجعله حطاما اي فتاتا متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله عز وجل
افمن شرح الله صدره للاسلام اي وسعه وهو قبول الحق كمن طبع على قلبه فلم يهتد فهو على
نور من ربه اي على يقين وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود
قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح
قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والتاهب للموت قبل نزول الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله القسوة جمود وصلابة

يجعل في القلب فان قلت كيف يقسو القلب من ذكر الله وهو سبب لحصول النور
والهداية قلت انه كلما تلي ذكر الله للذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان وقيل
ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيده عن قبول الحق فان سماعها
لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يذيب السمن ويعقد الملح
فكذلك القرآن يلين قلوب المومنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال
مالك بن دينار ما عذب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم
الا نزع منهم الرحمة اولئك في ضلال مبين قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق
وفي ابي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي ابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي ابي جهل قوله عز وجل الله نزل احسن الحديث يعني القرآن وكونه احسن
الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى اما الاول فلان
القرآن افصح الكلام وابلغه واجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب
والرسايل بل هو نوع مخالف الكل في اسلوبه واما الوجه الثاني وهو كون القرآن
من احسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتملا على
اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة والوعد والوعيد
والجنة والنار كتابا متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه
بعضا مثاني اي يثني فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام
تقشعر اي تتغير وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تاخذهم قشعريرة
وهو تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من
الجلود القلوب اي قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
اي لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت ايات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين
منه واذا ذكرت ايات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة
المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجا روي عن العباس بن عبد
المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله
تحاتت ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار
قال بعض العارفين السايرون في بيدا جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان
لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت اولياه الذي نعتهم الله به ان تقشعر
جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما
ذلك في اهل البدعة وهو من الشيطان وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي
اسما بنت ابي بكر الصديق كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قري

عليهم

عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد
الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قري عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا
انه اذا قري عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان
الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قري عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد
احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القرآن من اوله الى اخره فان رمى بنفسه
فهو صادق فان قلت لم ذكر الجلود وحدها اولا من جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب
ثانيا في الرجا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر ايات
الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية
رجا في قلوبهم والقشعريرة لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها
في مقام الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجا اطمان اليه القلب ولان الجلد ذلك
اي القرآن الذي هو احسن الحديث هدى الله يهدي به من يشا اي هو الذي شرح الله صدره
لقبول الهداية ومن يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية فما له من هاد
اي يهديه قوله سبحانه وتعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته يوم القيمة قيل يجر
على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكسا واول شي تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر
يرمى به في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل
النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه من الاغلال
التي في يديه وعنقه ومعنى الاية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب
وقيل للظالمين اي تقول لهم الخزنة ذوقوا اي وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا من المعاصي
كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
يعني وهم غافلون امنون من العذاب فاذاقهم الله الخزي اي العذاب والهوان في الحياة الدنيا
ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
لعلهم يتذكرون اي يتعظون قرانا عربيا اي فصيحا اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته
غير ذي عوج اي منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير
مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن انس وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن
ليس بخالق ولا مخلوق لعلهم يتقون اي الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة في تقديم التذكر
قلت ان الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشي واحاط بمعناه رغب في اتقاه واحترز
منه قوله سبحانه وتعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون اي متنازعون مختلفون

بسبب اخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف ورجلا سلما لرجل
اي خالصا لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون
في رجل مملوك قد اشتركوا فيه شركا بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه
عبده وهم يتجاذبونه في مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة تدافعوه فهو متحير في امره ⊙
لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجته وفي رجل اخر مملوك قد سلم
لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه في حاجته فاي هذين
العبدين احسن حالا واحمد شانا وهذا مثل ضربه الله للكافر الذي يعبد الهة شتى
والمومن الذي يعبد الله وحده فكان حال المومن الذي يعبد الها واحدا احسن واصلح
من حال الكافر الذي يعبد الهة شتى وهذا قوله هل يستويان مثلا هذا استفهام
انكار لا يستويان في الحال والصفة وقال تعالى الحمد لله اي لله الحمد وحده كله دون
غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق ما لا بد لا بل
الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله لاجل حصول هذه البيانات وظهور هذه
الدلا لات بل اكثرهم لا يعلمون اي المستحق للعبادة هو الله وحده لا غيره قوله سبحانه
وتعالى انك ميت وانهم ميتون اي سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله
عليه وسلم موته فاخبر الله سبحانه وتعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني
بالفاني وقيل يعني الى تنبيه نفسه واليكم انفسكم والمعنى انكم واياهم ميتون وان
كنتم احياء فانكم في عداد الموتى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال ابن عباس
يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم
القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله تكرر علينا الخصومة بعد الذي كان
بيننا في الدنيا فقال نعم فقال ان الامر اذا لشديد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد
حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها فينا نزلت وعن ابي سعيد الخدري
في هذه الاية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة
فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم
قال لما نزلت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوانا فلما
قتل عثمان قال هذه خصومتنا خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده
مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم وان كان له عمل
صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فحملت عليه

مرعن

م ر عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم
ولا متاع قال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم
هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذت من خطاياهم فطرحت
عليه ثم طرح في النار قوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب على الله اي فزعم ان له ولدا او شريكا
وكذب بالصدق اذ جاءه اي القران وقيل بالرسالة اليه اليس في جهنم مثوى اي منزل ومقام
للكافرين قوله سبحانه وتعالى والذي جاء بالصدق وصدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا بلغه
الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقران وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله وصدق به ابو بكر الصديق وقيل وصدق به المومنون
وقيل الذي جاء بالصدق الانبيا وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق اهل القران
وهو الصدق يجيئون به يوم القيمة وقد ادوا حقه فهم الذين صدقوا به اولئك هم المتقون
اي الذين اتقوا الشرك لهم ما يشاءون عند ربهم اي من الجزاء والكرامة ذلك جزاء المحسنين اي في
اقوالهم وافعالهم ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا اي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم اجرهم
باحسن الذي كانوا يعملون اي يجزيهم بمحاسن اعمالهم ولا يجازيهم بمساويها قوله عز وجل اليس الله
بكاف عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقرى عباده يعني الانبيا عليهم السلام قصد عنهم قومهم
دقوا بهم بالنبوة فكفاهم الله شر من عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي
صلى الله عليه وسلم بعبدة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك خبل او جنون
ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز اي منيع في ملكه ذي انتقام
اي ينتقم من اعدائه ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله يعني ان هولا المشركين
مقرون بوجود الاله القادر العليم الحكيم وذلك متفق عليه جمهور الخلائق فان فطرة الخلق
شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل عجايب السموات والارض وما فيهما من انواع الموجودات
علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم امره الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون
الله لا قدرة لها على جلب خير ودفع ضر وهو قوله سبحانه وتعالى قل افرايتم ما تدعون من دون الله
يعني الاصنام ان ارادني الله بضر اي شدة وبلا هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة
اي بنعمة وخير وبركة هل هن ممسكات رحمته فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا فقال الله
سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله اي هو ثقتي وعليه اعتمادي عليه
يتوكل المتوكلون اي عليه يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي اجتهدوا في انواع
مكركم وكيدكم وهو امر تهديد وتقريع اني عامل اي فيما امرت به من اقامة الدين فسوف

تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه اي انا او انتم ويحل عليه عذاب مقيم اي دايم وهو تهديد
وتخويف انا انزلنا عليك الكتاب يعني القران للناس بالحق اي ليهتدي به كافة الخلق
فمن اهتدى فلنفسه اي ترجع فايدة هدايته عليه ومن ضل فانما يضل عليها اي يرجع وبال
ضلالته عليه وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم وهذا منسوخ باية القتال
الله يتوفى الانفس اي الارواح حين موتها اي فيقبضها عند فنا اكلها وعند انقضا اجالها
وهو موت الاجساد والتي لم تمت في منامها والنفس التي يتوفاها عند النوم هي التي يكون
بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هي التي يكون بها التمييز وتفارقه عند
الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند
النوم ولا يزول بزوالها النفس فيمسك التي قضى عليها الموت اي فلا يردها الى جسدها
ويرسل الاخرى اي ويرد النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها الى اجل مسمى اي الى ان
ياتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح
وقال علي بن ابي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فلذلك يرى
الرويا فاذا انتبه من النوم عادت الروح بالجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحيا
والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شا الله تعالى فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها
امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحيا الى اجسادها الى حين انقضا
مدة اجالها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى
فراشه فلينفض فراشه بداخل ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي
وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به
عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله سبحانه وتعالى الله يتوفى الانفس وبين
قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله سبحانه وتعالى حتى اذا جا احدكم الموت توفته
رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله
تعالى ولملك الموت اعوان وجنود من الملايكة ينتزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت
الحلقوم قبضها ملك الموت ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اي في البعث وذلك ان توفي
نفس النايم وارسالها فيه ادلة على البعث وقيل ان في ذلك دليل على قدرتنا حيث
لم نغلط في امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها ام اتخذوا من دون الله شفعا
يعني الاصنام قل يا محمد اولو كانوا يعني الالهة لا يملكون شيا اي من الشفاعة ولا يعقلون
اي انكم تعبدونهم وانتم تعبدونهم وان كانوا بهذه الشفاعة قل لله الشفاعة جميعا
اي لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع على الحقيقة
وهو ياذن في الشفاعة لمن يشا من عباده له ملك السموات والارض اي لا ملك لاحد فيها سواه

ثم اليه ترجعون اي في الاخرة قوله سبحانه وتعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت اي نفرت
وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة قيل
اذا اشماز القلب من عظم غمه وغيظه فانقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر
ذلك مثل الغبرة والظلمة واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم يستبشرون اي
يفرحون والاستبشار ان يمتلي القلب سرورا حتى يظهر على الوجه يتهلل قوله عز وجل
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة وصف نفسه بكمال القدرة وكمال
العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين م عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
قال سالت عايشة اي شي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت
كان اذا قام من الليل افتتح صلاته فقال اللهم رب جبريل وميكايل فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من
الحق انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم قوله عز وجل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سو العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
اي ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا انه نازل بهم في الاخرة وقيل ظنوا انها حسنات فبدت
لهم سيات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من
الله ما لم يحتسبوا روي ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك قال اخشى ان
يبدو لي ما لم احتسب وبدا لهم سيات ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اوليا الله
وحاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون فاذا مس الانسان ضر اي شدة دعانا ثم اذا خولناه
اعطيناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم اي عند الله اني له اهل وقيل على خير علمه الله عندي
بل هي فتنة يعني تلك النعمة استدراج من الله وامتحانه وبلية ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني
انه استدراج قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندي فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون اي فما اغنى الكفر من العذاب شيا فاصابهم سيات ما كسبوا اي جزاوها
وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هولا سيصيبهم سيات ما كسبوا
وما هم بمعجزين اي بفايتين لان مرجعهم الى الله عز وجل اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشا اي يوسع الرزق لمن يشا ويقدر اي يقتر ويقبض على من يشا ان في ذلك لايات لقوم
يومنون قوله سبحانه وتعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله روي
عن ابن عباس في سبب نزول هذه الاية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
وانتهكوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن
وتخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله فاوليك يبدل الله
سياتهم حسنات قال يبدل الله شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا

علي انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله اخرجه النسائي وعن ابن عباس ايضا قال بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه فقال كيف
تدعوني الى دينك وانت تزعم انه من قتل او اشرك او زنا يلق اثاما يضاعف له العذاب
وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله عز وجل الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا
شرط شديد على لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا فقال وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري يغفر لي ام لا فانزل الله عز
وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا
فجا فاسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الايات في عياش بن ابي ربيعة والوليد
ابن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول لا يقبل الله
من هولا صرفا ولا عدلا ابدا قوم قد اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله سبحانه وتعالى
هذه الاية فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد
والى اوليك النفر فاسلموا وهاجروا وعن ابن عمر ايضا قال كنا معشر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شي من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية فقلنا ما هذا الذي يبطل
اعمالنا فقلنا الكباير والفواحش قال فكنا اذا راينا من اصاب شيا منها قلنا هلك فنزلت
هذه الاية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا راينا احدا اصاب شيا من ذلك خفنا
عليه وان لم يصب منها شيا رجونا له وقوله سبحانه وتعالى اسرفوا على انفسهم اي
تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم فيل هو ارتكاب الكباير وغيرها من الفواحش ولا تقنطوا
من رحمة الله اي لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من
الكباير **ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم** فان قلت حمل هذه الاية على ظاهرها
اغرا بالمعاصي واطلاق في الاقدام عليها وذلك لا يجوز قلت المراد منه التنبيه على انه
لا يجوز ان يظن العاصي انه لا مخلص له من العذاب فانه من اعتقد ذلك فانه قانط من رحمة
الله اذ لا احد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى
قوله سبحانه وتعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة اذا تاب وصحت التوبة غفرت
ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشية الله فيه فان شا غفر له وعفا عنه
وان شا عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة برحمته والتوبة واجبة على كل احد وخوف
العقاب مطلوب فلعل الله يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يغفر بعد ذلك فصل في ذكر
احاديث تتعلق بالاية روي عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا هو قاص يقص وهو يذكر
النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا

علي

على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله عن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا ولا يبالي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرايل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا
ثم خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال له اله توبة فقال لا فقتله وجعل يسال فقال له رجل
ايت قرية كذا وكذا فادركه الموت فلما لم يصدر بينهما فاختصمت به ملايكة الرحمة
وملايكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الله الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا
ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب فغفر له لفظ البخاري ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه
فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به ماية نفس
فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا
يعبدون الله فاعبد الله سبحانه وتعالى معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سو فانطلق
حتى اذا كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملايكة الرحمة وملايكة العذاب
فاتاه ملك الموت في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما
كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملايكة الرحمة ق عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل مسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل
خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني
ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لين قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا
فلما مات فعل به ذلك فامر الله سبحانه وتعالى الارض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو
قايم فقال الله سبحانه وتعالى ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب وقال مخافتك
فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرايل رجلان
متحابان احدهما مذنب والاخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الاخر على ذنب
فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا
فقال والله لا يغفر الله لك او قال لا يدخلك الجنة فقبض الله سبحانه وتعالى ارواحهما
فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب للمجتهد اكنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب
اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للاخر اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة تكلم والله
بكلمة اوبقت دنياه واخرته اخرجه ابو داود وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك
ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السما ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن ادم انك
لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه

الترمذي وقال حديث حسن قوله عنان السما العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها
وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملاها قوله عز وجل وانيبوا الى ربكم اي
ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة واسلموا له اي اخلصوا له التوحيد من قبل ان ياتيكم
العذاب ثم لا تنصرون اي لا تمنعون منه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران
لان كله حسن ومعنى الاية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه انزل
في القران ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب وذكر الاحسن لتوثره وتاخذ به وقيل
الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
يعني غافلين عنه ان تقول نفس اي لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول
وقيل خوفا ان تصير الى حال ان تقول يا حسرتى اي ندما وحزنا والتحسر الاغتمام
في الحزن على ما فات على ما فرطت في جنب الله اي ما قصرت في طاعة الله وقيل في امر الله
وقيل في حق الله وقيل ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما قصرت في الجانب الذي
يودي الى رضى الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله والمومنين
قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها او تقول لو ان الله هداني اي ارشدني الى
دينه وطاعته لكنت من المتقين اي الشرك او تقول حين ترى العذاب اي عيانا لو ان لي كرة
اي رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين اي الموحدين ثم اجاب سبحانه القايل بان الاعذار
زايلة والتعلل باطل وهو قوله سبحانه وتعالى بلى قد جاتك اياتي يعني القران فكذبت بها
اي قلت ليست من الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله اي فزعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشيا الينا
ان شينا فعلنا وان شينا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد مخالف لساير انواع
السواد اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي عن الايمان قوله سبحانه وتعالى وينجي الله الذين اتقوا
اي الشرك بمفازتهم اي بالطرق التي تودي بهم الى الفوز والنجاة وقرى بمفازاتهم اي ينجيهم بفوزهم
الاعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء اي لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق كل شي
اي مما هو كاين او يكون في الدنيا وهو على كل شي وكيل اي ان الاشيا كلها موكولة اليه فهو القايم
بحفظها له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح خزاين السموات والارض واحدها مقلاد
مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس وقيل هو فارسي معرب قال الراجز لم يوذها
بصوت تغريد ولم تعالج غلقها باقليد والمعنى ان له ما لكا امرها وحافظها وهو
من باب الكناية لان حافظ الخزاين ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها وقيل
مقاليد السموات خزاين الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النباتات والذين كفروا بايات
الله اي جحدوا بايات الله الظاهرة الباهرة اوليك هم الخاسرون قوله عز وجل قل افغير الله

تامروني

تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين ابايه فوصفهم بالجهل لان الدليل
القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ولقد اوحي اليك والى
الذين من قبلك لين اشركت ليحبطن عملك الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله سبحانه وتعالى قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم
من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
اي لانعامه عليك قوله سبحانه وتعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق
عظمته حين اشركوا به غيره ثم اخبره عن عظمته فقال تبارك وتعالى والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ق عن ابن
مسعود قال جا حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السما على
اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وساير
الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا
الله حق قدره وفي رواية والما والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن
وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له
ثم قرا وما قدروا الله حق قدره الاية ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا
الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارض بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون
اين المتكبرون وفي رواية يقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها ويقول انا الملك حتى
نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شي منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله
عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله سبحانه وتعالى يقبض يوم القيمة الارضين
وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يقبض الله سبحانه وتعالى الارض ويطوي السما بيمينه ثم يقول انا الملك
اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة
اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا
معنى اليد الجارحة انما هي صفة جا بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها
وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الماثورة الصحيحة وهذا هو مذهب
اهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه
فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض اي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى الا من شا الله تقدم في سورة النمل تفسير
هذا الاستثنا فقال الا من شا الله يعني الله وحده ثم نفخ فيه اي في الصور اخرى اي مرة اخرى

وهي النفخة الثانية فاذا هم قيام اي من قبورهم ينظرون اي ينتظرون امر الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله من السما ما فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شي الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة قوله سبحانه وتعالى واشرقت الارض بنور ربها وذلك حين يتجلى الرب تعالى لفصل القضا بين الخلق فما يتضارون في نوره الا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيامة ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال الخلق من المبتدا الى المنتهى وجي بالنبيين اي ليكونوا شهدا على اممهم والشهدا قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سياتهم ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت وهو اعلم بما يفعلون يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا شاهد وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا يعني سوقا عنيفا زمرا اي فواجا بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات في تفرقة واحدها زمرة حتى اذا جاوها فتحت ابوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة وقال لهم خزنتها يعني توبيخا وتقريعا الم ياتكم رسل منكم اي من انفسكم ومن جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقا يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت اي وجبت كلمة العذاب على الكافرين وهي قوله سبحانه وتعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين قوله سبحانه وتعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها فان قلت قال الله تبارك وتعالى في اهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه احدها انها زايدة والثاني انها واو الحال مجازه وقد فتحت ابوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل الجنة اذا جاوها ووجدوا ابوابها مفتحة حصل السرور والفرح بذلك واهل النار اذا راوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان ابواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان ابواب جهنم سبعة والعرب تعطف

بالواو

بالواو على ما فوق السبعة نقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاوها شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثاني الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو والثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم اي ابشروا بالسلامة من كل الافات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا الباب حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المومن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملايكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده اي بالجنة واورثنا الارض اي ارض الجنة نتصرف فيها كما نشا تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يورثه وهو قوله تعالى نتبوا من الجنة اي ننزل منها حيث نشا فان قلت ما معنى قوله حيث نشا وهل يتبوا احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشا ولا يحتاج الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاوا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله سبحانه وتعالى فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة والعقبى وترى الملايكة حافين من حول العرش اي محدقين محيطين بالعرش مطيفين بحافته وجوانبه يسبحون بحمد ربهم قيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم بالحق اي قضي بين اهل الجنة واهل النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقول اهل الجنة شكرا حين تم لهم وعد الله وقيل ابتدا الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله اعلم تفسير سورة حم المومن وتسمى غافر وهي مكية الا قوله سبحانه وتعالى الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون اية والف ومايتة ونسع وتسعون كلمة واربعة الاف وتسعماية وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود قال ان مثل صاحب القران كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب واعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول

مثل عظيم القران وان مثل هولاء الروضات الدمثات مثل الحم في القران وعن ابن عباس
قال لكل شي لباب ولباب القران الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت الحم وقعت في روضات
اتانق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن الحم تسمى العرايس بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف
الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحا افتتاح اسمايه حكيم وحميد وحي وحليم
وحنان والميم افتتاح اسمايه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحا اي قضي
ما هو كاين به تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب والقادر وقيل الذي لا مثل له العليم اي
بكل المعلومات غافر الذنب اي لمن قال لا اله الا الله اي ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة
قال ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب اي لمن لا يقول
لا اله الا الله ذي الطول اي ذي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم وقيل الطول
الانعام الذي تطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اليه المصير اي هو الموصوف بصفات
الوحدانية التي لا يوصف بها غيره اليه المصير اي مصير العباد اليه في الاخرة قوله سبحانه
وتعالى ما يجادل اي ما يخاصم ويحاجج في ايات الله اي في دفع ايات الله بالتكذيب والانكار الا
الذين كفروا قال ابو العالية ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القران قوله سبحانه وتعالى
ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق
بعيد وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القران كفر واخرجه ابو داود
وان المرا في القران كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض فما علمتم منه
فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هجرت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا في اية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرف في وجهه الغضب فقال انما اهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك
تقلبهم اي تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الكفار الذين تحزبوا على انبيايهم بالتكذيب
من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم لياخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل لياسروه
وجادلوا اي وخاصموا بالباطل ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق الذي جاء به فاخذتهم فكيف
كان عقاب اي انزلت بهم من الهلاك ما هموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي
اياهم اليس كان مهلكا مستاصلا وكذلك حقت اي وجبت كلمة ربك اي كما وجبت كلمة العذاب
على الامم المكذبة حقت على الذين كفروا من قومك اي بانهم اصحاب النار قوله عز وجل الذين
يحملون العرش قيل هم حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخر

كما قال

كما قال سبحانه وتعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يوميذ ثمانية وهم من اشرف الملايكة
وافضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجا في الحديث ان لكل منهم
وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة
جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما في
الهوى ليس لهم كلام غير التسبيح والتمجيد والتكبير والتحميد ما بين اطراف اظلافهم الى ركبهم
كما بين سما الى سما وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة
خمسماية عام ويروي ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم وهم
يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت
سبوح قدوس رب الملايكة والروح وقيل ارجلهم في الارض السفلى وروسهم خرقت العرش
وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السما السابعة واهل السما السابعة
اشد خوفا من التي تليها وروي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك
من ملايكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه
الترمذي واما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضرا وهو من اعظم المخلوقات خلقا روى
جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ان ما بين القايمة من قوايم العرش والقايمة
الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور
لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشيا كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال
مجاهد بين السما السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة
وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة اهل السما كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض
وقوله تعالى ومن حوله يعني الطايفين به وهم الكروبيون هم سادات الملايكة قال وهب
ابن منبه ان حول العرش سبعين الف صف من الملايكة صف خلف صف يطوفون
بالعرش يقبل هولا ويدبر هولا فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هولا وكبر هولا
ومن ورايهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم
فاذا سمعوا تكبيرا وليك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك
واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن ورا هولا وهولا
ماية الف صف من الملايكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد
لا يسبحه الاخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلاثماية عام وما بين شحمة اذن احدهم
الى عاتقه اربعماية عام واحتجب الله من الملايكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من ظلمة
وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين
حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ما وسبعين حجابا من برد

وما لا يعلمه الا الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى **يسبحون بحمد ربهم** اي ينزهون الله عما لا
يليق به ويجلاله والحمد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق **ويومنون به** اي يصدقون
بانه واحد لا شريك له ولا مثيل له ولا نظير له فان قلت الذين يسبحون بحمد ربهم ويومنون به
ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فايدة قوله تعالى ويومنون به قلت فايدته التنبيه
على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجب عنهم بحجب جلاله وجماله
وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك وعلمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم **ويستغفرون
للذين امنوا** اي يسالون الله طلب المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملايكة مقابل
لقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فلما صدر هذا منهم اولا تداركوه
بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في احد بشي يكره
ان يستغفر له **ربنا** اي ويقولون ربنا **وسعت كل شي رحمة وعلما** اي وسعت رحمتك وعلمك كل شي
وفيه تنبيه على تقديم الثنا على الله تعالى لانه هو اسله قبل المطلوب بالدعا فلما قدموا
الثنا على الله عز وجل قالوا **فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك** اي دينك **وقهم عذاب الجحيم**
قال مطرف انصح عباد الله للمومنين الملايكة واغش الخلق للمومنين هم الشياطين
**ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم انك انت
العزيز الحكيم** قيل اذا دخل المومن الجنة قال اين ابي اين اخي اين ولدي اين زوجتي فيقال انهم
لم يعملوا عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة
كان اكمل لسروره ولذته **وقهم السيات** اي عقوبات السيات بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة
التي توجب العقاب **ومن تق السيات يوميذ** اي تقه في الدنيا **فقد رحمته** اي في القيمة **وذلك هو
الفوز العظيم** اي النعيم الذي لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله
وقوله تعالى **ان الذين كفروا ينادون** اي يوم القيمة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرض
عليهم سياتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم **لمقت الله** اي في ايام الدنيا **اكبر من مقتكم انفسكم**
اليوم عند حلول العذاب بكم **اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين** قال ابن عباس كانوا امواتا في اصلاب ابايهم فاحياهم الله في الدنيا ثم احيوا في القبر
للسوال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا للبعث في الاخرة وذلك انهم عدد في اوقات البلا
والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة
للبعث فاما الحياة الاولى التي هي في الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من اقسام البلا
وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيمة وموتتين وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة

الثانية

الثانية في القبر بعد حياة السوال ولم يعدوا حياة السوال لقصرها تم قال **فاعترفنا بذنوبنا**
يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سالوا الرجعة
بقولهم **فهل الى خروج** اي من النار **من سبيل** والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح
اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط من الخروج وانما قالوا
ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جا الجواب على حسب ذلك
وهو قوله سبحانه وتعالى **ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم** يعني اذا قيل لا اله الا الله
انكرتم ذلك **وان يشرك به** اي غيره **تومنوا** اي تصدقوا ذلك الشرك **فالحكم لله العلي
الكبير** اي لا اعلى منه **الكبير** اي لا اكبر منه قوله عز وجل **هو الذي يريكم اياته** اي عجايب مصنوعاته
التي تدل على كمال قدرته **وينزل لكم من السما رزقا** يعني المطر الذي هو سبب الارزاق **وما يتذكر**
اي يتعظ بهذه الايات **الا من ينيب** اي يرجع الى الله في جميع اموره **فادعوا الله مخلصين
له الدين** اي الطاعة والعبادة **ولو كره الكافرون** قوله سبحانه وتعالى **رفيع الدرجات** اي رافع
درجات الانبيا والاوليا والعلما في الجنة وقيل معناه المرتفع اي انه سبحانه وتعالى هو المرتفع
لعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن ما سواه وكل الخلق فقرا اليه
ذو العرش اي خالقه ومالكه والفايدة في تخصيص العرش بالذكر لانه اعظم الاجسام
ولان المقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكلما كان اعظم كانت دلالته على كمال
القدرة اقوى **يلقي الروح** يعني ينزل الوحي سماه روحا لانه يحيي الارواح كما يحيي الابدان
بالارواح **من امره** قال ابن عباس من قضايه وقيل بامره وقيل من قوله **على من يشا من عباده** يعني
الانبيا **لينذر يوم التلاق** يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم
القيمة والمعنى تلتقي اهل السما واهل الارض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي
العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم **يوم هم
بارزون** اي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شي **لا يخفى على الله منهم شي** اي من اعمالهم
واحوالهم فان قلت ان الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شي في ساير الايام فما وجه تخصيص
ذكر اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله سبحانه وتعالى
لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم وهم في ذلك اليوم صايرون من البروز والانكشاف الى حال
لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا **لمن الملك اليوم** اي يقول الله عز وجل في
ذلك اليوم بعد فنا الخلق لمن الملك اليوم ولا احد يجيبه فيجيب نفسه تبارك وتعالى
فيقول **لله الواحد القهار** اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والاخرون
في يوم القيمة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلايق في يوم القيمة لله الواحد القهار
فالمومنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في

العقبى والكفار ويقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه في
الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يعني يجزي المحسن باحسانه والمسيء باسائته
لا ظلم اليوم اي ان الخلق امنون في ذلك اليوم من الظلم لان الله سبحانه وتعالى ليس
بظلام للعبيد ان الله سريع الحساب اي انه سبحانه لا يشغله حساب عن حساب
يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد قوله سبحانه وتعالى وانذرهم يوم الازفة
يعني يوم القيامة سميت ازفة لقربها وكل ما هو ات قريب اذ القلوب لدى الحناجر
وذلك لانها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها
ولا هي تخرج من افواههم فيموتوا ويستريحوا كاظمين اي مكروبين ممتلين خوفا وحزنا
حتى يضيق القلب عنه ما للظالمين من حميم اي من قريب ينفعهم ولا شفيع اي يشفع لهم
يطاع اي فيهم يعلم خائنة الاعين يعني خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل
هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه وما تخفي الصدور اي يعلم مضمرات القلوب والله
يقضي بالحق اي يحكم بالعدل والذين يدعون من دونه يعني الاصنام لا يقضون بشيء
لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء ان الله هو السميع البصير اي لاقوال الخلق وافعالهم
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد
منهم قوة واثارا في الارض يعني ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار
كانوا اشد قوة من هولاء فلا تنفعهم قوتهم فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله
من واق اي يدفع عنهم العذاب ذلك اي العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى
باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم
بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه قيل هذا القتل غير القتل الاول لان
فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا
عليهم القتل واستحيوا نساءهم اي استحيوا النسا يعني ليصدوهم بذلك عن متابعة
موسى ومظاهرته وما كيد الكافرين اي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم الا في ضلال
يعني يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى وقال فرعون اي لملائه ذروني
اقتل موسى وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى
وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله
فانما هو ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا
صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وليدع ربه اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله
الينا فيمنعه منا اني اخاف ان يبدل دينكم يعني يقول فرعون يغير دينكم الذي انتم عليه

وان

وان يظهر في الارض الفساد يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره وقال
موسى يعني لما توعده فرعون بالقتل اني عذت بربي وربكم يعني ان موسى لم يات في دفع شره
الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم صانه الله تعالى عن كل بلية من كل متكبر
اي متعظم عن الايمان لا يومن بيوم الحساب قوله عز وجل وقال رجل مومن من ال فرعون
يكتم ايمانه قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرايل فعلى هذا
يكون معنى الاية وقال رجل مومن يكتم ايمانه من ال فرعون وكان اسم هذا المومن حزقيل وقيل
حبيب اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي لان يقول ربي الله وهذا استفهام انكار وهو اشارة
الى التوحيد وقوله تعالى وقد جاءكم بالبينات من ربكم فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار
المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه وان يك كاذبا فعليه كذبه اي لا يضركم ذلك
انما يعود وبال كذبه عليه وان يك صادقا اي فكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم
قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على اصله ومعناه
كانه قال على طريق الاحتجاج اقل ما في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه
هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل ان الله لا يهدي الى دينه من هو مسرف كذاب اي على الله
خ عن عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن العاص عن اشد ما صنع المشركون برسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل
عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه
وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر واخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وقوله
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي غالبين في الارض اي ارض مصر فمن ينصرنا
اي يمنعنا من باس الله ان جاءنا والمعنى لكم اليوم فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل
النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم قال فرعون ما اريكم اي من الراي والنصيحة
الا ما ارى اي لنفسي وما اهديكم الا سبيل الرشاد اي ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى
الله سبحانه وتعالى ان مومن ال فرعون رد على فرعون بهذا الكلام وخوفه ان يحل به مثل
ما حل بالامم قبله بقوله وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم اي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب
حتى اتاهم العذاب وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يعني يوم القيمة سمي يوم القيمة يوم التناد لانه
يدعى فيه كل اناس بامامهم فينادي بعضهم بعضا فينادي اصحاب الجنة اصحاب النار
واصحاب النار اصحاب الجنة وينادي فيه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان

سعد سعادة لا يشقي بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وينادي به حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود
فلا موت وقيل ينادي المومن هاوم اقروا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه
وقيل يوم التناد يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير
النار ندوا هرابا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملايكة صفوفا عليه فيرجعون
الي المكان الذي كانوا **يوم تولون مدبرين** اي منصرفين عن موقف الحساب الي النار **ما لكم من
الله من عاصم** اي يعصمكم من عذابه **ومن يضلل الله فما له من هاد** اي يهديه **ولقد جاكم يوسف**
يعني يوسف بن يعقوب **من قبل** اي من قبل موسي **بالبينات** يعني قوله ءارباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عليه السلام عشرين سنين نبيا وقيل ان
فرعون يوسف هو فرعون موسي وقيل هو فرعون اخر **فما زلتم في شك مما جاكم به** قال ابن
عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعني انهم بقوا شاكين في نبوته ولم ينتفعوا
بتلك البينات التي جاهم بها **حتي اذا هلك** يعني مات **قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا** اي اقمتم علي كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك علي
سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا في تكذيب
الانبيا الذين ياتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف
كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الي التكذيب برسالته
كذلك يضل الله من هو مسرف في شركه وعصيانه **مرتاب** اي في دينه **الذين يجادلون في ايات الله**
قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال ايات الله بالتكذيب **بغير
سلطان** اي بغير حجة وبرهان **اتاهم** من الله **كبر** اي ذلك الجدال **مقتا عند الله وعند الذين
امنوا كذلك يطبع الله علي كل قلب متكبر جبار وقال فرعون** يعني لوزيره **يا هامان ابن
لي صرحا** اي بناء ظاهرا لا يخفي علي الناظر وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات اي طرقها وابوابها من سما الي سما **فاطلع الي اله
موسي واني لاظنه كاذبا** اي فيما يدعي ويقول ان له ربا غيري **وكذلك زين لفرعون سوء
عمله وصد عن السبيل** قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقري وصد بالفتح اي وصد
فرعون الناس عن السبيل **وما كيد فرعون الا في تباب** اي وما كيده في ابطال ايات موسي الا في
خسار وهلاك **وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد** اي طريق الهدى
يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي متعة تتمتعون بها مدة ثم تنقطع **وان الاخرة
هي دار القرار** اي التي لا تزول والمعني ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الاخرة
دايمة باقية خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا

باقيا لكانت الاخرة خير من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق
من عمل سيية فلا يجزي الا مثلها قيل معناه من عمل بالشرك فجزاوه جهنم خالدا فيها
ومن عمل بالمعاصي فجزاوه العقوبة بقدرها **ومن عمل صالحا من ذكر او انثي وهو مومن
فاوليك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** اي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة
من الخير وقيل يصب عليهم صبا بغير تقتير **ويا قوم ما لي ادعوكم الي النجاة وتدعونني
الي النار** معناه انا ادعوكم الي الايمان بالله الذي يوجب الامان من النار وانتم تدعونني
الي الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال **تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به
علم** اي لا اعلم ان هذا الذي تدعونني اليه باله وما ليس باله كيف يجعل شريكا لله له
بالحق ولما بين انهم يدعونه الي الكفر والشرك بين انه يدعوهم الي الايمان بقوله **وانا ادعوكم
الي العزيز** اي في انتقامه ممن كفر **الغفار** اي لذنوب اهل التوحيد **لا جرم** يعني حقا **انما
تدعونني اليه** يعني الصنم **ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة** يعني ليس له استجابة
دعوة لاحد في الدنيا ولا في الاخرة وقيل ليست له دعوة الي عبادته في الدنيا لان الاصنام
لا تدعي الربوبية ولا تدعوا الي عبادتها وفي الاخرة تتبرا من عبادها **وان مردنا
الي الله** اي مرجعنا الي الله اي فيجازي كلا بما يستحق **وان المسرفين** يعني المشركين **هم اصحاب
النار فستذكرون ما اقول لكم** اي اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر **وافوض امري الي
الله** اي ارد امري الي الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم **ان الله بصير بالعباد** يعني
يعلم المحق من المبطل ثم خرج المومن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله
فوقاه الله سيات ما مكروا اي ما ارادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسي وكان قبطيا **وحاق**
اي ونزل **بال فرعون سوء العذاب** يعني الغرق في الدنيا والنار في الاخرة **النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا** يعني صباحا ومسا قال ابن مسعود ارواح ال فرعون في اجواف طير سود
يعرضون علي النار كل يوم مرتين تغدوا وتروح الي النار ويقال يا ال فرعون هذه منازلكم
حتي تقوم الساعة وقيل تعرض كل روح بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الاية
علي اثبات عذاب القبر اعاذنا الله منه بمنه وكرمه **ق** عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة
فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتي يبعثك الله اليه يوم
القيمة ثم اخبر الله سبحانه وتعالي عن يوم القيامة فقال تعالي **ويوم تقوم الساعة ادخلوا
ال فرعون** اي يقال لهم ادخلوا ال فرعون **اشد العذاب** قال ابن عباس الوان العذاب غير
الذي كانوا يعذبون به منذ اغرقوا قوله سبحانه وتعالي **واذ يتحاجون** اي واذكر يا محمد لقومك
اذ يختصمون يعني اهل النار **في النار فيقول الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا**

اي في الدنيا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا يعني الروسا والقادة انا كل فيها يعني نحن وانتم ان الله قد حكم بين العباد اي قضى علينا وعليكم وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا يعني الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات يعني لا عذر لكم بعد مجي الرسل قالوا بلى اعترفوا بذلك قالوا فادعوا يعني انتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله سبحانه وتعالى وما دعا الكافرين الا في ضلال يعني يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعدا في الدنيا والاخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم بالقهر على من ناواهم واهلك اعداهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين الفا ويوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملايكة يشهدون للرسل بالتبليغ على الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم اي ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم ولهم اللعنة اي البعد من الرحمة ولهم سو الدار يعني جهنم ولقد اتينا موسى الهدى يعني النبوة وقيل التوراة واورثنا بني اسرايل الكتاب يعني التوراة وقيل ساير الكتب المنزلة على انبيايهم هدى وذكرى لاولي الالباب قوله سبحانه وتعالى فاصبر ان وعد الله حق اي في اظهار دينك واهلاك اعدايك قال الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر واستغفر لذنبك يعني الصغاير وهذا على قول من جوزها على الانبيا وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل على ما كان قد صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغاير على الانبيا يقول هذا تعبد من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة وليصير سنة لغيره من بعده لان مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله سبحانه وتعالى وسبح بحمد ربك اي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشي والابكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم يعني كفار قريش ان في صدورهم اي ما في صدورهم الا كبر قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ما هم ببالغيه اي ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعني الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله سبحانه وتعالى فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه هو السميع اي لاقوالهم البصير قوله سبحانه وتعالى لخلق السموات والارض اي مع عظمها

اكبر من خلق الناس اي من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان الله خلق السموات والارض وذلك اعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حين لا يستدلون بذلك على توحيد خالقهما وقال قوم يعني اكبر من خلق الناس اي اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في امر الدجال

فصل في ذكر الدجال

عن هشام ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة خلق اكبر من خلق الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال ق عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود والترمذي عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه وما من نبي الا وقد انذر قومه لقد انذر نوح قومه ولكني ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاك ف ر يقراه كل مسلم عن اسما بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السما ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السما ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السما قطرها والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهايم الا هلك ومن اشد فتنته انه ياتي الاعرابي فيقول له ارايت ان احييت لك ابلك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له كاحسن ما يكون ضروعا واعظمه اسنمة وياتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك اباك واخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فاخذ بلحمتي الباب فقال مهيم اسما فقلت يا رسول الله لقد خلعت افيدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مومن قالت اسما فقلت يا رسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمومنين يوميذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السما من التسبيح والتقديس وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث اخرجه البغوي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر

ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنة
اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض
قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داود عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه
فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه السلام
عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله ق وعن حذيفة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما
الذي يرى الناس انه نار فماء بارد واما الذي يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادرك ذلك
منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ماء عذب بارد ق وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه
يجي بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم كما انذر نوح قومه
ق وعن المغيرة بن شعبة قال ما سال احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر ما
سمعته فانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ما قال هو اهون
على الله من ذلك ق وعن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع منكم
الدجال فلينا منه فوالله ان الرجل لياتيه وهو يحسب انه مومن فيتبعه مما يبعث به من
الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه ابو داود ق وعن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطاه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من
نقابها الا عليه الملايكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها
ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق م وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ياتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملايكة
وجهه قبل الشام وهنالك يهلك وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان
وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب م وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم
الطيالسة وعن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يقتل ابن مريم الدجال بباب لد اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح قال الشيخ
محيي الدين النواوي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال
حجة لمذهب الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده واقدره على اشيا
من المقدورات من احيا الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته
وناره واتباع كنوز الارض وامره السما ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت ويقع كل ذلك

بقدرة

بقدرة الله وفتنته ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره
ويبطل امره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقها خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج
والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبايي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم
في انه صحيح الوجود ولكن الذي ياتي به زعموا انها مخارف وخيالات لا حقايق لها وزعموا
انها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبيا وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة
فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة
حاله ووجود دلايل الحدث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذي في عينيه
وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلايل لا يغتر العوام من الناس
لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق وخوفا من اذاه لان فتنته عظيمة جدا
تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبيا من فتنته واما اهل التوفيق فلا يغترون
به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت
فيك الا بصيرة قلت قوله يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ما قال هو اهون
على الله من ذلك معناه هذا اهون على الله من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا
للمومنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله ليزداد الذين امنوا ايمانا وتثبت الحجة على
الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس معه شي من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه
ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله اعلم قوله عز وجل **وما يستوي الاعمى والبصير**
اي الجاهل والعالم **والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسي** اي لا يستوون **قليلا ما تتذكرون**
ان الساعة يعني القيامة **لاتية لا ريب فيها** اي لا شك في قيامها ومجيها **ولكن اكثر الناس**
لا يومنون اي لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله سبحانه وتعالى **وقال ربكم ادعوني**
استجب لكم اي اعبدوني دون غيري اجبكم واثبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعا جعل
الانابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعا هو
العبادة ثم قرا وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان من لم يسال الله يغضب عليه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
فان قلت كيف قال ادعوني استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت للدعا
له شروط منها الاخلاص في الدعا وان لا يدعو وقلبه مشغول بغير الدعا وان يكون المطلوب
بالدعا مصلحة للانسان وان لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعا فيه هذه الشروط كان
حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يوخرها يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعا الا استجيب له فاما يعجل له في الدنيا
واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة
رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعا هو الذكر والسوال ان الذين يستكبرون عن
عبادتي اي عن توحيدي وقيل عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين ذليلين قوله عز
وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي ليحصل لكم الراحة بسبب النوم والسكون والنهار
مبصرا اي ليحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوايجكم ومهماتكم ان الله لذو فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم اي ذلك المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد
هو الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية
وخلق الاشيا كلها وانه لا شريك له في ذلك فانى توفكون اي فاني تصرفون عن الحق كذلك اي كما
افكتم عن الحق مع قيام الدلايل كذلك يوفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله الذي جعل
لكم الارض قرارا اي فراشا تستقروا وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الممات والسما بنا اي سقفا
مرفوعا كالقبة وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم قال ابن عباس خلق ابن ادم قايما معتدلا
ياكل بيده وغير ابن ادم يتناوله بفيه ورزقكم من الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده
من الماكل والمشارب من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي
وهو يفيد الحصر اي لا حي الا هو فوجب ان يحمل ذلك على الذي يمتنع ان يموت امتناعا تاما
ثابتا وهو الله سبحانه وتعالى الذي يوصف بالحياة الكاملة الا هو الحي والحي هو المدرك
الفعال وهذا اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات
نبه على كمال الوحدانية بقوله سبحانه وتعالى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين
الحمد لله رب العالمين اي فادعوه واحمدوه وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل
على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما
جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي الى الكفر امره الله سبحانه
وتعالى ان يقول ذلك قوله سبحانه وتعالى هو الذي خلقكم من تراب يعني اصلكم ادم وقيل
يحتمل ان كل انسان مخلوق من تراب لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية والاغذية من النبات
والنبات من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا
شيوخا يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية وهي حالة
النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير الاضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهو الشيخوخة
ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا ولتبلغوا اي جميعا اجلا مسمى اي وقتا محدودا
لا يتجاوزونه يعني اجل الحيوة الى الموت ولعلكم تعقلون اي ما في هذه الاحوال العجيبة من

القدرة الدالة على توحيده وقدرته هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون اي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحيا
والاماتة وساير ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته فانه قال من الاقتدار اذا قضى كان
اهون شي واسرعه قوله سبحانه وتعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله يعني القران
انى يصرفون اي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا
به رسلنا فسوف يعلمون وعيد وتهديد ثم وصف ما وعدهم به فقال اذ الاغلال في اعناقهم
والسلاسل يسحبون اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار يسجرون اي توقد بهم
النار ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم
فلا نراهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيا قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعوا شيا
ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعوا من قبل شيا كذلك يضل الله
الكافرين اي كما اضل هولاء ذلكم اي العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون وتاشرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي تختالون وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة
خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين اي عن الايمان قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي بنصرك على الاعدا فاما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب
في حياتك او نتوفينك اي قبل ان يحل ذلك بهم فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم
من قصصنا عليك اي خبره وحاله في القران ومنهم من لم نقصص عليك اي لم نذكر لك حال النبيين
وليس منهم احد الا اعطاه الله ايات معجزات الا وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم
يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان لرسول ان ياتي
باية الا باذن الله اي بامره وارادته فاذا جا امر الله اي قضاوه بين الانبيا وبين الامم قضي
بالحق اي بالعدل وخسر هنالك المبطلون اي الذين يجادلون في ايات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد
لهم قوله سبحانه وتعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع
اي من اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي تحمل اثقالكم
من بلد الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن
في البحر ويريكم اياته اي دلايل قدرته فاي ايات الله تنكرون يعني ان هذه الايات التي ذكرها
ظاهرة باهرة فليس شي منها يمكن انكاره قوله سبحانه وتعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض يعني مصانعهم
وقصورهم والمعنى لو ساروا هولاء في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هولاء المنكرين المتمردين الهلاك
والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا واموالا من هولاء فما اغنى عنهم اي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون
اي اي شي اغنى عنهم كسبهم فلما جاتهم رسلهم بالبينات فرحوا اي رضوا بما عندهم من العلم

قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمي ذلك علما على ما يزعمونه
ويدعونه وهو في الحقيقة جهل وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما راوا باسنا اي عذابنا
قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل بالله فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده يعني ان سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم
قبول الايمان عند معاينة الباس وهو العذاب يعني بتلك السنة اذا راوا العذاب امنوا ولا ينفعهم
ايمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك الكافرون اي تبين خسارة الدارين وقيل الكافر خاسر في كل
وقت اذا راي العذاب والله اعلم بمراده واسراره كتابه تفسير سورة حم السجدة وتسمى
فصلت وسورة المصابيح وهي مكية وهي اربع وخمسون اية وسبعمائة وست وتسعون كلمة
وثلاثة الاف وثلاثمائة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل
من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته اي بينت وميزت جعلت معان مختلفة من احكام وامثال
ومواعظ ووعد ووعيد قرانا عربيا اي باللسان العربي لقوم يعلمون اي انما انزلناه على العرب
بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه بشيرا ونذيرا نعتان للقران اي بشيرا
لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب فاعرض اكثرهم اي عنه فهم لا يسمعون اي
لا يصغون اليه تكبرا وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في اكنة اي اغطية مما تدعونا اليه اي فلا
نفقه ما تقول وفي اذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القول عنك بمنزلة
من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافق على ما تقول
فاعمل اي انت على دينك اننا عاملون اي على ديننا قل يا محمد انما انا بشر مثلكم اي كواحد منكم يوحى
الي اي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن علمه الله التواضع انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه
بطاعته ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه اي من ذنوبكم وشرككم وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من
الشرك في التوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرونها واجبا يقال الزكاة قنطرة
الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون
وقيل لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم كافرون اي جاحدون بالبعث بعد الموت ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير منقطع وقيل غير منقوص
وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه في المرضى والزمنى والهرمى اذا
عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه خ عن ابي موسى قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله
عنه مرض او سفر كتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قوله عز وجل قل اينكم استفهام
بمعنى الانكار وذكر منهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله وهو قوله لتكفرون بالذي خلق الارض

في يومين وثانيهما وتجعلون له اندادا اي اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه
الاصنام الخسيسة اندادا لله مع انه سبحانه وتعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الاحد
والاثنين ذلك رب العالمين اي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الانداد المتخذة
من الخشب والحجر وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت من فوقها اي من فوق الارض وبارك فيها
اي في الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار
وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر فيها اقواتها اي قسم في الارض ارزاق العباد
والبهائم وقيل قدر في كل بلد ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل
قدر الخبز لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر من الارض اخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر
وكذلك سائر الاقوات وقيل ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله وضع الاقوات في الارض قال الله
سبحانه وتعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لخلق الارض في يومين
وقدر الاقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء والاربعاء فصارت اربعة ايام رد الاخر على الاول في
الذكر سواء للسائلين سواء لمن سال عن ذلك فهكذا الامر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سال
في كم خلقت الارض والاقوات ثم استوى الى السماء اي عمد الى خلق السماء وهي دخان يعني ان ذلك
الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما اراد الله سبحانه وتعالى
ان يخلق السموات والارض امر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم ايبس
منه الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الاية مشعرة بان
خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها يشعر بان خلق الارض
بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور ان الله سبحانه وتعالى خلق الارض
اولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحى الارض ومدها وجواب اخر وهو ان
يقال ان خلق السماء متقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الاية خلق الارض في يومين
الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا يكون المعنى قضى ان
يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا تزول الاشكال والله اعلم بالحقيقة
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اي ائتيا ما امرتكما اي افعلاه وقيل افعلا ما امرتكما
والا الجاتكما الى ذلك حتى تفعلوه كرها فاجابتا بالطوع قالتا اتينا طائعين معناه اتيناه
بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول اجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله سبحانه وتعالى
لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك
ونجومك وانت يا ارض فشققي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك وقوله سبحانه وتعالى فقضاهن
سبع سموات في يومين اي اتمهن وفرغ من خلقهن في يومين وهما الخميس والجمعة واوحى في كل سماء
امرها قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار والجبال البرد وما لا يعلمه

الا الله وقيل اوحى الى كل سما ما اراد من الامر والنهي وزينا السما الدنيا اي التي تلي الارض
بمصابيح اي بكواكب تشرق وحفظا وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسما من الشياطين
الذين يسترقون السمع ذلك اي الذي ذكر من صنعه وخلقه تقدير العزيز اي في ملكه العليم
اي بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم قوله سبحانه وتعالى فان اعرضوا يعني هولا
المشركين عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم اي خوفتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود اي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شي اذ جاتهم الرسل يعني الى عاد وثمود
من بين ايديهم يعني الرسل الذين ارسلوا الى ابايهم ومن خلفهم يعني ومن بعد الرسل الذين
ارسلوا الى ابايهم وهم الرسل الذين ارسلوا اليهم وهم هود وصالح وانما خص سبحانه وتعالى
هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على ديارهم ان لا اي بان لا تعبدوا الا الله قالوا لو
شا ربنا لانزل ملايكة يعني لو شا ربنا دعوة الخلق لانزل ملايكة بدل الرسل فانا بما ارسلتم به
كافرون روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الملا من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة
والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال انت يا محمد خير
ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيما تشتم الهتنا وتضلل اباءنا
فان كنت انما بك الرياسة عقدنا لك الوينا فكنت راسا ما بقيت وان كان بك الباءة
زوجناك عشر نسوة تختار من اي بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به انت وعقبك
من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله تعالى
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى
عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه
فلما جاوه قال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت الى محمد
واعجبك طعامه فان كانت لك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد
فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا
ولكني اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر
وقرا السورة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت
بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان
ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثنا عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما

وهو جالس وحده في المسجد فقال يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله
يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة وراوا اصحاب محمد يزيدون ويكثرون
قالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
يا ابن اخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب فانك قد اتيت قومك بامر
عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت الهتهم وكفرت من مضى من ابايهم فاسمع مني اعرض
عليك امورا تنظر فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد فقال يا ابن اخي ان كنت
انما تريد بما جيت به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك
علينا وان كان هذا الذي بك رييا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك
فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه حتى اذا فرغ فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته ثم مضى فيها يقراها فلما سمعها عتبة انصت له
والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة
فسجد فقال سمعت يا ابا الوليد فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض
نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراك
يا ابا الوليد قال وراي اني قد سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة
يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن
لقوله الذي سمعت منه نبا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه
ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا
رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد
منا قوة وذلك ان هودا عليه السلام هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا
بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال قال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم اولم يروا اي اولم
يعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا اي عاصفا شديد الصوت وقيل هي الريح الباردة وقيل ان الرياح ثمانية فاربعة منها
عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات
والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل ارسل عليهم من الريح على قدر الخاتم فاهلكوا جميعا
في ايام نحسات اي نكدات ذات غبرة وقيل ذات غبار وتراب ثاير لا يكاد يبصر منه ويتصرف فيه
وقيل امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودابت عليهم الريح من غير مطر لنذيقهم عذاب الخزي
اي عذاب الذل والهوان وهذا مقابل لقوله فاستكبروا في الارض بغير الحق في الحياة الدنيا اي ذلك
الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى اي اشد اهانة وهم لا ينصرون

اي لا يمنعون من العذاب واما ثمود فهديناهم قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم
على الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على الايمان فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون اي ذي الهوان بما كانوا يكسبون اي من الشرك ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون اي يتقون
الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن امن معه من قومه ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم
يوزعون اي يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق باخرهم حتى اذا ما جاؤها يعني النار
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم اي بشراتهم وقيل فروجهم بما كانوا يعملون معناه ان
الجوارح نطقت بما كتمت به الالسن من عملهم وعن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب
الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى فيقول فاني لا اجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول
كفى بنفسك عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وقالوا يعني الكفار الذين يجرون الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في الدنيا وانطقكم ثم اعادكم بعد الموت قادر على نطق
الاعضاء والجوارح وهو قوله سبحانه وتعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل تم الكلام
عند قوله الذي انطق كل شيء ثم ابتدا بقوله سبحانه وتعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
وقيل لانه ليس من جواب الجلود وما كنتم تستترون اي تستخفون معناه تظنون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون
انها تشهد عليكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قال ابن عباس كان الكفار يقولون
ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكنه يعلم ما نظهر وعن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند
البيت ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم
اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان
يسمع ان جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي
هو عبد يا ليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية قوله سبحانه وتعالى وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم اي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ارداكم اي اهلككم وقال ابن عباس
طرحكم في النار فاصبحتم من الخاسرين ثم اخبر سبحانه وتعالى عن حالهم بقوله فان يصبروا
فالنار مثوى لهم اي مسكن وان يستعتبوا اي يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذي
قبل عتابه واجيب الى ما سال فما هم من المعتبين اي المرضيين وقيضنا لهم قرناء اي نظراء من الشياطين
حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم اي من امر الدنيا حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم اي يدعوهم

الى التكذيب بالاخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة
وحق عليهم القول اي وجب في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين قوله سبحانه وتعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي قريش لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصي الى بعض اذا
رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقيل والغوا
فيه بالمكاء والتصفير وقيل صيحوا في وجهه لعلكم تغلبون يعني محمدا على قراءته فلنذيقن الذين
كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا يعني باسوا الذي كانوا يعملون اي في الدنيا وهو الشرك
ذلك اي الذي ذكر من العذاب جزاء اعداء الله ثم بين ذلك الجزاء فقال النار لهم فيها دار الخلد
اي دار الاقامة لا انتقال لهم عنها جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا اي في النار
ربنا اي يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون ابليس وقابيل بن ادم الذي قتل اخاه
لانهما سنا المعصية نجعلهما تحت اقدامنا اي في النار ليكونا من الاسفلين اي في الدرك الاسفل
من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال اهل
التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته لاجل العمل به وراس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى
واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما
في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في امر الدين والتوحيد فتكون
في الاعمال الصالحة سئل ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك
بالله شيا وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي
ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضي الله تعالى عنه استقاموا اخلصوا في العمل وقال
علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ادوا الفرايض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله
فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى
لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة تتنزل
عليهم الملايكة قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاث
مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث الا تخافوا من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدموا عليه
من امر الاخرة ولا تحزنوا اي على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من
ذنوبكم ولا تحزنوا فانا اغفرها لكم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم اي انصاركم واحباؤكم
وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم في الحياة الدنيا ونحن اولياؤكم وفي الاخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا
الجنة ولكم فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسكم من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون اي
تتمنون نزلا اي رزقا والنزل رزق النزيل وهو الضيف من غفور رحيم قال اهل المعاني كل هذه
الاشياء المذكورة في هذه الاية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده

من الالطاف والكرامة قوله سبحانه وتعالى **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله** اي الى طاعة الله
وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المومن
اجاب فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه **وعمل صالحا** في اجابته وقالت عايشة رضي الله
تعالى عنها ارى هذه الاية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل
في الاية وللدعوة الى الله سبحانه وتعالى مراتب الاولى دعوة الانبيا الى الله عز وجل بالمعجزات
وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبيا المرتبة الثانية
دعوة العلما الى الله عز وجل بالحجج والبراهين فقط والعلما اقسام علما بالله وعلما بصفات
الله وعلما باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله عز وجل بالسيف فهم
يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة
فهو دعا الى الله والى طاعته **وعمل صالحا** قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب
وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو ساير الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين
بين الاذان والاقامة وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين
صلاة قال في الثالثة لمن شا عن انس بن مالك قال الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو
داود والترمذي وقال هذا حديث حسن **وقال انني من المسلمين** قيل ليس الغرض منه القول فقط بل هو
اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به قوله عز وجل **ولا تستوي الحسنة ولا
السيئة** يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساة **ادفع بالتي هي احسن** قال ابن
عباس امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عن الاساة **فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم** اي الصديق القريب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وذلك لانه لان
للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا
بالاسلام حميما بالقرابة **وما يلقاها** اي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة
الا الذين صبروا اي على تحمل المكاره وتجرع الشدايد وكظم الغيظ وترك الانتقام **وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم** اي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت
له الجنة **واما ينزغنك من الشيطان نزغ** النزغ يشبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه
ينخسه اي يبعثه على ما لا ينبغي ومعنى الاية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي
هي احسن **فاستعذ بالله** اي من شره **انه هو السميع** اي لاستعاذتك **العليم** باحوالك قوله سبحانه
وتعالى **ومن اياته** اي ومن دلايل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته **الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر** اي انما هما مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة
عن نهاية التعظيم **واسجدوا لله الذي خلقهن** اي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل
والنهار والشمس والقمر **ان كنتم اياه تعبدون** يعني ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون

ان





ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وامروا بالسجود
لله الذي خلق هذه الاشيا كلها **فان استكبروا** اي عن السجود لله **فالذين عند ربك** يعني
الملايكة **يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون** اي لا يفترون ولا يملون فصل وهذه
السجدة من عزايم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلما وهما وجهان لاصحاب
الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه احدهما انه عند قوله سبحانه وتعالى ان كنتم اياه تعبدون
وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن ابي حنيفة واحمد لان ذكر السجدة قبله والثاني
وهو الاصح عند اصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه وكذا نقله الرافعي انه عند قوله وهم
لا يسامون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن ابي حنيفة
لان عنده تم الكلام **ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت
ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شي قدير** قوله سبحانه وتعالى **ان الذين يلحدون** اي يميلون
عن الحق **في اياتنا** اي في ادلتنا قيل بالمكا والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون في اياتنا هم
ويعاندون ويشاقون **لا يخفون علينا** فيه وعيد وتهديد وقيل نزلت في ابي جهل **افمن يلقى في النار**
هو ابو جهل **خير ام من ياتي امنا يوم القيامة** المعنى الذين يلحدون يلقون في النار والذين يومنون
باياتنا امنين يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر **اعملوا ما شيتم** امر تهديد
ووعيد **انه بما تعملون بصير** اي انه عالم باعمالكم فيجازيكم بها **ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم** يعني
القران وفي جواب ان وجهان احدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم
والثاني جوابه اوليك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ في وصف الذكر فقال تبارك وتعالى **وانه لكتاب
عزيز** قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل
اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله سبحانه وتعالى **لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه** قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل
من بين يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل
لا ياتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجي بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق
اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا ياتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم
في الزمان ولا فيما تاخر **تنزيل من حكيم** اي في جميع افعاله **حميد** اي الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم
ثم عزى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم اياه فقال عز وجل **ما يقال لك** اي من
الاذى والتكذيب **الا ما قد قيل للرسل من قبلك** يعني انه قد قيل للانبيا قبلك ساحر كما يقال لك
وكذبوا كما كذبت **ان ربك لذو مغفرة** لمن تاب وامن بك **وذو عقاب اليم** اي لمن اصر على التكذيب
قوله عز وجل **ولو جعلناه** اي هذا الكتاب الذي تقراه على الناس **قرانا اعجميا** اي بغير لغة العرب
لقالوا لولا فصلت اياته اي هلا بينت اياته بالعربية حتى نفهمه **ااعجمي وعربي** يعني اكتاب اعجمي ورسول عربي

وهذا استفهام انكار والمعنى لو لا نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون
المنزل عليه عربي والمنزل عجمي وقيل في معنى الاية انا لو انزلنا هذا القران بلغة العجم
لكان لهم ان يقولوا كيف الكلام العجمي الى القوم العرب ويصح قولهم ان يقولوا قلوبنا
في اكنة وفي اذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما لما انزلنا هذا القران بلغة العرب
وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا
فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال يسار والله
يعلمني فانزل الله عز وجل هذه الاية قل يا محمد هو يعني القران للذين امنوا هدى من
الضلالة وشفا لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل هو شفا من الاوجاع والاسقام
والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اي صموا عن سماع القران وعموا عنه فلا ينتفعون
به اولئك ينادون من مكان بعيد اي كما ان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك
هولا في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كالمنادى من حيث لا يسمعون ولقد اتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه اي فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة
سبقت من ربك اي في تاخير العذاب عن المكذبين بالقران لقضي بينهم اي لفرغ من عذابهم
وعجل اهلاكهم وانهم لفي شك منه مريب اي من كتابك وصدقك من عمل صالحا فلنفسه اي
يعود نفع ايمانه وعمله على نفسه ومن اسا فعليها اي ضر اساته وكفره يعود على نفسه
ايضا وما ربك بظلام للعبيد يعني فيعذب بغير المسي قوله عز وجل اليه يرد علم الساعة يعني اذا
سال عنها سايل قيل لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك
وما تخرج من ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل ان تنشق وما تحمل
من انثى ولا تضع الا بعلمه اي يعلم عدد ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر هو
الحمل ام انثى ومعنى الاية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من شي
كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من اصحاب الكشوف قولا فيصيب فيه
وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله سبحانه
وتعالى والهامه اياهم علمه فكان من علمه الذي يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا
يمكنهم القطع والجزم في شي مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعا ظن ضعيف فاما يصيب
وعلم الله سبحانه وتعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه احد ويوم يناديهم
اي ينادي الله المشركين فيقول اين شركاي اي الذين كنتم تزعمون انها الهة قالوا يعني المشركين
اذناك اي اعلمناك ما منا من شهيد اي يشهد ان لك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبروا
من الاصنام وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي يعبدون في الدنيا وظنوا ما لهم من محيص

اي يهرب

اي يهرب قوله سبحانه وتعالى لا يسام الانسان اي لا يمل الكافر من دعا الخير يعني لا يزال يسال
ربه الخير وهو المال والغنى والصحة وان مسه الشر اي الشدة والفقر فيوس اي من روح
الله قنوط اي من رحمته ولين اذقناه رحمة منا اي اتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد
ضرا مسته اي من بعد شدة وبلا اصابه ليقولن هذا لي اي استحقه بعملي وما اظن الساعة
قايمة اي ولست على يقين من البعث ولين رجعت الى ربي يقول هذا الكافر فان كان الامر
على ذلك ورددت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة والمعنى كما اعطاني في الدنيا يعطيني
في الاخرة فلننبين الذين كفروا بما عملوا قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي اعمالهم ولنذيقنهم من
عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم
واذا مسه الشر اي الشدة والفقر فذو دعا عريض اي كثير قل يا محمد لكفار مكة ارايتم ان كان
من عند الله يعني هذا القران ثم كفرتم به اي جحدتموه من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف
للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم سنريهم اياتنا في الافاق قال ابن عباس يعني منازل
الامم الخالية وفي انفسهم اي بالبلا والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الافاق هو
ما يفتح من القرى والبلاد على يد محمد والمسلمين وفي انفسهم هو فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق
يعني دين الاسلام وقيل يتبين القران انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه
وسلم مويد من قبل الله تعالى وقيل في الافاق يعني اقطار السما والارض من الشمس والقمر
والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفي انفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع الصنعة
حتى يتبين لهم انه الحق يعني لا يقدر على هذه الا الله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي
شهيد يعني يشهد ان القران من عند الله وقيل اولم يكفهم هذه الدلايل الكثيرة التي اوضحها
الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شي الا انهم في مرية من لقا ربهم اي في شك
عظيم من البعث والقيامة الا انه بكل شي محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية
لها احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا والله اعلم بمراده تفسير سورة حم
عسق وتسمى سورة الشورى وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس الا اربع
ايات نزلت بالمدينة اولها قل لا اسالكم عليه اجرا وقيل فيها من المدني ذلك الذي
يبشر الله عباده الى قوله بذات الصدور وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
الى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون اية وثمانماية وست وستون كلمة وثلاثة الاف
وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم عسق
سيل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع المص والمر وكهيعص فقال لانها
بين سور اوايلها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره لانهم عسق
عدت ايتين وعدت اخواتها التي لم تقطع اية واحدة وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا

في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم عن حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اي قضي وبقي عسق على اصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته اقسم الله سبحانه وتعالى بها وقيل ان العين من العزيز والسين من القدوس والقاف من القاهر وقيل ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنين كسني يوسف عليه السلام ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فالحا حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك قيل معناه كذلك يوحي اليك اخبار الغيب كما اوحي الى الذين من قبلك الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه والمعنى كانه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال سبحانه وتعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين وقيل تتفطر كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا والملايكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ويستغفرون لمن في الارض اي من المومنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملايكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما في حق الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما في حق المومنين فبالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المومن والكافر الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه سبحانه وتعالى يعطي المغفرة التي سالوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة التامة الشاملة قوله سبحانه وتعالى والذين اتخذوا من دونه اوليا اي جعلوا له شركا وانداد الله حفيظ عليهم اي رقيب على احوالهم واعمالهم وما انت عليهم بوكيل اي لم نوكلك بهم حتى تواخذ بهم انما انت نذير وكذلك اي مثل ما ذكرنا اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى يعني مكة والمراد اهلها ومن حولها يعني قرى الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات واهل الارض لا ريب فيه انه كاين ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله سبحانه وتعالى فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسما اهل الجنة واسما ابايهم وعشايرهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون

فليس

ان يستقروا نطفا ...
اذ هم في الطينة منجدلون فليس يزاد
فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم
الى يوم القيامة

فليس يزاد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله اخرجه احمد بن حنبل في مسنده قوله سبحانه وتعالى ولو شا الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشا في رحمته قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام والظالمون اي الكافرون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا نصير اي يمنعهم من العذاب ام اتخذوا يعني الكفار من دونه اوليا فالله هو الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك وهو يحيي الموتى وهو على كل شي قدير يعني من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لم يكن بهذه الصفة فليس بولي وما اختلفتم فيه من شي اي من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي فيه ويحكم يوم القيمة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله ولا توثروا حكومة غيره على حكومته ذلكم الله اي الذي يحكم بين المختلفين ربي عليه توكلت اي في جميع اموري واليه انيب اي واليه ارجع في كل المهمات فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا اي حلايل وقيل انما قال من انفسكم لان الله سبحانه وتعالى خلق حوا من ضلع ادم ومن الانعام ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا يذروكم اي يخلقكم وقيل يكثركم فيه اي في الرحم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذروكم يرجع الى المخاطبين من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلا على غير العقلا من الانعام وقيل في بمعنى البا اي يذروكم به اي يكثركم بالتزويج ليس كمثله شي المثل صلة اي ليس هو كشي وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شي قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الاية دالة على نفي المثل وقوله سبحانه وتعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يدل على اثبات المثل فما الفرق قلت المثل هو الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية وقوله تعالى ليس كمثله شي فمعناه ليس له نظير كما قال ابن عباس ويكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فمعناه وله الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الايتين وحصل الفرق بينهما وهو السميع اي لساير المسموعات البصير اي لساير المبصرات له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض النبات يدل عليه قوله سبحانه وتعالى يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يعني انه يوسع على من يشا ويضيق على من يشا لان مفاتيح الرزق في يده انه بكل شي عليم اي من التبسيط والتضييق قوله عز وجل شرع لكم من الدين اي بين لكم طريقا واضحا من الدين اي دينا تطابقت على صحته الانبيا وهو قوله تعالى ما وصى به نوحا يعني انه اول الانبيا اصحاب الشرايع

والمعني قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا والذي اوحينا اليك اي من القران وشرايع الاسلام
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى انما خص سبحانه وتعالى هولا الانبيا الخمسة بالذكر
لانهم اكابر الانبيا واصحاب الشرايع المعظمة والاتباع الكثيرة واولي العزم ثم فسر المشروع
الذي اشترك فيه هولاء الاعلام من رسله بقوله سبحانه وتعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
والمراد من اقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الاخر وطاعة الله
في اوامره ونواهيه وساير ما يكون الرجل به مومنا مسلما ولم يرد الشرايع التي هي مصالح
الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله سبحانه وتعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات
والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقامة الصلاة وايتا الزكاة
والاقرار لله بالتوحيد والطاعة وقيل بعث الله سبحانه وتعالى الانبيا كلهم باقامة الدين
والالفة والجماعة وترك الفرقة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي من التوحيد ورفض الاوثان
الله يجتبي اليه من يشا اي يصطفي لدينه من يشا من عباده ويهدي اليه من ينيب اي يميل الى طاعته
وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني اهل الكتاب الا من بعد ما جاهم
العلم اي بان الفرقة ضلالة بغيا بينهم اي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم
على محمد صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى
يعني الى يوم القيمة لقضي بينهم اي بين من امن ومن كفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في
الدنيا وان الذين اورثوا الكتاب يعني اليهود والنصارى من بعدهم اي من بعد انبيايهم
وقيل من الامم الخالية لفي شك منه اي من امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يومنون به مريب يعني مرتابين
شاكين فيه فلذلك اي الى ذلك فادع اي الى ما وصى الله به الانبيا من التوحيد وقيل لاجل ما
حدث من الاضلال الكثير في الدين فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم كما امرت
اي اثبت على الدين الذي امرت به ولا تتبع اهواهم اي المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل
الله من كتاب اي امنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين امنوا ببعض الكتب وكفروا
ببعض الكتب وامرت لاعدل بينكم قال ابن عباس امرت ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله
عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشيا وقيل لاعدل بينكم في الحكم
اذا تخاصمتم وتحاكمتم الي الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان الاله واحد وكل
احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله لا حجة اي لا خصومة بيننا وبينكم
وهذه الاية منسوخة باية القتال اذ لم يومر بالقتال وامر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا
يجيب خصومة الله يجمع بيننا اي في المعاد لفصل القضا واليه المصير قوله سبحانه وتعالى والذين
يحاجون في الله اي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم

فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجاب الناس لدين الله
فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم داحضة اي خصومتهم
باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اي في الاخرة الله الذي انزل الكتاب بالحق
اي الكتاب المشتمل على انواع الدلايل والاحكام والميزان اي العدل سمي العدل ميزانا لان الميزان
الة الانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله سبحانه وتعالى بالوفا ونهى عن البخس وما يدريك
لعل الساعة قريب اي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده
قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله عز وجل يستعجل بها الذين لا يومنون
بها اي ظنا منهم انها غير اتية والذين امنوا مشفقون اي خايفون منها ويعلمون انها الحق
اي انها اتية لا شك فيها الا ان الذين يمارون اي يخاصمون في الساعة وقيل يشكون فيها لفي ضلال
بعيد قوله عز وجل الله لطيف بعباده اي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق
وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله سبحانه وتعالى
يرزق من يشا يعني ان الاحسان والبر تام في حق كل العباد وهو اعطا ما لا بد منه فكل من رزقه
الله تعالى من مومن وكافر وذي روح فهو ممن يشا الله ان يرزقه وقيل اللطف في الرزق من
وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة
وهو القوي اي القادر على كل ما يشا العزيز اي الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث
الاخرة اي كسب الاخرة والمعنى من كان يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه اي بالتضعيف
بالواحد عشرة الى ما يشا الله من الزيادة وقيل انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل
سبيل الخيرات والطاعات عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا موثرا
لها على الاخرة نوته منها اي ما قدر وقسم له منها وما له في الاخرة من نصيب يعني لانه
لم يعمل لها عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا
والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة نصيب
ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب البتة واخرجه البغوي باسناده
قوله سبحانه وتعالى ام لهم يعني كفار مكة شركا يعني الاصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم من
الدين قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ما لم ياذن به الله يعني ان تلك الشرايع
باسرها على خلاف دين الله الذي امر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل
للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها ولولا كلمة الفصل يعني ان الله سبحانه وتعالى حكم بين الخلق
بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيمة لقضي بينهم اي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا
وان الظالمين يعني المشركين لهم عذاب اليم اي في الاخرة ترى الظالمين يعني يوم القيمة مشفقين
اي وجلين خايفين مما كسبوا اي من الشرك والاعمال الخبيثة وهو واقع بهم اي جزا كسبهم واقع

بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كان هذه الروضات اطيب بقاع الجنة
فلذلك خص الذين امنوا وعملوا الصلحات بها وفيه تنبيه على ان في الجنة منازل غير الروضات
هي لمن دون هولاء الذين امنوا وعملوا الصلحات من اهل القبلة لهم ما يشاءون عند ربهم
اي من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير اي الذي ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني الذي ذكر من نعيم
الجنة الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصلحات قوله عز وجل قل لا اسالكم عليه اي على
تبليغ الرسالة اجرا اي جزا الا المودة في القربى خ عن ابن عباس انه سيل عن قوله الا المودة في
القربى فقال سعيد بن جبير قربى ال محمد قال ابن عباس عجلت حكى ابن عباس انه سيل عن قوله
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني
وبينكم من القرابة وعن ابن عباس ايضا قوله الا المودة في القربى يعني ان تحفظوا قرابتي
وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي والضحاك خ عن ابن
عمر ان ابا بكر قال ارقبوا محمدا في اهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين
رضي الله تعالى عنهم اجمعين وقيل اهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم بنوا
هاشم وبنوا المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام عن زيد بن ارقم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا
بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم
الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال له حصين ومن اهل بيته يا زيد اليس
نساوه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة عليه قال ومن هم قال هم ال
علي وال عقيل وال جعفر وال العباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز
لقوله تعالى في قصة نوح وغيره من الانبيا ما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين قلت لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا
المودة في القربى والجواب عنه من وجهين الاول معناه لا اطلب منكم الا هذا وهذا في
الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتايب معناه اذا كان عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين
المسلمين امر واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في اهل بيت النبي صلى الله
عليه وسلم اولى فقوله سبحانه وتعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
والمودة في القربى ليست اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم
لازمة لهم فثبت ان لا اجر البتة والوجه الثاني ان هذا استثنا منقطع وتم
الكلام عند قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا ثم ابتدا فقال تعالى الا المودة في القربى
اي لكن اذكركم المودة في القربى واذكركم قرابتي منكم في الذين هم قرابتكم فلا توذوهم

وقيل

وقيل ان هذه منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يوذون رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله ان يلحقه باخوانه من
النبيين فانزل الله عز وجل قل ما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على الله فصارت هذه
الاية ناسخة لقوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك
والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الاية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم
وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرايض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ
هذه الاية وروى عن ابن عباس في معنى الاية قولا اخر ان تودوا الى الله وتتقربوا الى الله
بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله والتودد اليه
بالطاعة والعمل الصالح وقوله سبحانه وتعالى ومن يقترف حسنة اي يكتسب
طاعة نزد له فيها حسنا اي بالتضعيف ان الله غفور للذنوب شكور اي للقليل من الاعمال
حتى يضاعفها امر يقولون اي بل يقولون كفار مكة افترى على الله كذبا فيه توبيخ لهم معناه
ايقع في قلوبهم ويجري على لسانهم ان ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا
وانه اقبح انواع الكذب فان يشا الله يختم على قلبك اي يربط على قلبك بالصبر حتى
لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه نطبع على قلبك فننسيك القران
وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية ويمح الله
الباطل اخبر الله سبحانه وتعالى ان ما يقولونه الباطل والله يمحوه ويحق الحق بكلماته اي يحق
الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام انه عليم
بذات الصدور قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في
قلوب قوم منها شي فقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبرهم انهم
اتهموه وانزل هذه الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله
عز وجل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس يريد اولياءه واهل طاعته فصل
في ذكر التوبة وحكمها قال العلما التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين
العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية
والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه
الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق
بحق ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرا من حق صاحبها فهذه
شروط التوبة وقيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا
وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من الافعال المذمومة الى الافعال المحمودة

خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب الى الله في اليوم ماية مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش او ما شا الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المذنب من فرح هذا العبد الناجي من الموت براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قايمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله سبحانه وتعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قوله عز وجل ويعفوا عن السيئات اي يمحوها اذا تابوا ويعلم ما يفعلون اي من خير وشر فيجازيهم عليه ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني يجيب المومنون الله فيما دعاهم بطاعته وقيل معناه ويجيب الذين امنوا اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين امنوا ويزيدهم من فضله اي سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله سبحانه وتعالى ولو بسط الله الرزق لعباده اي وسع الله الرزق لعباده لبغوا اي لطغوا وعتوا في الارض

قال

قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى خلقته وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر ورجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع القبض والفقر اقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مايلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لالاته كان الشر اقل واذا كانت واجدة كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان ولكن ينزل بقدر ما يشا يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله سبحانه وتعالى انه بعباده خبير بصير فالمعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوال عباده وبطباعهم وعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليايي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المومن بمثل اداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المومن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا ان دعاني اجبته وان سالني اعطيته وما ترددت في شي انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المومنين لمن يسالني الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه البغوي باسناده قوله سبحانه وتعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قحطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم وينشر رحمته يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وهو الولي لاهل طاعته الحميد اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته ومن اياته خلق السموات والارض وما بث اي وجد فيهما اي في السموات والارض من دابة فان قلت يجوز اطلاق الدابة على الملايكة قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملايكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق في السموات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان وهو على جمعهم اذا يشا قدير يعني يوم القيامة قوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يعني المراد بهذه المصايب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلا والغرق والصواعق وغير ذلك

من المصايب بما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصي ويعفوا عن كثير قالوا لما نزلت هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدشة عود ولا عثرة
قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه اكثر وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابي سخيلة قال قال علي بن ابي طالب الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير
وسافسرها لكم يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلا في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم
من ان يثني عليهم العقوبة في الاخرة وما عفا الله عز وجل عنه في الدنيا فالله احلم
من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله
ليغفر له الا بها او درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها وعن عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يصيب المومن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه
بها خطيئة وما انتم بمعجزين في الارض اي بفايتين هربا يعني لا تعجزونني حيثما كنتم
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله تعالى ومن اياته الجوار يعني السفن وهي السايرة
في البحر كالاعلام اي كالقصور وكل شي مرتفع عند العرب فهو علم ان يشا يسكن الريح التي تجري
بها السفن فيظللن يعني الجواري رواكد اي ثوابت على ظهره اي على ظهر البحر لا تجري ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور وهذه صفة المومن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخا او يوبقهن
اي يغرقهن ويهلكهن بما كسبوا اي بما كسبت ركابها من الذنوب ويعف عن كثير اي من ذنوبهم
فلا يعاقب عليها ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص يعني يعلم الذين يكذبون
بالقران اذا صاروا الى الله ما لهم من مهرب من عذابه فما اوتيتم من شي اي من زينة الدنيا فمتاع
الحياة الدنيا اي ليس هو من زاد المعاد وما عند الله اي من الثواب خير وابقى للذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون والمعنى ان المومن والكافر يستويان في متاع الدنيا فاذا صاروا الى الله
تعالى كان ما عند الله من الثواب خير للمومن والذين يجتنبون كباير الاثم يعني كل ذنب تعقبه
عقوبة كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك والفواحش يعني ما عظم قبحه من الافعال والاقوال
واذا ما غضبوا هم يغفرون يعني يكظمون الغيظ ويحلمون والذين استجابوا لربهم اي اجابوه
الى ما دعاهم اليه من طاعته واقاموا الصلاة يعني المفروضة وامرهم شورى بينهم يعني
يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون براي ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور
قوم الا هدوا الى رشد امرهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي يعني الظلم
والعدوان هم ينتصرون يعني ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله المومنين
صنفين صنف يعفون عن من ظلمهم فبدا بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون
وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الاية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون

ان يذلوا انفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغرا للسفيه قال عطا هم المومنون
الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم
ثم بين الله تعالى ان شريعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تبارك وتعالى وجزا
سيئة سيئة مثلها سمي الجزا سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل لان الجزا
يسوء من ينزل به قيل هو جواب القبيح بمثله كمن قال اخزاك الله فقل له اخزاك الله ولا تزد واذا
شتمك فاشتمه ولا تعتد وقيل هو في القصاص في الجراحات والدما يقتص بمثل ما جنى
عليه وقيل ان الله سبحانه وتعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين انه
مشروط ثم بين ان العفو اولى بقوله سبحانه وتعالى فمن عفا اي عمن ظلمه واصلح اي بالعفو بينه
وبين الظالم فاجره على الله قال الحسن اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم
فلا يقوم الا من عفا ثم قرا هذه الاية انه لا يحب الظالمين فاذا ان يعتدي الذي يبدونه بالظلم
ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ظلم الظالم اياه فاوليك يعني المنتصرين ما عليهم من سبيل اي بعقوبة
ومواخذة انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي يبدون بالظلم ويبغون في الارض بغير الحق
اي يعملون فيها المعاصي اوليك لهم عذاب اليم ولمن صبر اي لم ينتصر وغفر اي تجاوز عن ظالمه
ان ذلك اي الصبر والتجاوز لمن عزم الامور يعني تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التي امر الله
بها وقيل ان الصابر يوتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب اتم عزم ومن يضلل الله فما له من
ولي من بعده يعني ما له من احد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه من عذابه وترى
الظالمين لما راوا العذاب يعني يوم القيمة يقولون هل الى مرد من سبيل يعني انهم يسالون
الرجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها اي على النار خاشعين من الذل اي خاضعين متواضعين
ينظرون من طرف خفي يعني يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في انفسهم وقيل ينظرون
بطرف خفي اي ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب
خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم يعني بان صاروا الى النار واهليهم
يوم القيمة يعني وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة الا ان الظالمين في عذاب
مقيم وما كان لهم من اوليا ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل اي وصول
الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد انسد عليهم طريق الخير استجيبوا لربكم اي اجيبوا داعي
الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يقدر احد على دفعه
وهو يوم القيمة وقيل هو يوم الموت ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير اي ما لكم من مخلص
من العذاب وقيل من الموت فان اعرضوا اي عن الاجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا اي تحفظ
اعمالهم ان عليك الا البلاغ اي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وانا
اذا اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغنى والصحة فرح بها وان تصبهم سيئة اي قحط

بما قدمت ايديهم اي من الاعمال الخبيثة فان الانسان كفور اي لما تقدم من نعمة الله عليه
قوله عز وجل لله ملك السموات والارض يعني التصرف فيهما بما يريد يخلق ما يشا اي لا يقدر
احد ان يعترض عليه في ملكه وارادته يهب لمن يشا اناثا اي فلا يولد له ذكر ويهب لمن
يشا الذكور فلا يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث
ويجعل من يشا عقيما اي فلا يولد له ولد قيل هذا في الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقوله
سبحانه وتعالى يهب لمن يشا اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكرا انما ولد له ابنتان ويهب لمن
يشا الذكور يعني ابراهيم عليه السلام لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل من يشا عقيما يعني
يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما اولاد وهذا على وجه التمثيل والا فالاية عامة
في جميع الناس انه عليم اي بما يخلق قدير اي على ما يريد ان يخلق قوله سبحانه وتعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر
موسى الى الله فانزل الله سبحانه وتعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يوحي اليه في
المنام او بالالهام كما راى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهم ام موسى ان تقذفه
في البحر او من وراء حجاب ولا يراه كما علم موسى او يرسل رسولا يعني من الملائكة اما جبريل
او غيره فيوحي باذنه يعني ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله تعالى ما يشا وهذه
الاية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا وياتي بيان هذه المسالة
ان شا الله تعالى في سورة النجم انه علي اي عن صفات المخلوقين حكيم اي في جميع افعاله
قوله عز وجل وكذلك اي وكما اوحينا الى سائر رسلنا اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس
نبوة وقيل قرانا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل ما كنت تدري اي قبل
الوحي ما الكتاب يعني القران ولا الايمان اختلف العلما في هذه الاية مع اتفاقهم
على ان الانبيا قبل النبوة كانوا مومنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرايع
الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحاق وابن خزيمة الايمان في هذا الموضع الصلاة دليله
وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله
تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يوحد الله ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى
ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه السلام ولم يتبين له شرايع
دينه الا بعد الوحي اليه ولكن جعلناه نورا قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القران لانه
يهتدى به من الضلالة وهو قوله سبحانه وتعالى نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي
الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام صراط الله يعني الذي شرعه لعباده الذي له ما في السموات

وما في الارض الا الى الله تصير الامور يعني امور الخلايق في الاخرة فيثيب المحسن ويعاقب
المسيء والله اعلم تفسير سورة الزخرف وهي مكية وهي تسع وثمانون اية وثمانمائة
وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب وهو القران الذي ابان طرق الهدى من طرق
الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين
وجواب القسم انا انزلناه اي صيرنا قراءة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل
وصفناه وقيل انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون يعني معانيه واحكامه وانه يعني القران
في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد
ان يخلق والكتاب عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب لدينا فالقران مثبت عند الله في اللوح المحفوظ
لعلي اي رفيع شريف وقيل على جميع الكتب حكيم اي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان قوله
سبحانه وتعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا معناه افنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القران
ولا نامركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو قوله سبحانه وتعالى
ان اي لان كنتم قوما مسرفين والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القران
رفع حين رده اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد بعايدته ورحمته فكرره عليهم عشرين
سنة او ما شا الله وقيل معناه افنضرب عنكم بذكرنا اياكم صفحا اي معرضين عنكم
وقيل معناه افنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنترككم فلا نعاقبكم
على كفركم وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون
يعني كاستهزا قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي اقوى من قومك قوة ومضى مثل الاولين اي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا
في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين
من الخزي والعقوبة قوله عز وجل ولئن سالتهم اي سالت يا محمد قومك من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم يعني انهم اقروا بان الله سبحانه وتعالى خالقهما
واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط
جهلهم ثم ابتدا سبحانه وتعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى الذي جعل
لكم الارض مهادا معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة
الصبي فكذلك جعل الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا
اي طرقا لعلكم تهتدون يعني الى مقاصدكم في اسفاركم والذي نزل من السما ما بقدر اي بقدر
حاجتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم فانشرنا به اي بالمطر بلدة ميتا كذلك
اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احيا والذي خلق الازواج

اي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن
الاضداد والانداد والزوجية وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره
ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعني بتسخير المركب في البر والبحر وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى ربنا
لمنقلبون اي لمنصرفون في المعاد م عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
استوى على بعيره خارجا الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسالك في سفرنا هذا البر
والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده اللهم انت الصاحب
في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنظر وسوء
المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون
لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه ومشقته وكابة المنظر الحزن والمنقلب
المرجع وذلك ان يعود من سفره حزينا كيئبا او يصادف ما يحزنه في اهل ومال عن علي بن
ربيعة قال شهدت علي بن ابي طالب وقد اتي بدابته ليركبها فلما وضع رجله في الركاب
قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال
سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير
المومنين مم ضحكت قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله
من اي شي ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله سبحانه وتعالى وجعلوا له من عباده
جزءا يعني ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا
حكموا واثبتوا ان الانسان لكفور مبين اي لجحود لنعم الله عليه ام اتخذ مما يخلق بنات
هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم
بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان
الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم
اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى
ظل وجهه اي صار وجهه مسودا وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب
ولدت له انثى فهجر بيت امراته الذي ولدت فيه الانثى فقالت المراة ما لابي حمزة لا ياتينا
يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا وانما ناخذ
ما اعطينا حكمة اله قادر فينا قوله عز وجل او من ينشا يعني او من يتربى في الحلية

يعني الزينة والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته
ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم من نقصان حالها بوجه اخر
وهو قوله تعالى وهو في الخصام اي المخاصمة غير مبين للحجة وذلك لضعف حالها وقلة
عقلها قال قتادة قل ما تكلمت امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا
اي حكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن وقرئ عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم
اي احضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم
اي على الملائكة انهم بنات الله ويسالون اي عنها قيل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى
الله عليه وسلم فقال الله سبحانه وتعالى ستكتب شهادتهم ويسالون عنها في الاخرة وقالوا لو
شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا
اياها لرضاه منا بذلك قال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم اي فيما يقولون
ان هم الا يخرصون يعني ما هم الا كاذبين في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل يكذبون
في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران بان يعبدوا
غير الله فهم به مستمسكون اي ياخذون بما فيه بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة اي على دين
وملة وانا على اثارهم مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع ابائهم وتقليدهم
من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك
في قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياؤها ورؤساؤها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مقتدون اي بهم قل اولو جئتكم باهدى اي بدين هو اصوب مما وجدتم عليه اباءكم فابوا
ان يقبلوا و قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
قوله سبحانه وتعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني
معناه انا اتبرا مما تعبدون الا من الله الذي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني الى دينه وجعلها
اي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه
اي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعلهم يرجعون اي لعل من اشرك
منهم يدعا من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه
من الشرك الى دين ابراهيم عليه السلام بل متعت هولاء يعني كفار مكة واباءهم في الدنيا بالعمر
والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق يعني القران وقيل الاسلام ورسول
هو محمد صلى الله عليه وسلم مبين اي يبين لهم الاحكام وقيل يبين الرسالة واوضحها بما معه من
الايات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا
وسموه ساحرا وهو قوله سبحانه وتعالى ولما جاءهم الحق يعني القران قالوا هذا سحر وانا به
كافرون قوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم معناه انهم قالوا

منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف كثير المال والجاه من احدى
القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل فقيل الوليد بن المغيرة بمكة
وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف
حبيب بن عمرو الثقفي قال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم اهم يقسمون رحمت ربك معناه
ابايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب
من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا اي نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا
غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من
الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج من قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض على حكمنا
في احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض
عبادنا بمنصب النبوة والرسالة كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا
بالرسالة من شئنا ثم قال تبارك وتعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا يعني انا لو سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر احدهم مسخرا
لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا
فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل ليكون بعضهم مسخر البعض بسبب المعاش
فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك ورحمت
ربك يعني الجنة خير للمؤمنين مما يجمعون اي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال
والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الاباد قوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق
لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله سبحانه وتعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج اي مصاعد من فضة ودرجات عليها يظهرون يعني يصعدون
ويرتقون عليها ولبيوتهم ابوابا اي من فضة وسررا اي وجعلنا لهم سررا من فضة عليها يتكئون وزخرفا
يعني ونجعل لهم مع ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء وان كل ذلك لما
متاع الحياة الدنيا يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة
الزوال والذهاب والاخرة عند ربك للمتقين يعني الجنة خاصة للمتقين عن سهل بن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد احد بني
فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله

قال

قال فان الدنيا اهون على الله من هذه على اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر قوله سبحانه وتعالى ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن اي فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه
وقيل يولي ظهره عن القرآن نقيض له شيطانا اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه
عليه فهو له قرين يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى وانهم يعني الشياطين
ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم عن الهدى ويحسبون انهم مهتدون يعني ويحسب كفار
بني آدم انهم على الهدى حتى اذا جاءنا يعني الكافر وحده وقرئ جاءانا على التثنية يعني الكافر
وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة قال الكافر لقرينه الشيطان يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين يعني بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الآخر كما قيل للشمس
والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول
الاول اصح فبئس القرين يعني الشيطان قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه
من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير بهما الى النار ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم يعني اشركتم
انكم في العذاب مشتركون يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لان لكل
واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقيل لا ينفعكم الاعتذار والندم
اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر افانت تسمع الصم
او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يؤمنون
قوله عز وجل فاما نذهبن بك اي بان نميتك قبل ان نعذبهم فانا منهم منتقمون اي بالقتل بعدك
او نرينك اي في حياتك الذي وعدناهم اي من العذاب فانا عليهم مقتدرون اي قادرون على ذلك
متى شئنا عذبناهم واراد بذلك مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر
المفسرين وقيل عني به ما يكون في امته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب
ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب
امته بعده فما رئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك يعني
القرآن انك على صراط مستقيم اي على دين مستقيم لا يميل عنه الا ضال وانه يعني القرآن لذكر لك
اي لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يعني عن حقه واداء شكره وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك فلم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل
قال لقريش خ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم
اثنان م عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم
احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل

بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم
وقيل ذكر لك اي في ذلك شرف لك بما اعطاك من النبوة والحكمة ولقومك يعني المومنين بما هداهم
الله به وسوف تسألون يعني عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله سبحانه وتعالى
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اختلف في هولا
المسولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله له ادم
وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة
قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا اسال قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة
اسري به وامر ان يسالهم فلم يشك ولم يسال فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الاية نزلت
ببيت المقدس ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين سل مومني اهل الكتاب
الذين ارسلنا اليهم الانبيا هل جاتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في اكثر الروايات
عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن والمقاتلين ومعنى الامر بالسوال التقرير
لمشركي قريش انه لم يات رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله عز وجل ولقد
ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون اي استهزاء وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي من قرينتها التي
قبلها واخذناهم بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس
فكانت هذه ايات ودلالات لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها لعلهم
يرجعون اي عن كفرهم وقالوا يعني لموسى لما عاينوا العذاب يا ايها الساحر اي العالم
الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا له لان السحر كان عندهم علما عظيما
وصفة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك
اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا اذا امنا كشف عنا العذاب فاساله ان يكشف عنا اننا لمهتدون
اي لمومنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يومنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ونادى فرعون في قومه
قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي يعني انهار النيل الكبار وكانت تجري
من تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي في جناني وبساتيني وقيل تجري بامره افلا
تبصرون اي عظمتي وشدة ملكي ام انا اي بل انا خير وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين
وقيل فيه اضمار مجازه افلا تبصرون ام لا تبصرون ثم ابتدا فقال انا خير من هذا الذي هو مهين
اي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين يفصح كلامه للثغة التي كانت في لسانه وانما عابه
بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته على صدقه فيما يدعي ولم يرد فيه انه لا قدرة

له على الكلام فلولا القي عليه اي ان كان صادقا اساورة من ذهب قيل انهم كانوا اذا سوروا
رجلا اسورة سوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال
فرعون هلا القى رب موسى عليه اسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته او جاء معه
الملايكة مقترنين اي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره
قال الله سبحانه وتعالى فاستخف يعني فرعون قومه يعني القبط يعني وجدهم جهالا وقيل حملهم
على الخفة والجهل فاطاعوه اي على تكذيب موسى انهم كانوا قوما فاسقين يعني حيث اطاعوا
فرعون فيما استخفهم به فلما اسفونا اي اغضبونا وهي في حق الله سبحانه وتعالى ارادة العقاب
وهو قوله سبحانه وتعالى انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين
يعني جعلناهم المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجي من بعدهم قوله سبحانه وتعالى ولما
ضرب ابن مريم مثلا قال ابن عباس نزلت هذه الاية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى
الله عليه وسلم في شان عيسى بن مريم عليه السلام وذلك لما نزل قوله سبحانه وتعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الانبيا ومعنى الاية
ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعبادة النصارى اذا قومك يعني قريشا منه اي من المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج وصياح
وفرح وقيل يقولون ما يريد محمد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى
وقالوا االهتنا خير ام هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك الهتنا
وقيل معنى ام هو يعني عيسى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى
ان تكون الهتنا مع عيسى وعزير والملايكة في النار قال الله سبحانه وتعالى ما ضربوه يعني هذا المثل
لك الا جدلا اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم هو الاصنام بل هم قوم خصمون اي بالباطل عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الاية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى ان هو اي ما عيسى الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة
وجعلناه مثلا اي اية وعبرة لبني اسرايل يعرفون به قدرة الله تعالى على ما يشا حيث
خلقه من غير اب ولو نشا لجعلنا منكم الخطاب لاهل مكة ملايكة معناه لو نشا لاهلكناكم
وجعلنا بدلا منكم ملايكة في الارض يخلفون اي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدونني
ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا وانه يعني عيسى لعلم للساعة يعني نزوله من
اشراط الساعة يعلم به قربها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية

ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذيب فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل في معنى الاية وانه اي وان القران لعلم للساعة اي يعلم قيامها ويخبركم باحوالها واهوالها فلا تمترن بها اي لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا واتبعوني اي على التوحيد هذا اي الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي امر به انه يعني الشيطان لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة اي بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه اي من احكام التوراة وقيل اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى وقيل الذي جاء به عيسى الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم عيسى في غير الانجيل ما احتاجوا اليه فاتقوا الله واطيعون اي فيما امركم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم اي اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون اي ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي فجاة والمعنى انها اتيتهم لا محالة وهم لا يشعرون الاخلاء اي على الكفر والمعصية في الدنيا يومئذ يعني يوم القيمة بعضهم لبعض عدو اي الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيمة الا المتقين اي الا الموحدين المتحابين في الله تعالى المجتمعين على طاعته روي عن علي بن ابي طالب في الاية قال خليلان مومنان وخليلان كافران فمات احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع بينهما فيقول ليثني كل واحد منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فيقول بيس الاخ وبيس الخليل وبيس الصاحب قوله عز وجل يا عبادي لا خوف عليكم اليوم قيل ان الناس حين يبعثون ليس

احد

احد منهم الا فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اي تسرون وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهي القصعة الواسعة واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني احب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شيت الا فعلت وسأله اخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل فاني احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذي وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ورد في الحديث انه لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها ثمرة الا نبتت مكانها مثلاها قوله سبحانه وتعالى ان المجرمين يعني المشركين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون اي ايسون من رحمة الله تعالى وما ظلمناهم اي وما عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين فاجبر عليها ونادوا يا مالك يعني يدعون مالكا خازن النار ويستغيثون به فيقولون ليقض علينا ربك اي ليميتنا ربنا فنستريح والمعنى انهم توسلوا به ليسال الله لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم قال انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب لقد جئناكم بالحق يقول ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي محكمون امرا في مجازاتهم انه كادوا اسوا كذبهم بمثله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يسرونه عن غيرهم ويتناجون به بينهم بلى نسمع ذلك كله ونعلمه ورسلنا يعني الحفظة من الملائكة لديهم يكتبون قوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد وقال ابن عباس ان كان اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين يعني الانفين يعني اول الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الاية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تستدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات العزم في باب التوحيد وذلك انه علق

العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن
الولد فقال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي عما يقولون من
الكذب فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني
يوم القيمة وهو الذي في السما اله وفي الارض اله اي هو الاله الذي يعبد في السما وفي الارض
لا اله الا هو وهو الحكيم اي في تدبير خلقه العليم اي بمصالحهم وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة قيل سبب نزولها ان النضر بن الحارث ونفر معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا
فنحن نتولى الملايكة وهم احق بالشفاعة من محمد فنزلت هذه الاية واراد بالذين يدعون من
دونه الهتهم ثم استثنى عيسى والعزير والملايكة بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من
دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملايكة فان الله
سبحانه وتعالى لا يملك لاحد من هولا الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهي كلمة الاخلاص وهي
لا اله الا الله ممن شهد بها بقلبه شفعوا له وهو قوله تعالى وهم يعلمون اي بقلوبهم
ما شهدوا بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خالق عيسى والعزير والملايكة ويعلمون انهم عباده
ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله يعني انهم اذا اقروا بان الله خالق العالم باسره فكيف
اقدموا على عبادة غيره فانى يوفكون اي يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله يا رب يعني قول محمد صلى
الله عليه وسلم شاكيا الى ربه ان هولا قوم لا يومنون قال ابن عباس شكا الى الله تخلف قومه عن
الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وفي ضمنه
منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم
فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وقيل التهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل
نسختها اية السيف والله اعلم

تفسير سورة الدخان وهي مكية وهي سبع وقيل تسع
وخمسون اية وثلاث مائة وست واربعون كلمة والف واربعماية واحدى وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج الناس اليه
من حلال وحرام وغير ذلك انا انزلناه في ليلة مباركة قيل هي ليلة القدر انزل الله فيها القران
جملة من اللوح المحفوظ الى السما الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقايع في عشرين
سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله سبحانه وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى السما الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر
غنم بني كلب اخرجه الترمذي انا كنا منذرين اي مخوفين عقابنا فيها اي في تلك الليلة المباركة
يفرق اي يفصل كل امر حكيم اي محكم قال يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كاين في السنة من
الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف

من شعبان يبرم فيها امر السنة وتنسخ الاموات من الاحيا وروى البغوي بسنده ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد
له ولقد كتب اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من
شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر امرا اي انزلناه امرا من عندنا انا كنا مرسلين
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبيا رحمة من ربك قال ابن عباس رافة مني بخلقي
ونعمة عليهم بما بعث اليهم من الرسل وقيل انزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك انه هو
السميع اي لاقوالهم العليم اي باحوالهم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
اي ان الله رب السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابايكم الاولين
قوله سبحانه وتعالى بل هم في شك اي من هذا القران يلعبون اي يهزون به لاهون عنه فارتقب
اي يا محمد يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ق عن مسروق قال كنا
جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن
ان قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجي فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ
المومنين بها كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا ايها الناس اتقوا الله من
علم منكم شيا فليقل به ومن لا يعلم شيا فليقل الله اعلم فان من العلم ان تقول لما لا تعلم
الله يعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسلكم عليه من اجر وما انا
من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى من الناس ادبارا قال اللهم سبع سنين
كسبع يوسف وفي رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعني عليهم
بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شي حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع
وينظر الى السما احدهم فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان فقال يا محمد انك جيت
تامر بطاعة الله عز وجل وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل
فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله انكم عايدون قال عبد الله افيكشف عذاب
الاخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري
قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فقيل انا ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف
عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين
الى قوله انا منتقمون وقوله حصت كل شي بالحا والصاد المهملتين اي حلقت واهلكت فاستاصلت
كل شي ق عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان
قيل اصابهم من الجوع كالظلمة في ابصارهم وسبب ذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس
الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهوى وذلك يشبه الدخان
وقيل هو دخان يجي قبل قيام الساعة ولم تات بعد فتدخل في اسماع الكفار والمنافقين

شي يكون راسه كالراس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها نارا وقد فيه النار وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روي البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الي المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية يوم تاتي السما بدخان مبين يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فمنزلة السكران تخرج من منخريه واذنيه ودبره ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون اني لهم الذكرى اي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين معناه وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر علي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والبينات الباهرات ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه وقالوا معلم اي يعلمه بشر مجنون اي يلقون اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي انا كاشفوا العذاب اي الجوع قليلا اي زمنا قليلا قيل الي يوم بدر انكم عايدون اي الي كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى هو يوم بدر انا منتقمون اي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلما وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيمة قوله سبحانه وتعالى ولقد فتنا قبلهم اي قبل هولاء قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اي علي الله وهو موسى بن عمران عليه السلام ان ادوا الي عباد الله اي اطلقوا الي بني اسرايل ولا تعذبوهم اني لكم رسول امين اي على الوحي وان لا تعلوا على الله اي لا تجبروا عليه بترك طاعته اني اتيكم بسلطان مبين اي ببرهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلوني وقال ابن عباس تشتموني وتقولون هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي فاتركوني لا معي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم يومنوا فدعا ربه ان هولا قوم مجرمون اي مشركون فاسر بعبادي ليلا اي اجاب الله دعاه وامره ان يسري ببني اسرايل بالليل انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر اي اذا قطعتموه انت واصحابك رهوا اي ساكنا والمعنى لا تامره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتيم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو انهم جند مغرقون يعني اخبر موسى بغرقهم ليطمين قلبه في تركه البحر كما هو كم تركوا اي بعد الغرق من جنات وعيون وزروع ومقام كريم اي مجلس شريف حسن ونعمة اي عيش لين رغيد كانوا فيها فاكهين اي في تلك النعمة فاكهين اي ناعمين وقرى فكهين اي اشرين بطرين كذلك اي افعل بمن عصاني واورثناها قوما اخرين يعني بني اسرايل فما بكت عليهم السما والارض وذلك ان المومن اذا مات تبكي عليه السما والارض اربعين صباحا وهولا لا يصعد لهم عمل صالح تبكي السما على فقده

ولا لهم علي الارض عمل صالح تبكي الارض عليه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مومن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله سبحانه وتعالى فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا منظرين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكا السما حمرة اطرافها قال مجاهد ما مات مومن الا بكت عليه السما والارض اربعين صباحا فقيل وتبكي قال وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسما لا تبكي على عبد كان بتسبيحه وتكبيره كدوي النحل وقيل المراد اهل السما واهل الارض وما كانوا منظرين اي لم يمهلوا حين اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين اي من قتل الابنا واستحيا النسا والتعب في العمل من فرعون انه كان عاليا اي جبارا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم اي علم الله تعالى فيهم على العالمين اي عالمي زمانهم واتيناهم من الايات ما فيه بلا مبين اي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي انعمنا بها عليهم وقيل ابتلاهم بالرخا والشدة ان هولا يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي لا موتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله تعالى وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد موتتنا هذه فاتوا بابائنا الذين ماتوا قبلنا ان كنتم صادقين اي انا نبعث احيا بعد الموت قيل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم عذاب الامم الماضية فقال سبحانه وتعالى اهم خير ام قوم تبع اي ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من اليمن يسمى تبعا لانه يتبع اصحابه الذين قبله كما يسمى في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم اخرجه احمد بن حنبل في مسنده وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبعا نبيا كان او غير نبي وعن عايشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس قال كان تبع الاخر وهو ابو كرب سعد بن سلسل وكان سار بالجيوش نحو المشرق من حمير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين اظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستيصال اهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هولا لكرام فبينما هو كذلك اذ جاه حبران عالمان من احبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم احدهما كعب والاخر اسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نامن عليك عاجل العقوبة فان هذه

المدينة يهاجر اليها نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزله
الذي انت فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن يقاتله
وهو نبي قال يسير اليه قومه فيقتتلون ها هنا فصغي لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما
دعواه الي دينهما فاجابهما واتبعهما علي دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر
من اليهود عامدين الي اليمن فاتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك علي بيت فيه كنز
من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اي بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه لانهم
عرفوا انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله بيتا
في الارض غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك
وما اراد القوم الا هلاكك وما ناواه احد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنعه
اهله فلما قالوا له ذلك اخذ اولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم
ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب شعب المطابخ وكسي البيت القصايل وهي برود تصنع
باليمن وهو اول من كسي البيت ونحر بالشعب ستة الاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف
به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها
علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الي دينه وقال انه دين خير من دينكم فتحاكما الي النار وكان
باليمن نار في اسفل الجبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتاكل الظالم ولا تضر المظلوم قال
تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران مصاحفهما
في اعناقهما حتي قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتي غشيتهم
فاكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران مصاحفهما يتلوان
التوراة تعرق جباههما ولم تضرهما النار ونكصت النار حتي خرجت الي مخرجها الذي خرجت
منه فاصفقت عند ذلك حمير علي دينهما فمن هناك كان اصل اليهودية باليمن قال الرياشي كان ابو
كرب اسعد الحميري من التبابعة ممن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعماية سنة
وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قوله سبحانه وتعالي **والذين من قبلهم** اي من الامم الكافرة
اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق اي بالعدل وهو الثواب علي الطاعة والعقاب علي المعصية **ولكن اكثرهم لا يعلمون**
قوله عز وجل **ان يوم الفصل** اي الذي يفصل الله فيه بين العباد **ميقاتهم اجمعين**
اي يوافي يوم القيامة الاولون والاخرون **يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا** اي لا ينفع قريب
قريبه ولا يدفع عنه شيئا **ولا هم ينصرون** اي يمنعون من عذاب الله **الا من رحم الله**
يعني المومنين فانه يشفع بعضهم لبعض **انه هو العزيز** اي في انتقامه **الرحيم** اي باوليائه
المومنين قوله سبحانه وتعالي **ان شجرة الزقوم طعام الاثيم** اي ذي الاثم وهو ابو جهل **كالمهل**

اي

اي كدردي الزيت اسود **يغلي في البطون** اي في بطون الكفار **كغلي الحميم** يعني كالماء الحار اذا اشتد
غليانه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا
قرب الي وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث
رشد بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان
قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت علي اهلها معايشهم فكيف بمن يكون طعامه
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله سبحانه وتعالي **خذوه** اي يقال للزبانية خذوه
يعني الاثيم **فاعتلوه** اي ادفعوه وسوقوه بالعنف **الي سواء الجحيم** اي الي وسط النار **ثم صبوا**
فوق راسه من عذاب الحميم قيل ان خازن النار يضرب علي راسه فينقب راسه عن دماغه
ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهي حره ثم يقال له **ذق** اي هذا العذاب **انك انت العزيز الكريم**
اي عند قومك بزعمك وذلك ان ابا جهل كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقولون له خزنة
النار هذا علي طريق الاستخفاف والتوبيخ **ان هذا ما كنتم به تمترون** اي تشكون فيه ولا تومنون
به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالي **ان المتقين في مقام امين** اي في مجلس امنوا فيه من العذاب
في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق
ما غلظ منه وهو تعريب استبره فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ اعجمي
قلت اذا اعرب خرج من ان يكون اعجميا لان معني التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره
عن منهاجه واجرايه علي وجه الاعراب **متقابلين** اي يقابل بعضهم بعضا **كذلك** اي كما اكرمناهم
بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك اكرمناهم بان **زوجناهم بحور عين** اي قرناهم
بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اي جعلناهم اثنين اثنين والحور العين
النقيات البياض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض
العينين **يدعون فيها بكل فاكهة** يعني ارادوها واشتهوها **امنين** اي من نفادها ومن مضرتها
وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب والشياطين **لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولي**
وقيل لا يذوقون في الجنة الموت سوي الموتة الاولي التي قد ذاقوها وقيل انما استثني الموتة
من موت في الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الي اسباب الجنة يلقون الروح
والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كانهم في الجنة لاتصالهم باسبابها
ومشاهدتهم اياها **ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك** يعني كلما وصل اليه المتقون من
الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالي وفعل ذلك بهم
تفضلا منه **ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك** اي سهلنا القران علي لسانك كناية عن
غير تذكر **لعلهم يتذكرون** اي يتعظون **فارتقب** اي فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب

انهم مرتقبون اي انهم منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الاية منسوخة
باية السيف عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة
اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمرو بن ابي خثعم
احد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذي وقال هشام ابي المقدام
احد رواته ضعيف والله اعلم تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة وهي مكية
وهي سبع وثلاثون اية واربع مائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحدى وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
ان في السموات والارض لايات اي ان في خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة
القادر المختار وهو قوله تعالى لايات للمومنين وفي خلقكم اي وفي خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة
الى ان يصير الانسان ذا عقل وتمييز وما يبث من دابة اي وما يفرق في الارض من جميع
الحيوانات على اختلاف اجناسها في الخلق والشكل والصورة ايات دلالات تدل على وحدانية
من خلقها وانه لا اله القادر المختار لقوم يوقنون يعني انه لا اله غيره واختلاف الليل والنهار
يعني بالظلام والضيا والطول والقصر وما انزل الله من السما من رزق يعني المطر الذي هو
سبب رزق العباد فاحيا به اي بالمطر الارض بعد موتها اي بعد يبسها وتصريف الرياح
اي في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك
ايات لقوم يعقلون فان قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لايات للمومنين ولقوم
يوقنون ولقوم يعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا في هذه الدلايل
النظر الصحيح اقروا انه الاله القادر على كل شي ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا ايمانا وزال
عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلا الذين عقلوا عن الله مراده
في اسرار كتابه تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله اي بعد كتاب الله
واياته يومنون ويل لكل افاك اثيم اي كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحارث يسمع ايات
الله يعني القران تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من
اياتنا شيا يعني ايات القران اتخذها هزوا اي سخر منها اوليك اشارة الى من هذه صفته
لهم عذاب مهين ثم وصفه فقال تبارك وتعالى من ورايهم جهنم وذلك انهم في الدنيا ولهم
في الاخرة النار ولا يغني عنهم ما كسبوا اي من الاموال شيا ولا ما اتخذوا من دون الله اوليا
اي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الالهة ولهم عذاب عظيم هذا يعني القران هدى
اي هو هدى من الضلالة والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم
البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله اي بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم

تشكرون نعمه وسخر لكم ما في السموات وما في الارض يعني انه سبحانه وتعالى خلقها ومنافعها وهي
مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها جميعا منه قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك
تفضل منه واحسان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقايع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب
وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله هذه الاية وامره ان يعفو عنه
وقيل نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى شديد من المشركين
قبل ان يومروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الاية
ثم نسخها باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى من عمل
صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها ثم الى ربكم ترجعون قوله سبحانه وتعالى ولقد اتينا بني اسرايل
الكتاب يعني التوراة والحكم يعني معرفة احكام الله سبحانه وتعالى والنبوة ورزقناهم من الطيبات
اي الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا واورثهم اموال القوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن
والسلوى وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين في زمانهم اكرم
على الله ولا احب اليه منهم واتيناهم بينات من الامر اي بينات الحلال والحرام وقيل العلم بمبعث
محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره فما اختلفوا الا من بعد ما جاهم العلم بغيا بينهم
معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهاهنا صار مجي العلم
سببا لحصول الاختلاف وذلك لانه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم
منه طلب الرياسة والتقدم فلما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك يا محمد على شريعة اي على
طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الامر اي من الدين فاتبعها اي اتبع شريعتنا الثابتة ولا تتبع
اهوا الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين ابايك فانهم كانوا
افضل منك فقال تبارك وتعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيا اي لن يدفعوا عنك من عذاب الله
شيا ان اتبعت هواهم وان الظالمين بعضهم اوليا بعض يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا
في الدنيا ولا ولي لهم في الاخرة والله ولي المتقين اي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الاخرة هذا
يعني القران بصاير للناس اي معالم للناس في الحدود والاحكام يبصرون به وهدى ورحمة
لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمومنين لين كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الاخرة كما فضلنا
في الدنيا سوا محياهم ومماتهم معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المومنين وموتهم
سوا كلا والمعنى ان المومن مومن في محياه ومماته في الدنيا والاخرة والكافر كافر في محياه ومماته
في الدنيا والاخرة وشتان ما بين الحالتين في الحال والمال سا ما يحكمون اي بيس ما يقضون قال

مسروق
قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري لقد رايته قام ذات ليلة حتى
اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا
السيات الاية وخلق الله السموات والارض بالحق اي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم
لا يظلمون ومعنى الاية المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك
لا يتم الا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات
قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا
الا ركبه لانه لا يومن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده
ما تهواه نفسه وذلك لان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا
شيا احسن من الاول رموا بالاول وعبدوا الاخر قيل انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في
النار واضله الله على علم اي على علم منه بعاقبة امره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل ان
يخلقه وختم على سمعه وقلبه اي فلم يسمع الهدى ولم يعقله وجعل على بصره غشاوة
اي ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله الله افلا تذكرون قال الواحدي
ليس يبقى للقدرية مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله سبحانه وتعالى صرح بمنعه اياهم
عن الهدى حين اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره وقالوا يعني منكري البعث ما هي الا
حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا اي يموت الاباء ويحيا الابناء وقيل
تقديره نحيا ونموت وما يهلكنا الا الدهر اي وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار
وما لهم بذلك من علم اي لم يقولوه عن علم علموه ان هم الا يظنون ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي
الامر اقلب الليل والنهار وفي رواية يوذيني ابن ادم ويقول يا خيبة الدهر فاني انا الدهر
اقلب ليله ونهاره فاذا شيت قبضتهما وفي رواية يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي
الليل والنهار ومعنى هذا الحديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل
لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع
الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدايد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى
اذ هو الفاعل في الحقيقة الامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر
وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر يصرف يقع فيه المباهوات كما تقع بكم
قوله سبحانه وتعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابائنا
ان كنتم صادقين معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاتوا بابائنا الذين ماتوا
ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر

المبطلون

المبطلون يعني في ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار
وترى كل امة جاثية اي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضا
قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى
ابراهيم ينادي ربه لا اسالك الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها اي الذي فيه اعمالها ويقال لهم
اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي من خير وشر هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة فان قلت اضاف
الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله تعالى هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما
فاضافته اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو امر الحفظة بكتبه ينطق عليكم
بالحق اي يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر الملايكة بنسخ اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ
اي ناخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله ما كان له ثواب او عليه عقاب
ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملايكة
كل عام ما يكون من اعمال بني ادم والاستنساخ لا يكون الا من اصل ينسخ كتاب من كتاب فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي جنته ذلك هو الفوز المبين اي الظفر
الظاهر واما الذين كفروا يقال لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم يعني ايات القران فاستكبرتم
اي عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين يعني كافرين متكبرين قوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق
اي البعث كاين والساعة لا ريب فيها اي لا شك في انها كاينة قلتم ما ندري ما الساعة اي
انكرتموها وقلتم ان نظن الا ظنا اي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما وما نحن بمستيقنين اي
انها كاينة وبدا لهم اي في الاخرة سيات ما عملوا اي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزا سيئاتهم
وحاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقا يومكم هذا
اي تركتم الايمان والعمل للقا هذا اليوم وماواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لكم من مانع
يمنعكم من العذاب ذلكم اي هذا جزاوكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
يعني حتى قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي
لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب
كل شي من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثنا على كل
احد وله الكبريا اي وكبرياوه فان له الكبريا والعظمة في السموات والارض وحق لمثله ان يكبر
ويعظم وهو العزيز الحكيم م عن ابي سعيد وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العز ازاره والكبريا رداوه فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم واخرج البرقاني وابو مسعود عنهما
يقول الله عز وجل العز ازاري والكبريا ردائي فمن نازعني شيا منهما قذفته ولابي داود عن ابي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
من نازعني في واحد منهما قذفته في النار شرح الحديث قيل هذا الكلام خرج على عادة العرب
في بديع اشعارهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثوب يقولون شعار فلان الزهد
ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له في انفراده بصفة الكبرياء
والعظمة والمعنى انهما ليستا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا
كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل
الرداء الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه احد فكذلك الله سبحانه وتعالى لا ينبغي
ان يشاركه احد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق بغيره والله اعلم
تفسير سورة الاحقاف وهي مكية قيل غير قوله سبحانه وتعالى قل ارايتم قيل وقوله
تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي اربعة وقيل خمس
وثلاثون اية وست مائة واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالعدل واجل مسمى يعني يوم القيمة وهو الاجل
الذي ينتهي اليه فنا السموات والارض والذين كفروا عما انذروا اي الذي خوفوا به في القران
من البعث والحساب معرضون اي لا يومنون به قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام
اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا اي بكتاب
جاكم من الله قبل القران فيه بيان ما تقولون او اثارة من علم اي بقية من علم يوثر عن الاولين
ويسند اليهم ويوثر عنهم وقيل برواية عن علم الانبيا وقيل علامة من علم وقيل هو الخط
وهو خط كانت العرب تخطه في الارض وهو العيافة ان كنتم صادقين اي ان لله شريكا ومن
اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له يعني الاصنام لا تستجيب عابديها الى شي
يسالونه الى يوم القيامة يعني لا تجيب ابدا ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون
يعني لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين
اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين
سموا القران سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق القران محمد من قبل نفسه فقال الله عز وجل
قل يا محمد ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني
على افترائي فكيف افتري على الله من اجلكم هو اعلم اي الله اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون
فيه من التكذيب بالقران والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم اي ان القران
جاء من عنده وهو الغفور الرحيم اي في تاخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة
ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا اي بديعا من الرسل

اي

اي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبيا فكيف تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
اختلف العلما في معنى هذه الاية فقيل معناه ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيمة فلما نزلت
هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له
علينا من مزية ولا فضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي بعثه بما
يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة
هنالك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل
المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل الله سبحانه وتعالى وبشر
المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله سبحانه وتعالى ما يفعل به وبهم هذا قول
انس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه عام الحديبية
فنسخ ذلك خ عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلا امراة وكانت بايعت النبي صلى الله عليه
وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في ابياتنا
فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في اثوابه دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك يا ابا السايب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي انت يا رسول الله فمن يكرمه الله تعالى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين واني لارجو له الخير والله ما ادري
وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا ازكي بعده احدا يا رسول الله قالت ورايت لعثمان
في النوم عينا تجري فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي
رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقرعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان
ابن مظعون والله ما ادري وانا رسول ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا اما في الاخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار فعلى
هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارضا ذات ساج ونخل رفعت له يهاجر
لها فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التي اريت فسكت فانزل الله عز وجل هذه الاية
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك في مكاني ام اخرج وايكم الى الارض التي رفعت
لي وقيل لا ادري الى ماذا يصير امري وامركم في الدنيا اما انا فلا ادري اخرج كما
خرجت الانبيا من قبلي ام اقتل كما قتل بعض الانبيا من قبلي واما انتم ايها المصدقون
فلا ادري اتخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من
السما ام يخسف بكم ام اي شي يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم اخبر الله عز وجل
انه يظهر دينه على ساير الاديان كلها فقال سبحانه وتعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال سبحانه وتعالى في اية اخرى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته
وقيل معناه لا ادري ما يصير اليه امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر
دينه على الاديان وامته على سائر الامم وقوله سبحانه وتعالى ان اتبع الا ما يوحى الي معناه
ما اتبع غير القران الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيئا وما انا الا نذير مبين اي انذركم
العذاب وابين لكم الشرايع قل ارايتم اي اخبروني ماذا تقولون ان كان من عند الله يعني القران
وكفرتم به ايها المشركون وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي انه من عند الله فامن
يعني الشاهد واستكبرتم اي عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك اليس قد ظلمتم
وتعديتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله
ابن سلام امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود ولم يومنوا يدل
عليه ما روي عن انس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
وهو في ارض يخترف فاتاه وقال اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما
اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شي ينزع الولد الى ابيه ومن اي شي ينزع الى اخواله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن انفا جبريل فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملايكة
فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة
فزيادة كبد حوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماوه كان الشبه له
واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم
بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا
وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم عبد الله فقالوا اعاذه الله
من ذلك وفي رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه وفي رواية
فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه
وعن سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على الارض انه
من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال الراوي
لا ادري قال مالك الاية او في الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق
في هذه الاية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان الحميم نزلت بمكة وانما اسلم عبد بن سلام
بالمدينة ونزلت الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القران التوراة

فشهد

فشهد موسى على التوراة ومحمد على القران وكل مصدق الاخر فيكون المعنى وشهد موسى على
التوراة التي هي مثل القران انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القران انه كلام الله
فامن من امن بموسى والتوراة واستكبرتم انتم يا معشر العرب ان تومنوا بمحمد والقران ان الله
لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قايم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير
قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين قوله
سبحانه وتعالى وقال الذين كفروا يعني من اليهود للذين امنوا لو كان خيرا يعني دين محمد صلى
الله عليه وسلم ما سبقونا اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة قالوا
لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين
امنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليهم قال الله سبحانه وتعالى واذ لم
يهتدوا به اي بالقران كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم اي كذب متقدم
ومن قبله اي من قبل القران كتاب موسى يعني التوراة اماما اي جعلناه اماما يقتدى به ورحمة
اي من الله لمن امن به وهذا كتاب يعني القران مصدق اي للكتب التي قبله لسانا عربيا لينذر الذين
ظلموا يعني مشركي مكة وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله عز وجل
ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة حملته امه كرها
حين ثقلت وثقل عليها الولد ووضعته كرها يريد شدة الطلق وحمله وفصاله ثلاثون شهرا
اي ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر
واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت
احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا حتى اذا بلغ اشده
اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله
تعالى وبلغ اربعين سنة قيل نزلت هذه الاية في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها
على العموم والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وذلك انه صحب النبي صلى
الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى
الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك
يساله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو نبي اخر الزمان فوقع
في قلب ابي بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله سبحانه وتعالى بنبوته واختصه برسالته امن به
ابو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل قال رب اوزعني

اي الهمني اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي بالايمان والهداية وقال علي بن ابي ان
طالب رضي الله تعالى عنه في قوله سبحانه وتعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي
بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله بهما وكره ذلك من بعده
وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجابه الله سبحانه وتعالى واعتق تسعة من المومنين يعذبون
في الله منهم بلال ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في
ذريتي فاجابه الله سبحانه وتعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع لابي بكر اسلام
ابويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابن ابي بكر عبد الرحمن
وابن عبد الرحمن ابو عتيق محمد فهولا اربعة ابو بكر وابواه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه
محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر
وقوله اني تبت اليك اي رجعت اليك والى كل ما تحب واني من المسلمين اي واسلمت بقلبي
ولساني اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في
الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فنثيبهم عليها ونتجاوز عن سياتهم اي فلا
نواخذهم بها في اصحاب الجنة اي مع اصحاب الجنة وعد الصدق اي الذي وعدهم بان نتقبل
حسناتهم ونتجاوز عن سياتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة الذي
كانوا يوعدون اي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه وتعالى والذي
قال لوالديه يعني اذا دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت اف لكما وهي كلمة
كراهية اتعدانني ان اخرج اي من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي اي فلم يبعث منهم
وهما يستغيثان الله اي يستصرخان بالله عليه ويقولان له ويلك امن ان وعد الله حق
اي بالبعث فيقول ما هذا اي الذي تدعواني اليه الا اساطير الاولين قال ابن عباس نزلت
في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيوا
لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما تقولون وانكرت عايشة
ان يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر خ عن يوسف بن مالك قال كان مروان على الحجاز
استعمله معاوية فخطب يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع فقال له عبد الرحمن شيا فقال
خذوه فدخل بيت عايشة فلم يقدر عليه فقال مروان ان هذا الذي انزل الله فيه والذي
قال لوالديه اف لكما فقالت عايشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيا من القران الا ما انزل
الله في سورة النور من براتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية شخص معين بل المراد كل
شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث
فابى وانكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن
بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله سبحانه وتعالى اولئك الذين حق عليهم القول اعلم الله ان هولاء

قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مومن من افاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت
عليهم كلمة العذاب اولئك الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب في امم اي مع امم
قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد
من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين
المومنين والكافرين من البار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة
باعمالهم فيجازيهم عليها وقيل درج الجنة تذهب الى العلو ودرج النار تذهب الى اسفل
وليوفيهم اعمالهم اي جزا اعمالهم وهم لا يظلمون قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على
النار اي يجازيهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها يعني وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد استيفا حظكم منها شي فاليوم تجزون عذاب الهون
اي الذي فيه ذل وخزي بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون
علل هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثاني
الفسق وهو المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح فصل لما وبخ الله
سبحانه وتعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعون
بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجا ثواب الاخرة ق عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكي على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت استانس يا رسول
الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيا الا اهبة ثلاثة
فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى
جالسا ثم قال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحيوة الدنيا
فقلت استغفر لي يا رسول الله ق عن عايشة قالت ما شبع ال محمد من خبز شعير يومين
متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عنها قالت كان ياتي علينا الشهر ما نوقد
فيه نارا انما هو الاسودان التمر والما الا ان يوتى باللحم وفي رواية اخرى قالت انا كنا ننظر الى الهلال
ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار
قال عروة يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والما الا انه قد كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فيرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها
فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله
لا يجدون عشا وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه الترمذي وله عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد اخفت في الله وما يخاف احد واوذيت وما يوذى احد ولقد اتت علي ثلاثون
من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام الا شي يواريه ابط بلال خ عن ابي هريرة قال لقد رايت
سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه ردا اما ازار واما كسا قد ربطوا في اعناقهم

فمنها ما يبلغ نصف الساقين وفيها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته

خ عن ابراهيم بن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف اتي بطعام وكان صايما فقال

قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه

بدت راسه قال واراه وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط

لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي

حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله راى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال لي ما هذا

يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر او كلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف

هذه الاية قوله تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله سبحانه وتعالى واذكر اخا عاد

يعني هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان

ومهره وقيل كانت منازل عاد باليمن بحضرموت بموضع يقال له مهره وكانوا اهل عمد سيارة

في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى قبيلتهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احيا

باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو

المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار

من الرمل وقد خلت النذر اي الرسل من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي بعده الا تعبدوا

الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم ان

الرسل الذين قد بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره قالوا اجئتنا

لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا اي عن عبادتها فاتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من

الصادقين يعني ان العذاب نازل بنا قال يعني هودا انما العلم عند الله يعني هو يعلم متى

ياتيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت به يعني من الوحي الذي انزل الله علي وامرني بتبليغه اليكم

ولكني اراكم قوما تجهلون يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم فلما راوه يعني راوا ما يوعدون به

من العذاب ثم بينه فقال سبحانه وتعالى عارضا يعني راوا سحابا عارضا وهو السحاب

الذي يعرض في ناحية السما ثم يطبق السما مستقبل اوديتهم وذلك انه خرجت عليهم

سحابة سودا يقال لها المغيثة وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا تلك السحابة استبشروا

بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا قال هود عليهم بل هو ما استعجلتم به يعني من العذاب

ثم بين ما هيئة العذاب فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال تعالى تدمر

كل شي بامر ربها يعني تهلك كل شي مرت به من رجال عاد واموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل

الفسطاط وتحمل الضيعة حتى ترى كانها جرادة فلما راوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا

ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا

تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملت

بهم

الكراهة صح

بهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه ومن معه

من المومنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة

عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله سبحانه وتعالى امر

خازن الريح ان يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال

القدرة وعن عايشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا بحيث

ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا راى غيما عرف في وجهه قالت عايشة

يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجا ان يكون المطر واراك اذا رايته غيما عرف في

وجهك الكراهة فقال يا عايشة وما يومني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح

وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه

وسلم اذا راى مخيلة اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السما سري عنه

فعرفت عايشة ذلك فقال وما ادري لعله كما قال قوم فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم

قالوا هذا عارض ممطرنا الاية وفي رواية اخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت

الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها

وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا تخيلت السما تغير لونه ودخل وخرج واقبل وادبر

فاذا امطرت السما سري عنه فعرفت ذلك عايشة فسالته فقال لعله يا عايشة كما قال قوم

عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي

تظن فيه مطرا وتخيلت السما اذا تغيمت وقولها سري عنه اي كشف وازيل عنه ما كان به

من الغم والحزن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قري بالتا مفتوحة على ان الخطاب للنبي صلى

الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد

وقري يرى باليا المضمومة والمعنى لا يرى الا اثار مساكنهم لان الريح لم يبق منها الا الاثار

والمساكن معطلة كذلك نجزي القوم المجرمين يعني نجزي بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم

فيما ان مكناكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا وابصارا

وافيدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس يستعملونها فيما ينفعهم من امور الدين فما استعملوها

الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي

يعني انه لما نزل بهم العذاب ما اغنى ذلك عنهم شيا اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق

بهم ما كانوا به يستهزءون يعني نزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزا

ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا ديار قرى ثمود وهي الحجر

وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك وصرفنا الايات

يعني وبينا لهم الحجج والدلايل الدالة على التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فما رجعوا

فاسلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر فلولا يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون
الله قربانا آلهة يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله
والقربان كلما يتقرب به الى الله تعالى بل ضلوا عنهم يعني بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم
عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع
لهم عنده وما كانوا يفترون يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم قوله عز
وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية ذكر القصة في ذلك قال
المفسرون لما مات ابو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره
ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى
الطايف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد
عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد الى نفر من ثقيف
وهم يومئذ سادات ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب
بنو عمرو بن عمير وعند هم امراة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم
بما جاء من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط
ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الآخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث
لا اكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اخطر من ان ارد عليك الكلام وان كنت
تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير
ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيذيرهم ذلك في تجريتهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم
وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجوه الى حايط لعتبة وشيبة
ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان يتبعه منهم فعمد الى ظل حايط من عنب
فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم تلك المراة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمايك فلما اطمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت ارحم الراحمين
وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى عبد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن
بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح
عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى
لا حول ولا قوة الا بك فلما راى ابنا ربيعة تحركت لهما رحمه فدعوا لهما غلاما نصرانيا يقال له
عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل
وقل له ياكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس
الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس
وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي
فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل راسه ويديه وقدميه فقال احد ابني
ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك هذا الرجل فلما جاءهما عداس قالا له ويلك
يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا
الرجل لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقالا ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك
خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطايف راجعا الى مكة حين يئس
من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به رجال من جن نصيبين
كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا فلما
فرغ من صلاته تولوا الى قومهم منذرين وقد امنوا به واجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم
عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الآية قول آخر وسياتي في سورة الجن وهو
حديث مخرج في الصحيح من حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رموا بالشهب بعث ابليس
سراياه ليعرف الخبر فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم
الى تهامة وقال ابو حمزة اليماني انهم من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود
ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا
من الجن وهم من اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اقرا على الجن
الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه
عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى اذا
كنا باعلا مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني
ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت
ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع
السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال نمت فقلت
لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول
لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان يتخطفك بعضهم قال هل رايت شيا قلت

قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بياض قال اولئك جن نصيبين سألوني المتاع
والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حايل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس
علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث فقلت يا رسول الله وما يغني
ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا
فيها حبها يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل
قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاني
فقال هل معك ماء فقلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ فاستدعاه فصببته على
يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة فرأى
شيوخا من الزط فافزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هولاء قوم من الزط فقال
ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضي
بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها والذي
صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم منكم احد قال ما صحبه
منا احد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية
والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من
قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال
اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه
الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي
وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدة اولئك النفر
فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم
وقال آخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا
القرآن وروي ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها في الهوى وصنف على صورة
الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا
قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم
مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واتفق المحققون من العلما
على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب فلما حضروه
الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا الاستماع القرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى
الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن قالوا انصتوا

يعني

يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فانصتوا
واستمعوا القرآن حتى كاد بعضهم يقع على بعض من شدة حرصهم على سماعه فلما
قضي اي فرغ من قراءته ولوا اي رجعوا الى قومهم منذرين يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين
لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن
والتصديق به الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى مصدقا لما بين يديه من الكتب الالهية قال عطا كان دينهم اليهودية
لذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني من الكتب
الالهية المنزلة من السما وذلك ان كتب الانبيا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد
وتصديق الانبيا والايمان بالمعاد والحشر وجا هذا الكتاب وهو القرآن على محمد صلى الله
عليه وسلم كذلك فلذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب يهدي الى الحق والى طريق مستقيم
يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة يا قومنا اجيبوا داعي الله
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الاية دليل على انه كان
مبعوثا الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله وآمنوا به
فان قلت قوله سبحانه وتعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر
بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المامور به
واشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه
يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال بعضهم لفظة من هنا زايدة والتقدير
يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك ان الله سبحانه وتعالى يغفر من الذنوب ما كان
قبل الاسلام فاذا اسلموا جرت عليهم احكام الاسلام فمن اتى بذنب اخذ به ما لم يتب منه
او يبقى في خطر المشية ان شا الله غفر له وان شا اخذه بذنبه واختلف العلما في مومني
الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتاولوا قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم
من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال
لهم كونوا ترابا مثل البهايم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمومني الجن عودوا ترابا
فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال آخرون لهم الثواب
في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس
واليه ذهب مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك يدخلون الجنة وياكلون ويشربون وقال ارطاة
ابن المنذر سالت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني الجن حول الكعبة في ربض
ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله سبحانه وتعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في

الارض يعني لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه اوليا يعني انصارا يمنعونه من الله اوليك
يعني الذين لم يجيبوا داعي الله في ضلال مبين قوله سبحانه وتعالى اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض ولم يعي بخلقهن يعني ان الله سبحانه وتعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم
يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه بقادر على ان يحيي الموتى بلى يعني ان اعادة الخلق واحياءه
بعد الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه والكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت
وهو قوله تعالى انه على كل شي قدير يعني من اماتة الخلق واحيايهم لانه قادر على كل شي
ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيه اضمار تقديره فيقال لهم اليس هذا بالحق يعني هذا
العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق قالوا بلى وربنا هذا اعتراف منهم على انفسهم
بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك يقال قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم امره الله سبحانه وتعالى بالاقتدا باولي العزم من الرسل في الصبر على اذى قومه قال ابن
عباس ذو الحزم وقال الضحاك الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من هم من الرسل فقال
ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل
وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في الرسل للتبيين لا للتبعيض
كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم
بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبيا كلهم اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت
فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم
هم نجبا الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اوليك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة لاعدا الله
وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في
سورة الاعراف والشعرا وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار
واسحاق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر
على الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
اصحاب الشرايع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص
والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن
مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك الاية روى البغوي
بسنده عن عايشة ان الله لم يرض من اولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها
ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لابد
لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله سبحانه وتعالى ولا تستعجل لهم

يعني

يعني اصبر على اذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كانه
صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره الله سبحانه وتعالى
بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب فقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون
يعني من العذاب في الاخرة لم يلبثوا يعني في الدنيا الا ساعة من نهار يعني انهم اذا عاينوا
العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا
فهو يسير بالنسبة الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو ابد الابدين بلا انقطاع ولا فنا وتم الكلام
عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدا فقال تعالى بلاغ اي هذا القران وما فيه من البيان والهدى بلاغ
من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون
يعني الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم
الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجا لرحمة الله اية اقوى من هذه الاية والله اعلم بمراده واسرار كتابه
تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها فلم يتقبلها منهم واراد بالاعمال
ما كانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة
المستجير ونحو ذلك قال بعضهم اول هذه السورة متعلق باخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قايلا
قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله
لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر سبحانه وتعالى بان الفاسقين هم الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم اي ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها من عند
انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدايرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله تعالى الذين كفروا هم الذين
كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم روسا كفار قريش منهم ابو جهل والحرث بن هشام وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل هو عام
يدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام
او منعوا انفسهم من الدخول في الاسلام اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه
قوله سبحانه وتعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والذين امنوا وعملوا الصالحات
قال ابن عباس الذين كفروا واشركوا اي قريش والذين امنوا هم الانصار وقيل هم مومنوا اهل الكتاب وقيل
هو عام فيدخل فيه كل مومن امن بالله ورسوله وهذا الاولى ليشمل جميع المومنين وامنوا بما نزل
على محمد يعني القران الذي انزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الاختصاص
مع ما يجب من الايمان بجميع ما جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشان القران الكريم
وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به واكد ذلك بقوله تعالى وهو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين محمد صلى الله

عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا دين عليه بنسخ وقال سفيان الثوري في قوله وامنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه في شي كفر عنهم سياتهم يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك واصلح بالهم يعني حالهم وشانهم وامورهم بالتوفيق في امور الدين والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر على اعدايهم وقيل واصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا اصلح صلح ساير الجسد وقال ابن عباس عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوا ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القران ومعنى الاية ان ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيات المومنين كاين بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المومنين الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس على انه سبحانه وتعالى يضرب للناس امثال انفسهم وانه راجع الى الفريقين على معنى انه سبحانه وتعالى يضرب امثال الفريقين ليعتبروا بهم قال الزجاج كذلك يضرب الله للناس امثال حسنات المومنين واضلال اعمال الكافرين للناس قوله سبحانه وتعالى فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقا وهو الحرب فضرب الرقاب يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب فقط دون ساير الاعضا وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصه بالذكر في الامر بالقتل ولان الراس من اشرف اعضا البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضا حتى اذا اثخنتموهم يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ماخوذ من الشي الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح وامنعتموهم النهوض والحركة فشدوا الوثاق يعني في الاسر والمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به فاما منا بعد واما فدا يعني بعد الاسر اما ان تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فدا

فصل في حكم الاية اختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله سبحانه وتعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الراي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا بل اما القتل او الاسترقاق ايهما راى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فدا انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من اهل الذمة ويراد بالفدا ان يفادي باساراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلما الى ان الاية محكمة والامام بالخيار

في الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم ليطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلما وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فدا وهذا القول هو الصحيح ولان به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفا بعده ق عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ما كان على الارض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الدين كله الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد كلها الي فان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل اصبوت قال لا ولكني اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف اخرجه الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله سبحانه وتعالى حتى تضع الحرب اوزارها يعني اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعني يضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة اوزارا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الاثام والمعنى حتى يضع المحاربون اوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيومنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبايح اعمالهم بان يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول

عيسى بن مريم عليه السلام وجا في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله
الى ان يقاتل اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى
يسلموا ويسالموا قال الفراحتي لا يبقى الا مسلم او مسالم ذلك يعني الذي ذكر وبين من حكم
الكفار ولو يشا الله لانتصر منهم يعني ولو شا الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم ولكن
يعني ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل من المومنين الى الثواب
ومن قتل من الكافرين الى العذاب والذين قتلوا في سبيل الله يعني الشهدا وقرى قاتلوا وهم المجاهدون
في سبيل الله فلن يضل اعمالهم يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى
قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات سيهديهم ايام
حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى ويصلح بالهم اي ويرضى اعمالهم
ويقبلها ويدخلهم الجنة عرفها لهم بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطونها ولا
يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المومن اهدى الى درجته ومنزلته وزوجته وخدمه
منه الى منزله واهله في الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من
العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف اي مطيب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله
يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اوليا الله وحزبه ينصركم يعني على عدوكم ويثبت
اقدامكم يعني عند القتال وعلى الصراط والذين كفروا فتعسا لهم قال ابن عباس يعني بعدا
لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد تلفا لهم وقيل
التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم
يريدوا قيامه وضده اذا دعوا له وارادوا قيامه وفي هذا اشارة جليلة وهي انه سبحانه
وتعالى لما قال في حق المومنين ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجايز ان يتوهم
متوهم ان الكافر ايضا ينصر ويثبت قدمه في الحرب والقتال فاخبر الله سبحانه وتعالى
ان لكم الثبات ايها المومنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق المومنين بصيغة
الوعد لان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شي وقال في حق الكفار بصيغة الدعا عليهم
واضل اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان ذلك يعني التعس والاضلال
بانهم كرهوا ما انزل الله يعني القران الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام
والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات
والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا
ما انزل الله فاحبط اعمالهم يعني ابطل اعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله ولان الشرك
يحبط العمل ثم خوف الكفار فقال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون الخالية دمر الله عليهم

يقال دمره الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يختص به والمعنى اهلك الله عليهم
ما يختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم وللكافرين يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم امثالها
يعني ان لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف
انما يكون في الاخرة ذلك يعني الاهلاك والهوان بان اي بسبب ان الله مولى الذين امنوا يعني هو
ناصرهم ووليهم ومتولي امرهم وان الكافرين لا مولى لهم يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما
عبدوا الاصنام وهي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلاجرم لا ناصر لهم والفرق
بين قوله سبحانه وتعالى وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان
المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله سبحانه وتعالى رب كل احد من
الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله سبحانه وتعالى حال المومنين والكافرين في
الدنيا ذكر حالهم في الاخرة فقال تبارك وتعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار يعني هذا لهم في الاخرة والذين كفروا يتمتعون يعني في الدنيا بشهواتها
ولذاتها ويأكلون كما تأكل الانعام يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون
ساهون عما يراد بهم في غد وانما شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك
الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه وقيل المومن في الدنيا
يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته
وهي سجن المومن بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من النعيم العظيم الدايم والنار مثوى لهم
يعني مقام الكافر في الاخرة والمثوى المقام في المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى للكافرين
ومستقر لهم قوله سبحانه وتعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك يعني اخرجك
اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم رجال هي اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله
تعالى اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي
حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب
بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله عز وجل
هذه الاية افمن كان على بينة من ربه يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون
معه كمن زين له سوء عمله وهو الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين واتبعوا اهواءهم يعني في عبادة
الاوثان قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتدا
والضلال بين سبحانه وتعالى في هذه الاية ما اعد لكل واحد من الفريقين فبدا بما اعد
للمومنين المتقين فقال سبحانه وتعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قاله
سيبويه حيث قال المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابهتها وقيل
الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشي عظيم وقيل

الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار **فيها** يعني الجنة التي وعد المتقون **انهار من ماء غير اسن** يعني غير متغير ولا منتن يقال اسن الما واجن اذا تغير طعمه وريحه **وانهار من لبن لم يتغير طعمه** يعني كما يتغير البان الدنيا ولا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من المطعوم **وانهار من خمر لذة للشاربين** يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرورة ولم تدسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط **وانهار من عسل مصفى** يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الما وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تنشق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اذنه وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ما الجنة ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة في الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ما اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر لهذا نقله البغوي عنه وقوله سبحانه وتعالى **ولهم فيها من كل الثمرات** في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا للحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة **ومغفرة من ربهم** فان قلت المومن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها مغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل وصولهم اليها وجواب اخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما ياكلون ويشربون خلاف الدنيا فان ماكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه **كمن هو خالد في النار** يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدايم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله سبحانه وتعالى **وسقوا ماء حميما** يعني شديد الحر قد اسعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رووسهم فاذا شربوه **فقطع امعاءهم** يعني فخرجت من ادبارهم والامعا جمع معا وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله سبحانه وتعالى

كن

كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم من قوله سبحانه وتعالى افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رووسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى يخرج من دبره قال الله سبحانه وتعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله سبحانه وتعالى **ومنهم** يعني ومن هولا الكفار **من يستمع اليك** وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه **حتى اذا خرجوا من عندك** يعني هولا المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك **قالوا** يعني المنافقين **للذين اوتوا العلم** يعني من الصحابة **ماذا قال انفا** يعني ماذا الذي قال محمد الان وهو من الايتناف يقال ايتنفت الامر اي ابتداته قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس وقد سيلت فيمن سيل **اولئك** يعني المنافقين **الذين طبع الله على قلوبهم** يعني فلم يومنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم **واتبعوا اهواءهم** يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق امات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل وعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل **والذين اهتدوا** يعني المومنين لما بين الله سبحانه وتعالى ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المومن الذي ينتفع بما يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني الله اياهم الى الايمان **زادهم هدى** يعني انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جا به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم **واتاهم تقواهم** يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير اتاهم ثواب تقواهم وقيل اتاهم نفس تقواهم بمعنى انه سبحانه وتعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل **فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة** يعني ان الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يومنوا بالساعة اتتهم بغتة تفجاوهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة اتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا الاعمال سبعا هل ينتظرون الا فقرا منسيا او غنى

مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فشر غايب منتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله سبحانه
فقد جا اشراطها اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا
مستبعدا في النفوس وقد قال الله سبحانه وتعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة فكان قايلا يقول متى يكون قيام الساعة فقال سبحانه وتعالى فقد جا اشراطها
قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ق عن سهل بن سعد قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا
الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما
ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل
احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة
فسبقتها كفضل هذه على الاخرى وقيل معنى الحديث ان المراد ما بين مبعثه صلى الله
عليه وسلم وقيام الساعة شي يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى
قرب المجاورة ق عن انس قال عند قرب وفاته الا احدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا يحدثكم به احد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة
او قال من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب
الرجال وتبقى النسا حتى يكون لخمسين امراة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال
ويكثر النسا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة
ان يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج
قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل او قال ويظهر الجهل خ عن ابي هريرة قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث القوم اذ جاه اعرابي فقال متى الساعة فمضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال
وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السايل عن الساعة قال ها انا
ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا
وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وقوله سبحانه وتعالى **فانى لهم اذا جاتهم ذكراهم**
يعني فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاتهم الساعة فلا تنفعهم
الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب منهم الايمان في ذلك الوقت **فاعلم انه لا اله
الا الله** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم
كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فايدة هذا الامر واجيب عنه بان
معناه دم على ما انت عليه من العلم كقول القايل للجالس اجلس اي دم على ما انت

عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان
كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته قال ابو العالية وسفيان بن عيينة
هذا متصل بما قبله معناه اذا جاتهم الساعة فاعلم انه لا ملجا ولا منجا ولا مفزع
عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان
جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو **واستغفر
لذنبك** امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن
به امته وليقتدوا به في ذلك م عن الاغر المزني اغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة وفي رواية قال
توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم خ عن ابي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين
مرة وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر
اي يلبس على قلبي ويغطى وسبب ذلك ما اطلعه الله عليه من احوال امته بعده فاحزنه
ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور المسلمين ومصالحهم حتى يرى
انه قد شغل بذلك وان كان من اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو التفرد
بربه عز وجل وصفا وقته معه وخلوص همه من كل شي سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه
وسلم يستغفر فان حسنات الابرار سيات المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم
الرقيق الذي يغشى السما وكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه
عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم
وسبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين
النواوي عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شانه صلى الله
عليه وسلم والدوام عليه فاذا افتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة
عنه وعن غيره وقال الحارث المحاسبي خوف الانبيا والملايكة خوف اعظام واجلال
وان كانوا امنين من عذاب الله تعالى وقد يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام
يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل في معنى الاية
واستغفر لذنبك اي لذنوب اهل بيتك **وللمومنين والمومنات** يعني من غير اهل بيته وقيل
هذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر
لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم **والله يعلم متقلبكم ومثواكم** قال ابن عباس والضحاك
متقلبكم يعني منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة او الى النار
وقيل متقلبكم في اشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب

الآبا الى ارحام الامهات وبطون نين ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه سبحانه
وتعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفي **ويقول الذين امنوا لولا
نزلت سورة** وذلك ان المومنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله وقالوا فهلا
انزلت سورة تامرنا بالجهاد لكنا نجاهد **فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال** قال
مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة ومن اشد القران على المنافقين **ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت** يعني كما
يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقا العدو
ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت **فاولى لهم** فيه وعيد وتهديد ومعنى قولهم
في التهديد اولى لك اي وليك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدا بقوله تعالى
طاعة وقول معروف فعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف
امثل لهم واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل واحسن وقيل هو متصل
بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف
بالاجابة والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت الطاعة والاجابة بهم اولى وهذا معنى قول
ابن عباس في رواية عطاء عنه **فاذا عزم الامر** فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر
وقيل هو على اصل مجازه كقولنا جا الامر ودنا الوقت وهذا امر متوقع ومعنى الاية
فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به **فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم**
يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم
فهل عسيتم اي فلعلكم **ان توليتم** يعني اعرضتم عن سماع القران وفارقتم احكامه **ان تفسدوا
في الارض** يعني تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالمعصية والبغي
وسفك الدما وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم اسباب الاسلام **وتقطعوا ارحامكم** قال
قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام
وعصوا الرحمن ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن
فقال الله سبحانه وتعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت
الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال له فقالت هذا مقام العايذ من القطيعة قال نعم
اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقروا ان شيتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم اوليك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو اسفل
الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها

الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه
ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعايذ
اللاجي المستجير قال القاضي عياض صلة الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي
معنى من المعاني وليس بجسم وانما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة فيتصل بعضه
ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتاتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر
قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك
والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمي العقوق
قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملايكة
وتعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله عز وجل هذا كلام القاضي عياض في معنى
هذا الحديث والله اعلم وقيل في الاية في قوله تعالى ان توليتم هو من الولاية يعني فهل
عسيتم ان توليتم امر الناس ان تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم
ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد
فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله عز وجل محال لانه سبحانه وتعالى عالم
بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلي وقال بعضهم
معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري معناه لما عهد منكم احقا بان
يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هولاء ما ترون هل
يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا **اوليك** اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع
الارحام **الذين لعنهم الله** يعني ابعدهم الله من رحمته وطردهم عن جنته **فاصمهم** يعني عن
سماع الحق **واعمى ابصارهم** يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القران فلم يفهموه
ولم يومنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان
لهم اسماعا وابصارا في الظاهر **افلا يتدبرون القران** حتى يتفكروا فيه وفي مواعظه
وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشئ وما يؤول اليه امره وتدبر القران لا يكون الا
مع حضور القلب وجمع الهمة وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذا من الحلال وخلوص
النية **ام على قلوب اقفالها** يعني بل على قلوب اقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان
من تعاطي فعل يقال فلان مقفل بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله سبحانه وتعالى قد اصمهم
واعمى ابصارهم وقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القران مع هذه الموانع
الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جايز عندنا لان الله سبحانه وتعالى امر بالايمان لمن سبق
في علمه انه لا يومن فكذلك هذا ولان الله يفعل ما يريد لا اعتراض عليه وقيل ان قوله سبحانه وتعالى

افلا يتدبرون المراد به التاسي وقيل ان هذه الاية محققة للاية المتقدمة وذلك ان
الله سبحانه وتعالى لما قال اوليك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا
يتدبرون كالتهييج لهم على ترك ما فيه من الكفر الذي استحقوه بسبب اللعنة او كالتبكيت
لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده روي البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير
قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فقال شاب من
اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفس
عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل عروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلتهم
لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل
ان الذين ارتدوا على ادبارهم يعني رجعوا القهقرى كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى يعني
من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم
المنافقون وذلك بانهم امنوا اولا ثم كفروا ثانيا الشيطان سول لهم يعني زين لهم القبيح
حتى راوه حسنا واملى لهم قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح اليا على ما لم يسم فاعله
يعني امهلوا ومد لهم في العمر وقرئ واملى بفتح الالف واللام بمعنى واملى لهم الشيطان بان
مد لهم في الامل فان قلت الاملا والامهال لا يكون الا من الله سبحانه وتعالى لانه الفاعل
المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراة قلت ان
المسول والمملي هو الله سبحانه وتعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما اسند اليه ذلك
من حيث ان الله سبحانه وتعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح
ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى اخر العمر ذلك اشارة الى التسويل
والاملا بانهم يعني بان اهل الكتاب والمنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون
سنطيعكم في بعض الامر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد
والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال
تعالى والله يعلم اسرارهم يعني انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه خافية من امرهم فكيف اذا
توفتهم الملايكة يعني فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملايكة يضربون وجوههم وادبارهم
ذلك يعني ذلك الضرب بانهم يعني بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله يعني ترك الجهاد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وكرهوا رضوانه يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي عملوها من اعمال
البر لانها لم تكن لله ولا بامره ام حسب الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وهم المنافقون

ان لن

ان لن يخرج الله اضغانهم يعني يظهر احقادهم على المومنين فيبديها حتى يعرف
المومنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم ولو نشاء
لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما قال سبحانه وتعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن
يخرج الله اضغانهم فكان قايلا قال لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها فاخبر الله سبحانه
وتعالى انه انما اخر ذلك لمحض المشية لا لخوف منهم فقال تبارك وتعالى ولو نشا لاريناكهم
اي لا مانع لنا من ذلك والاراة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فايدة وهي
ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى
هنا عرفناهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه
اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم اي يجعل لك علامة تعرفهم بها قال انس ما خفي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شي من المنافقين وكان يعرفهم
ولتعرفنهم في لحن القول يعني منشا القول ونحواه ومقصده وللحن معنيان صواب وخطا
صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم في
لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب بازالة الاعراب
او التصحيف ومعنى الاية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين
امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزا به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى
الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال سبحانه وتعالى
والله يعلم اعمالكم يعني اعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله سبحانه وتعالى
ولنبلونكم يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشيا قبل
كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين يعني انا نامركم بالجهاد حتى يظهر
ويتبين من بادر اليه ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم علم الوجود والظهور
ونبلوا اخباركم يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول يعني خالفوه فيما يامرهم به من الجهاد
وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما ظهر لهم من ادلة الهدى وصدق الرسول صلى
الله عليه وسلم لن يضروا الله شيا يعني انما يضرون انفسهم بذلك والله سبحانه وتعالى منزه
عن ذلك وسيحبط اعمالهم يعني وسيبطل اعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الاخرة لانها لم
تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول لما ذكر الله سبحانه وتعالى الكفار وسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امر الله سبحانه وتعالى المومنين بطاعته وطاعة رسوله ثم قال تعالى ولا تبطلوا

اعمالكم قال عطا يعني بالشك والنفاق والمعني داوموا على ما انتم عليه من الايمان
والطاعة ولا تشركوا فتبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا اعمالكم بالريا والسمعة لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل
من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا اعمالكم بالمعاصي والكباير
قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب
كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير بعده ان تحبط الاعمال واستدل
بهذه الاية من يرى احباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله سبحانه وتعالى
يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال سبحانه وتعالى وان
تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فالله سبحانه وتعالى اعدل واكرم من
ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروي عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شي من
حسناتنا الا مقبول حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا الكباير
الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فكففنا عن
ذلك القول وكنا نخاف على من اصاب الكباير ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الاية من لا يرى
ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج
منه ولا دليل لهم في الاية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيح ان
النبي صلى الله عليه وسلم اصبح صايما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعايشة
قربيه فلقد اصبحت صايما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيح ايضا
ان سلمان زار ابا الدردا فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فاني صايم قال لست
باكل حتى تاكل فاكل معه وقال مقاتل في معنى الاية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتبطل اعمالكم نزلت في بني اسد وتذكر القصة في تفسير سورة الحجرات ان شا الله تعالى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل نزلت في
اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر والقوا في قليب بدر وحكمها
عام في كل كافر مات على كفره فان الله لا يغفر له لقوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فلا تهنوا الخطاب فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو
عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا ايها المومنون وتدعوا الى السلم يعني لا تدعوا الكفار
الى الصلح ابتدا امنع الله سبحانه وتعالى المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم
حتى يسلموا وانتم الاعلون يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم اخبر الله سبحانه وتعالى
ان الامر للمسلمين وان النصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض الاوقات والله معكم

يعني بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالي الغالب ولن يتركم اعمالكم يعني لن
ينقصكم شيا من ثواب اعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يوتيكم
اجورها ثم حض على طلب الاخرة بذم الدنيا فقال سبحانه وتعالى انما الحياة الدنيا لعب
ولهو اي باطل وغرور يعني كيف تمنعك الدنيا عن طلب الاخرة وقد علمت ان الدنيا كلها
لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان
وليس فيه منفعة في الحال ولا في المال ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره
ولم ينسه اشغاله المهمة وان شغله عن مهمات نفسه فهو اللهو وان تومنوا وتتقوا
يوتكم اجوركم يعني يوتكم جزا اعمالكم في الاخرة ولا يسالكم اموالكم يعني ان الله سبحانه
وتعالى لا يسال من العباد اموالهم لا ينبا الاجر عليهم بل يامرهم بالايمان والتقوى
والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسالكم محمد اموالكم وقيل معناه
لا يسالكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات انما يسالكم غيضا من فيض وهو ربع العشر
من اموالكم وهي زكاة اموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله
سبحانه وتعالى في مال الاغنيا وردها على الفقرا فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم
والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الاية وهو قوله سبحانه وتعالى
ان يسالكموها الضمير عايد على الاموال فيحفكم يعني يجهدكم بطلبها كلها والاحفا المبالغة
في المسيلة وبلوغ الغاية في كل شي يقال احفاه في المسيلة اذا لم يترك شيا من الالحاح تبخلوا
يعني بالاموال فلا تعطوها ويخرج اضغانكم يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم في الاموال
قال قتادة علم الله ان الاحفا بمسيلة الاموال خروج الاضغان ها انتم هولا يعني انتم
يا هولا المخاطبون الموصوفون ثم استانف وصفهم فقال تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله
قيل اراد به النفقة في الجهاد كالغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر
والكل في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني بما فرض عليه اخراجه من الزكاة او ندب الى انفاقه
في وجوه البر ومن يبخل يعني بالصدقة وادا الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله
سبحانه وتعالى فانما يبخل عن نفسه والله الغني يعني عن صدقاتكم وطاعتكم لانه الغني
المطلق الذي له ملك السموات والارض وانتم الفقرا يعني اليه والى ما عنده من الخير والثواب
في الدنيا والاخرة وان تتولوا يعني عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما
امركم الله به والزمكم اياه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم يعني يكونوا اطوع لله
ورسوله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة
هم فارس والروم وعن ابي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

علي منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي
اسناده مقال وله في رواية اخري عن ابي هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هولاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا
امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا
لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح تذكر في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى
والله اعلم بمراده تفسير سورة الفتح وهي مدنية م عن اسلم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فساله عمر
عن شي فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك عمر نزرت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام
الناس وخشيت ان ينزل في قران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت
ان يكون قد نزل في قران فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت
علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا
واخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره بالحديبية ق عن انس قال لما نزلت
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الى قوله فوزا عظيما
مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكابة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد انزل علي اية هي احب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري
انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هنيا مريا فما لنا فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له ذلك فقال اما
انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيا مريا فعن عكرمة واخرجه الترمذي عن قتادة
عن انس قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد نزلت علي اية احب الي مما على الارض
ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيا مريا يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك
فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
حتى بلغ فوزا عظيما بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا
بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد
هو فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وساير بلاد الاسلام التي يفتحها الله له فان قلت

على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال انا فتحنا
لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وجي به
بلفظ الماضي جريا على عادة الله سبحانه وتعالى لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكاينة الموجودة
كانه قال سبحانه وتعالى انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وما حكم به فهو كاين
لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية انس
ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا
متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البرا قال تعدون انتم الفتح
فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بير فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضا ثم تمضمض ودعا ثم صبه
فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شينا نحن وركايبنا وقال الشعبي انا فتحنا لك فتحا
مبينا فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله
وظهرت الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب على المجوس قال الزهري لم يكن صلح
اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام
من قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم
وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي فالمعنى فتحنا
لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك من المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله
تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وليدخل المومنين والمومنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى في سورة
النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن
لاجتماع ما قدر له من الامور المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم
والنصر العزيز وكانه قال تعالى يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك وهديناك
صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والاجل وقيل يجوز ان يكون الفتح
سببا للغفران لانه جهاد العدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح
وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى
الاية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تاخر يعني
بعدها وهذا على قول من يجوز الصغاير على الانبيا وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك
يعني ذنب ابويك ادم وحوا ببركتك وذنوب امتك بدعايك لهم قال سفيان الثوري ما تقدم
من ذنبك ما كان منك قبل النبوة وما تاخر يعني كل شي لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التاكيد

كما تقول اعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من
ذنبك وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتاويل لان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى ان يكون
وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا
القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله سبحانه وتعالى بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته
عليه وهو قوله تبارك وتعالى ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة وما كان اعطاك من الفتح
والنصر والتمكين ويهديك صراطا مستقيما يعني ويهديك الى صراط مستقيم ويثبتك
عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم
وهو الاسلام وقيل يهديك الى صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا يعني غالبا ذا عزة
ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان
قلت قد وصف الله سبحانه وتعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب
النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية اي ذات رضى وقيل وصف النصر
بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال المتكلم صادق وقيل
معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف مجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات
اذا كان العزيز القليل والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل والعديم
النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي هو من الله سبحانه وتعالى عزيز في
نفسه لكونه من الله فصح وصف كونه نصرا عزيزا قوله سبحانه وتعالى هو الذي انزل السكينة
في قلوب المومنين يعني الطمانينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة
في القران طمانينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها لما قال الله سبحانه وتعالى
وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه سبحانه وتعالى جعل
السكينة التي هي الطمانينة والثبات في قلوب المومنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقا
في الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال
تبارك وتعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وذلك انه جعل السكينة والطمانينة في قلوب
المومنين لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم امر ونهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه
كان ذلك زيادة في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله
فلما امنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل دينهم
فكلما امروا بشي وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم
قال الكلبي هذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرويا بالحق وقيل لما امنوا بالاصول
وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عز وجل وامنوا بالبعث

بعد

بعد الموت والجنة والنار وامنوا بالتكاليف الدينية والمالية كان ذلك زيادة في
ايمانهم ولله جنود السموات والارض لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المومنون
في قلة من العدد والعدد فكان قايل يقول كيف ينصرك فاخبر الله سبحانه وتعالى ان له جنود
السموات والارض وهو قادر على نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على
ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل سكينته في قلوبكم
ايها المومنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدايه على ايديكم فيكون لكم
الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملايكة السموات والارض
الثاني ان جنود السموات الملايكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات
مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلزلة والخسف والغرق ونحو ذلك
وكان الله عليما يعني بجميع جنوده الذين في السموات والارض حكيما يعني في تدبيرهم وقيل
عليما بما في قلوبكم ايها المومنون حكيما حيث جعل النصر على ايديكم قوله عز وجل ليدخل المومنين
والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار فقوله ليدخل المومنين يستدعي سابقا تقديره
هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليدخلهم جنات وقيل ان من علمه وحكمته ان سكن
قلوب المومنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار وقد تقدم ما روي عن انس انه لما نزل قوله سبحانه وتعالى انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال الصحابة هنيا قد بين الله ما يفعل بك فماذا
يفعل بنا فانزل الله الاية التي بعدها ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سياتهم فان قلت تكفير السيات انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره
بعد دخولهم قلت الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيات والمغفرة من توابع كون
المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما يعني ان ذلك الادخال والتكفير كان في علم الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات يعني المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين
والمشركات من اهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين
كانوا اشر على المومنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين
والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق
بالذكر اولى الظانين بالله ظن السوء يعني انهم ظنوا ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمومنين
عليهم دايرة السوء يعني عليهم دايرة العذاب والهلاك وغضب الله عليهم زيادة في
تعذيبهم وهلاكهم ولعنهم يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته واعد لهم جهنم يعني في الاخرة
وساءت مصيرا يعني ساءت جهنم منقلبا ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره يعني

فايدة التكرير ولم قدم جنود السموات والارض على ادخال المومنين الجنة ولم اخر ذكر السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فايدة التكرير للتاكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم جنود السموات والارض قبل ادخال المومنين الجنة ليكون مع المومنين جنود الرحمة فيثبتونهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شي فاخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان قلت قال الله سبحانه وتعالى في الاية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال الله تعالى في هذه **وكان الله عزيزا حكيما** فما معناه قلت لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المومنين ناسب ان يكون خاتمة الاية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان يكون خاتمة الاية الثانية وكان الله عزيزا حكيما وهو كقوله سبحانه وتعالى اليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله تعالى اخذناهم اخذ عزيز مقتدر وقوله سبحانه وتعالى **انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا يعني على اعمال امته ومبشرا يعني لمن امن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى امره بالعقاب ثم بين فايدة الارسال فقال سبحانه وتعالى **ليومنوا بالله ورسوله** فالضمير فيه للناس المرسل اليهم **ويعزروه** يعني ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم **ويوقروه** يعني ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل **ويسبحوه** من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقايص او من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضماير لله سبحانه وتعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدي بقوله سبحانه وتعالى ويسبحوه **بكرة واصيلا** على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعني ويصلون لله ويسبحوه بالغداة والعشي قوله عز وجل **ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله** يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفا بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببير هناك وقد جا في الحديث ان الحديبية بير قال

مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها ق عن مرثد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شي بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت م عن معقل بن يسار قال لقد رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة ماية قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلما لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينصروا وبايعه جماعة منهم معقل ابن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس قد احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله سبحانه وتعالى **يد الله فوق ايديهم** قال ابن عباس يد الله بالوفا بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما ان يكون بمعنى واحد واما ان يكون بمعنيين فان قلنا انهما بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انهما بمعنيين فنقول اليد في حق الله بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المنافقين هي يد الله والله سبحانه وتعالى منزه عن الجوارح من صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الاية ومذهب السلف السكوت عن التاويل وامرار ايات الصفات كما جات وتفسيرها قراتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل قوله سبحانه وتعالى **فمن نكث فانما ينكث على نفسه** يعني فمن نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه **ومن اوفى بما عاهد عليه الله** يعني من البيعة

فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الاخرة وهو الجنة قوله سبحانه وتعالى سيقول لك المخلفون
من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد السير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول
المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب ويصدوه
عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من العرب
وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله فيهم سيقول لك المخلفون من الاعراب يعني الذين
خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم عن التخلف عنك يقولون
شغلتنا اموالنا واهلونا يعني النسا والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك
تخلفنا عنك فاستغفر لنا انا مع عذرنا معترفون بالاساة استغفر لنا بسبب تخلفنا عنك
فاكذبهم الله سبحانه وتعالى فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار
كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك لكم من الله شيا
ان اراد بكم ضرا يعني سوءا او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله سبحانه
وتعالى انه ان اراد شيا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من
اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفايكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمومنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون الى اهليهم وزين
ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى نطقتم به حتى صار الظن يقينا
عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان الشي ويزينه له حتى يقطع به وظننتم
ظن السو يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس
يريدون بهلاك فلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من امرهم وكنتم
قوما بورا يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بايرين هالكين ومن لم يومن بالله
ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله سبحانه وتعالى حال المخلفين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر
حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يومن بالله
ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر انا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات
والارض يغفر لمن يشا ويعذب من يشا لما ذكر الله سبحانه وتعالى حال المومنين المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الطائفين ظن السو اخبر تعالى ان له ملك السموات
والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشا بمشيته ويعذب من يشا ولكن غفرانه
ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل

سيقول المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم
وذهبتم ايها المومنون الى مغانم لتاخذوها يعني غنايم خيبر وذلك ان المومنين لما
انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنايم شيا وعدهم الله عز
وجل فتح خيبر وجعل غنايمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنايم اهل مكة
حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيا ذرونا نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد معكم
قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا
اذ لم يكن هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة
يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية
حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد الى خيبر وقال ابن زيد هو قوله
الله تعالى فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب قل اي قل لهم
يا محمد لن تتبعونا يعني الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة
خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم
الحسد ان نصيب معكم من الغنايم شيا بل كانوا لا يفقهون يعني لا يعلمون ولا يفهمون معنى
ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من مات وصدق الله ورسوله قوله سبحانه وتعالى
قل للمخلفين من الاعراب لما قال النبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا
كثيرا من قبايل متشعبة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق
واستمروا عليه فجعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد
فان طاعوا كانوا من المومنين ويوتيهم الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا
اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله ستدعون الى
قوم اولي باس شديد من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب هم الروم
وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن
وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة
الكذاب قال ابن جريج كنا نقرا هذه الاية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة
فعلمنا انهم هم قال ابن جريج دعاهم عمر الى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يات تاويل هذه
الاية بعد واقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب والدليل
على صحة القولين الاولين ان العرب كان قد ظهر امرهم في اخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يبق الا مومن تقي طاهر او كافر مجاهر واما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي

صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من
خالفه من الكفار وثقيف من اشد العرب باسًا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم
العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم
فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا
معي ابدًا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي باس شديد لان الرعب
كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما
ان يكون قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا مقيدًا بقيد وهو ان يكون تقديره لن
تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدًا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد
لا بد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى
الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول ان المراد
من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدًا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة
بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم
لو لم يدعوهم الى الجهاد ومنعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن
لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى
الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولي باس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش
وغيرهم من العرب وهم اولوا باس شديد فثبت بهذا البيان ان الداعي للمخلفين هو
النبي صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة اصحاب
مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على
صحة خلافتهما لان الله سبحانه وتعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار وقوله
سبحانه وتعالى تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام او
القتل فان تطيعوا يؤتكم الله اجرًا حسنًا يعني الجنة وان تتولوا يعني تعرضوا عن الجهاد
كما توليتم من قبل يعني عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما يعني النار ولما نزلت هذه الاية
قال اهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة
في جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو
والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن
المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون
على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار من دون ما ذكر

وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج اليه في مصالح الجهاد والاشغال
التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم
الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا في غيره بخلاف
الاعرج لانه يمكن ان يحصل الانتفاع به في حرس وغيره وقدم الاعرج على المريض لان
عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب ومن يطع الله ورسوله يعني في امر
الجهاد وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعني يعرض عن الطاعة ويستمر
على الكفر والنفاق يعذبه عذابا اليما يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد رضي الله عن المومنين
اذ يبايعونك يعني بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة
سمرة ق عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقال ما هذا
المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت
ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل
نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها
وعلمتموها فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لقد رايت الشجرة ثم اتيتها
بعد عام فلم اعرفها وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت
فجعل بعضهم يقول هاهنا وبعضهم يقول هاهنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت
الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا
تحتها وكانت رحمة من الله م عن ابي الزبير انه سمع جابرا يسال كم كانوا يوم الحديبية قال كنا
اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس
الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية وقال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت
واخرجه الترمذي عن جابر في قوله سبحانه وتعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت
ق عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربع عشرة مائة قال ولو كنت
ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال خمس عشرة مائة ق عن عبد الله
ابن ابي اوفى قال اصحاب الشجرة الفا وثلاث مائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة
تسمى بيعة الرضوان لهذه الاية وكان سبب هذه على ما ذكره محمد بن اسحاق ومن اهل العلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن امية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى
قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني اخاف
علي نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي
عليها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان فبعثه الي ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت
معظما لحرمته فخرج عثمان الي مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان
يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم ردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى
فقال عظما قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف
بالبيت فطف به قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسه
قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ان عثمان قد قتل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز قريشا ودعا الناس الي البيعة فكانت بيعة الرضوان
تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير
ابن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم
وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان
لا نفر وقد تقدم ما ينبغي للجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت
وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف
عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا جد بن قيس اخو بني سلمة قال جابر لكاني انظر
اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الذي ذكر
عن عثمان باطل م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع
تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة
الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله سبحانه وتعالى **فعلم
ما في قلوبهم** يعني من الصدق والاخلاص والوفا كما علم ما في قلوبهم اي المنافقين من المرض
والنفاق **فانزل السكينة** يعني الطمانينة **عليهم** يعني على المومنين المخلصين حتى ثبتوا
وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الاية لطيفة وهي ان هذه البيعة كان فيها
طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو
موجب لدخول الجنة ويدل عليه في الاية المتقدمة قوله ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة
ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفا في فعلم للتعقيب وعلم الله
قبل الرضى لانه سبحانه وتعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم
التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله سبحانه وتعالى فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله

اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم
من الصدق اشارة الي ان الرضى لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها
علم الله صدقهم والفا في قوله فانزل السكينة للتعقيب لانه سبحانه وتعالى لما علم ما في
قلوبهم رضي الله عنهم فانزل السكينة عليهم وقوله سبحانه وتعالى **واثابهم فتحا قريبا**
يعني خيبر **ومغانم كثيرة ياخذونها** يعني اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل
وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم **وكان الله عزيزا حكيما** حيث
حكم لكم بالغنايم ولاعدايكم بالهلاك على ايديكم قوله سبحانه وتعالى **وعدكم الله مغانم
كثيرة تاخذونها** يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لهم الي يوم القيامة
فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الي كثرة الفتوحات والغنايم التي يعطيهم
الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه لعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم
الله به من المغانم كالقليل من الكثير **وكف ايدي الناس عنكم** وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبايل من بني اسد وغطفان ان يغيروا على النبي صلى الله عليه
وسلم وعيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل ايديهم بالقا الرعب في قلوبهم
وقيل ان الله سبحانه وتعالى كف ايدي اهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم **ولتكون
اية للمومنين** هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم المغانم لتنتفعوا بها ولتكون اية
للمومنين يعني وليحصل لمن بعدكم اية تدلهم على ان ما وعدكم الله يحصل مثله لهم وقيل
ولتكون اية للمومنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا
يقينا الي يقينهم ويعلموا ان الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم
ويهديكم صراطا مستقيما يعني ويهديكم الي دين الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة
ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر ذكر غزوة خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الي خيبر في بقية
المحرم سنة سبع م عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغير بنا حتى
يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الي خيبر فلما انتهينا
اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي
صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين م عن سلمة بن
الاكوع قال خرجنا الي خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم
تالله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا • ونحن عن فضلك ما استغنينا •
فثبت الاقدام ان لاقينا • وانزلن سكينة علينا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا

قال انا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله لانسان يخصه الا استشهد
قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر
خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول • قد علمت خيبر اني مرحب • شاكي السلاح بطل
مجرب • اذا الحروب اقبلت تلهب • قال وبرز له عمي عامر فقال • قد علمت خيبر اني عامر •
شاكي السلاح بطل مغامر • قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب
عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة
فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل اجره مرتين ثم ارسلني
الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاتيت عليا
فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرا
واعطاه الراية وخرج مرحب فقال قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلتهب فقال علي • انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه
المنظره • اوفيهم بالصاع كيل السندره • قال فضرب مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه
اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخاري طرفا منه فقال البغوي وقد روى حديث
فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس بن مالك وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ ابو بكر راية
النبي صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا اشد
ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش
ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى مدينة خيبر وخرج اليه مرحب صاحب الحصن
وعلى راسه مغفرة من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه علي بن ابي طالب
فضربه فقد الحجر والمغفرة وفلق راسه حتى اخذ السيف في الاضراس ثم خرج بعد مرحب
اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت صفية بنت عبد المطلب يقتل
ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شا الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الاموال قال
محمد بن اسحاق فكان اول حصن افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمد بن مسلمة القت عليه اليهود
حجرا فقتلته ثم فتح القموص حصن ابن ابي الحقيق فاصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيي
ابن اخطب جا بها بلال وباخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود خيبر فلما راتهم التي مع صفية

صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على راسها فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداه فعرف المسلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال
لما راى من تلك اليهودية ما راى انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما
وكانت صفية قد رات في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت
رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة
اخضرت منها عينها فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها فسالها عن ذلك ما هو فاخبرته
الخبر واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فساله
فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اني رايت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة
ارايت ان وجدناه عندك انقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج
منها بعض كنزهم ثم ساله ما بقي فابى ان يوديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير
ابن العوام ان يعذبه حتى يستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى اشرف
على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة وعن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عنده صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله
صلى الله عليه وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق
خيبر وان ركبتي لتمس فخذ النبي صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني انظر الى بياض فخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فسا صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس
يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجا دحية فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي
قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي بن اخطب فجا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك
قال ادعوه بها فجا بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال
فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها
اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل واصبح النبي
صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شي فليجي به وبسط نطعا فجعل الرجل يجي
بالتمر وجعل الاخر يجي بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ق وعن عبد الله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان
يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيا فقال اناس
انما نهي عنها لانها لم تخمس وقال اخرون انما نهي عنها البتة ق عن انس ان امراة يهودية اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجي بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي
قالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسماعيل
قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه
الذي مات فيه يا عايشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت
انقطاع ابهري من ذلك السم خ عن عايشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع
من التمر ق عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت اليهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم نقركم بها على ذلك ما شينا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيما واريحا قال محمد بن
اسحاق لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسالونه ان يحقن دماهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان اهل خيبر
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل على انا اذا شينا اخرجناكم
فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهدت له زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية
وسالت اي عضو من الشاة احب اليه فقيل لها الذراع فاكثرت فيه السم وسمت سائر
الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع
فاخذ منها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك
على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان
نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال
يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري
فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه به من النبوة عن
عبيد الله بن سلمان ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا

غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله
لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه احد من اهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال
ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلاثمائة اوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انبيك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة اخرجه ابو داود
وقوله سبحانه وتعالى **واخرى لم تقدروا عليها** يعني وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها
قد احاط الله بها يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس
علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب
تقدر على قتال فارس والروم كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه
وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها
فتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى اخر الزمان
وكان الله على كل شيء قديرا اي من فتح القرى والبلاد لكم وغير ذلك **ولو قاتلكم الذين كفروا**
يعني اسد وغطفان واهل خيبر **لولوا الادبار** اي لانهزموا عنكم **ثم لا يجدون وليا ولا
نصيرا** يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد **سنة الله التي قد خلت من قبل**
يعني هذه سنة الله في نصر اوليائه وقهر اعدائه **ولن تجد لسنة الله تبديلا** قوله عز وجل
وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم سبب نزول هذه الاية ما روي عن انس بن مالك
ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون
غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله عز وجل وهو
الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم انفرد باخراجه
مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة
التي قال الله سبحانه وتعالى في القران وعلى ظهره غصن من اغصانها فرفعته عن ظهره وعلي بن
ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا
في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جيتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا فقالوا اللهم لا فخلى
سبيلهم ومعنى الاية ان الله سبحانه وتعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى
اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح وهو قوله سبحانه وتعالى وهو الذي كف ايديهم يعني
ايدي اهل مكة وايديكم عنهم اذ قضى بينكم وبينهم بالمكافاة والمحاجزة **ببطن مكة** قيل اراد
به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة **من بعد ان اظفركم عليهم** اي بكفكم عنهم حتى
ظفرتم بهم **وكان الله بما يعملون بصيرا** قوله عز وجل **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام**
ذكر صلح الحديبية روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق

كل واحد منهما حديث صاحبه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة على
الحديبية في بضع عشرة ماية من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه
سبعين بدنة والناس سبعماية رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذي الحليفة
قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتى عينه الخزاعي وقال ان قريشا
قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هولا الذين عاونوهم
فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا يكونوا عنقا قطعها الله او ترون ان نؤم
البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جيت عامدا لهذا البيت لا تريد
قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفروا قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين
فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بغبرة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال
الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات
القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يدعوني
قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها
ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس
تربضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع
سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سايق بدن النبي صلى
الله عليه وسلم فنزل في البير فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه
فبينما هم كذلك اذ جا بديل بن ورقا الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا اعداد
مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انا لم نجي لقتال احد ولكنا جينا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب
واضرت بهم فان شاوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاوا ان يدخلوا
فيما يدخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم
على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق
حتى اتى قريشا فقال انا قد جيتكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شيتم ان
نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاوهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشي وقال ذووا الراي

منهم

منهم هات ما سمعته يقوله قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله
عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست
بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ
فلما بلحوا علي جيتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض
عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني اتيه قالوا ايته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت
ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اهله قبلك وان تكن الاخرى
فاني والله لا ارى وجوها واني لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر
الصديق امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر قال اما والذي
نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى
الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قايم على راس النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب
يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه
فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة
صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جا فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شي ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت
في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا
يقتتلون على وضويه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له
فرجع عروة الى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى
والنجاشي والله ما رايت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما ان تنخم
نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره
واذا توضا كادوا يقتتلون على وضويه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
النظر اليه تعظيما وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوه فقال رجل من كنانة دعوني اتيه
فقالوا ايته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوه له واستقبله الناس يلبون
فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهولا ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه
قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس
ابن علقمة وكان يوميذ سيد الاحابيش فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا

من قوم يتالهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما راي الهدي يسيل عليه من عرض الوادي
في قلايده قد اكل اوباره من طول الحبس رجع الي قريش ولم يصل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعظاما لما راي فقال يا معشر قريش اني قد رايت ما لا يحل صده الهدي في قلايده قد اكل اوباره
من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك
وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله
من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلين بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش
نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم
يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله
عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاءه
سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله
عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال
هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن والله ما ادري
ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله
الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قضى عليه
محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت
ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله
وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسالوني خطة يعظمون فيها
حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو
واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به والله لا تتحدث
العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك
منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين
وقد جاء مسلما وروي عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو انك رسول الله ما منعناك ولكن
انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال
والله لا امحوك ابدا قال فارني فاراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد
ابن عبد الله قال البراء على ثلاثة اشيا على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاه من
المسلمين لم يرده وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح

السيف والقوس ونحوه وروي ثابت عن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم
فاشترطوا ان من جانا منكم لم نرده عليكم ومن جاكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله
اتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم ابعده الله ومن جانا منهم سيجعل الله له فرجا
ومخرجا رجعنا الى حديث الزهري قال فبينما هم كذلك اذ جا ابو جندل بن سهيل بن عمرو
يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من مكة حتى رمى نفسه بين ظهر المسلمين فقال سهيل
هذا يا محمد اول من اقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض
الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شي ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه
لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى
قريش قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جيت مسلما الا ترون ما لقيت
وكان قد عذب عذابا شديدا في الله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا
انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا او صلحا وانا لا نغدر فوثب عمر يمشي الى جنب
ابي جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدني قايم
السيف منه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فظن الرجل بابيه وقد كان
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرويا راها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكوا وزاد ابو جندل
شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يوميذ قال فلما راوا ذلك قال الزهري
عن مروان والمسور ورواه ابو وايل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم
نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا
انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف
به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي
ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه سياتي البيت
ويطوف به قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات
فلما لم يقم احد منهم قام فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت ام سلمة يا نبي الله
اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم حتى تفعل ذلك تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فلما راوا
ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر

وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر اخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله
المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين
قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر
وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في راسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال
الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مومنات فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم
المومنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امراتين كانتا في الشرك وتزوج
امراتين احداهما معوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية قال فنهاهم ان يردوا النسا
وامر برد الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير عتبة بن
اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عوف والاخنس بن
شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لوي ومعه
مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هولا القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا
الغدر وان الله سبحانه وتعالى جاعل لك وللمستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى
الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين
والله لارى سيفك هذا جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم
جربت به فقال ابو بصير ارني انظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى
المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راه لقد راى هذا ذعرا
فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبي واني لمقتول
فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله اوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى اتى سيف
البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير
ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل بن سهيل
فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش
الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم
تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه فهو امن فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم
فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ
حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم

وحالوا

وحالوا بينه وبين البيت الحديث اخرجه البخاري بطوله سوى الفاظ منه وهي مستثناه
في الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله ما يجيش
لهم الري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا
بما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى ان تخلوا بيننا وبين
البيت ومنها قوله وروى عن البرا قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله
وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل الى قوله قال عمر فاتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت الست نبي الله ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه
ثم جا نسوة مومنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه شرح غريب الفاظ
الحديث قوله في بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح وهو ما بين الثلاث الى التسع
وقيل ما بين الواحد الى العشرة قوله بعث عينا له اي جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش
هم احيا من القارة انضموا الى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفا قريش وهم بنو
الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق بن خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال
له حبشي فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع
قوله فان قعدوا قعدوا وهم موتورين اي منقوصين قوله فنجوا اي حصنوا وخلصوا قوله ان خالد
ابن الوليد بالغميم اسم موضع وفيه كراع الغميم قوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين
يدي الجيش ليطلعوا على اخبار العدو وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله
يركض نذيرا النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلات
القصوى يعني انها لما توقفت عن المشي فظنوا ذلك خلا في خلقها وهو كالحران
للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات اي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل
اي منعها عن المسير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله سبحانه وتعالى والقصوى اسم ناقة النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوى وهو شق الاذن قوله خطة اي حالة وقضية يعظمون فيها
حرمات الله جمع حرمة وهي فروض الله وما يجب القيام به يريد انه حرمة الحرم ونحو قوله حتى
نزل باقصى الحديبية بتخفيف اليا وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببير هناك
عند مسجد الشجرة بين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل قال مالك وهي
من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع وقوله الثمد الما القليل الذي لا مادة
له والتربض اخذ الشي قليلا قليلا قوله فما زال يجيش بالري يقال جاشت البير بالما اذا ارتفعت
وفاضت والري ضد العطش والصدر الورود بعد الورود قوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته في ذلك قوله
نزلوا اعداد مياه الحديبية الما العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد

قوله ومعهم المطافيل العوذ جمع عايذ وهي الناقة اذا وضعت الي ان يقوى ولدها وقيل
هي انثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها
وهذا استعارة ذلك للناس واراد به ان معهم النسا والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم
اي اضرت بهم واثرت فيهم وقوله ماددتهم اي جعلت بيني وبينهم مدة قوله والا فقد
جموا اي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله بعد تنفرد سالفتي السالفة
الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو العنق الذي
بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله اني استنفرت
القوم يقال استنفر القوم اذا دعاهم الي قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية
معروفة قوله بلحوا فيه لغتان التشديد والتخفيف واصل التبليح الاعيا والفتور
والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم به قوله استاصلت قومك والجتاح اصل الاجتياح
ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجايحة والابتلا والاجتياح متقاربان في مبالغة الاذي
قوله اني لاري وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاة يقال
فلان خليق بذلك اي جدير لا يبعد ذلك عن خلقه قوله امصص بظر اللات هو اسم صنم
كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من الهنة التي تكون في فرج المراة
وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في السنتهم قوله لولا يد لك عندي اليد النعمة وما يمتن
به الانسان علي غيره قوله اي غدر معدول عن غادر وهو المبالغة قوله عرض عليكم خطة
رشد يقال خطة رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد طلب
منكم طريقا واضحا في هديه واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن اي الابل تهدى الي
البيت في حج او عمرة وتقليدها هو ان يجعل في رقابها شي كالقلادة من لحا الشجر او نعل او غيره
ليعلم بذلك انه هدي والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه قوله فلما راي
الهدي يسيل عليه اي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي اي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل
فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور قوله هذا ما قاضي عليه اي فاعل من
القضا وهو احكام الامر وامضاوه وهو في اللغة علي وجوه مرجعها الي انقطاع الشي وتمامه
قوله ضغطه هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام
مع تخفيف البا ويروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعا من ادم شبه الجراب
يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق في اخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان
وهو مشي المقيد قوله فاجزه لي قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاي والرا فمن الاجازة اي اجعله
جايزا غير ممنوع ولا محرم او اطلقه لي وان كان بالرا المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ
وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعطي الدنية اي النقيصة التي لا يرضى بها ولا يراد اي لم نرض

بالادون والاقل في ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز يكون للناقة كالركاب للسرج
الفرس والمعني فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه
علي الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب
ايضا ومسعر حرب اي موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها والمسعر الخشب
التي توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله اعلم واما تفسير الاية
فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام ان
تطوفوا به والهدي اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت سبعين بدنة معكوفا اي محبوسا ان يبلغ محله اي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم
ولولا رجال مومنون ونسا مومنات يعني المستضعفين بمكة لم تعلموهم اي لم تعرفوهم
ان تطوهم بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم وقيل غرم الدية وقيل
كفارة قتل الخطا لان الله سبحانه وتعالي عز وجل اوجب علي قاتل المومن في دار الحرب اذا لم
يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم
والمعرة المشقة يقول لولا ان تطوا رجالا مومنين ونسا مومنات لا تعلمونهم فيلزمكم بهم
كفارة او سب وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين
ذلك لهذا السبب ليدخل الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشا اي من اهل مكة بعد الصلح
وقبل دخولها لو تزيلوا اي تميزوا عن المومنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
يعني بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا
اي تميزوا ثم قال تعالي ليدخل الله في رحمته من يشا يعني من المومنين والمومنات في رحمته
اي في جنته قال قتادة في الاية ان الله سبحانه وتعالي يدفع بالمومنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين
من المومنين عن مشركي مكة قوله سبحانه وتعالي اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية
اي الانفة والغضب وذلك حين صد واسرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت
ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله
وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فكانت هذه حمية الجاهلية
التي دخلت قلوبهم فتحدث العرب انهم دخلوا علينا علي رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها
علينا فكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فانزل الله سكينته علي رسوله
وعلي المومنين اي حتي لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم والزمهم كلمة
التقوي قال ابن عباس واكثر المفسرين كلمة التقوي لا اله الا الله وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم والزمهم كلمة التقوي هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علي
كل شي قدير وقال عطا الخراساني لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله

الرحمن الرحيم وكانوا احق بها اي من كفار مكة واهلها اي كانوا اهلها في علم الله لان الله سبحانه وتعالى
اختارلدينه وصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل شي عليما
يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من الخير قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله
الرويا بالحق سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري في المنام وهو بالمدينة
قبل ان يخرج الي الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه امنين ويحلقوا روسهم فاخبر
بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلون مكة ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم
ذلك فقال المنافقون اين رويياه التي راى فانزل الله عز وجل هذه الاية ودخلوا في العام المقبل
وروي مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا
عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند
كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر اهو فتح يا رسول الله قال
نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد بالفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرويا
كان في العام المقبل وقوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق اخبر ان الرويا
التي اراها اياه في مخرجه الي الحديبية ان يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق وبالحق اي
الذي راه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما فان الحق من اسما الله تعالى او قسما بالحق
الذي هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاصحابه حكاية عن روياه فاخبر الله سبحانه وتعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم
انه قال ذلك ان شاء الله امنين قيل انما استثنى مع علمه بدخولها تعليما لعباده الادب
وتاكيدا لقوله ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وقيل ان يعني انجازه اذ شا
الله وقيل لم يقع الدخول عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح
قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشية الله تعالى وقيل الاستثنا
واقع على الامن لا على الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم
لاحقون مع انه لا شك في الموت محلقين روسكم اي كلها ومقصرين اي تاخذون بعض شعوركم
لا تخافون من عدو في رجوعكم لان قوله امنين اي في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون
ليرجع الي كمال الامن بعد الاحرام في حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا يعني ان الصلاح كان في الصلح
وتاخير الدخول وكون ذلك سبب لوطي المومنين والمومنات وقيل علم دخولكم في السنة
الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه في السنة الاولي فجعل من دون ذلك اي من قبل دخول
الحرم فتحا قريبا يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر وقوله عز وجل
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الحق بالفتح ودخول مكة وهو قوله سبحانه وتعالى

ليظهره على الدين كله اي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه
وكفى بالله شهيدا اي في انه رسول الله وفيه تسلية لقلوب المومنين وذلك انهم تاذوا من
قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال سبحانه وتعالى وكفى
بالله شهيدا انه رسول الله ثم قال تبارك وتعالى محمد رسول الله اي هو محمد رسول الله
الذي سبق ذكره في قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال
سبحانه وتعالى والذين معه يعني اصحابه المومنين اشدا على الكفار اي غلاظ اقويا كالاسد
اي كالاسد على فريسته لا تاخذه فيها رحمة رحما بينهم اي متعاطفون متوادون بعضهم
لبعض كالولد مع الولد كما قال في حقهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين قوله سبحانه
وتعالى تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون اي يطلبون
فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا اي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله
تعالى يطلب اجره من الله تعالى والمرائي بعمله لا يبتغي له اجر وذكر بعضهم في قوله تعالى والذين
معه يعني ابا بكر الصديق اشدا على الكفار عمر بن الخطاب رحما بينهم عثمان بن عفان تراهم
ركعا سجدا يعني علي بن ابي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة سيماهم اي
علامتهم في وجوههم من اثر السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما ان المراد به
يوم القيامة قيل هو نور وبيا من في وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله في الدنيا
وهو رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون
غرا محجلين يوم القيمة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت
وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن
عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان
السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل
في الصلاة ويعرف ذلك في رجلين احدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والاخر في
اللهو واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر على وجه المصلي نورا وضيا وعلى وجه
اللاعب ظلمة وضيا لا وقيل اثر التراب على الوجه لانهم كانوا يصلون على التراب
لا على الاثواب قال عطا الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس
ذلك مثلهم في التورية يعني ذلك الذي ذكر من صفتهم في التورية وتم الكلام هنا ثم ابتدا
بذكر نعتهم وصفتهم في الانجيل فقال تبارك وتعالى ومثلهم اي وصفتهم في الانجيل
كزرع اخرج شطاه اي وقيل هو نبت فما خرج بعده فهو شطاه فازره اي قواه واعانه
وشد ازره فاستغلظ فاستوى على سوقه اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اي تم
وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع ساق اي على اصوله يعجب الزراع اي يعجب ذلك الزرع زراعه

وهذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انهم يكونون
قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في
الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل
الزرع محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على
سوقه علي بن ابي طالب يعجب الزراع يعني جميع المومنين ليغيظ بهم الكفار قيل هو قول عمر
ابن الخطاب لاهل مكة بعدما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ
بهم الكفار قال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد اصابته هذه الاية فصل في فضل الصحابة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
م عن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه
ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم
والقرن اهل كل زمان قيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل ماية سنة عن عبد الرحمن
بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن
ابن عوف في الجنة وسعيد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة في
الجنة اخرجه الترمذي واخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح من حديث الاول
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واشدهم
حيا عثمان واقضاهم علي واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقراهم
ابي بن كعب ولكل قوم امين وامين هذه الامة ابو عبيدة ابن الجراح ولا اظلت الخضرا ولا اقلت
الغبرا اصدق لهجة من ابي ذر اشبه عيسى في زهده قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم
اخرجه الترمذي مفرقا في موضعين احدهما الى قوله ابو عبيدة بن الجراح والاخر عن ابي ذر خ
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال
اثبت احد اراه ضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اقتدوا بالذين بعدي من اصحابي ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان
وتمسكوا بعبد الله بن مسعود اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ق عن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس
احب اليك قال عايشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا
عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني
الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق
وما له من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملايكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار

اخرجه

اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة
وبرا النسمة انه لعهد النبي الي انه لا يحبني الا مومن ولا يبغضني الا منافق عن عبد الله
ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت من اصحابي بارض الا بعث
قايدا ونورا لهم يوم القيامة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ق عن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك
قال عايشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي بن ابي
طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة
وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله وقال وقد روي عن ابي بردة مرسل وهو الاصح ق عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن ابي هريرة نحوه اخرجه مسلم عن عبد الله
ابن معقل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى
الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب قوله سبحانه وتعالى وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله الذين امنوا من جنس الصحابة وقال
ابن جرير يعني من الشطا الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيامة
ورد الهاء والميم على معنى الشطا لا على لفظه ولذلك لم يقل منه مغفرة واجرا عظيما يعني
الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مومن مغفرة فالاجر العظيم جزاء العمل الصالح
والله اعلم تفسير سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة اية وثلاث واربعون كلمة
والف واربعماية وست وسبعون حرفا من حروف الهجا يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله من التقديم اي لا ينبغي لكم ان يصدر منكم تقدم اصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين
يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا
لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله
صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بترك او فعل قبل ان
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم او يفعل وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا
في معنى الاية فروي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى
الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يعيدوا الذبح ق عن
البرا بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع
فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله

ليس من النسك في شيء زاد الترمذي اوله خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فذكر
الحديث وروي عن عايشة انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار
ابن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى ابا القاسم صلى الله عليه وسلم اخرجه
ابوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الاية ما روي عن
عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع
ابن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر
ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه حتى يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت الاية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا
او صنع في كذا او صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الاية لا تفتاتوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل يعني في القتال وشرايع الدين
اي لا تقضوا امرا دون الله ورسوله **واتقوا الله** اي في تضييع حقه ومخالفة امره **ان الله سميع**
اي لاقوالكم **عليم** بافعالكم قوله سبحانه وتعالى **يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت**
النبي اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان
رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا
اصواتكم نهي عن قول **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** امرهم ان يجلوه ويعظموه ولا
يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقولوا يا محمد بل يقولوا يا رسول الله
يا نبي الله **ان تحبط اعمالكم** اي لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم **وانتم لا تشعرون**
اي بذلك عن انس قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الاية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه
وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ يا ابا عمرو ما شان ثابت اشتكى فقال سعد
انه لجاري وما علمت له شكوى فاتاه سعد فذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال انزلت
هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار
فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة
زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه
وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال
ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان تكون قد انزلت في وانا رفيع الصوت على النبي
صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكا فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال
اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار ولا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادعه
فجا عاصم الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون
هذه الاية في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا
وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابدا فانزل الله عز وجل **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله** الاية قال انس فلما كان
يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طايفة منهم
فقال اف لهولا ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعدا الله مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه بعض
الصحابة بعد موته في المنام وقال له ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية
من العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره
حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي
عني وفلان رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصف فاسترد الدرع
واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت
بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الاية ما حدث عمر النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله
عز وجل ان الذين يغضون اصواتهم اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله اجلالا له وتعظيما
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار
ليخرج خالصه **لهم مغفرة واجر عظيم** قوله عز وجل **ان الذين ينادونك من ورا الحجرات**
قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة
ابن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم
بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت
الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري جهشوا الى
ابايهم يبكون وكان لكل امراة من نسا النبي صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا
يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم
قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم

وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق
نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم
بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر
ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهو الاكثر ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم فيه بيان لحسن
الادب وهو خلاف ما جاءوا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج لكان خيرا لهم
اي الصبر والله غفور رحيم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فدا وقيل لكان
حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله خيرا لهم وقيل نزلت الاية في ناس من
الاعراب من بني تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن
بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا
يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله
الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن اناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا
جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر
امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام
فاجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اجبه فاجابه
فقال الاقرع بن حابس ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم
شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه
فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازدرى به بعضهم فارتفعت
الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات الى قوله تعالى والله غفور رحيم
اي لمن تاب منهم وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم
لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش
في جناحه فجاءوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الاية وقوله
سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية نزلت في الوليد
ابن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة
مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما له
لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق

الى

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه
ونؤدي اليه ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انما رده من الطريق كتاب جاءه
منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد في عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال
انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل
فيهم ما يستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشا
فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخبره الخبر فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا يعني الوليد
ابن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الناس وهو اولى من
حمل الاية على رجل بعينه بعيد لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه
ظن وتوهم واخطا فعلى هذا يكون معنى الاية ان جاءكم فاسق بنبا اي بخبر فتبينوا وقرئ
فتثبتوا فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق ان تصيبوا
اي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي قوما بجهالة اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم فتصبحوا على
ما فعلتم نادمين اي من اصابتكم بالخطايا واعلموا ان فيكم رسول الله ان تقولوا باطلا وتكذبوه
فان الله يخبره ويعرفه لو يطيعكم اي الرسول في كثير من الامر اي مما يخبركم به فيحكم برايكم
لعنتم اي لاثمتم وهلكتم عن ابي سعيد الخدري انه قرا واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم في كثير من الامر
لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح غريب ولكن الله حبب
اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم وزينه اي حسنه وقربه منكم وادخله في قلوبكم
حتى اخترتموه لان من احب شيئا اذا طال عليه قد يسام منه والايمان في كل يوم يزداد
في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة
وهو ان الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الثلاثة اشيا في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب
المحبب اليه والايمان الكامل اذا اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان
وعمل بالاركان فقوله تعالى وكره اليكم الكفر في مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه في
قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى
عبده المؤمن الكفر وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهي لا اله الا الله

والعصيان جعله في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح
بالاركان ثم قال تبارك وتعالى اولئك هم الراشدون اشارة الى المومنين المحبب اليهم الايمان
المزين في قلوبهم اي اولئك هم المهتدون الى محاسن الافعال ومكارم الاخلاق فضلا من الله
اي فعل ذلك بكم فضلا منه ونعمة عليكم والله عليم اي بكم وبما في قلوبكم حكيم في امره
بما يقتضيه من الحكمة وقيل عليم بما في خزاينه من الخير والرحمة والفضل والنعمة
حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم قوله عز وجل وان طايفتان من المومنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما ق عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن
ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبخة
فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار
منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه
فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال
فبلغنا انها نزلت فيهم وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها
لما نزلت قراها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض ق عن
اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر
قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي
واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله
ابن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردايه ثم قال
لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله
وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي بن سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا
فلا توذينا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة
بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى
كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه
وسلم دابته وذكر الحديث وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مماراة
في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه
ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول
بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امراة من الانصار يقال لها
ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها
فجاءوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طايفتان من المومنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما بالعدل اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما

فان بغت

فان بغت اي تعدت احداهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم الله وكتابه فقاتلوا التي تبغي
حتى تفيء اي ترجع الى امر الله اي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته
في الصلح الذي امر به فان فاءت اي رجعت الى الحق فاصلحوا بينهما بالعدل اي الذي يحملهما على
الاصلاح والانصاف والرضى بحكم الله واقسطوا اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين
انما المومنون اخوة اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من النسب والقرابة
كعقد النسب الملاصق وان ما بينهم من الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم ابي
الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم فاصلحوا بين اخويكم اي اذا اختلفا واقتتلا
واتقوا الله اي فلا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته
ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره الله
يوم القيامة فصل في حكم قتال البغاة قال العلما في هاتين الايتين دليل على ان
البغي لا يزيل الايمان لان الله سبحانه وتعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين ويدل عليه
ما روي عن علي بن ابي طالب وهو القدوة في قتال اهل البغي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون
هم فقال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا
قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت
طايفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتاويل محتمل ونصبوا لهم اماما
فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم
يذكروا مظلمة واصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم
ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم قوله ولا يذفف هو بالذال المعجمة
وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله ولمتابعه واتى علي يوم صفين باسير فقال لا اقتلك صبرا
اني اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطايفتين على الاخرى في حال القتال من نفس ومال
فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دما يعرف في بعضها القاتل والمقتول
واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما علمته اقتص
من احدهم ولا اغرم مالا اما من لم تجتمع فيه هذه الشرايط الثلاث بان كانوا جماعة قليلين
لا منعة لهم او لم يكن لهم تاويل او لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا او لم يتعرضوا
للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم قطاع الطريق في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية
المسجد لا حكم الا لله تعالى فقال علي كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد
ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدؤكم بقتال يا ايها
الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الاية نزلت في اسباب ثلاثة السبب الاول من اولها الى قوله

خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر وكان
اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوا المجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع
ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه
وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد وكان
الرجل اذا جا فلم يجد مجلسا قام قايما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال الرجل اصبت مجلسا
فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا
فلان قال ثابت ابن فلانة وذكر خالة كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه واستحى
فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤون
بفقرا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم
مولى حذيفة لما راوه من رثاثة حالهم فانزل الله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر
قوم من قوم اي لا يستهزي غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستتر ولا ذو حسب
بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله تعالى عسى ان يكونوا
خيرا منهم السبب الثاني قوله سبحانه وتعالى ولا نسا من نسا اي ولا يستهزي نسا من نسا عسى ان
يكن خيرا منهن روي عن انس انها نزلت في نسا النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن
ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نسا النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت
يهوديين عن انس قال بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل النبي صلى الله عليه
وسلم عليها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتق الله
يا حفصة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله سبحانه وتعالى
ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب عن ابي جبيرة بن الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك
الانصاري قال فينا نزلت هذه الاية بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس منا رجل الا وله اسمان وثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون
مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب
بيس الاسم الفسوق بعد الايمان اخرجه ابو داود والترمذي قال كان الرجل منا يكون له
الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا
بالالقاب قال الترمذي حديث حسن واما قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعيب
بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض والمراد بها لا تنفسوا لاخوان ما سنا والمعنى لا يعيبوا

اخوانكم

اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عايب لاحد بعيب فكانه عاب نفسه
وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو
العايب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به قال ابن عباس
التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من
عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي
والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهى عن ذلك وقيل هو ان
تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير قال العلما المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به
او يعد ذما له فاما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما
اشبه ذلك فلا باس به اذا لم يكرهه المدعو به واما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا
ويكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذي النورين ولعلي
ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك بيس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بيس الاسم
ان تقولوا له يا يهودي او يا نصراني بعدما اسلم ويا فاسق بعدما تاب وقيل معناه ان
فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبيس الاسم الفسوق بعد الايمان
فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ومن لم يتب اي من ذلك كله فاولئك هم الظالمون
اي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل هم اظلم من الذين قالوا لهم ذلك قوله
سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم قيل نزلت
في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم
الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل يهيي لهما ما يصلحهما من الطعام
والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه
فنام ولم يهيي لهما شيا فلما قدما قالا له ما صنعت شيا قال لا غلبتني عيناي فنمت قالا
له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجا سلمان الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسال طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له
ان كان عندك فضل طعام وادم فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شي فرجع سلمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيا
فرجع اليهما فاخبرهما فقالا ان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طايفة من الصحابة
فلم يجد عندهم شيا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بير سميحة لغار ماوها ثم انطلقا يتجسسان
هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما
قال ظللتم تاكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من

الظن يعني أن يظن بأهل الخير سوءا نهى الله سبحانه وتعالى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المؤمن كلاما لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخاه المؤمن فيظن سوءا لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطيا فأما أهل السوء والفسق المتجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم أن بعض الظن ثم قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو حسن الظن بالله عز وجل ومنه مندوب إليه وهو حسن الظن بالأخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالأخ المسلم **ولا تجسسوا** ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن الأمور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس بالجيم وبالحاء هو استماع حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الأخبار قوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر المسلمين من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيى موءودة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة قوله سبحانه وتعالى **ولا يغتب بعضكم بعضا** أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه

ما تقول

ما تقول فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له إنسانا فقال ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته أي خالطته مخالطة تغير طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة قوله عز وجل **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** قال مجاهد لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا فقيل تأويله أن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لأنه لا يحس بذلك ففيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه ودمه لأن الإنسان يتألم قلبه إذا ذكر بسوء كما يتألم جسمه إذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد في المنع لأن العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ في الزجر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي رأيت قوما لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سياه بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت ولم آكل قال بما اغتبت عبد فلان فقلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده أحدا وقوله سبحانه وتعالى **واتقوا الله** في أمر الغيبة واجتناب نواهيه **إن الله تواب رحيم** قوله عز وجل **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقال ثابت أنا يا رسول الله قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فإنك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم يتفسح يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أمية ابن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان إني لا أقول شيئا أن يخبر به رب السماء فنزل جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء فقال يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء والمعنى أنكم

متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض علي بعض لكونكم ابنا رجل واحد وامراة واحدة وقيل
يحتمل ان يكون المعني انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم
خلق كما خلق الاخر سوا فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا جمع
شعب بفتح الشين وهي روس القبايل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا
لتشعب القبايل منهم وقيل لتجمعهم وقبايل اي جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة
وتميم من مضر ودون القبايل العماير واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من
تميم ودون العماير البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولوي من قريش ودون البطون
الافخاذ واحدها فخذ بفتح الفا وهم كبني هاشم وبني امية من لوي ودون الافخاذ الفصايل
واحدها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من هاشم ثم بعد ذلك العشاير واحدها عشيرة
وليس بعد العشيرة حي يوصف وقيل الشعوب من العجم والقبايل من العرب والاسباط من بني
اسرايل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الي احد بل ينسبون الي المداين والقري والقبايل العرب
الذين ينسبون الي ابايهم لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر
بالانساب ثم انه سبحانه وتعالي بين الخصلة التي بها يفضل الانسان علي غيره ويكتسب بها
الشرف عند الله تعالي فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل اكرم الكرم التقوي والام اللوم
الفجور قال ابن عباس كرم الدنيا الغني وكرم الاخرة التقوي عن سمرة بن جندب قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوي اخرجه الترمذي وقال الحديث
حسن صحيح غريب وعن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه قال سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم اي
الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف
نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالون
قالوا نعم قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف علي المشهور
وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلي الله عليه وسلم طاف
يوم الفتح علي راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل علي ايدي الرجال
ثم قام فخطبهم فحمد الله واثني عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها انما الناس رجلان بر تقي كريم علي الله وفاجر شقي هين علي الله ثم تلا يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثي ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم المحجن عصي محنية
الراس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها ان الله عليم اي بظواهركم
ويعلم انسابكم خبير اي ببواطنكم لا يخفي عليه اسراركم فاجعلوا التقوي زادكم الي معادكم
قيل التقي هو العالم بالله المواظب علي بابه المتقرب الي جنابه وقيل حد التقوي ان يجتنب
العبد المناهي وياتي بالاوامر والفضايل ولا يغتر ولا يامن فان اتفق ان يرتكب منها لا يامن ولا

يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منها ولم يتب في الحال
واتكل علي المهلة وغره طول الامل فليس بمتقي لان المتقي ياتي بما امر به ويترك ما نهي عنه
وهو مع ذلك خاش لله خايف منه لا يشتغل بغير الله تعالي فان التفت لحظة الي نفسه
واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه ربه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم
من المتقين الفايزين بدخول الجنة قوله عز وجل قالت الاعراب امنا الاية نزلت في نفر من بني
اسد بن خزيمة قدموا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم
يكونوا مومنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون
ويروحون الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها علي ظهور ظهورها
ورواحلها وجيناك بالعيال والاثقال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو
فلان يمنون علي رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا
فانزل فيهم هذه الاية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهي جهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون امنا ليامنوا علي انفسهم واموالهم فلما استنفروا
الي الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب امنا اي صدقنا قل لم تومنوا اي لم
تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي ولما يدخل
الايمان في قلوبكم اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار
شرايعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق والاخلاص عن سعد بن ابي وقاص قال اعطي رسول
الله صلي الله عليه وسلم رهطا فترك رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الي
فقمت فقلت والله ما لك عن فلان والله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه بمثل ذلك ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي
منه خشية ان يكب في النار علي وجهه زاد في رواية قال الزهري فنري ان الاسلام الكلمة
والايمان العمل الصالح لفظ الحميدي اعلم ان الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة
فمن الاسلام ما هو طاعة علي الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله عز وجل لابراهيم
عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك
قوله سبحانه وتعالي ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق
بالقلب مع الثقة وطمانينة النفس عليه والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من ان
يكون حربا باللسان مع اظهار الشهادتين فان قلت المسلم والمومن واحد عند اهل السنة فكيف
يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد
قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص
متحد مع الخاص ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان بالعموم متحدان في الوجود فلذلك المومن

فان قيل ان كان فقد الايمان ... [illegible]
مع الروح وبقي ... [illegible]
ذلك ان يكون الجسد ... [illegible]
عليه ايضا ان تكون ... [illegible]
مع الروح ملازم ... [illegible]
الجسد والروح وهو كالشمس ... [illegible]
فهو لا ينقطع عن الجسد ... [illegible]

والمسلم وقوله سبحانه وتعالى وان تطيعوا الله ورسوله اي ظاهرًا وباطنا سرا وعلانية وقال
ابن عباس تخلصوا الايمان لا يلتكم اي لا ينقصكم من اعمالكم شيا اي من ثواب اعمالكم ان الله غفور
رحيم ثم بين حقيقة الايمان فقال سبحانه وتعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون
بالله انهم مومنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله سبحانه وتعالى قل اتعلمون
الله بدينكم اي تخبرون الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض
اي لا تخفى عليه خافية والله بكل شي عليم اي لا يحتاج الى اخباركم يمنون عليك ان اسلموا
وهو قولهم اسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك
ان اسلامكم لم يكن لله مخلصا قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعدوا علي باسلامكم بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان اي له المنة عليكم ان ارشدكم وامدكم بتوفيقه ان كنتم صادقين
اي ان كنتم مومنين ان الله يعلم غيب السموات والارض اي انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شي
في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم والله بصير بما تعملون
اي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله اعلم تفسير سورة ق مكية وهي خمس واربعون
اية وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربع وتسعون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل ق قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء
القران وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم
وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا
متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسما كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة
السما منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراه الا الله تعالى ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس
من ورايه بمسيرة سنة والقران المجيد اي الشريف الكريم على الله الكثير الخير واختلفوا في جواب
القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل
قد علمنا وهي بل عجبوا ان جاهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان يخوفهم
رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته وصدقه فقال الكافرون هذا شي
عجيب اي معجب غريب اءذا متنا وكنا ترابا اي حين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر البعث
لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد اي يبعد ان نبعث بعد الموت قال الله سبحانه وتعالى
قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل الارض من لحومهم ودمايهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا
شي وعندنا اي مع علمنا بذلك كتاب حفيظ يعني محفوظ اي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ
بمعنى حافظ اي حافظ لعددهم واسمايهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبته

فيه ما يكون بل كذبوا بالحق لما جاهم فهم في امر مريج مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط امرهم
هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القران مرة
سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الاية
من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم
ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها اي بغير
عمد وزيناها اي بالكواكب وما لها من فروج اي شقوق وصدوع والارض مددناها
اي بسطناها على وجه الما والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج
بهيج اي من كل صنف حسن كريم يبهج به اي يسر به تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة
وذكرى اي تذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به
من اناب ونزلنا من السما ما مباركا اي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شي وهو المطر فانبتنا به
اي بذلك الما جنات اي بساتين وحب الحصيد يعني البر والشعير وساير الحبوب التي
تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات لها طلع اي ثمر يطلع ويظهر يسمى طلعا
قبل ان يتشقق نضيد اي متراكم بعضها على بعض في اكمامه فاذا انشق وخرج من اكمامه
فليس بنضيد رزقا اي جعلنا ذلك رزقا للعباد واحيينا به اي بالما بلدة ميتا فانبتنا فيها
الكلا والعشب كذلك الخروج اي من القبور بعد الموت اي احيا بعد الموت قوله عز وجل كذبت
قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة قيل كان
لوط مرسلا الى طايفة من قوم ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط وقوم تبع هو ابو كرب اسعد تبع
الحميري وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو
المكذب المستخف لقومه فلهذا اختص بالذكر دونهم كل كذب الرسل فحق وعيد اي كل هولا المذكورين
كذبوا رسلهم فحق وعيدي اي وجب لهم عذابي وقيل حق وعيدي للرسل بالنصر افعيينا بالخلق الاول
هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيى بالاعادة ثانيا
وذلك انهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث
قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي يحدث به قلبه لا يخفى
علينا سرايره وضمايره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد تبيان لكمال علمه اي نحن اعلم به منه
والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزا البدن وهو بين الحلقوم
والعلباوين ومعنى الاية ان اجزا الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن
علم الله شيا وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا
كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى الملكان الموكلان به عمله ومنطقه
فيكتبان ويحفظانه عليه عن اليمين وعن الشمال يعني ان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله

فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيات **قعيد** اي قاعد لان كل واحد
منهما قعيد فاكتفي بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح **ما يلفظ**
من قول اي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه **الا لديه رقيب** اي حافظ **عتيد** اي حاضر اينما كان
سوي وقت الغايط وعند جماعه فانهما يتاخران عنه فلا يجوز للانسان ان يتكلم في هاتين
الحالتين حتي لا يوذي الملايكة بدنوهما منه وهو علي تلك الحال حتي يكتبان ما يتكلم به وقيل انهما
يكتبان عليه كل شي يتكلم به حتي انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له فيه اجر وثواب وما عليه
وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر علي الحنك وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظر الي
عنفقته روي البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب
الحسنات امير علي كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيية قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله سبحانه وتعالى
وجات سكرة الموت اي شدته وغمرته التي تغشي الانسان وتغلب علي عقله **بالحق** اي بحقيقة الموت
وقيل بالحق من امر الاخرة يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يوول اليه امر الانسان من السعادة
والشقاوة **ذلك ما كنت منه تحيد** اي يقال لمن جاته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل
وقيل تهرب قال ابن عباس تكره **ونفخ في الصور** يعني نفخة البعث **ذلك يوم الوعيد** اي ذلك اليوم
الذي وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه **وجات** في ذلك اليوم **كل نفس معها سايق** اي يسوقها الي المحشر
وشهيد اي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السايق من الملايكة والشاهد من انفسهم الايدي
والارجل فيقول الله جل جلاله لصاحب تلك النفس **لقد كنت في غفلة من هذا** اليوم في الدنيا
فكشفنا عنك غطاك اي الذي كان علي قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا **فبصرك اليوم حديد**
اي قوي ثابت تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الي لسان
ميزانك حين توزن حسناتك وسياتك **وقال قرينه** يعني الملك الموكل به **هذا ما لدي**
اي عندي **عتيد** اي معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذي وكلتني به من ابن ادم قد احضرته
واحضرت ديوان عمله **القيا في جهنم** اي يقول الله جل جلاله وقيل هذا من السايق والشهيد
كل كفار اي شديد الكفر **عنيد** اي عاص معرض عن الحق عاند الله فيما امره به **مناع للخير** اي الزكاة
المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله **معتد** اي ظالم لا يقر بتوحيد الله **مريب** اي شاك في
التوحيد **الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد** يعني النار **قال قرينه** يعني
الشيطان الذي قيض لهذا الكافر **ربنا ما اطغيته** قيل هذا جواب كلام مقدر وهو ان الكافر
حين تلقي في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته اي ما اضللته
وما اغويته **ولكن كان في ضلال بعيد** اي عن الحق فتبرا منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه
يعني الملك فقيل يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته

اي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع
عنه الي الحق **قال** اي فيقول الله جل جلاله **لا تختصموا لدي** اي لا تعتذروا عندي بغير عذر
وقيل هو مخاصمتهم مع قرنايهم **وقد قدمت اليكم بالوعيد** اي بالقران وانذرتكم على السن
الرسل وحذرتكم عذابي في الاخرة لمن كفر **ما يبدل القول لدي** اي لا تبديل لقولي وهو قوله تعالى
لاملان جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب
عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولي
يدل عليه انه تعالى قال ما يبدل القول لدي ولم يقل جل وعلا ما يبدل قولي **وما انا بظلام**
للعبيد اي فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساة المسي وانقص من احسان
المحسن قوله عز وجل **يوم نقول لجهنم هل امتلات** بيانا لما سبق لها من وعد الله اياها انه
يملاوها من الجنة والناس وهذا السوال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده **وتقول**
يعني جهنم **هل من مزيد** يعني يقول هل امتلات ولم يبق فيها موضع لم يمتلي فهو استفهام
انكار وقيل هو بمعني الاستزادة وهي رواية عن ابن عباس فعلي هذا يكون السوال وهو قوله تعالى
هل امتلات قبل دخول اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله سبحانه وتعالى سبقت كلمته
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سبق اعدا الله اليها لا يلقي فيها فوج الا ذهب فيها
ولا يملاها شي فتقول الست قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها ثم يقول هل امتلات فتقول
قط قط قد امتلات فليس في مزيد وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال
جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتي يضع رب العرش وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوي
بعضها الي بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشي الله لها خلقا فيسكنهم
فضول الجنة ولابي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا افضل هذا الحديث
من مشاهير احاديث الصحابة وللعلما فيه وفي امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور
السلف وطايفة من المتكلمين انا لا نتكلم في تاويلها بل نومن انها حق علي ما اراد الله ورسوله
ونجريها علي ظاهرها او معني يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين
انها تاول بحسب ما يليق بها فعلي هذا اختلفوا في تاويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم
التقدم وهو سايغ في اللغة والمعني حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل
المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الي ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل
ان يكون في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها وقال المتكلمون ولا بد من صرفه علي
ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي علي استحالة الجارحة علي الله تعالى والله اعلم قوله قط قط اي
حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطا وكسرها منونة وغير منونة وقوله
ولا يظلم الله احدا من خلقه يعني انه يستحيل الظلم في حق الله جل جلاله فمن عذبه بذنبه وبغير

ذنب فذلك عدل منه جل جلاله قوله سبحانه وتعالى وازلفت الجنة اي قربت وادنيت للمتقين اي الذين اتقوا الشرك غير بعيد يعني انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها اهل الموقف قبل ان يدخلوها هذا ما توعدون اي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على السنة الانبيا عليهم الصلاة والسلام لكل اواب اي رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي حفيظ قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر من خشي الرحمن بالغيب اي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خاف في الخلوة حيث لا يراه احد اذا ارخى الستر واغلق الباب وجا بقلب منيب اي مخلص مقبل على طاعة الله ادخلوها اي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة بسلام اي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملايكته عليهم وقيل بسلامة من العذاب والغموم وقيل بسلامة من زوال النعم ذلك يوم الخلود اي في الجنة لانه لا موت فيها لهم ما يشاوون فيها وذلك انهم يسالون الله حتى تنتهي مسالتهم فيعطون ما سالوا ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسالوه مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد وقيل المزيد هو النظر الى وجه الله جل جلاله وذلك من كرمه قيل يتجلى لهم الرب سبحانه وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد قوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم اي من قبل كفار مكة من قرن هم اشد منهم بطشا اي سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف فنقبوا في البلاد اي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق هل من محيص اي فلم يجدوا لهم محيصا من امر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس اي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله او القى السمع اي استمع القران واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره وهو شهيد اي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي اعيا ونصب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اولها الاحد واخرها يوم الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الاية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشرك والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله وما مسنا من لغوب اي ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال تعالى افعيينا

بالخلق الاول واما ما قالوه اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم او لم يعلموا تاويل ذلك اذ الاحد والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدا يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام ولان اليوم عبارة عن سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق وقد يراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة من الزمان اي مدة كانت قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اصبر يا محمد على ما يقولون اي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم وسبح بحمد ربك اي صل حمدا لله قبل طلوع الشمس يعني به صلاة الصبح وقبل الغروب يعني العصر وقال ابن عباس صلاة الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشا وقيل يعني صلاة الليل يعني اي وقت صلى وادبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الصبح وهي رواية عن ابن عباس وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب (ق) عن عايشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شي من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر (م) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الصبح قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال امره ان يسبح في ادبار الصلاة كلها يعني قوله وادبار السجود (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقرا المهاجرين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جا بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جيتم به الا من جا بمثله تسبحون الله في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله عز وجل واستمع يوم ينادي المنادي يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه وانتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول ايها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا وهو قوله سبحانه وتعالى من مكان قريب قيل ان صخرة

بيت المقدس اقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا وقيل هي وسط الارض يوم يسمعون الصيحة
بالحق اي الصيحة الاخرة ذلك يوم الخروج اي من القبور انا نحن نحيي اي في الدنيا ونميت يعني بعد
انقضا الاجل والينا المصير اي في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا
المصير بعد البعث يوم تشقق الارض عنهم سراعا اي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله ذلك
حشر علينا يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وما انت عليهم بجبار
اي غليظ تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم فذكر بالقران من
يخاف وعيد اي ما اوعدت من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا
فنزل فذكر بالقران من يخاف وعيد اي عظ بالقران من يخاف وعيد والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الذاريات وهي مكية عدد اياتها ستون اية وثلاثمائة وستون
كلمة والف ومائتان وسبعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل
قوله عز وجل والذاريات ذروا يعني الرياح التي تذرو التراب فالحاملات وقرا يعني السحاب
تحمل ثقلا من الما فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الما جريا سهلا فالمقسمات امرا يعني الملايكة
يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبرايل صاحب الوحي الى الانبيا الامين
عليه وصاحب الغلظة وميكايل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرايل
صاحب قبض الارواح صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح
لانها تنشي السحاب وتثيره ثم تحمله وتنقله ثم تجري به جريا سهلا ثم تقسم الامطار
بتصريف الرياح اقسم الله جل جلاله بهذه الاشيا لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة
على عجيب صنعه وقدرته والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشيا وقيل فيه مضمر
تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى انما توعدون اي من الثواب
والعقاب في يوم القيامة لصادق اي حق وان الدين اي الحساب والجزا لواقع اي لكاين ثم ابتدا
قسما اخر فقال تعالى والسما ذات الحبك قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل
ذات الزينة اي حبكت بالنجوم وقيل ذات البنا المتقن وقيل ذات الطرق كحبك الما
اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها عن الناس وجواب القسم انكم
يعني يا اهل مكة لفي قول مختلف يعني في القران وفي محمد صلى الله عليه وسلم تقولون في القران
سحر وكهانة واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر شاعر مجنون وقيل لفي قول
مختلف اي مصدق ومكذب يوفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان من صرف حتى يكذبه وهو
من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل
اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن
الايمان به قوله سبحانه وتعالى قتل الخراصون اي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب

مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم
الكهنة الذين هم في غمرة اي غفلة وعمى وجهالة ساهون اي لاهون غافلون عن امر الاخرة
والسهو الغفلة عن الشي وذهاب القلب عنه يسالون ايان يوم الدين اي يقولون يا محمد متى
يوم الجزا يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزا قال الله جل جلاله يوم هم اي يكون هذا الجزا في يوم
هم على النار يفتنون اي يدخلون ويعذبون بها ويقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم
هذا الذي كنتم به تستعجلون اي في الدنيا تكذيبا به قوله سبحانه وتعالى ان المتقين في جنات
وعيون يعني في خلال الجنان عيون جارية اخذين ما اتاهم اي ما اعطاهم ربهم من الخير
والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنة كانوا المحسنين في الدنيا ثم وصف
احسانهم فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون
اكثره وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيا اما من اولها او من وسطها
وعن انس بن مالك في قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين
المغرب والعشا اخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل كل
ليلة اتت عليهم هجعوها كلهم ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا اي من الناس ثم ابتدا الليل
ما يهجعون اي لا ينامون الليلة البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة وبالاسحار
هم يستغفرون اي تهجدوا وعبادتهم الى وقت الاسحار ثم اخذوا في الاستغفار وقيل
يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا
ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا جل جلاله كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر
فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول
انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضي الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم
فصل هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران احدهما وهو مذهب
السلف وغيرهم انه يمر كما جا من غير تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به
وتنزيه الرب جل جلاله عن صفات الاجسام والمذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم
ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله سبحانه وتعالى منزه ومقدس عن ذلك فعلى هذا
يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين باللطف
والاجابة وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعا وغفلة اكثر
الناس عنه وعن التعرض لنفحات رحمة الله جل جلاله وفي ذلك الوقت تكون النية حاصلة والرغبة
الى الله متوفرة فهو مظنة القبول والاجابة والله اعلم ق عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد

انت ملك السموات والارض ومن فيهن وانت رب السموات والارض ومن فيهن انت الحق
ووعدك الحق ولقاوك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق
والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وبك خاصمت وعليك توكلت واليك انبت
واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد في رواية وما انت
اعلم به انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم خ عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير الحمد لله وسبحان
الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او قال دعا الى الله
استجيب له فان توضا وصلي قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا
انتبه وله صوت قوله عز وجل وفي اموالهم حق اي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما ويقرون
ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما فليس بالزكاة قال ابن عباس وقيل انه الزكاة
المفروضة للسايل اي الذي يسال الناس ويطلب منهم والمحروم الذي ليس له في الغنايم سهم
ولا يجري عليه من الفي قال ابن عباس المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم ومعناه الذي حرم الخير
والعطا وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسال وقيل هو صاحب الجايحة الذي اصيب ثمره
او زرعه او نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل
هو المكاتب واظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسايل والمتعفف لا يسال ولا يكاد
الناس يعطون من لا يسال وانما تفطن له متيقظ وفي الارض ايات اي عبرة من الجبال والبحار
والاشجار والثمار وانواع النبات للموقنين اي بانه الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنايعه
وفي انفسكم اي ايات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى ان نفخ فيه الروح
وقال ابن عباس يريد اختلاف الالسن كالصور والالوان والطباع وقيل يريد سبيل الغايط
والبول ياكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات والسمع
والبصر والنطق والعقل الي غير ذلك المودعة في ابن ادم افلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته
على البعث وفي السما رزقكم قال ابن عباس هو المطر الذي هو سبب الارزاق وما توعدون يعني من
الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه
فورب السما والارض انه لحق اي ما ذكره من امر الرزق وغيره مثل ما انكم تنطقون اي بلا اله الا
الله وقيل شبه تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق الادمي ومعناه انه حق كما انك تتكلم وتتكلم
وقيل معناه في صدقه ووجوده كالذي يعرفه ضرورة وقال بعض الحكما معناه كما ان كل انسان
ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان ياكل رزق نفسه الذي قسم له
لا يقدر ان ياكل رزق غيره قوله سبحانه وتعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم يعني هل اتاك

يا محمد حديث الذي جاوا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم
وقصتهم في سورة هود المكرمين قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملايكة كراما عند الله
وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو اكرم الخلق الى الله يوميذ وضيفه مكرمون وقيل لان
ابراهيم عليه السلام اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم
وقال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاوا غير مدعوين عن ابي شريح العدوي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون اي غربا لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هولا قوم لا نعرفهم وقيل
انما انكرهم لانهم دخلوا عليه بغير استيذان وقيل انكر سلامهم في ذلك الزمان في تلك
الارض فراغ اي عدل ومال الى اهله فجا بعجل سمين اي جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال
ابراهيم البقر فجا بعجل فقربه اليهم هذا من ادب المضيف ان يقدم المضيف الطعام الى الضيف
ولا يحوجهم السعي اليه فلما لم ياكلوا قال الا تاكلون يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم
الاكل من غير ان يامرهم فاوجس اي فاضمر منهم خيفة لانهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وقيل عليم نبي فاقبلت امراته قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان
الى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القايل اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه في صرة اي في صيحة
والصيحة لما اخذت تولول وذلك من عادة النسا اذا سمعن شيا فصكت وجهها قال ابن
عباس لطمته وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النسا ايضا
اذا انكرن شيا وقالت عجوز عقيم معناه اتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك
قالوا كذلك قال ربك اي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما انه هو الحكيم العليم ثم ان
ابراهيم لما علم حالهم وانهم من الملايكة قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين قيل هو الاجر مسومة
اي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا
عند ربك للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها فاخرجنا من كان
فيها اي في قرى قوم لوط من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت اي اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وقومه
وصفهم الله بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان واطلاق
العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمي المومن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما وتركنا فيها اي في مدينة
قوم لوط اية اي عبرة للذين يخافون العذاب الاليم والمعنى تركنا فيها علامة للخايفين تدلهم على ان
الله سبحانه وتعالى مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل وفي موسى اي وتركنا في ارسال موسى اية
وعبرة اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة فتولى اي اعرض عن الايمان بركنه
اي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم

اي فاغرقناهم في البحر وهو مليم اي اتى بما يلام عليه من دعوى الربوبية الى تكذيب الرسل وفي عاد
اي وفي اهلاك عاد ايضا اية وعبرة اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم اي التي لا خير فيها ولا بركة
لا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر من شي اتت عليه اي من انفسهم واموالهم وانعامهم الا جعلته
كالرميم اي كالشي الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه واصله
من رم العظم اذا بلى وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين اي وقت انقضا اجالهم وذلك انهم لما
عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم اي تكبروا عن طاعة ربهم
فاخذتهم الصاعقة يعني بعد مضي ثلاثة ايام من وقت عقر الناقة وهو الموت في قول ابن
عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وهم ينظرون اي يرون ذلك العذاب
عيانا فما استطاعوا من قيام اي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم وما قدروا على نهوض من تلك
الصاعقة وما كانوا منتصرين اي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من امر
الله جل جلاله وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا
قوم نوح من قبل اي من قبل هولا وهم عاد وثمود وقوم فرعون انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين
عن الطاعة قوله سبحانه وتعالى والسما بنيناها بايد اي بقوة وقدرة وانا لموسعون قيل هو من السعة
اي وسعنا السما بحيث الارض وما يحيط بها من السما والفضا بالنسبة الى سعة السما
كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنايها كذلك وعنه لموسعون
اي الرزق على خلقنا وقيل معناه انا ذو سعة والسعة الغنى والارض فرشناها اي بسطناها
ومهدناها لكم فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شي خلقنا زوجين اي صنفين ونوعين مختلفين
كالسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتا والجن
والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل
والحلو والحامض لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ففروا
الى الله اي قل يا محمد ففروا الى الله اي فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له قال ابن عباس
فروا منه اليه واعملوا بطاعته قال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير
اي مخوف مبين اي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع ولا تجعلوا
مع الله الها اخر اي وحدوه ولا تشركوا به شيا اني لكم منه نذير مبين قيل انما كرر قوله سبحانه
وتعالى اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا
مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما كذلك اي كما كذبك
قومك وقالوا ساحر او مجنون كذلك ما اتى الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة والامم الخالية من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون قال الله سبحانه وتعالى اتواصوا به اي اوصى
اولهم اخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطوا عليه وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا

بهذا القول لانهم لم يتلاقوا في زمن واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان
وهو الحاصل لهم على ذلك التواب فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي لا لوم عليك فقد
اديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما امرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فطابت
نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقران كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه مومن منهم وقيل معناه
عظ بالقران من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس من المومنين
الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعدا من الجن والانس الا لعبادتي والاشقيا منهم
الا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال علي بن ابي طالب الا لامرهم ان يعبدون
وادعوهم الى عبادتي وقيل معناه الا ليعرفون وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده
وقيل معناه الا ليخضعوا الي ويتذللوا لان معنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق
من الجن والانس خاضع لقضا الله متذلل لمشيته لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل
معناه الا ليوحدون فاما المومن فيوحده اختيارا في الشدة والرخا واما الكافر فيوحده اضطرارا
في الشدة والبلا دون النعمة والرخا ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا احدا من خلقي ولا ان يرزقوا
انفسهم لاني انا الرازق المتكفل لعبادي بالرزق فلكل نفس ما يقيمها من قوتها وما اريد ان يطعمون
اي ان يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله جل جلاله ومن
اطعم عيال احد فقد اطعمه كما صح في حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب
العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده
يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما
علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي
يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك
عبدي فلان فلم تسقه اما انك لو اسقيته لوجدت ذلك عندي اخرجه مسلم ثم بين
سبحانه وتعالى انه الرازق لا غيره فقال تقدس وتعالى ان الله هو الرزاق لجميع خلقه ذو القوة
المتين يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة والعظمة لا يلحقه في افعاله مشقة
فان للذين ظلموا اي من اهل الكتاب ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب
اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود فلا يستعجلون بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيمة
يدل عليه قوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمة وقيل يوم بدر
والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الطور وهي مكية وهي عدد ايا تها

تسع واربعون اية وثلثماية واثني عشر كلمة والف وخمسماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين في احوالنا قوله عز وجل والطور اراد به الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام
عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين وكتاب مسطور اي مكتوب في رق يعني في الاديم
الذي يكتب فيه الصحف منشور اي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده
لموسى من التوراة وموسى يسمع صريف القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة
تخرج اليهم يوم القيامة منشورا فاخذ بيمينه واخذ بشماله وقيل هو القران والبيت المعمور
يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له
الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من افراد مسلم عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى البيت المعمور في السماء السابعة قال واذا هو يدخله كل يوم
سبعون الف لا يعودون اليه قال فاتيت اليها فقلت للملك ما هذا قال هذا بناه
الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك يقدسون الله ويسبحونه لا يعودون فيه
وفي افراد البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم انه راى البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون الف ملك والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور يعني البحر الموقد بمنزلة المسجور
وهو قول ابن عباس وذلك ما روي ان الله سبحانه وتعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا
فيزداد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار
بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذي ذهب ماوه ونضب وقيل هو المختلط العذب
بالملح وروي عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع
ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى فيه اربعين يوما فينبتون
في قبورهم اقسم الله سبحانه وتعالى بهذه الاشيا لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم ان عذاب
ربك لواقع يعني انه حق وكاين ونازل بالمشركين في الاخرة ما له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم
قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت له وهو يصلي باصحابه
المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع
فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم يكن اسلم يوميذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما
كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين متى يقع فقال سبحانه وتعالى يوم
تمور السماء مورا اي تدور كدوران الرحي وتتكفا باهلها تكفي السفينة وقيل تتحرك وتختلف
اجزاوها بعضها في بعض وتضطرب وتسير الجبال سيرا اي تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا
والحكمة في مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان
الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني ادم بذلك

فلما لم يبق لهم عود اليها ازالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة فويل اي فشدة
عذاب يوميذ للمكذبين اي يوم القيمة الذين هم في خوض اي يخوضون في الباطل يلعبون يعني
غافلين لاهين عما يراد بهم يوم يدعون الى نار جهنم دعا يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان
خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى
النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها
هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي في الدنيا افسحر هذا وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله
عليه وسلم الى السحر وانه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي قاسوا شدتها فاصبروا اي على العذاب او لا تصبروا عليه
سوا عليكم اي الصبر والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله عز وجل
ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين اي معجبين بذلك ناعمين بما اتاهم ربهم اي من الخير والكرامة
ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيا اي مامون العاقبة من التخمة
والسقم بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الايمان والطاعة متكين على سرر مصفوفة اي موضوعة
بعضها الى بعض وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا اي الحقنا
اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان ابايهم فان الولد الصغير
يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه الحقنا بهم ذرياتهم يعني المومنين في الجنة بدرجات ابايهم
وان لم يبلغوا باعمالهم درجات ابايهم تكرمة لابايهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية ابن
عباس وفي رواية اخرى عنه ان معنى الاية والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم يعني البالغين
بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان اخبر الله سبحانه وتعالى
انه يجمع لعبده المومن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة
بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من غير ان ينقص الابا من اعمالهم شيا وذلك قوله سبحانه وتعالى
وما التناهم من عملهم من شي يعني ما انقصنا الابا من اعمالهم شيا عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا
دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
الى اخر الاية عن علي قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما
لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اخرج هذين الحديثين
البغوي باسناد الثعلبي كل امري اي كافر بما كسب اي عمل من الشرك رهين اي مرتهن في النار

بجمله والمومن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين
ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى وامددناهم بفاكهة يعني زيادة على ما كان
لهم ولحم مما يشتهون اي من انواع اللحام يتنازعون اي يتعاطون ويتناولون فيها اي في
الجنة كاسا لا لغو فيها اي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا
ولا تاثيم اي لا يكون فيها ما يوثم ولا يجري بينهم ما فيه لغو ولا اثم كما يجري بين شربة
الخمر في الدنيا وقيل لا ياثمون في شربها ويطوف عليهم اي للخدمة غلمان لهم كانهم اي في
الحسن والبياض والصفا لولو مكنون اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو
ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه
وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل
المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب قوله سبحانه وتعالى واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون اي يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا
فيه من التعب والخوف في الدنيا قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي في الدنيا خايفين
من العذاب فمن الله علينا بالمغفرة ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار وقيل هو اسم
من اسما جهنم انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه اي نخلص له الدعا والعبادة انه هو البر قال
ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن
اليهم الذي عم بره جميع خلقه الرحيم بعبيده قوله عز وجل فذكر يعني فعظ يا محمد بالقران
كفار مكة فما انت بنعمة ربك يعني برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة بكاهن ولا مجنون
وهو الذي يوهم انه يعلم الغيب يخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما تقول كفار مكة
انه كاهن ومجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون ام يقولون يعني هولا المقتسمين شاعر اي هو شاعر
نتربص به اي ننتظر به ريب المنون يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من
كان قبله من الشعرا ويتفرق عنه اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن نرجوا ان يكون
موته كموت ابيه والمنون اسم للموت وللدهر واصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل
قل تربصوا اي انتظروا بي الموت فاني معكم من المتربصين اي من المنتظرين حتى ياتي امر الله فيكم
فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي ام تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا وذلك ان عظما قريش
كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من
الباطل ام هم قوم طاغون اي تجاوزوا الحد في الطغيان والكفر ام يقولون تقوله اي اختلق
القران من تلقا نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا
بل لا يومنون اي بالقران استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال تبارك وتعالى فلياتوا بحديث مثله

اي مثل القران في نظمه وحسنه وبيانه ان كانوا صادقين يعني ان محمدا تقوله من قبل
نفسه ام خلقوا من غير شي قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى خلقوا من غير شي
خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة
الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون اي لانفسهم وذلك
في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم
بان لهم خالقا فليومنوا به ويوحدوه ويعبدوه وقيل معنى الاية اخلقوا باطلا لا يحاسبون
ولا يومرون ولا ينهون ام هم الخالقون اي لانفسهم فلا يجب لله عليهم امر ام خلقوا
السموات والارض يعني ليس الامر كذلك بل لا يوقنون اي بالحق وهو توحيد الله وقدرته
على البعث وان الله خالقهم وخالق السموات والارض فليومنوا به ويوقنوا انه ربهم
وخالقهم ام عندهم خزاين ربك يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاوا
وقيل خزاين المطر والرزق ام هم المسيطرون اي المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون
فلا يكونوا تحت امر ولا نهي يفعلون ما يشاوون ام لهم سلم اي مرتقى ومصعد الى السما يستمعون
فيه اي يستمعون عليه الوحي من السما فيعلمون ان ما هم عليه حق فهم به مستمسكون فليات
مستمعهم اي ان ادعوا ذلك بسلطان مبين اي بحجة بينة ام له البنات ولكم البنون هذا انكار
عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ام تسالهم اجرا اي جعلا على ما جيتهم به من النبوة
ودعوتهم اليه من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني اثقلهم ذلك المغرم الذي سالتهم فمنعهم من
الاسلام ام عندهم الغيب اي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبر به الرسول
من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا
ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون اي يحكمون وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم
يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ام يريدون كيدا اي مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون
اي المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار
الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يعني يرزقهم وينصرهم سبحان الله عما يشركون
المعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله سبحانه وتعالى وان يروا كسفا اي قطعة من السما ساقطا هذا
جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السما يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السما عليهم
لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم اي بعضه على بعض يسقينا فذرهم حتى
يلاقوا اي يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يموتون ويهلكون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيا
ولا هم ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع وان للذين ظلموا اي
كفروا عذابا دون ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل
هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان العذاب نازل بهم قوله

عز وجل واصبر لحكم ربك اي الي ان يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به فانك باعيننا
اي بمراى منا قال ابن عباس نري ما تعمل وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك
بمكروه وسبح بحمد ربك حين تقوم اي حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس
خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فيقول قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان
من حين يقوم من الفراش الي ان يدخل في الصلاة عن عاصم بن حميد قال سالت عايشة باي
شي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح قيام الليل فقالت سالتني عن شي ما سالني عليه احد
قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم
اغفر لي واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابو داود
والنساي وقيل اذا قمت الي الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عايشة
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك اخرجه الترمذي وابو داود وقال قد تكلم في احد رواته
وقوله تعالى ومن الليل فسبحه اي فصل له يعني صلاة المغرب والعشا وادبار النجوم يعني الركعتين
قبل صلاة الفجر حتى تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان
بعد المغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قيل ادبار النجوم هي فريضة صلاة
الصبح ق عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور والله
اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة النجم وهي مكية وهي اثنان وستون اية وثلثماية
وستون كلمة والف واربعماية وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على
القوم الكافرين قوله سبحانه وتعالى والنجم اذا هوى قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت
وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشا ابتغى الراعي كسا وجا في
الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شي الا رفع اراد بالنجم
الثريا وقيل هي نجوم السما كلها وهويها غروبها وعلى هذا اللفظ واحد ومعناه الجمع
وفيه روي عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع
وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد بالنجم القران سمي نجما لانه نزل نجوما
متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه
سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج

من السما وجواب القسم قوله سبحانه وتعالى ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ما ضل يعني عن طريق الهدى وما غوى اي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي ان الضلال
هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده
مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية وما ينطق عن الهوى اي بالهوى والمعنى
لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه بل يقول
القران من تلقا نفسه ان هو اي ما هو يعني القران وقيل نطقه في الدين الا وحي يوحى
من الله عز وجل اليه علمه شديد القوى يعني جبرايل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله
اليه وكونه شديد القوى اي اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السما ثم
قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبيا اسرع
من جفنة البصر الطرف ذو مرة اي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو
خلق طويل حسن فاستوى يعني جبرايل عليه السلام ويعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى
استوى جبرايل ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بالافق الاعلى عند مطلع الشمس وقيل
فاستوى يعني جبرايل عليه السلام وهو كناية عن جبرايل عليه السلام ايضا اي قام في صورته
التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبرايل عليه السلام كان ياتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبيا قبله فساله رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض
ومرة في السما فاما التي في الارض فبالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان بحرا فطلع له جبرايل عليه السلام من ناحية المشرق فسد الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم
مغشيا عليه فنزل جبرايل في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح التراب والغبار
عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى واما التي في السما فعند سدرة المنتهى ولم يره احد
من الانبيا على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل
ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اختلف العلما في معنى هذه الاية فروي عن
مسروق بن الاجدع قال قلت لعايشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
قالت ذاك جبرايل كان ياتيه في صورة الرجل وانه اتاه في هذه المرة في صورته التي هي
صورته فسد الافق اخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله تعالى فكان قاب
قوسين او ادنى وفي قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى وفي قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى
قال فيها كلها ان ابن مسعود قال راى جبرايل عليه السلام له ستماية جناح زاد في رواية راى
جبرايل في صورته اخرجه مسلم والبخاري في قوله تبارك وتعالى فكان قاب قوسين او ادنى
فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنا جبرايل بعد استوايه بالافق

الاعلي من الارض فتدلي الي محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادني اي بل ادني
وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره ثم تدلي فدنا لان
التدلي سبب الدنو وقال الاخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلي اي فقرب
منه حتى كان منه قاب قوسين او ادني وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية
شريك بن ابي نمر عن عبد الله عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلي حتى كان منه قاب قوسين
او ادني وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول الي النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد
زاد فيه زيادة مجهولة واتي فيه بالفاظ غير معروفة وقد روي حديث الاسرا جماعة من
الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم
بما اتي في صحيحه في رواية شريك وقدم واخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة
شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلي اي فاهوى
للسجود فكان منه قاب قوسين او ادني والقاب القدر والقوس هو الذي يرمي به وهو رواية
عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبرايل عليه السلام ومحمد
صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذا اشارة الي تاكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب
كان اذا اراد عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما مريدا بذلك
انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين
قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس وادني بل اقرب فاوحي اي اوحي الله
الي عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحي وعن ابن عباس في رواية عنه فاوحي جبرايل عليه السلام
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحي اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير اوحي اليه الم يجدك
يتيما فاوى الي قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى
تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله عز وجل ما كذب الفواد ما راي قرئ بالتشديد
ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راي اي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ
بالتخفيف اي ما كذب فواد محمد صلى الله عليه وسلم الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفواد
فيما راي واختلفوا في الذي راه فقيل راي جبرايل عليه السلام وهو قول ابن مسعود وعايشة
وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معني الروية فقيل جعل بصره في فواده وهو قول
ابن عباس م عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب الفواد ما راي افتمارونه على ما يري ولقد راه
نزلة اخرى قال راه بفواده مرتين وذهب جماعة الي انه راه بعينه حقيقة وهو قول
انس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا راي محمد ربه عز وجل وروي عكرمة عن ابن عباس قال
ان الله سبحانه وتعالى اصطفي ابراهيم بالخلة واصطفي موسي بالكلام واصطفي محمدا بالروية

صلوات

صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وعلى سيدنا محمد افضل الصلاة واتم التسليم
وقال كعب ان الله سبحانه وتعالى قسم رويته وكلامه بين محمد وموسي فكلم موسي مرتين
وراي محمد مرتين اخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت عايشة رضي الله تعالى عنها
تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على روية جبرايل عليه السلام عن
مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه هل راي محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت
اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم راي ربه فقد
كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب
ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ومن حدثك انه
كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه راي جبريل عليه السلام
في صورته مرتين اخرجه في الصحيحين م عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رايت ربك قال نور اني اراه قوله سبحانه وتعالى افتمارونه على ما يري يعني افتجادلونه
على ما يري وذلك انهم جادلوه حين اسري به وقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا
في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه
ولقد راه نزلة اخرى يعني راي جبريل عليه السلام في صورته التي خلق عليها نازلا من السما
نزلة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهي عن ابي
هريرة ولقد راه نزلة اخرى قال راي جبريل وعلى قول ابن عباس يعني نزلة اخرى هو انه
كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسيلة التخفيف من اعداد الصلاة
فتكون لكل عرجة نزلة فراي ربه عز وجل في بعضها وروي عن ابن عباس انه راي ربه بفواده
مرتين وعنه انه راه بعينه عند سدرة المنتهى عن ابن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم انتهي به الي سدرة المنتهي وهي في السما السادسة واليها ينتهي ما يعرج من
الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشي السدرة
ما يغشي قال فراش من ذهب وفي رواية للترمذي اليها ينتهي علم الخلايق لا علم لهم فوق ذلك
وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعد بي الي السما السابعة ثم قال رفعت الي
سدرة المنتهي فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة
المنتهي وفي افراد مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا الي السما السابعة وذكره الي ان قال
فيه ثم ذهب بي الي سدرة المنتهى وان ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال
قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها
من حسنها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهي وانا حاضر فقال كعب انها

سدرة في اصل العرش على روس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب
لا يعلمه الا الله جل جلاله وعن اسما بنت ابي بكر الصديق قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحدث وذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة او قال
يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذي وقال مقاتل
هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو ان ورقة وضعت منها في الارض لاضاءت
لاهل الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد عندها جنة الماوى قال ابن عباس
جنة الماوى ياوي اليها جبرايل والملايكة وقيل ياوي اليها ارواح الشهدا اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال ابن عباس فراش من ذهب وقيل يغشاها ملايكة امثال الغربان وقيل امثال
الطيور وقيل غشيها نور الخلايق وغشيتها الملايكة من حب الله تعالى امثال الغربان حتى يقعن عليها
وقيل نور رب العزة فاستنارت ويروى في الحديث قال رايت على كل ورقة منها ملكا قايما
يسبح الله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام
وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا ولا شمالا وما جاوز ما راى وقيل ما امر به وهذا
وصف ادبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شي سوى ما امر به
وقيل في معنى الاية ان قلنا الذي يغشى السدرة فراش من ذهب كلم يلتفت اليه ولم يشتغل
به وفيه بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقع بصره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى
السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان احدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه
يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور والوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة
ولا غشية كما اخبر عن موسى بقوله سبحانه وتعالى وخر موسى صعقا وذلك انه لما تجلى
رب العزة وظهر نوره على الجبل فانه قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم
ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار
فوصف الله سبحانه وتعالى جل جلاله قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم
بقوله سبحانه وتعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله سبحانه وتعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى
يعني راى صلى الله عليه وسلم الايات العظام وقيل اراد ما راى تلك الليلة في سيره ورجوعه
وقيل معناه لقد راى من ايات ربه الكبرى م عن عبد الله بن مسعود قال لقد راى من ايات ربه
الكبرى قال راى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة جناح خ عنه قال لقد راى من ايات
ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر سد افق السما فصل من كلام الشيخ محيي الدين النواوي
في معنى قوله سبحانه وتعالى ولقد راه نزلة اخرى وهل راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل
ليلة الاسرا قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل راى نبينا صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا فانكرته عايشة كما وقع في صحيح مسلم وجا مثله عن ابي هريرة وجماعة وهو

المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس انه
راه بعينه ومثله عن ابي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود
وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب المقالات عن ابي الحسن الاشعري وجماعة من اصحابه
انه راه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ورويته
الله جل جلاله في الدنيا جايزة وسوال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي
ما يجوز او يمتنع على ربه واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه جل جلاله
ليلة الاسرا بغير واسطة ام لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم
هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله سبحانه وتعالى
ثم دنا فتدلى فالاكثرون على ان هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبرايل والنبي صلى الله عليه وسلم
او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر
ابن محمد وغيرهم انه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه او من الله فعلى هذا القول
يكون الدنو والتدلي متاولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له
ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته
لديه واشراق نور معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه
والدنو من الله سبحانه وتعالى له اظهار ذلك له وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون
قاب قوسين او ادنى على هذا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على
الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله سبحانه وتعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة
هذا اخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين النواوي واما صاحب التحرير فانه اختار
اثبات الروية قال والحجج في المسيلة وان كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك الا باقواها
وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والروية لمحمد صلى الله
عليهم وسلم اجمعين وعن عكرمة قال سيل ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال
نعم وقد روي باسناد لا باس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال راى محمد ربه وكان الحسن
يحلف لقد راى محمد ربه والاصل في المسيلة حديث ابن عباس حبر الامة وعالمها
والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسيلة وساله هل راى محمد
ربه عز وجل فاخبره انه راه ولا يقدح في هذا حديث عايشة لان عايشة رضي الله
تعالى عنها لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت ما ذكرت
متاولة لقول الله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل
رسولا فيوحي اليه ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم
لم يكن قوله حجة واذا صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسيلة باثبات الروية

وجب لمصير الجميع اليهما اتفاقا فانها ليست مما تدرك بالعقل وتوخذ بالظن وانما يتلقى
بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسيلة بالظن والاجتهاد
وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عايشة وابن عباس ما عايشة عندنا باعلم
من ابن عباس ثم ان ابن عباس اثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام
صاحب التحرير في اثبات الروية قال الشيخ محيي الدين النواوي والحاصل الراجح عند اكثر
العلما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بعيني راسه ليلة الاسرا لحديث
ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يوخذ الا بالسماع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك فيه ثم ان عايشة رضي الله عنها لم تنف الروية بحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الايات
وسنوضح الجواب عنها اما احتجاج عايشة بقوله سبحانه وتعالى لا تدركه الابصار فجوابه
ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله سبحانه وتعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة
لا يلزم منه نفي الروية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره واما
احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية فالجواب عنه من اوجه
احدها انه لا يلزم من الروية وجود الكلام حال الروية فيجوز وجود الروية من غير كلام
الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله بعض العلما ان المراد بالوحي
الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الالهام
والروية في المنام وكلاهما يسمى وحيا واما قوله سبحانه وتعالى او من ورا حجاب فقال الواحدي
وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد
ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من
ورا حجاب لم ير المتكلم وقول عايشة في اول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام شعري من الفزع
لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول العرب عند انكار الشي قف شعري واقشعر جلدي
واشمازت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نورٌ انّى اراه فهو بتنوين نور وبفتح
الهمزة في انّى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال المازري الضمير
في اراه عايد على الله تعالى ومعناه ان النور يمنعني من الروية كما جرت العادة باغشا الانوار
الابصار ومنعها عن ادراك ما حالت بين الرائي والمرئي وفي رواية رايت نورا معناه رايت
النور فحسب ولم ار غيره وفي رواية ذات نور انى اراه معناه هو خالق النور المانع من رويته
فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله
سبحانه وتعالى منزه عن ذلك هذا مذهب جميع ايمة المسلمين والله اعلم قوله عز وجل **افرايتم اللات**
والعزى هذه اسما اصنام اتخذوها الهة يعبدونها اشتقوا لها اسما من اسما الله تعالى فقالوا

من الله

من اسم الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تانيث الاعز والمعنى اخبرونا عن هذه الالهة التي
تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شي وقيل كانت
اللات بالطايف وقيل بيت بنخلة كانت قريش تعبدها وقرئ اللات بالتشديد عن ابن
عباس قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج قيل لما مات عكفوا على قبره يعبدونه
وقيل كان في راس جبل له غنيمة يسلي منها السمن وياخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ
منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجل
من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلا السمن فيضعه على صخرة فتاتيه العرب فتلت
به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها تعبدها ثم ذرت الطايف
على موضع اللات واما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عز كفرانك
لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها
واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها
فقال ما رايت فقال ما رايت شيا فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها
واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم
الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن
نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليسا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا
فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع
الذي اخذه من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذه من المروة وقال هذه المروة ثم
اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون
الحجارة الثلاثة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد
ابن الوليد الى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطايف كانت تعبده ثقيف وقوله سبحانه وتعالى
ومناة قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عايشة في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت
حذو قديد وقيل بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبدها
اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها
الثالثة الاخرى الثالثة نعت لمناة اي الثالثة للصنمين في الذكر واما الاخرى فان العرب
لا تقول للثالثة اخرى انما الاخرى هاهنا نعت للثالثة قال الخليل فالها لوفاق رووس الاي كقوله
مارب اخرى ولم تقل العرب اخر وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره افرايتم اللات
والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كانه سبحانه وتعالى قال ومناة الثالثة

المتاخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتيب مراتب وذلك لان اللات كانت وثنا على صورة
ادمي والعزي شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جماد فهي في اخريات المراتب ومعنى الاية هل
رايتم هذه الاصنام حق الروية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا
تنفع وقيل افرايتم ايها الزاعمون ان اللات والعزي ومناة بنات الله الكم الذكر وله الانثى
تلك اذا قسمة ضيزى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملايكة بنات الله كان الرجل
منهم اذا بشر بالانثى يكره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا
قسمة ضيزى قال ابن عباس اي قسمة جايرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجا
غير معتدلة ان هي اي ما هي هذه الاصنام الا اسما سميتموها انتم واباوكم والمعنى انكم سميتموها
الهة وليست بالهة حقيقية ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى
ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة ما انزل الله بها من سلطان اي حجة بما تقولون انها
الهة ان يتبعون الا الظن اي في قولهم انها الهة وما تهوى الانفس يعني هو ما زين لهم
الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا اعبادتهم على مقتضى شهواتهم والذي ينبغي
ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي بالكتاب
المنزل والنبي المرسل ان الاصنام ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار
قوله سبحانه وتعالى ام للانسان ما تمنى معناه ايظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من عبادة
الاصنام اي ليس له الامر كما يظن ويتمنى فلله الاخرة والاولى اي لا يملك احد فيهما شيا الا باذنه
وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الاخرة والاولى يعاقبه
على فعله ذلك ان شا في الدنيا والاخرة وان شا امهله الى الاخرة وكم من ملك في السموات اي ممن
يعبدهم هولاء ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيا يعني ان الملايكة مع علو منزلتهم
لا تغني شفاعتهم شيا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم اخبر سبحانه وتعالى ان الشفاعة
لا تكون الا باذنه فقال تبارك وتعالى الا من بعد ان ياذن الله اي في الشفاعة لمن يشا ويرضى
اي من اهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملايكة الا لمن رضي الله عنه وقيل الا من بعد
ان ياذن الله لمن يشا من الملايكة في الشفاعة لمن يشا الشفاعة له ان الذين لا يومنون بالاخرة
يعني الكفار الذين انكروا البعث ليسمون الملايكة تسمية الانثى اي بتسمية الانثى حيث قالوا انهم
بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس
وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبة روس الاي وقيل ان كل واحد من الملايكة يسمونه تسمية
الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملايكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى
وما لهم به من علم اي بالله سبحانه وتعالى يشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملايكة
اناث ان يتبعون الا الظن اي في تسمية الملايكة بالاناث وان الظن لا يغني من الحق شيا اي لا يقوم

الظن

الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشي بالعلم واليقين
لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله جل جلاله وتقدست اسماوه والمعنى ان الاوصاف الالهية
لا تستخرج بالظنون فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القران وقيل عن الايمان ولم يرد الا الحياة
الدنيا يعني انهم لا يومنون بالاخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر
ثم صغر رايهم فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم ان اثروا الدنيا على
الاخرة وقيل معناه لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملايكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا
على ذلك واعرضوا عن القران والايمان ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
اي هو عالم بالفريقين فيجازيهم باعمالهم ولله ما في السموات وما في الارض وهذا اشارة الى كمال
قدرته وهو معترض بين الاية الاولى وبين قوله سبحانه وتعالى ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى والمعنى انه اذا كان عالما بهم جازى كلا بما يستحقه فيجزي الذين اساوا اي
اشركوا بما عملوا اي من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي وحدوا ربهم بالحسنى يعني الجنة وانما يقدر
على مجازاة المحسن والمسي اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال الله سبحانه وتعالى
ولله ما في السموات وما في الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل الذين يجتنبون كباير الاثم
والفواحش قيل الاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العذاب وقيل هو اسم للافعال المبطية
عن الثواب وقيل فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كباير وصغاير وجمعه اثام والكبيرة
متعارفة في كل ذنب يعظم عقوبته وجمعه كباير والفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه
من الافعال والاقوال وقيل هي ما يخشى من الكباير الا اللمم اي الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل
هو مقاربة المعصية من قولك المممت بكذا اذا قاربته من غير موافقة واختلفوا في معنى
الاية فقيل هو استثنا صحيح واللمم من الكباير والفواحش ومعنى الاية الا ان يلم بالفاحشة
مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن وفي رواية عن
ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك قال ابو صالح سيلت عن قول الله
عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال
اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قول الله سبحانه وتعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش
الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قيل اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين
بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثنا منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا
اللمم من الكباير والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يواخذهم
الله به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله
عز وجل هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب

كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابي هريرة والشعبي
والرواية الاخرى عن ابن عباس وعن ابن عباس قال ما رايت شيا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة
فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي ذلك والفرج يصدق ذلك
او يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر
والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا
والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما ان كل
ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلاة الخمس
وصوم رمضان ما لم يبلغ الكباير والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم
المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب اي خطر وقيل اللمم النظر من غير عمد فهو
مغفور فان عاد النظر فليس بلمم بل هو ذنب فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها
عن الصغيرة قال العلما اكبر الكباير الشرك بالله وهذا ظاهر لا خفا به لقوله سبحانه وتعالى
ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر
وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار
يوم الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكباير التي ورد بها النص فلها تفاصيل واحكام تعرف
مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد المترتبة عليها وعلى هذا يقال في كل واحدة
منها من اكبر الكباير بالنسبة الى ما دونها وقد جا عن ابن عباس انه سيل عن الكباير اسبع هي فقال الى
السبعين اقرب وفي رواية الى السبعماية اقرب وقد اختلف العلما في حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة
فجا عن ابن عباس كل شي نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وحكاه
القاضي عياض عن المحققين واحتج القايلون بهذا بان كل مخالفة سميت بالنسبة الى جلال الله
كبيرة فمذهب الجمهور من السلف والخلف من جميع الطوايف الى انقسام المعاصي الى كباير وصغاير
قد تظاهرت على ذلك دلايل الكتاب والسنة واستعمال السلف الايمة واذا ثبت انقسام
المعاصي الى صغاير وكباير فقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس انه قال الكباير كل ذنب
ختمه الله تعالى بنار جهنم او غضب ولعنة او عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما وعد
الله عليه بنار في الاخرة او حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط
الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المومن من غير استشعار خوف او احداث ندم كتهاون في
ارتكابها والتجري عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على
فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمزج به فيعظم التلذذ بالمعصية
فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا اردت
معرفة

معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكباير المنصوص عليها
فان نقصت عن اقل مفاسد الكباير فهي من الصغاير وان ساوت ادنى مفاسد الكباير او زادت عليه
فهي من الكباير فمن امسك امراة محصنة لمن يزني بها او امسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة
ذلك اعظم من اكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكباير وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين
مع علمه بانهم يستاصلون بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة اعظم من توليه بغير الزحف
مع كونه من الكباير وكذا لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان يعلم
انه يوخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكباير قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة
كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق
فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب
او السنة ومنها ما وصف فاعلها بالفسق او يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض
ونحو ذلك والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى ان ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم
تاب واناب روي عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار
ومعناه ان الكبيرة تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها
وقيل في حد الاصرار هو ان تكون منه الصغيرة اصرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه ثم الكلام
عند قوله سبحانه وتعالى ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدا فقال تعالى هو اعلم بكم اي قبل ان
يخلقكم وهو قوله اذ انشاكم من الارض اي خلق اباكم ادم من التراب واذ انتم اجنة جمع جنين في
بطون امهاتكم سمي جنينا لاستتاره في بطن امه فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال
الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صايرة فلا تزكوا انفسكم اي لا تبروها من الاثام
ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل في معنى الاية هو اعلم بكم ايها المومنون علم ما لكم من خلقكم
الى اخر يومكم فلا تزكوا انفسكم زكا وحيالا ولا تقولوا لمن لا تعرفوا حقيقته انا خير منك وانا ازكى
منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله سبحانه وتعالى
يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله هو اعلم بمن اتقى اي بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى
الاية فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكا العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها
الى الزكا والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا
قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم ادم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل نزلت في اناس يعملون اعمالا
حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله سبحانه وتعالى فيهم هذه الاية قوله عز وجل
افرايت الذي تولى نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره
بعض المشركين وقال له اتركت دين الاشياخ وضللتهم قال اني خشيت عذاب الله فضمن الذي
عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ان يرجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى

الذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله عز وجل افرايت الذي تولى اي ادبر واعرض عن الايمان واعطى قليلا اي من الخير بلسانه واكدى اي قطعه وامسكه ولم يتمم بالعطية وقيل نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى اي لم يؤمن به ومعنى اكدى اي قطع واصله من الكدية وهي حجر تظهر في البير يمنع من الحفر اعنده علم الغيب فهو يرى اي ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ام لم ينبا اي يخبر بما في صحف موسى اي اسفار التوراة وابراهيم اي ويخبر بما في صحف ابراهيم الذي وفى اي كمل وتمم ما امر به وقيل عمل ما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شان المناسك روى البغوي بسنده عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى قال اربع ركعات اول النهار وعن ابي الدرداء وابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن ادم اركع لي اول النهار اكفيك اخره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل فيقتل اباه وابنه واخاه وامراته وعبده به حتى كان ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى اي عمل وهذا في صحف ابراهيم وموسى ايضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الاباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما في هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنده ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت اينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية ان سعد بن عبادة اخا بني سعد وذكر نحوه اخرجه البخاري وعن عايشة ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت واظن لو تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في الصحيحين في حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي واحمد وجماهير العلماء ان حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الاخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذا اجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه

للاحاديث

للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القران لا يصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل واما الصلوات وساير التطوعات فلا يصله عند الشافعي والجمهور وقال احمد يصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل المراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الاخرة خير روي ان عبد الله بن ابي بن سلول كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجايز ان يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه وان سعيه سوف يرى اي يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمومن وذلك ان الله سبحانه وتعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزاه اي السعي الجزاء الاوفى اي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه بالجزاء الاوفى قوله عز وجل وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الاخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها السامع او العاقل كاين من كان المنتهى فهو تهديد بليغ وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتدا المنة واليه انتهاء الامال روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى لا فكرة في الرب ولهذا اشباهها ورد عن ابي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا يحيط به ومعناه لا فكرة في الرب اي انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى ساير المخلوقات الممكنة علمت انها لا بد لها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو الشان الى وجوده ووحدانيته مجل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته وانه هو اضحك وابكى اي القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكا ففيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان بقضا الله وقدره حتى الضحك والبكا قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من ماية مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشيا من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسيل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل وعن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم

لهم خنين هو بالخا المعجمة اي بكا مع صوت يخرج من الانف وانه هو امات واحيى اي امات في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الابا واحيا الابنا وقيل امات الكافر بالنكرة واحيا المومن بالمعرفة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شي لا يصل اليه فهم العقلا ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله جل جلاله وخلقه لا بفعل الطبيعة من نطفة اذا تمنى اي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شي واحد يخلق الله منها اعضا مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يوكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيرها كما لم يدع احد ان يدعي خلق السموات والارض وان عليه النشاة الاخرى اي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة وانه هو اغنى واقنى اي اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهو اصول الاموال وما يدخرون بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى اي اعطى فارضى وقيل اغنى يعني رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شي لان الغنى ضد الفقير واقنى اي زاد فوق الغنى وانه هو رب الشعرى اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السما عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له به لخلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضي خلف الجوزا ويسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية وشامية يقال لاحدهما العبور والاخرى الغميصا سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما واراد ها هنا بها الشعرى العبور وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى والخلق هلاكا بعد قوم نوح وثمودا وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم احدا وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق انهم كانوا هم اظلم واطغى يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب والموتفكة يعني قرى قوم لوط اهوى اي اسقط وذلك ان جبرائيل عليه السلام رفعها الى السما ثم اهواها فغشاها اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة المنضودة المسومة فباي الا ربك تتمارى اي تشك ايها الانسان وقيل اراد الوليد ابن المغيرة قال ابن عباس تتمارى اي تكذب هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذر الرسل من قبله ازفت الازفة اي دنت القيامة واقتربت الساعة ليس لها من دون الله

كاشفة اي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر يعني الكشف كالعاقبة والمعنى لا يكشف غيبها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدايدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد قوله سبحانه وتعالى افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون وتضحكون اي استهزا ولا تبكون اي مما فيه من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغنا بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا واصل السمود في اللغة رفع الراس ماخوذ من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمغني وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب متبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض فاسجدوا لله يعني ايها المومنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة واعبدوا اي اعبدوا الله وانما قال سبحانه وتعالى واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في اخره وهو امية بن خلف خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس ق عن زيد بن ثابت قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله سبحانه وتعالى لم يكتبها علينا الا ان نشا وذهب قوم الى وجوبها على القاري والمستمع وهو قول سفيان واصحاب الراي والله اعلم

تفسير سورة القمر وهي مكية عددها خمس وخمسون اية وثلثماية واثنان وعشرون كلمة والف واربعماية وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقتربت الساعة اي دنت القيامة وانشق القمر قيل فيه تقديم وتاخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من ايات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن انس ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن ابن عمر قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد اعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه الترمذي زاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم راوه فيكذبونهم قال انما تل انشق القمر بشر التام بعد ذلك وروي مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسالوا السفار فقالوا نعم قد رايناه فقال الله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القران المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مومن وقد اخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرحه صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشا كما يفنيه ويكوره في اخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في رويته ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب العلما عن هذا بان الانشقاق قد حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السما او ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف الشمس وغيره مما يحدث في السما في الليل من العجايب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا احاد الناس ولا علم عند غيره بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق اية عظيمة حصلت في الليل لقوم سالوها واقترحوا رويتها فلم يتاهب غيرهم لها قال العلما وقد يكون القمر حينيذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غايبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم وقيل في معنى الاية سينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله سبحانه وتعالى ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد مفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله سبحانه وتعالى **وان يروا اية يعرضوا** دليل على وجود هذه الاية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله سبحانه وتعالى وان يروا اية اي تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالاية هنا انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق بها **ويقولوا سحر مستمر** اي دايم مطرد وكل شي دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما راوا تتابع المعجزات وترادف الايات قالوا هذا سحر مستمر اي قوي محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر اي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا لها **وكذبوا** يعني النبي صلى الله عليه وسلم

وما عاينوا من قدرة الله **واتبعوا اهواءهم** اي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر **وكل امر مستقر** اي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقيل وكل امر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كاين وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من اموره مستقر وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين انه حق **ولقد جاءهم** يعني اهل مكة **من الانبا** اي من اخبار الامم المكذبة في القران **ما فيه مزدجر** اي منتهى وموعظة **حكمة بالغة** يعني القران حكمة تامة قد بلغت الغاية **فما تغن النذر** يعني اي شي تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم **فتول عنهم** اي اعرض عنهم نسختها اية القتال **يوم يدع الداعي** اي اذكر يا محمد يوم يدع الداعي هو اسرافيل ينفخ في الصور قايما على صخرة بيت المقدس **الى شي نكر** اي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما **خاشعا** وقرئ خشعا **ابصارهم** اي ذليلة خاضعة عند روية العذاب **يخرجون من الاجداث** اي من القبور **كانهم جراد منتشر** مثل كثرتهم ويموج بعضهم في بعض حيارى فزعين **مهطعين** اي مسرعين مادي اعناقهم مقبلين **الى الداعي** اي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم **يقول الكافرون هذا يوم عسر** اي صعب شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم شديد على الكافرين لا على المومنين قوله سبحانه وتعالى **كذبت قبلهم** اي قبل اهل مكة **قوم نوح فكذبوا عبدنا** يعني نوحا **وقالوا مجنون وازدجر** اي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لين لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين **فدعا** يعني نوحا **ربه** وقال **اني مغلوب** اي مقهور **فانتصر** اي فانتقم لي منهم **ففتحنا ابواب السما** قيل هو على ظاهره وللسما ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسما ابوابا وقيل هو على الاستعارة فالظاهر ان يكون المطر من السحاب **بما منهمر** اي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع اربعين يوما **وفجرنا الارض عيونا** تسيل بالما **فالتقى الما** يعني ما السما وما المطر **على امر قد قدر** اي قضي عليهم في ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الماآن سوا فكانا على ما قدر **وحملناه** يعني نوحا **على ذات الواح** اي سفينة ذات الواح واراد بالالواح خشب السفينة العريضة **ودسر** اي مسامير تشد الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها واضلاعها وطرفاها **تجري** يعني السفينة **باعيننا** اي بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا **جزا لمن كان كفر** يعني فعلنا ذلك به وبهم من انجا نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كفر به وجحد امره ومن بمعنى اي جزا لمن كان كفر من ايات الله ونعمه عند الذين غرقهم وقيل جزا لما صنع بنوح واصحابه **ولقد تركناها اية** يعني الفعلة التي فعلنا بهم اية يعتبر بها وقيل اراد ابقا هذه

الامة فهل من مدكر اي متذكر معتبر متعظ خايف مثل عقوبتهم ق عن ابن مسعود قال قرات
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم مذكر فردها علي مدكر وفي رواية اخري سمعته يقول ادالا
فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري ولقد يسرنا القران للذكر اي سهلنا القران ليتذكر ويعتبر
به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراة وليس شي من كتب الله يقرا كله ظاهرا الا القران
فهل من مدكر اي متعظ بمواعظه وفيه الحث علي تعليم القران والاشتغال به لانه قد سهله الله
ويسره علي عباده بحيث يسهل حفظه علي الصغير والكبير والعرب والعجم وغيرهم قوله عز
وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري لهم بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
اي شديدة الهبوب في يوم نحس مستمر اي يوم شوم مستمر اي دايم الشوم استمر علي
جميعهم بنحوسه فلم يبق منهم احدا الا هلك فيه قيل كان ذلك اليوم يوم الاربعا في اخر
الشهر تنزع الناس اي الريح تقلعهم ثم ترمي به علي رووسهم تدق رقابهم قيل كانت تنزعهم
من قبورهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصول النخل منقعر اي منقطع من مكانه ساقط علي
الارض قيل كانت الارض تبين روسهم من اجسامهم فتبقي اجسامهم بلا روس كعجز النخلة الملقا
فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر قوله سبحانه وتعالي كذبت ثمود بالنذر
اي بالنذر الذي جاهم به صلح فقالوا ابشرا منا واحدا يعني ادميا واحدا نتبعه اي ونحن جماعة
كثيرة انا اذا لفي ضلال اي خطا وذهاب عن الصواب قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب
وقيل انا لفي عنا وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق االقي
الذكر عليه يعني انزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب اشر اي بطر مستكبر يريد ان يتعظم علينا
بادعايه النبوة سيعلمون غدا اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما
ذكر الغد للتقريب من الكذاب الاشر اي صالح ام من كذبه انا مرسلوا الناقة اي باعثوها
ومرسلوها ومخرجوها من الهضبة الذي سالوا وذلك انهم تعنتوا علي صالح فسالوا ان
يخرج لهم من صخرة ناقة حمرا عشرا فقال الله سبحانه وتعالي انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اي محنة واختبارا
لهم فارتقبهم اي انتظر ما هم صانعون واصطبر اي علي اذاهم ونبيهم اي اخبرهم ان الماء قسمة
بينهم اي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالي بينهم تغليبا للعقلا كل شرب
اي نصيب من الما محتضر اي يحضره من كان نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان
يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الما اذا غابت الناقة فاذا جات حضروا
اللبن فنادوا صاحبهم يعني قدار بن سالف فتعاطي اي فتناول الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة
فكيف كان عذابي ونذر ثم بين عذابهم فقال تبارك وتعالي انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
يعني صيحة جبرايل فكانوا كهشيم المحتظر قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة
من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر

البالي

البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح والمعني انهم صاروا كالهشيم الشجر اذا بلي وحطم
وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحايط ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر قوله سبحانه وتعالي كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا يعني الحصبا
وهي الحجارة التي دون ملي الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلي هذا يكون المعني انا ارسلنا عليهم
عذابا يحصبهم اي يرميهم بالحجارة ثم استثني فقال تعالي الا ال لوط يعني لوطا وابنتيه
نجيناهم من العذاب بسحر نعمة من عندنا اي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم كذلك
نجزي اي كما انعمنا علي ال لوط كذلك نجزي من شكر يعني من وحد الله سلم من عذابه مع المشركين
ولقد انذرهم اي لوط بطشتنا اي اخذنا اياهم بالعقوبة فتماروا بالنذر اي شكوا بالانذار
فكذبوا ولم يصدقوا ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه فطمسنا
اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقال الرسل للوط خل
بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبرايل بجناحه
فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الي الباب فاخرجهم لوط عميا لا يبصرون
ومعني فطمسنا اعينهم اي صيرناها كساير الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم
فلا يروا الرسل فقالوا قد راينا هم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر
يعني ما انذركم به لوط من العذاب ولقد صبحهم بكرة اي جاهم وقت الصبح عذاب مستقر اي دايم
استقر فيهم حتي افضي بهم الي عذاب الاخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر قوله سبحانه وتعالي ولقد جا ال فرعون النذر يعني موسي وهرون عليهما السلام وقيل
النذر الايات التي انذرهم بها موسي كذبوا باياتنا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اي بالعذاب
اخذ عزيز مقتدر اي غالب في انتقامه قادر علي اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال
تبارك وتعالي اكفاركم خير من اوليكم يعني اقوي واشد من الذين حلت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد
وثمود وقوم لوط وال فرعون وهذا استفهام انكاري اي ليسوا باقوي منهم ام لكم براة من العذاب
في الزبر اي الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية ام يقولون يعني كفار مكة نحن جميع اي امرنا
منتصر اي من اعدايها والمعني نحن يد واحدة علي من خالفنا ننتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون
لموافقة روس الاي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم علما اي كل واحد منهم عالم
قال الله سبحانه وتعالي لهم سيهزم الجمع يعني كفار مكة ويولون الدبر اي الادبار فوحد لاجل روس الاي
وقيل في الافراد اشارة الي انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا يثبت
احد للزحف فهم في ذلك كدبر واحد خ عن ابن عباس قال قال النبي صلي الله عليه وسلم وهو في
قبة يوم بدر اللهم انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شيت لا تعبد بعد اليوم فاخذ ابو بكر
بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت علي ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم

الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر
وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري
اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر فعلمت تاويله بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة ادهى وامر
اي اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر قوله عز وجل ان المجرمين يعني
المشركين في ضلال وسعر قيل في بعد عن الحق وسعر اي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في
الدنيا ونار مستعرة في الاخرة وقيل في ضلال اي عن طريق الجنة وعذاب الاخرة ثم بين
عذابهم فقال تعالى يوم يسحبون اي يجرون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر
اي ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر اي مقدور
ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شي من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن
عباس كل شي بقدر حتى وضعك على خدك فصل في سبب نزول هذه الاية وما ورد
في القدر وما قيل فيه م عن ابي هريرة قال جات مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه
في القدر فنزلت هذه الاية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله سبحانه وتعالى انا كل شي خلقناه بقدر
م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله سبحانه وتعالى مقادير
الخلايق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الما م عن طاوس قال
ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شي بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شي بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز عن علي بن ابي
طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن عبد حتى يومن باربعة يشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله بعثني بالحق ويومن بالموت وبالبعث بعد الموت ويومن بالقدر اخرجه الترمذي
وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن عبد حتى يومن بالقدر خيره وشره
وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال حديث حسن
غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل
المتفق عليه وتومن بالقدر خيره وشره قال صدقت فصل في ذم القدرية عن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة القدرية الذين
يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوهم ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة
الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال وله عن ابي هريرة مثله وزاد قال لا تجالسوهم
ولا تفاتحوهم في الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهم
في الاسلام نصيب المرجية والقدرية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى ابن
الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلايق يوم

القيامة امر مناديا ينادي نداء يسمعه الاولون والاخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية
فيامر بهم الى النار يقول الله جل جلاله ذوقوا مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر قال ابن الجوزي
وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون في انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها
وروي عن الحسن والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما
حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شي خلقناه
بقدر قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله تعالى اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر
ومعناه ان الله سبحانه وتعالى قدر الاشيا في القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة
عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت
القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة
العلم اي انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن اقوالهم
الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب المقالات من المتكلمين
وقد انقرضت القدرية القايلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه
وصارت القدرية في الازمان المتاخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من
غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى ابو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وابو
المعالي امام الحرمين في كتاب الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية
بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين وهذا تمويه من هولا
الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال
الى الله تعالى وهولا الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعي الشي لنفسه ومضيفه اليها اولى
بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم
الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفا باختصاص هذا
الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه ابو حازم عن ابن عمر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود في سننه والحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين
وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم صلى
الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة
يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية
يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شي الخير والشر جميعا لا يكون
شي منهما الا بمشيته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده
فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضا والقدر اجبار الله سبحانه

وتعالى العبد وقهره على ما قدره وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله
بما يكون من اكتساب افعال العباد وصدورها عن تقدير منه وحلولها خيرها وشرها قال والقدر
اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشي وقدرته وقدرته بالتخفيف والتثقيل
بمعنى واحد والقضا في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن
وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل
من السلف والخلف على اثبات قدر الله جل جلاله وقد قرر ذلك ايمة المتكلمين احسن تقرير بدلايل
القطعية والسمعية والعقلية والله اعلم واما معاني الاحاديث المتقدمة فقوله جا مشركوا قريش
الى قوله انا كل شي خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله سبحانه وتعالى
بمراده له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة
وعرشه على الما المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ او غيره لا اصل القدر فان
ذلك ازلي لا اول له وقوله وعرشه على الما اي قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شي بقدر
حتى العجز والكيس او قال الكيس والعجز والعجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف
وتاخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في امور الدنيا والاخرة والكيس
ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه
قوله سبحانه وتعالى وما امرنا الا واحدة اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما امرنا
للشي اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا اراد الله سبحانه
وتعالى شيا قال له كن فيكون سبا نا لارادة والقول فالارادة قدر والقول قضا وقوله واحدة فيه
بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر كلمح بالبصر قال ابن عباس يريد ان قضاي
في خلقي اسرع من لمح البصر وعن ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجي الساعة في السرعة الا كطرف البصر
ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظراكم في الكفر من الامم السالفة فهل من مدكر اي متعظ ان ذلك
حق فيخاف ويعتبر وكل شي فعلوه يعني الاشياع من خير وشر في الزبر اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح
المحفوظ وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم واجالهم مستطر اي مكتوب قوله عز وجل ان المتقين
في جنات اي بساتين ونهر اي انهار وانما وحده لموافقة رؤوس الاي واراد انهار الجنة من الما والخمر
واللبن والعسل وقيل معناه في ضيا وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم في مقعد صدق
اي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وقيل في مجلس حسن وقيل مقعد لا كذب فيه لان الله سبحانه
وتعالى صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق عند مليك قيل معناه قرب المنزلة
والتشريف لا بمعنى المكان مقتدر اي قادر لا يعجزه شي وقيل مقربين عند مليك امره في الملك
والاقتدار اعظم شي فلا شي الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع
للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله سبحانه وتعالى المكان بالصدق

فلا

فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم بمراده واسرار كتابه نفسير سورة الرحمن عز
وجل وهي مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول ابن عباس عن القراءة وهي ثمان وسبعون اية
وثلثماية واحدى وخمسون كلمة والف وستماية وستة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الرحمن علم القران قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه
وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله سبحانه وتعالى الرحمن يعني الذي انكرتموه هو الذي علم القران
وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال سبحانه وتعالى الرحمن علم القران
يعني علم محمدا القران وقيل علم القران يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد
نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القران العزيز لانه اعظم وحي الله
الى انبيائه واشرف منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثرها ذكرا واحسنه في ابواب الدين
اثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البرية خلق الانسان يعني ادم عليه السلام
قاله ابن عباس علمه البيان علمه اسما كل شي وقيل علمه اللغات كلها فكان ادم عليه السلام يتكلم
بسبعماية لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون
المعنى علمه البيان اي النطق الذي يتميز به عن ساير الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام
حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان
محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لانه كان صلى الله عليه وسلم يبين
عن خبر الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والاحكام قوله
عز وجل الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحسبان ومنازل لا يعدونها وقيل يعني بهما بحسب
الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدرك احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان
هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور بدورانه والرحى بدورانه والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له
ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتا وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب
وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان
في مقابلة سماويين والسما رفعها اي فوق الارض ووضع الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه الة العدل
والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله سبحانه وتعالى الا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد
به الالة التي يوزن بها ليتوصل بها الى الانصاف واصل الوزن التقدير ولا تطغوا في الميزان اي لئلا
تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان واقيموا الوزن بالقسط اي بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان
بالعدل وقيل الاقامة بالعدل باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا اي ولا تنقصوا الميزان ولا تطففوا
في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتدا وزيادة وعن الخسران الطغيان
الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله
والحث عليه والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الما للانام اي للخلق الذي بثهم فيها وهو كلما ظهر

عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها اي في الارض فاكهة اي من التي يتفكه بها
ثمنها الحنطة والشعير ونحوهما من انواع الفواكه وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى
والنخل ذات الاكمام يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلافه وهو الطلع
ما لم ينشق وكل شي ستر شيا فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر سبحانه وتعالى على ذكر النخل من بين
ساير الشجر لانها اعظمها واكثرها بركة والحب يعني جميع الحبوب وانما ذكر الحب على سبيل الارتقا
الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن ذو العصف قال ابن عباس يعني التبن
وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق الزرع وقيل العصف
ورق كل شي يخرج منه الحب يبدو اولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما
ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان يعني الرزق قال ابن عباس كل ريحان وقع في القران فهو رزق وقيل
هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب
الانس والجن فقال سبحانه وتعالى فباي الاء ربكما تكذبان يعني ايها الثقلان يريد من هذه الاشيا
المذكورة وكرر هذه الاية في هذه السورة في احدى وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتاكيدا للتذكير
بها عدد على الخلق الاءه وفصل بين كل نعمتين بما نبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول
الرجل لمن احسن اليه وتابع عليه الايادي وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا
الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا ومثل هذا الكلام شايع
في كلام العرب وحسن تقريرا وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته
من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسما والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه
خاطب الانس والجن فقال تعالى فباي الاء ربكما تكذبان من الاشيا المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم
عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها
فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله تعالى
فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشي من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب وفي رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه ولا بشي قوله عز وجل خلق الانسان
من صلصال يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت فيه اذا نقر كالفخار يعني الطين المطبوخ
بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو ادم فقال
سبحانه وتعالى من تراب وقال من حما مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا
من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله
جل جلاله خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حما مسنونا وهو الطين
الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار وخلق الجان وهو ابو الجن وقيل ابليس من مارج من نار
يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر

والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت فباي الاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين
يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتا وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر
ومغرب الشمس ومغرب القمر فباي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين يعني ارسل البحرين العذب والمالح
متجاورين متلاقيين بلا فصل بين الماءين لان من شانهما الاختلاط وهو قوله سبحانه وتعالى يلتقيان
لكن الله منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله تعالى بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله لا يبغيان
اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق
وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم
بينهما برزخ يعني الجزاير وقيل بحر السما وبحر الارض يلتقيان يعني كل عام فباي الاء ربكما
تكذبان يخرج منهما قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا
وقيل المراد يخرج من احدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشي الواحد جاز
ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من
ما السما وما البحر قيل اذا امطرت السما فتحت الاصداف افواهها فحيث ما وقعت قطرة كانت لؤلؤة
على قدر القطرة وقوله تعالى اللؤلؤ قيل هو ما عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل
المرجان هو الخرز الاحمر فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار يعني السفن الكبار المنشات اي المرفوعات
وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وقيل هو ما رفع قلعها من السفن فاما ما لم يرفع قلعها فليس
من المنشات وقيل معنى المنشات المحدثات المخلوقات المسخرات في البحر كالاعلام اي كالجبال جمع
علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر فباي الاء ربكما تكذبان قوله عز وجل
كل من عليها فان اي على الارض من حيوان وانما ذكر بلفظة من تغليبا للعقلا فان اي هالك لان وجود
الانسان في الدنيا عرض فهو غير باق وكل ما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف
الزمن اليسير الى الطاعة ويبقى وجه ربك يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب
وجهان احدهما انه مع كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني
انه يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال اي العظمة والكبريا ومعناه
الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه والاكرام اي المكرم لانبيائه واوليائه وجميع خلقه
بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته فباي الاء ربكما تكذبان عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي قال الحاكم حديث
صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا منها قوله عز وجل يساله من في السموات
والارض يعني من ملك وجن وانس لا يستغني عن فضله اهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل
السموات يسالونه المغفرة واهل الارض يسالونه الرزق والمغفرة وقيل لكل احد يساله الرحمة
وما يحتاج اليه في دينه ودنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم

فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الي الله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شان قيل نزلت
ردا على اليهود حيث قالوا ان الله سبحانه لا يقضي يوم السبت شيا قال المفسرون من شانه
انه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل اخرين ويشفي مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا
ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سايلا ويغفر ذنبا ويذل قوما ويعز قوما الى ما لا يحصى
من افعاله واحداثه في خلقه ما يشا سبحانه وتعالى روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضا دفتاه من ياقوتة حمرا قلمه نور وكتابته نور
ينظر الله فيه كل يوم ثلثماية وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل
ما يشا فذلك قوله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شان قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان
احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة والشان الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا
الاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا والمنع وشان يوم القيامة الجزا والحساب
والثواب والعقاب وقال ابن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل
كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كاين فاذا جا ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل
فيوجده في ذلك الوقت وقال ابو سليمان الداراني في هذه الاية له في كل يوم الى العبيد بر جديد
وقيل شانه انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الابا الى ارحام الامهات
وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله سبحانه وتعالى
فباي الا ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة
وليس هو فراغ من شغل لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شان عن شان فهو كقول القايل لمن
يريد تهديده لاتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر
الشان قيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في اموركم فهو كقول القايل الذي لا شغل له
قد فرغت الي وقيل معناه ان الله سبحانه وتعالى وعد اهل التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ
لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه
فهو على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقل على الارض احيا وامواتا
وقيل كل شي له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك
فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق
سمي الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب فباي الا ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي من جوانبها واطرافها فانفذوا اي فاخرجوا
والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت والخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا
منها فحيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا
من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم

ان تهربوا من قضايي وتخرجوا من ملكي ومن سمايي وارضي فافعلوا وقدم الجن على الانس في هذه الاية
لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على ذلك ثم قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان
يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة واني لكم ذلك لانكم حيث ما توجهتم
كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض
فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله تعالى فباي الا ربكما تكذبان وفي الخبر يحاط
على الخلق بالملايكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض الاية فذلك قوله سبحانه وتعالى يرسل عليكما شواظ من نار قال اكثر
المفسرين هو اللهب الذي لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار ونحاس قيل
هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على روسهم وهو الرواية
الثانية عن ابن عباس وقال ابن عباس النحاس المهل وقيل يرسل عليهم هذا مرة وهذا مرة وقيل
يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر فلا تنتصران اي لا تمتنعان من الله ولا يكون لكم
ناصر منه فباي الا ربكما تكذبان فاذا انشقت السما اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملايكة
وقيل المراد منه خراب السما وذلك لما قال سبحانه وتعالى كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ذكر
في هذه الاية بيان حال سكان السما وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ما هو اعظم
من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السما وذوبانها وهو قوله سبحانه وتعالى فكانت وردة
كالدهان جمع دهن شبه تلون السما حين انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب
الى الحمرة وقيل ان السما تتلون يوميذ الوانا كلون الفرس الورد فتكون في الربيع اصفر وفي اول الشتا
احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السما بتلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل
كالدهان اي كعصر الزيت وقيل لانه يتلون في الساعة الوانا وقيل تصير السما كالدهن الذايب وذلك
حين يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان اي كالاديم الاحمر فباي الا ربكما تكذبان فيوميذ لا يسيل عن ذنبه
انس ولا جان قيل لا يسالون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله سبحانه وتعالى علمها منهم وكتبتها
الحفظة عليهم وهذه رواية ابن عباس وعنه لا تسال الملايكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم
دليله ما بعده وعن ابن عباس ايضا في الجمع بين هذه وبين قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين
قال لا يسالهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسالهم لم عملتم كذا وكذا وقيل
انها مواطن فيسال في بعضها ولا يسال في بعضها وعن ابن عباس ايضا قال لا يسالون سوال شفا
ورحمة انما يسالون سوال التقريع والتوبيخ وقيل لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم فباي الا ربكما تكذبان
يعرف المجرمون بسيماهم يعني بسواد وجوههم وزرقة عيونهم فيوخذ بالنواصي والاقدام قيل تجعل
الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ظهره وقيل تجعل روسهم على ركبهم ونواصيهم في اصابع
ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام ثم يلقون في النار فباي الا ربكما تكذبان

منه جهنم اي يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها التي يكذب بها المجرمون يعني المشركين يطوفون
بينها وبين حميم ان يعني قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فاذا استغاثوا
من النار جعل عذابهم الحميم الان الذي صار كالمهل وقال كعب الاحبار الان واد من اودية جهنم يجمع
فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه
وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله سبحانه وتعالى يطوفون بينها وبين
حميم ان فباي الاء ربكما تكذبان قلت هذه الامور المذكورة في هذه الاية زواجر ومواعظ
وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما فحسن ختم كل اية
منها بقوله سبحانه وتعالى فباي الاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعده الله لمن اتقاه وخافه من عباده المومنين
فقال عز من قايل ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية
وقيل مقام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها
من مخافة الله جل جلاله وقيل لمن راقب الله في السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه
من خشية الله وما عمل من خير اخلصه لله ولا يحب ان يطلع عليه احد وقيل ان المومنين خافوا
ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودابوا الليل والنهار جنتان يعني جنة عدن وجنة نعيم
وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذي
قوله ادلج الادلاج مخففا سير اول الليل ومثقلا سير اخر النهار والمراد من الادلاج التشمير
والجد والاجتهاد في اول الامر فان من سار من اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل روى البغوي بسنده
عن ابي الدردا انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان
قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان
فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف
مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان سرق وان زنا يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدردا
فباي الاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال عز من قايل ذواتا افنان اي اغصان واحدها فنن
وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظلال الاغصان على الحيطان قال ابن عباس ذواتا
الوان يعني الوان الفواكه وجمع عطا بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفواكه وقيل ذواتا
فضل وسعة على ما سواها فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة
والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالما الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل
احداهما من ما غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة
زوجان اي صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال
ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فباي الاء ربكما
تكذبان متكئين على فرش جمع فراش بطاينها جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة
من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة هذه البطاين فما ظنكم بالظواهر
وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله سبحانه وتعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال بطاينها من استبرق وظاهرها من نور جامد
وقال ابن عباس وصف البطاين وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر وقيل
ظواهرها من السندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية فرش هذه الفرش لانه ذكر
بطاينها من الاستبرق ولا بد ان تكون الظهاير خيرا من البطاين فهو مما لا يعلمه البشر وجنا الجنتين
دان يعني ان ثمرها قريب فيناله القايم والقاعد والنايم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا
بكد وتعب وقال ابن عباس تدنو الثمرة حتى يجنيها ولي الله ان شا قايما وان شا قاعدا وقيل لا يرد ايديهم
عنها بعد ولا شوك فباي الاء ربكما تكذبان فيهن فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع
سبحانه وتعالى بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف اي غاضات
الاعين قصرن طرفهن الا على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يرون سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها
وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي خلقك زوجي وجعلني زوجتك لم
يطمثهن اي لم يجامعهن ولم يفترعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول
الفرزدق خرجن الي لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام اي لم يمسسن والمعنى لم يطاهن ولم
يغشهن انس قبلهم ولا جان اي قبل ازواجهن من اهل الجنة ولا جان انما نفى الجن لان لهم ازواجا في الجنة
منهم وفي الاية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي وسيل حمزة بن حبيب هل للجن ثواب
فقال نعم وقرا هذه الاية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الاية اذا
جامع ولم يسم انطوى على احليله فجامع معه واختلف في هذه اللواتي لم يطمثهن فقيل هن
الحور لانهن خلقن في الجنة فلم يمسهن احد قبل ازواجهن وقيل هن نسا الدنيا انشين خلقا
اخر ابكارا كما وصفن لم يمسهن منذ انشين خلقا اخر وقال من الادميات اللاتي انشين ابكارا
ومعنى الاية المبالغة في نفي الطمث عنهن لان ذلك اقر لاعينهن واعين ازواجهن اذا لم يمسهن
احد غيره فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اراد صفا الياقوت في بياض المرجان
وهو صغار اللولو واشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللولو مع حمرة الياقوت لان
احسن الالوان البياض المشرب حمرة والاصح انه شبههن بالياقوت لصفايه فانه حجر لو
ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت ذلك السلك ظاهرة لصفايه قال عمرو بن ميمون
ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورا الحلل كما يرى الشراب الاحمر
في الزجاجة البيضا يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان المراة من نسا اهل الجنة ليرى بياض ساقها من ورا سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك

ينوله

تكذ

بان الله سبحانه وتعالي يقول كانهن الياقوت والمرجان اما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه
سلكا ثم استصفيته لرايته من ورايه اخرجه الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود موقوفا
ولم يرفعه وهو اصح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة
صورهم على صور القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السما
اضاة لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون انيتهم الذهب والفضة وامشاطهم
الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من ورا
اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا
وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعني بخورهم
العود **فباي الا ربكما تكذبان هل جزا الاحسان الا الاحسان** اي ما جزا من احسن في الدنيا الا
ان يحسن اليه في الاخرة وقال ابن عباس هل جزا من قال لا اله الا الله وعمل بما جا به محمد صلى
الله عليه وسلم الا الجنة روي البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل جزا الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله
ورسوله اعلم قال يقول هل جزا من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروي الواحدي بغير سند
عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية يقول الله عز وجل
هل جزا من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنته جنتي وحظيرة قدسي برحمتي
وقيل في معنى الاية هل جزا من اتي بالفعل الحسن الا ان يوتي في مقابلته بفعل حسن وفي الاية
اشارة الي رفع التكليف في الاخرة لان الله وعد المومن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف
في الاخرة وتركه العبد لاستحق العقاب بعلى ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف
فباي الا ربكما تكذبان قوله عز وجل **ومن دونهما جنتان** اي ومن دون الجنتين الاوليين اخريان وقال
ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان
من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن اربع جنات جنتان للمقربين السابقين وجنتان لاصحاب
اليمين والتابعين ق عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الي
ربهم الا ردا الكبريا على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما جنتان يعني امامهما
وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من
ياقوت وزبرجد وهما افضل من الاوليين **فباي الا ربكما تكذبان** ثم وصف الجنتين فقال تعالى
مدهامتان اي ناعمتان سودا وان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت
الي السواد **فباي الا ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان** اي فوارتان بالما لا ينقطعان وقال
ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على اهل البركة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور

على اوليا الله وقال انس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كطش المطر **فباي**
الا ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان يعني فيهما من انواع الفواكه كلها وانما افضل النخل
والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على ساير الفواكه وعلى
هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل
فهو كقوله سبحانه من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال فضلهما وان كانا من جملة
الملايكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة
وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه ولذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل
الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف اللغة ولا حجة له
في الاية روي البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكرمها
ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة فيها حللهم وثمرها مثل القلال او الدلا اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وروي ان الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب
وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنى عشر
ذراعا **فباي الا ربكما تكذبان فيهن** اي في الجنان الاربع **خيرات حسان** روي عن ام سلمة قالت
قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قول الله سبحانه وتعالي خيرات حسان قال الخيرات
الاخلاق الحسان الوجوه **فباي الا ربكما تكذبان حور مقصورات** اي مخدورات مستورات لا يخرجن
لكرامتهن وشرفهن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امراة من نسا اهل الجنة اطلعت الي
الارض لاضات ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها
وقيل قصرطرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا **في الخيام** قيل في البيوت قال ابن
الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربع قوايم اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال الخيم فلان خيمة
اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظلل فيها وقيل في خيام من در ولولو
وزبرجد مجوف تضاف الي القصور في الجنة ق عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها في السما وفي رواية
عرضها ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن لا يري بعضهم بعضا **فباي الا**
ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان تقدم تفسيره **فباي الا ربكما تكذبان متكئين**
على رفرف خضر قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروي هذا عن ابن عباس وقيل ان
الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي محابس خضر
فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي والطنافس وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو
رفرف **وعبقري حسان** قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس المخملة الي الرقة
ما هي وقيل كل ثوب موشي عند العرب عبقري قال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم

فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه
واصل هذا فيما قيل انه نسبة الى عبقر وهي ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى
شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم ياتون بكل امر عجيب
ولما كان عبقر معروفا بسكنى الجن نسبوا اليه كل امر عجيب بليغ فباي الاء ربكما تكذبان تبارك
اسم ربك ذي الجلال والاكرام قيل لما ختم سبحانه وتعالى نعم الدنيا بقوله تعالى ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم سبحانه
وتعالى نعم الاخرة بهذه الاية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده م عن ثوبان قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك
السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا
الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسايي غير قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم
تفسير سورة الواقعة مكية وهي تسع وتسعون اية وثلثماية وثمان وسبعون كلمة والف
وسبعماية وثلاثة احرف روى البغوي بسنده عن ابي طيبة عن عبد الله بن مسعود قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا
وكان ابو طيبة لا يدعها ابدا واخرجه ابن   في كتابه جامع الاصول ولم يعزه بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة
وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالازفة ليس لوقعتها اي لمجيها كاذبة
اي ليس لها كذب والمعنى انها تقع صدقا وحقا وقيل معناه ليس لوقعتها قضية كاذبة اي كما
اخبر الله عنها وقص من خبرها قضية صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة
اي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها خافضة رافعة
اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا
مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما
بالطاعة اذا رجت الارض رجا اي اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا اوحى اليها
اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى يهدم كل بنا عليها وينكسر
كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله سبحانه وتعالى وبست الجبال بسا اي فتتت وصارت كالدقيق
المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت
من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهبت فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا كالذي
يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهبا وكنتم ازواجا اي اصنافا ثلاثة ثم فسر
الازواج فقال تعالى فاصحاب الميمنة يعني اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يوخذ

بهم الى ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين ادم حين اخرجت الذرية
من صلبه وقال الله جل جلاله هولا الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل
هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله تعالى وهم
التابعون باحسان قوله عز وجل ما اصحاب الميمنة تعجب من حالهم في السعادة والمعنى اي شي هم
واصحاب المشيمة يعني اصحاب الشمال وهم الذين يوخذ بهم الى ذات الشمال الى النار وقال ابن
عباس هم الذين كانوا على شمال ادم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هولا الى النار ولا ابالي
وقيل هم الذين يوتون كتبهم بشمايلهم وقيل هم المشايم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي
لان العرب تسمي اليد اليسرى الشومى ما اصحاب المشيمة والسابقون السابقون قال ابن عباس
هم السابقون الى الهجرة وهم السابقون في الاخرة الى الجنة السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين
صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى
الجهاد وقيل هم المسارعون الى القربة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القران
المتوجون يوم القيمة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقدم على اصحاب اليمين
قلت فيه لطيفة وذلك ان الله سبحانه وتعالى ذكر في اول السورة من الامور الهايلة عند قيام
الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسي فيرجع عن اساته خوفا من
العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر
السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم
اثنى على السابقين فقال تبارك وتعالى اوليك المقربون اي من الله في جواره وفي ظل عرشه
ودار كرامته وهو قوله سبحانه وتعالى في جنات النعيم قوله سبحانه وتعالى ثلة اي جماعة غير
محصورة العدد من الاولين اي من الامم الماضية من لدن ادم الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وقليل من
الاخرين يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبيا وصدقوهم من الامم الماضية
اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقليل من الاخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل
من الاخرين اي ممن جا بعدهم من الصحابة على سرر موضونة اي منسوجة بالذهب والجوهر
وقيل موضونة يعني مصفوفة متكين عليها اي على السرر متقابلين يعني لا ينظر بعضهم الى
قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم صاروا ارواحا نورانية صافية
ليس لهم ادبار وظهور يطوف عليهم اي للخدمة ولدان اي غلمان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون
ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة
تعلق في الاذن واختلفوا في هولا الولدان فقيل هم اولاد المومنين الذين ماتوا اطفالا وفيه
ضعف لان الله سبحانه وتعالى اخبر انه يلحقهم بابايهم ولان من المومنين من لا ولد له فلو خدمه

ولد غيره كان فيه منقصة بابي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا
القول اقرب من الاول لانه قد اختلف في اولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم
في النار تبعا لابائهم وتوقفت فيهم طايفة والمذهب الثاني وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون
انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا لم تكن لهم حسنات
يثابون عليها ولا سيات فيعاقبون عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة
والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شا الله تعالى انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة
كالحور وهم وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام
وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت قوله عز وجل **باكواب** جمع كوب وهو الاقداح المستديرة
الافواه لا اذان لها ولا عرى **واباريق** جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق لبريق لونها
من الصفا وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها **وكاس من معين** اي من خمر جارية **لا يصدعون عنها**
اي لا تصدع روسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها **ولا ينزفون** اي لا تغلب على
عقولهم ولا يسكرون منها وقري بكسر الزاي ومعناه لا ينزف شرابهم **وفاكهة مما يتخيرون** اي ياخذون
خيارها **ولحم طير مما يشتهون** قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير فيمثل بين يديه على ما اشتهى
وقيل انه يقع على صحفة الرجل فياكل منه ما يشتهي ثم يطير فان قلت هل في تخصيص الفاكهة
بالتخير واللحم بالاشتها بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القران بلاغة وفصاحة
والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجايع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند
الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجايع مشته والشبعان غير مشته بل هو متخير واهل الجنة
انما ياكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من
القران بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل
ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله اعلم بمراده **وحور عين** اي ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم
حور عين وجا في تفسيرها حوار بيض عين اي ضخام العيون **كامثال اللولو المكنون** اي المخزون في الصدف
المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهوى فيكون في غاية الصفا روي انه يسطع نور
في الجنة فقيل ما هذا قيل ضو ثغر حورا ضحكت وروي ان الحورا اذا مشت يسمع تقديس الخلخال
من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من
ذهب شراكهما من لولو يصيران بالتسبيح **جزا بما كانوا يعملون** اي فعلنا ذلك بهم جزا بما كانوا يعملون
في الدنيا بطاعتنا **لا يسمعون فيها** اي في الجنة **لغوا** قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل
هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع **ولا تاثيما** قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض اثمت لانهم
لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لا يا تونا ثما اي ما هو سبب التاثيم من قول
او فعل قبيح **الا قيلا سلاما سلاما** قيل يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم عليهم الملايكة او يرسل الرب

جل جلاله بالسلام عليهم وقيل ان معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب
من شانهم فقال تعالى **واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين** لما بين حال السابقين شرع في بيان اصحاب اليمين
فقال تعالى **في سدر مخضود** اي لا شوك فيه كانه خضد شوكه اي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس
وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمرها اعظم من القلال وهو النبق وقيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد
مخصب بالطايف فاعجبهم سدره قالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الاية **وطلح** قيل هو الموز
عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك ونور طيب الرايحة
فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا
منضود اي متراكم قد نضد بالحمل من اوله الى اخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه
ثمر وليس شي من ثمر الجنة في غلف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها ماكول ومشروب
ومشموم ومنظور اليه **وظل ممدود** اي دايم لا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا وذلك لان الجنة
كلها لا شمس فيها ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير
الراكب في ظلها مائة سنة واقروا ان شيتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود
قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اهل الجنة فيتحدثون في اصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا
فيرسل الله عز وجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا **وما مسكوب** اي مصبوب
يجري دايما في غير اخدود ولا ينقطع **وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة** قال ابن عباس لا تنقطع
اذا جنيت ولا تمنع من احد اذا اراد اخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع
ثمار الدنيا في الشتا ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجا في
الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله عز وجل مكانها ضعفين **وفرش مرفوعة** قال علي
مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السما والارض ومسيرة ما بينهما مسيرة
خمسماية عام اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم معنى
هذا الحديث ارتفاعها كما بين السما والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات
ما بين كل درجتين كما بين السما والارض وقيل اراد بالفرش النسا والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا
على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة اي رفعن بالجمال والفضل على نسا الدنيا
ويدل على هذا التاويل قوله في عقبه **انا انشاناهن انشا** اي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس
يعني الادميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا اخر **فجعلناهن ابكارا** يعني
عذارى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انشاناهن انشا قال ان من المنشات اللاتي كن
في الدنيا عجايز عمشا رمصا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته
روى البغوي بسنده عن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله

ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت تبكي قال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله سبحانه وتعالى يقول انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا هذا حديث مرسل وروي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا انشاناهن انشا قال عجايز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا قال ابن المسيب ابن شريك هن عجايز الدنيا انشاهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل هن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور انشاهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس وفي رواية عنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام اترابا يعني امثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة جردا مردا مكحلين ابنا ثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لاصحاب اليمين يعني انشاهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين يعني من المومنين الذين هم قبل هذه الامة وثلة من الاخرين يعني من مومني هذه الامة يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما انزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين بكى عمر فقال يا نبي الله امنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد انزل الله سبحانه وتعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا السودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الامم فرايت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الى الافق الاخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اوليك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشيا فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال انت منهم ثم قام رجل اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهو دون العشرة وقيل الى الاربعين ق عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم في قبة نحو من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مومنة مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود وكالشعرة السودا في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومايه صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير الامم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول ابي العالية ومجاهد وعطا بن ابي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة ايضا في اخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتي وهذا القول اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وعاينه وجماعة ممن امن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الاية الاولى وقليل من الاخرين وقال في هذه الاية وثلة من الاخرين قلت الاية الاولى في السابقين الاولين وقليل من يلحق بهم من الاخرين وهذه الاية في اصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والاخرين وحكي عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الايتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله سبحانه وتعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتابهم بشمايلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال سبحانه وتعالى في سموم اي في حر النار وقيل في ريح شديدة الحرارة وحميم اي ما حار يغلي وظل من يحموم يعني في ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سودا واهلها سود وكل شي فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسما النار لا بارد ولا كريم يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فايدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك يعني في الدنيا مترفين يعني منعمين وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون او اباونا الاولون فرد الله عليهم سبحانه وتعالى بقوله قل ان الاولين والاخرين يعني الابا والابنا لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون يعني بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام في كل ضال مكذب لاكلون من شجر من زقوم تقدم تفسيره فمالون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم يعني الابل العطاش

قيل ان الهايم ما يصيب الابل فلا تروي معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم ارض ذات الرمل
التي لا تروي بالماء قيل يلقى على اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون هذا نزلهم
يعني ما ذكر من الزقوم والحميم انه رزقهم وغذاؤهم وما اعد لهم يوم الدين يعني يوم يجازون باعمالهم
ثم احتج عليهم بالبعث بقوله سبحانه وتعالى نحن خلقناكم يعني ولم تكونوا شيا وانتم تعلمون فلولا اي فهلا
تصدقون يعني بالبعث بعد الموت قوله سبحانه وتعالى افرايتم ما تمنون يعني ما تصبون يعني في الارحام
من النطفة انتم تخلقونه اي انتم تخلقون ما تمنون بشرا ام نحن الخالقون اي انه خلق النطفة وصورها
واحياها فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشاكم احتج عليهم في البعث
بالقدرة على ابتدا الخلق نحن قدرنا بينكم الموت يعني الاجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من
يموت صبيا وشابا وغير ذلك يعني الاجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السما
واهل الارض فيه سوا شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا وما نحن
بمسبوقين يعني لا يفوتني شي اريده ولا يمتنع عني احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين
عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله سبحانه وتعالى على ان نبدل امثالكم اي بان نخلق مثلكم بدلا
عنكم في اسرع حين وننشيكم نخلقكم فيما لا تعلمون اي من الصور والمعنى نغير خلقتكم الى ما هو اسمج
منها من خلق شينا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم اذا اردنا ان نفعل
ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود كانها الخطاطيف
تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لو شا ان يبدلهم بامثالهم
من بني ادم قدر ولو شا ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعاني هذا يدل على ان النشاة
يكونها الله سبحانه وتعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشا الاول من جهة التناسل
ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشيكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث والقيامة
وفيه فايدة وهي التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشا هو الموت والبعث واذا كان ذلك
واقعا في زمان لا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة
ولقد علمتم النشاة الاولى اي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيا وفيه تقرير للنشاة الثانية يوم القيامة
فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون اي ذلك باني قادر على اعادتكم كما قدرت على بدايتكم اول مرة قوله سبحانه وتعالى افرايتم
ما تحرثون لما ذكر الله سبحانه وتعالى ابتدا الخلق وما فيه من دلايل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان
به البقا فذكر امورا ثلاثة الماكول والمشروب وما به اصلاح الماكول ورتبه سبحانه وتعالى ترتيبا
حسنا فذكر الماكول اولا لانه هو الغذا واتبعه المشروب لان به الاستمرا ثم النار التي بها الاصلاح
وذكر من انواع الماكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الما لانه ايضا هو الاصل ثم ذكر من المصلحات
النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله تعالى افرايتم ما تحرثون اي تثيرون من الارض وتلقون فيه
البذر اانتم تزرعونه اي تنبتونه وتنشيونه حين يشتد ويقوم على سوقه ام نحن الزارعون معناه

اانتم فعلتم ذلك ام الله ولا شك في ان ايجاد الحب في السنبل ليس يفعل احد غير الله تعالى
وان كان ايقاع البذر من فعل الناس لو نشا لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه البذر حطاما
اي نبتا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا في غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول له
حرث وهو يفسده بصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله
لو نشا لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه او هو يدفع عن نفسه بنفسه
تلك الافات التي تصيبه ولا يشك احد في ان دفع الافات ليست الا باذن الله وحفظه
فظلتم تفكهون اي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون
على ما سلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون
وقيل هو تلهف على ما فات انا لمغرمون اي وتقولون انا لمغرمون فحذف القول ومعنى المغرم ذهاب
المال بغير عوض وقيل معناه لمولع بنا رقال ابن عباس لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم
بغير فايدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون
والمعنى حرمنا الذي كنا نطلبه من الريع في الزرع افرايتم الما الذي تشربون اانتم انزلتموه من المزن
ام نحن المنزلون ذكرهم الله سبحانه وتعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر عليه الا الله تعالى
جل جلاله لو نشا جعلناه اجاجا قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه
فلولا تشكرون يعني نعمه عليكم افرايتم النار التي تورون يعني تقدحون من الزند اانتم انشاتم
شجرتها يعني التي يقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبتان
وقيل اراد جميع الشجر الذي يوقد به النار ام نحن المنشيون نحن جعلناها يعني نار الدنيا تذكرة اي للنار
الكبرى اذا راى الرايي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها
المومن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جز من سبعين
جزا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين
جزا كلها مثل حرها ومتاعا اي بلغة ومنفعة للمقوين يعني المسافرين والمقوي النازل في الارض
القوا وهي القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع به اهل البوادي والسفار فان
نفعهم بها اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضال الى غير ذلك
من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل المقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها في البرد
وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوين من الاضداد يقال للفقير مقو
لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقرا والاغنيا
جميعا لا غنى لاحد عنها فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه
على ساير خلقه خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى
فسبح باسم ربك اي برى الله ونزه نفسه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات

والمعنى فسبح باسم ربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة
موكدة وقيل لا على اصلها وفي معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهي
وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج الوجه الثاني ان لا رد لما قاله
الكفار في القران من انه شعر وسحر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم فقال
اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل لا معناها النفي فهي كقول القايل لا تسال
عما جرى وهي يريد تعظيم الامر لا النهي عن السوال بمواقع النجوم قال ابن عباس اراد نجوم القران
فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم وتساقطها وقيل
اراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند
الرجم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القران والمعنى
وان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون
فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه المعنى فاقسم بمواقع النجوم
انه لقران كريم اي ان الكتاب الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم قران كريم اي عزيز مكرم لانه كلام
الله سبحانه وتعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شانه ان يعطي الكثير
وسمي القران كريما لانه يفيد الدلايل التي تودي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما
يحمد والقران كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به وياخذ
منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى فكل عالم يطلب اصل علمه منه
وقيل سمي كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب
وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسامه السامعون ويهون في الاعين وتمله الاذان والقران كريم
عزيز لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة
بل هو غض طري يبقى ابد الدهر كذلك في كتاب مكنون اي مصون مستور عند الله في اللوح المحفوظ
من الشياطين من ان يناله بشر وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل
والتحريف والقول الاول اصح لا يمسه اي ذلك الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملايكة الموصوفون
بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد
ابن جبير وابي العالية وقتادة وابي زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني بان
المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان يمكن
اليهود والنصارى من قراءة القران قال الفرا لا يجد طعمه ونفعه الا من امن به وقيل معناه لا يقراه
الا الموحدون وقال قوم لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الاية نفي ومعناه
نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحايض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطا وطاوس
وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي واكثر الفقها يدل عليه ما روى مالك في الموطا

عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن حزم ان لا يمس القران الا طاهر اخرجه مالك مرسلا وقد جا موصولا عن ابي بكر بن عمرو
ابن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن هذا والصحيح فيه الارسال
وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القران الا
طاهر والمراد بالقران المصحف سماه قرانا على قرب الجوار والاتساع كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث
والجنب حمل المصحف ومسه فان قلت اذا كان الاصل ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ فان الضمير
لا يمسه الا المطهرون هم الملايكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر
فكيف يصح قول امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه لا يجوز للمحدث مس المصحف قلت من قال ان
الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه اخذه من صريح الاية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد
من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال نفي المس بغير طهر صفة دالة
على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من
السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى تنزيل من رب العالمين صفة
للقران اي القران منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدر قدر وللمخلوق
خلق وفيه رد على من قال بان القران شعر او سحر او كهانة فقال الله تقدس وتعالى بل القران تنزيل من رب
العالمين قوله عز وجل افبهذا الحديث يعني القران انتم اي يا اهل مكة مدهنون قال ابن عباس مكذبون
وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا اصله
ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم
من القران انكم تكذبون قال الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتابه الا التكذيب وقال
جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي بنعمة الله عليكم وهذا هو الاستسقا
بالانوا وذلك انهم كانوا اذا امطروا يقولون مطرنا بنو كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم
فقيل لهم اتجعلون رزقكم اي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق
الله ونعمه وكذب بما جا به القران والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب ق عن زيد بن خالد الجهني
قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما كانت من الليل فلما انصرف
اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر
فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا فذلك كافر
بي مومن بالكوكب وروى مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الاية فلا
اقسم بمواقع النجوم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما انزل الله من السما من بركة الا اصبح مومن من الناس بها وكافر ينزل الله الغيث فيقولون من الكوكب

كذا وكذا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
قوله على اثرها اي اثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء كذا اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا
نهض وطلع واختلف العلما في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما
انه كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لاصل الايمان يخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا
ان الكوكب فاعل مدبر منشي للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا
القول الذي ذهب اليه جماهير العلما منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا
وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا
ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا فقال العلما
يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد
عمر كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جايز لا كفر فيه واختلفوا في كراهته
والاظهر انها كراهة تنزيه لا اثم فيه ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر
وغيره فسا الظن بقايلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في تاويل اصل
الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكوكب وهذا جار
فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويويد هذا التاويل حديث ابي هريرة ما انزل الله من السما من بركة
الا اصبح فريق بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم قوله عز وجل **فلولا** اي فهلا **اذا**
بلغت الحلقوم اي النفس والروح عند الموت **وانتم** يعني اهل البيت **حينيذ تنظرون** يعني
الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيا **ونحن**
اقرب اليه منكم اي بالعلم والقدرة والروية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت
منكم **ولكن لا تبصرون** اي الذين حضروه من الملايكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اي لا تعلمون
ذلك **فلولا ان كنتم غير مدينين** اي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين **ترجعونها** اي تردون نفس
هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله
فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون
انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم
يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله جل جلاله فامنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند
الموت وبين درجاتهم فقال تعالى **فاما ان كان من المقربين** يعني السابقين **فروح وريحان** اي فله
روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة وريحان اي وله استراحة وقيل رزق
وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يوتى بغصن من
ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه **وجنة نعيم** اي وله جنة نعيم يفضي اليها في الاخرة وقال

ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار **واما ان كان** يعني المتوفي
من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلامة لك منهم يا محمد فلا تهتم لهم فانهم
سلموا من عذاب الله وانك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل ان الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن
سيئاتهم ويتقبل حسناتهم وقيل معناه اسلم لك انهم من اصحاب اليمين وقيل لك لصاحب
اليمين مسلم لك من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين **واما ان كان من المكذبين**
اي بالبعث **الضالين** اي عن الهدي وهم اصحاب الشمال **فنزل من حميم** اي الذي يعد لهم حميم جهنم
وتصلية جحيم اي وادخال نار عظيمة **ان هذا** يعني ما ذكر من قصة المحتضرين **لهو حق**
اليقين اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الاقاصيص
وما اعد الله لاوليايه من النعيم وما اعد الله من العذاب الاليم لاعدايه وما ذكر مما يدل على
وحدانيته يقين لا شك فيه **فسبح باسم ربك العظيم** اي فنزه ربك العظيم من كل سوء وقيل
معناه فصل بامر ربك العظيم وبامره عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى
قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود عن حذيفة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم
فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على اية رحمة الا
وقف وسال وما اتى على اية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة
م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله جل جلاله سبحان الله
وبحمده ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله العظيم وهذا الحديث اخرجه البخاري والله اعلم تفسير
سورة الحديد وهي تسع وعشرون اية وخمسماية واربع واربعون كلمة والفان واربعماية وست
وسبعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **سبح لله ما في السموات والارض** يعني كل
ذي روح وغيره يسبح الله سبحانه وتعالى بتسبيح العقلا تنزيه الله عن كل شي وعما لا يليق بجلاله وتسبيح
غير العقلا من ناطق وجماد فاختلفوا فقيل تسبيح دلالة على صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل
تسبيحه بالقول يدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم والحق ان التسبيح هو القول
الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انه
يدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشا
فان حملنا التسبيح المذكور في الاية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملايكة
ومسبحون الارض هم المومنون العارفون بالله سبحانه وتعالى وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي
فجميع اجزا السموات وما فيهما من شمس وقمر ونجوم وجميع ذرات الارضين وما فيهما من جبال وبحار

ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست
اسماوه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشا فان قلت قد جا في بعض فواتح السور
سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى جميع كون
الاشيا تسبح الله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة في الماضي وستكون
مسبحة ابدا في المستقبل **وهو العزيز** اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شي **الحكيم** اي الذي
جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب **له ملك السموات والارض** اي انه الغني عن جميع خلقه وكلهم
محتاجون اليه **يحيي ويميت** اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحيا في الدنيا **وهو على كل شي قدير**
قوله عز وجل **هو الاول والاخر والظاهر والباطن** يعني هو الاول قبل كل شي بلا ابتدا كان هو ولم يكن
شي موجودًا والاخر بعد فنا كل شي بلا انتها يفني الاشيا ويبقى هو والظاهر الغالب على كل شي
والباطن العالم بكل شي هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول الذي قبله شي والاخر وليس بعده شي
وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتدا والاخر بوجوده في الابتدا وبعد الانتها والظاهر
بالدلايل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول سبق
وجود كل موجود والاخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال ابو بكر بن الباقلاني معناه انه سبحانه
وتعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الازل يكون كذلك بعد موت
الخلايق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم
فاحتجوا لمذهبهم في فنا الاجسام وذهابها بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فنا خلقه ومذهب
اهل الحق يعني اهل السنة بخلاف ذلك فان المراد الاخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال
اخر من يبقى من بني فلان يراد حياته والا يراد فنا اجسام موتاهم وذهابها بالكلية هذا اخر
كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشيا والاخر الباقي بعد فنا الاحيا والظاهر بحججه الباهرة
وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق
فلا يستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم
وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والاخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة على ما جنيت
والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد
سال عمر كعبًا عن هذه الاية فقال معناه ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن
وهو بكل شي عليم م عن سهيل بن ابي صالح قال كان ابو صالح يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع
على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم ربنا ورب كل شي
فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقران اعوذ بك من شر كل شي انت اخذ بناصيته وفي
رواية من شر كل دابة انت اخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك
شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر

وكان يروي ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة ايضا قال بينما
النبي صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض يسوقها الله الى قوم
لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع
سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها فقالوا الله ورسوله اعلم قال
بينكم وبينها خمسماية سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماين
بعد ما بينهما خمسماية سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماين ما بين السما والارض ثم قال
هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السما
بعد ما بين السماين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها
ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسماية سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسماية
سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله
ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته
وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه
العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسما وقيل اسم لسما الدنيا
قوله عز وجل **هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش**
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها تقدم تفسيره **وهو معكم**
اينما كنتم اي بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعلق علم الله تعالى وقدرته اينما كان من ارض
او سما او بر او بحر وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله سبحانه وتعالى **والله بما تعملون**
بصير يدل عليه صحة القول الاول **له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل**
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور تقدم تفسيره وقوله عز وجل **امنوا**
بالله ورسوله لما ذكر انواعا من الدلايل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار مكة
قريش يامرهم بالايمان بالله ورسوله ويامرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في جميع
وجوه البر وهو قوله **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكهم
واعطاكم اياه وكنتم في ذلك خلفا عن من مضى **فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم**
لا تومنون بالله والرسول يدعوكم لتومنوا بربكم يعني واي عذر لكم في ترك الايمان بالله والرسول
يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج **وقد اخذ ميثاقكم**
اي اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر ادم عليه السلام بان الله ربكم لا اله لكم سواه
وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعوا

الي متابعة الرسول ان كنتم مومنين اي يوما ما لان اهدي الاوقات ان تومنوا لقيام الحجج والاعلام
ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القران وهو قوله هو الذي ينزل القران على عبده يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم ايات بينات يعني القران ليخرجكم يعني الله عز وجل بالقران وقيل
الرسول بالدعوة من الظلمات الى النور اي من ظلمات الشرك الي نور الايمان وان الله بكم لروف
رحيم قوله سبحانه وتعالي وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض
يقول اي شي لكم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله تعالي وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولي
ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الي الله تعالي وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق
في سبيل الله وبالجهاد فقال سبحانه وتعالي لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل يعني فتح
مكة في قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من انفق ماله
وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق وقاتل بعد الفتح اوليك
اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق
لانه اول من اسلم واول من انفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عبد الله اول من اظهر اسلامه منهم النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروي البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباة قد خللها
على صدره بخلال فنزل جبرايل فقال ما لي اري ابا بكر عليه عباة قد خللها على صدره بخلال فقال
انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرا عليه مني السلام وقل له اراض انت عني
في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله عز وجل يقرا عليك
السلام ويقول لك اراض انت في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي اني عن ربي
راض اني على ربي راض وكلا وعد الله الحسني يعني الجنة قال عطا درجات الجنة تتفاضل فالذين
انفقوا قبل الفتح في افضلها والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي صادقا
محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمي هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة
تشبيها بالقرض قال بعض العلما القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان يكون
المال من الحلال وان يكون من اجود المال وتتصدق وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الي
الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذي وان تقصد بها وجه
الله تعالي ولا ترائي بها الناس وان تستحقر ما تتصدق وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك
اليك وان لا تري عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت
قرضا حسنا فيضاعفه له يعني يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا وله اجر كريم يعني وذلك
الاجر كريم في نفسه قوله عز وجل يوم تري المومنين والمومنات يعني على الصراط يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم اي عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم

الي الجنة قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المومنين من يضي نوره من
المدينة الي عدن ابين وصنعا ودون ذلك حتى ان من المومنين من لا يضي نوره الا موضع قدميه
قال عبد الله بن مسعود يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتي نوره كالنخلة ومنهم
من يوتي نوره كالرجل القايم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفا مرة ويوقد مرة وقيل
في معنى الاية يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملايكة بشراكم اليوم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين امنوا انظرونا اي انتظرونا نقتبس من نوركم اي نستضي من نوركم قيل
يغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المومنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به
على الصراط ويعطي المنافقين اخديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله عز وجل ريحا وظلمة
فاطفا نور المنافقين فذلك قوله سبحانه وتعالي يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم
كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيون بنور المومنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم
بقوا في الظلمة قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراكم قال ابن عباس يقول
لهم المومنون وقيل تقول لهم الملايكة ارجعوا وراكم اي من حيث جيتم وقيل ارجعوا الي الدنيا
فاعملوا اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراكم فالتمسوا اي
فاطلبوا لكم هناك نورا اي لا سبيل لكم الي الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون
شيا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المومنين وهو قوله تعالي فضرب بينهم
بسور له باب باطنه فيه الرحمة اي بين المومنين والمنافقين بسور وهو حايط بين الجنة والنار
له اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة اي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة وظاهره
من قبله العذاب اي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار روي عن عبد الله بن عمر قال ان
السور الذي ذكره الله في القران هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله
العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت
المقدس انه الباب الذي قال الله عز وجل فضرب بينهم بسور له باب الاية ينادونهم يعني
ينادي المنافقون المومنين من ورا ذلك السور حتى حجز بينهم وبقوا في الظلمة الم نكن معكم في
الدنيا نصلي ونصوم قالوا بلي ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها
في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد وقلتم
يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اي شككتم في نبوته وفيما وعدكم به وغرتكم الاماني
اي الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمومنين حتى جا امر الله يعني الموت
وقيل هو القاوهم في النار وهو قوله تعالي وغركم بالله الغرور يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا

علي خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار فاليوم لا يوخذ منكم فدية اي عوض وبدل
بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم الايمان ولا التوبة ولا من الذين
كفروا وانما عطف الكفار علي المنافقين وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن
الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه علي المنافق ماواكم النار اي هي مصيركم
هي مولاكم اي وليكم وقيل هي اولي بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لانها ملكت
امركم واسلمتم اليها فهي اولى بكم من كل شي وقيل معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار
ماواه فلا مولى له وبيس المصير قوله سبحانه وتعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا
حدثنا عن التوراة فان فيها العجايب فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران
احسن من غيره فكفوا عن سوال سلمان ما شا الله ثم عادوا فسالوه مثل الاول فنزلت هذه الاية
فعلى هذا القول يكون تاويل قوله الم يان للذين امنوا يعني في العلانية باللسان ولم يرضوا بالقلب
وقيل نزلت في المومنين وذلك انهم لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن
بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك الم يان للذين امنوا الاية قال ابن مسعود ما كان بين
اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله
استبطا قلوب المومنين فعاتبهم علي راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران فقال الم يان يعني
اما حان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين وتخشع قلوبهم لذكر الله اي لمواعظ الله وما
نزل من الحق يعني القران ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصاري فطال
عليهم الامد اي الزمان الذي بينهم وبين انبيايهم فقست قلوبهم قال ابن عباس مالوا الي الدنيا
واعرضوا عن مواعظ القران والمعنى ان الله نهى المومنين ان يكونوا في صحبة القران كاليهود الذين
قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر وروي عن ابي موسي الاشعري انه بعث الي قرا اهل البصرة
فدخل عليه ثلثماية رجل قد قروا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاتلوه ولا
يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم فاسقون يعني الذين
تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها اي بالمطر
ويخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر علي احيا الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب فيجعلها
مخبتة منيبة يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم في احيا الارض بالمطر مشاهدة
قد بينا لكم الايات اي الدالة علي وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا اي بالنفقة والصدقة في سبيل الله يضاعف لهم ذلك القرض
ولهم اجر كريم اي ثواب حسن وهو الجنة والذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون اي الكثير
الصدق قال مجاهد كل من امن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الاية عامة في كل من امن بالله ورسله

وقيل

وقيل ان هذه الاية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة صدقوا اهل الارض في زمانهم الي الاسلام
وهم ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب
الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهدا عند ربهم قيل اراد بالشهدا المومنين المخلصين
قال مجاهد وكل مومن صديق شهيد وتلا هذه الاية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل
تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدا والشهدا عند ربهم وهم الانبيا الذين يشهدون
علي الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم اي بما عملوا من
العمل الصالح ونورهم علي الصراط والذين كفروا وكذبوا باياتنا اوليك اصحاب الجحيم لما ذكر حال المومنين
اتبعه بحال الكفار قوله سبحانه وتعالى اعلموا انما الحياة الدنيا اي مدة الحياة الدنيا في هذه الدار
الدنيا وانما اراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة
الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله سبحانه وتعالى لعب اي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان
ولهو اي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب وزينة اي منظر يتزينون به وتفاخر بينكم يعني انكم
تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم علي بعض وتكاثر في الاموال والاولاد اي مباهاة بكثرة
الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وولده وخدمه علي اوليا الله واهل
طاعته ثم ضرب سبحانه وتعالى لهذه الحياة مثلا فقال تبارك وتعالى كمثل غيث اعجب الكفار
نباته اي الزراع نباته اي ما ينبت بذلك الغيث ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا اي بعد خضرته
ثم يكون حطاما اي يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى وفي الاخرة عذاب شديد اي لمن كانت حالته
هذه الصفة قال اهل المعاني زهد الله سبحانه وتعالى في هذه الاية في العمل للدنيا وهي صفة
حال الكفار وحياة من يشتغل باللهو واللعب ورغب في العمل للاخرة بقوله ومغفرة من الله
ورضوان اي لاوليايه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدايه ومغفرة من الله ورضوان
لاوليا الله في الاخرة لان الاخرة اما عذاب واما جنة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور
اي لمن عمل لها ولم يعمل للاخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الاخرة فهي له بلاغ الي ما هو خير منه
قوله عز وجل سابقوا الي مغفرة من ربكم معناه لتكن مفاخرتكم وتكاثركم في غير ما انتم عليه
بل احرصوا علي ان تكون مسابقتكم في طلب الاخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار
الى مغفرة اي الى ما يوجب المغفرة وهو التوبة من الذنوب وقيل سارعوا الي سائر ما كلفتم به
من الاعمال فيدخل فيه التوبة وغيرها وجنة عرضها كعرض السما والارض قيل ان السموات السبع
والارضين السبع لو جعلت صفايح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا
وقال ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله سبحانه وتعالى
شبه عرض الجنة بعرض السموات والارض ولا شك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض
تنبيها علي ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم

وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات
والارض على ما يعرف الناس اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه اعظم رجا واقوى واصل لانه
ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيا اخر يدل عليه قوله في سياق الاية
ذلك فضل الله يوتيه من يشا فبين سبحانه وتعالى انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله
لا بعمله والله ذو الفضل العظيم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل
احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة
قد تقدم الكلام على بعض هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في
تفسير سورة النحل قوله عز وجل ما اصاب من مصيبة في الارض يعني قحط الارض وقلة النبات
ونقص الثمار ولا في انفسكم يعني الامراض وفقد الاولاد الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل
ان نبراها اي من قبل ان نخلق الانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرا المصيبة ان ذلك على الله يسير
اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل لكيلا تاسوا اي تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا
تفرحوا اي ولا تبطروا بما اتاكم اي اعطاكم وقال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا
الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف فان قلت ما من احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به
ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر
والتسليم لامر الله ورجا ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد
الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر والله اعلم قال جعفر
ابن محمد الصادق ما لك يا ابن ادم تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه
في يديك الموت والله لا يحب كل مختال اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور اي بذلك الذي اوتي على الناس
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل قيل هذه الاية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب
الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا
ينفقونه في سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يامرون الناس بالبخل وقيل ان
الاية كلام مستانف لا تعلق له بما قبله لانها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وبخلوا ببيان نعته ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله هو الغني اي عن عباده الحميد
الى اوليايه قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالايات والحجج وانزلنا معهم الكتاب
اي المتضمن للاحكام وشرايع الدين والميزان اي العدل اي وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان
هو الالة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ليقوم الناس بالقسط اي ليتعاملوا
بينهم وانزلنا الحديد قيل ان الله سبحانه وتعالى انزل مع ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض
السندان والمطرقة والكلبتين وروي عن عمر يرفعه ان الله سبحانه وتعالى انزل اربع بركات من
السما الى الارض الحديد والنار والما والملح وقيل انزلنا بمعنى انشانا واحدثنا الحديد

وذلك ان الله سبحانه وتعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه
فيه باس شديد اي قوة شديدة فمنه جنة وهو الة الدفع ومنه سلاح وهو الة الضرب ومنافع
للناس اي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد الة
لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه وليعلم الله اي وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشيا ليتعامل
الناس بالحق والعدل وليرى الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله اي وينصر رسله بالغيب اي الذين
لم يروا الله ولا الاخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه ولا يبصرونه ان الله
قوي اي في امره عزيز اي في ملكه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
معناه انه سبحانه وتعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب
فلا يوجد نبي الا من نسلهما فمنهم اي من الذرية مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا اي اتبعنا على
اثارهم برسلنا والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله
وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه اي على دينه رافة ورحمة
يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى
انهم جاوا بها من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من
الفتنة وحملوا انفسهم المشاق في العبادة الزايدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم
والمشرب مع التقلل من ذلك ما كتبناها عليهم اي ما فرضناها نحن عليهم الا ابتغا رضوان
الله اي لكنهم ابتدعوها ابتغا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية
حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم
واقام ناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فامنوا به فذلك قوله تعالى فاتينا
الذين امنوا منهم اجرهم وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح وكثير منهم فاسقون وهم الذين تركوا
الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه السلام روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين
فرقة نجا منها ثلاث وهلك سايرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم
وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم الى
دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها
حق رعايتها ومن لم يومن بي فاوليك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن ام عبد هل تدري من اين اخذت بنوا اسرايل الرهبانية فقلت
الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان
فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهولا افنونا

ولم يبق للدين احد يدعوا اليه فقالوا انتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك
بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها فاتينا الذين امنوا منهم يعني
من ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي
قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع
وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة
الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل
وكان فيهم مومنون يقرءون التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم
هولاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملوكهم وعرض عليهم القتل
او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم
انفسنا فقالت طايفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا
وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طايفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب مما يشرب الوحش
فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طايفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر
الابار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبايل الا وله حميم فيهم قال
ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل
الرجل يقول في مكان فلان وهم على شركهم ولا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله
عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الاخرين
الذين جاوا من بعدهم فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
وكثير منهم فاسقون هم الذين جاوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم
الا قليل انحط رجل منهم من صومعته وجاء سايح من سياحته وصاحب دير من ديره فامنوا
به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته
اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة وبالانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم
وقال يجعل لكم نورا تمشون به يعني القران واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم اهل
الكتاب الذين يتشبهون بكم الا يقدرون على شيء من فضل الله الاية اخرجه النساي موقوفا
على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال تعالى ورهبانية ابتدعوها وذلك
انهم تركوا الحق واكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها
يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وهم
اهل الرافة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا واتبعوا الرهبانية
ويكون معنى قوله الا ابتغاء رضوان الله على هذا التاويل ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله

وابتغا رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهب لانه لم يومر به قوله سبحانه وتعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الخطاب لاهل الكتابين اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين
امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به وهو قوله تعالى
وامنوا برسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يوتكم كفلين اي نصيبين من رحمته يوتكم اجرين
لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد
المملوك اذا ادى حق الله سبحانه وتعالى وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطاوها فادبها
واحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ويجعل لكم نورا تمشون
به يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القران وقيل هو الهدى والبيان اي يجعل لكم سبيلا
واضحا في الدين تهتدون به ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب قيل لما سمع من لم يومن من اهل الكتاب قوله تعالى
اولئك يوتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم
وكتابنا ومن لم يومن فله اجره كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم
ولا صلة اهل الكتاب يعني الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المومنين الا يقدرون
يعني انهم لم يقدروا على شيء من فضل الله والمعنى جعلنا الاجرين لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم
ليعلم الذين لم يومنوا انهم لا اجر لهم ولا نصيب في فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب
اولئك يوتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين
فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعني المومنين منهم الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل
بيد الله يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلايق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد
اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج
من العرب كفروا به فانزل الله هذه الاية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة يوتيه من يشا يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وان الفضل بيد الله اي في ملكه وتصرفه يوتيه
من يشا لانه قادر مختار والله ذو الفضل العظيم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وهو قايم على المنبر انما بقاوكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة
العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا
قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا
قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل
الكتابين اي ربنا اعطيت هولاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر
عملا قال الله جل جلاله هل ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشا وفي رواية

انما اجلكم في اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود
والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود
الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط
قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من
صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب
الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطا قال
الله جل جلاله اوهل ظلمتم من حقكم شيا قالوا لا قال فانه فضلي اصيب به من شيت
اي اعطيه من شيت خ عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين
واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا
الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرط لنا وما عملنا باطل فقال لهم
لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر اخرين بعدهم
فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر
قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فانما بقي من
النهار شي قليل فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت
الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله اعلم
تفسير سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون اية واربعماية وثلاث وسبعون كلمة
والف وسبعماية واثنتان وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قد سمع
الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن
الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فارادها فابت عليه
فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلا من طلاق الجاهلية
فقال ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق واتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعايشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت
تزوجني وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي
وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شي يجمعني واياه تنعشني فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق
وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله
فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اراك الا وقد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشي فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشده

حال

حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت
ترفع راسها الى السما وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك وكان هذا
اول الظهار في الاسلام فقامت عايشة تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر في امري
جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عايشة اقصري حديثك واقصري حديثك ومجادلتك
اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزل عليه اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال
ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك الاية خ
عن عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جات المجادلة خولة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله
قول التي تجادلك اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها اي امر زوجها وتشتكي الى الله
اي شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان الله سميع اي لمن
يناجيه ويتضرع اليه بصير اي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال سبحانه وتعالى الذين
يظاهرون منكم من نسايهم يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم اي ما اللواتي
يجعلونهن من زوجاتهم كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهات ان امهاتهم اي ما امهاتهم
الا اللاي ولدنهم وانهم يعني المظاهرين ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا
اي كذبا وقيل انما وصف بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما موبدا والزوجة لا تحرم
عليه بهذا القول تحريما موبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور
عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم فصل في احكام الظهار وفيه مسايل
المسيلة الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان
اذ ليس الظهر باولى من ساير الاعضا التي هي مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه ماخوذ
من الظهر الذي هو العلو لان امراة الرجل مركوب له ويدل عليه في قول العرب في الطلاق نزلت
عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي
حرام اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما علوا امي وملكها علي حرام المسيلة الثانية كان الظهار
من اشد طلاق الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يكون فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع
كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرايع اي احكام الجاهلية
وعاداتهم المسيلة الثالثة في الالفاظ المستعملة لهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقها الاصل
في هذا قوله انت علي كظهر امي وانت مني او معي او عندي كظهر امي وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كراس
امي او كيد امي وقال بطنك وراسك او يدك علي كظهر امي وشبه عضوا منها بعضو من اعضا
امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او فرجها او فخذها يكون
ظهارا ولو قال انت علي كامي او كروح امي واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينوي به

ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامراة محرمة
عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر اختي او عمتي او خالتي او شبهها بامراة محرمة بالرضاع
يكون ظهارا على الاصح المسيلة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه
الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لا يصح
احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظهرون من نسايهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمومنين
فيدل على ان الظهار مخصوص بالمومنين واجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين
فلم قلتم انه مختص بالمومنين قوله سبحانه وتعالى والذين يظهرون من نسايهم يعني يمتنعون
بهذا اللفظ من جماعهن ثم يعودون لما قالوا اختلف العلما في معنى العود في قوله ثم يعودون
ولا بد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقها فنقول قال الفرا لا فرق في اللغة بين
ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله
سبحانه وتعالى واوحي الى نوح وان ربك اوحى لها واما لفظة ما في قوله لما قالوا ففيه
وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد
لما قالوا اي المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول
فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا الى شي وذلك الشي هو الذي قالوا فيه ذلك القول
ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يحتمل ان يكون المعنى عاد لما فعل اي فعله مرة اخرى وعلى
الوجه الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيا ثم اراد ان يفعله
ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر
بما تقدم ان قوله يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة
اخرى ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب
اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو
السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد
التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت
عن الطلاق فذاك يدل على انه ندم على ما ابتدا به من التحريم فحينيذ تجب عليه الكفارة وفيه عن ابن عباس
العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول ابي
حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطي والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك لانه لما شبهها
بالام في حرمة هذه الاشيا ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي الوجه
الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطيها وهو قريب من قول ابي حنيفة
الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا
لا كفارة عليه ما لم يطاها قال العلما والعود المذكور هنا انه صالح للجماع او العزم عليه او لاستباحته

الا ان

الا ان الذي قاله الشافعي هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذي به
يتحقق مسمى العود واما الباقي فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال الاول في قوله تعالى ثم
يعودون اي يفعلون مثل ما فعلوا وعلى هذا الاحتمال في الاية وجوه ايضا الاول قال
مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتجب الكفارة بنفس الظهار والمراد
من العود هو العود الى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار
فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم ومعنى ثم يعودون لما قالوا اي
في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه
الثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكرر لم يكن عودا وهذا قول
اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه
وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله سبحانه وتعالى فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطي امراته التي ظاهر منها ما لم يكفر
ذلكم توعظون به يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله بما تعملون
اي من التكفير خبير ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين
اي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع اي الصيام
فكفارته فاطعام ستين مسكينا ذلك اي الذي وصفناه لتومنوا بالله ورسوله اي لتصدقوا الله
فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله تعالى وتلك حدود الله
يعني ما وصف من الكفارة في الظهار وللكافرين اي لمن جحد هذا وكذب به عذاب اليم اي في نار جهنم
يوم القيامة فصل في احكام الكفارات وما يتعلق بالظهار وفيه مسايل المسيلة الاولى
اختلفوا فيما يحرم بالظهار وللشافعي قولان احدهما انه يحرم الجماع والقول الثاني وهو الاظهر
انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسيلة الثانية اختلفوا فيمن ظاهر
مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد
فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة
واحدة المسيلة الثالثة الاية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سوا اراد التكفير
بالاعتاق او بالصيام او بالطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطي قبله
لان الله سبحانه وتعالى قيد العتق والصوم بما قبل التماس ولم يقل في الاطعام من قبل ان يتماسا
فدل على ذلك وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان جامع
قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي
واحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن
مهدي المسيلة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مومنة وقال ابو حنيفة هذه

الرقبة تجزي سوا كانت مومنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد
العموم في جميع الرقاب دليلنا انا اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان
فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى المسئلة الخامسة الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه
صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسي النية يجب عليه استيناف الشهرين
فلو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله بتقديم الجماع على الكفارة
لكن لا يجب عليه استيناف الشهرين وعند ابي حنيفة يجب عليه استيناف الشهرين
المسئلة السادسة فان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع
يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل البلد
من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر او نحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين
نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير فلو اطعم مسكينا واحدا
ستين مرة لا يجوز عند الشافعي وقال ابو حنيفة يجزيه حجة الشافعي ظاهر الاية وهو
ان الله سبحانه وتعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الاية وحجة ابي حنيفة
ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين
مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد المسئلة السابعة ان كانت له رقبة
الا انه محتاج الى الخدمة او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان
ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها وان
كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان
محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم المسئلة الثامنة
قال اصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهايجة عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام
والدليل عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرا اصيب من النساء ما لا يصيب غيري
فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيئا يتابع بي حتى اصبح فظاهرت منها حتى
ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شيء فما لبثت ان نزوت
عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر فقال فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذاك
يا سلمة قلت انا بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم في ما اراك الله قال حرر رقبة
قلت والذي بعثك بالحق ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين
قال وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم ... وسقا من تمر بين ستين مسكينا
قلت والذي بعثك لقد بتنا وحشين ما نملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني
زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى

قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة
وحسن الراي وقد امر لي بصدقتكم وبنوا بياضة بطن من بني زريق اخرجه ابو داود
قوله نزوت عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله تتابع بي التتابع الوقوع في الشر
واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام واوحش
الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت
فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول
اتق الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القران قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض
قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من
صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شي يتصدق به قال فاني ساعينه بعرق من تمر
قلت يا رسول الله وانا اعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا
وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي رواية قالت ان اوسا ظاهر مني وذكرت ان به لمما فقالت
والذي بعثك بالحق ما جيتك الا رحمة له ان له في منافع وذكرت نحو العرق بفتح العين والرا
المهملتين زنبيل لا يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من
الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة
ما لم يلزمه شي بل معنى اللمم هنا الالمام بالنسا وشدة الحرص والشبق والله اعلم قوله عز وجل
ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون امرهما كبتوا اي ذلوا واخزوا
واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم اي كما اخزي من كان قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا ايات بينات اي
فرايض واحكاما وللكافرين اي الذين لم يعملوا بها وجحدوها عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا
فينبئهم بما عملوا احصاه الله اي حفظ الله اعمالهم ونسوه اي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا
والله على كل شي شهيد قوله تعالى الم تر اي الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه
سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات ثم اكد ذلك بقوله سبحانه
وتعالى ما يكون من نجوى ثلاثة اي من اسرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى ما من شي يناجي به الرجل
صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا هو رابعهم اي بالعلم يعني يعلم
نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ولا خمسة
الا هو سادسهم فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت اقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض
فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك
المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول
القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله سبحانه وتعالى الثلاثة والخمسة ثم قال
تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر يعني ولا اقل من ثلاثة ولا خمسة ولا اكثر من العدد الا هو معهم اين

ما كانوا اي بالعلم والقدرة ثم ينبئهم بما عملوا اي في يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم
قوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون
فيما بينهم دون المومنين وينظرون الى المومنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المومنين انهم
يتناجون بما يسوءهم فيحزن المومنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين
خرجوا في السرايا قتل او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المومنين وكثر شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المومنين فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين
نهوا عن النجوى اي المناجاة فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة التي
نهوا عنها ويتناجون بالاثم والعدوان يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين
او شيء يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان ومعصيت الرسول وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية
الرسول واذا جاؤك يعني اليهود حيوك بما لم يحيك به الله وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يسلمون عليه وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ويقولون في انفسهم يعني اذا خرجوا من عنده قالوا لولا
يعذبنا الله بما نقول يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال الله حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا
لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب وعذاب جهنم يوم القيمة كافيهم ق عن عايشة قالت
دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك ففهمتها فقلت عليكم
السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عايشة ان الله يحب الرفق في الامر كله
فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري
ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عايشة السام
عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة عليك بالرفق
واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب
لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل
الكتاب فانما يقولون السام فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان
ابن عيينة يرويه بغير واو وقال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه
مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف
ضد الرفق واللين والفحش الردي من القول قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول في المخاطبين بهذه الاية قولان احدهما انه
خطاب للمومنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصيت

الرسول اتبعه بان نهى المومنين ان يسلكوا مثل طريقتهم او يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا
بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يودي الى الظلم ومعصيت الرسول وهو ما يكون
خلافا عليه والقول الثاني وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا
بالسنتهم وقيل امنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
وتناجوا بالبر والتقوى اي بالطاعة وترك المعصية واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما
النجوى من الشيطان اي من تزيين الشيطان وهو ما يامرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول
ليحزن الذين امنوا اي انما يزين ذلك ليحزن المومنين ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في رواية فان ذلك يحزنه
هذه الزيادة لابي داود وليس بضارهم شيئا يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان ليس بضارهم
شيئا الا باذن الله اي الا ما اراد الله وقيل الا باذن الله في الضر وعلى الله فليتوكل المومنون
اي فليكل المومنون امرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله
ولا يبطل سعيه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الاية
قيل سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما
وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم
ثم سلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم
فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من
المجلس بقدر اولئك النفر الذين قاموا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف
النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن
شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم فامرهم الله ان يفسح بعضهم
لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع
كلامه فامر الله سبحانه وتعالى المومنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله
عليه وسلم ليتساوى الناس في الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح
كل رجل في مجلسه فافسحوا اي فاوسعوا في المجالس امروا ان يوسعوا في المجالس لغيرهم يفسح الله لكم
اي يوسع الله لكم الجنة والمجالس فيها ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم رجلا
من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن يقول توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم م عن جابر بن عبد الله قال
لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي
في افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الاية انه هذا في مجالس الحرب ومقاعد

القتال كان الرجل ياتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيابون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فامروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد الباس قد يكون متاخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك ساير المجالس كمجالس العلم والقراة والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والاخرة **واذا قيل انشزوا فانشزوا** اي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كانوا رجالا يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اذا نودي للصلاة فانهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا اليه ولا تقصروا عنه **يرفع الله الذين امنوا منكم** اي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره وقيامهم من مجالسهم وتوسعهم لاخوانهم **والذين اوتوا العلم** اي ويرفع الذين اوتوا العلم من المومنين بفضل علمهم وسابقتهم **درجات** اي على من سواهم في الجنة وقيل يقال للمومن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس فاخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اوليك المومنين مثابون فيما ايتمروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام **والله بما تعملون خبير** قال الحسن قرا ابن مسعود هذه الاية وقال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم فان الله سبحانه وتعالى يقول يرفع المومن العالم فوق الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم في اقواله وافعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابي الدردا وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جيت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت في تجارة قال لا قال ما جيت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملايكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الما وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير الكواكب ان العلما ورثة الانبيا ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه وعن معاوية بن ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هولا فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هولا فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهولا افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله سبحانه وتعالى **يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة

وفايدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشي بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقرا بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شقوا عليه فاراد الله سبحانه وتعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنيا وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقرا على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقرا واهل العسرة فلم يجدوا شيا واما الاغنيا واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول اية في كتاب الله لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي اية المناجاة وعن علي بن ابي طالب قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت اشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الاية منقبة عظيمة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الاية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقرا الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقرا اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه اخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك فلم يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم وقوله **ذلك خير لكم** يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله **واطهر** اي لذنوبكم **فان لم تجدوا** يعني الفقرا الذين لا يجدون ما يتصدقون به **فان الله غفور رحيم** يعني انه سبحانه وتعالى عفا عنهم ذلك **ااشفقتم** قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله **ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا** اي ما امرتم به **وتاب الله عليكم** اي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت

الا ساعة من نهار ثم نسخ فاقيموا الصلوة اي المفروضة واتوا الزكوة اي الواجبة واطيعوا
الله ورسوله فيما امر ونهي والله خبير بما تعملون اي انه محيط باعمالكم ونياتكم قوله عز وجل
الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم
ونقلوا اسرار المومنين اليهم واراد بقوله غضب الله عليهم اليهود ما هم يعني المنافقين
منكم اي من المومنين في الدين والولا ولا منهم يعني ولا من اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون
انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل
عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق
العين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجا باصحابه
فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الايات اعد الله لهم عذابا شديدا انهم سا ما كانوا يعملون
اتخذوا ايمانهم يعني الكاذبة جنة يعني يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم
واموالهم فصدوا عن سبيل الله يعني انهم صدوا المومنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم
بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام فلهم عذاب مهين
اي في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا يوم القيامة اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في الدنيا
وكان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انها تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شي يعني من
ايمانهم الكاذبة الا انهم هم الكاذبون يعني في اقوالهم وايمانهم استحوذ عليهم الشيطان اي غلب
واستولى عليهم وملكهم فانساهم ذكر الله اوليك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اوليك في الاذلين اي في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا
والاخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت
ذلة من ينازعه غير متناهية كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله سبحانه وتعالى ذلك قضا ثابتا
قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يومر بالحرب فهو
غالب بالحجة ان الله قوي اي على نصر رسله واوليايه عزيز اي غالب على اعدايه قوله سبحانه وتعالى
لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله سبحانه وتعالى
ان ايمان المومنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مومنا لا يوالي من كفر لان من احب احدا
امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم
فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم
فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه سبحانه وتعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله تعالى
ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان الميل الى هولا من اعظم انواع الميل ومع

هذا فيجب ان يطرح الميل الى هولا والمودة لهم بسبب الدين قيل نزلت هذه الاية في حاطب
ابن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستاتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد الله
ابن مسعود في هذه الاية قال ولو كانوا اباهم يعني ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله
الجراح يوم احد او ابناهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله
دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم
يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله
العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن ابي طالب وحمزة وابو عبيدة قتلوا عتبة وشيبة
ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اوليك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق
في قلوبهم فهي مومنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه
وايدهم بروح منه اي قواهم بنصرته وانما سمى نصره اياهم روحا لانه يحيي امرهم وقيل بالايمان
وقيل بالقران وقيل بجبريل وقيل برحمة منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه انما ذكر رضوانه عنهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم
واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعدا الله فقال تعالى اوليك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والله اعلم تفسير سورة الحشر قال سعيد بن جبير
قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية وهي اربع وعشرون اية واربعماية
وخمس واربعون كلمة والف وتسعماية وثلاثة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طايفة من اليهود وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو
النضير والله انه النبي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا
واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا
فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان
في اربعين من قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق
بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة
وقد تقدمت القصة في سورة ال عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة
حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري في منصرفه من بير معونة

فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد
القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح النبي صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير
الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون
على كعب يا محمد اعية على اثر داعية وباكية على اثر باكية قال نعم قالوا فذرنا نبكي بشجونا ثم
ايتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك
ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لا يخرجوا
من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا
على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه
ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا
وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض قال بعض
اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا
اليه كيف ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون
منك فان امنوا بك امنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه
وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسلت امراة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد
بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي
صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان
من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة
فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلا
وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم
وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاوا من متاعهم وللنبي صلى الله
عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا ووسقا ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات
واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم ال ابي الحقيق وال حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر
ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني بني
النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحاق كان اجلا بني النضير مرجع النبي صلى
الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر قال الزهري كانوا
من سبط لم يصبهم جلا فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلا ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس

من شك ان الحشر بالشام فليقرا هذه الاية فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبي صلى الله
عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام
وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى
اخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من
خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من ارض الشام في ايام عمر وقيل كان هذا اول
الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل
معهم حيث قالوا ما ظننتم يعني ايها المؤمنون ان يخرجوا اي من المدينة لعزهم ومنعتهم
وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من
الله اي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله فاتاهم الله اي اتاهم امر الله وعذابه
من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله سبحانه وتعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم
وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن
الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما
استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون
السقوف وينقبون الجدران ليلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون
ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من
دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل اعدا الله ينقبون دورهم في ادبارها فيخرجون
الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فاعتبروا اي فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم يا اولي الابصار اي يا ذوي العقول والبصائر
ولولا ان كتب الله عليهم الجلا يعني الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي
كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك اي الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا
الله ورسوله اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب قوله سبحانه وتعالى
ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله الاية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعدا الله عند ذلك
وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما
زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك
فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افا الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم
بقطعه فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان
باذن الله وعن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع نخلهم وهي البويرة

فنزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة
اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه • وهان على سراة بني لوي
حريق بالبويرة مستطير • قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة قال وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل
كلها لينة الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثنا وقال ابن عباس في رواية اخرى
عنه هي لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة
يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها
ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمومنين
انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قايما هو لمن غلب عليها فاخبر الله سبحانه وتعالى
ان قطعها كان باذن الله وليخزي الفاسقين يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزا اليهود واذن الله في قطعها
احتج العلما بهذه الاية على ان حصون الكفار ودورهم لا باس ان تحرق وتهدم وترمى بالمناجيق وكذلك
قطع اشجارهم ونحوها قوله عز وجل وما افا الله على رسوله اي ما رد الله على رسوله منهم اي من يهود
بني النضير فما اوجفتم عليه يعني اوضعتم وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب يعني الابل التي
تحمل القوم وذلك ان بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنايم خيبر فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الاية انها لم يوجف
المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعني بني النضير
على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل ولكن الله
يسلط رسله على من يشا من اعدايه والله على كل شي قدير فهي له خاصة يضعها حيث شا فقسمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة نفر كانت لهم حاجة
وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وعن مالك بن اوس بن الحدثان
النضيري ان عمر دعاه اذ جاه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المومنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف
والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جا يرفا فقال هل لك في عباس وعلي
يستاذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المومنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم
اجل يا امير المومنين فاقض بينهما وارح احدهما من الاخر فقال مالك بن اوس يخيل الي انهم قد كانوا قدموهم
لذلك فقال عمر اتيدا انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السما والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على العباس وعلي
فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السما والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا نورث ما تركنا صدقة فقالا نعم قال عمر ان الله خص رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لم يخصص
بها احدا غيره فقال وما افا الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الاية قال فقسم رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله ما استاثرها عليكم ولا اخذها دونكم فقد
اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه نفقة
سنة ثم ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم
بالله الذي باذنه تقوم السما والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم ثم انشد عباسا وعليا بمثل ما انشد
القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر انا ولي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقبضه ابو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينيذ واقبل
على علي وعباس تذكران ان ابا بكر فيه كما تقولان والله يعلم انه فيه لصادق بار راشد تابع للحق
ثم توفى الله ابا بكر فقلت انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فقبضته سنتين من امارتي
اعمل فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله يعلم اني فيه صادق بار راشد تابع
للحق ثم جيتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا نورث ما تركنا صدقة فقلتم ادفعها الينا فلما بدا لي ان ادفعه اليكما قلت ان شيتما دفعته
اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان مني
قضا غير ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السما والارض لا اقضي فيه بقضا غير ذلك حتى تقوم الساعة
فان عجزتما عنه فادفعاه الي فانا اكفيكما قوله سبحانه وتعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى يعني
من اموال كفار اهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة فلله
وللرسول ولذي القربى يعني بني هاشم وبني المطلب واليتامى والمساكين وابن السبيل قد تقدم
في سورة الانفال حكم الغنيمة وقسمتها واما حكم الفي فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته
يضعه حيث يشا وكان ينفق على اهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله في الكراع
والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلما في مصرف الفي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قوم هو للايمة بعده وللشافعي رضي الله عنه فيه قولان احدهما انه للمقاتلة والثاني هو لمصالح
المسلمين ويبدا بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفي فذهب
قوم الى انه يخمس فخمسه لاهل خمس الغنيمة واربعة اخماسه للمقاتلة او لمصالح المسلمين وذهب الاكثرون
الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين قرا عمر بن الخطاب ما افا الله على رسوله
من اهل القرى حتى بلغ للفقرا المهاجرين الى قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم ثم قال هذه
استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله في هذا الفي حق الا ما ملكت
ايمانكم كي لا يكون الفي دولة والدولة اسم للشي الذي يتداوله القوم بينهم بين الاغنيا منكم
يعني الروسا والاقويا فيغلبوا عليه الفقرا والضعفا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا
غنيمة اخذ الرييس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي بعد الفراغ منه ما شا الله فجعله

الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم يعنيه فيما امره به وما اتاكم الرسول فخذوه اي من
مال الفي والغنيمة وما نهاكم عنه اي من الغلول وغيره فانتهوا وهذا نازل في اموال الفي وهو عام
في كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم او نهى عنه من قول او عمل من واجب ومندوب او مستحب او نهي
عن محرم فيدخل فيه الفي وغيره ق عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام
يعقوب وكانت تقرا القران فاتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته
فقال عبد الله وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت المراة لقد
قرات لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قراتيه لقد وجدتيه قال الله عز وجل وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة
هي التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي
تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيها فكل ذلك منهي عنه ق
عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد
وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين
احدكم متكيا على اريكته ياتيه امر مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن الاريكة كل ما اتكي عليه من سرير
او فراش او منصة ونحو ذلك واتقوا الله اي في امر الفي ان الله شديد العقاب اي على ترككم
ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكم عنه ثم بين سبحانه وتعالى من له الحق في الفي
فقال عز من قايل للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يعني اخرجهم كفار مكة
الى الخروج يبتغون فضلا من الله اي رزقا وقيل ثوابا من الله ورضوانا اي خرجوا من ديارهم
لطلب الرضى من الله عز وجل وينصرون الله ورسوله اي بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلا
كلمته اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال
والعشاير وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كان فيه من شدة حتى ذكر لنا ان
الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتا ما له دثار
غيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المهاجرين
يسبقون الاغنيا يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة يدخلون الجنة قبل اغنيا
الناس بنصف يوم وذلك خمسماية سنة اخرجه ابو داود قوله عز وجل والذين تبوءوا الدار
والايمان يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا من قبلهم يعني انهم اسلموا
في ديارهم واثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين

تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وقد امنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوا يحبون من هاجر اليهم
وذلك انهم انزلوا المهاجرين في منازلهم واشركوهم في اموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
اي حرارة وغيظا وحسدا مما اوتوا اي اعطوا المهاجرين من الفي دونهم وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة
فطابت انفس الانصار بذلك ويوثرون على انفسهم اي ويوثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي فاقة وحاجة الى ما يوثرون به ق عن ابي هريرة قال جا رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسايه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي
الا الما ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك فقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به
الى رحله فقال لامراته هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشي ونوميهم فاذا
دخل ضيفنا فاريه انا ناكل فاذا اهوى بيده لياكل فقومي الى السراج كي تصلحيه فاطفيه فقعدوا
واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة زاد في رواية وانزل الله عز وجل ويوثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة خ عن ابي هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم
اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقال تكفونا المونة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا
واطعنا خ عن انس بن مالك قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين
فقالوا لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه
سيصيبكم اثرة بعدي وفي رواية ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الاثرة
بفتح الهمزة والثا والرا وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثا والاول اشهر ومعناه
الاستيثار وهو ان يستاثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الامر نصيب
وقيل هو من اثر اذا اعطى اراد انه يستاثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفي والاستيثار
الانفراد بالشي وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شيتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه
الغنيمة وان شيتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شي من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم
لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويوثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع
الحرص وقد فرق بعض العلما بين الشح والبخل فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية
التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله سبحانه وتعالى ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون اي الفايزون بما ارادوا وروي ان رجلا قال لعبد الله بن مسعود اني اخاف ان اكون قد

هلكت قال وما ذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل
شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن الشح
ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله
انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب
المحارم وقيل من لم ياخذ شيئا نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد وقاه الله
شح نفسه م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة
واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود والهلع
اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا او يحزن على شيء يفوته او يخرج عن يده
والخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب
عبد ابدا اخرجه النسائي قوله سبحانه وتعالى والذين جاءو من بعدهم يعني من بعد المهاجرين
والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيمة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان اخبر سبحانه وتعالى انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا اي غشا وحسدا وبغضا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم فكل من
كان في قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس
ممن عناه الله في هذه الاية لان الله سبحانه وتعالى رتب المومنين على ثلاث منازل المهاجرين
ثم بعدهم الانصار ثم بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان
خارجا من اقسام المومنين وليس له في فيء المسلمين نصيب وقال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل
الفقراء المهاجرين والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءو من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه
الثلاث منازل م عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه م عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن
اختي امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي قال مالك بن انس من ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان في قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الاية ما افاء الله
على رسوله من اهل القرى الى قوله والذين جاءو من بعدهم الى رءوف رحيم وقال مالك بن مغول
قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود (النصارى) من خير اهل ملتكم

قالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم قالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا
يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم وتفريق
شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة وروي عن جابر قال قيل لعائشة
ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا
انقطع عنهم العمل فاحب الله ان لا يقطع عنهم الاجر وروي ان ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن الانصار انت قال لا قال
فانا اشهد انك لست من التابعين لهم باحسان قوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يعني اظهروا خلاف
ما اضمروا وهو عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يعني
اليهود من بني قريظة والنضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم لئن اخرجتم
اي من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني ان سالنا احد خذلانكم وخذلانكم
فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعيننكم ولنقاتلن معكم والله يشهد انهم يعني المنافقين
لكاذبون اي فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا
فلم ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الادبار يعني لو قدروا ووجدوا نصرهم او لو قصدوا نصر اليهود
لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم
ناصرهم لانتم يعني يا معشر المسلمين اشد رهبة في صدورهم من الله اصل الرهبة والرهب الخوف
الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ذلك
اي الخوف منكم بانهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله تعالى لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة
اي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلون محصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى او من وراء جدر باسهم
بينهم شديد اي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من
وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى
اي متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون
في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان المنافقين وانهم تخالف دين اليهود ذلك بانهم قوم لا يعقلون
ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال امرهم
يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل من قبلهم من بني
قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ولهم عذاب اليم اي في
الاخرة ثم ضرب مثلا اخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى
كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في غزوة بني النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان اذ قال

للانسان اكفر وذلك ما روي عن عطا وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له
برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس في امره تحيل
فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال لاحد منكم يكفينا امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب
الانبيا وهو الذي تصدي للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل يوسوس اليه على وجه
الوحي فلحقه جبريل عليه السلام فلحقه الى اقصى الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره
فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه
وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة ايام مرة فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في
اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته طلع من صومعته فراى الابيض قايما يصلي في هيئة
حسنة على هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم في نفسه اي لام نفسه حين لا يجيبه
فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتي اني جيت لان اكون
فادب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة قال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مومنا
فان الله سبحانه سيجعل لك في مال المومنين نصيبا اذا استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض
واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها راه قايما يصلي
فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي فارتفع
اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين يوما
ولا ينفتل عن صلاته وربما احد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه
نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا
غيرك ظننت انك اشد اجتهادا منه فما رايت وكان يبلغنا عنك غير الذي رايت فدخل من ذلك
على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما راى من كثرة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان
عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلي
والمجنون قال برصيصا انا اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس بي شغلوني
عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل
قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جا في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم
جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يفد فقال لهم اني لا اقوى على جنيته ولكن سارشدكم
الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به اجيب
قال فانطلقوا اليه فسالوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل
ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية
من بنات ملوك بني اسرايل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه
فكان عم تلك الجارية ملك بني اسرايل فخنقها وعذبها ثم جا اليهم كما كان ياتي الناس في صورة

متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم
الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جا شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت ترودونها
صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا هذا وهو اعظم شانا
من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا
فضعوها في صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب ما نتك قال فانطلقوا فسالوه
ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في صومعتها
وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا
عن صلاته حين عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجا الشيطان
فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته
فجا الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان
فقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى
واقعها فلم يزل كذلك ياتيها حتى حملت فظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا
قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقو عليه
فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب صومعته فجا الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ
بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته
اذ جا اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيبون في بعض الايام يسالون عنها ويوصونه بها
فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال جا شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه
وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جا الشيطان الى اكبرهم في منامه فقال ويحك
ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو
من الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاخ
الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم
بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله
لقد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال اليس
قد اعلمتكم بحالها فانكم قد اتهمتموني فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا
فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها المدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من
التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوه في النوم فمشوا اليهم وغلمانهم معهم الفوس
والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك فاقر على
نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ولم تكابر يجتمع عليك امران
قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الشيطان

فقال يا برصيصا اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك
ويحك ما اتقيت الله في امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بني اسرايل اما استحيت
فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في اخر ذلك الم يكفك ما صنعت حتى اقررت على نفسك
وفضحت اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا ولن يفلح احد
من نظرايك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه
فاخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال افعل فسجد له برصيصا
فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك فلما كفر قال
اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين قال الله تعالى فكان عاقبتهما يعني الشيطان وذلك
الانسان انهما في النار خالدين فيها وذلك جزا الظالمين قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل
ليهود بني النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم
باجلا بني النضير فدس المنافقين الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا
تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاجابوا ودربوا
على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجا نصر المنافقين فخذلوهم وتبروا منهم كما تبرا الشيطان من
برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في
بني اسرايل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق والفجور في الاخيار ورموهم بالبهتان حتى كان
من امر جريج الراهب ما كان فلما براه الله مما رموه به انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس
وكانت قصة جريج على ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم
يتكلم في المهد الا ثلاثة شاهد يوسف وعيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا صالحا
عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على
صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على
صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنوا اسرايل جريجا وعبادته
وكانت امراة بغي تتمثل بحسنها فقالت ان شيتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها
فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من
جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم قالوا زنيت
بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي فجاوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى
الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه
ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت وبينا
الصبي يرضع من امه فمر راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني
مثل هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي

ارتضاعه باصبعه السبابة في فيه قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت
وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع
ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة
فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها
وهم يقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان
ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون زنيت ولم تزن وسرقت ولم
تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخاري متفرقا
حديث جريج تعليقا وحديث المراة وابنها خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهي المراة
الفاجرة والبغي الزانية ايضا وقوله تتمثل بحسنها اي يتعجب ويضرب به المثل وقوله ذو شارة
حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المستكبر
القاهر للناس قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لينظر احدكم
اي شي قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام سيا يوبقه والغد يوم القيامة ياتي غدا وكل ما هو
ات فهو قريب واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون قيل كرر الامر بالتقوى تاكيدا وقيل معنى
الاول واتقوا الله في ادا الواجبات ومعنى الثاني واتقوا الله فلا تاتوا المنهيات ولا تكونوا
كالذين نسوا الله اي تركوا امر الله فانساهم انفسهم اي انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا
لها خيرا ينفعها عنده اوليك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب
الجنة هم الفايزون لما ارشد المومنين الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين
بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوي اصحاب النار يعني الذين
هم في العذاب الدايم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة
هم الفايزون ومعلوم ان من حصل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله قيل معناه انه لو جعل في الجبل تمييزا وعقلا
كما جعل فيكم وانزل عليه القران لخشع اي تطاطا وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله
والمعنى ان الجبل مع رزانته وصلابته يتشقق من خشية الله وحذرا من ان لا يودي حق الله تعالى
في تعظيم القران والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والحكم كان لم يسمعها وصفه
بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القران من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز
الحق من الباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه
اوجب له الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل قوله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون اي ما الغرض وهذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هولا الكفار وقساوتها
وغلظ طباعهم ولما وصف القران بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو

عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى عالم ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شهدوه وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والاخرة هو الرحمن الرحيم اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل الرحمن اشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لان احسانه تعالى في الدنيا يعم المومنين والكافرين وفي الاخرة يختص احسانه وانعامه بالمومنين هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المتصرف بالامر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته القدوس اي الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته السلام اي الذي سلم من النقايص وكل افة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القران قلت الفرق بينهما انه كونه قدوس فهو اشارة الى براته من جميع العيوب والنقايص في المستقبل فان الذي يطرا عليه شي من ذلك فانه تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اي سلم خلقه من ظلمه المومن قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من امن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمومنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب المهيمن قال ابن عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شي وقيل هو القايم على خلقه برزقه وانشد في معناه • الا ان خير الناس بعد نبيه • مهيمنه التاليه في العرف والنكر • اي القايم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى الامين والموتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات منها • حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق • وقيل المهيمن اسم من اسما الله تعالى وهو اعلم بتاويله وانشد • جل المهيمن عن صفات عبيده • ولقد تعالى عن عقول اولي النهي • راموا بزعمهم صفات مليكهم • والوصف يعجز عن مليك لا يرى • العزيز الذي لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر الجبار قال ابن عباس وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يجبر الخلق ويقهرهم على ما اراد وسيل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك المتكبر في صفة الناس الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا في فعله فكان مذموما في حق الناس واما المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال في اخر الاية سبحان الله عما يشركون كانه قيل ان

بعض الخلق بتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبريا فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا شي مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجلاله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبريا الامتناع وقيل هو ذو الكبريا وهو الملك سبحانه عما يشركون اي في ادعا الكبر لانفسهم هو الله الخالق اي المقدر لما يوجده ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل المقدر المقلب للشي بالتدبير الى غيره البارى اي المخترع المنشي للاعيان من العدم الى الوجود المصور الذي يخلق صورة الخلق على ما يريده الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبتدي للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارى المنشي لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فالا يكون خلقا ثم برا ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارى لان ترجيح الارادة متقدم على تاثير القدرة وقدم البارى على المصور لان ايجاد الذات متقدم على ايجاد الصفات له الاسما الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرا الثلاث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله تعالى اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة اية وثلاثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسماية وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا الاية ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر دعني اضرب يا رسول الله عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فانزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا الى قوله سوا السبيل روضه خاخ
روضة بقرب حمرا الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة المراة
المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المظفور قال المفسرون نزلت هذه
الاية في حاطب بن ابي بلتعه كما جا في الحديث وذلك ان سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هشام
ابن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جيت قالت لا قال فما جابك قالت كنتم الاصل والعشيرة
والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فوفدت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني
فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نايحة قالت ما طلب مني شي بعد وقعة بدر فحث
عليها بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف
بني اسد بن عبد العزي فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان
توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن ابي بلتعه الى اهل مكة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة
والمقداد بن الاسود وابا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعه الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم
فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها
كتابا فهموا بالرجوع فقال علي ما كذبنا ولا كذبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف
وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها
وكانت قد خباته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل
تعرف الكتاب فقال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت ولا غششتك منذ
نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع
عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم
يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيا فصدقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا
المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر
فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شان حاطب بن ابي بلتعه يا ايها الذين امنوا

لاتتخذوا

لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا يعني اصدقا وانصارا تلقون اليهم بالمودة اي باسباب
المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم
وبينهم وقد كفروا اي وحالهم انهم كفروا بما جاكم من الحق يعني القران يخرجون الرسول واياكم
يعني من مكة ان تومنوا اي لان امنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم ان كنتم خرجتم
هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي فلا تتخذوا
عدوي وعدوكم اوليا قوله تعالى تسرون اليهم بالمودة اي بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم
اي من المودة للكفار وما اعلنتم اي اظهرتم بالسنتكم منها ومن يفعله منكم اي الاسرار والقا المودة
اليهم فقد ضل سوا السبيل اي اخطا طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ان
يثقفوكم اي يظفروا بكم ويروكم يكونوا لكم اعدا ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسو
اي بالضرب والقتل والشتم والسب وودوا اي تمنوا لو تكفرون اي ترجعون الى دينهم كما كفروا
والمعنى ان اعدا الله لا يخلصون المودة لاوليا الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم
ولا توادوهم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذووا ارحامكم وقراباتكم
واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وترك مناصحتهم ونقل
اخبارهم وموالاة اعدايهم فانه لا تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم
يوم القيامة يفصل بينكم اي يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار والله بما تعملون
بصير قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم يخاطب حاطبا والمومنين ويامرهم
بالاقتدا بابراهيم عليه السلام والذين معه اي من اهل الايمان اذ قالوا لقومهم يعني المشركين
انا برآا منكم جمع بري ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضا ابدا حتى تومنوا بالله وحده والمعنى ان ابراهيم واصحابه تبروا من
قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمومنين ان يتاسوا بهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك يعني لكم ان تتاسوا بابراهيم في جميع اموره الا في الاستغفار لابيه المشرك فلا تتاسوا به
فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرا منه وما املك لك
من الله من شي هذا قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته
واشركت به وانما وعده الاستغفار رجا اسلامه وكان من دعا ابراهيم ومن معه من المومنين
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا
فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان
هولا على الحق ما اصابهم ذلك واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم يعني في
ابراهيم ومن معه اسوة حسنة اي قدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي ان هذه الاسوة
لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي يعرض عن الايمان ويوالي الكفار فان الله هو الغني

اي عن خلقه للحبر اي الى اسل طاعته واوليايه فلما امر الله المومنين بعداوة الكفار عادى المومنون
اقرباهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراة وعلم الله وجد المومنين بذلك انزل الله تعالى عسى
الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي كفار مكة مودة ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم
كثير منهم فصاروا لهم اوليا واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة
بنت ابي سفيان ولان لهم ابو سفيان والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب
منهم واسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم اي لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين وتقسطوا اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم وبرهم ان الله يحب المقسطين
اي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان
لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في اسما بنت
ابي بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا واقرطا وسمنا
وهي مشركة فقالت اسما لا اقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتا حتى استاذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسالته فانزل الله تعالى هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها
وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها ق عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها قالت قدمت
علي امي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم
صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
ثم ذكر الذين نهى الله تعالى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم
الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الاية خ عن عروة
ابن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
كاتب سهيل بن عمرو يومئذ وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو انه لا ياتيك احد وان كان على دينك الا
رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المومنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله
عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك
المدة وان كان مسلما وجاءت المومنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت ابن ابي معيط ممن خرج الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق فجا اهلها يسالون النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها
اليهم فلم يرجعها حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن
الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه
الاية يا ايها النبي اذا جاءك المومنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن اقر بهذا الشرط

منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد
امراة قط في المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا
حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركوا مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة
من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية
مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافرا من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في
طلبها فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة
الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات اي من دار الكفر
الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا
رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا لالتماس دنيا وما خرجت الا محبة في الاسلام
وحبا لله ولرسوله فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة
فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال
المفسرون المراد بقوله يا ايها الذين امنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى
امتحانهن بنفسه وكان يمسك من جاءه من النسا بعد الامتحان ويعطي ازواجهن مهورهن
ويرد من جاء من الرجال فاختلف العلماء هل جاز رد النسا في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل
قد كان اشترط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه
في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن لفظا صريحا وانما اطلق اللفظ فكان ظاهره
العموم لاشتماله على النسا وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن
وبين الرجال في الحكم الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن فان علمتموهن
مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن اي اذا اقررن بالايمان فلا
تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مومنة لكافر واتوهم يعني ازواجهن ما انفقوا عليهن اي من
المهر الذي دفعوه اليهن ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن اباح
الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج في دار الحرب لان
الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن ووقعت الفرقة على انقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضا
عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة
تقع الفرقة باختلاف الدارين ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم به من
العقد والنسب نهى الله تعالى المومنين عن المقام على نكاح المشركات بقوله تعالى وان كانت
امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الاية
طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي
سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي ام ابنه عبيد الله فتزوجها

ابو جهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب
تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده
في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام
ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم وردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسالوا
ايها المومنون ما انفقتم يعني ان لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم
من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم وليسالوا يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ما انفقوا
اي من المهر ممن تزوجها منكم ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا
الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النسا ولم
يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جا من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر
المومنون بحكم الله فيما امر من نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم ايها المومنون شي
من ازواجكم الى الكفار اي فلحقت بهم مرتدة فعاقبتم معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار
شي عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم اي الى
الكفار مثل ما انفقوا معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل ما انفقوا
عليها من الغنايم التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نسا المومنين
المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة
بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت
وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزى بن نضلة
وتزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وايل
وام كلثوم وكانت تحت عمر وكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن
مهور نسايهن من الغنيمة واختلفوا القول في ان رد مهر من اسلمت من النسا الى ازواجهن هل كان واجبا
او مندوبا واصل هذه المسالة ان الصلح هل كان وقع على رد النسا ام لا فيه قولان احدهما
انه وقع على رد الرجال والنسا جميعا لما روي انه لا ياتيك منا احد الا رددته وذلك لان
الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة من اصابة المشرك اياها وانه
لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار
كلمة الكفر مع التورية واظهار كلمة الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على
الرجل لقوته وهدايته فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في انه هل العمل به اليوم في رد
المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الاية منسوخة ويرد عليهم
ما انفقوا قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك الاية قال المفسرون لما فتح

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النسا
يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان
متنقبة متنكرة مع النسا خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا يشركن بالله شيا فرفعت هند راسها وقالت
والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ
على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان
رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ما اصبت شيا فيما مضى
وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها انك لهند بنت عتبة
قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال
ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان
ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت هند والله ان
البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك في معروف فقالت هند
ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي فاقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة
قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اربعماية وسبعة وخمسون امراة ولم يصافح في
البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبايع النسا بالكلام بهذه الاية لا يشركن بالله شيا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
امراة لا يملكها واما تفسير الاية قوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به البنات الذي كان يفعله
اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
لا تلحق المراة بزوجها غير ولده وذلك ان المراة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك
فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي قد تقدم ذكره ومعنى بين
ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف
اي في كل ما تامرهن به او تنهاهن عنه وقيل في كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد
وقيل هو النهي عن النوح والدعا بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه
والا تحدث المراة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم
قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النسا اخرجه البخاري
عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيا ونهانا
عن النياحة فقبضت امراة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها
النبي صلى الله عليه وسلم شيا فانطلقت ثم رجعت فبايعها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية
عن اسيد بن اسيد عن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المعروف الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه
ابو داود وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النسا حين بايعهن ان لا
ينحن فقلن يا رسول الله نسا اسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اسعاد في الاسلام عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النايحة ما لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النايحة والمستمعة
اخرجه ابو داود وقوله تعالى فبايعهن يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن واستغفر
لهن الله ان الله غفور رحيم عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
نسوة فقال لنا استطعتن واطعتن الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يا رسول الله بايعنا
قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لماية امراة كقولي لامراة
واحدة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقرا المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون
من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله
عليه وسلم فكذبوه فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير في الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور
يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الاخرة وذلك ان الكفار
اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان
يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يومنوا به قد يئسوا
من ثواب الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الصف وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور
والثاني انها مكية وهي اربع عشرة اية ومايتان واحدى وعشرون كلمة وتسعماية حرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون سبب نزولها ما روي عن عبد الله بن سلام
رضي الله عنه قال قعدنا مع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم
اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقراها علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه الترمذي قال المفسرون ان المومنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملنا
ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا

وانزل

وانزل في الاخبار ذلكم على تجارة الاية فابتلوا بذلك يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت
واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله رسوله صلى
الله عليه وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لين لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا
يوم احد فعيرهم الله بهذه الاية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون
النصر للمومنين وهم كاذبون كبر مقتا عند الله اي عظم بغضا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون معناه ان يعد واحد نفسه ثم لم يفوا به ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
اي يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اي قد
رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث
ومعناه ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البنا المرصوص قوله تعالى
واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرايل يا قوم لم توذونني
قيل انهم كانوا يوذونه بانواع الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على
طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يعني توذونني وانتم
عالمون علما قطعيا اني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يوذى فلما زاغوا
اي عدلوا ومالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي امالها عن الحق الى غيره والله لا يهدي القوم
الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وفي الاية تنبيه على عظم
ايذا الرسل حتى ان ايذاهم يودي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني
اسرايل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكانه قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد عن ابي موسى قال
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان ياتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي
يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر
من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في
التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدني قد بقي في البيت موضع قبر
اخرجه الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله
هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد حكما علما ابرارا اتقيا كانهم في الفقه انبيا يرضون من الله
باليسير من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي
وقد سماه الله تعالى رءوفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه
ان الانبيا كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضايل والمحاسن والاخلاق

وفي الآية دليل صح

النبي يجد بها من غيره فلما جاهم بالبينات قيل هو عيسي عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه
وسلم قالوا هذا سحر مبين اي ظاهر ومن اظلم ممن افتري علي الله الكذب اي ومن اكثر ظلما ممن
بلغ افتراوه ان يكذب علي الله وذلك انهم علموا انما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به وهو يدعا
الي الاسلام معني الاية الناس اشد ظلما من يدعو ربه علي لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الي الاسلام
الذي فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افترا الكذب علي الله بقوله هذا سحر مبين
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عتوهم يريدون
ليطفيوا نور الله بافواههم يعني ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القران هذا سحر
والله متم نوره يعني متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ولو كره
الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله اي ليعليه علي الاديان
المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام
ولو كره المشركون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب اليم
نزلت هذه الاية حين قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الي الله لعملنا وانما سماه تجارة لانهم
يربحون فيها رضي الله عز وجل وقيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالي هو
تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي
امركم به من الايمان والجهاد في سبيله ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تومنون
بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معني الامر المعني امنوا بالله وجاهدوا في سبيله اي اذا
فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات
عدن ذلك الفوز العظيم يعني هذا الجزا الذي ذكر هو الفوز العظيم واخري تحبونها اي ولكم
تجارة اخري وقيل ولكم خصلة اخري تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة
نصر من الله وفتح قريب قيل هو النصر علي قريش وفتح مكة وقيل هو فتح فارس والروم وبشر
المومنين اي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم علي نصر الدين وجهاد المخالفين
فقال تعالي يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسي ابن مريم للحواريين من انصاري الي
الله اي مع الله والمعني انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسي عليه السلام
من انصاري الي الله قال الحواريون نحن انصار الله وكانوا اثني عشر رجلا اول من امن بعيسي
عليه السلام وحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حواري الزبير فامنت
طايفة من بني اسرايل وكفرت طايفة قال ابن عباس يعني في زمن عيسي صلى الله عليه وسلم وذلك لما رفع
تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان
عبد الله ورسوله فرفعه وهم المومنون واتبع كل فرقة منهم طايفة من الناس فاقتتلوا فظهرت
الفرقتان الكافرتان علي المومنين حتي بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المومنة علي

الكافرة

الكافرين فايدنا الذين امنوا علي عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين وقيل معناه فاصبحت
حجة من امن بعيسي ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسي روح الله وكلمته والله اعلم
تفسير سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة اية ومايتا وثمانون كلمة وسبعماية وعشرون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك
القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين يعني العرب وكانت العرب امة امية لا تكتب
ولا تقرا حتي بعث فيهم نبي الله وقيل الامي هو الذي علي ما خلق عليه فانه منسوب الي امه رسولا
منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما
كان اميا لان نعته في كتب الانبيا النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة
بالكتابة علي ما اتي به من الوحي والحكمة ويكون حاله مشاكلة لحال امته الذي بعث فيهم وذلك
اقرب الي صدقه يتلوا عليهم اياته اي التي تبين رسالته وقيل اياته التي تتميز بها الحلال
من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك ويعلمهم الكتاب اي القران وقيل
الفرايض والحكمة قيل هي السنة وان كانوا من قبل اي من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم
لفي ضلال مبين واخرين منهم اي من المومنين الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم
فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل اراد بالاخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية
عن مجاهد يدل عليه ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول
الله هولا الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتي ساله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده علي سلمان ثم قال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال
من هولا اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الاسلام بعد
النبي صلى الله عليه وسلم الي يوم القيامة لما يلحقوا بهم لم يدركوهم ولكنهم جاوا بعدهم وقيل لما
يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شان الصحابة وهو العزيز اي الغالب
الذي قهر الجبابرة الحكيم اي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته ذلك فضل الله يوتيه من
يشا يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم والله ذو الفضل العظيم
اي علي خلقه حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالي مثل الذين حملوا التوراة
يعني اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ليس هو الحمل علي الظهر وانما هو الحمالة
والحميل هو الكفيل ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما فيها ولم يودوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا
جمع سفر وهي الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من المعني وهو مثل ضربه الله تعالي
لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب
لا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرون التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا

فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القران ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه
ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القران اتبعوا القران قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الاية ثم ذم
هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى بيس مثل القوم اي بيس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات
الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما اتى به من ايات القران وقيل من الايات ايات التوراة لانهم
كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من سبق
في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا انفسهم بتكذيب ايات الله وانبيايه قل اي يا محمد
يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا لله من دون الناس اي من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
فتمنوا الموت اي ادعوا على انفسكم بالموت ان كنتم صادقين يعني فيما زعمتم انكم ابنا الله واحباوه
فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الاخرة خير لاوليايه من الدنيا ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون
منه فانه ملاقيكم اي لا ينفعكم الفرار منه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم
تعملون فيه وعيد وتهديد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي لوقت الصلاة
من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة واراد بهذا الندا الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة
لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ندا سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم
على المنبر اذن بلال خ عن السايب بن يزيد قال كان الندا يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام
على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد الندا
الثاني على الزورا زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يوذن بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزورا موضع عند سوق
المدينة قريب المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل
لان الله تعالى جمع فيه بين خلق ادم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشيا فاجتمعت فيه
المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن
لوي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها
يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام
وللنصارى يوم مثله فلنجعل هذا يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم
السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله تعالى في ذلك عن كعب بن
مالك انه كان اذا سمع الندا يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبيت
من حرة بني بياضة بنقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يوميذ قال اربعون اخرجه
ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما ذكره اصحاب السير

ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين
لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فاقام بقبا يوم الاثنين والثلاثا والاربعا
ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة
الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا اليه واعملوا له وليس
المراد من السعي الاسراع في المشي وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرا فامضوا الى ذكر
الله وقال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولكن نهوا ان ياتوا الى الصلاة الا وعليهم
السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الاية فاسعوا الى
ذكر الله تعالى قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتاول قوله فلما بلغ
معه السعي بقوله فلما مشى معه ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية فاذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون
وعليكم السكينة والوقار زاد مسلم فان كان احدكم يعمد الى الصلاة وهو في الصلاة والمراد بقوله
فاسعوا الى ذكر الله قال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وذروا البيع يعني البيع والشرا
ذلكم اي الذي ذكر من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم اي من المبايعة في ذلك الوقت ان كنتم
تعلمون اي مصالح انفسكم فصل في فضل الجمعة واحكامها والمتاركها وفيه مسايل
المسيلة الاولى في فضلها م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه
الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج من الجنة زاد في رواية لا تقوم
الساعة الا في يوم الجمعة ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة
لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله فيها شيا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها
ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما
قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب
كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة
فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملايكة يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان
يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملايكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا
الصحف وجاوا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة
م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا فاحسن الوضو ثم اتى المسجد واستمع وانصت
غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغى قوله ومن
مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو في عبادة

قال ادركني ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت
قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار عن ابي هريرة قال خرجت الى الطور فرايت كعب الاحبار
فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته
ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم
وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة
يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها
عبد مسلم وهو يصلي يسال الله تعالى شيا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت
بل في كل جمعة فقرا كعب التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد
عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام
قد علمت اي ساعة هي قال ابو هريرة فقلت اخبرني بها ولا تضن علي وفي رواية تضنن علي قال هي
اخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي
وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس
مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك
اخرجه مالك في الموطا والنساي عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل
رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم خرج
فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين
الجمعة الاخرى عن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل
واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة
اجر عمل سنة صيامها وقيامها اخرجه ابو داود والنساي قال ابو داود وسيل مكحول
عن غسل واغتسل قال غسل راسه وجسده المسيلة الثانية في اثم تاركها عن عبد الله بن عمر
ابن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين اقوام
عن تركهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن ابي الجعد الضمري وكانت
له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه
ابو داود والنساي وللترمذي نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان امر رجلا ان يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة
بيوتهم المسيلة الثالثة في تاكيد وجوبها قال العلما صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب
على كل مسلم بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر ومن تركها من غير عذر استحق العقوبة اما الصبي
والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النسا بالاتفاق يدل
عليه ما روي عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم

في جماعة الا على اربعة عبد مملوك وامراة وصبي ومريض اخرجه ابو داود وقال طارق راى
النبي صلى الله عليه وسلم ويعد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيا عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع الندا اخرجه ابو داود
وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة
على من اواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي
وليس على العبد المكاتب جمعة وعن احمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا
سمعوا الندا من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي
واحمد واسحاق والشرط ان يبلغهم ندا موذن جهوري الصوت يوذن في وقت تكون الاصوات هادية
والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها
حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من اواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان
على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة
لا جمعة على اهل السواد سوا كانت القرية قريبة ام بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روي
في البخاري عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين ولابي داود وغيره وفيه جواثا قرية من قرى البحرين
المسيلة الرابعة في تركها لعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس انه خطب في يوم
ذي ردغ فامر الموذن فلما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم
انكروا ذلك فقال كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة
واني كرهت ان اخرجكم زاد في رواية فتمشون على الطين والدحض والزلق اخرجه البخاري ومسلم
وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الجمعة ولكن لا يكمل
به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل به العدد المسيلة الخامسة في العدد الذي
تنعقد به الجمعة اختلف اهل العلم في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من
اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون
عنه شتا ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم والي والوالي غير
شرط عند الشافعي وقال علي بن ابي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول اصحاب الراي
ثم عند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد
بثلاثة اذا كان فيهم والي وقال الحسن تنعقد باثنين كساير الصلوات وقال ربيعة
تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمراة والمسافر والصبي
ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك وابو يوسف وقال احمد
تصح في موضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع المسيلة السادسة لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة

بعد الزوال قبل ان يصلي الجمعة وجوز اصحاب الراي ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق
البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره اذا
الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج او غزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما
فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم راه فقال اردت
ان اصلي معك ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه
الترمذي وروى ان عمر راى رجلا عليه اهبة السفر سمعه يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت
فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة شرايط وسنن واداب مذكورة في كتب
الفقه وفي هذا القدر كفاية والله اعلم قوله عز وجل **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض**
اي اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوايجكم **وابتغوا من فضل**
الله يعني الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شيت فاخرج وان شيت فاقعد وان شيت
فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة
وطلب اخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان
اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك
وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين **واذكروا الله كثيرا** اي اذا
فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشرا فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل
بالطاعة وقيل لا تكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قايما وقاعدا ومضطجعا **لعلكم تفلحون**
قوله تعالى **واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما** عن جابر قال بينا نحن نصلي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع
النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنى عشر رجلا فنزلت هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها وتركوك قايما وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما فجاءت
عير من الشام وذكر نحوه وفيه الا اثنى عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنى عشر رجلا
انا فيهم وذكر في الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه
بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد قال ابن عباس في رواية
عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلا سعر
فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم
يخطب فلما راوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم

الا رهط فيهم ابو بكر فنزلت هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تتابعتم
حتى لم يبق منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب
يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم يبق عاتق
بالمدينة الا اتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند احجار
الزيت وهو مكان المدينة ثم يضرب بالطبل ليوذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه
فقدم ذات يوم جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايما على المنبر
يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنى عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كم بقي في المسجد فقالوا اثنى عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هولا لسومت
لهم الحجارة من السما فانزل الله هذه الاية واراد باللهو الطبل وكانت العير اذا قدمت استقبلوها
بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في اليها راجع
الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قايما اي اتفقوا على ان هذا القيام كان في الخطبة للجمعة
قال علقمة سيل ابن مسعود اكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قايما او قاعدا قال اما تقرا وتركوك
قايما قال العلما الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب ان يخطب الامام
قايما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا القعود
ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين واقل ما يقع عليه اسم الخطبة
ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين
جميعا ويجب ان يقرا في الاولى اية من القران ويدعو للمومنين في الثانية ولو ترك واحدة من
هذه الخمسة لا تتم جمعته عند الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة
او تكبيرة اجزاه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مامور بالخطبة والسنة للامام
اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل
يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلما والاصح انه يحرم على المستمع دون
الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة
ومالك ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة
قايما ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الان عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت
للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك
انه كان يخطب جالسا فقد كذب عن كعب بن عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن
ابن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال الله تعالى واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت اصلي مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود
يقرا ايات من القران ويذكر الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذما اخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ
بالله من شرور انفسنا من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيا وفي رواية ان
يونس سال ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال من يعصهما
فقد غوي ونسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه
انما نحن به وله اخرجه ابو داود وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته
واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن
بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي
هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك
مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام
يخطب فقد لغوت عن نافع ان ابن عمر راى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما
ان اصمتا اخرجه مالك في الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع
الكلام فاما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شرايط الوقت
وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار
الاقامة فان فقد شرط من هذه الشرايط الخمس يجب ان تصلى ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدي
الخطبة قبل تمام جميع العدد وهو عدد اربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطبهم ثم
انفضوا قبل افتتاح الصلاة او انفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلي بهم الجمعة بل يصلي
الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعي ان بقا الاربعين شرط الى اخر الصلاة
كما ان بقا الوقت شرط الى اخر الصلاة فلو نقص واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها
ظهرا وفيه قول اخر وهو ان بقي معه اثنان اتمها جمعة وعند المزني ان انفضوا بعد ما صلى
بهم الامام ركعة اتمها جمعة وان بقي وحده وان كان في الركعة الاولى يتمها اربعا وان انفض
من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق اذا ادرك اقل من ركعة

انها اربعا خ عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل
الشمس م عن عبيد الله بن ابي رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة
فصلى بنا ابو هريرة الجمعة فقرا بعد الحمد سورة الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية
قال فادركت ابا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرات بسورتين كان علي بن ابي طالب يقرا بهما
في الكوفة قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بهما م عن النعمان بن بشير رضي
الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى
وهل اتاك حديث الغاشية وقال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرا بهما في الصلاتين
عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الجمعة بسبح اسم
ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنساي قل ما عند الله اي ما عند
الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة
الذي جابهما دحية والله خير الرازقين يعني الله تعالى موجد الارزاق وواصلها منه فاياه
فاسالوا ومنه فاطلبوا والله تعالى اعلم تفسير سورة المنافقون مدنية وهي احدى
عشرة اية وماية وثمانون كلمة وتسعماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه قالوا نشهد انك لرسول
الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدا فقال تعالى والله يعلم انك لرسوله اي هو الذي ارسلك فهو عالم
بك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا خلاف
ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطي اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شي
واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد
انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم جنة اي سترا يستترون
بها من القتل ومعنى ايمانهم ما اخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول
الله فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا
الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا يعملون يعني حيث اثروا الكفر
على الايمان ذلك بانهم امنوا اي في الظاهر وذلك اذا راوا المومنين اقروا بالايمان ثم كفروا
اي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تاكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون فطبع على
قلوبهم اي بالكفر فهم لا يفقهون اي الايمان وقيل لا يتدبرون القران واذا رايتهم يعني المنافقين
مثل عبد الله بن ابي بن سلول تعجبك اجسامهم يعني ان لهم اجساما ومناظر حسنة وان يقولوا
تسمع لقولهم اي فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي بن سلول فصيحا ذلق اللسان
فاذا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله صدقه كانهم خشب مسندة اي اشباح بلا ارواح واجسام بلا
احلام وشبههم بالخشب المسندة الى الجدر وليست باشجار مثمرة ينتفع بها يحسبون كل صيحة عليهم

يعني انهم لا يسمعون صياحا في العسكر بان ينادي منادٍ او انفلتت دابة او انشدت ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما في قلوبهم من الرعب
وقيل انهم على خوف ووجل من ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم ويستبيح دماءهم ثم تم
الكلام ثم ابتدا فقال هم العدو فاحذرهم ولا تامنهم يعني انهم وان كانوا معك ويظهرون
تصديقك فهم اعداوك فاحذرهم ولا تامنهم على سرك لانهم عيون لاعدايك من الكفار
وينقلون اليهم اسرارك قاتلهم الله اي لعنهم الله انى يوفكون اي يصرفون عن الحق قوله تعالى واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رووسهم اي اما لوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن
الاستغفار ورايتهم يصدون اي يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون اي عن استغفار رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم سواء عليهم استغفرت لهم اي يا محمد ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ذكر القصة في سبب نزول هذه الاية قال محمد بن اسحاق
وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه
وقايدهم الحرث بن ابي ضرار وهو ابو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك خرج عليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية
قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وامكن منهم ونفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فافاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت
واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه
فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر
الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين واعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال
فقال له عبد الله بن ابي جعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبد
الله بن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله افعلوها
قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك اما
والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا
ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال
ودونه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا
من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه
وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن ابي اسكت فانما كنت العب فمشى زيد
ابن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر
ابن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها

فارتحل الناس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب
هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد الله والذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيا من ذلك
وان زيدا لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه
يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي صلى الله
عليه وسلم وفشت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما اردت الا ان
كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم
فاستحيى بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوما
بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن ابي فقال اسيد وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة
اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد انت والله يا رسول الله تخرجه ان شيت هو والله الذليل وانت العزيز
ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى
انك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل ابي عبد الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني
فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى
ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي على الارض فاقتل
فاقتله فاقتل مسلما بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نرفق به ونحسن صحبته
ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح
وصدر يومه حتى اذاه الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما
وانما فعل ذلك حتى يشتغل الناس عن حديث عبد الله بن ابي الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس
حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعا فهاجت ريح شديدة اذتهم وتخوفوها وضلت
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما
هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت
فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه
بالوحي فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال اما ازعم اني اعلم الغيب ولا اعلمه ولكن الله اخبرني
بقول المنافق وبمكان ناقتي بالشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب
فاذا هي كما قال فجاءوا بها فامن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة
ابن زيد بن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله

صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحيا فانزل
الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن ابي فلما نزلت
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله قد صدقك ووفى باذنك وعن
عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال
عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى
عبد الله بن ابي فساله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد يا رسول الله قال فوقع في نفسي مما
قالوه شدة حتى انزل الله بتصديقي اذا جاءك المنافقون ثم قال دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليستغفر لهم قال فلووا روسهم وقوله كانهم خشب مسندة قيل كانوا رجالا اجمل شي وعن
عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا
وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال
الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما بال
دعوى الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري فقال دعوها فانها
خبيثة وقال عبد الله بن ابي بن سلول اقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل فقال عمر الا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث
الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لا باس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان
او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له
ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر انك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال
اصحاب السير وكان عبد الله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى
اناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن ابي قال له ابنه وراءك قال ويلك ما لك قال
لا والله لا تدخلها ابدا الا ان ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلمن اليوم من الاعز من الاذل
فشكى عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال لعبد الله اما اذ جاء
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قال فلما نزلت هذه السورة وبان كذب عبد الله
ابن ابي قيل يا ابا حباب انه قد نزل فيك اي شدادا فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر
لك فلوى راسه وقال امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي
الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا روسهم الاية ونزل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي
يتفرقوا عنه ولله خزائن السموات والارض يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احد شيئا الا
باذنه ولا يمنعه الا بمشيته ولكن المنافقين لا يفقهون يعني ان امره اذا اراد شيئا ان يقول له

كن فيكون يقولون لئن رجعنا الى المدينة يعني من غزوة بني المصطلق ليخرجن الاعز منها الاذل
فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه
وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المومنين نصر الله اياهم
على اعدائهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال اصحاب السير
فلما نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي بن سلول فلم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات على
نفاقه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن
الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ومن يفعل
ذلك اي ومن يشغله ماله وولده عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث اثروا الفاني
على الباقي وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت
اي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسال الرجعة فيقول رب لولا اخرتني اي هلا امهلتني
وقيل لو اخرت اجلي الى اجل قريب فاصدق اي فازكي مالي واكن وقري واكون من الصالحين
اي من المومنين وقيل هذه الاية نزلت في المنافقين ويدل على هذا ان المومن لا يسال الرجعة
وقيل الاية نزلت في المومنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له
مال ولم يود زكاته او اطاق الحج ولم يحج الا سال الرجعة عند الموت وقرا هذه الاية واكون
من الصالحين اي احج وازكي ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها يعني انه تعالى لا يوخر من حضر اجله
وانقضت مدته والله خبير بما تعملون اي انه لو رد الى الدنيا واجيب الى ما سال ما حج وما زكى
وقيل هو خطاب شايع لكل عامل عملا من خير او شر والله اعلم تفسير سورة التغابن
مدنية في قول الاكثرين وقيل هي مكية الا ثلاث ايات من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من
ازواجكم واولادكم الى اخر ثلاث ايات وهي ثمان عشرة اية واحدى واربعون كلمة والف وسبعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله
الحمد يعني انه تعالى متصرف في ملكه كيف يشا تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان
اصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال الا هو وهو على كل
شي قدير يعني انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشا كما يشا بلا مانع ولا مدافع هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مومن قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بني ادم مومنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما
خلقهم مومنا وكافرا عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للجنة اهلا
خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم وعن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب
علقة اي رب مضغة فاذا اراد ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد
فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة في معنى الاية ان الله تعالى خلق

الخلق ثم كفروا وامنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن ثم
اختلفوا في تاويلها فروى عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر حياته ومنكم مومن في العاقبة
وقال عطا بن ابي رباح فمنكم مومن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر بان الله خلقه وهم
الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم مومن اي بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله خلق الكافر
وكفره فعلا له وكسبا واختاره بتقدير الله وبمشيته فالمومن بعد خلق الله اياه يختار الايمان
لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله
قدر ذلك عليه وعلمه منه طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبر والقدر
والله بما تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن خلق السموات والارض بالحق وصوركم
فاحسن صوركم اي انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن
القامة والمناسبة في الاعضا وقد علم ان صورة الانسان احسن صورة واكمله واليه المصير
اي المرجع في القيامة يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات
الصدور معناه انه لا يخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شي عليم
قوله تعالى الم ياتكم يخاطب كفار مكة نبا الذين كفروا من قبل يعني خبر الامم الخالية فذاقوا وبال
امرهم اي جزا اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك اي الذي نزل
بهم من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا ان يكون
الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا فكفروا
اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم والله غني اي عن
خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن يوم القيامة ثم لتنبون اي لتخبرن بما عملتم وذلك على
الله يسير اي من امر البعث والحساب يوم القيامة فامنوا بالله ورسوله لما ذكر حال الامم الخالية
المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة
والنور الذي انزلنا يعني القران سماه نورا لانه يهتدي به من ظلمات الضلال كما يهتدي بالنور في الظلمة
والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل
يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات واهل
الارضين ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ المراد في المجازاة والتجارة وذلك انه اذا
اخذ الشي بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة وذلك لان كل كافر له
اهل ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مومن
بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن اعظم من
هذا وقيل هو غبن المظلوم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الاخرة غابنا الظالمه واصل

الغبن في البيع والشرا وقد ذكره في حق الكافرين انهم خسروا وغبنوا في شرايهم فقال تعالى
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المومنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم
وقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت
صفقة المومنين ومن يومن بالله اي على ما جات به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ويعمل
صالحا اي في ايمانه الى ان يموت على ذلك يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا اي بوحدانية الله وقدرته وكذبوا باياتنا اي الدالة على البعث
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بقضا الله وقدره
وارادته ومن يومن بالله اي يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك
الا بقضا الله وقدره واذنه يهد قلبه اي يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه
وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضا الله وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخا والصبر
عند البلا والله بكل شي عليم واطيعوا الله اي فيما امر واطيعوا الرسول اي فيما جا به من الله وما
امركم به فان توليتم اي عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله
الا هو اي لا معبود ولا مقصود الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم اي عن ابن عباس قال هولا رجال اسلموا من اهل مكة
وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم
فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة وان تعفوا
وتصفحوا وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فراى الذين قد سبقوه بالهجرة
قد فقهوا في الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولم
ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فامر الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطا بن يسار نزلت في عوف
ابن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا
فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يحملكم اياهم على ترك طاعة
الله فاحذروهم اي ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اي فلا تعاقبوهم على خلافكم
فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلا واختبار وشغل عن الاخرة وقد يقع الانسان
بسببهم في العظايم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر عظيم
يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب اولادكم ولا توثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم
قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانهم

كلهم ليسوا باعدا ولم يذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لا يخلوا عن الفتنة
واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من
الفتنة فانه ليس منكم احد يرجع الى اهل ومال وولد الا مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم
اني اعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا
فجا الحسين والحسن وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين
الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم اي ما اطقتم وهذه الاية ناسخة لقوله اتقوا
الله حق تقاته واسمعوا واطيعوا اي لله ولرسوله فيما يامركم به وينهاكم عنه وانفقوا اي من حق
الله الذي امركم به خيرا لانفسكم اي ما تنفقتم في طاعة الله ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون
تقدم تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو النصدق من الحلال مع طيب نفس يعني
ان تقرضوا اي تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه بالانفاق يضاعفه لكم اي يجزكم بالضعف
الى سبعماية الى ما يشا من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني يجب المتقربين اليه حليم اي لا يعاجل
بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم والله اعلم تفسير سورة
الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة اية ومايتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب
امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب وقيل
معناه يا ايها النبي قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النسا اي اردتم تطليقهن فطلقوهن
لعدتهن اي لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب
الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن من قبل عدتهن وهذا
في المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الاية في عبد الله بن عمر كان قد طلق
امراته في حال الحيض عن ابن عمر رضي الله عنهما انه طلق امراته وهي حايض فذكر ذلك عمر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها
فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا زاد في رواية كان عبد الله
طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق
امراته وهي حايض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها
طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة يسال ابن عمر
وابو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امراته حايضا فقال طلق ابن عمر امراته وهي حايض على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت

فليطلق او ليمسك قال ابن عمر وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
فطلقوهن من قبل عدتهن فصل اعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة
وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شا طلق قبل ان يمس
والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة تلزمها العدة بالاقرا
فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض او طلق الصغيرة التي لم تحض والايسة بعد
ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال رويتها الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة
في طلاق هولا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مجامعة زوجته قبل ان يعرف
حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاشبه ان يتعرف الحال ولو طلق امراته في حال الحيض او في
طهر جامعها فيه قصدا اعصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر
بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يامره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز ان يطلقها
في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس وابن
سيرين عن ابن عمر ولم يقولوا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر
ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته
اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض
اهل العلم كما لو طلق امراته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي واحمد وذهب
بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الراي قوله تعالى واحصوا العدة اي عدد
اقرايها فاحفظوها قيل امر باحصا العدة لتفريق الطلاق على الاقرا اذا اراد ان يطلق
ثلاثا وقيل للعلم ببقا زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى واتقوا الله ربكم
اي واخشوه ولا تعصوه فيما امركم به لا تخرجوهن من بيوتهن يعني اذا كان المسكن الذي طلقها
فيه الزوج للزوجة بملك او كرا وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكري لها منزلا
غيره ولا يجوز للزوج ان يخرج المراة من المسكن الذي طلقها فيه ولا يخرجن يعني ولا يجوز
للمراة ان تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت
ضرورة بان خافت هدما او غرقا جاز لها ان تخرج الى منزل اخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية
من بيع غزل وشرا قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا
باحد فقالت نساوهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن
عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوي كل امراة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخالة جابر طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وراجعة
والبدوية تتبوا حيث يتبوا اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم
وقوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذا على اهل زوجها

فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها
ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها
ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة
وتلك حدود الله يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام ومن يتعد حدود الله
اي يطلق لغير السنة او يجاوز هذه الاحكام فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه لا تدري لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا اي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب
ان يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنته المراجعة عن محارب
ابن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق اخرجه
ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله
الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من غير
ما باس به حرام عليها رايحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي اذا
قربن من انقضاء عدتهن فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى
تنقضي عدتهن فيبن منكم واشهدوا ذوي عدل منكم اي على الرجعة والفراق امر بالاشهاد على الرجعة
وعلى الطلاق عن عمران بن حصين انه سيل عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها
ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها
ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب في الفرقة وفايدة هذا الاشهاد ان لا يقع
بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها وان لا يموت احد الزوجين فيدعي الاخر ثبوت الزوجية
ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة وتنكح زوجا
غيره واقيموا الشهادة يعني ايها الشهود لله اي طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا
بالحق وادوها على الصحة ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له
مخرجا قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت في
عوف بن مالك اسر ابن له يسمى مالكا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو ابني
وشكا اليه ايضا فاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا
قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم
ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي
اربعة الاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي في ابنه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعني
ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم
واخبره الخبر وساله ايحل له ان ياكل ما اتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الاية
وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شي هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال

الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شي ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما
نهاه الله عنه ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني ومن يثق بالله فيما نابه كفاه ما اهمه وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا ان الله بالغ امره اي منفذ امره وممضي في خلقه ما امضاه قد جعل الله لكل شي قدرا
اي جعل لكل شي من شدة او رخا اجلا ينتهي اليه وقال مسروق في هذه الاية ان الله بالغ امره
توكل عليه او لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر له سياته ويعظم له اجرا قوله تعالى واللاي يبسن
من المحيض من نسايكم قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وقال خلاد بن النعمان
ابن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عز وجل واللاي
يبسن من المحيض من نسايكم يعني القواعد اللاتي قعدن فلا يرجون ان يحضن ومثل العجايز الايسات
من الحيض ان ارتبتم اي شككتم في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللاي لم يحضن
يعني الصغاير اللاتي لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع
حيضها قبل بلوغ سن الايسات فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم
فتعتد بثلاثة اقرا او تبلغ سن الايسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت
وعبد الله بن مسعود وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي واصحاب الراي وحكي عن عمر انها
تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة
فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله في عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها
اربعة اشهر وعشرا سوا كانت ممن تحيض او لا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سوا طلقها
زوجها او مات عنها وهو قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ق عن سبيعة
الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا فتوفي
عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها
تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني الدار فقال لها ما لي اراك تجملت
للخطاب ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة
فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك
فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه وزاد
قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها زوجها
حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امر الدنيا والاخرة ذلك اي ذلك الذي ذكر
من الاحكام امر الله انزله اليكم اي لتعملوا به ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا قوله تعالى
اسكنوهن يعني مطلقات نسايكم من حيث سكنتم من وجدكم اي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا
يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن اي لا تؤذوهن

لتضيقوا عليهن يعني مساكنهن فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
اي فيخرجن من عدتهن فصـــل في حكم الاية اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة
والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مونة السكنى فان كانت الدار التي طلقها الزوج فيها
ملك الزوج يجب على الزوج ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى
الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة
بالخلع وبالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر اهل
العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي
وبه قال الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول
ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الراي وظاهر القران يدل على انها لا تستحق الا ان
تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن واما الدليل
على ذلك من السنة فما روي عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب
فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شي فجاءت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ليس لك عليه نفقة فامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال
تلك امراة يغشاها اصحابي فاعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا حللت
فاذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابي سفيان وابا جهم خطباني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك
لا مال له انكحي اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم
واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد
في بيت عمرو بن ام مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها نقلت فاطمة
لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطي الشبهة والمفسوخة
نكاحها بعيب وخيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن
وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا
من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي
فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشا وهو قول علي وابن عباس وعائشة
وبه قال عطا والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد
الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد واسحاق واحتج من اوجب لها
السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سالته ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا
حتى كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة

فان

فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
قالت فانصرفت حتى كنت في الحجرة ناداني فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة
التي ذكرت له من شان زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه
اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسالني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به
اخرجه ابو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذن للفريعة اولا بالرجوع حتى صار منسوخا
بقوله اخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث
في بيتها اخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل فان ارضعن لكم يعني اولادكم فاتوهن اجورهن
يعني على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم
يكن لها ان تاخذ عليه اجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد
واتمروا بينكم بمعروف اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام
على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان ياتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصد
الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل في حق المراة ونفقتها ولا المراة في حق
الولد ورضاعه وان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي المراة اجرة
رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير
امه وذلك قوله فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته اي على قدر غناه ومن قدر عليه اي ضيق
عليه رزقه فكان بمقدار القوت فلينفق مما اتاه الله اي على قدر ما اتاه الله من المال لا يكلف الله نفسا
اي في النفقة الا ما اتاها يعني من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة
سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله تعالى وكاين من قرية عتت
اي عصت وطغت والمراد اهل القرية عن امر ربها ورسله اي وامر رسله فحاسبناها حسابا شديدا
اي بالمناقشة والاستقصا وقيل حاسبها بعملها في الكفر فجازاها النار وهو قوله وعذبناها
عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وفيه تقديم وتاخير مجازه فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط
والسيف وساير انواع البلا وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا فذاقت وبال امرها اي شدة
امرها وجزا كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي خسرانا في الدنيا والاخرة اعد الله لهم عذابا شديدا
يخوف كفار مكة ان ينزل بهم ما نزل بالامم الماضية فاتقوا الله يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول
ثم نعتهم فقال الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القران رسولا اي وارسل اليكم رسولا يتلوا
عليكم ايات الله مبينات قرئ مبينات بالخفض اي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي وقرئ بالنصب
ومعناه انها واضحات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر
الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل برزقه

الله طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة الله الذي خلق سبع سموات يعني بعضها فوق بعض
ومن الارض مثلهن اي في العدد يتنزل الامر بينهن اي الوحي الذي خلقه من السما العليا الى الارض
السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات و يا تي
بالليل وبالنهار و بالصيف و بالشتا و يخلق الحيوان على اختلاف هياته وينقله من حال
الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل سما من سمواته
وارض من ارضيه خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه لتعلموا ان الله على كل شي قدير
وان الله قد احاط بكل شي علما يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شي لا يخفى عليه خافية وانه قادر
على الانشا بعد الافنا وكل الكاينات تحت قدرته داخلة في علمه والله تعالى اعلم بمراده واسرار
كتابه نفعنا به سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون
كلمة والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله
لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم ذكر سبب نزولها عن عايشة رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوى وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسايه
فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس عند من
فتسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة فيها عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم
منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة فقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو
منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي له ما هذه الريح التي اجد وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل
فقولي له جرست نحله العرفط وسا قول ذلك وقولي انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة
قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت اباديه بالذي قلت وانه على الباب فرقا منك
فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي اجد
منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت
له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة
لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت لها اسكتي ق عن عايشة رضي الله عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت
انا وحفصة ان اينا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم ان تقول اني اجد منك ريح مغافير
فدخل على احداهما فقالت له اكلت مغافير قال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود
فنزل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى
بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا
زاد في رواية تبتغي مرضات ازواجك شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل الحلوا بالمد وهو كل شي حلو وذكر العسل
بعدها وان كان داخلا في جملة الحلوا تنبيها على شرفه ومرتبته وهو من باب الخاص بعد
العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت انا وحفصة هكذا وقع في الرواية واصله
فتواطات بالهمزة اي تفقت انا وحفصة قولها اني لاجد منك ريح مغافير وهو
بغين معجمة وفا بعدها يا وراو هو صمغ حلو كالناطف وله رايحة كريهة ينضحه شجر
يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفا يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض
يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرايحة وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاة
وهو كل شجر له شوك وقيل رايحته كرايحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره
ان يوجد منه رايحة كريهة قولها جرست نحله العرفط فصار منه العسل قولها
في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول ان الشرب
كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عايشة وسودة وحفصة هن اللواتي تظاهرن
عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسايي اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج
صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فايدة
يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه فهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عايشة وحفصة كما اعترف به
في حديث ابن عباس وسياتي الحديث قال وقد انقلبت الاسما على الراوي في الرواية الاخرى
يعني الحديث الاول الذي فيه الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان
شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم
وكذا ذكره القرطبي ايضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقسم بين نسايه فلما كان يوم حفصة استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة
ابيها فاذن لها فلما خرجت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية
فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست
عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال
ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى
فراشي اما رايت الحرمة ودي ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليس هي جاريتي احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا
امراة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين
عايشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا
منها واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين على ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم فغضبت عايشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها عن انس بن مالك

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له امة يطاها فلم تزل به عايشة وحفصة
حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية اخرجه
النساي قال العلما الصحيح غير صحيح قال النساي اسناد عايشة في العسل جيد صحيح غاية
واما التفسير فقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي من العسل او ملك
اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع على الانتفاع بها او بالعسل
لا تحريم اعتقاد لكونه حرامًا بعد ما احله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع
اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي مرضاة ازواجك اي تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله
غفور رحيم اي غفر لك التحريم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي بين واوجب لكم تحليل ايمانكم
بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المايدة فامره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق
رقبة والله مولاكم اي وليكم وناصركم وهو العليم اي بخلقه الحكيم اي فيما فرض من حكمه
فصل اختلف العلما في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت
علي حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقها فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى
تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال ذلك لطعام حرمه على نفسه فلا شي
عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم
ينو شيا ففيه قولان للشافعي احدهما انه يلزمه كفارة عليه ما لم يا كله واليه ذهب ابو حنيفة
واصحابه ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حرم الرجل امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وفي رواية اذا حرم امراته ليس بشي وقال لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدي قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
يعني ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري
بذلك وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي اسر اليها ان اباك
وابا عايشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد
ان يتراضيا فاسر اليها بشيين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر
وابيها عمر فلما نبات به اي اخبرت بذلك حفصة عايشة واظهره الله عليه اي اطلع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعايشة عرف بعضه قرى بتخفيف الراء عرف بعضه
اي الذي فعلته حفصة من افشا سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك
قال لو كان في ال الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل
عليه السلام وامره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم
بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسايك في
الجنة وقرى عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان

منها واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن كرم قط قال الله تعالى عرف
بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عايشة
وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس
فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت يعني حفصة من انباك هذا اي من اخبرك
اني افشيت السر قال نباني العليم اي بما تكنه الضماير الخبير بخفيات الامور قوله عز وجل ان تتوبا
الى الله يخاطب عايشة وحفصة اي من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذا له
فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم ازل
حريصا على ان اسال عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن اللتان
قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج وحججت معه فلما كان عمر ببعض
الطريق عدل وعدلت بالاداوة فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضا فقلت
يا امير المومنين من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله ان تتوبا الى
الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهري كره الله ما سال
عنه ولم يكتمه قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما
نغلب النسا فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساوهم فطفق نساونا يتعلمن من
نسايهم قال وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امراتي فاذا هي
تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان راجعتك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ليراجعنه وليهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم
قلت لقد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت افتامن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تساليه
شيا واسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم منك يريد عايشة وكان لي جار من الانصار وكنا نتناوب النزول الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما فياتيني بخبر الوحي وغيره واتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان
تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشا فضرب بابي ثم ناداني
فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا اجات غسان قال لا بل اعظم منه واهول طلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا
يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة
وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري ها هو ذا معتزل في هذه

اللتان

المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له
فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا
ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت
فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني قال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله
نساك فرفع راسه الي فقال لا فقلت الله اكبر لو رايتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش
نغلب النسا فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن
من نسايهم فغضبت على امراتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر
ان راجعتك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل
فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتامن احداهن ان يغضب الله لغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست
فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيها شيا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يا رسول
الله وكان اقسم ان لا يدخل شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عايشة
من شدة مواجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة
قالت لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بي فقلت يا رسول
الله انك اقسمت انك لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت في تسع وعشرين ليلة زاد في
رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك
ان لا تعجلي حتى تستامري ابويك ثم قال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة
الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عايشة قد علم والله ان ابوي لم يكونا
لياماراني بفراقه فقلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة
زاد في رواية ان عايشة قالت لا تخبر نساك اني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله ارسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه
قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شان النسا فان كنت طلقتهن
فان الله معك وملايكته وجبرايل وميكايل وانا وابو بكر والمومنون معك وقلما
تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الاية
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المومنين والملايكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استاذن رسول الله

صح

٨٩٢

صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب المسجد فنادى
باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شرح بعض الفاظه قوله فعدلت
معه بالاداوة فحملت معه بالركوة فتبرز اي البراز وهو الفضا من الارض لقضا الحاجة
العوالي جمع عالية وهي اماكن باعلى اراضي المدينة قوله ولا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها
الضرة وهي عايشة اوسم منك اي اكثر حسنا وجمالا منك قوله وكنا نتناوب النزول
هو ان ينزل هذا الانسان مرة وينزل الاخر بعده المشربة بضم الرا وفتحها الغرفة قوله فاذا هو
متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ظفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير
وطا سوى الحصير قوله ما رايت فيه ما يرد البصر الا اهبة ثلاث الاهبة والاهب
جمع اهاب وهو الجلد قوله تعالى وان تظاهرا عليه اي تتعاونا على ايذا النبي صلى الله عليه وسلم
فان الله هو مولاه اي وليه وناصره وجبريل اي وجبرايل وليه وناصره ايضا وانما افرده
وان كان داخلا في جملة الملايكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته وصالح المومنين
وروي عن ابن مسعود وابي بن كعب صالح المومنين ابو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المومنين
الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبيا والملايكة بعد ذلك اي بعد نصر الله وجبرايل وصالح
المومنين ظهير اي اعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه عسى ربه اي واجب من الله ان طلقكن
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبدله ازواجا خيرا منكن ثم وصف الازواج اللواتي كان
يزوجه بهن فقال مسلمات اي خاضعات لله بالطاعة مومنات اي مصدقات بتوحيد الله تعالى
قانتات اي تاركة الذنوب بعضهم تايبات اي كثيرات التوبة عابدات اي كثيرات العبادة
سايحات اي صايمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي التي
تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه وابكارا اي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة
لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله
خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم قال ابن عباس بالانتهاء
عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته واهليكم نارا يعني مروهم بالخير وانهوهم عن المنكر وعلموهم
وادبوهم تقوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة يعني الكبريت لانه اشد الاشيا حرا واسرع
ايقادا عليها ملايكة يعني خزنة النار وهي الزبانية غلاظ اي فظاظ على اهل النار شداد
يعني اقويا يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار ولم يخلق الرحمة فيهم
لا يعصون الله ما امرهم يعني لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه ويفعلون
ما يومرون اي لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامره والانتقام من اعدايه يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم اي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينوا النار وشدتها
لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار

انما تجزون ما كنتم تعملون يعني ان اعمالكم السيئة الزمتكم العذاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا ذات نصح اي ينصح صاحبها بترك العود من الذنب الذي تاب
منه قال عمر بن الخطاب وابي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى
الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا
على ان لا يعود اليه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن
وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظي
التوبة النصوح يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار
ترك العود بالجنان ومهاجرة سي الاخوان فصل قالت العلما التوبة واجبة
من كل ذنب على الفور ولا يجوز تاخيرها سوا كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت
بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاث شروط ان يقلع عن المعصية
والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط
في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق
ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان
كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف او نحوه مكنه من نفسه
او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان
تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة
وقد تظاهرت دلايل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة م عن الاغر بن يسار
المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة
مرة خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر
الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين ق عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله
في ارض فلاة الحديث م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل
حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى
عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم هذا اطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا
وتكرما لا وجوب عليه ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا
معه اي لا يعذبهم بدخول النار نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يعني على الصراط يقولون ربنا
يعني اذا طفي نور المنافقين اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شي قدير يا ايها النبي جاهد الكفار

والمناف

والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبيس المصير تقدم تفسيره قوله تعالى
ضرب الله مثلا اي بين شبها وحالا للذين كفروا امراة نوح واسمها واغلة وامراة لوط واسمها
واهلة وقيل اسمها والعة والهة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما
السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم فخانتاهما قال ابن عباس ما بغت امراة نبي
قط وكانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون
واذا امن به احد اخبرت به الجبابرة من قومها واما امراة لوط كانت تدل قومها على اضيافه
اذا نزل به ضيف بالنهار دخنت ليعلم قومها انه نزل به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق
واظهرتا الايمان فلم يغنيا عنهما من الله شيا اي لم يدفعا عن امراتيهما مع نبوتهما عذاب الله
وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النسا وانه
لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم
وان الاقارب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كامراة نوح
وامراة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امراتيهما شيا فقطع بهذه الاية طمع
من يرتكب المعصية وانه لم ينفعه صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بامي المومنين
عايشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا اخر
يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة الكافر لا تضر فقال تعالى وضرب
الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون يعني اسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة
امنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس
فكانت تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملايكة اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا
في الجنة فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها
بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة من درة بيضا وانتزع روحها فالقيت الصخرة
على جسد لا روح فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب فيها ونجني
من فرعون وعمله يعني وشركه وقال ابن عباس يعني جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين
ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها اي عن الفواحش المحصنة العفيفة فنفخنا فيه
اي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية من روحنا اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة
الله وصدقت بكلمات ربها يعني الشرايع التي شرعها الله لعباده وبكلماته المنزلة على
انبيايه وكتبه يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام
وكانت من القانتين يعني كانت من القوم القانتين اي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها
لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة

بالليل واوقدت النار
واذا نزل به ضيف صح

بنت محمد واسية امراة فرعون اخرجه الترمذي وقال الحديث صحيح والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه نفعنا سورة تبارك الذي بيده الملك وهي مكية وهي ثلاثون اية وثلاثمائة وثلاثون كلمة والف وثلثمائة وثلاثة عشر حرفا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القران سورة ثلاثون اية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباء على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خباى على قبر انسان وانا لا احسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك الذي بيده الملك اي له الامر والنهي والسلطان فيعز من يشا ويذل من يشا وهو على كل شي قدير اي الممكنات الذي خلق الموت والحياة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفنا وجعل الاخرة دار جزا وبقا وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشيا كانت في الابتدا في حكم الموت كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم اعترضت عليها الحيوة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحه شي الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقا وهي التي كان جبرايل والملايكة يركبونها لا تمر بشي ولا يجد ريحها شي الا حيي وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها فالقاها في العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحاسية مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم احد في الدنيا ولم يصل اليه الثواب في الاخرة ليبلوكم اي ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت ايكم احسن عملا روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا وهو العزيز اي الغالب المنتقم ممن عصاه الغفور اي لمن تاب عليه ورجع عن اسائته قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا

يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سما مقببة على الاخرى وسما الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفر وقيل نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وما بين السما الى الحجب السبعة صحارى من نور ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي ما ترى يا ابن ادم فيما خلق الرحمن اعوجاجا واختلافا وتناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية فارجع البصر اي كرر النظر هل ترى من فطور اي من شقوق وصدوع ثم ارجع البصر كرتين قال ابن عباس مرة بعد مرة ينقلب اي ينصرف اليك البصر خاسئا اي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى وهو حسير اي ذليل منقطع لم يدرك ولقد زينا السما الدنيا اي الادنى من الارض وهي التي يراها الناس بمصابيح اي بكواكب كالمصابيح في الاضاة وهو اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسما وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسما يقتضي بقاها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان ينفصل من الكواكب شعل نور يرمى بها الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثله كمثل قبس يوخذ من النار وهي على حالها واعتدنا لهم اي واعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا عذاب السعير اي في الاخرة وهي النار الموقدة وللذين كفروا بربهم اي ما هو العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن عذاب جهنم وبيس المصير ثم وصف جهنم فقال تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا هو اول صوت نهيق الحمار وذلك اقبح الاصوات وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الما الكثير بالحب القليل تكاد تميز اي تتقطع من الغيظ اي من تغيظها عليهم كلما القي فيها فوج اي جماعة سالهم خزنتها يعني سوال توبيخ وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول ينذركم قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا يعني للرسول ما نزل الله من شي وهذا اعتراف منهم بانقطاع عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شي ان انتم الا في ضلال كبير فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار للرسل والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع اي من الرسل ما جاوا به او نعقل اي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به ما كنا في اصحاب السعير وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي او نعقل عقل من يميز وينظر ويتفكر ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم هو في معنى الجمع اي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شي فسحقا اي بعدا لاصحاب السعير قوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون ربهم

ولم يروه فيومنوا به خوفا من عذابه لهم مغفرة اي لذنوبهم واجر كبير يعني جزا اعمالهم الصالحة
واسروا قولكم او اجهروا به قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخبره جبرايل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع اله محمد فاخبره الله انه
لا يخفى عليه خافية فقال تعالى انه عليم بذات الصدور ثم اكد ذلك بقوله تعالى الا يعلم من خلق
يعني الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم الله ما في صدور
من خلق وهو اللطيف اي باستخراج ما في الصدور الخبير بما فيها من الشر والوسوسة قوله
تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الذلول المنقاد من كل شي والمعنى جعلها لكم سهلة
لا يمتنع المشي فيها لحزونتها او غلظها فامشوا في مناكبها اي امر اباحة وكذا قوله وكلوا من رزقه
ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى
هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ التذلل وكلوا من رزقه اي مما خلقه الله لكم في الارض
واليه النشور اي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى اامنتم من في السما قال
ابن عباس يعني عقاب من في السما ان عصيتموه ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور اي تتحرك
باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تقلبهم الى اسفل
وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم اي تجي وتذهب ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا
يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط فستعلمون اي عند الموت في الاخرة كيف نذير
اي انذاري اذا عاينتم العذاب ولقد كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة وهم الامم
الخالية فكيف كان نكير اي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن اي ويضممن اجنحتهن
اذا ضربن بها جنوبهن عند البسط ما يمسكهن اي حال القبض والبسط الا الرحمن والمعنى ان الطير
مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاوها وثبوتها في الجو الا بامساك الله اياها وحفظه لها
انه بكل شي بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية امن هذا الذي هو جند لكم استفهام انكار
اي لا جند لكم ينصركم اي يمنعكم من دون الرحمن اي من عذاب الله قال ابن عباس اي ينصركم مني ان
اردت عذابكم ان الكافرون الا في غرور اي من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم امن هذا الذي
يرزقكم ان امسك رزقه يعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم بل لجوا اي تمادوا
في عتو اي تمرد وتكبر ونفور اي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للمومن والكافر فقال تعالى افمن يمشي
مكبا على وجهه اي كايا راسه في الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا
وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيمة اهدى اي هو
اهدى امن يمشي سويا اي قايما معتدلا يبصر الطريق على صراط مستقيم يعني المومن يمشي يوم القيمة
سويا قل هو الذي انشاكم اي خلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافيدة يعني انه تعالى ركب

فيكم هذه القوي لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه
ولا تاملتم ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت
له فلهذا قال قليلا ما تشكرون وذلك لان شكر نعمه صرفها في وجه مرضاته فكانكم
ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم في
الارض واليه تحشرون اي يوم القيمة والمعنى ان القادر على الابتدا قادر على الاعادة ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا سوال يحتمل وجهين احدهما انه سوال عن نزول العذاب
بهم والثاني انه سوال عن يوم القيامة فاجاب سبحانه عن ذلك بقوله قل انما العلم عند الله وانما
انا نذير مبين امر باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحي اليه فلما راوه يعني العذاب
في الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعني العذاب ببدر زلفة اي قريبا سيئت وجوه الذين
كفروا اي اسودت وعلاها الكابة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد وقيل اي وقالت لهم
الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون من الدعا اي تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوي
اي تدعون انه باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ارايتم ان اهلكني الله ومن
معي اي من المومنين او رحمنا اي فابقانا واخر في اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم
اي انه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الاية قل ارايتم ان اهلكني الله فعذبني ومن معي
او رحمنا اي فغفر لنا فنحن مع ايماننا خايفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن
يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل اي قل لهم في انكارك
عليهم وتوبيخك لهم هو الرحمن امنا به اي نحن امنا به وعبدناه وانتم كفرتم به وعليه توكلنا
اي عند معاينة العذاب فستعلمون من هو في ضلال مبين اي نحن ام انتم وهذا تهديد لهم
ثم ذكرهم نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماوكم قيل يريد
زمزم وقيل غير ذلك من المياه غورا اي غايرا ذاهبا في الارض لا تناله الايدي ولا الدلا فمن
ياتيكم بما معين اي ظاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلا وقال ابن عباس معين اي جار
والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر
والمعنى اخبروني ان صار ماوكم ذاهبا في الارض فمن ياتيكم بما معين فلا بد ان يقولوا هو
الله تعالى فيقال لهم حينيذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شي اصلا شريكا له في العبودية
فهذا محال تفسير سورة ن والقلم مكية وهي اثنان وخمسون اية
وثلثمايه كلمة والف ومايتان وستة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه ان اول ما خلق الله
القلم فجرى بما هو كاين الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك
النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرا ن والقلم وما يسطرون

قيل اسم النون لبوثا وعن علي بلهوت قال اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين بعث من تحت الارض ملكا فهبط الارض حتى دخل الارضين السبع حتى ضبطها فلم لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قايمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاخذ الله ياقوتة خضرا من اعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسماية سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخاره في الارض فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوايم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوايم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وساير جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدري ما على ظهرك يا لوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم لبوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فضج الحوت الى الله منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فو الذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشي من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان نون هو الدواة ومنه قول الشاعر اذا ما الشوق برح بي اليهم القت النون بالدمع السجام اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان ن حرف من حروف الرحمن اذ جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة **والقلم** هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السما والارض ويقال اول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كاين الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه **وما يسطرون** اي وما تكتب الحفظة من اعمال بني ادم وقيل ان حمل القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد وما يسطرونه في اللوح المحفوظ ويكون الجمع وما يسطرون للتعظيم لا للجمع **ما انت** يا محمد **بنعمة ربك** هذا جواب القسم اقسم بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك **بمجنون** وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة

ظاهرة

ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون **وان لك لاجرا غير ممنون** اي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد • عبس كواسب ما يمن طعامها • اي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الاية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترايهم عليك اجرا عظيما دايما لا ينقطع وقيل ذلك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعا الخلق الى الله والصبر على ذلك وبيان الشرايع لهم اجرا عظيما فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى **وانك لعلى خلق عظيم** وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية تسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في سوء الخلق الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القران سيلت عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من اوامر الله وينتهي عنه من نهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذي امرك الله به في القران وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك روي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال عن النواس بن سمعان قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم اخرجه ابو داود وعنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم
بخلقه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدردا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من شي اثقل في ميزان المومن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض
الفاحش البذي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي الله واقربكم مني مجلسا يوم القيمة
احسنكم اخلاقا عن البرا رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول
خياركم احسنكم اخلاقا عن انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر
سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال لشي لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذي
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا ولا حريرا ولا
شيا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا
كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قال كانت الامة لتاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق حيث شات زاد في رواية ويجيب اذا دعي وعنه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده
حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ولم
ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له اخرجه الترمذي عن عايشة رضي الله عنها قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان
اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شي قط الا ان
تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا
قط بيده ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى عن انس قال كنت
امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر باعرابي غليظ الحاشية فادركه الاعرابي فجبذه
جبذة شديدة حتى نظرت الي صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها
حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطا عنه رضي الله عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وخلقا وكان لي اخ يقال له ابا عمير وكان
فطيم كان اذا جانا قال له يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به النغير طاير
صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار عن الاسود قال سالت عايشة ما كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته فقالت كان يكون في مهنة اهله فاذا حضرت
الصلاة يتوضا ويخرج الي الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جز قال
ما رايت اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قوله تعالى فستبصر
يا محمد ويبصرون يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب بايكم المفتون قال ابن عباس معناه
بايكم المجنون في فريقك او في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين معناه انهم رموه بالجنون والضلال
ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه اعلم بالفريقين الضال
والمهتدي والمجنون والعاقل فلا تطع المكذبين يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الي
دين ابايه فنهاه الله ان يطيعهم ودوا لو تدهن فيدهنون اصل الادهان اللين
والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه
واظهر خلاف ما ابطن ومعني الاية انهم تمنوا ان لو تترك بعض ما انت عليه مما لا
يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون
لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة
ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل مهين اي ضعيف حقير وقيل هو من المهانة
وهي قلة الراي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما
يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل
هو الاخنس بن شريق هماز اي مغتاب ياكل لحوم الناس بالطعن وقيل هو الذي يغمز باخيه
في المجلس مشا بنميم اي قتات يسعي بالنميمة ليفسد بين الناس مناع للخير اي بخيل بالمال
وقال ابن عباس مناع للخير اي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لين دخل واحد منكم
في دين محمد لا انفعه بشي ابدا معتد اي ظلوم يتعدى الحق اثيم اي فاجر يتعاطى الاثم عتل
اي غليظ جاف وقيل هو الفاحش السي الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل
هو الشديد في كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة
يدفع الملك من اولييك سبعين الفا في النار دفعة واحدة بعد ذلك زنيم اي مع ما وصفنا
به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قيل انما دعاه
ابوه بعد ابوه بعد ثماني سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاه وقال ابن عباس
في هذه الاية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم تعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها
وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعرف ان الله وصف
احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق بها عارا لا يفارقه
في الدنيا ولا في الاخرة ان كان ذا مال وبنين قري على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين

لأن كان ذا مال وبنين اي لا تطعه لماله وبنيه وقرئ ان كان ذا مال وبنين بالاستفهام
الان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي جعل مجازاة النعم التي
خولها من المال والبنين الكفر باياتنا وقيل لان كان ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال
تعالى سنسمه على الخرطوم اي على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما في الاخرة
وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل ذلك به
يوم بدر وقيل سنلحق به شينا لا يفارقه اي سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه
كما ان السمة لا تمحى ولا يعفى اثرها وقد الحق الله به بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا
والاخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه قوله تعالى
انا بلوناهم اي اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا اصحاب الجنة روي عن ابن عباس
في قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون
صنعا بفرسخين يطاه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلوة وكان لرجل فمات
فورثه ثلاث بنين له وكان يكون للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شي تعداه المنجل فلم يجزه
اذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شي يخرج من المنجل الى البساط فهو ايضا للمساكين
واذا حصدوا زرعهم فكل شي تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شي ينتثر
ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه هذه الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال
لكثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر
العيال فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج
الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى اذ اقسموا اي تحالفوا ليصرمنها اي ليقطعن ثمرها
مصبحين اذا اصبحوا قبل ان تخرج اليهم المساكين وقيل ان يعلم بها المساكين ولا يستثنون
شيئا للمساكين من ثمر جنتهم فطاف عليها طايف من ربك اي عذاب من ربك ولا يكون
الطايف الا بالليل وهو قوله تعالى وهم نايمون وكان ذلك الطايف نارا نزلت من السما
فاحرقتها وهو قوله تعالى فاصبحت كالصريم اي كالليل الاسود المظلم وقيل اي
صرم منها الخير فليس فيها شي ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة
خزيمة فتنادوا اي فنادى بعضهم بعضا مصبحين يعني لما اصبحوا ان اغدوا على
حرثكم يعني الثمار والزروع والاعناب ان كنتم صارمين اي قاطعين ثماركم فانطلقوا
اي مشوا اليها وهم يتخافتون اي يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا ان لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين وغدوا على حرد اي على قصد ومنع وغضب وقيل معناه على جد وجهد
وقيل على امر مجتمع قد اسروه بينهم وقيل على حنق وغضب وقيل معناه من
المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين اي عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول

بينهم وبينها احد فلما راوها اي راوا الجنة محترقة قالوا انا لضالون اي لمخطئون
الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليس هذه بجنتنا بل نحن محرومون اي قال بعضهم قد حرمنا
خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثنا قال اوسطهم اي اعدلهم واعقلهم وافضلهم
الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثنا في قوله ليصرمنها مصبحين
ولا يستثنون سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لا يقدر احد على شي الا بمشيته
وعلى التفسير الثاني ان الاستثنا بمعنى لا يتركون شيا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى
لولا تسبحون اي تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين
وقيل كان استثناهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم
من نعمه قالوا سبحان ربنا معناه الفهم نزهوه عن الظلم فيما يفعل اذ اقروا على انفسهم
بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اي بمنعنا المساكين حقوقهم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
اي يلوم بعضهم بعضا قالوا يا ويلنا دعوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين اي في منعنا
حق الفقرا والمساكين وقيل معناه طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع اباونا
من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون
قال ابن مسعود وبلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة
يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا قال الله تعالى كذلك العذاب
اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى
ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر بما اعد للمتقين فقال تعالى ان للمتقين عند
ربهم جنات النعيم اي عند ربهم في الاخرة ولما نزلت هذه الاية قال المشركون انا نعطى
في الاخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين كالمجرمين
يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جايزة فكيف يكون افضل او يعطى افضل ولما
قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات ما لكم كيف تحكمون
يعني هذا الحكم المعوج ام لكم كتاب اي نزل من عند الله فيه اي في ذلك الكتاب تدرسون
اي تقرون ان لكم فيه اي في ذلك الكتاب لما تخيرون اي تختارون وتشتهون ام لكم ايمان علينا
بالغة معناه الكم عهود ومواثيق موكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا الى يوم
القيامة اي لا تنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة ان لكم اي في ذلك العهد لما
تحكمون اي لانفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
سلهم ايهم بذلك زعيم اي ايهم كفيل لهم بان لهم في الاخرة ما للمسلمين ام لهم شركا اي بل
لهم شركا يعني ما كانوا يجعلون لله شريكا وانما اضاف الشركا اليهم لانهم هم جعلوها شركا
لله وقيل معنى شركا شهدا يشهدون تصديق ما ادعوه فلياتوا بشركايهم ان كانوا صادقين

اي فيدعوا ابهم يوم اي فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يكشف عن ساق
اي عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة في القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع
في امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك اذا قام في ذلك
الامر ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسيل ابن عباس عن هذه الاية
فقال اذا اخفي عليكم شي من القران فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر
سن لنا قومك ضرب الاعناق وقامت الحرب على ساق ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة
وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى فمنها ما انشده ابو عبيدة لقيس بن زهير
فقال اذا شمرت عن ساقها حربها ربيع فلا تسام ومنه قول جرير الا رب
سامي الطرف من ال مازن اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقد كثر مثل هذا
في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد ق عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى
ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في روية الشمس
بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في روية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها
سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في روية الله يوم القيمة الا كما تضارون
في روية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن موذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد
فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا
لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم
تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد
فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى
النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى فيقال
لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من
صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار
اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون
في النار حتى لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من
التي راوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس
في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله لا نشرك
بالله شيا مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه
اية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء
نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره

طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته
التي راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل
الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه
خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المومنون
كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم احد
منكم باشد مناشدة في الحق لله في استيفاء الحق من المومنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين
في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من
عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا وقد اخذت النار الى نصف ساقه
والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا فيقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا
احدا ثم يقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوا بهذا الحديث
فاقروا ان شيتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه
اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المومنون ولم
يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا
حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة
من حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر او اخيضر
وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم
اهل الجنة هولاء عتقاء النار الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول
ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين
فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط
عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه فصل في شرح غريب الفاظ الحديث
وما يتعلق به اما الروية وما يتعلق بها فياتي الكلام عليها في موضعها ان شا الله تعالى
وقوله حتى لا يبقى الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة راوه فيها
وفي رواية ابي هريرة فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ
بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جا عرفناه فياتيهم في صورته التي
يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النواوي
رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلما

فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو قول معظم السلف وكلهم انه لا يتكلم في معناها
بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقاد
الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شي وانه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة
منزه عن ساير صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة
من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على
ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف على تفسير كل ما لا يحيط
العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو حكي معظم مذهب المتكلمين انها تنزل
على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تاويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب
يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رويتهم اياه لان
العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رويته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجي
هنا عن الروية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل ياتيهم
الله في بعض ملايكته قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال
ويكون هذا الملك هو الذي جاهم في الصورة التي انكروها من سمات الحدث الظاهرة
على الملك والمخلوق قال او يكون معناه ياتيهم الله في صورة اي بصورة ويظهر لهم من
صور ملايكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا اخر امتحان المومنين
فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم راوا عليه علامة من علامات المخلوقات
ما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله
عليه وسلم فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه
فيتجلى الله تعالى لهم في الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم
تكن تقدمت لهم روية له سبحانه وتعالى لانه على الصفة التي يرونه لا يشبه شيا من
مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة
لمشابهتها اياه ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد
اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها معنى راوه فيها اي علموه وهي صفته المعلومة
للمومنين وهو انه لا يشبهه شي وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله انما استعاذوا
منه لما قدمناه من كونهم راوا سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري
فيكشف ربنا عن ساقه وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية
البيهقي في كتاب الاسما والصفات قال ابو سليمان الخطابي فيحتمل ان يكون معنى قوله
يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح البا وضمها
وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك

في

في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في قوله
يوم يكشف عن ساق قال ابن عبد العزيز وهو شامي ياتي باحاديث منكرة لا يتابع عليها وابن ابي
عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمومنين
عند روية الله تعالى من الفوايد والالطاف قال القاضي وقد يكون الساق علامة بينه وبين
المومنين من ظهور جماعة من الملايكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله علامة
للمومنين خارجة عن الساق المعتادة وقيل معناه كشف الخوف وازالة الرعب عنهم وما كان غلب
على قلوبهم من الاهوال فتطمين حينيذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا قال
الخطابي وهذه الروية في هذا المقام يوم القيامة غير الروية التي هي في الجنة لكرامة
اوليا الله وانما هذه الروية امتحان لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقا
نفسه الا اذن له في السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاه وريا الا جعل الله ظهره طبقة
واحدة كالصفيحة اي فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون
روسهم وقد زال المانع لهم فيقولون انت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم بفتح الجيم
وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحا وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع
الشفاعة ويوذن فيها وقوله دحض مزلقة اي تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف
جمع خطاف وهو الذي يخطف الشي وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق فيها اللحم
والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكردس في نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شي اصلا وقسم
يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس اي يلقى ويسقط في جهنم وهذا دليل على اثبات
الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو ارق من
الشعرة واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمومنون ينجون على حسب منازلهم
واعمالهم واخرون يسقطون في جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المومنين الله
يوم القيامة في الشفاعة لاخوانهم الذين في النار وقوله فمن وجدتم في قلبه ثم دينار من خير
ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال
والصحيح ان معناه شي زايد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو التصديق لا يتجزى وانما
يكون هذا الخير زايد عليه من عمل صالح وذكر خفي وعمل من اعمال القلب من شفقة على
مسكين او خوف من الله تعالى او نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك
اقل المقادير وقول المومنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملايكة
هو بفتح الفا وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هولا هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا

خيرا فقط ونرد الله بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اي جمع جماعة قوله فقد عادوا حمما اي صاروا فحما فيلقيهم في نهر من افواه الجنة جمع فوهة وهي اول النهر قوله فيخرجون كاللولو اي في الصفا في رقابهم الخواتيم قيل معناه ان يعلق في رقابهم اشيا من ذهب وغير ذلك مما يعرفون بها والله اعلم قوله تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون السجود يعني الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصي البقر او كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وذلك ان المومنين يرفعون روسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبها وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة وقد كانوا يدعون الى السجود يعني في دار الدنيا الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون يعني انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحا فلا ياتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي دعني والمكذبين بالقران وخل بيني وبينهم لا تشغل قلبك بهم وكلهم الي فاني اكفيك اياهم سنستدرجهم اي سناخذهم بالعذاب من حيث لا يعلمون فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل معنى الاية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المومنين وهو في الحقيقة سبب هلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعاجله بالاستغفار والتوبة واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة وقيل معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم ان كيدي متين اي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المودي الى العذاب ام تسالهم اجرا اي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة والمعنى اتطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار فاصبر لحكم ربك اي اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل هو منسوخ باية السيف ولا تكن في الضجر والعجلة كصاحب الحوت يعني يونس بن متى اذ نادى ربه اي في بطن الحوت وهو مكظوم اي مملو غما لولا ان تداركه نعمة من ربه اي حين رحمه وتاب عليه لنبذ بالعرا اي لطرح بالفضا من بطن الحوت على الارض وهو مذموم اي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الاية لولا نعمة ربه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيمة ثم لنبذ بعرا القيمة اي بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه

احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى فاجتباه ربه والفا للتعقيب اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه فجعله من الصالحين اي النبيين قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى اذا كانت الناقة او البقرة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فاتينا من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا ياكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبايه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرات القران نظرا شديدا بالعداوة والبغضا حتى يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد ياكلني يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القران وهو قوله لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة يحدون النظر اليه بالبغضا ويقولون انه لمجنون اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرا القران قال الله تعالى ردا عليهم وما هو يعني القران الا ذكر للعالمين قال ابن عباس موعظة للمومنين قال الحسن دوا من اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا عن عبيد الله بن رفاعة الزرقي ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلما وقالوا العين حق وانكره طوايف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العاين لشخص اخر فتوثر فيه بقدرة الله تعالى وسبق بها علمه ولا ينفع ضر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثر العين وانها قوية الضر اذا وافقها القدر والله سبحانه وتعالى اعلم ۞

تفسير سورة الحاقة مكية وهي اثنان وخمسون اية ومايتان وست وخمسون كلمة والف واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحاقة يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزا على الاعمال اي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم اي تقع بهم ما الحاقة استفهام ومعناه التفخيم لشانها وتهويل لها والمعنى اي شي هي الحاقة وما ادراك ما الحاقة اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها وتر ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر لا يبلغه دراية احد ولا فكره وكيف تدري حالها وهي اعظم من ذلك كذبت ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس بالقيمة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالميعاد الذي وعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة للحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت ثمود بسببهم واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر الذي هو البرد فهي تحرق بشدة بردها عاتية اي عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا لها ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة سخرها عليهم اي ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان كان سبب ذلك اتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم فبين الله تعالى ان ذلك بقضايه وقدره وبمشيته لا باتصال الكواكب سبع ليال وثمانية ايام قال وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز لانها ايام ذات برد ورياح شديدة وسميت ايام العجوز لانها تاتي في عجز الشتا وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح حتى قتلتها حسوما اي متتابعة دايمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شوما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها وقيل الحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستيصال فلم تبق منهم احدا فترى القوم فيها اي في تلك الايام والليالي صرعى اي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت كانهم اعجاز نخل خاوية اي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل متساقطة ليس لها روس فهل ترى لهم من باقية اي من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر فلم يبق منهم احد قوله تعالى وجا فرعون ومن قبله قري بكسر القاف وفتح البا اي ومن معه
وجنوده

من جنوده واتباعه وقري بفتح القاف وسكون البا اي ومن قبله من الامم الكافرة والموتفكات يعني قرى قوم لوط ويريد اهل الموتفكات وقيل يريد الامم الذين ايتفكوا بخطيتهم وهو قوله بالخاطية اي بالخطية والمعصية وهو الشرك فعصوا رسول ربهم قيل يعني موسى ابن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم الخبر عن ذكر الامتين جميعا فاخذهم اخذة رابية يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زايدة على عذاب الامم انا لما طغا الما اي طفى وعتى وجاوز حده حتى علا على كل شي وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو الطوفان حملناكم في الجارية يعني حملنا اباكم وانتم في اصلابهم فهو خطاب للحاضرين في الجارية اي السفينة التي تجري لنجعلها اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا بها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه لكم تذكرة اي عبرة وموعظة وتعيها اي تحفظها اذن واعية اي حافظة لما جا من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت وادعت وقيل لتحفظها كل اذن فتكون عظة وعبرة لمن ياتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالمواعظ قوله عز وجل فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة يعني النفخة الاولى وحملت الارض والجبال اي رفعت من اماكنها فدكتا دكة واحدة اي كسرتا ودقتا حتى صارتا هبا منبثا والضمير عايد على الارض والجبال فعبر عنها بلفظ الاثنين فيوميذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السما فهي يوميذ واهية اي ضعيفة لتشققها والملك يعني الملايكة على ارجايها يعني نواحيها واقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملايكة على حافاتها حتى يامرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ويحمل عرش ربك فوقهم اي فوق روسهم يعني الحملة يوميذ اي يوم القيمة ثمانية يعني ثمانية املاك جا في الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم الله باربعة اخر فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سما الى سما والاوعال تيوس الجبل وروى السدي عن ابي مالك قال الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلايق على ارجايها يحملها اربعة من الملايكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر قيام عليها قد احاطوا بالسموات وروسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعن امية بن ابي الصلت في شي من الشعر فقال رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث برصد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب عن العباس بن عبد

المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحا في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السما والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحد واما قال اثنتان واما قال ثلاث وسبعون سنة وبعد الذي فوقها كذلك وكذلك حتى عد هن سبع سموات كذلك ثم فوق السما السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سما الى سما والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود زاد في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني ادم شي عن ابن مسعود كما بين السما والارض مسيرة خمسماية عام وما بين الكرسي والما مسيرة خمسماية عام والعرش على الما والله على العرش لا يخفى عليه شي من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة خبر ابن عباس وابن مسعود في قدر المسافة على خلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش قرون ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسماية عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسماية عام وعن عبد الله بن عمر قال والذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى موخر عينيه خمسماية عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل يومئذ تعرضون اي على الله تعالى للحساب لا تخفى منكم خافية اي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لا يخفى عليه شي منها وان عرضكم يوم القيمة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال الخلايق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيون يحزنون باساتهم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فاما من اوتي اي اعطي كتابه بيمينه فيقول هاوم اي تعالوا اقرءوا كتابيه والمعنى انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من الناجين باعطايه كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا وقيل يقول ذلك لاهله واقربايه اني ظننت اي علمت وايقنت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام اني ملاق حسابيه

اي في الاخرة والمعنى اني كنت في الدنيا استيقن اني احاسب في الاخرة فهو في عيشة راضية اي في حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقي الثواب وامن من العقاب في جنة عالية رفيعة قطوفها دانية اي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قايما وقاعدا ومضطجعا يقطعونها كيف شاوا كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم اي بما قدمتم لاخرتكم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية يريد ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله قيل تكون يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه وذلك لما نظر في كتابه وراى قبايح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يوت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ولم ادر ما حسابيه اي لم ادر ما حسابي لانه لا طايل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له يا ليتها كانت القاضية تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها والقاطعة للحياة فما احيى بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شي عنده اكره اليه منه اي من الموت في الدنيا لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من الموت ما اغنى عني ماليه اي لم يدفع عني شيا من عذاب الله وما لي من العذاب شيا هلك عني سلطانيه اي ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حتى شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا فقيرا حقيرا خذوه اي يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه فغلوه اي اجمعوا يده الى عنقه ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم في الدنيا ثم في سلسلة وهي حلقة منتظمة كل حلقة منها في حلقة ذرعها اي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد وغيرها سبعون ذراعا قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد ما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السما الى الارض وهي مسيرة خمسماية سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت في راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الرصاص الحصا الصغار وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو اشرف الاعضا وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل في حلقه وتخرج من دبره انه كان لا يومن بالله العظيم اي لا يصدق بوحدانية الله وعظمته ولا يحض على طعام المسكين اي ولا يحث

نفسه علي اطعام المسكين ولا يامر اهله بذلك وفيه دليل علي تعظيم الجرم في حرمان
المساكين لان الله تعالى عطفه علي الكفر وجعله قرينه قال الحسن منذ هذه الاية ادركت اقواما
يعزمون علي اهليهم الا يردوا سايلا وعن بعضهم انه كان يامر اهله بتكثير المرقة لاجل
المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام
فليس له اليوم ها هنا حميم اي ليس له في الاخرة قريب ينفعه ويشفع له ولا طعام الا
من غسلين يعني صديد اهل النار ماخوذ من الغسل لانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل
هو شجر ياكله اهل النار لا ياكله الا الخاطيون اي الكافرون قوله عز وجل فلا اقسم قيل ان
لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون
ثم قال تعالى اقسم وقيل لا هاهنا نافية للقسم علي معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق
فيه كانه قال لا اقسم علي ان القران قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم
وقوله بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وتشاهدون وما لا ترون وما لا تشاهدون
اقسم بالاشيا كلها فيدخل فيه جميع المكنونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والاخرة
وقيل بما تبصرون يعني علي ظهر الارض وما لا تبصرون اي ما في بطنها وقيل ما تبصرون
يعني الانس وما لا تبصرون يعني النعم الباطنة وقيل ما تبصرون ما اظهره الله من
مكنون غيبه من الملايكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه
فلم يطلع عليه احد من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه يعني القران لقول رسول
كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبرايل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى
انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبرايل بالشعر والكهانة
وانما وصفوا بهما محمدا صلي الله عليه وسلم فان قلت قد توجه هاهنا سوال وهو ان جمهور
الامة وهم اهل السنة مجمعون علي ان القران كلام الله فكيف يصح اضافته الي الرسول قلت
اما اضافته الى الله تعالي لانه هو المتكلم به واما اضافته الي الرسول لانه هو المبلغ عن الله
تعالي لامته ما اوحي اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب العالمين لتزول بهذا الاشكال قال
ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وما هو بقول شاعر يعني هذا القران
ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه قليلا ما تومنون اراد بالقليل ايمانهم
اصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القران من عند الله تعالى ولا بقول كاهن اي وليس هو بقول
رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة قليلا ما تذكرون يعني لا تتذكرون البتة تنزيل اي هو
تنزيل يعني القران من رب العالمين وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل
من رب العالمين لتزول هذا الاشكال قوله تعالى ولو تقول علينا اي تخلق علينا محمد بعض
الاقاويل يعني واتى بشي من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه لاخذنا منه باليمين اي

لاخذناه وانتقمنا منه باليمين اي بالحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة وقال
الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن ٭ اذا ما راية رفعت لمجد ٭ تلقاها عرابة باليمين ٭
اي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شي في ميامنه والمعنى لاخذنا منه باليمين اي
سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زايدة وقيل معنى الاية لاذللناه واهناه كفعل
السلطان بمن يريد اهانته يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر
لانه اشرف العضوين ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل
الظهر وهو عرق يجري في الصلب حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو
عرق يتصل من القلب بالراس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه لو كذب
علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله
لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس
كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى
لا يشتبه الصادق بالكاذب البتة فما منكم من احد عنه حاجزين اي ما نقدر يحجزوننا عن
عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلمه لعاقبناه ولا
يقدر احد علي دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو فعل واحد ردا علي
معناه وانه يعني القران وذلك انه لما وصفه انه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبرايل
الي النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال وانه لتذكرة اي لعظة للمتقين اي لمن اتقى عقاب الله
وانا لنعلم ان منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقران وانه يعني القران لحسرة علي الكافرين
يعني يوم القيمة والمعنى انهم يندمون علي ترك الايمان به لما يرون من ثواب من امن به وانه لحق اليقين
معناه انه حق يقين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اي نزه
ربك العظيم واشكره علي ان جعلك اهلا لايحايه اليك والله اعلم تفسير سورة
المعارج مكية وهي ثمان وعشرون اية وما يتان واربع وعشرون كلمة وهي تسعماية وتسعة
وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سال سايل قري بغير همز وفيه وجهان
الاول انه لغة في السوال والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل
سال واد من اودية جهنم وقري سال سايل بالهمز من السوال بعذاب قيل الباء بمعنى عن
عذاب واقع اي نازل وكاين وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالي مجيبا لذلك
السوال للكافرين وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم
لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا صلى الله عليه وسلم فسالوه فانزل الله
تعالى سال سايل بعذاب واقع للكافرين اللام للكافرين صلة الباصلة ومعنى الاية وطلب طالب
عذابا واقعا للكافرين وهذا السايل هو النضر بن حرث حيث دعا علي نفسه وسال العذاب

فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فنزل به ما سال فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول
ابن عباس ليس له دافع اي ان العذاب واقع بهم لا محالة سوا طلبوه ام لم يطلبوه اما في الدنيا
بالقتل واما في الاخرة لان العذاب واقع بهم في الاخرة لا يدفعه عنهم دافع من الله اي
بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم ذي
المعارج قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملايكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات
وهي المصاعد التي تعرج الملائكة وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه
مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة تعرج الملايكة والروح يعني جبرايل عليه السلام
وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملايكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا
ذكر الملايكة في معرض التخويف والتهويل افرد الروح بالذكر وهذا يقتضي ان الروح اعظم
الملايكة اليه اي الى الله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي من سني الدنيا والمعنى
انه لو صعد غير الملك من بني ادم لما صعد من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى
امر الله من فوق السما السابعة لما صعد في اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة
واحدة او اقل من ذلك وذكروا ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش
خمسين الف سنة وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب
حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وليس معناه ان مقدار طول
ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيمة له اول وليس له اخر لانه
يوم ممدود لا اخر له ولو كان له اخر كان منقطعا وهذا الطول في حق الكفار دون المومنين
قال ابن عباس يوم القيمة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوى بسنده
عن ابي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كان مقداره خمسين الف
سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف
على المومن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا معناه لو ولي
محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة قال عطا ويفرغ
الله تعالى في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت
حساب ذلك اليوم الملايكة والجن والانس وطوقتهم محاسبته لم يفرغوا منه في خمسين
الف سنة وانما افرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون
موطنا كل موطن الف سنة ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه
تقديم وتاخير فاصبر اي يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا اي لا جزع فيه وهذا قبل ان
يومر بالقتال ثم نسخ باية السيف انهم يرونه اي العذاب بعيدا اي غير كاين ونراه قريبا اي كاينا
لا محالة لان كل ما هو ات قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين
الف سنة يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا
غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه يوم تكون السما كالمهل اي كعكر الزيت وقال
الحسن كالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن اي كالصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ
من الصوف لانها ذات الوان احمر واسود وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال
وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف
الصوف واول ما تتغير الجبال تصير كثيبا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منثورا ولا
يسئل حميم حميما اي لا يسال قريبا قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى لا يسال الحميم حميمه
كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشغله وقيل لا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به
كما كان يسأله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة يبصرونهم اي يرونهم وليس
في القيمة مخلوق من جن وانس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته
فلا يساله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من
النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يساله عن حاله لشغله
بنفسه وقيل يبصرونهم اي يعرفونهم اما المومن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر فيعرف
بسواد وجهه يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يوميذ اي عذاب يوم القيمة ببنيه
وصاحبته اي زوجته واخيه وفصيلته اي عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقرباه
الاقربين التي تؤويه اي تضمه ويأوي اليها ومن في الارض جميعا يعني انه يتمنى لو ملك هولاء
وكانوا تحت يديه ثم انه يفتدي بهم جميعا ثم ينجيه اي ذلك الفدا من عذاب الله كلا اي لا ينجيه من
عذاب الله شي ثم ابتدا فقال تعالى انها لظى يعني النار ولظى اسم من اسمايها وقيل الدركة
الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اي تتلهب نزاعة للشوى يعني الاطراف كاليدين
والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال
ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تاكل الدماغ كله
ثم يعود كما كان ثم تاكله كذلك دايما وقيل المكارم خلقه ومحاسن وجهه واطرافه تدعو
يعني النار الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى اي عن الحق فتقول لهم يا مشرك يا منافق قال
ابن عباس تدعوا الكافر والمنافق باسمايهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير
الحب وقيل تدعوا اي تعذب قال اعرابي لرجل دعاك الله اي عذبك الله وجمع فاوعى يعني
وتدعو من جمع المال في الوعا ولم يؤد حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا قال ابن عباس
الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق
القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله
تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يعني اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا

اصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكرهه ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره قيل المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى الا المصلين وهذا استثنا الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع الذين هم على صلاتهم دايمون يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرايض فان قلت كيف قال على صلاتهم دايمون وقال بعده على صلاتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادايها وان لا يتركوها في شي من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان ياتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل باموز ثلاثة منها ما هو سابق للصلوة كاشتغاله بالوضو وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلوة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الريا والسمعة وخوف ان لا يقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سوال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيآتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير قال سالنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دايمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه والذين في اموالهم حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في اوقات معلومة للسايل يعني الذي يسال الناس والمحروم يعني الفقير المتعفف عن السوال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي يومنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزا يوم القيمة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خايفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مامون يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجا والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورا ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة المومنون قوله والذين هم بشهاداتهم قايمون اي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيى الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليه والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى

اولئك يعني من هذه صفته في جنات مكرمون قوله تعالى فمال الذين كفروا اي فما بالهم قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك مادي اعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يسمعون كلامه ويستهزون به ويكذبونه فقال تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعات في تفرقة ايطمع كل امري منهم ان يدخل جنة نعيم قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذب نبيي كلا اي لا يدخلها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من الاشيا المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشي واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوي باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن ادم اني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللارض منك وييد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة واخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الاية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولا نخلقهم كالبهايم بلا علم ولا عقل فلا اقسم يعني واقسم وقد تقدم بيانه برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين عاجزين عن اهلاكهم وابدالكم بمن هو خير منكم فذرهم يخوضوا اي في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون نسختها اية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث يعني القبور سراعا اي الى اجابة الداعي كانهم الى نصب يعني الى شي منصوب كالعلم والراية ونحوه وقري بضم النون والصاد وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها يوفضون اي يسرعون ومعنى الاية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم يستلمونها خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة ترهقهم ذلة اي يغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يعني يوم القيمة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة نوح عليه السلام مكية وهي ثمان وعشرون اية ومايتان واربعة وعشرون كلمة وتسعماية وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان خوف قومك وحذرهم

من قبل ان ياتيهم عذاب اليم يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب
ان لم يومنوا قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي انذركم وابين لكم ان اعبدوا الله اي وحدوه
ولا تشركوا به شيئا واتقوه اي وخافوه بان تحفظوا انفسكم مما يوعظكم واطيعون اي فيما
امركم به من عبادة الله وتقواه يغفر لكم من ذنوبكم اي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل
يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب ويوخركم الى اجل مسمى
اي الى منتهى اجالكم فلا يعاجلكم ان اجل الله اذا جا لا يوخر لو كنتم تعلمون معناه يقول
امنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جا لا يوخر عنكم ولا
يمكنكم الايمان قال يعني نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم
دعاي الا فرارا اي نفارا وادبارا عن الايمان واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليوسوا لكي
تغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا دعوتي واستغشوا ثيابهم اي غطوا
وجوههم بثيابهم لئلا يروني واصروا على كفرهم واستكبروا استكبارا اي تكبرا عظيما
ثم اني دعوتهم جهارا اي معلنا قال ابن عباس باعلى صوتي ثم اني اعلنت لهم اي كررت لهم
الدعا معلنا واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني
وبينه وادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل
السما عليكم مدرارا وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمنا طويلا حبس الله عنهم المطر وعقم
ارحامهم ونساهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا
ربكم اي من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك
لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر يكون سببا لهلاك
الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا وروى
الشعبي ان عمر بن الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع
فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السما التي يستنزل بها
القطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية قوله بمجاديح السما واحدها مجدح
وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هي ثلاثة كواكب كالاثافي شبهها بالمجدح
الذي له شعب وهو عند العرب من الانوا الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار شبيها
بالانوا مخاطبة لهم بما يعرفونه وكانوا يزعمون ان من شانها المطر لانه يقول بالانوا وعن
بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم
ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفروا الله وشكى اخر اليه الفقر
وقلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع ان
صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الاية وقوله يرسل

السما عليكم اي يرسل ما السما وذلك لان ما المطر ينزل من السما الى السحاب ثم ينزل من السحاب
الى الارض وقيل اراد بالسما المطر من قول الشاعر اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا يعني بالسما
يعني المطر مدرارا اي كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اي متتابعا ويمددكم
باموال وبنين اي يكثر اموالكم واولادكم ويجعل لكم جنات اي البساتين ويجعل لكم انهارا
وهذا كله مما يميل اليه طبع البشرية اليه مالكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس اي لا ترون
لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله قال الرجا بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير
وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون له حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه
ما لكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا يعني
تارة حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم
اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا ما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا
يعني في السما الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل
الشمس سراجا يعني مصباحا مضيا قال ابن عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما
الى السما وضوهما الشمس والقمر جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا
والله انبتكم من الارض نباتا يعني انه اراد مبتدا الخلق ادم واصله خلقه من الارض والناس
كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل موضع المصدر اي انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا
وفيه دقيقة لطيفة وهو انه لو كان انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني اولى لان
الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات
عجيب كامل الا بواسطة احيا الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة
الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا
المجاز كان لهذا السر اللطيف ثم يعيدكم فيها اي في الارض بعد الموت ويخرجكم اي منها
يوم البعث اخراجا يعني اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا اي فرشها
لكم مبسوطة تتقلبون فيها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا
واسعة قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني اي لم يجيبوا دعوتي واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا يعني اتبعوا السفلة والفقرا القادة والروسا الذين لم يزدهم كثرة
المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الاخرة ومكروا مكرا كبارا يعني كبيرا عظيما
يقال كبيرا وكبارا بالتشديد اشد واعظم في المبالغة والماكرون هم الروسا والقادة
ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على اذاه وصد
الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن الهتكم

ويعبدوا اله نوح وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله
الكذب وكذبوا رسله وقالوا يعني القادة للاتباع لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا
سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسما الهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة
في جملة قوله لا تذرن الهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة هي اعظمها عندهم
قال محمد بن كعب هذه اسما قوم صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا وكان لهم اتباع يقتدون
بهم وياخذون بعدهم باخذهم بالعبادة فجاهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك
انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشا قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين
من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتدا عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه
الاسما لانهم صوروها على صور اوليك القوم الصالحين من المسلمين خ عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال صارت الاوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت بكلب
دومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف
بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لال ذي الكلاع اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما
هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا على مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها
باسمايهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اوليك ونسخ العلم عبدت الاوثان وروى عن ابن
عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان
لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان
وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونايلة وهبل كانوا لاهل مكة ولذلك
سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسما وقد اضلوا
كثيرا اي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل كبرا قوم نوح كثيرا من الناس ولا
تزد الظالمين الا ضلالا يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعا
عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلا قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم
فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه
قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يومنون وهو قوله تعالى انه لن يومن من
قومك الا من قد امن وقيل انما اراد بالضلال امر الدنيا وما يتعلق بها لا في امر الاخرة
مما خطاياهم اغرقوا اي بالطوفان فادخلوا نارا اي في حالة واحدة وذلك في الدنيا
كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على صحة
عذاب القبر وذلك لان الفا تقتضي التعقيب في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا
يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الاخرة لانه يبطل
دلالة الفا وقيل معناه انهم سيدخلون نارا في الاخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي

لصدق الوعد في ذلك والاول اصح فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا يعني ينصرونهم ويمنعونهم
من عذاب الله الذي نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا يعني احدا
يدور في الارض فيذهب ويجي من الدوران وقيل اصله من الدار اي نازل دار انك ان تذرهم
يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا
فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا انما قال نوح هذا حين اخرج الله كل مومن من اصلابهم وارحام نسايهم واعقم بعد
ذلك ارحام النسا وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل
سبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يومنون ولا يلدون مومنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب
الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم
قبل العذاب رب اغفر لي وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من
ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انه دعا عليهم بسبب تاذيه فكان ذلك
الدعا عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس ولانه ترك
الاحتمال ولوالدي وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمخا بنت انوش وكانا مومنين
وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام من ابايه كافر وكان بينهما عشرة ابا ولمن دخل بيتي
مومنا اي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي وللمومنين والمومنات وهذا عام في كل من امن
بالله وصدق الرسل وانما بدا بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين
لانهم احق بدعايه من غيرهم ثم عم جميع المومنين والمومنات ليكون ذلك ابلغ في الدعا
ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاه فاهلكهم جميعا والله
اعلم

تفسير سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة
وثمانماية وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل اوحي الي انه
استمع نفر من الجن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة
واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة
من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل
والشرايع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوايي
يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر
انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة
شريرة محبة للشرور والافات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام
مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول
والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام

اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لساير انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علما
مخصوصًا وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة اوشاقة يعجز البشر عن ذلك وقد
يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في
تمام الماهية وليست البنية شرط للحيوة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشذتا ويل
المعتزلة من هذه الاية فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لا بد من صلابة
البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول بنكر
خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بعض الكتاب والسنة فصل واختلف الرواة
هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه مسلم عنه وقد تقدم
تفسيره في سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن
عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن
ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ
وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين
الى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب
قالوا وما ذاك الا من شي قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين
اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي
باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين
خبر السما فرجعوا الى قومهم وقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا
به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن وفي رواية
وانما اوحي اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم في حديث
ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال
بينهم وبين استراق السمع صادف هولا النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم انما اعلمه الله
عز وجل بما اوحي اليه من قوله قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود
فقضية اخرى والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون
متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقتهم وبحالهم وان نبينا صلى الله عليه
وسلم مبعوث الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المومنين ومعهم في الدنيا والاخرة
والجنة ومن كذبه فهو من الشياطين المبعدين من المومنين فيها والنار مستقره وهذا
الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه واخرون
الى انه كان لكن ازداد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا اخر كلام

القرطبي والله اعلم عكاظ سوق نجيه معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة
مرة في الجاهلية واول الاسلام وتهامة معروفة ونخلة واد من اودية مكة قريب منها
واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل اوحي الي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر
لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن ولتعلم قريش ان
الجن مع تمردهم لما سمعوا القران عرفوا اعجازه فامنوا به استمع نفر من الجن النفر ما بين
الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراة النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا اي لما رجعوا الى قومهم انا سمعنا قرانا عجبا قال ابن عباس رضي الله عنهما
بليغا اي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته يهدي الى الرشد اي يدعوا الى الصواب
يعني التوحيد والايمان فامنا به اي بالقران ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه
من الشرك وفيه دليل على ان اوليك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى
وقيل مجوسا ومشركين وانه تعالى جد ربنا اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل
اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا اي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد
منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل امر ربنا
وقيل فعله وقيل الاوه ونعماوه على خلقه وقيل علا ملك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا
اي انه تعالى جلال ربنا وعظمته ان يتخذ صاحبة ولا ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة
والولد للاستيناس به والله منزه عن كل نقص وانه كان يقول سفيهنا يعني جاهلنا قيل
هو ابليس على الله شططا اي كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط
هو مجاوزة الحد في كل شي وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي كنا نظن ان
الانس والجن صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك
فلما سمعنا القران علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسى في ارض قفر قال اعوذ
بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي
باسناد الثعلبي عن كردم بن ابي السايب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة
وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف
الليل جا ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي فنادى مناد لا نراه
يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله تعالى على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
ذكر ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الاية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم
رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا

يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظما الانس سدنا الجن والانس
والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وانهم ظنوا يعني الجن كما ظننتم اي يا معشر
الكفار من الانس ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت وانا يعني تقول الجن لمسنا السماء
اي طلبنا بلوغ السما الدنيا واستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا يعني الملايكة
شديدا وشهبا اي من النجوم وانا كنا نقعد منها اي من السما مقاعد للسمع يعني كنا نجد فيها
بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان قد ملئت المقاعد كلها فمن يستمع الان يجد له
شهابا رصدا اي ارصد به ليرمي به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملايكة عن ابن
عباس قال كان الجن يصعدون الى السما يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا
فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم
ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قايما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث في الارض
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا
يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون
حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق
بالكلية وانا لا ندري اشر اريد اي برمي الشهب بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ومعنى
الاية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم
صلاح وخير وانا منا الصالحون اي المومنون المخلصون ومنا دون ذلك اي دون الصالحين
مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون وقد دخل فيهم الكافر وغيره
كنا طرايق قددا اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشي قال
مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهوا مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوا كاهوا الناس
وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجية والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهوا
فعلى هذا التفسير يكون معنى طرايق قددا ستصير طرايق قددا وهو بيان للفرقة المذكورة
اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه وكنا في اختلاف احوالنا مثل الطرايق
المختلفة وانا ظننا الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وايقنا ان لن نعجز الله في
الارض اي ان لن نفوته اذا اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي ان طلبنا وقلنا نعجزه اين ما كنا
وانا لما سمعنا الهدى امنا به اي لما سمعنا القران امنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم فمن يومن
بربه فلا يخاف بخسا اي نقصا من عمله وثوابه ولا رهقا يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه وانا

منا المسلمون وهم الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون اي الجايرون العادلون
عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله ندا فمن اسلم فاوليك تحروا رشدا اي قصدوا طريق
الحق وتوجهوه واما القاسطون يعني الذين كفروا فكانوا لجهنم حطبا يعني وقودا للنار
يوم القيمة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الاية من لا يرى لمومني الجن ثوابا وذلك لان
الله ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المومنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى
بقوله فاوليك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا
يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت ان خلقوا من
النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا اخر والله تعالى قادر ان يعذبهم بالنار قوله عز وجل
وان لو استقاموا على الطريقة اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين
تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقاموا الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا
عليهم وانما ذكر الما كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا
القران على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القران ولم يسلموا لاسقيناهم ماء غدقا
اي لوسعنا الرزق عليهم لنفتنهم فيه وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع
الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة يعني كفار مكة اي الحق والايمان
والهدى فكانوا مومنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعدما رفع عنهم
المطر سبع سنين والمعنى لو امنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا
رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر قوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم
كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الاية لو استقاموا اي ثبتوا على طريقة
الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم
واستدراجا لهم حتى يفتتنوا بها فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف
واللام وهي طريقة الهدى والقول بان الاية في الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر
ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه نسلكه اي ندخله عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا
وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة وان المساجد لله يعني المواضع التي بنيت
للصلوة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنايس والبيع التي
لليهود والنصارى فلا تدعوا مع الله احدا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا
كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المومنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا
دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله
عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير
قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك فنزلت

وان المساجد لله وروي عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضا التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضا التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره وعن العباس بن عبد المطلب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الاراب الاعضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضا وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والقدمين والركبتين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعضا على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر كف الشعر عقصه وغرز طرفه في اعلى الظفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل وانه لما قام عبد الله يدعوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه يعني يعبد الله ويقرا القران وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا ويزدحمون عليه حرصا على استماع القران قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم واخبروهم من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واقتدائهم به في الصلوة وقيل في معنى الاية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر انما ادعوا ربي وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يمنعني منه احد ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه الا بلاغا من الله ورسالاته اي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله تعالى فانما انا مرسل لا املك الا ما ملكت ومن يعص الله ورسوله يعني ولم يؤمن فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون يعني العذاب يوم القيمة فسيعلمون اي عند نزول العذاب من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام المومنون قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيمة ام يجعل له ربي

امدا اي اجلا وغاية تطول مدتها عالم الغيب اي هو والغيب ما غاب عن العباد فلا يظهر اي فلا يطلع على غيبه احدا اي الغيب الذي يعلمه وانفرد به احدا اي من الناس ثم استثنى فقال الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون ذلك معجزة له واية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي من الرضى وادخله في السخط قال الواحدي وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة او موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القران فاما الزمخشري فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم قال الفخر الدين والسنة الاية الى لصورتين واحدة فان جعل الله الاية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندي ان الاية لا دلالة فيها على شي من ذلك وذلك يدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه احدا من غيوبه فيحمله وقوع القيمة فيكون المراد من الاية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الاية دلالة على انه لا يظهر شيا من الغيوب لاحد ثم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على شي من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان مذهب اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض الوقايع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبيا وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عايشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم ففي ذلك اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر في ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولي امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على متابعته

واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة ببعث النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادعي
منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جا به القران وكذلك حكم المنجم والله تعالى اعلم وقوله تعالى
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه اي من بين يدي الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال
على جميع الجهات **رصدا** اى حفظة من الملايكة يحفظونه من الشيطان ان يسترقوا السمع
من الملايكة ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحي فيلقوه الى الكهانة فيخبروا به قبل الرسول
وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من
بين يديه ومن خلفه رصدا من الملايكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جا شيطان
في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره وان جا ملك قالوا هذا رسول ربك **ليعلم**
اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم **ان** اى ان جبريل بلغ رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد
ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم
الله ان الرسل **قد ابلغوا رسالات ربهم** فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيجب فيه الثواب
واحاط بما لديهم اي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شي من امورهم **واحصى كل شي عددا**
قال ابن عباس احصى ما خلق وعلم ما خلق لم يفته شي حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه
وتعالى اعلم

تفسير سورة المزمل مكية قيل غير ايتين منها وهما قوله واصبر على
ما يقولون وقيل غير ذلك ومن ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون اية ومايتان وخمس
وثمانون كلمة وثمانماية وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **يا ايها المزمل**
هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اى تلفف قال
المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما جاه جبريل فرقا منه فكان يقول
زملوني زملوني حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها
المزمل وقيل معناه متزمل النبوة حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم
وانما لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان في اول الامر ومبتداه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك
وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في فنودي يا ايها المتزمل **قم الليل** اى للصلاة والعبادة
واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتدا الاسلام
الا قليلا اي صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى **نصفه**
اي قم نصف الليل **او انقص منه قليلا** اي الى الثلث **او زد عليه** اي على النصف الى الثلثين
خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل
منهم لا يدري متى ثلث الليل ومتى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان
لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم
ونسخها بقوله فاقروا ما تيسر منه قيل ليس في القران سورة نسخ اخرها اولها الا هذه السورة
وكان بين نزول اولها ونزل اخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ
بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
ومن الليل فتهجد به نافلة لك م عن سعيد بن هشام انطلقت الى عايشة فقلت يا ام المومنين
انبيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا المزمل قلت بلى قالت فان خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القران قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المومنين
قالت الست تقرا المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في اول هذه السورة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثني عشر
شهرا في السما ثم انزل التخفيف في اخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة
وقوله تعالى **ورتل القران ترتيلا** قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على هينتك
ثلاث ايات او اربعا او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين
القراة حرفا حرفا انزله في امر بعضه بالمد والاشباع والتخفيف وترتيلا تاكيدا في الامر
وانه لا بد للقاري منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القراة حتى يتمكن
المصلي من حضور القلب والتاويل والفكر في حقايق الايات ومعانيها فعند الوصول الى
ذكر الله يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الخوف
وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة
والاسراع في القراة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور
القلب عند القراة **فصل** خ عن قتادة قال سالت انس كيف كانت قراة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله
ويمد الرحمن ويمد الرحيم عن ام سلمة رضي الله عنها وقد سالها يعلى بن مالك عن قراة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراته فاذا هي تنعت
قراة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النساي وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقطع قراته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك
يوم الدين ثم يقف وفي رواية ابي داود قالت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين يقطع قراته اية اية ق عن عبد الله
ابن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة فرجع
في قراته ق عن ابي وايل شقيق بن سلمة قال جا رجل الى ابن مسعود فقال اني لاقرا المفصل في
ركعة فقال عبد الله هذا كهذا الشعر ان قوما يقرون القران لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع
في القلب فرسخ نفع ان افضل الصلوة الركوع والسجود اني اعرف النظاير التي كان صلى الله
عليه وسلم يقرن بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الحديث

سرعة القطع والمراد به مسارعة القراة والعجلة فيها وقوله لا يتجاوز تراقيهم التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظاير جمع نظيرة وهو الشبيه والمثيل عن عايشة رضي الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم باية من القران اخرجه الترمذي والنساي وعن ابي ذر نحوه وزاد والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقروا قبل ان يقراه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل اجره ولا يتاجله اخرجه ابو داود وزاد غيره في رواية لا يتجاوز تراقيهم عن جابر رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا القران وفينا العربي والعجمي فقال اقروا وكل حسن وسيجي اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داود وعن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجايبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم اخر السورة قوله تعالى **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا** قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شي له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى نصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرايض والاحكام وقيل ثقيل على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القران والوحي يجد له مشقة وعن عايشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عايشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عني ويفارقني وقد وعيت ما قال اي حفظته وقوله ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من المفاصد قوله تربد وجهه الربدة في الالوان غبرة مع سواد وقوله تعالى **ان ناشية الليل** اي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشية لانها تنشا عن التي قبلها وقال ابن ابي مليكة سالت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشية وهو عبارة عن الامور

التي

التي تحدث وتنشا في الليل وقالت عايشة الناشية القيام بعد النوم وقيل هي قيام اخر الليل وقيل اوله وقيل اي ساعة قام الانسان من الليل فقد نشا وروي عن زين العابدين علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذا ناشية من الليل وقيل كل صلاة بعد عشا الاخرة فهي ناشية من الليل وقيل ناشية الليل **هي اشد وطا** قرى بكسر الواو مع المد يعني المواطاة والموافقة وذلك لان مواطاة القلب واللسان والسمع والبصر يكون بالليل اكثر مما يكون بالنهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل اشد وطا يقول هي اجدر ان يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ وقيل اثبت في الخير واحفظ للقراة من النهار وقيل هي اوطا للقيام واسهل على المصلي من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل اذا افرغ للقلب من النهار ولا يعرض له في الليل حوايج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الريا وهو قوله تعالى **واقوم قيلا** اي اصوب قراة واصح قولا من النهار لهداة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه ابين قولا بالقران والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد عن الريا واكثر بركة وابلغ في الثواب وادخل في القبول **ان لك في النهار سبحا طويلا** اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوايجك واشتغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوايجك فصل من الليل **واذكر اسم ربك** اي بالتوحيد والتعظيم والتقديس **وتبتل اليه تبتيلا** قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى تبتل نفسك واقطعها عن كل شي سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شي واقبل على العبادة قد تبتل وانقطع عن كل شي الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجي على مصدره قلت جا تبتيلا على تبتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موقع مقاربه في المعنى ويكون التقدير وتبتل نفسك اليه تبتيلا وهو كقوله انبتكم من الارض نباتا وقيل ان معنى تبتل بتل نفسك فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل في تبتل ان يقال فيه تبتلت تبتيلا وتبتلا تبتيلا تبتيلا محمول على معنى تبتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه لا بد من التبتل لان المقصود ذكر التبتل ثانيا اشعارا بانه لا بد منه **رب المشرق والمغرب** يعني ان التبتل والانقطاع لا يليق الا الى الله تعالى الذي هو

رب المشرق والمغرب **لا اله الا هو فاتخذه وكيلا** اي فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه
اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء **واصبر على ما يقولون** اي من التكذيب
والاذى **واهجرهم هجرا جميلا** اي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الاية منسوخة
باية القتال **وذرني والمكذبين** اي دعني ومن كذبك لا تهتم به فاني اكفيكه **اولي النعمة** اي
اصحاب النعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر
ومهلهم قليلا يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل اراد ايام الدنيا ثم
وصف عذابهم فقال **ان لدينا** اي عندنا في الاخرة **انكالا** يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك
ابدا وقيل اغلالا من حديد **وجحيما وطعاما ذا غصة** اي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا
يخرج وهو الزقوم والضريع **وعذابا اليما** اي وجيعا **يوم ترجف الارض والجبال** اي تتزلزل
وتتحرك وهو يوم القيامة **وكانت الجبال كثيبا مهيلا** يعني رملا سائلا وهو الذي اذا اخذت
منه شيئا يتبعك ما بعده **انا ارسلنا اليكم** يعني يا اهل مكة **رسولا** يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم **شاهدا عليكم** اي بالتبليغ وايمان من امن منكم وكفر من كفر **كما ارسلنا الى فرعون رسولا**
يعني موسى ابن عمران عليه السلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم
والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم اذوه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون
ازرى بموسى واذاه لانه رباه **فعصى فرعون الرسول** يعني موسى **فاخذناه** يعني فرعون
اخذا وبيلا اي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف بذلك كفار مكة يوم
القيامة قوله تعالى **فكيف تتقون ان كفرتم** اي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا المعنى
لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة
وباي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه اذا كفرتم في الدنيا **يوما يجعل
الولدان شيبا** يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لادم عليه
السلام قم فابعث الى النار من ذريتك ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ادم فيقول لبيك وسعديك
زاد في رواية والخير بيديك فينادي بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار
قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها
ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك
على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال انتم في
الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو
ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا اما ما يتعلق

بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار فمعناه ميز اهل الجنة من اهل النار
واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف هي الاثر في باطن عضد الحمار وقوله اني لارجو ان تكونوا
ربع اهل الجنة وشطر اهل الجنة ففيه البشارة العظيمة لهذه الامة اولا ثم الثلث ثم
الشطر فلفائدة حسنة وهي ان ذلك اوقع في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد
مرة يدل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم
على شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها
اما ما يتعلق بمعنى الاية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل
الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة
الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني انه في القيامة فعلى هذا
يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهوله يقال
في اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا
تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب
ناصية الصبي ويهرم فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوا الشيب
كناية عن الشدة والهول وليس المراد هو ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة
لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال
يبلغون فيه الشيخوخة والشيب **السماء منفطر به** وصف اليوم بالشدة ايضا وانما السماء مع عظمها
تنفطر وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به اي بذلك
المكان وقيل انها ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اي بامره وهيبته **كان وعده مفعولا** اي كائنا
لا محالة فيه ولا خلف **ان هذه** اي ايات القران **تذكرة** اي مواعظ يتذكر بها **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا**
بالايمان والطاعة قوله تعالى **ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل** اي اقل من ثلثي الليل **ونصفه
وثلثه** اي وتقوم نصفه وثلثه **وطائفة من الذين معك** يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل
والله يقدر الليل والنهار يعني العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى
لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذي يقومون من الليل والذي ينامون منه **علم ان لن تحصوه**
يعني ان تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه
اي لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر الله به من القيام
فقال تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك **فتاب عليكم** اي فعاد عليكم بالعفو
والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم **فاقرءوا ما تيسر من القران**
فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة في الصلوات وذلك لان القراءة احد اجزاء الصلاة
فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة العشاء

قال قيس بن ابي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا في اول ركعة بالحمد واول اية من البقرة
ثم قام في الثانية فقرا بالحمد والاية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا فقال
ان الله تعالى يقول فاقرءوا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد والتقدير بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا
بالصلوات الخمس وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثاني ان المراد بقوله فاقرءوا ما تيسر من القران دراسته
وتحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان فقيل ان يقرا مائة اية ونحوها وقيل بل قراءة السورة
القصيرة كافية روى البغوي باسناده عن انس رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من قرا خمسين اية في يوم وليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مائة اية كتب من
القانتين ومن قرا مايتي اية لم تحاجه القران يوم القيمة ومن قرا خمسمائة اية كتب له قنطار من
الاجر وذكره الشيخ محيي الدين في كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرا اربعين
اية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا عشر ايات لم يكتب من الغافلين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبر انك تصوم الدهر وتقرا القران كل ليلة
قلت بلى يا رسول الله ولم ارد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان اعبد الناس واقرا
القران في كل شهر قال قلت يا نبي الله اني اطيق افضل من ذلك قال فاقراه في كل عشر قال
قلت يا نبي الله اني اطيق افضل من ذلك قال فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ
والتخفيف فقال علم ان سيكون منكم مرضى يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف
الله عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه واخرون يضربون في الارض يعني المسافرين للتجارة
يبتغون من فضل الله اي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة واخرون يقاتلون في
سبيل الله يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل في النهار بالاعمال
الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة عليهم فخفف الله عنهم لذلك
روي عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا
فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهدا ثم قرا عبد الله واخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه اي من القران
وانما اعاده للتاكيد واقيموا الصلاة يعني المفروضة واتوا الزكاة اي الواجبة واقرضوا
الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد ما سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد
ساير الصدقات وذلك بان يخرجها على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا
للفقرا ومراعاة النية والاخلاص وابتغا مرضات الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله اي ثوابه واجره هو خيرا واعظم اجرا

يعني ان الذي قدمتم لانفسكم خير من الذي اخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا
كيف يا رسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر واستغفروا الله
اي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل ان الله غفور رحيم اي لجميع الذنوب والله اعلم بمراده
واسرار كتابه تفسير سورة المدثر مكية قيل غير اية من اخرها وهي ست
وخمسون اية ومايتان وخمس وخمسون كلمة والف وعشرة احرف بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل يا ايها المدثر عن يحيى بن كثير قال سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن
عن اول ما نزل من القران قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرا باسم ربك قال ابو سلمة سالت
جابرا وقلت له مثل الذي قلت فقال ابو جابر لا احدثك الا بما حدثنا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني
فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فاتيت خديجة فقلت
دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر
وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت
جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش في الهوى يعني
جبريل فاخذتني رجفة شديدة عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن ابي
سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه
فبينا انا امشي سمعت صوتا من السما فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس على كرسي
بين السما والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها
المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلي وذكره
وفيه قال ابو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع فان قلت دل هذا الحديث
على ان سورة المدثر اول ما نزل من القران ويعارضه حديث عايشة رضي الله عنها المخرج في
الصحيحين ايضا في بدا الوحي وسياتي في موضعه ان شا الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى
بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلما ان اول ما نزل
من القران على الاطلاق اقرا باسم ربك الذي خلق كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر
ويدل عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها
المدثر ويدل عليه ايضا فاذا الملك الذي جاني بحرا ثم قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا
قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب ان اول ما نزل من القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرا
باسم ربك الذي خلق وان اول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فيحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين

الحديث والله اعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله
يحدث عن فترة الوحي اي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت
منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثا مثلثة ساكنة ثم تا الضمير وروي جثثت بثاءين
مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله
وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنهار اذا ازداد حرهما وقوله فصبوا على ما فيه انه
ينبغي لمن فزع ان يصب عليه الماء حتى يسكن فزعه والله اعلم واما التفسير فقوله عز وجل
يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفي بها واجمعوا على انه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل يا ايها المدثر يريد بالنبوة
والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا قم فانذر
اي حذرهم من عذاب ربك ان لم يومنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم
واستعمل بالانذار الذي تحملته وربك فكبر اي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان وثيابك
فطهر فيه اربعة اوجه احدها ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والثاني ان ينزل لفظ الثياب
على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل لفظ الثياب على التطهر في الحقيقة والرابع
ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات
والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يتحرزون عنها فامره صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه
من النجاسة وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان
المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسات وفي تطويل الثوب من الخيلاء والكبر
والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل
معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب الوجه
الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة • وشككت بالرمح الاصم ثيابه • ليس الكريم
على القنا بمحرم • يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى
بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز
فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات الذميمة وقيل معناه وخلقك فحسن وسيل ابن عباس
عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر اما سمعت قول ابن غيلان بن سلمة
الثقفي • واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع • والعرب تقول في وصف
الرجل بالصدق والوفا هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك
ان الثوب كالشي الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه
والعفة في ازاره وقيل من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى والرجز فاهجر يعني اترك
الاوثان ولا تعبدها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كلما اوجب لك العذاب

من الاع

من الاعمال والاقوال ولا تمنن تستكثر يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول
اكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب
النبوة لان من اعطى شيا لغيره ليطلب منه الزيادة عليه لابد وان يتواضع لذلك الذي
اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره
من الامة كذلك كما قيل هما ربا ان حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره
ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيا لمجازاة
الدنيا اعط لله واردد به وجه الله وقيل معناه ولا تمنن على الله بعملك فتستكثر ولا يكثر
عملك في عينك فانه مما انعم الله به عليك واعطاك قليلا وقيل معناه ولا تمنن على اصحابك
بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك
فتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به وقيل معنى لا تمنن لا تضعف عن الخير لتستكثر به
وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لملك العطية فان
المن يحبط العمل ولربك فاصبر اي على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى
وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه
محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد
القضا لاجل الله فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح فذلك يومئذ يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة
يوم عسير اي شديد على الكافرين يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم فيعطون كتبهم بشمايلهم
وتسود وجوههم غير يسير اي هين فان قلت ما فايدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت
فايدة التكرار للتاكيد كقولك انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل
على انه يهون على المومنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين
وبشارة المومنين قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا
لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه
فانا اكفيك هو نزلت هذه الاية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه
وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا يمد بعضه بعضا دايما غير منقطع وقيل ما يمد بالنما
كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة الاف درهم
وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة الاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطايف
ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجواري وقيل كان له بستان بالطايف غلته
شهر بشهر وبنين شهودا اي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنيا غير محتاجين الى الغيبة
لطلب الكسب وقيل معنى شهودا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة

وهم الوليد بن الوليد وعماره وهشام وعماره ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ثم يطمع اي يرجوا ان ازيد اي ازيده مالا وولدا او تمهيدا كلا اي لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان ماله وولده انه كان لاياتنا عنيدا اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلايل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة وكان منازعا منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر واخبثه سارهقه صعودا يعني ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة من النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وروي البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سارهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت قال الكلبي الصعود صخرة ملسا في النار يكلف الكافر ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه فذلك دابه ابدا قوله عز وجل انه فكر وقدر اي فكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهياه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اي وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت محمدا يقرا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد وليصبون قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي فقال وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه تكهن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه

ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يوثر فذلك قوله عز وجل انه فكر اي في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول في محمد والقران فقتل كيف قدر اي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ ثم قتل كيف قدر كرره للتاكيد وقيل معناه لعن على اي حال قدر من الكلام ثم نظر اي في طلب ما يدفع به القران ويرده ثم عبس وبسر اي كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر في شي يريده ثم ادبر اي عن الايمان واستكبر اي حين دعي اليه فقال ان هذا اي الذي يقوله محمد ويقراه الا سحر يوثر يروى ويحكى عن السحرة ان هذا الا قول البشر يعني يسارا وجبرا فهو يوثر عنهما قال الله تعالى ساصليه اي سادخله سقر وهو اسم من اسما جهنم وقيل اخر دركاتها وما ادراك ما سقر وما اعلمك اي شي هي سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها لا تبقي ولا تذر قيل هما بمعنى كما تقول صد عني واعرض عني وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا يبقي احد من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحوم اوليك شيا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيي اي لا يبقى منه فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترق فواجدد واعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شي ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبقي عليهم ولا تذرهم لواحة للبشر جمع بشرة اي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا عليها تسعة عشر اي على النار تسعة عشر من الملايكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جا في الاثر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعني الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم يعني خزنة جهنم فقال ابو الاسود بن الاسود كلدة بن خلف انا اكفيكم منهم سبعة عشر في يدي عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم اثنان ويروى عنه انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة يعني لا رجالا ادميين فمن ذا يغلب الملايكة وانما جعلهم ملايكة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرقة والرافة وما جعلنا عدتهم اي عددهم في القلة الا فتنة للذين كفروا اي ضلالة لهم حين قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هو قولهم لم يكونوا

عشرين وما الحكم في تخصيص ذلك العدد وقيل فتنتهم قولهم كيف يقدر هذا العدد
القليل على جميع من في النار واجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بان افعال الله تعالى
لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل
وجه الحكم في كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير وجه ذلك
ان الاحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد
يجمع اقل الكثير واكثر القليل لا لاكثر الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل
تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار
وذلك بان الله جل جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فمن
اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شيء قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا
زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب يعني ان هذا العدد
مكتوب في التوراة والانجيل وانهم تسعة عشر ويزداد الذين امنوا ايمانا يعني ان من امن
من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب اي ولا يشك الذين
اوتوا الكتاب والمومنون يعني في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل
على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه تعريضا
بحال غيرهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الناس المرتابين من اهل الكتاب وليقول الذين في
قلوبهم مرض اي شك ونفاق والكافرون اي مشركوا مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال
وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى
ان النفاق سيحدث فاخبر الله عما يكون وهو كما يرى الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الاية
معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل
ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب
ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني اي شيء اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة
من المثل المضروب لانه مما غريب عن الكلام وبديع استغرابا منهم بهذا العدد واستبعادا له
والمعنى اي غرض قصد في جعل الملايكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من
اصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا كذلك اي كما اضل من انكر عدد الخزنة
وهدى من صدق به كذلك يضل الله من يشا ويهدي من يشا لان الله تعالى اليه الهداية
والاضلال وما يعلم جنود ربك الا هو هذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان
الا تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب
اهل النار وقيل كما ان مقدرات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية وما
هي يعني النار الا ذكرى للبشر اي الا تذكرة وموعظة للناس يتعظون بها كلا اي لا يتعظون ولا
يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا
بمعنى حقا والقمر والليل اذ ادبر اي ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبرني
فلان اي جاء خلفي فالليل ياتي خلف النهار والصبح اذا اسفر اي اضا وتبين وهذا قسم
جوابه انها لاحدى الكبر يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات
النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نذيرا للبشر
قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر
بشي ادهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير
فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر
فانذر لمن شا منكم ان يتقدم او يتاخر اي يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عنها فيقع في
الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد من امن او كفر وقد تمسك بهذه الاية
من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيته
تابعة لمشية الله تعالى وقيل اضافة المشية الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا
ما شيتم وقيل هذه المشية لله تعالى والمعنى لمن شا الله منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى
كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة في النار بكسبها وماخوذة بعملها الا اصحاب اليمين
فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن الله تعالى يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم
باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم
فقيل هم المومنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا
على يمين ادم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هولاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين
كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم اطفال
المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال
هم الملايكة في جنات اي هم في جنات يتسالون عن المجرمين اي يسالون المجرمين وعن صلتهم
فيقولون لهم ما سلككم في سقر وقيل هذا يقوي قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم
يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسال بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا
التفسير يكون معنى ما سلككم يقول المسولون للسايلين قلنا للمجرمين ما سلككم اي ادخلكم
وقيل ما حبسكم في سقر وقيل هذا سوال توبيخ وتقريع فقالوا مجيبين لهم لم نك من المصلين
اي لله في الدنيا ولم نك نطعم المسكين اي لم نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخايضين اي في
الباطل وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزا على الاعمال وهو يوم القيامة حتى اتانا اليقين
يعني الموت قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملايكة والنبيون
والشهدا والصالحون وجميع المومنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلى قالوا لم نك من المصلين

للاية وقال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هولا الذين تسمعون
روى البغوي باسناده عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان
ما تريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانت لانت هو
فيقول نعم فيشفع فيه فما لهم عن التذكرة معرضين اي عن مواعظ القران كانهم حمر
جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر اي نافرة وقرئ بالفتح اي مذعورة محمولة على النفار
فرت من قسورة قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهو رواية عن ابن عباس
وعنه انها القناص وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقويا
وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم
وقيل القسورة شدة على سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هي الاسد وذلك لان
الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هولا المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله
عليه وسلم يقرا القران هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل
نفار حمر الوحش اذا خاف من شي بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة قال المفسرون
ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور
من الله انك رسوله نومر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني
اسرايل كان يصبح وعند راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك كلا اي لا يوتون الصحف
وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون الاخرة اي لا يخافون عذاب الاخرة
والمعنى انهم لو خافوا عذاب النار لما اقترحوا هذه الايات بعد قيام الادلة لانها لما
حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب
العنت كلا اي حقا انه تذكرة يعني انه عظة عظيمة فمن شا ذكره اي اتعظ به فانما يعود
نفع ذلك عليه وما يذكرون الا ان يشا الله اي الا ان يشا الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا
هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيومنوا
به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان
يتقي محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل
ان اتقى فمن اتقاني فلا يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وفي اسناده سهيل بن عبد القطيعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به ثابت
عن انس والله تعالى اعلم تفسير سورة القيامة مكية وهي اربعون اية
وست عشرة وسبعون كلمة وستماية واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيامة اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظ لا
فقيل ادخال لفظ لا على القسم مستفيض من كلام العرب واشعارهم قال امرو القيس
لا وابيك ابنة العامري • لا يدعي القوم اني افر قالوا وفايدتها تاكيد القسم كقولك لا والله
ما ذاك كما يقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الردع مع اثباتها وقيل انها صلة كقوله
الله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في اوله
واجيب عنه بان القران في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض بدليل انه
قد يجي ذكر الشي في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر
انك لمجنون وجوابه في سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه
السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القران في حكم السورة الواحدة في عدم
التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فقيل غير جايز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين
للبعث اي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة
وقيل الوجه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى كانه لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس
الا اعظاما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شانه وقيل معناه لا اقسم بهذه
الاشيا على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوي في تفسير
القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة
فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة
الكبرى لسياق الايات في ذلك وقوله ولا اقسم بالنفس اللوامة قيل هي التي تلوم على
الخير والشر ولا تصبر على السرا والضرا وقيل اللوامة هي التي تندم على ما فيه فتقول ما
فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت
خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول يا ليتني لم افعل وقال الحسن هي نفس المومن ان
المومن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي وان الكافر يمضي قدما لا يحاسب
نفسه ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت
في الطاعة وقيل هي النفس الشقية تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك
التقوى وقيل هي النفس الشريفة تلوم نفسها حين تعاين هوال يوم القيامة فتقول
واحسرتى على ما فرطت في جنب الله فان قلت اي مناسبة بين يوم القيامة تظهر احوال
النفوس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة تظهر
احوال النفوس اللوامة من الشقاوة والسعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل
انما وقع في القسم في النفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها
واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم

بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة والفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم
هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة
على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشيا قسم بربها
في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيامة وقيل ان الله تعالى ان يقسم بما شا من خلقه وجواب
القسم محذوف تقديره ليبعثن ثم ليحاسبن يدل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان الن نجمع
عظامه وقيل جواب القسم قوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه ومعنى ايحسب الانسان
ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة قد سفتها
الرياح فطيرتها في اباعد الارض الن نجمع عظامه اي لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر
بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابدا اقدر على الاعادة نزلت هذه
الاية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني شر جاري السو عديا والاخنس وذلك ان عديا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف امرها وحالها
فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك
ولم او من بك او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعني هذا الكافر
الن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلا فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد
بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفس ولا يستوي الخلق الا باستوايها وقيل انما خرج
على وفق قول هذا المنكر او يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتاليفها
واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان
نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار
فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما
وقيل معناه ظن الكافر انا لن نقدر على جمع عظامه بل نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات
على صغرها الى اماكنها ونولف بينها حتى تستوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار
فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر
لانه اخر ما يتم الخلق بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبل من الزمان
ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويوخر التوبة
ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى ياتيه الموت وهو على اسوا حاله واشر اعماله
وقيل هو طول الامل يقول اعيش واصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت قال ابن
عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق
فاجرا لميله عن الحق يسئل ايان يوم القيامة اي متى يكون يوم القيمة والمعنى ان الكافر

يسيل سوالا بتعنت مستبعدا لقيام الساعة قال الله تعالى فاذا برق البصر
اي اذا شخص البصر عند الموت فلا يطرف بما راى من العجايب التي كان يكذب بها في الدنيا
وقيل تبرق ابصار الكفار عند روية جهنم وقيل برق اي شق عينه وفتحها من البرق
والتلالو وخسف القمر اي اظلم وذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر يعني اسودين مكورين
كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر
فيكونان نار الله الكبرى يقول الانسان يعني الكافر المكذب يوميذ اين المفر اي المهرب وهو
موضع الفرار كلا اي لا ملجا لهم يهربون اليه وهو قوله لا وزر اي لا حرز ولا ملجا ولا جبل
وكانوا اذا فزعوا لجوا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يوميذ تتحصنون به
واصل الوزر الجبل المنيع وكلما التجات اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب
ابن مالك ‌ الناس الب علينا ليس فيك لنا الا السيوف واطراف القنا وزر ومعنى
الاية انه لا شي يعصمهم من امر الله لا حصن ولا جبل يوم القيمة يستندون اليه من النار
الى ربك يوميذ المستقر يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع
وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار وذلك
مفوض الى مشيته فمن شا ادخله الجنة برحمته ومن شا ادخله النار بعدله ينبا الانسان
يوميذ بما قدم واخر قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيي وما
اخر بعد موته من سنة حسنة او سيية يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية
واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله
واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله واخره وهو ما عمله من اول عمره وفي اخره وقيل
بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته بل الانسان على نفسه بصيرة
اي بل الانسان على نفسه من نفسه رقبا يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره
وجوارحه وانما دخلت الها في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل
الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون
الها للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه
فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من
نفسه من يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى
هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه
وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيمة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا لا تحرك به
لسانك لتعجل به ق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن جبير

قال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه فانزل
الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك
ثم تقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقراه قال فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل
قراه النبي صلى الله عليه وسلم كما قراه وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواه
البغوي من طريق البخاري وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل
بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز
وجل الاية التي في لا اقسم بيوم القيمة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
وقرانه قال ان علينا ان نجمعه في صدرك وتقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه فاذا انزلناه
فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل
اطرق فاذا ذهب قراه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل
عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
اي نجمعه في صدرك وقرانه اي تقراه ومعنى الاية لا تحرك بالقران لسانك وانما جاز
هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اي باخذه ان علينا جمعه
وقرانه اي وقرانه عليك والمعنى سنقريك يا محمد بحيث تصير لا تنساه فاذا قراناه فاتبع
قرانه اي لا تكون قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي
اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره
نزل بالوحي ونظيره ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله
وحرامه والقول الاول اولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو
موضع امر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم
وحفظه ثم ان علينا بيانه اي نبينه بلسانك فتقراه كما اقراك جبريل وقيل اذا اشكل
شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شيء سال جبريل عن معانيه لغاية حرصه
على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى كلا اي حقا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة
اي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب اهل مكة وجوه يومئذ يعني يوم القيمة
ناضرة من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة
وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور ربها وقيل مشرقة بالنعيم الى ربها
ناظرة قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها ان تنضر وهي

تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر في هذه الاية
بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امر لها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها
قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطا لان العرب
لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اي انتظرته ومنه قول الحطيئة
٥ وقد نظرتكم ايناء صادرة ٥ للورد طال بها حوزي وتنساسي ٥ فاذا قلت نظرت
اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب
وهذا اخر كلامه ويشهد لصحة كلامه ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير
ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله تاويله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى
لم يحتمل غير الروية واما قولنا نظر الى الله ثم اليك على معنى انوقع فضل الله ثم فضلك
فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظرا بمعنى نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى
الوجه فاذا استند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان
لم يبق للروية محلا وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تنقض قول من فسر النظر
في هذه الاية بالروية وسنذكرها ان شاء الله سبحانه وتعالى في فصل في اثبات روية
المومنين ربهم سبحانه وتعالى في الاخرة قال علما اهل السنة روية الله سبحانه وتعالى ممكنة
غير مستحيلة عقلا فاجمعوا على وقوعها في الاخرة وان المومنين يرون الله سبحانه
وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ٥
وزعمت طوايف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجية ان الله تعالى
لا يراه من خلقه وان رويته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطا صريح وجهل
قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف
الامة من اثبات روية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وايات القران فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة لها اجوبة مشهورة
في كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقي شبههم واجوبتها مستفاضة في كتب
الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الروية قوة يجعلها الله في
خلقه ولا يشترط فيها اتصال ولا اشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك واما الاحاديث
الواردة في اثبات الروية فمنها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه
وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذي

وقال حديث غريب وقال وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه وعن جرير بن عبد الله قال
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرنا الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون
ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب قوله لا تضامون بفتح التا وتشديد الميم وقد تضم التا مع التشديد ايضا
ومعناه لا ينضم بعضكم على بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروي بتخفيف الميم
ومعناه لا ينالكم ضيم في رويته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم
عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الروية بالروية في الوضوح وزوال الشك والمشقة
لا تشبيه المري بالمري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نري
ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا
لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي
وليس عنده في اوله ان ناسا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها
سحاب قال الترمذي وقد روي مثل هذا الحديث عن ابي سعيد وهذا الحديث طرف من
حديث طويل قد اخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد عن ابي رزين
العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يري ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت
وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم راي القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلي
قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود
م عن صهيب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل
الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض
وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيا احب
اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في هذا الباب كثيرة وهذا القدر
كاف والله اعلم وقوله عز وجل **ووجوه يوميذ باسرة** اي عابسة كالحة متغيرة مسودة
قد اظلمت الوانها وعدمت اثار النعمة والسرور منها لما ادركها من الياس من رحمة الله تعالى
وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار **تظن** اي تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين
ان يفعل بها فاقرة اي يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة
والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هي ان
تحجب تلك الوجوه عن روية الله تعالى **كلا** اي حقا **اذا بلغت** يعني النفس كناية عن غير
مذكور **التراقي** جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي

عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت
نفوسهم التراقي **وقيل** يعني من حضره **من راق** اي هل من طبيب يرقيه ويداويه
مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوايه وقيل لما نزلت قضا الله به اي
امر الله تعالى لما نزل التمسوا له الاطبا يغنوا عنه من قضا الله شيا وقيل هذا من قول
الملايكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم من يرقي بروحه اذا اخرجت ليصعد
بها ملايكة الرحمة او ملايكة العذاب **وظن** اي ايقن الذي بلغت روحه التراقي **انه الفراق**
اي الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد **والتفت** اي اجتمعت **الساق بالساق**
اي الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة الدنيا بشدة الموت وكربه وقيل شدة الموت
بشدة الاخرة وقيل تتابعت عليه الشدايد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو اشد منه
وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة
وقيل الناس يجهزون جسده والملايكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا
في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدي رجليه على الاخرى
عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقه فالتفت احداهما بالاخري **الى ربك يوميذ
المساق** اي مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم قوله تعالى
فلا صدق ولا صلى يعني ابا جهل لم يصدق بالقران ولم يصل لله تعالى **ولكن كذب وتولى**
اي اعرض عن الايمان والتصديق **ثم ذهب الى اهله يتمطى** اي يتبختر ويختال في مشيته
وقيل اصله يتمطط اي يتمدد من المطي **اولى لك فاولى** فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد
والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني لاعز من بين جبليها فلما كان يوم
بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اسوا قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان لكل نبي امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل **ايحسب الانسان ان يترك
سدى** اي مهملا لا يومر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الاخرة **الم يك نطفة**
اي ما قليلا **من مني يمنى** اي تصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شي قذر مستقذر
ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة **ثم كان علقة** اي صار الانسان علقة بعد النطفة **فخلق
فسوى** اي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاه **فجعل منه**
اي من الانسان **الزوجين** اي الصنفين ثم فسرهما فقال **الذكر والانثى** اي يخلق من مايه اولادا
ذكورا واناثا **اليس ذلك** اي الذي فعل هذا وانشا الاشيا **بقادر على ان يحيي الموتى** اي على
اعادته بعد الموت عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا
على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيي

الموتى فليقل بلى ومن قرا المرسلات فبلغ فباي حديث بعده يومنون فليقل امنا بالله اخرجه
ابو داود وله عن ابي موسى بن ابي عايشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرا اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسالوه عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم **تفسير** سورة الانسان مدنية قاله مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية
يحكى ذلك عن ابن عباس وعطا بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع
منهم اثما او كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدني من اولها الى قوله تعالى انا نحن
نزلنا عليك القران تنزيلا ومن هذه الاية الى اخرها مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلاثون
اية ومايتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **هل اتى** قد اتى **على الانسان** يعني ادم عليه السلام **حين من الدهر** يعني مدة
اربعين سنة وهو من طين ملقى م عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لما صور الله ادم في الجنة تركه ما شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف به
وينظر اليه فلما راه اجوف اي صاحب جوف وقيل هو الذي داخله خال وقوله عرف
انه خلق لا يتمالك اي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس
عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ويروى في تفسير الاية ان ادم بقي اربعين سنة
طينا واربعين سنة حماء مسنونا واربعين صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين
سنة **لم يكن شيا مذكورا** اي لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل ان
ينفخ فيه الروح كان شيا ولم يكن شيا يذكر روي عن عمر انه سمع رجلا يقرا هذه الاية لم يكن
شيا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن ابي بكر وابن
مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهو بنو ادم بدليل قوله **انا خلقنا الانسان**
فالانسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طايفة من الدهر
مقدر لم يكن شيا مذكورا يعني انهم كانوا نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام
لم يذكروا وقيل انا خلقنا الانسان يعني ولد ادم **من نطفة** اي من مني الرجل ومني المراة
امشاج اي اخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ما الرجل وما المراة يختلطان في الرحم فيكون
منهما الولد فما الرجل ابيض غليظ وما المراة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له
فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ما المراة وقيل الامشاج
اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضا ونطفة المراة صفرا وكل لونين اختلطا فهو
امشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت اي خلطت
بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المراة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم نكسوه لحما ثم ننشاه خلقا اخر وقيل ان الله تعالى جعل

في النطفة

في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج **نبتليه** اي نختبره بالامر
والنهي **فجعلناه سميعا بصيرا** اي لنبتليه لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل
معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلا والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح
معه الابتلا وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر
الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها **انا هديناه السبيل** اي بينا
له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل ارشدناه الى الهدى
لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلايل وبعثة الرسل
وانزال الكتب **اما شاكرا واما كفورا** يعني اما موحدا طايعا واما مشركا بالله في علم الله
وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته
وقيل في معنى الاية اما مومنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الخبر اي بينا له
الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه
سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين
فوعد الشاكر واوعد الكافر فقال تعالى **انا اعتدنا للكافرين** اي هيانا في جهنم للكافرين
سلاسل اي يشدون بها **واغلالا** اي في ايديهم تغل بها الى اعناقهم **وسعيرا** يعني وقودا
لا توصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين
الموحدين فقال تعالى **ان الابرار** يعني المومنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم
بار وبر واصله التوسع فمعنى البر التوسع في الطاعة **يشربون من كاس** يعني فيه شراب **كان مزاجها
كافورا** قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت الكافور غير لذيذ وشربه مضر
فما وجه مزج شرابهم به قلت قال اهل المعاني اراد بالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده
لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب
ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما ياكلون
ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم
يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل **عينا** بدل من الكافور وقيل اعني عينا **يشرب
بها** اي يشرب منها **عباد الله** قال ابن عباس اولياء الله **يفجرونها تفجيرا** اي يقودونها حيث شاووا
من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى **يوفون بالنذر** لما وصف الله تعالى
ثواب الابرار في الاخرة وصف اعمالهم في الدنيا حتى يستوجبوا هذا الثواب والمعنى كانوا في الدنيا
يوفون بالنذر النذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات
من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر

عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك بان
يقول لله علي كذا وكذا من صدقة او صلاة او صوم او حج او عمرة يعلق ذلك بامر
يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضي وقدم غائبي كان لله علي كذا ولو
نذر في معصية لا يجب الوفاء به خ عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصي الله فلا يف
به وفي رواية فليطعه ولا يعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من نذر ان يعصي الله فلا يف وفي رواية فليف بنذره فليطعه ومن نذر ان
يعصي الله فلا يف به وفي رواية فلا يعصه وفي رواية فليطعه ولا يعصه وعنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين اخرجه
الترمذي وابو داود والنسائي ق عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه
الجماعة وفي الاية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان
شره مستطيرا اي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في اهل السموات
واهل الارض وفي اولياء الله واعدائه وقيل فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت
الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفي الارض فنسفت الجبال وغارت المياه
وكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك
اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه اي حب الطعام وقلته
وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يؤثرون غيرهم على انفسهم بالطعام
ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام لان به
قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اي لحب الله مسكينا يعني فقيرا وهو الذي لا مال له
ولا يقدر على الكسب ويتيما اي صغيرا وهو الذي لا اب له ينفق عليه واسيرا قيل هو المسجون
من اهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله بالاسارى ان يحسن
اليهم وان اسراهم يومئذ اهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسارى وان كانوا على غير
ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة
وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المراة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء
فانهن عندكم عوان يعني اسرى وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا في سبب
نزول الاية فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت
الافطار جاء مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له ولاهله رغيف واحد

فنزلت

فنزلت هذه فيه وروي عن ابن عباس انها نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وذلك انه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه
واصلحوا منه شيئا ياكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسال فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثاني
فلما فرغ اتى يتيم فسال فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقي فلما فرغ اتى اسير فسال
فاعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الاية وقيل الاية عامة في كل من اطعم
المسكين واليتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه انما نطعمكم لوجه الله اي
لاجل وجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قيل انهم لم يتكلموا ولكن علم الله ذلك
من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل
قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله
تعالى لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة او لطلب الحمد
من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا ورياء فنفوا
ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف
من ربنا يوما يعني ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم
عبوسا وصف اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد اهله والمعنى تعبس
فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة قمطريرا
يعني شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه
والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء فوقاهم الله شر
ذلك اليوم اي الذي يخافونه ولقاهم نضرة اي حسنا في وجوههم وسرورا اي في
قلوبهم وجزاهم بما صبروا اي على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر
والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير متكئين
فيها اي في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم
في الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشري قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه
في لغة طيء وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان
الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها اي قريبة منهم ظلال
اشجارها وذللت اي سخرت وقربت قطوفها اي ثمارها تذليلا اي ياكلون من ثمارها قياما
وقعودا ومضطجعين [illegible] كيف شاؤوا وعلى اي حال ارادوا ويطاف عليهم بآنية
من فضة قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه كانت قواريرا قوارير من فضة قال
اهل التفسير اراد بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى يرى ما في باطنها

من ظاهرها قال الكلبي ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من
فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في
الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج قدروها تقديرا اي قدروا الكوس على قدر ريهم وكفايتهم
لا يزيد ولا ينقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقونهم
ويسقون فيها اي في الجنة كاسا كان مزاجها زنجبيلا قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي
يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب منها المقربون صرفا ويمزج لاهل الجنة
جميعهم وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل
فيه ضرب من اللذع الا ترى ان العسل والمسك والمستخرج من بيوت النحل
وقال المسيب معناه فكان طعم الزنجبيل به اذا قد وشابه الخمر فلما كان الزنجبيل
مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل
وريح المسك وقال ابن عباس كلما ذكر الله تعالى في القران مما في الجنة وسماه ليس له مثل في
الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا عينا فيها تسمى سلسبيلا اي سلسة
منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الحدية سميت سلسبيلا لانها تسيل
عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى ساير الجنان وقيل سميت
بذلك لانها في غاية السلامة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى اي توصف لان اكثر العلما
على ان السلسبيل صفة لا اسم ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي في الخدمة وقيل مخلدون
اي مقرطقون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا يعني في بياض اللولو الرطب وحسنه
وصفايه واللولو اذا انتثر على البساط كان احسن منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور
لانتشارهم في الخدمة قوله عز وجل واذا رايت قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل
واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رايت ببصرك ونظرت به ثم يعني الى الجنة رايت نعيما
اي لا يوصف عظمه وملكا كبيرا قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام
يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول العزة من الملايكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو
استيذان الملايكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال عاليهم اي فوقهم ثياب
سندس خضر وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ فيه وكلاهما داخل في اسم الحرير
وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا من الاقذار والادران
لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا
في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يوتون بالطعام ثم من بعده يوتون بالشراب الطهور
فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك
الاذفر وتطهر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل شهوتهم الشراب الطهور وهو عين ماء على باب الجنة

من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد ان هذا كان لكم جزاء اي ثوابا
لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله
لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل اخبار من الله تعالى لعباده المومنين انه قد اعده لهم
في الاخرة وكان سعيكم مشكورا اي شكرتكم عليه واثبتكم افضل منه وهو الثواب وقيل
شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعة واعطاوه اياهم الكثير من الخيرات
قوله عز وجل انا نحن نزلنا عليك اي يا محمد القران تنزيلا قال ابن عباس متفرقا اية بعد
اية ولم ينزل جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القران متفرقا لحكمة بالغة تقتضي
تخصيص كل شي بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشرح صدره وان الذي انزل اليه وحي منه ليس بكهانة ولا شي لتزول تلك الوحشة التي
حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة فاصبر لحكم ربك في تاخير الاذن في القتال
وقيل هو عام في جميع التكاليف اي فاصبر لحكم ربك فيما حكم الله به سوا كان تكليفا خاصا
كالعبادة والطاعات او عاما متعلقا بالغير كتبليغ الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك
ولا تطع منهم اثما او كفورا يعني وكفورا او قيل اراد به ابا جهل وذلك انه لما فرضت
الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها فقال ان رايت محمدا يصلي
لاطان عنقه وقيل اراد بالاثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك
انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النسا والمال
فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك بغير مهر وقال
الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الاية
فان قلت هل من فرق بين الاثم والكفور قلت الاثم هو المقدم على المعاصي اي معصية
كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور اثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع
في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني
صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له وسبحه
ليلا طويلا يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهي التهجد في الليل وقيل المراد من الاية
هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار
بقلبه ولسانه قوله عز وجل ان هولا يعني كفار مكة يحبون العاجلة يعني الدار العاجلة
وهي الدنيا ويذرون وراءهم يعني امامهم يوما ثقيلا يعني شديدا وهو يوم القيمة
والمعنى انهم يتركونه فلا يومنون به ولا يعملون له نحن خلقناهم وشددنا اي قوينا
واحكمنا اسرهم اي خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق

والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغايط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضتا وإذا
شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا
منهم ان هذه اي السورة تذكرة اي تذكير وعظة فمن شاء اتخذ لنفسه في الدنيا الى ربه
سبيلا اي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدرية ويعتقدون
اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيته قال اهل
السنة ويرد عليهم قوله عز وجل في سياق الاية وهو قوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء
الله اي لستم تشاءون الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة بفعل العبد
فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى عطاؤه وشانه ان الله كان
عليما اي باحوال الخلق وما يكون منهم حكيما اي حيث خلقهم مع علمه بهم يدخل من يشاء
في رحمته اي في دينه وفي جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت
بالجنة لان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وعلاه وشانه وفضله واحسانه
لا بسبب الاستحقاق والظالمين يعني المشركين اعد لهم عذابا اليما والله اعلم

تفسير سورة والمرسلات مكية وهي خمسون اية ومائة وثمانون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والمرسلات عرفا
فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا
او نذرا اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها الاول المراد بها الرياح
ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اي كثيرا فالعاصفات
عصفا يعني الرياح الشديدة الهبوب والناشرات يعني اللينة وقيل الرياح التي ارسلها
نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح تنشر السحاب وتاتي بالمطر فالفارقات فرقا
يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح اذا ارسلت عاصفة
شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الاثار فيحصل بذلك للعباد في القلوب
فيلجؤا الى الله تعالى ويذكروه فصارت تلك الرياح كانها هي القت الذكر والمعرفة في
القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثاني ان المراد بذلك الملائكة الذين ارسلهم الله
تعالى ومعنى والمرسلات عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه
وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانهم
ونزولهم كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا
اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيمة فالفارقات
فرقا قال ابن عباس يعني الملائكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني
الملئكة تلقي الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون المراد من الذكر هو القران خاصة فعلى هذا

يكون الملقي جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الوجه الثالث
ان المراد بذلك آيات القران ومعنى المرسلات عرفا آيات القران المتتابعة في النزول
على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعني آيات القران
تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات
نشرا يعني آيات القران تنشر انوار الهداية والمعرفة في قلوب المؤمنين فالفارقات
فرقا يعني آيات القران تفرق بين الحق والباطل فالملقيات يعني آيات القران هي الذكر الحكيم
التي تلقي القران والنور في قلوب المؤمنين الوجه الرابع اذ ليس المراد من هذه الكلمات
الخمس شيئا واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما في القسم
قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح
فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم في القسم عذرا او نذرا
الاعذار والانذار وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب
القسم قوله تعالى انما توعدون لصادق اي من امر الساعة ومجيئها لواقع لكائن نازل
لا محالة وقيل انما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى
فاذا النجوم طمست اي محي نورها وقيل محقت واذا السماء فرجت اي شقت وقيل فتحت
واذا الجبال نسفت اي قلعت من اماكنها واذا الرسل اقتت وقرئ وقتت بالواو ومعنى
ذلك اي جمعت لميقات يوم معلوم ليشهدوا على الامم لاي يوم اجلت اي اخرت وضرب
الاجل لجمعهم كانه تعالى تعجب من ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل في ذلك اليوم فقال
تعالى ليوم الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما
وتهويلا فقال تعالى وما ادراك ما يوم الفصل اي وما اعلمك بيوم الفصل وهوله
وشدته ويل يومئذ للمكذبين النبوة والمعاد والبعث والحساب وقوله تعالى الم نهلك
الاولين يعني الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم ثم نتبعهم الاخرين
يعني السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب وهم كفار قريش نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى
الله عليه وسلم كذلك نفعل بالمجرمين انا افعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ويل يومئذ
للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين يعني النطفة فجعلناه في قرار مكين يعني الرحم الى قدر
معلوم عند الله تعالى لا يعلم ذلك غيره فقدرنا قرئ بالتشديد من التقدير اي قدرنا ذلك تقديرا
فنعم القادرون اي المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة اي قدرنا على خلقه وتصويره
كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن صورة وهيئة ويل يومئذ للمكذبين

اي المنكرين للبعث لان القادر على الابتدا قادر على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا يعني وعا واصله الضم والجمع احيا وامواتا يعني تكفتهم على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطنها في قبورهم ولذلك تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها وجعلنا فيها اي في الارض رواسي شامخات يعني جبالا عاليات واسقيناكم ماء فراتا يعني عذبا ويل يومئذ للمكذبين يعني ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي تقال يوم القيامة للمكذبين في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب يعني دخان جهنم اذا اسطع وارتفع تشعب وافترق ثلاث فرق وكذلك شان الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اوليا الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فتتشعب ثلاث شعب على روسهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم لا ظليل اي انه لا يظل من حر ولا يغني من اللهب اي يرد عنهم لهيب جهنم انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب انها يعني جهنم ترمي بشرر جمع شرارة وهي ما تطاير من النار كالقصر اي كالبنا العظيم ونحوه وقيل هو اصول الشجر والنخل العظيم واحدتها قصرة وسيل ابن عباس عن قوله ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتا وكنا نسميها القصر كانه يعني الشرر جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الجبال صفر هي جمع اصفر يعني انه لون تلك الشرار والشد بعضهم ... عنهم باعلى صوتها او رمتهموا بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جا في الحديث شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمي سواد الغراب صفرا لانه يشرب سوادها بشي من الصفرة وقيل هي قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرار يرتفع كانه شي مجموع غليظ اصفر ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون يعني بحجة تنفعهم وقيل هذا في بعض مواطن القيمة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يوذن واختير ذلك لان روس الاي بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق الفواصل والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد اي عذر لمن اعرض عن منعمه فان قلت قد توهم انهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار في الدنيا ولم يبق لهم عذر في الاخرة ولكن يخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يوذن لوا

في

في ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين يعني انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل يعني بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات جمعناكم والاولين يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيدون اي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع ولهذا بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل ان المتقين اي الذين اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون اي في ظلهم عيون نما وفواكه مما يشتهون اي يتلذذون بها كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة ويكون من جهة الملايكة على سبيل الاكرام هنيئا اي خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الطاعات انا كذلك نجزي المحسنين فيه المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل كلوا وتمتعوا قليلا اي يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا الى منتهى اجالكم وهذا وان كان في ظاهر اللفظ امرا الا انه في المعنى تهديد بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اي مشركون بالله مستحقون العقاب لا جرم اتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون واذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يومنون اي بعد نزول القران اذا لم يومنوا به فباي شي يومنون والله اعلم

تفسير سورة النبا

وتسمى عم والتسا المكية وهي اربعون اية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عم اصله عن ما يتساءلون اي عن اي شي يتساءلون يعني المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك اي شي زيد اذا عظمت شانه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القران جعلوا يتساءلون بينهم فيقول بعضهم لبعض ما ذا جا به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عن ما ذا تساءلوا فقال تعالى عن النبا العظيم اي الخبر العظيم الشان قال الاكثرون هو القران وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وما جابه الذي هم فيه مختلفون فمن فسر النبا العظيم بالقران قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر او كهانة او نحو ذلك مما قالوه في القران ومن فسر النبا العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به ومنهم المومنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القران كلا هي ردع وزجر وقيل بل نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا سيعلمون اي عاقبة تكذيبهم حتى ينكشف الامر يعني في القيامة ثم كلا سيعلمون وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني المومنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشيا من عجايب صنايعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلمون انه قادر على ايجاد العالم وفنايه بعد ايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال سبحانه وتعالى الم نجعل الارض مهادا اي فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام والجبال اوتادا يعني للارض حتى لا تميد وخلقناكم ازواجا يعني اصنافا ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع الحركة والتصرف في الاعمال وجعلنا الليل لباسا اي غطا وغشا يستر كل شي بظلمته الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك وجعلنا النهار معاشا اي سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس تبتغون من فضل الله وما قسم لكم من رزقه وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعني سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها انصداع ولا فطور ولا تمر على مر الزمان الى ان ياتي امر الله سبحانه وتعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة وانزلنا من المعصرات يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل الرياح ذوات الاعاصير وعلى المعنى تكون من بمعنى البا اي وانزلنا بالمعصرات وذلك ان الريح تستدر المطر وقيل هي السحاب وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس وقيل المعصرات السحابة التي تتحلب بالمطر ولا تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك ان المطر ينزل من السما الى السحاب ماء ثجاجا اي صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دما الهدي لنخرج به اي بذلك الما حبا اي مما ياكل الناس كالحنطة ونحوها ونباتا اي ما ينبت في الارض من الحشيش مما ياكله الانعام وجنات الفافا اي ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بابتدا الخلق ثم اخبر عنه بقوله ان يوم الفصل اي الحساب

كان ميقاتا اي لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا تجتمع فيه الخلايق ليقضي بينهم يوم ينفخ في الصور يعني النفخة الاخرة فتاتون افواجا يعني زمرا زمرا من كل مكان للحساب وفتحت السما فكانت ابوابا يعني فكانت ذوات ابواب لنزول الملايكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابوابا وطرقا وسيرت الجبال اي عن وجه الارض فكانت سرابا اي هبا منبثا كالسراب في عين الناظر ان جهنم كانت مرصادا اي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار روي عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسال العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فاذا جا بها تامة جاز الى الثاني فيسال عن الصلاة فاذا جا بها تامة جاز الى الثالث فيسال عن الزكوة فاذا جا بها تامة جاز الى الرابع فيسال عن الصوم فاذا جا به تاما جاز الى الخامس فيسال عن الحج فاذا جا به تاما جاز الى السادس فيسال عن العمرة فان جا بها تامة جاز الى السابع فيسال عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اي معدة لهم وقيل هو من رصدت الشي ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اي تنتظرهم للطاغين اي للكافرين مابا اي مرجعا يرجعون اليها لابثين فيها اي في جهنم احقابا جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن علي بن ابي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة الاف سنة فان قلت وان طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها احدها ما روي عن الحسن قال ان الله سبحانه وتعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال تعالى لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل اخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروي عن عبد الله بن مسعود لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناهي والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث ان الاية منسوخة بقوله تعالى فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد ارتفع والخلود قد حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اي روحا وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم ولا شرابا اي يغنيهم عن عطش الا حميما وغساقا اي لكن يشربوا حميما قيل هو الصديد المذاب وقيل هو الما المذاب الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار جزاء وفاقا اي جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من

النار انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يومنون
بالبعث لانهم يحاسبون وكذبوا بآياتنا كذابا اي التي جاءت بها الانبيا وقيل كذبوا بدلايل
التوحيد والنبوة والبعث والحساب كذابا اي تكذيبا قال الفرا هي لغة يمانية يقولون
في مصدر التفعيل فعال وقد سألني اعرابي منهم يستفتيني الحلق احب اليك ام القصار
يريد التقصير وكل شي من الاعمال احصيناه اي اثبتناه كتابا في كتاب وهو اللوح
المحفوظ وقيل معناه وكل شي علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم
بجميع ما فعلوه من خير وشر وانا اجازيهم على قدر اعمالهم جزاء وفاقا فذوقوا اي يقال لهم
فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قيل هذه الاية اشد اية في القران على اهل النار كلما استغاثوا
من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه قوله عز وجل ان للمتقين مفازا اي فوزا ونجاة من
العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا
لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال
حدايق جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كلما يشتهون واعنابا يدل على تعظيم
ذلك العنب وكواعب جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن اترابا
يعني مستويات في السن وكاسا دهاقا قال ابن عباس مملوة مترعة وقيل متتابعة وقيل
صافية لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل
في حالة شربهم لغوا اي باطلا من الكلام ولا كذابا اي تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم
بعضا ولا ينطقون جزاء من ربك عطاء حسابا اي جزاهم جزاء واعطاهم عطاء حسنا
اي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا اي لا يقدر الخلق ان يكلموا الرب الا باذنه
وقيل لا يملكون منه خطابا اي لا يملكون شفاعة الا باذنه في ذلك اليوم يوم يقوم
الروح والملايكة صفا قيل هو جبرايل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك من
الملايكة ما خلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت
الملايكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح
ملك اعظم من الملايكة عظيما اعظم ممن في السموات والارض والجبال وهو في السما
الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجي
يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني ادم وليسوا بناس
يقومون صفا والملايكة هولا جند وهولا جند وقال ابن عباس الروح على صورة
بني ادم وما ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنوا ادم يقومون
صفا والملايكة صفا يقومون سماطان سماط من الروح وسماط من الملايكة لا يتكلمون

يعني الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله جل جلاله وتعالى عطاوه وشانه من هول ذلك
اليوم الا من اذن له الرحمن في الكلام وقال صوابا اي حقا في الدنيا وعمل به وقيل لا اله الا الله
وقيل الاستثنا يرجع الى الروح والملايكة ومعنى الاية لا يشفعون الا في شخص اذن الرحمن
له في الشفاعة في ذلك الشخص لانه كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله ذلك اليوم
الحق اي الكاين الواقع لا محالة وهو يوم القيامة فمن شا اتخذ الى ربه مابا اي سبيلا يرجع اليه
وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه انا انذرناكم اي خوفناكم في الدنيا عذابا قريبا اي في الاخرة
وكل ما هو ات قريب يوم ينظر المرء ما قدمت يداه من خير او شر مبينا في صحيفته ينظر
اليه يوم القيامة ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمر اذا كان يوم القيمة
مدت الارض مد الاديم وحشرت الدواب والبهايم والوحوش ثم يجعل القصاص
بين البهايم حتى يقتص للشاة الجما من الشاة القرنا اذا نطحتها فاذا فرغ من القصاص
قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل
للبهايم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبني ادم وكنتم مطيعين فارجعوا الى ما كنتم
عليه كونوا ترابا فاذا راى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت ترابا وفي الدنيا في صورة
بعض هذه البهايم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار وقيل لساير الامم سوى الناس ومومني الجن عودوا ترابا فيعودون
ترابا فحينيذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا راى ما انعم الله به
على المومن من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في طاعة الله في الدنيا
ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب ادم بكونه خلق من
تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو هريرة يقول التراب
لا ولا كرامة لك يا من جعلك مثلي والله سبحانه وتعالى اعلم تفسير سورة والنازعات
مكية وهي ست وقيل خمس واربعون اية وماية وسبعة وتسعون كلمة وسبعماية وثلاثة
وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا اختلفت عبارة المفسرين في هذه الكلمات
هل هي صفات لشي واحد ام صفات لاشيا مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد
بقوله فالمدبرات امرا وصف لشي واحد وهم الملايكة الوجه الاول في قوله تعالى والنازعات
غرقا يعني الملايكة تنزع ارواح الكفار من اقاصي اجسادهم كما يغرق النازع في القوس
فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اي والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك
الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل
فتخرج نفس الكافر كالغريق في الما والناشطات نشطا الملايكة تنشط نفس المومن

اي تجلبها جلبا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس
الكافر والنشط بنفس المومن لانها فرق فالنزع جذب بشدة والنشط برفق والسابحات
سبحا يعني الملايكة يقبضون ارواح المومنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح
ثم يستخرجونها كالسابح في الما يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملايكة ينزلون من السما
مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملايكة
سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملايكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة
الوجه الثاني في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد وتغرق في
الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المومنين تنشط للخروج
عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل ان يموت وقال علي
ابن ابي طالب هي ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب
والغم والسابحات سبحا يعني ارواح المومنين حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا
يعني استباقها الى الحضرة المقدسة الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا
والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب والسابحات سبحا
يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها
بعضا في السير الوجه الرابع في قوله تعالى والنازعات يعني خيل الغزاة تنزع في اعنتها
وتغرق في غرقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات
في جريها وهي السابقات سبقا فاستباقها الى الغاية الوجه الخامس في قوله تعالى والنازعات
يعني الغزاة حين تنزع في قسيها في الرمي فتبلغ غاية الحد وهو قوله غرقا والناشطات
نشطا اي السهام في الرمي والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعني الخيل والابل حين تخرج بها
اصحابها الى الغزو والوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيا واحدا فقوله والنازعات
يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حين يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس
تنشط في البدن يعني تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني
سابقة نفوس المومنين الى الخيرات والطاعة اما قوله فالمدبرات امرا على انهم الملايكة
قال ابن عباس هم الملايكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط
يدبر الامر في الدنيا اربعة جبرايل واسرافيل وميكايل وملك الموت واسمه عزرايل
فاما جبرايل فوكل بالرياح والجنود واما ميكايل فوكل بالقطر والنبات واما ملك
الموت فوكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم من الله تعالى وهذه اقسام
الله بهذه الاشيا لشرفها ولله ان يقسم بما يشا من خلقه او يكون التقدير ورب هذه
الاشيا وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى

وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى تتزلزل
ويتحرك لها كل شي ويموت منها جميع الخلق تتبعها الرادفة يعني النفخة الثانية ردفت
الاولى وبينهما اربعون سنة قال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شي والاخرى
تحيي كل شي باذن الله عز وجل وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة
روى البغوي بسنده للثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
فقد جا الموت بما فيه قوله عز وجل قلوب يومئذ واجفة اي خايفة قلقة لانها مضطربة
وقيل واجلة وقيل زايلة عن اماكنها ابصارها خاشعة اي ابصار اهلها ذليلة
والمراد بها الكفار به ليل قوله تعالى يقولون يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم
مبعوثون من بعد الموت اينا لمردودون في الحافرة يعني نرد الى اول الحال وابتدا
الامر فنصير احيا بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان الى حافرته اي رجع
من حيث جا والحافرة عندهم لابتدا الشي اول الشي وقيل يقال رجع فلان في حافرته
اي في طريقه الذي جا فيها بحفرها بمشيه فتحصل باثر قدميه حفر فهي محفورة في الحقيقة
وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى
اينا لمردودون في الارض ونبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار ايذا كنا
عظاما نخرة اي بالية وقري ناخرة وهما بمعنى واحد وقيل الناخرة المجوفة التي تمر فيها
الريح فتنخر اي تصوت قالوا يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيامة تلك اذا كرة
خاسرة اي راجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت فانما هي
يعني النفخة الاخيرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة يجمعونها جميعا فاذا هم بالساهرة
يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطي
عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها
وقيل هي ارض الشام وقيل ارض القيامة وقيل هي ارض جهنم قوله عز وجل هل اتاك حديث
موسى يعني قد اتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه
قومه فذكر له قصة موسى عليه السلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به اذ ناداه
ربه بالواد المقدس اي المطهر طوى هو اسم واد بالشام عند الطور اذهب الى فرعون انه
طغى اي علا وتكبر وكفر بالله فقل هل لك الى ان تزكى اي تطهر من الشرك والكفر وقيل معناه
تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله واهديك الى ربك اي ادعوك
الى عبادة ربك وتوحيده فتخشى يعني عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كان دعوة
موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه

فاراه اي موسى لفرعون الاية الكبرى يعني اليد البيضا والعصا فكذب يعني فرعون بانها
من الله وعصى اي تمرد واظهر التجبر ثم ادبر اي اعرض عن الايمان يسعى بعمل الفساد في الارض
فحشر اي جمع قومه وجنوده فنادى اي لما اجتمعوا فقال يعني فرعون لقومه انا ربكم
الاعلى اي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها وربهم فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى اي عاقبة فجعله عبرة لغيره بان اغرقه في الدنيا ويدخله النار
في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمة فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري
وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعين سنة ان في ذلك اي في الذي فعل بفرعون حين
كذب وعصى لعبرة اي عظة لمن يخشى اي يخاف الله عز وجل اانتم اشد خلقا ام السما
بناها معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السما عندكم في تقديركم فان كلا الامرين
بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف
الى خلق السما مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين ان خلق السما اعظم واذا
كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم
بانه خلق السموات والارض لا تنكرون ذلك ثم انه سبحانه وتعالى ذكر كيفية خلق السما
والارض فقال تعالى رفع سمكها يعني علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد فسواها اي اتقن
بناها فليس فيها شقوق ولا .... واغطش ليلها اي اظلم ليلها
والغطش الظلمة واخرج اي واظهر وابرز ضحاها اي نهارها وانما عبر بالنهار في النور
والضو وانما اضاف الليل والنهار الى السما لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها
وهي في السما بدليل قوله بعد ذلك وقد قال في حم السجدة ثم استوى الى السما ثم وصف
كيفية خلق الارض فقال تعالى والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها قال امية
ابن ابي الصلت ٭ دحيت البلاد فسويتها ٭ وانت على طيها قادر ٭ فان قلت ظاهر الاية
يقتضي ان الارض خلقت بعد السما فكيف الجمع بين الايتين وما معناهما قلت
خلق الله الارض اولا ثم سمك السما ثانيا ثم دحى الارض ومهدها وبسطها ثالثا
فحصل بهذا التفسير الجمع بين الايتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله
الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السما ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات
ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد
ذلك زنيم اي مع ذلك اخرج منها ماءها ومرعاها اي فجر من الارض عيونها ومرعاها
اي رعيها وهو ما ياكله الناس والانعام واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوز والجبال
ارساها اي اثبتها متاعا لكم ولانعامكم اي الذي اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم
قوله عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة

القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شي فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية
التي لا تستطاع يوم يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل في الدنيا من خير او شر وبرزت
الجحيم لمن يرى يعني انه يكشف عنها الغطا فينظر اليها الخلق فاما من طغى اي كفر واثر
الحياة الدنيا اي على الاخرة فان الجحيم هي الماوى اي لمن هذه صفته واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اي المحارم التي تشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية
فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله فيمتنع فان الجنة هي الماوى اي لمن هذه صفته
قوله عز وجل يسالونك اي يا محمد عن الساعة ايان مرساها اي متى ظهورها وقيامها
فيم انت من ذكراها اي لست في شي من علمها وذكراها حتى تسالها وتذكر وقتها الى ربك
منتهاها اي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسوالهم
اي فيم هذا السوال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اي من علاماتها لانك اخر الرسل
وخاتم الانبيا فكفاهم ذلك على عدم وجوب الاستقرار لها انما انت منذر من يخشاها
اي انما ينفع انذارك من يخافها كانهم يعني الكفار يوم يرونها اي يعاينون يوم القيامة لم يلبثوا
اي في الدنيا وقيل في قبورهم الا عشية او ضحاها فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى
قوله تعالى او ضحاها قلت قيل ان الها والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى
وقيل اضافه الى يوم كانه قال الا عشية او ضحى يوم والله اعلم تفسير
سورة الاعمى مكية وهي احدى واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسماية وثلاثة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عبس وتولى اي كلح وقطب
وجهه وتولى اي اعرض بوجهه ان جاءه الاعمى يعني ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله
ابن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زايدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشي
الفهري من بني عامر بن لوي واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خال خديجة
بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة
وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وابي بن خلف واخاه امية بن خلف وهو يدعوهم
الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقريني وعلمني مما علمك الله وجعل
يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هولا الصناديد انما اتبعه الصبيان
والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم
فانزل الله عز وجل هذه الايات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا راه ويقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويقول له
هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان من المهاجرين

الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال رايته يوم القادسية وعليه درع ومعه
راية سودا عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت انزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم
الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله
عظما قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على
الاخرين ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا انزل اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وما يدريك اي اي شي يجعلك داريا لعله يزكى اي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح
وما يتعلمه منك او يذكر اي يتعظ فتنفعه الذكرى اي الموعظة اما من استغنى قال
ابن عباس عن الله وعن الايمان بما له من المال فانت له تصدى اي تتعرض له وتقبل عليه
وتصغي الى كلامه وما عليك الا يزكى اي لا يومن ولا يهتدي وانما عليك البلاغ واما من
جاءك يسعى يعني يمشي يعني ابن ام مكتوم وهو يخشى الله عز وجل فانت عنه تلهى اي
تتشاغل وتعرض عنه كلا اي لا تفعل بعدها مثلها انها يعني الموعظة وقيل ايات القران
تذكرة اي موعظة للخلق فمن شا من عباد الله ذكره اي اتعظ به يعني القران ثم ذكر
سبحانه وتعالى جلالة القران ومحله عنده فقال عز وجل في صحف مكرمة يعني القران
في اللوح المحفوظ مرفوعة اي رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السما مطهرة
يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملايكة بايدي سفرة قال ابن عباس يعني كتبة
وهم الملايكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل
من الملايكة الى الانبيا واحدهم سفير ثم اثنى عليهم بقوله تعالى كرام اي هم كرام على الله
بررة اي مطيعين له جمع بار وقوله عز وجل قتل الانسان اي لعن الكافر وطرد ما اكفره اي ما
اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اي اعجبوا
من كفره وقيل معناه اي شي حمله على الكفر نزلت هذه الاية في عتبة بن ابي لهب وقيل في
امية بن خلف وقيل في الذين قتلوا يوم بدر وقيل الاية عامة في كل كافر ثم بين من امره
ما كان ينبغي منه ان يعلم ان الله خالقه فقال جل وعلا من اي شي خلقه لفظه استفهام
ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى من نطفة خلقه فقدره يعني خلقه اطوارا
نطفة ثم علقة ثم مضغة الى اخر خلقه وقيل قدره يعني خلق راسه وعينيه ويديه
ورجليه على قدر ما اراده ثم السبيل يسره اي سهل له طريق خروجه من بطن امه وقيل
سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل ليس احد الا خلقه وقدر عليه ثم اماته
فاقبره اي جعل له قبرا يواري فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش
والطيور واقبره معناه ستره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبني ادم
على ساير الحيوانات ثم قال تبارك وتعالى ثم اذا شا انشره اي لان وقت البعث غير معلوم لاحد

فهو

فهو الى مشية الله تعالى متى شا ان يحيي الخلق احياهم كلا هي ردع وزجر للانسان
عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث
والحساب لما يقض ما امره اي لم يفعل ما امره به ربه ولم يود ما فرض عليه ولما ذكر خلق
ابن ادم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال سبحانه وتعالى فلينظر الانسان الى
طعامه اي كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه
ومخرجه ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى انا صببنا الما صبا يعني المطر ثم شققنا
الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها اي بذلك الما حبا يعني الحبوب التي تتغذى
بها الانسان وعنبا يعني انه جعله غذا من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اشبه الحب
وقضبا يعني القت وهو الرطب سمي بذلك لانه يقتضب اي يقطع في كل الايام وقيل
القضب هو العلف كله الذي يعلف به الدواب وزيتونا وهو ما عصر منه الزيت ونخلا
وحدايق جمع حديقة غلبا يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه
في بعض وقال ابن عباس طوالا وفاكهة يعني جميع الوان الفاكهة وابا يعني الكلا المرعى الذي
لم يزرعه الناس مما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما ينبت في الارض مما ياكله الناس
والانعام روي ابراهيم التيمي ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه سيل عن قوله تعالى وفاكهة
وابا فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لم اعلم خ عن انس
رضي الله تعالى عنه ان عمر قرا وفاكهة وابا فقال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا
لفظ البخاري قال ثم اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب متاعا لكم يعني الفواكه والحب
والقضب منفعة لكم ولانعامكم ثم ذكر اهوال القيامة فقال تبارك وتعالى فاذا جات
الصاخة يعني صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اي تبالغ في اسماعهم
حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اي انه لا يلتفت الى
الى واحد من هولا لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك الاحتراز عن
المطالبة بالحقوق فالاخ يقول لم تواسني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا
والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من
يفر هابيل من اخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم عليه السلام من ابيه
ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المرء من موالاة هولا ونصرتهم والمعنى ان هولاء
الذين كانوا يتقربون بهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون فانه يفر منهم في الدار الاخرة
وفايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من
الصاحبة والولد لان تعلقه بهم اشد من تعلقه بالابوين لكل امري منهم يوميذ شان
يغنيه اي يشغله شان نفسه عن شان غيره عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض
قال لا يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح ولما ذكر الله سبحانه وتعالى حال القيامة واهوالها بين حال المكلفين وانهم على
قسمين منهم السعدا والاشقيا فوصف السعدا بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة
مضيئة من اسفر الصبح اذا اضا وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضوء وقيل
من الغبار في سبيل الله ضاحكة اي عند الفراغ من الحساب مستبشرة اي بالسرور وفرحته
بما نالت من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقيا فقال تعالى ووجوه يومئذ عليها
غبرة اي سواد وكآبة للهم الذي ينزل بهم ترهقها قترة اي يعلوها ويغشاها ظلمة وكسوف
وقال ابن عباس يغشاها ذلة والفرق بين القترة والغبرة ان الغبرة ما كان اسفل في الارض والقترة
ما ارتفع من الغبار فلحق بالسما اولئك الذين صنع بهم هذا هم الكفرة الفجرة والله سبحانه
وتعالى اعلم

تفسير سورة التكوير

مكية وهي تسع وعشرون اية
ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه راي العين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت
واذا السما انشقت اخرجه الترمذي

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن عباس اظلمت وقيل عورت وقيل اضمحلت وقيل لفت
كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشي الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض
ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوها قال ابن عباس رضي الله عنه يكور الله الشمس والقمر
والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها دبورا فتضرمها فتصير نارا خ عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان
الشمس والقمر جمادان فالقاوهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم واذا النجوم انكدرت
اي تناثرت من السما وسقطت على الارض قال الكلبي وعطا تمطر السما يومئذ نجوما فلا يبقى نجم
الا وقع واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض فسيرت فصارت هبا منثورا واذا العشار
عطلت يعني النوق الحوامل التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشرا ثم لا يزال
ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي انفس النوق عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت
وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها
لما جاءهم من اهوال يوم القيامة واذا الوحوش يعني دواب الارض حشرت اي جمعت يوم القيامة
ليقتص بعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شي موته غير الجن والانس فانهما
يوقفان يوم القيامة واذا البحار سجرت قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل
سجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت كلها بحرا واحدا وقيل صارت ماوها من حميم الأنار

لاهل النار وقيل سجرت اي يبست وذهب ماوها فلم يبق فيها قطرة قال ابي
ابن كعب ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء
الشمس بينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم
فتحركت واضطربت وفزعت الجن والانس واختلطت الدواب والطير والوحش وماج
بعضهم في بعض فذلك قوله سبحانه وتعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار
سجرت فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هي
نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض
السابعة السفلى والى السما السابعة العليا اذ جاءتهم ريح فاماتتهم
وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وهي ما ذكره
بعد هذه وهو قوله تعالى واذا النفوس زوجت روى النعمان بن بشير عن عمر
ابن الخطاب انه سئل عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل
الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السو مع الرجل السو في النار وقيل كما مر
نشيعة اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحبه
عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها وقيل زوجت نفوس المومنين بالحور العين
وعذبت نفوس الكافرين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى اجسادها واذا
الموءودة سئلت يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها
من التراب فيودها اي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن
البنات حية وروي عن ابن عباس قال كانت المراة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان
ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على راس الحفيرة فاذا ولدت جارية رمت بها الحفيرة
واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد
بقاها حية البسها جبة صوف او شعر وتركها ترعى الابل والغنم في البادية فاذا اراد
قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى
احمائها وقد حفر بيرا في الصحرا فيبلغ بها البير فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها
من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوي الارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار اخرجه ابو داود وكان صعصعة بن
ناجية ممن اتبع الموءودة ولم يئدها فافتخر به الفرزدق في شعره باي ذنب قتلت معناه
قال للموءودة يقال لها باي ذنب قتلت ومعنى سوالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب

وإذا الصحف نشرت يعني صحايف الاعمال تنشر للحساب واذا السما كشطت
اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع الستر وقيل كشفت وازيلت عمن فيها
واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعدا الله واذا الجنة ازلفت اي قربت لاوليا الله
علمت نفس ما احضرت يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير او شر
وهذا جواب لقوله سبحانه وتعالي اذا الشمس كورت الي هنا قوله عز وجل
فلا اقسم لا زايدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك في قوله سبحانه وتعالي لا اقسم بيوم
القيامة بالخنس الجوار الكنس يعني النجوم تبدا بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور
الشمس ونحو هذا المعنى وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قيل هي النجوم الخمسة
زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها اي ترجع وراها في الفلك
وتكنس اي تستتر وقت اختفايها وقيل انها تخنس اي تتاخر عن مطالعها في كل عام
تتاخر بتاخره عن تعجيل المطلع تخنس عنه والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل
هي الظبا وهي رواية عن ابن عباس واصل الخنوس الرجوع الي ورا والكنوس هو ان تاوي الي
كناسها وهو الموضع الذي ياوي اليه الوحش والليل اذا عسعس (والصبح اذا تنفس) اي اقبل وبدا اوله وقيل
اسفر وفي تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح روح ونسيم فجعل ذلك نفسا على المجاز
الثاني انه شبه الليل بالكوكب المحزون فاذا جاء له التنفس وجد راحة فكانه تخلص
من الموت فعبر عنه بالنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم
عليه فقال سبحانه وتعالي انه يعني القران لقول رسول كريم يعني جبرايل عليه السلام
والمعنى ان جبرايل نزل به عن الله ذي قوة وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من
الما الاسود وحملها على جناحه فرفعها الي السما ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسي
عليه السلام علي بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه الي اقصي جبل بالهند
وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السما الي الارض ثم يصعد في اسرع
من الطرف عند ذي العرش مكين اي في المنزلة والجاه مطاع ثم اي في السموات تطيعه
الملايكة ومن طاعة الملايكة له انهم فتحوا ابواب السما ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وفتح خزنة جهنم ابوابها امين يعني علي وحي الله تعالي الي انبيايه وما صاحبكم
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون وهذا ايضا من جواب القسم
اقسم الله سبحانه وتعالي ان القران نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون
كما يقوله اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وانما يقوله ليس هو الامر عنده نفسه فنفي
الله سبحانه وتعالي عنه الجنون ولقد راه يعني راي النبي صلى الله عليه وسلم يعني جبريل عليه

السلام في صورته التي خلق فيها بالافق المبين يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث
تطلع الشمس وروي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السما قال لن تقوى
على ذلك قال بلي قال فاين تشا ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني ذلك قال بحرا ان يسعني
فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت فاذا هو بجبرايل قد اقبل من جبال عرفات
بخشخشة وكلكلة قد ملا ما بين المشرق والمغرب وراسه في السما ورجلاه في الارض
فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبرايل عن صورته وضمه الي صدره
وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض
السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضال احيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاوه
وشانه حتى يصير كالوصع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وما هو يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب اي الوحي وخبر السما وما اطلع عليه مما كان غايبا
عن علمه من القصص والانبا بظنين قرى بالظا ومعناه بمتهم والمظنة التهمة وقرى
بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه ياتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم
به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراة الظا
اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو اراد الله سبحانه وتعالي
البخل لقال وما هو بالغيب وما هو يعني القران بقول شيطان رجيم يعني ان القران
ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون انه شيطان يلقيه على لسانه
فنفى الله ذلك عنه فاين تذهبون اي فاين تعدلون عن القران وفيه الشفا والهدى والبيان
وقيل معناه اي طريق تكون ابين من هذه الطريقة التي بينت لكم ان هو يعني ما في القران
الا ذكر للعالمين اي موعظة للخلق اجمعين لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم
عليه وينتفع به ثم بين ان مشية العبد موقوفة بمشيته فقال تبارك وتعالى وما
تشاون الا ان يشا الله رب العالمين اعلمهم الله سبحانه وتعالي ان المشية في التوفيق
للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشية الله تعالي وتوفيقه وفيه اعلام
ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالي ولا شرا الا بخذلانه ومشيته والله سبحانه
وتعالي اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة اذا السما انفطرت

مكية وهي سبع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثماية وتسعة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السما انفطرت اي انشقت
واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض
واختلط العذب بالملح فصار بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت واذا القبور

بعثرت اي بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتي علمت نفس ما قدمت واخرت
يعني علمت في ذلك الوقت ما قدمت من عمل صالح او سيئ واخرت بعدها من حسنة
او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من الزكوات وهو احوال يوم القيامة
قوله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك بالباطل
حتي صنعت ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعني ماذا امنك من عقابه
قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي بن الاسد واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة
ابن خلف وكان كافرا ضرب النبي صلي الله عليه وسلم فلم يعاقبه وانزل الله هذه الاية
وقيل الاية نزلت عامة في كل كافر وعاصي يقول لهما الذي غرك قيل غره حمقه وجهله
وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول
مرة بربك الكريم اي المتجاوز عنك فهو لكرمه لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة
لرجا التوبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول
يا ابن ادم ماذا اعملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض
لو اقامك الله يوم القيامة فقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول
غرني ستورك المرخاة وقال يحيي بن معاذ لو اقامني بين يديه وقال ما غرك بي قلت غرني
بك برك بي سالفا وانفا وقال ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني
كرم الكريم وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون ساير اسمايه وصفاته
كانه لقنه حجته في الاجابة حتي يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك اي اوجدك من العدم
الي الوجود فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضا تسمع وتبصر فعدلك اي عدل خلقك
في مناسبة الاعضا فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قايما معتدلا
حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في اي صورة ما شا ركبك اي في اي شبه من اب
وام او خال او عم وجا في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضر كل عرق بينه وبين
ادم ثم قرا في اي صورة ما شا ركبك وقيل معناه ان شا ركبك في صورة انسان وان شا
في صورة دابة او حيوان وقيل في اي صورة ما شا ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول
والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذا دلالة علي قدرة الصانع المختار
القادر وذلك انه لما اختلفت الهيات والصفات دل ذلك علي كمال القدرة واتساع
الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالي قوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين اي بيوم الحساب
والجزا وان عليكم لحافظين يعني رقبا من الملايكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما اي علي الله
كاتبين اي يكتبون اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون من خير او شر قوله تعالي ان الابرار
يعني الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه

لفي نعيم يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم
المدني ليت شعري ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك علي كتاب الله فانك تعلم ما لك
عند الله فقال اين اجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين يصلونها يوم الدين يعني يوم القيامة
لانه يوم الجزا وما هم عنها بغايبين اي عن النار ثم عظم شان ذلك اليوم فقال تعالي
وما ادراك ما يوم الدين قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو علي وجه الزجر له وقيل هو
خطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والمعني اي شي علمك به لولم نعرفك احواله ثم ما ادراك
ما يوم الدين التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك نفس لنفس شيا
اي لا تملك نفس لنفس كافرة شيا من المنفعة والامر يوميذ لله يعني انه لا يملك الله تعالي
في ذلك اليوم احدا شيا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم

تفسير سورة المطففين

وهي مدنية في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان ايات مكية وهي من قوله تعالي ان الذين
اجرموا الي اخرها وقيل فيها اية مكية وهي قوله اذا تتلي عليه اياتنا قال اساطير
الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة في الهجرة وهي ستة وثلاثون اية ومايه وتسع
وستون كلمة وسبعماية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
ويل اي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد
في جهنم للمطففين يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق
في الكيل والوزن الا الشي اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلي الله عليه
وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالي ويل للمطففين فاحسنوا الكيل
وقيل لما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه
صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الاية وجعل الويل للمطففين
ثم بين من هم فقال تعالي الذين اذا اكتالوا علي الناس يستوفون يعني انهم اذا اكتالوا من
الناس ومن وعلي يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اي اشتروا شيا استوفوا
عليهم لانفسهم الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم يعني واذا كالوا لهم او وزنوا لهم
يعني للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك يخسرون اي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد
يلحق من ياخذ لنفسه زايدا ويدفع الي غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن
اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الي اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه
كان مصرا علي كبيرة من الكباير وذلك لان عامة الخلق محتاجون الي المعاملات وهي مبنية
علي امر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان عمر
يمر بالبايع فيقول اتق الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتي يلجمهم

العرق وقال قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيمة الا يظن اي الا يعلم ويستيقن اوليك الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيمة يوم يقوم الناس يعني من قبورهم لرب العالمين اي لامره ولجزايه وحسابه ق عن نافع ان ابن عمر تلا الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروي مرفوعا م عن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي او اثنين قال سليم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض او الميل الذي يكحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه قوله تعالى كلا قيل انه ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار اي الذي كتب فيه اعمالهم لفي سجين قال ابن عمر هي الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروي البغوي باسناد الثعلبي عن البرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليين في السما السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جا ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السما فتابى السما ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك لحساب يوم القيامة وقيل هي صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضرة خضرة السما منها تقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هي اخر سلطان ابليس وجا في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين لفي خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين كتاب مرقوم ليس في هذا تفسير للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اي مختوم وهي بلغة حمير ويل يومئذ للمكذبين وقيل انه متصل

بقوله

بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين والمعنى ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم على الشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم فيه بالشقاوة الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم القيامة لانه يوم الجزا وما يكذب به اي بيوم القيامة الا كل معتد اي متجاوز عن نهج الحق اثيم هو مبالغة في الاثم وهو المرتكب للاثم والمعاصي اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا اي لا يومنون ثم استانف فقال بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واصل الران الغلبة ومعنى الاية ان الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنب والطبع ان يطبع الله على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم في الاخرة خيرا ثم استانف فقال تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف لان ما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذي ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رويته وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الاية من اثبت الروية للمومنين قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فايدة ووجه اخر هو انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله في حق المومنين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المومنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رويته وسيل مالك عن هذه الاية فقال لما حجب اعداه فلم يروه تجلى لاوليايه حتى راوه وقال الشافعي في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اوليا الله يرون الله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم

اي لداخلوا النار ثم يقال اي تقول لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تكذبون يعني في الدنيا
كلا اي ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اي لا يومن بالعذاب الذي
يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين على من العلو
وقيل هو موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم في حديث البرا المرفوع
ان عليين في السما السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو في لوح من زبرجدة خضرا معلق
تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قايمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية
عنه هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف
وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله واجلها وما ادراك ما عليون
تنبيها له على عظيم شانه كتاب مرقوم ليس بتفسير لعليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب
مرقوم في عليين قيل لهم فيه بخير وهو ما اعد لهم من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم
وعليين محل الملايكة وضده سجين وهي محل ابليس وجنده يشهده المقربون يعني
الملايكة الذين هم في عليين يشهدون يعني يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب
الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد الى عليين المقربون من الملايكة لكرامة
المومن قوله تعالى ان الابرار يعني المطيعين لله لفي نعيم يعني نعيم الجنة على الارايك
جمع اريكة وهي الاسرة في الحجال ينظرون يعني الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل
ينظرون الى اعدايهم كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون الى ربهم تعالى تعرف
في وجوههم نضرة النعيم يعني انك اذا رايتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على
وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور في القلب
يسقون من رحيق يعني الخمر الصافية الطيبة البيضا مختوم يعني ختم على ذلك الشراب
ومنع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال في سورة محمد وانهار
من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الايتين قلت يحتمل ان تكون هذه
المذكورة في الاية في اوان مختوم عليها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها
لشرفها ونفاستها ختامه مسك اي طينه الذي ختم عليه مسك بخلاف خمر الدنيا
فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اي ممزوج ختامه اي اخر طعمه وعاقبته مسك
وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي فليرغب
الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى ليحصل لهم هذا المختوم بالمسك وقيل اصله
من الشي النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره
اي يضن ويبخل ومزاجه من تسنيم اي من شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم
وقيل يجري في الهوى مسنما فينصب في اواني الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسكت

وا

واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه
تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص
للمقربين يشربونها وتمزج لساير اهل الجنة وسيل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال
هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عينا يشرب بها اي منها
وقيل يشربها المقربون صرفا قوله عز وجل ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش
ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل واصحابهم من مترفي اهل مكة كانوا من الذين
امنوا اي من عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقرا المومنين يضحكون اي منهم
ويستهزون بهم واذا مروا بهم يعني مر المومنون الفقرا بالكفار الاغنيا يتغامزون
يعني يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم بالاعين استهزا
بهم واذا انقلبوا الى اهلهم اي الكفار انقلبوا فاكهين اي معجبين بما هم فيه وقيل يتلذذون
بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم واذا راوهم يعني راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا ان هولا لضالون اي هم في ضلال ياتون محمدا ويرون انهم على شي قال الله تعالى
وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني على المومنين حافظين اي لاعمالهم والمعنى انهم
لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله تعالى فاليوم يعني في الاخرة الذين امنوا من الكفار يضحكون
وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المومنين لما هم فيه من
الشدة والبلا فلما افضوا الى الاخرة انعكس ذلك الامر فصار المومنون في السرور
والنعيم وصار الكفار في العذاب والبلا فضحك المومنون على الكفار لما راوا من
حالهم وقال ابو صالح يفتح للكفار ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا
اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمومنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم
وقال كعب بين الجنة والنار كوى اذا اراد المومن ان ينظر الى عدوه من الكفار كان في الدنيا اطلع
عليه من تلك الكوى وهو يعذب ضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون على الارايك جمع اريكة وهي السرر تتخذ في الحجلة وهي الكلة
يزين بها البيت وارايك الجنة من الدر والياقوت ينظرون يعني اليهم وهم في النار
يعذبون قال الله تعالى هل ثوب الكفار اي جوزي الكفار ما كانوا يفعلون
اي بالمومنين من الاستهزا والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب
واثاب واثيب بمعنى قال اوس سا جزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان
يثنى عليك وتحمدي والله تعالى اعلم

تفسير سورة انشقت

مكية وهي خمس وعشرون اية ومائة وسبع كلمات واربعمائة واربعة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السما انشقت يعني عند

قيام الساعة وهو من علاماتها واذنت اي سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من الاذن
وهو الاستماع لربها اي وحقها ان تطيع ربها وحقت يعني مد الاديم العكاظي فزيد
في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بنا ولا جبل واذا الارض مدت اي اخرجت ما في
بطنها من الموتي والكنوز والقت ما فيها اي من ذلك الذي كان في بطنها وتخلت واذنت
لربها وحقت اختلفوا في جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه
الاشيا يري الانسان الثواب او العقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح والمعني
اذا انشقت السما لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحينيذ تكون الواو زايدة
يا ايها الانسان انك كادح الي ربك كدحا اي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسا
وجهده في الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح في لقاء
ربك وهو الموت والمعني ان هذا الكدح يستمر بك الي الموت وقيل معناه انك كدوح في
دنياك كدحا تصير به الي ربك فملاقيه اي فملاقي جزاء عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاقي
ربك فاما من اوتي كتابه بيمينه يعني ديوان عمله فسوف يحاسب حسابا يسيرا سوف من الله
واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله فيعرف الطاعة والمعصية ثم يثاب علي
الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه علي صاحبه
ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متي
طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح ق عن ابن ابي مليكة ان عايشة رضي الله تعالى
عنها كانت لا تسمع شيا لا تعرفه الا راجعت فيه حتي تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من حوسب عذب قالت فقلت اوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا
قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وينقلب الي اهله يعني في الجنة
من الحور العين والادميات مسرورا اي بما اوتي من الخير والكرامة واما من اوتي كتابه ورا ظهره
يعني انه تغل يده اليمني الي عنقه وتجعل يده اليسري ورا ظهره فيعطي كتابه بشماله من ورا
ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من ورا ظهره فيعطي بها كتابه فسوف يدعوا ثبورا
يعني عند اعطايه كتابه بشماله من ورا ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعو بالويل والهلاك
فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلي سعيرا اي ويقاسي التهاب النار وحرها انه كان في اهله
يعني في الدنيا مسرورا يعني باتباع هواه وركوب شهواته انه ظن ان لن يحور اي لن يرجع
الينا ولن يبعث والحور الرجوع بلي اي ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب ان ربه
كان به بصيرا اي من يوم خلقه الي ان يبعثه قوله تعالى فلا اقسم بالشفق تقدم الكلام
في تفسير لا اقسم في سورة القيامة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك
انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل

والنهار

والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس واكثر
المفسرين هو الحمرة التي تبقي في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلما وقيل
هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابي حنيفة والليل وما وسق اي جمع
وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل
اوي كل شي الي ماواه وقيل ما عمل فيه ويحتمل ان يكون تهجد العباد فيجوز ان يقسم
بهم والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم نوره وذلك في الايام البيض وقيل استدار
واستوي فلما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن قرئ بفتح البا
وهو خطاب الواحد والمعني لتركبن يا محمد طبقا عن طبق يعني سما بعد سما وقد
فعل الله ذلك ليلة اسري به فاصعده سما بعد سما وقيل درجة بعد درجة
ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال
خ عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم
ومعني هذا ان يكون لك الظفر والغلبة علي المشركين حتي يختم لك بجميل العاقبة
فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم البا وهو الاشبه ويكون
خطابا للجمع والمعني لتركبن ايها الناس حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك في موقف
القيامة فتتقلب بهم الاحوال فيصيرون في الاخرة علي غير الحال التي كانوا عليها في
الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدايد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال
الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ
وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتي لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فمن وقيل في معني الاية انه اراد به السما تتغير لونا بعد لون فتصير تارة
وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوي اخري فما لهم لا يومنون يعني
بالبعث والحساب وهو استفهام انكار واذا قري عليهم القران لا يسجدون
اي لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جز منها وقيل اراد به سجود التلاوة
وهذه السجدة احد سجدات القران عند الشافعي ومن وافقه ق عن ابي رافع قال
صليت مع ابي هريرة العتمة فقرا اذا السما انشقت فسجد فقلت ما هذه قال
سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتي القاه ولمسلم
عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السما انشقت
بل الذين كفروا يكذبون يعني بالقران والبعث والله اعلم بما يوعون يعني يجمعون في

صدورهم من التكذيب فبشرهم بعذاب اليم يعني على تكذيبهم وكفرهم الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون يعني غير مقطوع ولا منقوص في الاخرة
والله تعالى اعلم

تفسير سورة البروج

مكية وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمسة وستون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر وانما حسن
القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري سبحانه وتعالى وهو سير الشمس والقمر
والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت
بروجا لظهورها واليوم الموعود يعني يوم القيامة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة
ويوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة
فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ
من شر الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذي وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا
قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم
التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع
المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد
هم الانبيا والمشهود عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود عليه
هو ابن ادم وقيل الشاهد ادم وذريته والمشهود هو يوم القيامة وقيل الشاهد
هي الاعضا والمشهود عليه هو ابن ادم وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها
صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبيا
والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبيا قبله شهدوا له بالنبوة وقوله
والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى
بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قتل اصحاب الاخدود وقيل جوابه ان بطش
ربك لشديد قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود اي لعن والاخدود الشق المستطيل
في الارض واختلفوا فيهم فروي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان ملك فيما كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث
الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب
فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا
قعد الى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله
ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا جئت الساحر فقل حبسني اهلي واذا جئت

اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس
فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب
احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى
الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى
وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس
من سائر الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما هاهنا
لك اجمع ان انت شفيتني قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فان امنت بالله
دعوت الله تعالى فشفاك فامن بالله فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس
اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب
غيري قال الله ربي وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام
فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الاكمه والابرص وتفعل ما تفعل
فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب
فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في
مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن
دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه
ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال
لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع
عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما
شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك
قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا
به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت
فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك
قال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال وما
هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تاخذ سهما من كنانتي
ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا
فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ
سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام
ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات
فقال الناس امنا برب الغلام ثلاثا فاتي الملك فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد والله

نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود فخدت بافواه السكك واضرم فيها النيران
وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قال فاقحموه فيها وقيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت
امراة معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبري فانك
على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم في هذا الحديث اثبات كرامات الاوليا
وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع الى الدين وفي انقاذ النفس من الهلاك والاكمه
الذي خلق اعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروي بالنون وذروة الجبل بالضم
والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة
وانكفت اي تقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق وافواهها
والاخدود الشق العظيم في الارض واقحموه اي ارموه فيها وتقاعست اي تاخرت وكرهت
الدخول في النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس
ابن شرحبيل بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان
في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام
ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن
الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي
على دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم
بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخاديد واحرق اثني عشر الفا ثم غلب ارياط على اليمن
فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر
ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة
في راسه اذا اميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم من
حديد فيه مكتوب ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليه الذي وجدتم عليه وقال
سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم اهل اسفيدها قال عمر بن الخطاب اي شي يجري على المجوس
من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال علي بن ابي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت
الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه
السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه ان تخطب
الناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات فاذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته
فقام خطيبا فقال ان الله قد احل نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان
نؤمن بهذا او نقر به وما جانا به من نبي ولا انزل علينا في كتاب فبسط السوط فابوا ان
يقروا به فخد لهم الاخدود واوقدت فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار
ومن اجاب سيبه وروي عن علي قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة

الى

الى قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الاية فدعاهم
فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذوا من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا
لهم اخدودا فملاوها نارا فمن تبع ذلك النبي رمي به في النار ومن تابعهم تركوه فجاوا بامراة
معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا اماه مري ولا تنافقي وقيل كانت الاخدود
ثلاثة فواحد بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام
فهو انطيانوس الرومي واما التي بفارس فبختنصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التي
باليمن فذو نواس يوسف فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهما قرانا وانزل في التي
بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين وقوله تعالى
النار ذات الوقود هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المومنين الذين القوا
في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من
الكفار فاحرقتهم اذ هم عليها قعود اي جلوس عند الاخدود وهم يعني الملك الذي خد
الاخدود واصحابه على ما يفعلون اي من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم
بالمومنين شهود اي حضور وقيل يشهدون ان المومنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم
وما نقموا منهم قال ابن عباس ما كرهوا منهم وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم
بالله الا ان يومنوا بالله العزيز يعني اي ان الذي يستحق العبادة هو العزيز اي الغالب القاهر الذي
لا يغالب ولا يدافع الحميد الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله تعالى
الذي له ملك السموات والارض الذي هو المستحق للعبادة والله على كل شي من افعالهم بالمومنين
شهيد وفيه وعد عظيم للمومنين ووعيد عظيم للكافرين قوله عز وجل ان الذين فتنوا
اي عذبوا واحرقوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا اي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل
على انهم اذا تابوا وامنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد وان الله يقبل منهم التوبة
وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يعني لهم
عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المومنين وقيل ولهم عذاب الحريق في الدنيا
وذلك ان الله احرقهم بالنار التي احرقوا بها المومنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم
ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمومنين فقال تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير قوله عز وجل ان بطش ربك
لشديد قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد انه هو يبدئ ويعيد
اي يخلقهم اولا في الدنيا ثم يعيدهم احيا بعد الموت ليجازيهم باعمالهم يوم القيامة وهو
الغفور يعني لذنوب جميع المومنين الودود اي المحب لهم وقيل المحبوب اي يوده اولياوه

ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة ذو العرش
اي خالقه ومالكه المجيد قري بالرفع علي انه صفة لله لان المجد من صفات التعالي
والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالي وقري المجيد بالكسر علي انه صفة للعرش
اي السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالي وقيل اراد حسنه
فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام فعال لما يريد يعني انه لا يعجزه
شيء ولا يمتنع منه شيء طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه
غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم
منه ناصر هل اتاك اي قد اتاك حديث الجنود اي خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا
علي الانبياء ثم بين من هم فقال تعالي فرعون يعني وجنوده وثمود وكانت قصتهم
عند اهل مكة مشهورة بل الذين كفروا يعني من قومك يا محمد في تكذيب يعني لك وللقران
كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم والله من ورائهم محيط
اي عالم بهم لا يخفي عليه شيء من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن كان قبلهم بل هو
قران مجيد اي كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر
وكهانة في لوح محفوظ قري بالرفع علي انه نعت للقران يعني ان القران محفوظ من
التبديل والتغيير والتحريف وقري محفوظ بالكسر علي انه نعت للوح لانه يعرف
باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب وسمي محفوظا لانه حفظ من
الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروي البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده
ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح
من درة بيضاء طوله ما بين السما والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه
الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه معقود بالعرش واصله
في حجر ملك والله اعلم

تفسير سورة الطارق

مكية وهي سبع عشرة اية واحدي وستون كلمة ومايتان وتسع وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل والسماء والطارق قيل نزلت في ابي طالب وذلك انه اتي النبي صلي
الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلا ماء ثم نارا
ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال النبي صلي الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو اية
من ايات الله فتعجب ابو طالب فانزل الله عز وجل والسما والطارق يعني النجم يظهر
بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق ولا يسمي ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لانه
يظهر بالليل قالت هند نحن بنات طارق نمشي علي النمارق تريد ان اباها نجم في علوه وشرفه

وما ادراك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم يعرفه حتي بينه له بقوله
النجم الثاقب اي المضيء المنير وقيل المتوهج وقيل هو المرتفع العالي وقيل الذي يرمي
به الشيطان فيثقبه اي ينفذه والنجم الثاقب قيل هو الثريا لان العرب تسميها النجم
وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمي به الشياطين لانه يثقبه
فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بهذه الاشياء وقيل تقديره ورب هذه الاشياء
وجواب القسم قوله تعالي ان كل نفس لما عليها حافظ يعني ان كل نفس عليها حافظ
من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة
من الملايكة وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتي يدفعها ويسلمها
الي المقادير ثم يخلي عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله تعالي
فلينظر الانسان يعني نظر تفكر واعتبار مم خلق اي من اي شيء خلقه ربه ثم بين ذلك
فقال تعالي خلق من ماء دافق اي من مني دافق اي مدفوق مصبوب في الرحم واراد به ماء الرجل
وماء المراة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعني ذلك الماء
وهو المني من بين الصلب والترايب يعني صلب الرجل وترايب المراة وهي عظام الصدر
والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وعنه انه بين ثديي المراة قيل ان المني
يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثر ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل
وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المراة وهي الترايب فلهذا السبب خص الله تعالي
هذين العضوين بالذكر انه علي رجعه لقادر يعني ان الله تعالي قادر علي ان يرد النطفة
في الاحليل وقيل قادر علي رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شيت رددته
من الكبر الي الشباب ومن الشباب الي الصبا ومن الصبا الي النطفة وقيل انه علي حبس
ذلك الماء حتي لا يخرج لقادر وقيل معناه ان الذي قدر علي خلق الانسان ابتداء قادر
علي ان يعيده حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولي بمعني الاية
لقوله تعالي بعده يوم تبلي السراير وذلك هو يوم القيامة وقيل معناه تظهر الخبايا
ومعني تبلي تختبر وقيل السراير هي فرايض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل
من الجنابة فكل هذه سراير بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول
صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة تختبر
حتي يظهر من اداها ممن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدي الله يوم القيمة كل سر
فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من اداها كان وجهه مشرقا
مستنيرا يوم القيمة ومن ضيعها او انتقص منها كان وجهه اغبر فما له اي لهذا الانسان
المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر اي ينصره من الله ثم ذكر الله قسما اخر

فقال تعالى والسماء ذات الرجع اي ذات المطر سمي به لانه يجيء ويرجع ويتكرر والارض
ذات الصدع اي تتصدع وتتشقق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم
قوله تعالى انه يعني القران لقول فصل اي انه حق وجد يفصل بين الحق والباطل
وما هو بالهزل اي باللعب والباطل انهم يعني مشركي مكة يكيدون كيدا يعني يحتالون
في المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه واكيد كيدا
يعني اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا
بالسيف وفي الاخرة بالنار فمهل الكافرين اي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس
هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال امهلهم
رويدا يعني قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال باية السيف والله اعلم

تفسير سورة سبح اسم ربك الاعلى

مكية وهي تسع عشرة اية واثنان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح اسم ربك الاعلى اي قل سبحان
ربي الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى ذكره البغوي
باسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون وعلى هذا يكون الاسم
صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال
ابن عباس سبح اي صل بامر ربك الاعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك
الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود الذي خلق فسوى اي خلق كل ذي روح فسوى
اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة والذي قدر فهدى
قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى اي فعرف كيف ياتي
الذكر الانثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة
لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له وعليه
وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر اي اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى
الانعام وسائر الحيوان لمراعيها وهو قوله تعالى والذي اخرج المرعى اي انبت العشب وما
ترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك فجعله يعني المرعى بعد
الخضرة غثاء احوى اي هشيما يابسا بالياكالغثاء الذي تراه فوق السيل احوى اي اسود
بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود وقوله تعالى سنقرئك اي نعلمك القران
بقراءة جبريل عليك فلا تنسى يعني ما تقراه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل

جبريل بالوحي لم يفرغ من اخر الاية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها
مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك
الا ما شاء الله يعني ان تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القران ورفعه من الصدر
وقيل معناه الا ما شاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عايشة
قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرا في سورة بالليل فقال يرحمه الله انه
اذكرني كذا وكذا اية كنت نسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت اسقطتهن
من سورة كذا اخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشا الله ان ينسى
شيئا انه يعلم الجهر يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه تعالى يعلم
السر والعلانية ونيسرك لليسرى اي نهون عليك لان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله
وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول
والمعنى انه يعلم الجهر مما تقراه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقراه في نفسك
مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه
ولا تنساه فذكر اي فعظ بالقران ان نفعت الذكرى اي ان نفعت الموعظة والتذكير
والمعنى عظ انت وذكر ان نفعت الذكرى او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر من
يخشى سيتعظ من يخشى الله تعالى ويتجنبها اي الذكرى ويتباعد عنها الاشقى اي في



علم الله تعالى الذي يصلى النار الكبرى اي النار العظيمة الفظيعة وقيل النار
الكبرى هي نار الاخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا ثم لا يموت فيها اي في النار فيستريح
ولا يحيى اي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل قد افلح من تزكى اي تطهر من الشرك وقال
لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر
روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالى قد افلح من تزكى قال اعطى
صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود
يقول رحم الله امرا تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الاية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى
الغداة يعني من يوم العيد قال يا نافع اخرجت الفطرة فان قال نعم مضى الى المصلى
وان قال لا قال فالان فاخرج فانما هذه الاية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه
فصلى فان قلت ما وجه هذا التاويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد
ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا
البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا انزل بمكة يوم الفتح سيهزم
الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادري اي جمع سيهزم
فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع

ويولونا الدبر ووجه اخر وهو انه كان في علم الله تعالى انه سيكون ذلك فاخبر عنه وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد قوله تعالى بل يوثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى يعني ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني وانتم توثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الاشجعي كنا عند ابن مسعود فقرا هذه الاية فقال لنا اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساوها ولذاتها وبهجتها وان الاخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الاجل وقيل ان اريد بذلك الكفار فالمعنى انهم لا يومنون بالاخرة وان اريد بذلك المسلمون فالمعنى يوثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الاخرة وهو خير وابقى ان هذا اي الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع ايات لفي الصحف الاولى اي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القران ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وايثار الدنيا وان الاخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال صحف ابراهيم وموسى يعني ان هذا القدر المذكور في صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في صحف جميع الانبيا التي منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور في هذه الايات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرايع متفقة عليه عن ابي ذر رضي الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية قلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شيا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا ابا ذر اقرا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل يوثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار ثم يضحك عجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها ثم يطمين عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل اخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة اخرجه الترمذي والنساي عن عبد العزيز بن جريج قال سالنا عايشة باي شي كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنساي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله اعلم

تفسير سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون

اية واثنان وتسعون كلمة وثلثمائة وواحد وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل اتاك اي قد اتاك يا محمد حديث الغاشية يعني القيامة سميت غاشية لانها تغشى كل شي باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار وجوه يومئذ يعني يوم القيامة خاشعة ابصارهم يعني ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة يدخلون النار يوم القيمة ومعنى النصب الدوب في العمل بالتعب وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث في دين الاسلام شيا ابتدعه من عنده فهو رد مردود عليه لا يقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشمل كل عامل في دين الاسلام او غير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في الاية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الاخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لانها لم تعمل لله في الدنيا فعملها ونصبها في النار معالجة السلاسل والاغلال وهي رواية ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقا جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى تصلى نارا حامية قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعدا الله تسقى من عين انية اي متناهية في الحرارة قد اوقدت عليها جهنم منذ خلقت لو وقع منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعوا اليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قيل هو نبت ذو شوك لاطي بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الاخرة شوك من نار وجا في الحديث عن ابن عباس رفعه الضريع شي في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدردا ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثوا بالضريع ثم يستغيثوا فيغاثوا بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالما فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين انية

شربة لا هنية ولا مريّة فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ما حميما فقطع امعاهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تاكله فانزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع يعني ان هذا الطعام لا تقدر ابلهم على اكله فكيف يقدر الانسان على اكله فهو اذا لا يسمن ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الاية انه لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع اخر لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه غسلين ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى وجوه يومئذ ناعمة اي متنعمة ذات بهجة وحسن في نعمة وكرامة لسعيها راضية اي لسعيها في الدنيا راضية في الاخرة حيث اعطيت الجنة بعملها في جنة عالية قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السما والارض لا يسمع فيها لاغية اي ليس فيها لغو ولا باطل فيها عين جارية على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث اراد واامن منازلهم وقصورهم فيها سرر مرفوعة قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجي اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها واكواب يعني الكيزان التي لا عرى لها موضوعة يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافة العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوة ونمارق مصفوفة يعني وسايد ومرافق مصفوفة بعضها الى جنب بعض اينما اراد ان يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند بالاخرى وزرابي يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية مبثوثة اي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت قال اهل التفسير لما نعت الله تعالى ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدا بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذه في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلم علما التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين ساير الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهد الفيل الا الشاذ منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف يصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وسيل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل

اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يوكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال للعرب وانفسه تاكل النوى والقت وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقايد الضعيف حتى ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها فيذهب بها حيث شا ومنها انها فضلت على ساير الحيوانات باشيا وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتني اما للزينة او للركوب وللحمل او للبن ولاجل لحمه ولا توجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويوكل من لحمها الجم الكثير الغفير وتصبر على العطش عدة ايام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف ساير الحيوان ومنها انها ترعى كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوان وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل وتقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السما والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدا بذكر الابل قبل السما والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلايل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشيا جميعها وكانت من اعظم شي عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبوها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدا بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم والى السما كيف رفعت يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شي والى الجبال كيف نصبت على الارض نصبا ثابتا راسخا لا تزول والى الارض كيف سطحت اي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شي قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السما او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غيري ولما ذكر الله تعالى دلايل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فذكر انما انت مذكر اي فعظ انما انت واعظ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان وهذه الاية منسوخة نسختها اية القتال الا من تولى وكفر استثنا منقطع عما قبله لكن من تولى وكفر بعد التذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر وكانت النار اكبر من هذا كله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت ثم ان علينا حسابهم يعني جزاهم بعد الرجوع على الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفجر

مكية وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية ومايه وتسع وثلاثون كلمة وخمسماية وسبع وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والفجر اقسم الله بالفجر وما بعده

لشرفها وما فيها من الفوايد الدينية وهي انها دلايل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد
وما فيها من الفوايد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معاني هذه الالفاظ
فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم به لما يحصل فيه من
انقضا الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وساير الحيوانات في طلب الرزق وذلك يشبه
نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة
الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملايكة الليل وملايكة النهار وقيل
انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل
هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك
الحج وفيه القربات **وليال عشر** قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل
في غيرها روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال باعمال الحج
واخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن
احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروي عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر
من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر
الاخير من رمضان شد الميزر وايقظ اهله للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم
وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشورا **والشفع والوتر** قيل الشفع هو الخلق
والوتر هو الله تعالى ويروى ذلك عن ابي سعيد الخدري وقيل الشفع الخلق كله كالايمان
والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسما
والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل
الخلق كلهم منه شفع ومنه وتر وقيل هي الصلوات منها شفع ومنها وتر وعن عمران
ابن حصين رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الشفع والوتر
قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد
الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروي ان رجلا ساله عن الشفع
والوتر والليالي العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر واما الليالي العشر فالثمان
وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم
القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه
اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة
والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر

صفات الله تعالى التي انفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى
بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت **والليل اذا يسر** اي اذا سار وذهب وقيل اذا
جا واقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها
من عرفات الى المزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل اذا يسار فيه **هل في ذلك قسم**
اي فيما ذكرت مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التاكيد **لذي حجر** اي لذي
عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه
عن القبايح وسمي نهى لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي واصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر
الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد
والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشيا فيه
عجايب ودلايل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته
على خالقه وقيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه
قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره
ورب هذه الاشيا ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد
الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قوله تعالى **الم تر** اي الم تعلم وانما اطلق
لفظ الروية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله
الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد **كيف فعل ربك بعاد
ارم ذات العماد** يعني ان المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وهم كانوا
اطول اعمارا واشد قوة من هولاء فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم
من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على
ما ذكره في نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون ارم باسم جدهم
وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن
وكان عاد اباهم ينسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن سيم بن سام بن نوح وقال الكلبي ارم
هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة كان يقال عاد ارم
وثمود ارم فاهلك عادا وثمودا وابقى اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب
ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان
الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية
سيارة في الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزروع
ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى **التي لم يخلق مثلها في البلاد** وسموا ذات
العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي في رواية عن ابن عباس

وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان
طول احدهم اثني عشر ذراعا وقوله لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك
القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبنا
بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناه قيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا
بعده وقهرا البلاد والعباد ثم مات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت
له ملوكها وكان يحب قراة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها دعته نفسه
الى بنا مثلها عتوا على الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابه انه خرج
في طلب ابل له شردت فبينما هو يسير في صحارى عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات
عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها وظن ان فيها احدا يساله عن
ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب
المدينة فاذا هو ببابين عظيمين مرصعان بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح
الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر غرف
وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللولو والياقوت واذا
ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة
كلها باللولو وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك
ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة واذا تحت تلك الاشجار انهار
مطردة يجري ماوها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه
من لولوها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث
بما راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فساله عن ذلك فقص عليه ما راى
فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة
من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني
حديثها فقال لما اراد شداد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف
من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما في بلادهم من الجواهر فخرج القهارمة
يسيرون في الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقفوا على صحرا نقية من التلال واذا
فيها عيون ما ومروج فقالوا هذه الارض التي امر الملك ان يبنى فيها فوضعوا
اساسها من الجزع اليماني واقاموا في بنايها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة
سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا
حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون في كل قصر الف وزير من وزرائي ففعلوا
وامر الملك وزراه وهم الف وزير ان يتهيوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك

واهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة
بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السما فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد
ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال
هذا والله ذلك الرجل قوله تعالى **وثمود** اي وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد **الذين
جابوا** قطعوا **الصخر** اي الحجر **بالواد** يعني بوادي القرى فكانت ثمود اول من قطع
الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا **وفرعون ذي الاوتاد** سمي بذلك
لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل
معناه ذي الملك كما قيل في ظل ملك راسخ الاوتاد وقيل سمي بذلك لانه كان
يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما
سمي ذو الاوتاد لانه كانت امراة وهي امراة خازنه حزقيل وكان مومنا كتم ايمانه
مائة سنة وكانت امراته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط راس
بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت
فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد
لا شريك له فقامت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة
امراة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له
فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري
باني الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب
وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين
شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجا بابنتها الكبرى فذبحها على فيها فقال
اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من على
الارض على في ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا
ذبحها جزعت المراة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا
اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك
تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الامراة ان ماتت فاسكنها الله الجنة
قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد روي في موضع
كذا في جبل كذا وكذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي وثلاثة
صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك
تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر علي احد فايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك

واعطه من الدنيا سولده وايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل
مصيره في الاخرة الي النار فانصرفا الرجلان الي فرعون فاما احدهما فاعتبر فآمن
واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة علي رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك
غيرك قال نعم فلان فدعي به فقال حق ما يقول هذا قال اما رايت مما قال شيا فاعطاه
فرعون فاجزل واما الاخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل
نسا بني اسرايل يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
وكيف يسعني ان اصبر علي ما ياتي فرعون وانا مومنة وفرعون كافر فبينما هي كذلك
تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثه
عمدت الي الماشطة فقتلتها فقال لعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون
وانما لي ولها وله السموات والارض واحد لا شريك له فمزق عليها وضربها وارسل الي
ابويها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من
ذلك اني اشهد ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها ابوها
يا اسية الست من خير نسا العالمين وزوجك اله العالمين قالت اعوذ بالله من ذلك
ان كان ما يقول حقا فقولا له ان يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب
حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا
الي الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا
في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة قوله تعالي **الذين طغوا
في البلاد** يعني عادا وثمود او فرعون علوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله
فاكثروا فيها الفساد يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول
جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام الاثم **فصب عليهم ربك سوط
عذاب** يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب
بالسوط وقيل هو اشارة الي ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشي
بعضه ببعض وقيل هذا علي الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجري ذلك
لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرا هذه
الاية يقول ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها **ان ربك لبالمرصاد**
قال ابن عباس يعني بحيث يري ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد وقيل عليه
ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل يرجع الخلق الي حكمه وامره واليه مصيرهم
وقيل انه يرصد اعمال بني ادم والمعني انه لا يفوته شي من اعمال العباد كما لا يفوت من
بالمرصاد وقيل ارصد النار علي طريقهم حتي تهلكهم قوله عز وجل **فاما الانسان اذا ما ابتلاه**

اي امتحنه

اي امتحنه **ربه** بالنعمة **فاكرمه** اي بالمال **ونعمه** اي بما وسع عليه **فيقول ربي اكرمني**
اي بما اعطاني من المال والنعمة **واما اذا ما ابتلاه** يعني بالفقر **فقدر** اي فضيق
وقيل قتر **عليه رزقه** اي وقد اعطاه ما يكفيه **فيقول ربي اهانني** اي اذلني بالفقر
قيل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس
الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته
فرد الله تعالي علي من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالي **كلا** اي ليس
الامر كذلك لم ابتله بالغني لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة
لا يدوران علي المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنا والفقر بتقدير الله تعالي وحكمته
فقد يوسع علي الكافر لا لكرامته ويضيق علي المومن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة
الله تعالي وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع علي الانسان من
اصناف المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يضجر ويتقلق
بل لا تكرمون اليتيم اي لا يعطونه حقه الثابت له من الميراث قال مقاتل كان قدامة
ابن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه **ولا تحضون علي طعام
المسكين** اي لا يطعمون مسكينا ولا يامرون باطعامه وقري ولا تحاضون ومعناه ولا
يحض بعضهم بعضا علي ذلك **وتاكلون التراث** اي الميراث **اكلا لما** اي شديدا والمعني
انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النسا والصبيان
وياكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذي ياكل كل شي يجده لا يسال احلال ام حرام
وياكل الذي له ولغيره **وتحبون المال حبا جما** اي كثيرا والمعني تحبون جمع المال وتولعون
به **كلا** اي لا ينبغي ان يكون الامر هكذا من الحرص علي جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون
ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم علي ما سلف منهم
وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالي **اذا دكت الارض دكا دكا** اي دقت وكسرت مرة
بعد مرة وكسر كل شي عليها من جبل وبنا وغيره حتي لم يبق علي ظهرها شي **وجاء ربك** اعلم
ان هذه الاية من ايات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف
فلم يتكلموا فيها واجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا
الايمان بها واجراوها علي ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وغالب المتكلمين وقالوا
قد ثبت بالدليل العقلي ان الحركة علي الله محال فلا بد من تاويل الاية فقيل في تاويلها
وجاء امر ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل جاء امر ربك وقضاوه وقيل وجاء دلايل ايات
ربك فجعل مجيها مجيا له تعظيما لتلك الايات **والملك صفا صفا** اي تنزل ملايكة
كل سما صفا صفا علي حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالانس والجن فيكونون

سبع صفوف وجيء يومئذ يعني يوم القيامة بجهنم قال ابن مسعود في هذه الاية
تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير
حتى تنصب على يسار العرش يومئذ يعني يوما يجا بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ الكافر
ويتوب وانى له الذكرى يعني انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي
اي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الاخرة التي لا موت فيها فيومئذ لا يعذب عذابه
احد اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق وثاقه احد يعني
لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل والاغلال
وقرى لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثا ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا
يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل يا ايتها
النفس المطمئنة اي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما انزل الله تعالى الموقنة
التي ايقنت بان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة
وقيل هي الراضية بقضا الله وقيل هي الامنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر
الله تعالى قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في خبيب بن عدي
الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بير رومة وسبلها وقيل في ابي بكر الصديق
والاصح ان الاية عامة في كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية ارجعي الى ربك
اي الى ما وعد ربك من الجزا والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد
الله بن عمر اذا توفي العبد المؤمن ارسل الله تعالى اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة
فيقال اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان وربك عنك راض
فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد في انفه والملايكة على ارجا السما يقولون قد جا
من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها
حتى يوتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكاييل اذهب بهذه النفس
فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يومر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه
وسبعون ذراعا طوله وينبذ فيه الروح والريحان فان كان معه شي من القران
كفاه نوره وان لم يكن جعل له فيه نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس
ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل
قطعة من بجاد اي من كسا انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس
الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل في معنى قوله
ارجعي الى ربك اي الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها عند البعث قيامر الله تعالى الارواح
ان ترجع الى الاجساد وهو قول عكرمة وعطا والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي

الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما اعد الله لك مرضية اي رضي عنها ربها وقيل
يقال لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي وقيل معنى في عبادي اي من جملة عبادي اي الصالحين المصطفين
وادخلي جنتي قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف فشهدت جنازته فجا
طاير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية
على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض اهل الاشارة في تفسير هذه الاية
يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل
الاخرة والله اعلم

تفسير سورة البلد

مكية وهي عشرون اية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول
سورة القيامة والبلد هو مكة في قول جميع المفسرين وانت حل اي حلال بهذا البلد اي مقيم
به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اي
حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من
الاثم في استحلالها احل الله عز وجل مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن
خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما فاحل دما قوم وحرم
دما اخرين فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل
المسجد فهو امن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل
لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم
القيامة والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها
ومع ذلك فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده
فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة
وخروجه منها فكان كما وعده وقيل في معنى قوله وانت حل بهذا البلد قال يحرمون ان
يقتلوا بها صيدا ويستحلون قتلك واخراجك منه ووالد وما ولد يعني ادم وذريته
اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبادم وبالانبيا والصالحين من ذريته لان الكافر
وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في كبد قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وعن ابن عباس
ايضا قال في شدة خلقه وحمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه
وحياته وموته واصل الكبد الشدة قيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم

وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستوا والاستقامة
فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شي من الحيوان
يمشي منكبا وقيل منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن الله تعالى في خروجه انقلب
راسه الى اسفل وقيل في كبد اي في قوة نزلت في ابي الاسد بن كلدة بن جمح وكان شديدا
قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق
ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم تحت موضع قدميه ايحسب يعني
ابا الاسد من قوته ان لن يقدر عليه احد يعني ايظن لشدته في نفسه ان لا يقدر عليه
الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي يقول يعني هذا الكافر اهلكت اي انفقت
مالا لبدا اي كثيرا من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد
صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد يعني ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله
من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال
والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال
تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين يعني ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها
كيما يشكر وجا في الحديث ان الله عز وجل يقول ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت
عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك
فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد اعنتك
عليه بطبقتين فاطبق وهديناه النجدين قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق
والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين قوله تعالى فلا اقتحم العقبة
يعني فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان فيكون
ذلك خيرا له من انفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها
ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله لمجاهدة
النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول
الله لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب
على مرتكبها بالعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوز
وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار
دون الجسر بجهنم فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل في الصراط
يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا
وهبوطا وان بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج
مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم

من

من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم
من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار
وقيل معنى الاية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى وما ادراك ما العقبة
اي وما ادراك ما اقتحام العقبة فك رقبة يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال
الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه
على فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداه من النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه
عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البرا بن عازب قال جا اعرابي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت
اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسألة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال لا ان
عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفي على ذي
الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجايع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر
فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل في معنى الاية فك رقبة من رق الذنوب
بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التي يصير بها الى رضوان الله والجنة
وهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار او اطعم في يوم ذي مسغبة اي يوم ذي مجاعة
والسغب الجوع يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة يريد تطعم يتيما بينك وبينه قرابة او
مسكينا ذا متربة يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره قال ابن عباس هو المطروح في
التراب لا يقيه شي والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان
بقوله ثم كان من الذين امنوا والمعنى انه ان كان مومنا نفعته هذه القرب وكان مقتحما
للعقبة وان لم يكن مومنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة وتواصوا بالصبر
يعني اوصى بعضهم بعضا على الصبر على ادا الفرايض وجميع اوامر الله تعالى ونواهيه
وتواصوا بالمرحمة اي برحمة الناس وفيه اشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله
اولئك يعني اهل هذه الخصال اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة
عليهم نار موصدة يعني مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم
والله اعلم **تفسير سورة الشمس** مكية وهي خمس عشرة اية
واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبعة واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والشمس وضحاها اي اذا بدا ضوها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو
ضوها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل
الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها وهذا

اضعف الاقوال والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت
الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين
يكمل ضوءه ويستدير وذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في
اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكانه تبعها والنهار اذا جلاها يعني جلا
الظلمة بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا والليل اذا يغشاها
اي يغشي الشمس حين تغيب فتظلم الافاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى
الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل
ويتبعها القمر والسما وما بناها اي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كانه
اقسم به وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اي والسما
وبنايها والارض وما طحاها اي بسطها وسطحها على الما ونفس وما سواها اي عدل
خلقها وسوى اعضاها هذا اذا اريد بالنفس الجسد وان اريد به المعنى القايم بالجسد
فيكون معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة
والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس
الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن فالهمها
فجورها وتقواها قال ابن عباس معناه بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية
وعنه عرفها ما تاتي وما تتقي وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل جعل فيها ذلك
بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المومن
التقوى وفي الكافر الفجور م عن ابي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت
ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشي قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما
يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شي
قضي عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت
كل شي خلق الله وملك يده فلا يسال عما يفعل وهم يسالون فقال لي يرحمك الله
اني لم ارد بما سالتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشي قضي
عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه
وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شي قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب
الله عز وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها م عن جابر رضي الله عنه قال
جا سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل
اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به

الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
وهذه اقسام اقسم الله بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها
وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على القول انه قد دخل
في جملة هذا القسم قوله والسما وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير
ورب السما ورب من بناها وهذا خطا لا يجوز واجيب عنه بانما ان فسرت
بالمصدرية فلا اشكال فيه وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السما الذي
بناها وجواب القسم قوله تعالى قد افلح من زكاها المعنى لقد افلح من زكاها اي
فازت وسعدت نفس زكاها الله اي اصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة
وقد خاب من دساها اي خابت وخسرت نفس اضلها الله وافسدها واصله من دس
الشي اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره
وزكاه وخسار من خذله واضله حتى لا يظن احد انه يتولى تطهير نفسه او هلاكها
بالمعصية من غير قدر متقدم وقضا سابق م عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب
القبر اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم
اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب
لها قوله تعالى كذبت ثمود وهم قوم صالح عليه السلام بطغواها اي بطغيانها وعدوانها
والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا اذ انبعث اشقاها اي قام واسرع
وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف
وقد كان رجلا اشقر ازرق العينين قصيرا قام يعقر الناقة ق عن عبد الله بن زمعة
رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في
اهله مثل ابن زمعة لفظ البخاري قوله عارم اي شديد ممتنع قوله تعالى فقال لهم رسول
الله يعني صالحا عليه السلام ناقة الله اي ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف
منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لتشريفها كبيت الله وسقياها
اي وشربها اي ذروا شربها ولا تتعرضوا للما يوم شربها فكذبوه يعني صالحا فعقروها
يعني الناقة فدمدم عليهم ربهم اي فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة اهلاك
استيصال وقيل دمدم اي اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم احد
بذنبهم اي فعل ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم
الناقة فسواها اي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين

الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ولا يخاف عقباها اي لا يخاف الله تبعة من احد في اهلاكهم قاله ابن عباس وقيل هو راجع الي العاقر والمعني لا يخاف العاقر عقبي ما اقدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الي صالح عليه السلام والمعني لا يخاف صالح عاقبة ما نزل بهم من العذاب اذ لا يوذيه احد بسبب ذلك والله تعالي اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الليل

مكية وهي احدي وعشرون اية واحدي وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والليل اذا يغشى اي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوءه اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق ياوي فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله والنهار اذا تجلى اي بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق الذكر والانثى اي ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالي والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد انما اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما ادم وحوا وانما اقسم بهما لانه تعالي ابتدع خلق ادم من طين وخلق منه حوا من غير ام وجواب القسم قوله تعالي ان سعيكم لشتى اي ان اعمالكم مختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها وروي ابو مالك الاشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها قوله موبقها اي مهلكها قوله تعالي فاما من اعطى اي انفق ماله في سبيل الله عز وجل واتقى اي ربه وفيه اشارة الي الاجتناب عن كل ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال ابن عباس صدق بلا اله الا الله وعنه صدق بالخلف يعني ان الله سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعود الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه فسنيسره اي فسنهيئه في الدنيا لليسرى اي للخصلة والفعلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل واما من بخل اي بالنفقة في الخير والطاعة واستغنى اي عن ثواب الله تعالي فلم يرغب فيه وكذب بالحسنى اي بلا اله الا الله او كذب بما وعده الله من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى اي فسنهيئه للشر بان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله تعالي فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه ان ياتي خيرا وفي الاية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالي ووجوب العمل مع ما سبق له في الازل عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم الا وقد

كتبت

كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيصير لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك او غير ذلك مما يوثر فيه الضرب وهذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشر اواق فاعتقه فانزل الله تعالي والليل اذا يغشى الي قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي ابي بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا صعد نخلته لياخذ منها الثمر فربما سقطت الثمرة فياخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل من نخلته حتى ياخذ الثمرة من ايديهم وان وجدها في فم احدهم ادخل اصبعه في فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال تعطي نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك نخلة في الجنة فقال الرجل ان لي نخلا وما فيها اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعها بحش يعني حايطا فيه نخل فقال هي لك فاتى ابو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتشتريها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة فقال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الاية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة فتكون هذه سورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابي بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق الايات يقتضي ذلك قوله تعالي وما يغني عنه ماله اي الذي بخل به اذا تردى اي اذا مات وقيل هوى في جهنم ان علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائي الي العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله وان لنا للاخرة والاولى اي لنا ما في الدنيا والاخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطا الطريق فانذرتكم اي يا اهل مكة نارا تلظى اي تتوقد وتتوهج لا يصلاها الا الاشقى يعني الشقي الذي كذب يعني الرسول وتولى اي عن الايمان وسيجنبها الاتقى يعني التقي

الذي يؤتي ماله يتزكى اي يعطي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زكيا لا يطلب بما
انفقه ريا ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع
الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري
اريد فنزل فيه وسيجنبها الاتقى الى اخر السورة وذكر محمد بن اسحاق قال كان بلال
لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب
وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحا مكة ثم يامر
بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم فيقول وهو في ذلك احد احد قال محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة
عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابي بكر في بني جمح
فقال لامية الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال
ابو بكر افعل عندي غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه قال
قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ستّ رقاب
على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل
يوم بير معونة شهيدا وام عميش وزهرة فاصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت
قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات
والعزى وما ينفعان فرد الله عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا لامراة
من بني عبد الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله
لا اعتقكما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال
فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المومل وهي
تعذب فابتاعها فاعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه
من البلا واعتاق ابي بكر اياهم وكان اسم ابي بكر عتيقا فقال في ذلك

جزا الله خيرا عن بلال وصحبه ... عتيقا واخزى فاكها وابا جهل
عشية هما في بلال بسوءة ... ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله ... شهدت بان الله ربي على مهل
فان تقتلوني تقتلوني ولم اكن ... لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس ... وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل
لمن ظل يهوي الغي من ال غالب ... على غير حق كان منه ولا عدل

وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له اتبيعه
قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة الاف دينار وغلمان

وجواري ومواشي وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه
ابو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمها ابو بكر وباعه به فقال
المشركون ما فعل ابو بكر ذلك ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل وما
لاحد عنده اي عند ابي بكر من نعمة تجزى اي من يد يكافيه عليها الا ابتغا وجه ربه
الاعلى يعني لم يفعل ذلك مجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغا وجه
ربه الاعلى وطلب مرضاته ولسوف يرضى اي بما يعطيه الله عز وجل في الاخرة من الجنة
والخير والكرامة جزا على ما فعل والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة والضحى

مكية وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة واثنان
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والضحى اختلفوا في سبب
نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال القول الاول عن جندب بن سفيان البجلي قال
اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة فقالت يا محمد
اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره يقربك ليلتين او ثلاثا فانزل الله عز
وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى واخرجه الترمذي عن جندب
قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قال فابطا عليه
جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل
ان المراة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي ام جميل امراة ابي لهب القول الثاني قال
المفسرون سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين
واصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شا الله فاحتبس عليه الوحي القول
الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس جبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل
عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب
ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثني عشر يوما وقال ابن
عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما قالوا فلما نزل عليه جبريل قال له النبي
صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جيت حتى اشتقت لك فقال جبريل اني كنت اشد
شوقا ولكني عبد مامور وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله تعالى هذه
السورة قوله تعالى والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله
تعالى والليل اذا سجى وقيل يعني وقت الضحى وهو الساعة التي فيها ارتفاع الشمس
واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتا والليل اذا سجى قال ابن عباس اقبل
بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شي بظلامه وقيل معناه سكن واستقر

ظلامه فلا يزداد ذلك وبهذا اقسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم
قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك
وانما قال قلا ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الاي وقيل معنى وما قلى احدا من اصحابك
ومن هو على دينك الى يوم القيامة وللاخرة خير لك من الاولى اي الذي اعطاك ربك في
الاخرة خير لك واعظم من الذي اعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل بيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن عباس هو الشفاعة في امته حتى يرضى وعن عبد
الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم
امتي امتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك
فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل
اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات من امتي
لا يشرك بالله شيئا وعن عوف بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا اخرجه الترمذي قال حرب
ابن سريج سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجى اية في
القران قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل بيت نقول
ارجى اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الاية ولسوف يعطيك
ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وقيل حمل الاية
على خيري الدنيا والاخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه في الدنيا من النصر والظفر
على الاعداء وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلاء دينه وان
امته خير الامم واعطاه في الاخرة الشفاعة العامة الخاصة والمقام المحمود وغير ذلك
مما اعطاه في الدنيا والاخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذكره نعمه
عليه واحسانه اليه فقال عز وجل الم يجدك يتيما فاوى اي الم يعلمك الله يتيما من الوجود
الذي هو بمعنى العلم والمعنى الم يجدك يتيما ضعيفا حين مات ابواك ولم يخلفا لك مالا
ولا ماوى فجعلت لك ماوى تاوي اليه وضممتك الى عمك ابي طالب حتى احسن تربيتك وكفاك
المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب
فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابو طالب الى ان قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم

درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك اليه وشرفك
بنبوته واصطفاك برسالته ووجدك ضالا اي عما انت عليه اليوم فهدى اي فهداك
الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك
اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير
فراه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما
هو راكب في ليلة ظلماء جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل
عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا لنفسك لا تدري من انت فعرفك
نفسك وحالك وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان
والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك انه كان صلى الله عليه وسلم
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله الى دينه وقال الجنيد ووجدك
متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الاية ولا يلتفت الى
قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام
لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا ونشأوا على التوحيد والايمان
قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله وتوحيده
ويدل على ذلك ان قريشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك
وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك
فبراه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ما روي في قصة بحيرا حين
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب
الى الشام فراى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله ما ابغضت شيئا بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله
عليه وسلم في حال صغره واستخراج العلقة منه وقال جبريل هذه حظ الشيطان وملاه
حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قال الزمخشري ومن قال كان على امر قومه
اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دين
قومه فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر
والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء والله اعلم
قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى يعني فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل
ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذا حقيقة الغنى وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض
بفتح العين والرا المال م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسالة وددت اني لم
اكن سالته قلت يا رب انك اتيت سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا وفلانا
كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فاويتك قلت بلى اي رب قال الم اجدك ضالا فهديتك
قلت بلى اي رب قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى اي رب زاد في رواية الم اشرح
لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى اي رب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم
ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى
قلت انما حسن ذلك لانه تعالى قصد بذلك ان يقوي قلبه ويعده بدوام نعمته عليه فظهر
الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق وهو المذموم لان امتنان الله زيادة
في انعامه كانه قال ما لك لا تقطع رجاك عني الست الذي ربيتك وآويتك وانت يتيما
صغيرا اتظنني تاركك وضيعك كبيرا بل لا بد وان اتم نعمتي عليك فقد حصل
الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين والفقرا فقال تعالى
فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تحتقره على ماله فتذهب
به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر اليتامى ياخذون اموالهم ويظلمونهم
حقوقهم روى البغوي بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم
يسا اليه ثم قال انا وكافل اليتيم هكذا في الجنة ويشير باصبعيه خ عن سهل بن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم هكذا واشار بالسبابة والوسطى
وفرج بينهما واما السايل فلا تنهر يعني السايل على الباب يقول لا تزجره اذا سالك فقد
كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تنهر بوجهك في وجهه قال
ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم السايل
بريد الاخرة يجي الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشي وقيل السايل هو طالب
العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقى بمكروه واما
بنعمة ربك فحدث قيل اراد بالنعمة النبوة اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاك
الله وقيل النعمة هي القران امره ان يقراه ويقريه غيره وقيل اشكره لما ذكره نعم عليه
في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغنا بعد العيلة والفقر امره ان
يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى

الر

الله عليه وسلم قال من اعطي عطا فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى
عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور اخرجه
الترمذي وله عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطاعم الشاكر بمنزلة
الصايم الصابر روى البغوي باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم
يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة
في القراة لاهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على راس كل سورة حتى يختم القران فيقول
الله اكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون
هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم فلما نزل والضحى كبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله اعلم

تفسير سورة الم نشرح

مكية وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة
احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك استفهام بمعنى
التقرير اي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عن الادراك والله تعالى فتح
صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصده عن
الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل
التي تصده عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان
والنبوة والعلم والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره م عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق
صدره عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست
من ذهب بما زمزم ثم لامه ثم اعاده الى مكانه وجا الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره
فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى
اثر المخيط في صدره ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك
في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل الخطا والسهو
وقيل ذنوب امتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره
من اعبا الرسالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه
عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمي العصمة وضعا مجازا
واعلم ان القول في عصمة الانبيا قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله تعالى وعصى
ادم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الذي انقض ظهرك
اي اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل او الرحل فوق

البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور
كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة
عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك
على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيات المقربين وقوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله
عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة
على المنابر ولو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع
من ذلك بشي وكان كافرا وقال قتادة ورفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التاذين
وفيه يقول حسان بن ثابت • اغر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهور يلوح ويشهد •
• وضم الاله اسم النبي مع اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد •
• وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •
وقد رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزمهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل
رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه محمد رسول الله ونبي الله وفرض طاعته على الامة اطيعوا
الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله ونحو ذلك مما في القران وغيره من كتب الانبيا
ثم وعده اليسر والرخا بعد الشدة والعنا وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى
فان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخا بان يظهرك
عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جيتهم به ان مع العسر يسرا كرره لتاكيد الوعد وتعظيم
الرخا قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا قد جاكم
اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل
عليه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين
ان الله كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب
اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته
كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول
واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الاية مكرر
بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة فكانا يسرين فكانه قال
فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب

النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله انه لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل
منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسرين وهذا
قول مدخول فيه اذ قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا
لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف ثنين لمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين
ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك
حتى قالوا ان كان بك طلب الغنا جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم
النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن انهم انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه
في هذه السورة ووعده الغنا ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اي لا يحزنك الذي يقولون فان مع العسر الذي
في الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع ذات
يده حتى كان يعطي المئين من الابل ويهب الهبات السنية ثم ابتدا فضلا اخر من
امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدايه تعريه من الفا والواو
وهذا وعد لجميع المومنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا يسرا في الاخرة وربما
اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة وهو ما ذكر في الاية
الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله للمومنين
في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة
فدايم ابدا غير زايل اي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد
لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال القتيبي كنت يوما بالبادية بحالة من
الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت • ارى الموت لمن اصبح • مغموما له اروح •
فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى • الا ايها المرء الذي الهم به برح •
وقد انشد بيتا لم يزل في فكره يسنح • اذا اشتد بك العسر • ففكر في الم نشرح •
فعسر بين يسرين اذا • ابصرته فافرح • قال فحفظت الابيات وفرج الله عني
وقال اسحاق بن بهلول القاضي • فلا تياس وان اعسرت يوما • فقد ايسرت في الزمن الطويل •
فلا تظنن بربك ظن سوء • فان الله اولى بالجميل • فان العسر يتبعه يسار • وقول
الله اصدق كل قيل • وقال سليمان بن احمد الزيني في المعنى توقع صنع ربك
للخطوب • سرورا يستردها عنك قسرا • ترى الله يخلف ميعاده • وقد قال
ان مع العسر يسرا • قوله سبحانه وتعالى فاذا فرغت فانصب لما عدد الله سبحانه
وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة
والنصب فيها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى

والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك
في الدعا وارغب اليه في المسالة وقال ابن مسعود فاذا فرغت من الفرايض فانصب في
قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد
عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار
لك وللمومنين قال عمر بن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه
ولا في عمل اخرته السبهلل الذي لا شي معه وقيل السبهلل البطال والى ربك فارغب
اي تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى
احد سواه والله اعلم

تفسير سورة والتين

مكية وهي ثمان ايات واربعة وثلاثون كلمة ومايه وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والتين والزيتون قال ابن عباس هو تينكم هذا الذي تاكلون وزيتونكم الذي
تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوايب التنغيص
وفيه غذا ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع
الهضم لا يمكث في المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبع ويقلل البلغم واما
الزيتون فلانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يوكل ويستصبح به وشجرته في اغلب
البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وتنبت في الجبال التي ليست فيها دهنية وتمكث
في الارض لوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما
لاجرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون
الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور سينا وطور زيتا لانهما
ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد
بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد
اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه
على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله سبحانه
وتعالى عليه موسى عليه السلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسينا
لحسنه او لكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسينا وهذا البلد الامين
يعني الامن وهو مكة حرمها الله سبحانه وتعالى لانه الحرم الذي يامن فيه الناس في الجاهلية
والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا يلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام
اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله سبحانه وتعالى لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم يعني في اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه
سبحانه وتعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يا كل بفيه الا الانسان فانه خلقه

مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز
والنطق ثم رددناه اسفل سافلين يعني الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه
وينقص عقله والسافلون هم الضعفا والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من
هولا جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله
وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال
تبارك وتعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم لا يردون الى النار ولا الى اسفل
السافلين وعلى القول الاول يكون الاستثنا منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين
فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات ولازموا
عليها الى ايام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي
كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذي عملوا قبل
ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا
الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروي عن ابن عباس قال الا الذين
قراوا القران ومن قرا القران لم يرد الى ارذل العمر فلهم اجر غير ممنون يعني غير مقطوع لانه
يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة فما يكذبك
يعني ايها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات بعد اي بعد هذه الحجة والبرهان
بالدين اي بالحساب والجزا والمعنى فما الذي يلجيك ايها الانسان الى هذا الكذب الا
تتفكر في صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك
قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلايل والبراهين اليس
الله باحكم الحاكمين اي باقضى القاضين يحكم بينكم وبين اهل التكذيب يوم القيمة
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والتين والزيتون
فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي
ق عن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشا الاخيرة فقرا في احدى
الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراة منه صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة اقرا

مكية وهي تسع عشرة اية
واثنان وتسعون كلمة ومايتان وثمانون حرفا قال اكثر المفسرين هذه السورة اول
سورة نزلت من القران واول ما نزل خمس من اولها الى قوله ما لم يعلم ق عن عايشة رضي الله
تعالى عنها ام المومنين انها قالت اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا

الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق
الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه من الحنث وهو التعبد
الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود
لمثلها حتى جاءه الحق وفي رواية حتى فجاه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا
فقال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرا فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال
زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت
على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم
وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على
نوائب الحق فانطلقت خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى
ابن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني
فكتب من الانجيل بالعبرانية ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي
فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ما ترى فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله
على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جيت به الا عودي
وان يدركني يومك حيا انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي
زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا
غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي
نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك
جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة
جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك **فصل** في هذا الحديث دليل
صحيح صريح على ان سورة اقرا اول ما نزل من القران وفيه رد على من يقول ان المدثر
اول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر وهذا
الحديث من مراسيل الصحابة لان عايشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها
من النبي صلى الله عليه وسلم او من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلما الا

ما انفرد به الاستاذ ابو اسحاق الاسفراييني وانما ابتدي صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجاه
الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة فلا يحتملها القوى البشرية فبدا باوايل علامات النبوة
توطية للوحي واما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل
التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجاه الحق
اي جاءه الوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطا المهملة اي عصرني وضمني ضما شديدا
وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلما والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة
في احضار قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكررا مرتين
ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اي الفزع قولها كلا ابشر فوالله
لا يخزيك يروى بضم اليا وبالخا المعجمة من الخزي اي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك
ولا يذلك وروي بفتح اليا وبالحا المهملة وبالنون لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح قولها
وتحمل الكل اي الثقل والحوايج المهمة وتكسب المعدوم اي تعطي الناس ما هو معدوم عنده ومعنى
كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الافعال
وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السو قولها وكان يكتب الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب بالكتاب العربي فيكتب
من الانجيل بالعربية ما شا الله ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين
النصرانية بحيث يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شا منه بالعبرانية ان اراد
وبالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة
يعني جبريل عليه السلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير وانما سمي جبريل بذلك لان
الله سبحانه وتعالى خصه بالوحي الى الانبيا قوله يا ليتني فيها اي في ايام النبوة واظهار
الرسالة جذعا اي شابا قويا حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك
نصرا موزرا اي قويا بالغا قولها فلم ينشب ورقة ان توفي اي فلم يلبث ان مات قبل ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى التردي الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه تبدى له
اي ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم
المهول وقيل هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اقرا باسم ربك قيل الباء زايدة مجازه اقرا اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك
امر ان يبتدي القراة باسم الله تاديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرا القران مفتتحا
باسم ربك اي قل بسم الله ثم اقرا فعلى هذا يكون في الاية دلالة على استحباب البداية
بالتسمية في اول القراة وقيل معناه اقرا القران مستعينا باسم ربك على ما تحمله من النبوة
واعبا الرسالة الذي خلق يعني جميع الخلايق وقيل هو الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق

سواه وقيل الذي خلق كل شيء خلق الانسان يعني ابن ادم وانما خص الانسان بالذكر من بين ساير المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة من علق جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة روس الاي ايضا اقرا كرره تاكيدا وقيل الاول اقرا في نفسك والثاني اقرا للتبليغ وتعليم امتك ثم استانف فقال تبارك وتعالى وربك الاكرم يعني هو الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جا الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاوه الشي من غير طلب لعوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وتعالى يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذي له الابتدا في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراة والمعنى اقرا وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشر حسنات الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة التي بها تعرف الامور الغايبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرف اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام امر الدين ولا الدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسيل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه علم الانسان ما لم يعلم قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم ادم الاسما كلها وقيل المراد بالانسان هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه وتعالى كلا اي حقا ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ان اي لان راه استغنى اي راى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان اذا اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ان الى ربك الرجعى اي المرجع في الاخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لين رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في

التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطا على رقبته قال فما فجيهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملايكة عضوا عضوا فانزل الله تعالى لا تدري افي حديث ابي هريرة او شي بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وامره بما امره به زاد في رواية فليدع ناديه يعني قومه خ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال ابو جهل لين رايت محمدا يصلي عند البيت لاطان على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملايكة زاد الترمذي عيانا ومعنى ارايت تعجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفايدة التنكير في قوله عبدا يدل على انه كامل العبودية والمعنى ارايت الذي ينهى اشد الخلق عبودية في العبودية وهذا دابه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله ولا يلزم من هذا المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفا مصلحة الا ان ياذن فيه المولى او الزوج ارايت ان كان على الهدى يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى يعني بالاخلاص والتوحيد ارايت ان كذب يعني ابا جهل وتولى يعني عن الايمان وتقدير نظم الاية ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متولي عن الايمان اي عجب من هذا الم يعلم يعني ابا جهل بان الله يرى يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم كلا اي لا يعلم ذلك ابو جهل لين لم ينته يعني عن ايذا محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه لنسفعا بالناصية اي لناخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشي اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الراس والسفع الضرب اي لنضربن وجهه بالنار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطية اي صاحبها كاذب خاطي قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل انتهرني فوالله لاملان عليك هذا الوادي ان شيت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجا ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم ما بها ناد اكثر مني فانزل الله عز وجل

فليدع ناديه قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه اي عشيرته وقومه
فليستنصر بهم واصل النادي المجلس الذي يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه اهله
سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم
سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار اليها بشدة ماخوذ من الزبن وهو الدفع كلا
اي ليس الامر على ما هو عليه ابو جهل لا تطعه اي في ترك الصلاة واسجد اي صل لله
واقترب اي من الله م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعا وهذه السجدة
من عزايم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراءتها
يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اقرا باسم ربك واذا السما انشقت اخرجه مسلم والله اعلم

تفسير سورة القدر

مدنية وقيل انها مكية
والقول الاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل انها اول ما نزل بالمدينة وهي خمس
ايات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
انا انزلناه يعني القران كناية عن غير مذكور في ليلة القدر وذلك ان الله عز وجل انزل
القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السما الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت
العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة
عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقايع والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السما الدنيا
لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم سكن ولنا
سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق
والاجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله
ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله سبحانه وتعالى يظهر ذلك لملائكته ويامرهم
بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه
وليس المراد منه انه يحدثه في تلك الليلة لان الله سبحانه وتعالى قدر المقادير
قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر
الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر
قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضا المقدر وقيل سميت ليلة القدر
لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير اي منزلة وجاه
وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل

سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة

فصل في فضل ليلة القدر

وما ورد فيها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلما
في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت
لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحا الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر
فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول
لان اخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في اخره فالتمسوها في التاسعة
والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها وعامة العلما
والصحابة انها باقية الى يوم القيامة روي عن عبد الله بن كنس مولى معاوية قال
قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل
شهر رمضان استقبله قال نعم ومرة قال ببقايها ووجودها واختلفوا في محلها
فقيل هي متنقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا
وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في اوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري واحمد
واسحاق وابو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان
كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى
هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابي حنيفة وصاحبيه وروي
ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا
عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور
العلما انها في شهر رمضان ثم اختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي هي
اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر وهي الليلة التي كانت صبيحتها
وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي
عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان ذكر الاحاديث الواردة في ذلك
ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان
ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان م عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي
فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى
وعشرين ق عن ابي سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط
فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان
اعتكف فليرجع الى معتكفه واني رايت هذه الليلة ورايتني اسجد في ما وطين فلما

رجع الى معتكفه هاجت السما فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السما من اخر
ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد رايت على انفه وارنبته اثر الما والطين
وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهي التي يخرج من صبيحتها
من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في ليلة القدر انها ثلث
وعشرين حديثا عن عبد الله بن انيس قال كنت في مجلس بني سلمة وانا اصغرهم فقالوا
من يسال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين
من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من
بني سلمة يسالونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة قلت اثنتان وعشرون فقال
هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا وعشرين اخرجه ابو داود وذهب
جماعة من الصحابة وغيرهم الى انها ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي ايضا
خ عن الصنابحي انه سال بلالا هل سمعت في ليلة القدر شيا قال اخبرني بلال موذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر
عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد
الله فمرني بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين فقيل لابنه
كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة
حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق
بباديته اخرجه ابو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة
القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها في ما وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين
فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وان اثر الما والطين على جبهته وانفه
ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين خ عن ابن عباس قال التمسوها
في اربع وعشرين وقيل هي ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة
القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك
عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب احمد م عن زر بن
حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول
من قام السنة اصاب ليلة القدر فقال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان
يحلف لا يستثني والله اني لاعلم اي ليلة هي هي الليلة التي امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس في
صبيحة يومها بيضا لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر
قال هي ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله

قوله

قوله تحروا ليلة القدر وقيل هي ليلة اخر الشهر عن ابن عمر قال سيل رسول الله صلى الله
عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داود وقال ويروى موقوفا
عليه وذكر ليالي مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليلة احد وعشرين وليلة
ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابو داود وعن عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني
ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا بملتمسها لشي سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها لتسع يبقين
او سبع يبقين او في خمس يبقين او ثلاث او اخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي
في العشرين من رمضان كصلاته في ساير السنة فاذا دخل العشر الاخير اجتهد
اخرجه الترمذي خ عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني
خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا
لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان اي تخاصم
رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد
رفع وجودها لم يامر بالتماسها خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين او سبع يبقين يعني ليلة القدر
وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال ابو عيسى روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث
وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين واخر ليلة من رمضان
قال الشافعي كان هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو
ما يسال عنه يقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي
واقوى الروايات فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوي وبالجملة ابهم الله سبحانه
وتعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في
ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى في
الصلوات الخمس واسمه الاعظم في اسمايه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في
جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا
في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة
سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها ق عن عايشة رضي
الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر

احيى الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره وعنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده وعن ابن عمر رضي الله سبحانه وتعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ايضا النساي وابن ماجة قوله سبحانه وتعالى وما ادراك ما ليلة القدر اي اي شي يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تبارك وتعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرايل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر اي التي حمل الاسرايلي فيها السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع ممن يثق به من اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس قبله او ما شا الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته اي لا يبلغون من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله سبحانه وتعالى ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك في الموطا قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة قدر وانما كان كذلك لما يريد الله فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة الوجه الثاني من فضلها قوله سبحانه وتعالى تنزل الملايكة يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المومنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويستغفرون لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم والروح يعني جبريل عليه السلام قاله اكثر المفسرين وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملايكة يصلون ويسلمون على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي وقيل ان الروح طايفة من الملايكة لا تراهم الملايكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر

وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملايكة تلك الليلة فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى سلام هي اي سلام على اوليا الله واهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملايكة في ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملايكة ينزلون فيها كلما لقوا مومنا او مومنة سلموا عليه من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال تعالى سلام هي يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوا ولا يحدث فيها اذى حتى مطلع الفجر اي ان ذلك السلام والسلامة تدوم الى مطلع الفجر والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة لم يكن

وتسمى البينة مدنية قاله الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلثمايه وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين اي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه في دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون وهم اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله سبحانه وتعالى الجنسين في قوله سبحانه وتعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زايلين حتى تاتيهم البينة اي حتى اتتهم لفظه مضارع معناه الماضي والبينة الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقران فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجهالة ودعاهم الى الايمان فامنوا فانقذهم الله به من الجهل والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثته اليهم والاية فيمن امن من الفريقين قال الواحدي في بسيطه وهذه الاية من اصعب ما في القران نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلما قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يخلص كيفية الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتها الغاية فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال سبحانه وتعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجي الرسول فحينيذ يحصل بين الاية الاولى والثانية مناقضة

في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها
الوجه الذي لحظه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب
وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن
عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود به الذي هو مكتوب في التوراة
والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله سبحانه وتعالى عنهم ما كانوا يقولونه
ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق
والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجي
الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما انا
فيه حتى يرزقني الله الغنا فيرزقه الله الغنا فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم
تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره
ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى
حرف واحد وهو ان قوله سبحانه وتعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى
تاتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وهو قوله سبحانه وتعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع كان خلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الاية
لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول
الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة في شيء وذكروا وجوها اخر
قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى **رسول من الله** اي تلك البينة
رسول من الله **يتلوا** اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم **صحفا** اي كتبا يريد ما تضمنه
المصحف من المكتوب فيه وهو القران لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرا عن ظهر قلبه
لا عن كتاب **مطهرة** اي من الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة عن القبيح
وقيل مطهرة مكرمة معظمة وقيل مطهرة اي لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون
فيها اي في الصحف **كتب** اي الايات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم **قيمة**
اي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قايمة مستقلة بالحجة
من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يومن من اهل الكتاب
فقال تعالى **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم **الا من بعد
ما جاءتهم البينة** يعني جاءهم البينات في كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون
لم تزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله
فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه فامن به بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر
ما امروا به في كتبهم فقال تعالى **وما امروا** يعني هولاء الكفار **الا ليعبدوا الله** اي وما

امروا

امروا الا ان يعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا في التوراة والانجيل الا باخلاص
العبادة لله موحدين له **مخلصين له الدين** الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها
عن شوايب الريا وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتدا الفعل
الى انتهايه والمخلص هو الذي ياتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية
الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مامور به
فلا بد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار النية في جميع المامورات قال اصحاب
الشافعي الوضو مامور به ودلت هذه الاية على ان كل مامور به يجب ان يكون
منويا فتجب النية في الوضو وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان ياتي بالفعل
لوجه الله تعالى مخلصا له لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا اخر حتى قالوا
في ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لا بد من
ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية
قيل وفي معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضى
الله تعالى بالعبادة م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله سبحانه وتعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم
حنفا اي مايلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه
السلام وقيل حنفا اي حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة
وانفاق مال وقيل حنفا اي مختونين محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف الذي
امن بجميع الانبيا والرسل ولم يفرق بين واحد منهم فمن لم يومن بافضل الانبيا
وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف **ويقيموا الصلاة** اي المكتوبة في اوقاتها
ويوتوا الزكاة اي المفروضة عند محلها **وذلك** اي الذي امروا به **دين القيمة** اي الملة
المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهي نعت لاختلاف
اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل
القيمة الكتب الذي جرى ذكرها اي وذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة
جمع القيم والقيمة والقايم واحد والمعنى وذلك دين القايمين لله بالتوحيد
واستدل بهذه الاية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله سبحانه وتعالى ذكر
الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام
والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين ثم ذكر ما للفريقين فقال **ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين** فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم اعظم في حق

رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم كانوا يستفتحون به قبل مبعثه ويقرون
بنبوته فلما بعث انكروه وحسدوه مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين
فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين
انكروا الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين
في العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب الرفعة في الدنيا بانكارهم نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا وادخلهم اسفل السافلين في الاخرة ولا يمنع
من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب في نار جهنم خالدين
فيها اولئك هم شر البرية اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب
كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قال بل يبقون خالدين فيها فكانهم قالوا لم
ذلك قال لانكم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية يعني
انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا
عنه قيل الرضى ينقسم الى قسمين رضى به ورضى عنه فالرضى به ربا ومدبرا والرضى
عنه فيما يقضي ويقدر قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضى عنك
وقيل رضي اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة ذلك اي هذا الجزاء والرضى
عنه لمن خشي ربه اي لمن خاف ربه في الدنيا وتناهى عن المعاصي ق عن انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان الله عز وجل امرني ان اقرأ عليك
لم يكن الذين كفروا قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية للبخاري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لابي بن كعب ان الله سبحانه وتعالى امرني ان اقريك القران قال الله سماني لك
قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه شرح الحديث
اما بكاء ابي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة العظيمة واعطائه
المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه
والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة
وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة
بالقراءة فلانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال
يقتضي الاختصار واما الحكمة في امر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابي هي ان
يتعلم ابي القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم وصيغة اسلوب الوزن المشروع وقدره
بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته على ابي ليتعلم ابي منه لا ليتعلم

هو من ابي وقيل انما قرأ على ابي ليعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف
الشريف وصاحب المرتبة العالية ان يتعلم القران ممن هو دونه وفيه تنبيه على
فضل ابي والحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه
وسلم راسا واماما في القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين
والله اعلم

تفسير سورة الزلزلة

مكية وقيل مدنية وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون
حرفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت
تعدل ثلث القران وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وله عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت
له ربع القران ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له ثلث القران وقال حديث غريب
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها اي تحركت
حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة
صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على
ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين
انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيامة واخرجت الارض
اثقالها فمن قال ان الزلزلة تكون في الدنيا قال اثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفائن
والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان
من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا
قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون منه
شيئا اخرجه مسلم الافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المقطوعة المستطيلة شبه
ما يخرج من باطنها بافلاذ كبدها لان الكبد مستور في الجوف وانما خص الكبد لانها من
اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للاخراج ومن قال بان الزلزلة
تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان في
بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سمي الانس والجن الثقلين
لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا وقال الانسان ما لها اي ما لها زلزلت هذه الزلزلة
العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان قولان احدهما انه اسم جنس يعم المومن
والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت

لم يعلم الكل لها من اشراط الساعة فيسال بعضهم بعضا عن ذلك والثاني انه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المومن عارف بها فلا يسال عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سال عنها وقيل مجاز الاية **يومئذ تحدث اخبارها** فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير او شر فتشكو على العاصي وتشهد عليه وتشكر الطايع وتشهد له عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **بان ربك اوحى لها** اي امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى اليها قيل ان الله سبحانه وتعالى يخلق في الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امر الله به وهذا مذهب اهل السنة قوله سبحانه وتعالى **يومئذ يصدر الناس** اي عن موقف الحساب بعد العرض **اشتاتا** اي متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار **ليروا اعمالهم** قال ابن عباس ليروا جزا اعمالهم وقيل معناه ليروا صحايف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله سبحانه وتعالى **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره** اي وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد خيرا يره **ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** قال ابن عباس ليس من مومن ولا كافر عمل خيرا وشرا في الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المومن فيرى حسناته وسياته فيغفر الله له سياته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسياته قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا من مومن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر وقيل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه فكان احدهما ياتيه السايل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشي يوجر عليه انما يوجر على ما يعطي ونحن نحبه وكان الاخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكباير وليس في هذا اثم فانزل الله هذه الاية يرغبهم في القليل من الخير يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكبر والاثم

الصغير في عين صاحبه فانه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود احكم اية في القران فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية الجامعة الفاذة حين سيل عن زكاة الحمير فقال ما انزل علي فيها شي الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة رضي الله تعالى عنهما كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة **قلت** انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرما الصحابة رضي الله تعالى عنهما قال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ اخرها قال حسبي انتهت الموعظة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والعاديات

مكية في قول ابن مسعود وغيره ومدنية في قول ابن عباس وغيره وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة وماية وثلاثة وستون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **والعاديات ضبحا** فيه قولان احدهما انها في الابل في الحج قاله علي وابن مسعود قال علي تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت اول غزاة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف يكون ضبحا ضبحا وموهما اعناقها في السير واصله من حركة النار في العود **فالموريات قدحا** يعني ان اخفاف الابل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا اخر فيوري النار وقيل هي النيران بجمع **فالمغيرات صبحا** يعني الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا تدفع حتى تصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير **فاثرن به نقعا** اي هيجن بمكان سيرها غبارا **فوسطن به جمعا** اي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله سبحانه وتعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض بمن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس شي من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب او فزع ومن قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعني انها توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تاوي بالليل فيورون اصحابها نارهم ويصنعون طعامهم

وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان نقعا اي غبارا فوسطن به جمعا اي دخلن به اي بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن يعدون وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الايات اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايرا النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله سبحانه وتعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى ان الانسان لربه لكنود وهذا جواب القسم قال ابن عباس الكنود الجحود لنعم الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصايب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير ماخوذ من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذي انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساة وانه على ذلك لشهيد قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا الشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع وانه يعني الانسان لحب الخير يعني المال لشديد اي لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد افلا يعلم يعني هذا الانسان اذا بعثر اي اثير واخرج ما في القبور يعني من الموتى وحصل ما في الصدور اي ميز وابرز ما فيها من خير وشر ان ربهم بهم انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس يومئذ لخبير اي عالم والله سبحانه وتعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر في قوله سبحانه وتعالى وحصل ما في الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادة التي في القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة القارعة

مكية وهي ثمان ايات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل القارعة اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اي شدايده والقارعة من اسما القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع الشديد

وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلايق من شدة صوت نفخته ما القارعة تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع في الهول والشدة وما ادراك ما القارعة معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم احد وكيف ما قدرت امرها فهي اعظم من ذلك يوم يكون الناس كالفراش المبثوث الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لتفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الاخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفرا كغوغا الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد في الكثرة يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف المندوف وذلك انه تتفرق اجزاوها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم سبحانه وتعالى بين حال الناس وحال الجبال كانه سبحانه وتعالى نبه على ان تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق الى قسمين فقال تعالى فاما من ثقلت موازينه يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيوتى بحسنات المومن في احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له ويوتى بسيات الكافر في اقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المومنين فمن ثقلت حسناته على سياته دخل الجنة ومن ثقلت سياته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه فيدخله الجنة بفضل رحمته واما الكفار فقد قال تبارك وتعالى في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا وقوله سبحانه وتعالى فهو في عيشة راضية اي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضى يرضاها صاحبها واما من خفت موازينه اي رجحت سياته

على سيآته فامه هاوية اي مسكنه النار سمي المسكن اما لان الاصل في السكون الى الامهات وقيل معناه فام راسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسما النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رووسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت امه اي هلكت حزنا وثكلا وما ادراك ما هيه يعني الهاوية ثم فسرها فقال تبارك وتعالى نار حامية اي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وبذاته وصفاته وعظمته وجلاله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم منها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التكاثر

مكية وهي ثمان ايات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الهاكم التكاثر اي شغلكم المفاخرة والمباهات والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشي اعرض عن غيره فينبغي للمومن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقربا تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذموم ما روي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية الهاكم التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ق عن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله حتى زرتم المقابر اي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الاية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قيل نزلت هذه الاية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو فكان بينهم تفاخر فتعادوا السادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا القول اشبه بظاهر القران لان قوله

سبحانه وتعالى حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى فكانه سبحانه وتعالى يعجبهم من انفسهم ويقول هب انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله سبحانه وتعالى عليهم فقال كلا اي ليس الامر كما يتوهمه هولا بالتكاثر والتفاخر وقيل معناه سوف تعلمون وعيد لهم ثم كلا سوف تعلمون كرره تاكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المومنين وصاحب هذا القول كان يقرا الاولى بالياء والثانية بالتاء كلا لو تعلمون علم اليقين اي علما يقينا وجواب لو محذوف المعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت لترون الجحيم اللام يدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وانهم اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم عن بعد ثم لترونها يعني مشاهدة عين اليقين وقيل انما كرر الروية لتوكيد الوعيد ثم لتسالن يومئذ عن النعيم يعني كفار مكة في الدنيا في الخير والنعيم والنعمة فيسالون يوم القيمة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره فيسالهم عن ذلك وقيل ان هذا السوال يعم الكافر والمومن وهو الاولى لكن سوال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم به عليه والمومن يسال سوال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم به عليه واطاع ربه فيكون السوال في حقه تذكيرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قام الزبير قال يا رسول الله واي نعيم نسال عنه وانما هما الاسودان التمر والما قال اما انه سيكون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسال العبد عنه فروي عن ابن مسعود رفعه قال لتسالن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسال عنه العبد يوم القيامة من النعم فيقال الم نصح لك جسمك ونروك من الما البارد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا بابي بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال انا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الما
اذ جا الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد
لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب
فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح
لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن عن هذا النعيم يوم القيمة
اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذي
بالطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وما بارد وروي عن ابن عباس قال
النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسال الله العبيد فيما استعملوها وهو
اعلم بذلك منهم وقيل يسال عن الصحة والفراغ والمال اخ عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة
والفراغ وقيل الذي يسال العبد عنه هو القدر الزايد على ما يحتاج اليه فانه لا بد لكل
احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسال عن تخفيق الشرايع وتفسير القران
وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسال عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله
عليه وسلم الذي انقذكم به من الضلالة الى الهدى والنور وامتن به عليهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والعصر

مكية قال ابن عباس والجمهور وقيل هي مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشرة كلمة
وثمانية وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والعصر
قال ابن عباس والدهر قيل اقسم الله به لما فيه من العبر والعجايب للناظر وقد ورد
في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوايب والنوازل
الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوايب
والنوازل كان بقضا الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر
الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما ظرفان
لاعمال الانسان وقيل اراد بالعصر اخر طرفي النهار اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى
وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول
بدليل قوله سبحانه وتعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقيل هي
صلاة العصر وكذا هو في مصحف عايشة وحفصة والصلاة الوسطى صلاة
العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله
وقيل اراد بالعصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه

في قوله سبحانه وتعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان
زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله سبحانه وتعالى ان الانسان
لفي خسر اي لفي خسران ونقصان وقيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم
كثر الدرهم في ايدي الناس اي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان
الخسران هو تضييع وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة
في طاعة او معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت
في طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل
تضييع وخسران فبان بذلك انه لا ينفك احد عن خسران وقيل ان سعادة الانسان
في طلب الاخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الاخرة
خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس
مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم
بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المومنين فقال تبارك
وتعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما مر
من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر
وفساد وهلاك وتواصوا اي وصى بعض المومنين بعضا بالحق يعني بالقران والعمل بما فيه
وقيل بالايمان والتوحيد وتواصوا بالصبر اي على ادا الفرايض واقامة امر الله
وحدوده وقيل اراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين
امنوا فان الله يكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم
وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله اعلم بمراده

تفسير سورة الهمزة

مكية وهي تسع ايات وثلاث وثلاثون كلمة وماية وثلاثون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اي قبوح وقيل هو اسم واد في جهنم لكل همزة لمزة
قال ابن عباس هم المشاون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرا العنت
وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس قال الشاعر لبعضهم
اذا لقيتك عن كره تكاشرني • وان تغيبت كنت الهامز اللمزة • وقيل
بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك
في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة
الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل

الهمز الذي يوذي بسوء اللفظ واللمز الذي يومز بعينه ويشير براسه ويرمز
بحاجبه وقيل الهمزة الطعان على الناس واللمزة الطعان في انسابهم
وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى الاصل الواحد وهو الطعن واظهار
العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشي بالعنف والمراد منه هنا الكسر
من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم
وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم وهما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي
يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في الاخنس
ابن شريق بن وهب كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحاق ما زلنا نسمع ان
سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب
النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وايل
السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب
لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ
عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف
الاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى الذي جمع مالا
انما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو
باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة
الى ما هو اكثر منه كالشي الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل
ان يفتخر بالشي الحقير وعدده اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة اي استعده
وجعله ذخيرة وعتادا له يحسب ان ماله اخلده اي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت
ليساره وغناه قال الحسن ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من
الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في
الدنيا ولا يموت كلا رد عليه اي لا يخلده ماله بل المخلد ذكره العلم والعمل الصالح
ومنه قول علي مات خزان المال وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر وقيل معناه
حقا لينبذن واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم
ومعنى لينبذن ليطرحن في الحطمة اي في النار وهو اسم من اسمايها مثل سقر ولظى
وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها
والمعنى يا ايها الهمزة اللمزة الذي ياكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة
التي تاكل اللحوم وتكسر العظام وما ادراك ما الحطمة اي نار لا كسائر النيران
نار الله انما اضافها اليه سبحانه وتعالى على سبيل التفخيم والتعظيم لامرها الموقدة

اي لا تخمد ابدا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي قال
ويروى عن ابي هريرة موقوفا وهو اصح التي تطلع على الافئدة اي يبلغ المها ووجعها
القلوب والمعنى انها تاكل كل شي حتى تنتهي الى الفواد وانما خص الفواد بالذكر لانه
الطف شي في بدن الانسان وانه يتالم بادنى شي فكيف اذا طلعت عليه واستولت
به ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل
انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقايد والنيات الفاسدة انها عليهم
موصدة اي مطبقة مغلقة في عمد ممددة قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم
بعماد وفي اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها
عمد يعذبون بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى انها
مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الابواب ثم سدت باوتاد من حديد
من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح
والممددة من صفة العمد اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار
وحرها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفيل

مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وكانت قصة اصحاب الفيل على
ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره
الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من
الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارياط في امر الحبشة حتى انصدعوا
صدعين فكانت طايفة مع ارياط وطايفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة
ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة
راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعا وكتب
الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعا كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى
اصرف اليها حج العرب فسمع به مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها فقعد فيها ولطخ بالعذرة
قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترى علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل
ذلك البيت فسمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة ثم يهدمها فكتب
الى النجاشي يخبره بذلك وساله ان يبعث اليه بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا

لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا
الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه وراوا جهاده حقا
عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله
فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقني فان بقاي خير لك من
قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد
خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبايل
اليمن فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل ايها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا
خلاف انما تريد البيت بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال
مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث
ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره
بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب
ماتي بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميري الى اهل مكة فقال سل عن شريفها
ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره اني لم ات لقتال انما جيت لاهدم هذا
البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك
ارسلني اليك لاخبرك انه لم يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جا لهدم هذا
البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا به يد
انا سنخلي بينه وبين ما جا له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم
عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخلي بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به
قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلما انه اردفه على بغلة كان عليها
وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب
فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غنا فيما نزل بنا فقال ما غنا رجل اسير
لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث الى انيس سايس الفيل فانه لي صديق
فاساله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك
عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير
مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في روس الجبال وقد اصاب الملك له ماتي
بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي احب ما وصل اليه
من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير
مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في روس الجبال يستاذن في الدخول
عليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك فقد جا غير ناصب لك ولا مخالف عليك

فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما راه ابرهة اعظمه واكرمه
وكره ان يجلس على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه
فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان
ذلك له فقال عبد المطلب حاجتي الى الملك ان يرد علي ماتي بعير اصابها لي
فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت فيك
قال لم قال جيت الى بيت هو دينك ودين ابايك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه
لم تكلمني فيه وتكلمني في ماتي بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه
الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فانت
وذلك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا
الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في روس الجبال خوفا عليهم من
معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا • يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا • امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال

اللهم ان المرء يمنع رحله • وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم • ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم • والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم • بغيا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا • فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة
بالمغمس قد تهيا للدخول وعبا جيشه وهيا فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم
والقوة ويقال كانت معه اثنى عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ
اذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جيت فانك ببلد الله الحرام
فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فادخلوا محاجنه تحت مراقه ومرافقه
ونزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى قدامه ففعل
مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم
وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله عز وجل طيرا من البحر امثال
الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره
امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة

احدا الا هلك وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق
الذي جاوا منه ويسالون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل
ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل الازدي • ركابنا نحو الثرى ردينا
نعما كم على البحر انجينا • فانك لو رايت ولن تراه • لدى جنب المحصب ما راينا
حمدت الله اذ ابصرت طيرا • وحصب حجارة تلقى علينا • وكلهم يسايل عن نفيل •
كان على للحبشان دينا • وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل
طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله سبحانه وتعالى على ابرهة دا في جسده
فجعل يتساقط اناملة كلما سقطت انملة اتبعها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعا
وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه
ثم هلك قال الواحدي واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا
والفيل الاخر شجعوا فحصبوا اي رموا بالحصبا وقال بعضهم انفلت ابو يكسوم
وزير ابرهة وتبعه طير يحلق فوق راسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما
انهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول امية
ابن ابي الصلت شعر • ان ايات ربنا بينات • ما يماري فيهن الا الكفور •
حبس الفيل بالمغمس حتى • ظل يحبو كانه معقور • وروي عن عايشة رضي الله
عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن
سليمان ان السبب الذي جر اصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى
ارض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل
فنزلوا فاججوا نارا واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف
فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف غضبا
للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه انه كان بمكة يومئذ ابو مسعود
الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطايف ويشتي بمكة وكان رجلا نبيها
نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب
ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رايك فقال ابو مسعود اصعد بنا
الى حرا فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى ماية من الابل
فاجعلها لله وقلدها نعلا ثم ابثها في الحرم فلعل بعض السود ان يعقر منها شيا
فيغضب رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى
تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود
ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت واراد هدمه

فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه
ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشات من شاطي
البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها فقال اراها قد دارت على رؤوسنا قال هل تعرفها قال
والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال
اشباه اليعاسيب في مناقرها حصى كانها حصى الخذف قد اقبلت كالليل يكسع بعضها
بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا
حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما في
مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة من حيث
جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يونسا احدا ثم
دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم ساهدين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر
القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه
ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب
فاخذ فاسا من فوسهم فحفر حتى اعمق في الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر
لصاحبه مثله فملاه ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شيت حفرتي وان شيت
حفرتك وان شيت فهما لك معا فقال ابو مسعود فاختر لي على نفسك فقال عبد
المطلب اني لم ارل اجعل جود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرته
ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا واصابوا من فضلهما حتى ضاقوا وساد عبد
المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهليهما
في غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل
كان قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة
والاصح الذي عليه الاكثرون من علما السير والتواريخ واهل التفسير انه كان في العام
الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى
الم اي الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها
كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكانه صلى
الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تقدس وتعالى كيف فعل ربك باصحاب
الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانت افيلة ثمانية وقيل اثني عشر وانما وحده
لانه ينسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الاي
وفي قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته لانه يستحيل
في العقل ان طيرا تاتي من قبل البحر تحمل حجارة وترمي بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة

عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله سبحانه وتعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك لنصر محمد صلى الله عليه وسلم فكانه سبحانه وتعالى قال انا الذي فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لمقدمك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك وقوله سبحانه وتعالى الم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في تضليل اي تضييع وخسار وابطال لما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا هو قوله سبحانه وتعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل يعني طيرا كثيرا متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل ابابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طاير ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه ووجه الجمع بين هذه الاقاويل في اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه عن صفاتها والله اعلم وقوله تعالى ترميهم بحجارة قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله سبحانه وتعالى ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الاخر واذا وقع على راسه خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل سجيل حجر وطين مختلطه واصله من سنك وكيل فارسي معرب وقيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف ماكول يعني كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاوه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحبة اذا اكل وصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله اعلم

تفسير سورة قريش

مكية وقيل مدنية والاول اصح وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاث وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لايلاف قريش اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله سبحانه وتعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة فقال تعالى فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش اي اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما واجيب عن مذهب ابي في جعل هذه السورة والتي قبلها سورة واحدة بان القران كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان وعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله تعالى لايلاف قريش فقيل هي لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فهو كقولك على وجه التعجب لزيد واكرامنا اياه اي اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من الف الشي الفا وهو بمعنى الايتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فيتصلا ولا ينقطعا وقيل هو من الف كذا اي لزمه والفنيه الله اي الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي م عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم م عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فاذق اخرهم نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال تقرش لعياله ويقترش لهم اي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانة سال معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر هي من اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشي من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل

ولا توكلوا ونغلوا ولا نغلي قال وهل تعرف ذلك العرب في اشعارها قال نعم وانشده
شعر الجمحي فقال وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش يأكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيلة ورجالا يحشرون المطي حشرا كميشا
قيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه
مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا اجتمعوا وسمي
قصي مجمعا لذلك قال الشاعر ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبايل من فهر
وقوله سبحانه وتعالى ايلافهم هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة
فيه رحلة الشتاء والصيف قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطايف
فامرهم الله سبحانه وتعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون
كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها ادفا ورحلة في الصيف
الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم
ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته
وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا
الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصب
تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن
الى مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فالقى اهل الساحل بجده واهل البر بالمحصب
واخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم
الله مونة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين
فكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي كان
اول من حمل السمرا يعني القمح من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر
قل للذي طلب السماحة والندا هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم منعوك من ضر ومن اكفاف
الرايشين وليس يوجد رايش والقايلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقايلين بكل وعد صادق والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين بينهما له ولقومه سفر الشتاء ورحلة الاصياف
وقوله سبحانه وتعالى فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع الضر
وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب النفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما دفع الله
سبحانه وتعالى عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية
واداء الشكر وقيل انه سبحانه وتعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم بان يشتغلوا بعبادة
رب هذا البيت فانه هو الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر
والبحر وقيل في الاية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف عليه السلام فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد فقالوا
يا محمد ادع الله لنا فانا مومنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد
واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله سبحانه وتعالى الذي اطعمهم من جوع
وامنهم من خوف اي بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد في رحلتهم وقيل امنهم
من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل امنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم

تفسير سورة ارايت

مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وايل والنصف الثاني بالمدينة في عبد
الله بن ابي بن سلول المنافق وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة
وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ارايت الذي يكذب
بالدين قيل نزلت في العاص بن وايل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو
بن عايذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الاية
هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم
لفظ ارايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو
خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت يا ايها
الانسان او يا ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله ووضوح بيانه
فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه وماله بالظلم
وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به
وقرئ يدع بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة ولا يحض على طعام المسكين
اي لا يطعمه ولا يامر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله
وبمال غيره فلا يامر غيره بالاطعام وقوله سبحانه وتعالى فويل للمصلين يعني المنافقين
ثم نعتهم فقال تبارك وتعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون روى البغوي بسنده عن سعد
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت

قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية
اذا حضروا معهم لقوله سبحانه وتعالى الذين هم يراؤن وقال سبحانه وتعالى في صفة
المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساهون عنها لا يبالي صلى
ام لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون
عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل
هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال الله سبحانه وتعالى
عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق
بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سهى في صلاته
تدارك في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة
هو ان يبقى ناسيا ذكر الله في جميع اجزا الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي
يعتقد انه لا فايدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فايدة صلاته وانها عليه
واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة
بمعنى انه يصير ساهيا في بعض اجزا الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان
او حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا
الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو في الصلاة من افعال المؤمن الذين هم
يراؤن يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي
ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع
ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدي به ويامن على
نفسه من الريا فلا باس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تبارك وتعالى ويمنعون
الماعون روي عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه
ذلك ان الله سبحانه وتعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة
وقال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس
ويدل عليه ما روي قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو
والقدر اخرجه ابو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة
المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظي المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما
بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فتسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من
كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الما والملح والنار ويلتحق بذلك البير والتنور
في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الاية الزجر عن البخل بهذه الاشيا القليلة
الحقيرة فان البخيل بها في نهاية البخل قال العلما ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج
اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الكوثر

مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة
وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه
وسلم وقيل الكوثر هو القران العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة
اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس خ عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير
ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله
اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شي كثير في العدد وكثير القدر والخطر
كوثرا وقيل الكوثر الفضايل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جا في
تفسير الكوثر فقد اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم اعطي النبوة والكتاب والحكمة والعلم
والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة
واولى الاقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلما انه نهر في الجنة كما جا مبينا في الحديث
م عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاة ثم رفع
راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن
الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر
قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي
يوم القيامة انيته عدد نجوم السما فيختلج العبد منهم فيقول يا رب انه من امتي فيقول ما تدري
ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السما
اتيت على نهر حافتاه قباب اللولو المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي
اعطاك ربك فاذا طينه او طينته مسك اذفر شك الراوي عن انس رضي الله عنه قال سيل
النبي صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب ومجراه على الدر والياقوت
تربته اطيب من المسك وماوه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح خ عن عامر بن عبد الله بن مسعود قال سالت عايشة رضي الله عنها
عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم
شاطياه در مجوف انيته كعدد نجوم السما ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماوه ابيض من اللبن وريحه

اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السما من شرب منه لا يظما ابدًا زاد في رواية
ورواياه سوا عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
امامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام
بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفي رواية فيه اباريق كنجوم السما من ورده شرب منه
شربة لم يظما بعدها ابدا وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما بين ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي كما بين صنعا والمدينة وفي رواية مثل ما بين
المدينة وعمان وفي رواية قال ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعا اليمن وان فيه من
الاباريق كعدد نجوم السما وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما انية الحوض قال والذي
نفسي بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السما وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية انية
الجنة من شرب منها لم يظما اخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل
طوله ما بين عمان الى ايلة وماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن ثوبان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لبعقر حوضي اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي
حتى يرفض عليهم فسيل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسيل عن شرابه فقال اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب
والاخر من ورق وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني
فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك وعن انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا
الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فليقالن لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك
وفي رواية ليردن على ناس من امتي الحديث وفي اخره فاقول سحقا لمن بدل بعدي
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على الحوض يوم
القيامة رهط من اصحابي او قال من امتي فيجلون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي فيقول
انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل
الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون
علي غرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن عني طايفة منكم فلا يصلون فاقول يا رب
هولا من اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدرون ما احدثوا بعدك وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاذودن رجالا
عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض وعن حذيفة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن والذي نفسي بيده لاذودن عنه الرجال كما يذود

الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين
من اثار الوضوء ليست لاحد غيركم وعن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم الا جزء من مايه الف جزء ممن يرد علي الحوض
قال كنتم يوميذ قال سبعماية او ثمانماية اخرجه ابو داود

فصل

في شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين النواوي قال
القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان
وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر
النقل رواه خلايق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابي سعيد وسهل بن سعد
وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وابي سعيد وعايشة وام سلمة وعقبة بن عامر
وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابي ذر وثوبان وانس وجابر بن
سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر الصديق وزيد بن ارقم وابي امامة وعبد الله
ابن زيد وسويد بن عقلة وعبد الله الصنابحي والبرا بن عازب واسما بنت ابي بكر الصديق
وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين النواوي ورواه البخاري ومسلم ايضا
من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعايذ بن عمرو واخرين وقد
جمع ذلك كله الامام الاعظم الحافظ ابو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور باسانيده
وطرقه المتكاثرات **قلت** وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن
تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وما
انفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسما بنت ابي بكر الصديق
فذكرهما القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض
هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية
حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح وفي رواية كما بين
ايلة وصنعا اليمن وفي رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان
حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس
موجبا للاضطراب فيها لانه لم يات في حديث واحد بل في احاديث مختلفة الرواة عن
جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي
صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين
لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للاعلام السامعين
عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافات منع من الكثير
فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت به الرواية والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة

بينهما وكذلك القول في آنية الحوض ان العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها اكثر
عددا من نجوم السما ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة
بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم
ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور
وانما ضرب به مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم
من ورد شرب فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون
الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب
انه من امتي فيقول انك لا تدري ما احدث بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت
لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك
ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه
والمراد به من هم فقيل المراد به المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل
انهم اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هولا
ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك اي لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من
اسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن ابي بكر الصديق وهم الذين
قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان
يعرف منهم ايام حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين
لم يخرجوا ببدعتهم من الاسلام واصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم
يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لا يطردون لا يقطع لهولا المطرودين
عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير
عذاب وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر اصحاب
الاهوا فهو من المطرودين عن الحوض وكذا الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون
بالكبائر فكل هولا يخاف ان يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظما ابدا
قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار
ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظما بل
يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا
وقيل ان جميع المومنين ياخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله تعالى من يشا من عصاتهم
وقيل انما ياخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله **شرح**
غريب الفاظ الاحاديث قوله فيختلج العبد منهم اي ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين
جنبيه كما بين جربا واذرح اما جربا فبجيم مفتوحة ثم را ساكنة ثم با موحدة ثم الف مقصورة

ووقع

ووقع عند بعض رواة البخاري فيها المد والقصر ولي وهي قرية من الشام واما
اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة مفتوحة ثم را ثم حا مهملتين وهي مدينة في طرف الشام قريب
من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقا من ارض الشام
واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان اليا المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف
الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر والمدينة بينها وبين المدينة
نحو خمسة عشر مرحلة وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنى عشر مرحلة وهي اخر الحجاز
واول الشام واما صنعا فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيدها باليمن في الحديث
لان بدمشق موضع يعرف بصنعا دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات
والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح اليا المثناة تحت وبالشين
والخا المعجمتين اي يسيل فيه وفي الحديث الاخر يغت بفتح اليا وبالغين المعجمة
وكسرها وتشديد التا المثناة فوق اي يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا
وقوله لبعقر حوضي بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض
اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض اذود الناس لاهل اليمن بعصاي حتى ترفض عليهم
معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض اي يسيل عليهم وفيه منقبة
عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفا والرا هو الذي يتقدم
على الوارد ليصلح لهم الحياض والدلا ونحوها من امور الاستقا والمعنى انا سابقكم الى
الحوض كالمهيي له قوله فاقول سحقا اي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال
للمومن سحقا بل يشفع **قلت** في حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر
مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفا اغفاة
يعني نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم قوله سبحانه وتعالى فصل لربك وانحر
معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله فامر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يصلي له وينحر له متقربا اليه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة
العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع
وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اي ضع يدك اليمنى على الشمال
في الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي
ومعنى الاية قد اعطيناك ما لا نهاية لكثرته من خيري الدارين وخصصناك بما
لم نخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذي اعطاك هذا العطا الجزيل والخير الكثير
واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه
عليك وانحر البدن متقربا اليه ان شانئك يعني عدوك ومبغضك هو الابتر يعني
هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه راى النبي صلى الله

عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند بني سهم وتحدثا واناس من
صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث
معه فقال ذلك الابتر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وايل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله سبحانه
وتعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك
انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت
سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم خير
منه فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت
الاية ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانيك هو الابتر اي المنقطع من كل خير
قولهم في النبي هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه
بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج في اصل
اخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخل تضر بها ودواوها
ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد كفار قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة
صنبور نبت في جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة وكذا محمد اذا مات
انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا
ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله سبحانه وتعالى في ذلك ورد عليهم اشنع رد
فقال عز من قايل ان شانيك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت
الاعز الاشرف الافضل والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة قل يا ايها الكافرون

مكية وهي ست ايات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت بنصف القران
ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت
له بثلث القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال
فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القران ان القران مشتمل
على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق
بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهي عن
عبادة غير الله وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة
ربع القران على هذا التفسير والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي

والعاص

والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد
وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله
نعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جيت به خيرا كنا قد شركناك
واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت
بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم
بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله سبحانه
وتعالى قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد
الحرام وفيه اوليك الملا من قريش فقام على رووسهم ثم قراها عليهم حتى فرغ من السورة
فايسوا منه عند ذلك واذوه واذوا اصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل
لو ان ابن اخيك استلم بعض الهتنا لصدقناه فيما يقول ولامنا بالهه فاتاه العباس
فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل في ابي جهل والمستهزين ومن لم يومن منهم
ومعنى قل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ جميع ما اوحي اليه فلما قال الله سبحانه
وتعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام
فكانه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل علي وكان فيما نزل عليه قل وقيل
ان النفوس تابى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة
بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله وقد انزل علي
قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله قل يا ايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في
علم الله سبحانه وتعالى انهم لا يومنون لا اعبد ما تعبدون في معنى الاية قولان احدهما
انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل في المستقبل ما تطلبونه
مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلبه
منكم من عبادة الهي ثم قال سبحانه وتعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي ولست في الحال بعابد
معبودكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل
ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما ان يكون للحال
والاستقبال ولكن يختص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه سبحانه وتعالى
اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون في
الحال ولا انتم عابدون ما اعبد في الحال ولا انا عابد ما عبدتم في الاستقبال ولا
انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وما بمعنى من اي من تعبدون ويحتمل ان تكون
بمعنى الذي اي الذي تعبدون القول الثاني حصول التكرار في الاية فعلى هذا القول
ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة فيه الى التاكيد اشد كان التكرار احسن
ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم

في هذا المعنى مرادا حسن التاكيد والتكرار في هذا الموضع لان القران نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم لكم دينكم ولي دين اي لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وهذه الاية منسوخة باية القتال والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النصر

مدنية وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جا نصر الله والفتح يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحاق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى اذا انحازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش ليلة اذ بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل ابن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا الاه اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكان في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ممن هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال • يا رب اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا • قد كنتم ولدا وكنا والدا • ثم اسلمنا فلم ننزع يدا • فانصر هداك الله نصرا ايدا • وادع عباد الله ياتوا مددا • فيهم رسول الله قد تجردا • ان سيم خسفا وجهه تربدا • في فيلق كالبحر يجري مزبدا • ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك الموكدا • وجعلوا لي في كداء رصدا •

وزعموا

وزعموا ان لست ادعو احدا وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السما فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقا في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابي سفيان وقد جاكم ليشد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقا واصحابه حتى لقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جا بالمدينة لقد علف بها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فراى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جا بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس فلم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم عليه ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندهما الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك امس القوم بي رحما واقربهم مني قرابة وقد جيت في حاجة فلا ارجعن كما جيت خايبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفيان لقد اعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد صلى الله عليه وسلم هل لك ان تامري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر قالت والله ما يبلغ بنيي ذلك ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا حسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما اعلم شيا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيا قال لا والله ما اظن

ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال يا ايها الناس اني قد
اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم علي قريش قالوا ما وراك قال جيت
محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيا ثم جيت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جيت
ابن الخطاب فوجدته اعدا القوم ثم اتيت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار
علي بشي صنعته فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيا ام لا قالوا وماذا امرك قال امرني ان
اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد علي
ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر علي ابنته عايشة
وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بنية امركم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه ساير الي مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ
العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة
كتابا الي قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته
في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف علي المدينة
ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
عامدا الى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران
في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد فلما نزل مر الظهران
وقد عميت الاخبار عن قريش فلا ياتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون
ما هو فاعل وخرج في تلك الليالي ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا
يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد
المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا
بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة علي سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض
فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس واصباح قريش والله لين دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه فيستامنوه انه لهلاك قريش الي اخر الدهر
قال فجلست علي بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضا فخرجت عليها حتى جيت الاراك
لعلي اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنونه قبل ان يدخلها عليهم عنوة قال العباس
فوالله اني لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقا وهما
يتراجعان وابو سفيان يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة

حمشتها

حمشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها قال فعرفت
صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم قال ما لك فداك
ابي وامي قلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جا بما لا قبل لكم به
بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لين ظفر بك ليضربن عنقك فاركب
عجز هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فردفني ورجع
صاحباه فخرجت اركض به بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين
نظروا قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت
بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام الي فلما راي ابا سفيان علي عجز الدابة قال ابو سفيان
عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطينة الرجل البطي قال فاقتحمت
عن البغلة فدخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا
ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني فاضرب عنقه فقلت
يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت براسه وقلت
والله لا يناجيه الليلة احد غيري فلما اكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع
هذا الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال
مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم
وما ذلك الا اني اعلم ان اسلامك كان احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام
الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الي رحلك فاذا اصبح
فاتني به قال فذهبت به الي رحلي فبات عندي فلما اصبح غدوت به الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال
بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد
اغنى شيا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي
ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان في النفس منها حتى الان شيا فقال العباس ويحك
اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة
الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيا
قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق بابه عليه فهو امن ومن دخل المسجد فهو
امن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند
حطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به الي حيث امرني به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان احبسه قال ومرت به القبايل علي راياتها كلما مرت قبيلة قال من هولا يا عباس

فاقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم القبيلة فيقول من هولا فاقول مزينة فيقول مالي
ولمزينة حتى نفدت القبايل لا تمر قبيلة الا سالني عنها فاذا اخبرته عنها فيقول
مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضرا وانما قيل لها
الخضر لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق
من الحديد فقال سبحان الله من هولا يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهولا من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقد
اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الان
بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش
هذا محمد قد جاكم فيما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابي سفيان فهو امن قالوا
ويحك وما تغني عنا دارك قال من دخل المسجد فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن
فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قالوا وجا حكيم بن حزام وبديل بن ورقا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعوه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقا
من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث في اثرهما الزبير واعطاه
رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة بالحجون
وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتي حتى اتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته متعجرا بشقة برد حبرة وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعا لله عز وجل حين راى ما اكرمه به من الفتح
حتى ان عثنونه تكاد تمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة
وضرب قبته باعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخل
من اسفل مكة وبها بنوا بكر وقد استنفرتهم قريش وبنوا الحارث بن عبد مناف
ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة
ابن ابي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكما وامر سعد بن عبادة
ان يدخل في بعض الناس من كدا فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة
اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال يا رسول
الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نامن ان يكون له في قريش صولة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب ادركه فخذ الراية فكن انت الذي تدخل بها فلم يكن
باعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش
باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر

او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلا
من خيل خالد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد فشذا عنه
وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرايه من
المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة الا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم امر بقتلهم
وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر بقتله
لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامن له وعبد الله بن خطل
رجل من بني تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح
له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيا فعدى عليه فقتله
ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما
معه والحويرث بن نقيذ بن وهب وكان ممن يوذيه ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله
لقتله الانصاري الذي قتل اخاه خطا ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة
لبني عبد المطلب كانت ممن يوذيه بمكة وعكرمة بن ابي جهل فاما عكرمة فهرب الى
اليمن واسلمت امراته ام حكيم بنت الحارث بن هشام فاستامنت له رسول الله صلى
الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا في
دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه واما قينتا
ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استومن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما سارة فتغيبت حتى استومن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت
حتى اوطاها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث
ابن نقيذ فقتله علي بن ابي طالب قالت ام هاني بنت ابي طالب لما نزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من احمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن ابي
وهب المخزومي قالت فدخل علي علي بن ابي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت
عليهما بيتي ثم جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل
من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ
ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات الضحى ثم انصرف الي فقال مرحبا واهلا يا ام
هاني ما جابك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن ابي طالب فقال صلى الله عليه وسلم
قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا تقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

خرج لما اطمان الناس حتى جا البيت فطاف به سبعًا على راحلته يستلم الركن بمحجن
في يده فلما اقضى طوافه دعى عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت فدخلها
فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد
استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر
عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده الا كل ماثرة او دم او مال يدعى فهو تحت
قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتيل الخطا وشبه العمد السوط
والعصى ففيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها في بطونها اولادها يا معشر
قريش ان الله سبحانه وتعالى قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالابا
الناس من ادم وادم من تراب ثم تلا هذه الاية يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
الاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرًا اخ كريم وابن كريم قال
اذهبوا فانتم الطلقا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله سبحانه وتعالى
امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقا ثم جلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد فقام اليه علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله
اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعي له فقال
هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفا وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه
على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النسا قال عروة
ابن الزبير خرج صفوان بن امية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب
الجمحي يا نبي الله ان صفوان بن امية سيد قومي وقد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في
البحر فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو امن قال يا رسول الله اعطني شيا يعرف
به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته البيضا التي دخل بها مكة
فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي
وامي اذكرك الله في نفسك ان تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جيتك به
فقال ويلك اغرب عني فلا تكلمني قال اي صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر
الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال
اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار
شهرين قال انت فيه بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين فتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم
اترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من

دعا به قال ما ذا قلتم قالوا لا شي يا رسول الله فلم يتركهم حتى اخبروه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحاق وكان جميع
من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة
ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر يقصر الصلاة ثم
خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان خزاعة قتلوا
رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله سبحانه وتعالى قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمومنين الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا
وانما احلت لي ساعة من نهار الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها
ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفدى واما
ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا الاذخر فقام ابو شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم **واما التفسير** فقوله سبحانه وتعالى اذا
جا نصر الله والفتح يعني اذا جاك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش
ومعنى مجي النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها او تاخرها
عنه فاذا جا ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جا
نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المومنين
وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار
على الاعدا وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف عليه
بالفتح وقيل ان النصر هو كمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الدنياوي الذي هو تمام
النعمة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا يعني زمرا وارسالا القبيلة باسرها
والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله عز وجل محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم
من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون
واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افيدة الايمان
يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله
وناقة الله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا يعني فانك حينئذ لاحق به
عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا

الفتى معناه ولنا ابنا مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما اريته دعاني يوميذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله سبحانه وتعالى اذا جا نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيا فقال لي اكذلك تقول يا ابن العباس قلت لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جا نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ق عن عايشة رضي الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه اذا جا نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرني ربي اني سارى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جا نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جا نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعات يصير سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والاخرة وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جز من اجزا الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر وهي ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الاية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في ادا ما وجب عليه من شكر النعمة والنصر فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف من دونه وقيل هو عن ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغاير على الانبيا يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قد وقع من تلك

الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب امته وهذا ظاهر لان الله سبحانه وتعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة تبت

مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبت يدا ابي لهب ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسولا لينظر ما هو فجا ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ساير اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحا فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليدين صاحبهما وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشي عن كله وجميعه وقيل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وابو لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بابي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها وتب قيل الاول اخرج مخرج الدعا عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اي وقد هلك نفسه ما اغنى عنه ماله وما كسب قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله سبحانه وتعالى ما اغنى عنه ماله اي شي يغني عنه ماله اي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال وكان صاحب مواشي وما كسب اي ربح بعد راس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جا في الحديث

ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي ثم اوعده
بالنار فقال سبحانه وتعالى سيصلى نارا ذات لهب اي نارا تلتهب عليه وامراته
يعني ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابي سفيان
وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمالة الحطب قيل كانت تحمل
الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعقره
بذلك وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق
بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة
فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله هي بنفسها
وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها
كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقيل حمالة
الخطايا والاثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كالحطب في
مصيرها الى النار في جيدها اي في عنقها حبل من مسد قال ابن عباس سلسلة من حديد
ذرعها سبعون ذراعا تدخل في فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت
من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذي كانت تحطب به
فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها
من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من
ودع وقيل كانت خرزات في عنقها وقيل كانت قلادة فاخرة قالت لانفقنها في عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة الاخلاص

مكية وقيل مدنية وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا

فصل في فضل سورة الاخلاص خ عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها
لتعدل ثلث القران وفي رواية قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان
يقرا ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو
الله احد الله الصمد ثلث القران م عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله سبحانه وتعالى جزا القران ثلاثة اجزا فجعل قل هو الله احد جزا من القران م عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرا عليكم ثلث
القران فقرا قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها قد ذكر العلماء في كونه صلى الله عليه وسلم جعل
سورة الاخلاص تعدل ثلث القران اقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القران العزيز

لايعدو

لا يعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه او معرفة صفاته
واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على
احد هذه الاقسام الثلاثة وهي التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث
القران لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من
هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله سبحانه وتعالى لم يلد ولا يكون هو حاصلا
ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله سبحانه وتعالى ولم يولد ولا يكون في درجته
وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله سبحانه وتعالى ولم يكن له
كفوا احد ويجمع ذلك كله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله
فهذا سر من اسرار القران المجيد الذي لا تتناهى اسراره ولا تنقضي عجائبه وقال
الامام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف في جميع الشرائع
والعبادات معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة
على معرفة ذات الله فلهذا كانت هذه السورة معادلة بثلث القران وقال الشيخ
محيي الدين النواوي رحمه الله تعالى ان القران على ثلاثة انحا قصص واحكام وصفات
الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة للصفات فهي ثلث القران وجزء من ثلاثة اجزا
وقيل معناه ان ثواب قراتها يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القران بغير تضعيف
قوله يتقالها يقال استقللت الشيء وتقاللته وتقالته اذا عددته قليلا في بابه
ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما لانها خالصة
لله تعالى في صفته او لان قارئها قد اخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال
بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه
الله سبحانه وتعالى وبراءته عن كل ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية
والصمدانية والفردانية وعدم النظير عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرا كل يوم مائتي مرة قل هو الله احد محي الله عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون
عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام
على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب يا عبدي
ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه ان رجلا قال
يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة
اخرجه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت
قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل هو الله احد عن ابي بن كعب ان

المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل
قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا يموت
وليس شيء يموت الا سيورث وان الله سبحانه وتعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا
احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء اخرجه الترمذي قال وقد روى
عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل
عليه السلام بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب
وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه
وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة
ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامر
وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكره في سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله سبحانه وتعالى
انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اي شيء هو وهل ياكل ويشرب وممن ورث الربوبية
ولمن يورثها فانزل الله عز وجل هذه السورة قل هو الله احد يعني الذي سالتموني
عنه هو الله الواحد في الالهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة
المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله سبحانه
وتعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى
استاثر بها سبحانه وتعالى فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد
ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات
والاحد في النفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وفي النفي ما رايت احدا فيفيد
العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يشاركه فيه احد الله الصمد قال ابن
ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث
اللغة ان الصمد الشيء المصمت الصلب الذي ليس فيه خور ولا رخاوة ومنه
قيل لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفة الاجسام وتعالى
جلال الله عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول هو ان الصمد الذي ليس
باجوف معناه هو الذي لا ياكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار
هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على انه سبحانه وتعالى بخلاف
من اثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله سبحانه وتعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس
باجوف شيئان احدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني اشرف من
الانسان واعلى منه وهو الباري جل وعز وقال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد

لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في افراده عن ابي وايل
شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس ايضا
قال هو السيد الذي كمل فيه جميع انواع السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع
الحوائج المرغوب اليه في الرغايب المستعاذ به عند المصايب وتفريج الكرب وقيل هو
الكامل في جميع صفاته وافعاله وتلك دلالة على انه المتناهي في السودد والشرف
والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدايم الباقي بعد فنا خلقه
وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل الذي لا تعتريه الافات ولا
تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال
والاخر الذي ليس لملكه انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له
فعلى هذا يقتضي ان لا يكون في الوجود صمد سوى الله سبحانه وتعالى وانه اسم خاص
لله سبحانه وتعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العلى ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير لم يلد ولم يولد وذلك ان مشركي العرب قالوا الملايكة بنات الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فاكذبهم الله عز وجل
ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله تعالى لم يلد كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من وله
كان له الوالد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذي لم يتقدمه والد
كان عنه وهو الاخر الذي لم يتاخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا
احد اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله ولم يكن له كفوا احد
العديل والنظير والصاحبة والولد خ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته
واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا فانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفلق

مدنية وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربع وسبعون
حرفا م عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر
ايات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
فيه بيان عظم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القران وفيه
رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القران ايضا
وانه من اول السورتين بعد البسملة وقد اجمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه

خ عن زر بن حبيش قال سالت ابي بن كعب عن المعوذتين قلت ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن خبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي بنا فخرج فقال قل قلت ما اقول قال قل هو الله احد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شي وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما اقول قال قل قلت ما اقول قال قل اعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قل اعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما اخرجه النساي وله عن جابر بمثله ومعناه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **قل اعوذ برب الفلق** قال ابن عباس وعايشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن اعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه ق عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم يصنعه وفي رواية انه ليخيل اليه فعل الشي وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله سبحانه وتعالى ودعاه ثم قال اشعرت يا عايشة ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودي من بني زريق قال فيما ذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بير ذي ذروان ومن الرواة من قال في بير ذي اروان قال وذروان بير في بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى البير فنظر اليها وعليها نخل قال ثم رجع الى عايشة فقال والله لكان ماها نقاعة الحنا ولكان نخلها رووس الشياطين قلت يا رسول الله فاخرجه قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني وقد خشيت ان اثور على الناس منه شرا وفي رواية للبخاري انه كان يرى انه ياتي النسا ولا ياتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا عن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بير كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا راه في وجهه قط اخرجه النساي وروي انه كان تحت

صخرة في البير فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كانت مغروزة بالابر فانزل الله سبحانه وتعالى هاتين السورتين وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات فكان كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروي انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان م عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك

فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وجواز الرقي قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم يصنعه قال الامام الماوردي مذهب اهل السنة وجمهور علما الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشيا الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقيقة لها وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن ان يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق وتركيب اجسام او المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله سبحانه وتعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها الله على يد من يشا من عباده **فان قلت** المستفاد منه هل هو بقضا الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لا بد واقع وان لم يكن بقضايه وقدره فذلك قدح في القدرة **قلت** كلما وقع في الوجود هو بقضا الله وقدره والاستشفا بالتعوذ والرقى من قضا الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقي بها ودوا نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيا قال هي من قدر الله قال الترمذي هذا حديث حسن وقول عمر نفر من قدر الله الى قدر الله

فصل وقد انكر بعض المبتدعة حديث عايشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلايل القطعية العقلية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل واما ما يتعلق

ببعض امور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا
حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل اليه انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما
يتخيله الانسان في المنام فلا يبعد ان يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل انه
يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله فيكون اعتقاداته على
السداد قال القاضي عياض وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث مبينة على ان
السحر انما سلط على بدنه وظاهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك
ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال
مطبوب اي مسحور وقوله جف طلعة ذكر يروى بالتاء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل
واما الرقى والتعويذ فقد نقلوا الاجماع على جواز ذلك اذا كان بآيات من القرآن واذكار
وردت في الحديث ويدل على صحة ذلك الاحاديث الصحيحة الواردة في ذلك منها
حديث ابي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد
ابن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر يسرع اليهم العين
افاسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يتعوذ ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما
وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل
على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر وشرك او ما لا يعرف معناه مما
ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله سبحانه وتعالى اعلم واما التفسير فقوله عز
وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين وهو رواية عن ابن عباس
لان الليل ينفلق عند الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على اذهاب
هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع
الصبح كالمثال لمجيء الفرج كما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح كذلك الخائف يرتقب
مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين
واجابة الملهوفين فكانه سبحانه وتعالى يقول قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه
عن المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد
في جهنم اذا فتح استغاث اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا
الوادي من العذاب به فانه القادر عليه من شر عذابك وغيره وروي عن ابن عباس ايضا ان
الفلق الخلق ووجه هذا التاويل ان الله سبحانه وتعالى فلق ظلمات بحر العدم
بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع

المحدثات

المحدثات من شر ما خلق قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله سبحانه
وتعالى خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر
كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس ومن شر غاسق اذا وقب عن عائشة
رضي الله سبحانه وتعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى
القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا
وقب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر
اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف اذ اخذ في الغيبوبة وقيل
سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو
اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول
هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اي اقبل بظلامه من المشرق
وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل
لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا
سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها
فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر
اللاتي ينفثن في عقد الخيط حتى يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد
ابن اعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل
انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعويذ الشرعية المستحبة
فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة رضي
الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث
عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة النفث والتفل في الرقى واجازوا النفخ
بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد
انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح
الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه ومن
شر حاسد اذا حسد الحاسد هو الذي يتمنى ازالة نعمة الغير وربما يكون له سعي
فلذلك امر الله سبحانه وتعالى بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا
يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم او لبيد بن اعصم وحده والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الناس

مدنية وقيل مكية والاول اصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اعوذ
برب الناس انما خصص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر

بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال سبحانه وتعالى قل اعوذ من شر الوسواس الى
الناس بربهم الذي يملك امورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم
وقيل ان اشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر ملك الناس اله الناس
انما وصف نفسه تقدس وتمجد وتعالى ولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا
وقد لا يكون فنبه سبحانه وتعالى بذلك انه ربهم وملكهم ثم الملك لا يكون الها فنبه
سبحانه وتعالى بقوله اله الناس بان الالهية خاصة له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها
احد والسبب في تكريره سبحانه وتعالى لفظة الناس تقتضي مزيد شرفهم على غيرهم
من شر الوسواس يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الهمس والصوت الخفي الخناس
يعني الرجاع الذي من عادته ان يخنس اي يتاخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان
فاذا غفل وسهى وسوس واذا ذكر الله سبحانه وتعالى تخنس الشيطان عنه وتاخر
وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان
فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال ان راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة القلب
يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر الله رجع ووضع راسه على القلب
فذلك قوله سبحانه وتعالى الذي يوسوس في صدور الناس يعني بالكلام الخفي الذي
يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب من الجنة يعني الجن والناس
وفي معنى الاية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه
قول بعض العرب جا قوم من الجن فقيل من انتم قالوا ناس من الجن وقد سماهم الله سبحانه
وتعالى رجالا في قوله تعالى يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الاية ان
الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثاني ان الوسواس الخناس
قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الناس وكما ان الجن قد يوسوس تارة ويخنس تارة
فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل ذلك زاد في الوسوسة
وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه سبحانه وتعالى امر ان يستعاذ به من شر الجن
والانس جميعا ق عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوي
الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه وما اقبل
من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه
وامسح عنه بيده رجا بركتها اخرجه مالك ولهما بمعناه ق عن ابن عمر رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به

انا الليل وانا النهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه انا الليل وانا النهار عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال
الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل
ارتحل اخرجه الترمذي وهذا اخر كتاب لباب التاويل في معاني التنزيل
والحمد لله رب العالمين اولا واخرا وباطنا وظاهرا واياه اسال ان يدخلني جنات
النعيم وان يختم لي بخير انه هو السميع العليم وان يثيب مولفه ومحرره العبد
الفقير الى الله تعالى الشيخ الامام العالم العلامة الفاضل العابد الناسك علاء
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي على ذلك دخول الجنة وان يتقبله
منه انه هو السميع العليم قال مولفه وافق الفراغ من جمعه وكتابته يوم الاربعا
العاشر من شهر رمضان المعظم قدره سنة خمس وعشرين وسبعماية وحسبنا الله
ونعم الوكيل فلله دره مولفنا محرر الدلايل وموضح المسايل لو كان له لسان ناطقة ونفس
مطلقة لقال بلسان صحيح فصيح لله در مولف هذا التاليف الرايق النفيس
ولا شلت يد مصنف هذا التصنيف ومن لا بد ان يقع في يد رجلين اما محب
منصف او مبغض متعسف فلا اعتبار بوسوسته وانما الاعتبار بذي النظر الذي
يعطي كل ذي حق حقه كما قيل اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين
وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ من نسخ هذا التفسير الشريف
يوم الثلاثا المبارك لثمان بقين من ذي القعدة الحرام الذي هو من شهور سنة
احدي عشرة ومايتين بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
والسلام كتبه بيده الفانية افقر العباد واحوجهم الى عفو الله الكريم الجواد
الفقير عبد الكريم بن عبد الله بن بدر الدين الشافعي مذهبا
الاحمدي خرقة المليجي وطنا غفر الله له ولوالديه
ولمشايخه ومحبيه ولمن دعا له بالمغفرة والرحمة
ولمن نظر عيبا وسد وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم والحمد لله
رب العالمين
وحده



